كتاب المقفى الكبير

تقي الدين المقريزي (ت 845 / 1441)

الجزء الثالث

(1048- جابر بن محمد — 1401 - خير بن نعيم)

تحقيق
محمد اليعلاوي



الطبعة الأولى
1991 - 1411

دار الغرب الإسلامي
ص.ب : ١١٣/٥٧٨٧
بيروت - لبنان

كتاب
المقفى الكبير
3

بسم الله الرحمن الرحيم

بهٰذا الجزء الثالث ، الذي يشمل تراجم أحرف الجيم والحاء والخاء ، نُكمِل تحقيقَنا للقسم التركيّ من كتاب المقفّى للمقريزي ، الذي بدأناه بحرف الهمزة فالباء فالتّاء فالثاء . وتقسيم الكتاب إلى ثلاثة مجلّدات هو من عملنا نحن . فالمؤلّف لم يذكر قسمة ، وإنّما يعلن عند الفراغ من حرف عن الحرف الموالي ، وقد وقفت تراجم هٰذا المخطوط التركيّ على أبواب حرف الدال . ونرجو أن تكشف لنا الأيّام عن نسخ أكثر اكتمالاً من التي بين أيدينا ، فنسدّ الثغرات الواسعة الباقية بين مخطوطة السليميّة ومخطوطة باريس من جهة ، أي من الدال إلى الطاء ، وبين مخطوطة باريس ومخطوطة ليدن من جهة أخرى ، أي بين العبادلة والمحمّدين ، ونكمل الكتاب بتراجم ما بعد المحمّدين . والمؤلّف نفسُه يحملنا على هٰذا الترجّي ، إذ يعلن في غضون الكتاب عن تراجم أنجزت وسبقت – أو لحقت ، وإن كان يذكرها دائماً بصيغة الماضي حتى وإن ورد ذكرها في حروف سابقة عن حرفها – ولكنّها قد تكون فُقِدت فيمَا فقد من أقسام الكتاب .

وهٰذا الجزء الثالث يتضمّن تراجم مفرطة الطول كترجمتَي الحسين السّبط والحجّاج بن يوسف ، وتراجم مفرطة القصر ، كتراجم الخالدِين الكثيرين الذين لم يزد على أن ذكر أسماءهم وأحياناً تاريخ وفاتهم ، دون أن يذكر لهم مقاماً بمصر ، وهو « شرط الكتاب » كما أكّد مراراً . وحتّى التراجم الطويلة قليلةُ العَناء أحياناً ، إذ ينقل فيها ما تتداوله القواميس السابقة أو كتب التاريخ والأدب ، كما

هو الشأن في ترجمتَي الحسين والحجّاج . إلّا إذا كان النقلُ عن كتب مفقودة كما بيّنّا في نشرنا للتراجم الفاطميّة من الكتاب : فعند ذاك يمكّننا المقريزيّ من إكمال نصّ منقوص ، أو توضيح حدَثٍ غامض ، أو ضبط آسم أو تاريخ . والكتاب مفيد خاصّةً في الرجال الأقربِ عهداً إليه ، كسلاطين المماليك وأمرائهم ، وفقهاء تلك الفترة وأدبائها ، ممّا أتى مقتضباً في كتبه الأخرى كاتّعاظ الحنفاء أو السلوك في معرفة دول الملوك .

على أنّنا لا نظلم المقريزيّ فنسارع إلى ٱلطّعن عليه ورميه بالسطو والانتحال كما فعل السخاويّ : فهو إذا نقل ذكر مصادره ، مثل ابن يونس ، والمنذريّ والخطيب البغداديّ وغيرهم . ولئِن كان النقل حرفيًّا أو متقطّعاً ، فلأنّ الكتاب بقي على هيئة المسوّدة أو الجذاذات التي كان ينوي الرجوع إليها بالتبييض والتنسيق والزيادة أو الحذف : ذاك ما يشعر به البياض الكثير المبثوث هنا وهناك في كافّة النسخ ، وسكوته عن صلة المترجمين بالأرض المصريّة ، وكذلك اكتفاؤه أحياناً بذكر آسم وحدَه لا زيادة عليه كما سنرى في مخطوط ليدن مثلاً . وإلى هٰذه السرعة نفسِها – أو هٰذا التربّص لعودة إلى الجذاذات – نعزو خُلُوَّ الكتاب من التعليق الشخصيّ والخواطر الذاتيّة التي يتدخّل بها كبار المؤرّخين كآبن الأثير وآبن خلدون وأبي المحاسن في سردهم للأحداث أو تصويرهم للأشخاص ، إلّا ما ندر : فالمقريزيّ في رأينا كان ينتظر أن تكتمل مادّة الكتاب فيراجعه مراجعة نهائيّة فينظر آنذاك إلى الحوادث والأبطال من علُ ، فيعلّق ويبدي رأيه أو على الأقلّ يختم بعبارة حكميّة عامّة تحبّذ أو تستنكر كما يفعل أستاذه آبن خلدون .

وقد آجتهدنا في سدّ الثغرات من التراجم ، وتوضيح المبهم والغامض ، وذلك في الحدود التي فرضها علينا غياب المصادر المنقول عنها ، وانحصار المادّة في نسخة وحيدة لا ثانية لها حتى تسهل المقابلة والمقارنة ، وورودُ هٰذه النسخةِ اليتيمة في شكل مسوّدة أو شبه مسوّدة لأنّ الناسخ لا يُحسنُ الفهم إن هو

أحسن الخطّ . فلذا نعتذر سلفاً عن إكثارنا من التنبيه إلى عبارة لم نفهمها ، أو اسم لم نتبيَّنْه ، أو شاهد لم نخرّجْه ، فدأبُنا كما قلنا في الجزءين السابقين ، أن نجتهد ولا نسكتِ ، ونفترض ولا نُخفي الصعوبة أو الإشكال .

على أنّنا وجدنا عند بعض زملائنا من الباحثين مساعدةً نفيسة ، فوجب علينا الاعتراف بجميلهم ، نخصّ بالذكر منهم الأستاذ أبا القاسم محمد كرّو - في مساعدتنا على تحقيق تراجم أعلام قفصة ، علاوة على إمدادنا بمصوّرة مخطوط باريس التي ستكوّن مادّة الجزء الرابع - والزميلة منيرة شابوطو الرمادي التي ساعدتنا على ضبط بعض تراجم المماليك - والأستاذ جلال العطيّة الذي أرسل إلينا من باريس مصوّرتَه من المخطوط التركيّ ، وكذلك الأستاذ عبد الفتّاح محمد الحلو والأديب علي الذوّادي . فإليهم جميعاً جزيل شكرنا ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

تونس في 6 شعبان 1409 وفي 13 مارس 1989

محمد اليعلاوي

1048 – جابر بن محمد الكاثيّ [667 – 741] [1]

جابر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن يوسف ، أبو عبد الله ، ٱفتخار الدين ، الخوارزميّ ، الكاثيّ – وكاث من مدن خوارزم[2] – الفقيه الحنفيّ .

ولد في عاشر شوّال سنة سبع وستّين وستّمائة . وتفقّه على خاله أبي المكارم ابن محمد ابن أبي المفاخر الخوارزميّ . وقرأ المفصّل والكشّاف على أبي عاصم الإسفَندريّ عن سيف الدين عبد الله بن أبي سعيد محمود الخوارزميّ عن أبي عبد الله البصريّ عن الزمخشريّ .

وسمع من الحافظ الدمياطيّ وأفتى وأعاد . وتولّى مشيخة الخانكاه الركنيّة بيبرس بالقاهرة عوضاً عن [. . .] .

وتوفّي يوم الخميس سادس عشر المحرّم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ودُفن بالقرافة .

1049 – جابر بن منصور الجوذريّ [– بعد 390] [3]

خلع عليه في سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وثلاثمائة جبّة مثقلة ومنديل مذهب وحمل بين يديه عدّة ثياب صحاح ، وقلّد سيفاً وحمل على

---

(1) الدرر 2 / 68 (1435) – المنهل 4 / 204 (808).

(2) ياقوت : بعد الألف تاء مثلّثة : بلدة كبيرة من نواحي خوارزم إلاّ أنها من شرقي جيحون . وكذلك في مراصد الاطّلاع ، 1141 .

(3) اتّعاظ 2 / 31 : نفس الكلام – و منصور الجوذريّ هو الذي تنسب اليه سيرة استاذه جوذر .

فرس ، ونزل من القصر وقد ولي نظر السواحل[1] والحسبة بمصر .

1050 - جاغان الحساميّ [- 699][2]

جاغان ، الأمير سيف الدين الحساميّ ، أحد مماليك الملك المنصور لاجين . ربّاه صغيراً ، فلمّا تسلطن جعله من أمراء مصر . ثمّ ولّاه شدّ الدواوين بدمشق عوضاً عن الأمير فتح الدين بن صبرة ، في ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين وستّمائة .

فلمّا رسم بخروج الأمير قبجق نائب دمشق بالعسكر ، أقام جاغان نائب الغيبة بدمشق بمرسوم السلطان . وكتب إليه سرًّا أن لا يمكّن قبجق من العود إلى دمشق إلّا بمرسوم ، وأنّه يستقرّ بعده في النيابة . فكان من ذلك ما ذكر في ترجمة قبجق[3].

فلمّا قدم الخبر لدمشق بقتل المنصور لاجين ونائبه منكوتمر وثب الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصوريّ وقبض على جاغان وعلى الأمير حسام الدين لاجين الحساميّ والأمير كجكن ، وأسلمهم لأرجواش نائب القلعة .

فلم يزل معتقلاً إلى أن [أ]فرج عنه في تاسع عشرين جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين ، وحمل على البريد إلى مصر . فردّه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من طريقه ، وأنعم عليه بإمرة دمشق . فعاد إليها وأقام بها إلى أن مات بمرض طويل في سنة تسع وتسعين وستّمائة .

---

(1) يعني سواحل مصر و القاهرة على النيل (هامش3 من تحقيق محمد حلمي محمد أحمد في الاتّعاظ 2 / 31) .

(2) السلوك 1/ 905 و قال : مات بأرض البلقاء .

(3) ترجمة قبجق مفقودة مع حرف القاف .

1051 - جامع بن باقي الأندلسيّ [- 602][1]

جامع بن باقي بن عبد الله بن عليّ ، التميميّ [، أبو محمّد ،] الأندلسيّ ، الفقيه الشافعيّ .

ولد بالجزيرة الخضراء من الأندلس . وقدم مصر فسمع من السلفيّ وغيره .

روى عنه يوسف بن خليل ، والشهاب القوصيّ وغيرهما . ووليَ قضاء إخميم . ويلقّب فخر الدين .

ومات بدمشق في سابع عشر ذي القعدة سنة أثنتين وستّمائة .

1052 - جانك الإخشيديّ [- 343][2]

جانك الإخشيديّ القائد الحسين .

كان مملوكاً [. . .] الجنس . ربّاه الأمير أبو بكر محمد بن طغج حتّى صار هو والأستاذ كافور أجلّ غلمانه . وبعثه هو وكافور على عساكره لقتال سيف الدولة عليّ بن حمدان بالشام .

فلمّا مات الإخشيد وقام من بعده آبنُه أبو القاسم أونوجور ، عاضد كافور[ا] الإخشيديّ وساعده عند قيامه بخلافة أونوجور ، ولم ينفس عليه ذلك . فوقّع له في يوم بأربعةَ عشرَ ألفَ دينار من أجل أنّه ناوله الصولجان لمّا سقط من يده .

---

(1) طبقات السبكيّ 5 / 53 .

(2) ورد في المغرب لأبن سعيد (قسم مصر) باسم فاتك الفحل و تارة باسم جانك (ص 164 و 185) .

وما زال على ذلك إلى أن وقع حريق في المحرّم سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة بالبلد ، آحترق فيه ألف وسبعمائة دار . وركب كافور حتّى / تولّى إطفاءَهُ[1] . [293ب]
وفرّق في السقّائين أربعة عشر ألف درهم ، ونزلت الكافوريّة والإخشيديّة بين يديه تطفئُه ، ونزل جانك فمرض منه ومات .

1053 - جبر بن القاسم الكتاميّ [- بعد 374][2]

قدم مع المعزّ إلى القاهرة . وردّ إليه الشرطة السفلى[3] عوضاً عن [ابن] غزويه بن إبراهيم وشبل المعرّضي[4] في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة ، فشدَّد على المغاربة في خروجهم من مدينة مصر وسكناهم بالقاهرة . ثمَّ ردَّت إليه الشرطة العليا فصار يتولَّى الشرطتين .

وولي تنيس ودمياط والجِفار[5] .

1054 - جبريل بن عبد الله [- 637][6]

جبريل بن عبد الله ، الشيخ الصالح ، أبو الأمانة .

توفّي ليلة الرابع من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وستّمائة .

---

(1) في المخطوط : طفيه .

(2) الأتّعاظ 1 / 216 - النجوم لابن سعيد ، 354 و قال انّه وزر للعزيز و لم يزد - الإشارة 21 و فيه انّ العزيز ردّ الوزارة اليه بعد يعقوب بن كلس .

(3) الشرطة السفلى هي شرطة الفسطاط ، و العليا هي شرطة القاهرة (اتّعاظ 1 / 216) .

(4) شبل المعرّضي : عيّنه جوهر على الشرطة السفلى سنة 358 عوضاً عن علي بن الحسين بن لؤلؤ . امّا غزويه فلعلّه ابن غزويه الذي يذكره المقريزيّ في ترجمة جوهر من المقفى (رقم 1102) مقروناً أيضاً بشبل المعرّضي .

(5) الجفار : هو الرمل بين غزّه و العريش (الكندي ، 506) .

(6) التكملة للمنذريّ 3 / 556 (2975) و قال : توفّي بمنية بني خصيب من صعيد مصر .

1055 – جبلة بن عمرو الساعديّ الصحابيّ [– بعد 50][1]

جبلة بن عمرو ، الأنصاريّ ، الساعديّ ، يعدّ في أهل المدينة .

روى عنه سليمان بن يسار . وكان من فقهاء الصحابة . شهد فتح مصر ، وغزا إفريقيّة مع معاوية بن حديج ، وشهد صفّين مع علي (رضه) .

وحديثه رواه ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن بكير بن الأشرج . قال : سألت سليمان بنَ يسار عن النفل في الغزو فقال : نفّلنا معاوية بن حديج بإفريقيّة ، فأبى جبلة بن عمرو الساعديّ صاحب رسول الله (صلعم) أن يأخذ من ذلك شيئاً .

ويقال : هو أخو أبي مسعود الأنصاريّ ، وفيه نظر .

وكان له عقب بإفريقيّة .

1056 – جيرجين الخازن [– 715][2]

جيرجين الخازن ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقّى في الخدم حتى صار من الأمراء ، إلى أن وشي إلى السلطان بأنّ جماعة من الأمراء يريدون اغتياله ، وأنّ جيرجين هٰذا مطّلع على أمرهم . فطلبه في يوم السبت عاشر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وسُئل عن ذلك . فلم يعترف بشيء وحلف أنّه لم يطّلع عليه . فعُصر في أصداغه ، وثقب[ـت] أصابعه

(1) أسد الغابة 1 / 320 (686) و نفى ابن الأثير أن يكون أخا أبي مسعود .
(2) الدرر 2 / 69 (1439) – السلوك 2 / 159 .

بالمشافي وغمست في القطران وأشعل فيها النار حتّى ٱحترقت ، وهو يذكر الله تعالى ويقول : والله لا كذبت على أحد !

ومات من ليلته .

1057 – علم الدين ابن أبي حليقة [626 – بعد 684][1]

جرجس بن ميخائيل بن الفارس ، علم الدين ، أبو نصر ، ابن الرشيد أبي الوحش[2] ، ٱبن أبي الخير ، ابن أبي سليمان ، ابن أبي المُنى ، ابن أبي قانة ، المعروف بٱبن أبي حليْقَة ، القبطيّ ، المصريّ ، الحكيم ، الطبيب .

ولد بالقاهرة في يوم الأحد السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ستٍّ وعشرين وستّمائة . ونظر في الطبّ . وانتقل عن دين النصرانيّة إلى دين الإسلام ، وأسلم وتسمّى بإبراهيم . وأسلم أخواه أيضاً . [و]قرّرهم الملك المنصور قلاوون رؤوساً للأطبّاء بديار مصر في سنة أربع وثمانين وستّمائة ، وكبيرهم أخوهم مهذّب الدين محمّد[3] .

فكتب إليه الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليغموري [دوبِيت] :

قد زال فساد الكون مذ صرت حكمْ   في الطبّ أزلت من تعدّى وظلَمْ
لم ترضَ بحكم جاهل فيه كم   جوراً ولهٰذا صرت في الدين علم

---

(1) معجم الأطبّاء لأحمد عيسى بك ، القاهرة 1942 ص 291 و أرّخ وفاته بسنة 708 – السلوك 2 / 50 وسمّاه إبراهيم ، وكذلك ابن العماد : شذرات 6 / 17 .

(2) أبوه رشيد الدين أبو الوحش ابن فارس ، ترجم له ابن أبي أصيبعة في طبقاته 590 ترجمة مطوّلة وعدّد مصنّفاته .

(3) طبقات الأطبّاء 598 بعد ترجمة والدهما . وقد ذكر علم الدين أبو نصر في آخرها بعد أخ ثالث يلقّب موفق الدين ويكنّى أبا الخير ، وقال في علم الدين : هو الأصغر .

1058 – علم البريّة الأندلسيّ المقرىء [516][1]

جعفر بن اسماعيل بن خلف ، النحويّ ، المقرئ ، ابو الفضل ، الأنصازيّ ، المعروف بعلم البريّة[2] .

توفّي يوم الأحد التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ستّ عشرة وخمسمائة .

1059 – أبو الفضل الورّاق النحويّ [575 – 613][3]

جعفر بن أحمد بن جعفر بن أبي الحسن بن عبد الجليل ، الأديب ، أبو الفضل ، اللخميّ ، الإسكندرانيّ ، النحويّ ، المعروف بالورّاق .

ولد في شوّال سنة خمس وسبعين وخمسمائة [بالإسكندريّة][4] ، ومات بمصر في شوّال سنة ثلاث عشرة وستّمائة .

1060 – المظفّر ابن بدر الجماليّ [– بعد 512][5]

جعفر بن بدر ، أبو محمد المظفّر ، ابن أمير الجيوش ، أخو الأفضل ابن أمير الجيوش .

---

(1) غاية النهاية 191 (880) . وترجم ابن الجزري 164 (763) لأبيه أبي طاهر بن خلف ترجمةً أطول ونسبه الى الأندلس وقال : هو مؤلّف كتاب العنوان والاكتفاء ، وأرّخ وفاته بالمحرّم 455 – وترجم ابن بشكوال أيضاً لأبيه : الصلة (244) .

(2) علم البريّة : لم نقف على هذا اللقب .

(3) بغية الوعاء للسيوطي 1 / 485 (999) – التكملة للمنذريّ 2 / 385 (1499) – وزاد : وقال الشعر الجيّد .

(4) زيادة من التكملة .

(5) اتّعاظ ،3 / 54 . وانظر هامش 1 ما كتبه المحقّق عن العلامة .

ٱستنابه الأفضلُ على كتابة العلامة في سنة ٱثنتَي عشرةَ وخمسمائة لمّا ضعُفت يده بالرعشة وصعب عليه إمساك القلم . ورتّب له على العلامة عنه في كلّ شهر خمسمائة دينار ، مضافاً إلى ما برسمه . فكان يعلّم في كتب الأجوبة وخروجات الرواتب .

1061 - التاج الدميريّ [555 - 623] [1]

جعفر بن الحسن بن إبراهيم ، أبو [الفضل] ، ٱبن أبي عليّ ، الدميريّ الأصل ، [المصريّ المولد والدار ، المنعوت بالتاج] .

ولد بمصر سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وقرأ القرآن بالقراءات على أبي الجيوش عساكر بن عليّ . وتفقّه على مذهب أبي حنيفة على جمال الدين عبد الله ابن محمد بن سعد الله ، وعلى البدر عبد الوهّاب بن يوسف .

وسمع من أبي محمد عبد الله بن برّيّ ، وأبي الفضل محمد بن يوسف[2] الغزنويّ . ودرّس بالمدرسة السيوفيّة بالقاهرة ، حتى مات في يوم الاثنين ثاني ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستّمائة .

وكان معتزلاً للناس حسن الخطّ .

1062 - المكين ابن العميد النصرانيّ [602 - 672] [3]

جرجس المكين ، ابن العميد أبي ياسر ، ابن أبي المكارم ، ٱبن أبي

---

(1) التكملة لوفيات النقلة 3 / 190 (2127) ، والزيادات منها .

(2) في التكملة : ابن يونس .

(3) الأعلام 2 / 108 – هدية العارفين 1 / 250 – تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان 3 / 199 – دائرة المعارف الإسلامية 6 / 141 .

الطيّب ، ابن قرْوينة بن طيّب بن يوسف ، السريانيّ ، النصرانيّ ، التكريتيّ الأصل .

قدم جدّه الأعلى طيّب بن يوسف إلى القاهرة من تكريت ، وهو نصرانيّ ، في هيئة تاجر ، فقدّم إلى الخليفة الآمر بأحكام الله عدّة ثياب ، ما بين عتابيّ وأبراد حرير [من] عمل الهند واليمن . فخلع عليه وعوّضه عن تقدمـ[ـتـ]ـه . وأحضره بين يديه فأعجبه أدبُه ، فرسم بمُسامحته ممّا على مُتَّجَرِه للديوان ، وأنعم عليه بقرية بالحوف بجوار دماص .

فلمّا قُتل الآمر تحوّل إلى سموطيّة[1] ، وتزوّج بها فولد له قروينه ، ومات . فنشأ قروينه ومهر في الكتابة الديوانيّة وتصرّف في الخدم . وولد له آبنٌ سمّاه أبا الطيّب حذق في معرفة الكتابة . ودخل القاهرة فآستخدم بديوان الغربيّة . وخرج إليها وأقام بها سبع سنين ، فكثرت أمواله وآشتهر . فصودرَ على عشرين ألف دينار مصريّة ، وتعطّل .

وكانت [له] خمسة أولاد ، أصغرهم أبو المكارم ، ابن أبي الطيّب[2] . وآتّسعت حاله وتزوّج أخت المكين سمعان بن خليل بن مقارة متولّي ديوان الجيش في الأيّام الصلاحيّة يوسف بن أيّوب . فولد له ثلاثة أولاد ، هم : النجيب أبو الفضل ، والعميد أبو ياسر ، والمخلص أبو الزهر . ثمّ ترهّب بعد موت زوجتِه وصار قُمُّصاً[3] حتّى مات سنة ستٍّ وستّمائة .

فخدم العميد أبو ياسر بديوان الجيش موضعَ خاله المكين سمعان . وقد ترهّب في سنة ثلاث وستّمائة ، وترك الخدمة في الأيّام العادليّة أبي بكر بن أيّوب

(1) لم نعرف سموطيّة ولا دماص قبلها .
(2) في المخطوط : ابن أبي طالب .
(3) القمّص رتبة دينيّة عند الأقباط (دوزي) .

وحبس نفسه بدَير أبي يُحنَّس بوادي هبيب[1] ثلاثين سنة وأكثر .

فتميّز العميد عند الملك العادل بالأمانة وملازمته الصوم في أكثر الأيّام ، وصدقته بما يفضل عنه ولا يدّخر شيئاً . وأقام بديوان الجيش خمساً وأربعين سنة . ومات في صفر سنة ستّ وثلاثين .

وولد المكين جرجس ابن العميد صاحبُ الترجمة في يوم السبت [. . .] رجب سنة اثنتين وستّمائة . وخدم بديوان الجيش بالقاهرة ثمّ بالشام . وتقدّم في الأيّام الناصريّة يوسف ، وبعدَه ، إلى أيّام الظاهر بيبرس . واختصّ بالأمير علاء الدين طيبرس الوزيريّ نائِب الشام ، وعظم قدره .

ثمّ قُبض عليه بعده ، وحبس بالقاهرة مدّة سنين . ثمّ أفرج عنه ، واستقرّ بديوان الجيش بمصر . ثمّ أضيف إليه ديوان جيش الشام . ثمّ قبض عليه واعتُقل . ثمّ أفرج عنه . فمضى من القاهرة إلى دمشق بطّالاً . وأقام بها حتى مات سنة اثنتين وسبعين وستّمائة عن سبعين سنة بدمشق .

وله تاريخ مفيد[2] ، وله فضيلة .

1063 - جرجي الأنطاكيّ وزير روجار [- 546][3]

جرجي بن ميخائيل الأنطاكيّ ، وزير روجار ملك الإفرنج بجزيرة صقلّيّة .

كان من جملة النصارى ، وعمل هو وأهل بيته للملك القسطنطينيّة مدّة .

---

(1) وادي هبيب هو وادي نظرون (السلوك 1 / 502 هامش 3) ودَير يُحنّس - لا أبي يحنّس كما في المخطوط - ذكره الشابشتيّ في الديارات ، 312 وياقوت ، وقالا : من أعمال سمنود بحوف مصر .

(2) هما تاريخان : الأول الى ظهور الإسلام ، والثاني الى عصر الظاهر بيبرس (زيدان والزركلي) .

(3) اتّعاظ 3 / 187 - الكامل (سنة 543) - رسالة إدريس (انظر الفهرس) .

ورفع عليه وعلى أهله فأَمَرَ الملك بوصولهم إليه بالأهل والولد ، فجُمِعوا في مركب وخرجوا في أربعين نفساً . فلقيهم أسطول السلطان تميم بن المعزّ بن باديس صاحب بلاد الغرب ، وذلك في سنة نيف وثمانين / وأربعمائة ، وهو راجع من [294 ب] غزو جزائر القسطنطينيّة ، فأخذهم وأُتي بهم إلى المهديّة من أرض إفريقيّة . فسألوا الحضور بين يديّ تميم فأمر بإحضارهم فذكروا أنّهم حسّاب وأنّ السلطان ينتفع بهم في الخدم . فأحسن تميم إليهم وقلّدهم الأمور . فظهر نصحهم . وولّى جرجي هٰذا عاملاً على مدينة سوسة . وجعل سمعان أخاه بين يديه وكان لم يبلغ الحُلُم . فجعل يلتقط الأخبار من إخوته ومن غيرهم ويوصلها إليه . فبلغ السلطان يحيى ابن تميم عن سمعان أنّه نقل عنه كلاماً . فضاق به صدره وثقل على يحيى بن تميم فأمر مَن خنقه ليلاً .

ومات السلطان تميم وقام من بعده ابنه يحيى بن تميم فخافه جرجي ، وكتب إلى السلطان عبد الرحمان[1] وزير الملك روجار بن روجار ملك الفرنج المعروف بأبي تليس صاحب جزيرة صقلّيّة يأمره فيه أن يبعث له شينيًّا غزوانيًّا ليهرب فيه . فوصل الشيني إلى المهديّة في سنة اثنتين وخمسمائة ، وفيه رسول إلى السلطان يحيى بن تميم . فأخذ جرجي وجميع أقاربه وسار بهم بحيث لم يعلم به أحد .

فلمّا قدموا عليه أحسن إليهم وولّاهم الدواوين بصقلّيّة فأظهروا النصح فصار لهم عنده منزلة . وشبّ الملك روجار وشارك عبد الرحمان الوزير في الأمر والنهي . فتقرّب إليه جرجي بكلّ ما يوافقه . فبعث جرجي رسولاً إلى مصر كرّاتٍ متعدّدة .

ولم يزل جرجي يسعى بالسلطان عبد الرحمان حتّى أخذه روجار وجعله في قفص حديد وقتله . وولّى وزارته أبا الضوء كاتب إنشائه ، وكان من أهل

(1) عبد الرحمان بن عبد العزيز النصراني ، ويقول إدريس ، 335 إنّ المصادر المسيحيّة تسمّيه «كرِستُوبُولُوص» .

الأدب ، فلم ينهض بالأمر . فولّى جرجي الوزارة ، جمع الأموال ورتّب قواعد الملك وحجب روجار عن الرعيّة ، وجعل له زيًّا كزيّ المسلمين ، لا يركب ولا يظهر للرعيّة إلّا في الأعياد ، وبين يديه الخيل المسوّمة بسروج الذهب والفضّة ، والأجلّة المرصّعة بالأحجار ، والقباب بالهوادج ، والبنود المذهّبة ، والمظلّة والتاج على رأسه .

ونعت جرجي بالسيّد الأجلّ المرتضى عزّ الملك المظفّر فخر الجلال نظام الرئاسة زعيم الجيوش شرف الوزراء أمير الأمراء . وأوقف روجار على سِيَر الملوك ، وأمر كاتباً من كتّابه يعرف بالحنش فجمع له سيرة .

فلمّا كانت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة عند أخذ المهديّة بلغت شوانيه مائتَي شيني ومائة طريدة ، غير الحمالة . فخرج جرجي في الأسطول بنفسه وفتح الجزائر التي بين المهديّة وصقلّيّة . ثمّ صار في ملكه من سواحل إفريقيّة ما بين أوّل طرابلس إلى الحمّامات بقرب تونس ، وفي البرّ إلى قرب القيروان . واتّسعت دولة روجار بتدبير جرجيّ . فلمّا وقع الغلاء في المغرب مع الفتنِ ، رحل إليه من الأمراء والقضاة والفقهاء والأدباء والشعراء عالم كبير ، فأوسعهم جرجي وروجار رفدهما وأنزلاهم عندهما ، فعمرت الجزيرة أحسن عمارة وقصدها السفّارة من كلّ البلاد بأنواع البضائع وطُرُف التجارة ، إلى أن كانت سنة ستٍّ وأربعين وخمسمائة ، مات جرجي الوزير وهو في التسعين . فأقرّ روجار ولدَه ميخائيل بن جرجي في الوزارة .

ثمّ مات روجار في العشر الأوّل من ذي الحجّة سنة ثمانٍ وأربعين وخمسمائة .

1064 – جرجي الناصريّ [– 772][1]

جرجي ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك [الناصريّة] .

تنقّل في الخدم حتى عمل دوادار صغيراً في أيّام الصالح إسماعيل . ثمّ عمله المظفّر حاجي دوادار كبيراً في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ، فقتل المظفّر في شهر رمضان منها .

وأخرج إلى دمشق أمير عشرة وعمل الأمير طشبغا دوادار عوضَه .

ثمّ أعيد إلى مصر وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه . ثمّ عمل أمير حاجب نائباً عوضاً عن الأمير طشتمر القاسميّ . ثمّ عمل خزنداراً في أيّام السلطان حسن الثانية . ثمّ آستقرّ أمير أخور في أيّام الأشرف شعبان . ثمّ نقل إلى نيابة حلب .

ثمّ أعيد إلى دمشق أميراً كبيراً إلى أن مات / في صفر سنة آثنتين وسبعين وسبعمائة .

1065 – جركتمر بن بهادر [– 742][2]

جركتمر بن بهادر رأس نوبة ، الأمير سيف الدين ، ابن الأمير سيف الدين .

كان من ألزام الأمير بيبرس الجاشنكير بعد قتل أبيه[3] . فلمّا تسلطن وبدا الزوال على دولته أمّر من مماليكه وألزامه في أوّل شهر رمضان سبعة وعشرين

(1) الدرر 2 / 71 (1450) – السلوك 3 / 192 .
(2) الدرر 2 / 70 (1447) – السلوك 2 / 605 .
(3) هو الأمير بهادر رأس نوبة (السلوك 2 / 11) .

نفراً ، منهم جركتمر هٰذا . وفرّ المظفّر في سادس عشره . وقدم الملك الناصر محمد بن قلاوون يوم عيد الفطر وقبض في سادس عشر شوّال على آثنين وعشرين أميراً ، لم يفلت منهم إلّا جركتمر . وإنّ أخته كانت تحت آبن الأمير قراسنقر فأشار إليه قراسنقر بعينه ففهم ما أشار به ووضع يده على أنفه كأنّه رعف ، وخرج من القصر . فلم يشعر به أحد . وآختفى في بيت قراسنقر حتى شفع فيه فعفا السلطان عنه[1] .

وما زال على مكانته حتّى مات السلطان وقام من بعده الأمير قوصون بتدبير الدولة . [فـ]ـبعثه إلى حماه وطرابلس مبشّراً بسلطنة الأشرف كجك . فلمّا عاد أخرجه إلى قوص لحفظ المنصور أبي بكر وقد نفاه إلى [أسوان] ، وقرّر معه معاونه عبد المؤمن والي قوص على قتله . فعاد بعد قتله . فلم يبقَ قَوصون إلّا أيّاماً وثار به الأمير أيدغمش والأمراء وقبض عليه . وطلب جركتمر وسجنه . ثمّ أخرج إلى الإسكندريّة وقتل بها في شوّال سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة .

وكان يجيد اللعب بالرمح والرمي بالنشّاب ، وله يد طولى في صيد الوتر وصيد الطيور ولعب الكرة . وكان جميلاً كريمًا .

1066 – جَرْمَك الناصريّ [– 692][2]

جرمك الناصريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الناصر يوسف صاحب حلب .

تنقّل في الخدم من أوّل الدولة التركيّة وصار من جملة الأمراء في الأيّام الظاهريّة بيبرس . وأقرّه المنصور قلاوون على إمرته . ثمّ قبض عليه في جمادى

(1) السلوك 2 / 76 . وكان زوج آبنته .
(2) النجوم 8 / 37 .

الأولى سنة تسع وثمانين وستّمائة لمفاوضة جرت بينه وبين الأمير طرنطاي أغلظ له فيها بحضرة الأمراء . ومات [المنصور] وهو في السجن ، فأفرج عنه الأشرف خليل عندما تسلطن وأنعم عليه بالإمرة على عادته .

ثمّ قبض عليه وهو يحاصر عكّا في جمادى الأولى سنة تسعين وسجنه بقلعة الجبل إلى أن قتله في ليلة أوّل المحرّم سنة اثنتين وتسعين وستّمائة فيمن قُتل من الأمراء .

وكان سليم الباطن يخدعه المنجّمون بأنّه يلي السلطنة فتتعلّق نفسُه بذلك وينعم عليهم .

وكان تتريّ الجنس من كبار المغل كبير النفس شجاعاً معظّماً في الدول .

1067 – المقوقس (جريج بن مينا)[1]

جريج بن مينا بن قرقب المقوقس .

وجّهه هرقل ملك الروم إلى مصر أميراً ، وجعل إليه حربها وجبايةَ خراجها ، فنزل الإسكندريّة .

وبعث إليه رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة[2] بكتابه إليه سنة سبع من الهجرة فوافاه بالإسكندريّة . فلمّا دخل عليه أجلسَه وتناول منه الكتاب وقبّله وضمّه إلى صدره وقال : مرحباً بكتاب النبيّ العربيّ . ثمّ قرأه ، فإذا فيه : بآسم الله الرحيم الرحيم . من محمّد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط . سلام على مَن اتّبع الهدى . أمّا بعد ، فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام . أسلِمْ تَسلمْ يؤتِك

(1) الخطط 1 / 45 – النجوم 1 / 8 – السيرة الحلبيّة 3 / 280 – ابن كثير 3 / 515 – سيرة دحلان 2 / 173 .

(2) حاطب بن أبي بلتعة . انظر ترجمته في المقفّى رقم 1116 .

الله أجرَك مرّتين . ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ، 64) .

وقيل : بل كان في الكتاب بعد البسملة : أمّا بعد ، فإنَّ اللهَ أرسلني رسولاً وأنزل عليّ قرآناً مبيناً وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفّارِ حتى يدينوا بديني ويدخلوا في ملّتي . وقد دعوتُك إلى الإقرار بالوحدانيّة [لله] الواحد الأحد وأنّي رسول الله . فإن أنت أجبت فقد سعدت ، وإن أبيتَ فقد شقيت . والسلام على مَن اتّبع الهُدى . ويَا أَهْلَ الكتاب تعالوا / إلى كلمة سواء بيننا وبينكم . . . الآية . [295 ب]

فلمّا قرأه أخذه فجعله في حقّ من عاج وختم عليه . وأنزل حاطب بن أبي بلتعة في داره . ثمّ أرسل إليه ليلةً وليس عنده أحدٌ إلّا ترجمان له فقال : ألا تخبرني عن أمور أسألك عنها ، فإنّي أعلم أنّ صاحبك قد تخيّرك حين بعثك .

فقال حاطب : لا تسألُني عن شيء إلّا صَدقتُك .

قال : إلَامَ يدعو محمّد ؟

قال : إلى أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتخلع ما سواه وتأمر بالصلاة .

قال : فكم تصلّون ؟

قال : خمس صلوات في اليوم والليلة ، وصيام شهر رمضان ، وحجّ البيت ، والوفاء بالعهد . وينهى عن أكل الميتة والدم .

قال : مَن أتباعُه ؟

قال : الفتيانَ من قومه وغيرهم .

قال : فهل يُقبَلُ قولُه [1] .

(1) في المخطوط : قومه ، والإصلاح من الخطط 1 / 45 .

قال : نعم .

قال : صِفْهُ لي .

(قال) فوصفته بصفة من صفته [و]لَمْ آتِ عليها [1] .

قال : قد بقيت أشياء لم أرك ذكرتها : أفي عينيه حمرة ؟

قلت : ما تفارقه . وبين كتفيه خاتَم النبوّة . ويركب الحمار ويلبس الشملة ويَجْتَزِىءُ بالتمرات والكسر ، لا يبالي من عمّ أو ٱبن عمّ .

قال : هٰذه صفته .

وفي رواية : هٰذا زمان يخرج فيه النبيّ الذي نجد نعتَه وصفتَه في كتاب الله تعالى . وإنّا لنجد صفته أنّه لا يجمع بين أختين في ملك يمين ولا نكاح ، وأنّه يقبل الهديّة ولا يقبل الصدقة ، وأنّ جلساءه المساكين ، وأنّ خاتم النبوّة بين كتفيه .

وفي رواية أنّ المقوقس ٱستدعى بسفط وٱستخرج منه سمطاً [2] فيه صفة الأنبياء عليهم السلام ، وفي آخره صفة رسول الله ﷺ . ثمّ أمر حاطب بنَ أبي بلتعة أن يصف له رسول الله ﷺ ليطابق به ما عنده . فلمّا نعته حاطب قال المقوقس : صدقت ، هكذا صفتُه . قد كنت أعلم أنّ نبيًّا قد بقي ، وقد كنت أظنّ أنّ مخرجه بالشام ، وهناك كانت تخرج الأنبياءُ من قبله . فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس . والقبط لا تطاوعني في ٱتّباعه ، ولا أحبّ أن تَعلَمَ بمحاورتي إيّاك . وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه مِن بعده بساحتِنا هٰذه حتّى يظهروا على ما هٰهنا . وأنا لا أذكر للقبط من هٰذا حرفاً . فٱرجع إلى صاحبك .

وفي رواية : لولا الملك – يعني ملك الروم – لأسلمتُ .

---

(1) يعني : بشيء من صفاته ، وزدنا الواو من الخطّ . وعند دحلان : فوصفته فأوجزت .

(2) قراءة ظنّيّة ، ولعلّها : نمَط ، وهو ضربٌ من البُسُط .

ثمّ دعا كاتباً يكتب بالعربيّة فكتب : لمحمّد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام . أمّا بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمتُ ما ذكرتَ وما تدعو إليه . وقد علمتُ أنّ نبيًّا قد بقي ، وقد كنت أظنّ أنّه يخرج بالشام . وقد أكرمتُ رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام .

ويقال إنّه كتب : بآسم فاطر السماوات ، ومنزل البركات ، والإنجيل والتوراة ، الواصف نفسَه في الإنجيل صاحب التحريم والتحليل . من المقوقس إلى محمّد بن عبد الله . أمّا بعد ، فقد ورد كتابُك وقرأتُه وفهمتُه . وأنت تقول إنّ الله أرسلك رسولاً ، وفضّلك تفضيلاً ، وأنزل عليك كتاباً مبيناً . فكشفنا عن خبرك فوجدناك أقرب داعٍ إلى الحقّ ، وأفضل مَن تكلّم بالصدق . ولولا أنّي ملكت ملكاً عظيمًا ، كنت أوّل مَن آمن بك . ولكنّ النفس لا تميل إلى ترك دين نشأ فيه الصغير ، وآستمرّ عليه الكبير . وأنا أعوذ بالله من متاركتك إلى أن يَدين بدينك الخـ[ـلـ]ـق في جميع البلاد . وإنّي خاتم على كتابك وجاعله عندي . وما بيني وبينك إلّا أن يُقهر جيرانك من العرب ، ويهلك الملِكان كسرى وقيصر . فإذا آستقام لك الأمر كنّا في جملةِ من دان لك ، والسلام .

وإنّه بعث مع حاطب هديّة لرسول الله ﷺ فيها فرس بسرجه ولجامه ، وبغله شهباء بسرجها ولجامها ، وحمار أشهب ، وجارية سوداء ، وجارية بيضاء من أجمل نساء القبط اسمُها مارية ، وغلام مجبوب ، وطِيب وعمامة وألف دينار ، وثياب من قباطيّ مصر ، وعسل من عسل بِنها .

[296أ] وقيل : بل أهدى إليه أربعَ جوارٍ ، منهنّ جاريتان أختان / وهما مارية وسيرين من حَفن إحدى ضياع أَنْصِنا(1) لهما شأن في القبط عظيم وجمال بارع لم

---

(1) حفن : من قرى الصعيد وكذلك أنصنا على شرقيّ النيل (سيرة ابن هشام 1 / 7 هامش 5 و6) . وفي الخطط 1 / 46 أنّ الهدايا وصلت مع حاطب سنة سبع .

يكن بمصر أحسن منهما ، وغلاماً مجبوباً يقال له مابور [. . .] وحماراً أشهب ، وبغلة شهباء بسرجها ولجامها ، وفرساً ، وألف مثقال ذهباً ، وعشرين ثوباً من قباطيّ مصر ، مع طرف من طرفهم ، وعسلاً من عسل بنها ورَبْعَة إسكندرانيّة كان ﷺ يعمل فيها جهازه من مكحلة ومشط وما سوى ذلك .

ووهب لحاطب مائة دينار وخمسة أثواب وأحسن ضيافته .

وقد قيل إن يعفوراً حمارَ النبيّ ﷺ إنّما هو من هديّة فروة بن عمرو الجذاميّ عامل قيصر على عمان .

وأمر رسوله ابن جبر[1] أن ينظر مَن جلساء النبيّ ﷺ وينظر إلى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ، ففعل ذلك الرسولُ . فلمّا قدم على رسول الله ﷺ في ذي القعدة من السنة المذكورة قدّم إليه الأختَين والدّابتين والعسل والثياب وغيرها ، وأعلمَه أنّ ذلك كلّه هديّةٌ . فقبل رسول الله ﷺ الهديّة وكان لا يردّها من أحدٍ من الناس . فلمّا نظر إلى مارية وأختها سيرين – ويقال : حنّة وقيل : قيصرا – أعجبتاه ، وكره أن يجمع بينهُما ، وكانت إحداهُما تشبه الأخرى ، فقال : اللهمّ ٱختر لنبيّك ! – فٱختار الله له مارية ، ووهب أختها لمحمّد بن مسلمة الأنصاريّ – وقيل : بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبيّ .

وقيل : بل أهدى المقوقس لرسول الله ثلاث جوارٍ ، منهنّ مارية أمّ إبراهيم عليها السلام ، وواحدة وهبها لأبي جهم بن حذيفة العبدريّ ، وواحدة وهبها لحسّان بن ثابت . وكانت البغلة [دلدل] والحمار يعفور [. . .] ، وأعجبه العسل فدعا في عسل بنها بالبركة . وبقيت تلك الثياب حتّى كُفّن في بعضها ﷺ .

(1) في الخطط 1 / 47 : اسمه ابن عبد الّله القبطيّ مولى بني غفار .

ولمّا توجّه عمرو بن العاص بالجنود إلى مصر ، بلغ ذلك المقوقس ، فسار من الإسكندريّة إلى مصر وجهّز الجيوش لقتاله . فما زال عمرو يهزمهم حتّى نزل على الحصن وقد تحصّن به المقوقس وخندق حوله ، وجعل للخندق أبواباً وبثّ في أفنيته حَسَك الحديد . فلمّا اشتدّ الحصار تنحّى المقوقس ومعه أكابر القبط وخرجوا من باب الحصن القبليّ ، ودونهم جماعة يقاتلون المسلمين ، حتى لحقوا بجزيرة الفسطاط وقطع الجسر وذلك في جري النيل وترك المَنْدَقُورَ[1] على الحصن فما زال يقاتل المسلمين إلى أن غلب وصار إلى المقوقس بالجزيرة . فأرسل المقوقس إلى عمرو : إنّكم قوم قد ولجتم في بلادنا وألحَحتُم على قتالنا وطال مُقامكم في أرضنا . وإنّما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلّكم الروم وجهّزوا إليكم ، ومعهم العدّة والسلاح . وقد أحاط بكم هٰذا النيل وإنّما أنتم أسارى في أيدينا . فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم ، فلعلّه أن يأتي الأمر فيمَا بيننا وبينكم على ما تحبّون ونحبّ وينقطع عنّا وعنكم هٰذا القتال قبل أنْ تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه . ولعلّكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم . فابعث إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء .

فلم يجبه عمرو . ثمّ بعث إليه عبادة بن الصامت فتحاوروا طويلاً . ورجع عبادة وقد أبى القبط على المقوقس أن يجيبوه إلى أداء الجزية ، وقطعوا الجسر . فقاتلهم المسلمون وقتلوا وأسروا مَن كان بالقصر من جموع الروم والقبط . فقال لهم المقوقس : ألم أعلمْكم هٰذا ، وأخافه عليكم . ما تنتظرون ؟ فوالله لتجيبُنَّهم إلى ما أرادوا طوعاً ، أو لتجيبُنّهم إلى ما هو أعظمُ منه كَرهاً . فأطيعوني من قبل أن تندموا !

فأذعنوا إلى قوله ورضُوا بإعطاء الجزية . فبعث المقوقس إلى عمرو يعلمه أنّه
[296ب] لم يزل حريصاً / على الإجابة إلى ما أراد ، لكنّ القوم أبَوا عليّ ، فلم يكن لي

(1) في الخطط ، 2/ 65 : ويقال له الأعيرج .

أن أفتات عليهم ، وقد عرفوا نصحي . فأعطِني أماناً أجتمع أنا وأنت ، [أنا] في نفر من اصحابي وأنت في نفر من أصحابك .

فٱجتمعا على عهد بينهما وٱصطلحا على أن يكون على كلّ ذكر بلغ الحلم من القبط ديناران دون الروم ، فإنّهم يخيّرون بين الإقامة بمصر على هٰذا أو الخروج منها .

وكتب [إلى] ملك الروم يعلمه الخبر . فكتب إليه يقبّح رأيه ويؤكّد عليه في القتال . فقال المقوقس لمّا ورد عليه الكتاب : والله إنّ العرب على قلّتهم وضعفهم أقوى وأشدّ منّا على كثرتنا وقوّتنا . إنّ الواحد منهم ليعدل مائةً منّا ، فإنّهم قومٌ الموتُ أحبُّ إليهم من الحياة ، يقاتل أحدهم وهو يتمنّى أن لا يرجع إلى أهله وولده ، ويرون أنّ لهم أجراً عظيمًا فيمن قتلوا منّا ، ويقولون إن قُتلوا : دخلوا الجنّة . وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذّتها . ونحن نكره الموتَ ونحبّ الحياة ولذّتها . فكيف نستقيم نحن وهؤلاء ، وكيف صَبْرُنَا[1] معهم ؟ وٱعلموا معشرَ الروم أنّي لا أخرج ممّا دخلتُ فيه . — وحذّرهم وأنّبهم وأعلم عمرو بن العاص بذلك كلّه ، وأنّه والقبط ثابتون على ما عاهدوا عليه .

فألزمه عمرو أن يقدم بالإنزال والضيافة ، وينصب الأسواق والجسور ما بين الفسطاط والإسكندريّة ، ففعل ذلك . وصارت القبط أعواناً للمسلمين .

وقد قيل إنّ المقوقس الذي كتب إليه رسول الله ﷺ سمّه ابنُه بعدما نزل عمرو بن العاص ببلبيس بجيوش المسلمين ، وقام من بعده بحرب عمرو . فثار أرجانوس بن راعيل على ٱبن المقوقس وملك القصر ، ففرّ ابن المقوقس إلى الإسكندريّة . وصالح أرجانوس عمرو بن العاص .

وقد ذكرت في ترجمة المغيرة بن شعبة[2] رضي الله عنه خبر قدومه

---

(1) قراءة ظنّيّة .
(2) ترجمة المغيرة مفقودة .

الإسكندرية ومساءلة المقوقس له ولقومه بني مالك عن النبيّ ﷺ فتضمّن من أعلام النبوّة ، ومن كلام المقوقس ما دلّ على علمه وتقدّم فضله . فراجعه تجده إن شاء الله .

1068 – جعفر بن حبيب القائد [– 401][1]

ولّاه عبد الله بن محمّد الكاتب[2] مدينة باجة في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة . ثمَّ عُزل عنها في سنة اثنتين وثمانين . ثمّ أعيد بعد أيّام . وقدم إلى مصر غيرَ مرَّة رسولاً من إفريقيّة بهديّة بعثها الأمير عدَّة العزيز بالله أبو الفتح منصور ابن سيف العزيز بالله أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد إلى أمير المؤمنين العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعزّ .

فقدم في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وعاد بهديّة جليلة في سنة أربع وثمانين إلى المهديَّة ، ومعه الفيل[3] . فتلقّاه الأمير منصور وابنه باديس والقضاة وخلائق ، للنصف من ذي القعدة . ثمّ سار بهديَّة الأمير أبي مناد باديس بن منصور في يوم الاثنين سادس رمضان سنة ستّ وثمانين وعاد .

فلمّا قدم يانس العزيزي إلى طرابلس بعد ولايته برقة وخرج تمصولت إلى مصر ، كما ذكر في ترجمة كلّ منهما[4] ، دعا نصير الدولة أبو مناد باديس بالقائد

---

(1) ابن عذاري 1 / 242 – وانظر رسالة هـ. ر. ادريس عن الدولة الزيريّة .

(2) عبد الله بن محمد الكاتب : نائب بلقين بن زيري على افريقيّة ، قوي نفوذه حتى خافه بنو زيري فقتله المنصور بن بلقين بيده سنة 377 (ابن عذاري 1 / 242) .

(3) خبر الفيل في البيان 1 / 247 وفي أنموذج ابن رشيق ، 300 حيث نقل قصيدة علي التّونسيّ وفيها وصف الفيل .

(4) ترجمة يانس وتموصلت مفقودتان . وفقد الثانية أغرب لأنّ مخطوط السليميّة احتفظ بحرف التاء ، فهل يعني سقوطها منه أن الناسخ صدر عن اختيار وانتقاء ؟ وتموصلت – أو تمصولت بن بكّار الأسود الحاكمي ، أبو محمد ، مولى ابن زيري ، ولاّه طرابلس فجار (اتّعاظ 2 / 35) فلمّا طلبه هرب الى الحاكم بالقاهرة . وانظر النجوم 4 / 207 هامش 1 =

جعفر بن حبيب ، وخلع عليه ، وحمله ، وقلّده سيفاً ، وأخرج بين يديه الطبول والبنود ، وأمره بالرحيل إلى طرابلس . فخرج من المنصوريّة مستهلّ رجب سنة تسعين وثلاثمائة ، وسار حتى نزل من وراء يانس بمرحلتين ، فأقام بقيّة رجب وشعبان ورمضان حتى بعث نصير الدولة إلى يانس وأجابه بمَا ذكر في ترجمته .

فكوتب جعفر بالنهوض إليه ومناجزته ، فرحل حتىّ نزل صبرة وأستظهر بالكتاب إلى يانس يُخيّره بين مسيره إلى نصير الدولة أو محاربته ، فأختار الحرب . وبرز إليه حتّى أشرف عليه يوم الجمعة الثاني من ذي القعدة . فخرج من الغد روّادُ العسكرين ، وكان بينهم قتال قُتل فيه من أصحاب يانس سبعةٌ مِن حماة فرسانه ، وأتي برؤوسهم إلى جعفر فحمد الله وقال / : هٰذا أوّل الفتح [297 أ]
إن شاء الله . وبات على تحرُّس واحتراس . فلمّا كان عند صلاة الفجر من يوم الأحد لأربع خلون منه ، تعبّأ الفريقان واقتتلوا قتالاً شديداً قُتِل فيه يانس ، وانهزم أصحابه إلى المدينة . فكان أوّل من سبق إليها فتوح بن علي بن غَفْيَانَان بن الحسن الكتاميّ[1] فقال لمن بها : البشرى يا أهل طرابلس ! قد فتح الله لنا وقتلنا صنهاجة مقتلة عظيمة !

ففتحوا له الباب . فلمّا دخل وكَّل من وقف عليه حتى وصل إليه المنهزمون . وشغل القائد جعفر بن حبيب عن اتّباع المنهزمين بمَا أصابه من الغنائم ، وبمن قتل من الرجال حتى أفناهم عن آخرهم إلّا مَن فرَّ . وتقدَّم إلى طرابلس فوجد القومَ قد تحصَّنُوا ونصبوا العرَّادات وجعلوا الرجال على السور . فنزل بالمرج على نحو ميلين عن المدينة ، وكانت بينه وبينهم وقائع كثيرة . وأخذ

= أمّا يانس الخادم أبو الحسن ، فقد أرسله برجوان واليا على برقة ثمّ طرابلس (الخطط 3 / 25) وذكر ترجمتِهِ في المقفّى دليل على أنّ المقريزي قد أتمّ قاموسه .

(1) في المخطوط : عقبانان ، وفي الاتّعاظ 2 / 34 : ابن عقبان ، وأخذنا بقراءة ادريس في رسالته 1 / 101 .

يجبي بوادي طرابلس وجميع قبائل البربر من هوارة ولماته وزناته وغيرهم وفرَّق عماله إلى أن بلغه أنَّ فلفل بن سعيد[1] الثائر على نصير الدولة قد توجَّه يريد طرابلس ، فجمع أصحابه ليلقاه ويحاربه فآختلَفوا عليه . فرحل بهم في رجب سنة إحدى وتسعين إلى ناحية الجبل[2] ، وكان يوماً شديد الحرّ ، وكان مع عساكره من الأثقال والعيال والأطفال ما لا يوصف . فاشتدَّ بهم العطش حتى مات كثير منهم ، وأسلم بعضُهم ولدَه . وشرب رجل شربة ماء [نقد] عنها مائة درهم . وطلبت امرأة من زوجها شربة فقال لها : أنت طالق – ومضى عنها ، فسقاها آخر شربة تزوّجَها بها .

وسار جعفر بمَن معه إلى جبال نفوسة ، ولم يدخلها سلطان قبله ، فآواه النفوسيّون .

ووصل فلفل بن سعيد إلى المناخ الذي كان به جعفر . فلمّا علم أينَ قصد تبعه حتّى قرب منه ، فجمع جعفر أصحابَه ليقاتلَه فاختلفوا عليه ، ثمَّ أجمعوا على القتال فزحف بهم على تعبئة . فلمّا أحسَّ بهم فلفل رحل إلى طرابلس ، فمضى جعفر عائداً إلى المدينة المنصوريّة فوصل إليها يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان ، ووصل فلفل بن سعيد إلى طرابلس فملكها حتّى مات .

ولم يزل جعفر بن حبيب على حاله إلى أن مات بالمنصوريّة يوم السبت لليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعمائة .

وكان رجلاً حليمًا عاقلاً صبوراً فاضلاً بعيد الغضب محتمِلاً مفتقِداً لأحوال رجاله وحاشيته ، فمن علم به منهم خلّة سدَّها مسدياً له بذلك من غير سؤال . وكان مقتصِداً في أموره غيرَ مبذِّرٍ ولا مُقتِّرٍ ضحوكاً مستبشراً أبداً .

---

(1) فلفل بن سعيد بن خزرون الزناتيّ . وفي الاتّعاظ 2 / 51 : فلفول .
(2) أي جبل نفوسة .

وولي ابنه هاشم بن جعفر بعده ما كان تولّاه من كتابة نصير الدولة أبي مناد باديس .

1069 – جعفر بن الحسين بن جوهر [– بعد 401]

ابو [...] ، ابن قائد القوّاد أبي عبد الله ابن القائد أبي الحسين جدّه جوهر ، [و] هو الذي أخذ مصر وبنى القاهرة . وتقدّم أبوه الحسين في أيّام الحاكم بأمر الله تقدُّماً زائداً ثمّ قتله كما تقدّم في ترجمته[1] . فلم يأمن جعفر هذا بعد قتل أبيه ، وفرّ من القاهرة بإخوته إلى بني جرّاح فأعطوهم الذمام وأجاروهم وأمّنوهم . فبعث الحاكم في طلبهم فدافعوا وسوّفوا . فأعمل الحاكم الحيلة ، ودعا بمفلح من جملة عبيده وخواصّهم ، فأمره بمَا أحبَّ ثمّ أظهر أنّه سخط عليه فأعتقله وقبض على أمواله وأملاكه وضياعه ، وتركه في السجن مدّة . ثمّ فرّ بحيلة عملها ، ثمّ لحق ببني جرّاح[2] فتوجّعوا له وقاموا بأمره وأنزلوه عندهم .

فخلا بجعفر بن الحسين وإخوته وقال : إنّ هٰذا الرجل – يعني مفرج بن دغفل بن جرّاح – قد فعل معنا جميلاً ولم يقبل فينا كتاباً ولا رسولاً ، غير أنّ العرب يستميلهم المال ، ويخشى أن يبذل الحاكم الرغائب فينا فيبعث إليه بنا كما فعل في أيّام العزيز بالله بفلان وفلان فيقتلُنا بعد أن يمثّل بنا .

ولم يزل يخوّفهم إلى أن قالوا / له : فما ترى ؟ [297 ب]

---

(1) ترجمة الحسين بن جوهر : رقم 1228 ولم يذكر فيها قتله ، فلعلّها مبتورة . والغريب أن يتقدّم الحسين على جعفر ، باعتراف المؤلّف نفسه ، فالخلل في الترتيب الأبجدي ليس من فعل الناسخ . ولعلّ المقريزيّ كان ينوي مراجعة الترتيب عند تبييض مسودّاته .

(2) بنو الجرّاح الطائيّون : انظر فصل ماريوس كانار عنهم في دائرة المعارف الإسلامية ، وقد استعرض بالتفصيل تقلّبات مفرّج بن دغفل بالخصوص . ولا نعرف متى وقع الغدر بأحفاد جوهر .

قال : أرى أن نبذل مالاً لمن يأخذ منّا طِريقاً يوصلنا إلى بغداد حيث لا ينفذ للحاكم حكم ، ولا يقبل منه أمر .

فعزموا على ذلك وساروا ، وقد تقدَّمت كتب مفلح إلى جيش بن الصمصامة بدمشق فأقام لهم الأرصاد على كلّ طريق فما شعروا ، وقد نزلوا منزلاً ، حتى قبض عليهم ، فضربت رقبة جعفر وإخوته . وحمل مفلح إلى الحاكم فردَّ إليه أمواله وأملاكه ورفع منزلته[1] .

1070 – جعفر بن عبد الغفّار الكاتب [– بعد 271][2]

استكتبه أحمد بن طولون لمّا وجّه كاتبه أحمد بن محمد الواسطيّ[3] إلى العراق ، فاضطرب بمَا حمّله إيّاه من الأمر ولم يكمل له . فقال حمدان بن خاقان : الأمير أيّده الله يحتاج إلى كاتب أوفى وزناً من هٰذا الكاتب . فقال له أحمد بن طولون : أنا أحتمله وأقنع به لأنّه مصري[4] .

فقال : والأمير أيّده الله يرى أنّ الكاتب المصريّ أكتبُ من العراقيّ وأنهض بمَا يتولّاه ؟

فقال : أعلم أنّ أصلح الأشياء لمَن ملك بلداً أن يكون كاتبُه فيه من أهله ، لأ[نّه] يجمع بذلك أشياء يحمدُها ويحمد عاقبت[ـها] ، منها : أنّ عمّال الكاتب وشمله وكلّ ما يَملِكه معه في بلده . ومنها أنّ جميع ما يكسبه فيهِ .

(1) تفتقر هذه الترجمة الى التدقيق : متى فرّ جعفر هذا إلى بني الجرّاح ؟ ومتى وقع في الفخ الذي نصبه له جاسوس الحاكم ؟ ومن هم الأخوة الذين قتلوا معه ؟.

(2) لم نجد له ترجمة . ولئن ذكر الكندي : ولاة 219 أحمد بن محمد الواسطيّ ، فإنّه لم يذكر خلَفَه هذا . والترجمة خالية من الحوادث والتفاصيل ، وإنما ساقها المقريزي شاهداً على حنكة ابن طولون في استخدام الرجال . فكلامه هنا درس في سياسة الدولة .

(3) في المخطوط : ابن الواسطيّ ، والإصلاح من الكندي .

(4) في المخطوط : لا مصري .

وإن كان يرغب في تجارة كانت تجارتُه فيه ، أو في شراء عقار أو بناءٍ كان فيه . ومنها أنّ جميع ما يتجمّل به وولده وعيالَه و[ما] يعتقده لهم من مال وقليل وكثير ، ففي بلده ، وما يعتقده من ضيعة أو ربع أو ماشية ، فكلّه عمارة لبلده . ومنها أنّه رهين بجناية إن كانت منه أو من أحدٍ بسببه . ومع هٰذا كلّه فأهله ظاهرون لي منصرفون في خدمتي .

والكاتب الغريب ليس كذلك لأنّه يعتقد المستغلّات في بلده النائي عنّي ، وجهده [في] عمارة بلده بتخريب بلدي . وهو في كلّ حال متطلّع إلى بلدِه . فإن اجتمع عليّ منه أن يكون رئيسَ بلده صارت الخلطة والاختصاص بالمقيمين في بلده بالمواصلات سبباً لما لا أريده .

فهٰذا الذي أكره من كتّاب العراق ، وإن كنت عالماً بمَا فيهم من الصناعة وتقدّمهم في الكتابة .

فقال له حمدان : قد أصاب الأمير أيّده الله الرأيَ ، ووفّقه الله .

1071 – ابن سيّد بونة المقرىء [– 624][1]

جعفر بن عبدالله بن سيّد بونة ، الأستاذ أبو أحمد ، الخزاعيّ ، الأندلسيّ ، القُسَنْطانيّ ، المقرىء ، العابد .

قرأ القراءات على أبي الحسن بن هذيل وسمع منه ومن ابن النعمة . وسمع التيسير من أبي الحسن في سنة ستّين وخمسمائة . وحجّ بعد السبعين وخمسمائة فمرّ بمصر .

وعاد مائلاً إلى الزهد والتخلّي ، وكان شيخ الصوفيّة في وقته ، علا ذكره وبعُد صيتُه في العبادة .

---

(1) غاية النهاية 1 / 192 (887) .

توفّي في ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستّمائة عن سنّ عالية تقارب المائة ، وشيّعه خلق كثير ، وانتاب الناس زيارة قبره تبرّكاً به .

وقُسَنطانة من عمل دانية[1] .

1072 – الأدفويّ صاحب الطالع السعيد [685 – 748][2]

جعفر بن عبد الله بن ثعلب بن جعفر علي بن المطهّر بن نوفل ، كمال الدين ، ابو الفضل ، الأدفويّ ، الشافعيّ .

ولد للنصف من شعبان سنة خمس وثمانين وستّمائة . وسمع من الأثير أبي حيّان ، والسرّاج الأرمني ، والتاج الدشنائيّ ، وحدّث ، وصنّف كتاب « الإمتاع في حكم السماع » دلّ على اطّلاع كبير ، وكتاب « الطالع السعيد في تاريخ الصعيد » ، وهو كتاب نفيس يشتمل على فوائد وتراجم لا توجد في غيره . ودرس في الحديث[3] بمسجد ابن الناس [و] أعاد بالمدرسة الصالحيّة من القاهرة ، وكان مقيمًا بها . ولم يتزوّج .

توفّي يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وكان فاضلاً ، له مشاركة في علوم عديدة ، وله خبرة بالموسيقى ومعرفة تامّة بالتاريخ .

---

(1) في المخطوط : قسطنطانيّ وقسطنطانيّة ، والإصلاح من ياقوت .

(2) الأعلام 2 / 116 – شذرات 6/ 153 – الوافي 11/ 99(162) . وهو فيها : جعفر بن تغلب . وفي الخطط 1 / 305 : جعفر بن ثعلب .

(3) في المخطوط : الحديد .

1073 - جعفر بن علي بن هبة الله الإسكندراني [546 - 636] [1]

جعفر بن علي بن هبة الله بن جعفر بن يحيى ، الشيخ أبو الفضل ، ابن أبي الحسن ، ابن أبي البركات ، ابن أبي الفضل ، ابن منير ، الهمداني ، الإسكندراني ، المقرىء ، المالكـ[ـي] .

ولد بالإسكندريّة في العاشر من صفر سنة ستّ وأربعين وخمسمائة . وسمع الكثير من الحافظ السلفيّ والشريف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن يحيى العثماني ، وأبي الطاهر بن عوف ، وأبي القاسم / أحمد بن جعفر بن إدريس [298 أ]
الغافقي ، وأبي يحيى اليسع بن عيسى بن حزم ، والحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن محمد الحضرميّ ، في آخرين . وحدّث بمصر ودمشق وغيرهما .

ومات بدمشق في ليلة السادس والعشرين من صفر سنة ستّ وثلاثين وستّمائة .

وقرأ القراءات على عبد الرحمان بن خلف الله القرشيّ . وتفقّه وأخذ العربيّة ، وكتب بخطّه كثيراً . وأقرأ الناس بمسجده . ثمّ طلب في آخر عمره إلى دمشق وحدّث بها . وقرأ عليه القراءات الشيخ علي الدهّان وعبد النصير المريوطيّ ، ورشيد الدين ابن أبي الدرّ ، وجماعة .

وحدّث عنه أبو الحسن اليونينيّ ، وأحمد بن موسى ، والقاسم بن عمر الهواري وخلق كثير .

وكان ثقة خيّراً كثير الفضائل .

---

(1) الوافي 11 / 117 (197) - غاية النهاية 1 / 193 (891) .

1074 – جعفر بن عمر أمير برقة [– بعد 736] [1]

جعفر بن عمر [. . .] ، أحد أمراء برقة .

وشى به قائد وسليمَان ، من أهل برقة ، إلى السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون بسبب فرسَين عنده دلّا السلطانَ عليهما . فأمتنع من إرسالها ، وأنكر أنّه[2] يمتنع من إعطاء زكاة الغنم ويغير على عربان الطاعة فبعث لحربه الأمير أيتمش المحمّديّ في سنة تسع عشرة وسبعمائة وحاربه كما ذُكر في ترجمته[3] .

فلمّا عاد أيتمش قدم بعدَه بأسبوع ونزل على الأمير بكتمر الساقي مستجيراً به من غضب السلطان . فأجاره ووعدَه بكلّ خير ونزّله عنده ، وحدّث السلطان فيه . فسرّ به وأمر به . فلمّا مثل بخدمته قرّبه . فأعترف بالخطإ ، وشكا من قائد وسليمَان وقال : ما جرت لنا عادة ولا لآبائنا بإعطاء العرب زكاة الغنم ولا يتجاسر علينا أحد . ولولا حرمة السلطان ما طالت أيديهم منّا لشيء . وها أنا أتيتُ أطلب العفوَ من مراحم السلطان وأقوم بكلّ ما يأمرني به ولا تحكم العرب فيّ .

فطيّب خاطره وأجاب سؤاله وخلع عليه . فدعا للسلطان ، وشكر أيتمش وقال إنّه عفّ عن الحريم وستر الأهل وعفا بعد القدرة . فجمع السلطان بينه وبين أيتمش فقال : جزاك الله خيراً عن مروءتك .

وأمر به السلطان فأنزل وأجري عليه الضيافة ، فتردّد إلى الخدمة عدّة أيّام ، وزوّده وأنعم عليه بذهب كثير وكسوة فاخرة وأعاده إلى بلاده . فأقام يبعث القودَ في كلّ سنة مدّة أعوام .

---

(1) لم نجد له ترجمة وقرّبنا وفاته من وفاة أيتمش مجيره .

(2) في المخطوط : وأنكرهما أنّه ...

(3) أيتمش المحمدّي : مرّت ترجمته رقم 867 .

1075 – ابن علوان ذخيرة الملك [– بعد 512][1]

جعفر بن علوان ، ذخيرة الملك .

ولّاه الآمر بأحكام الله ولاية القاهرة والحسبة في سنة آثنتَي عشرة وخمسمائة . فآشتدّ عسفُه وظلمُه . وبنى المسجد الذي عُرف به ، وسمّاه العامّة مسجد « لا بالله » ، فإنّه كان يقبض الناس من الطريق ويعنّفهم في العمل به فيقولون له : لا بالله ! – فيقيّدهم ويستعملهم بغير أجرة . ولم يعمل فيه منذ أنشأه إلّا صانع مُكرَهٌ أو فاعلٌ مقيّد .

وكان قد أبدع في عذاب الجناة وأهل الفساد أنواعاً من العقوبات خرج فيها عن الحدّ . فآبتلاه الله في الأمراض التي ما عهد الناس مثلها ، حتّى مات . فتجنّب الناس تشييعه والصلاة عليه . وذكر عنه في حال غسله وحلوله بقبره ما يعيذ الله كلَّ مسلم من مثله .

وهٰذا المسجد اليوم بجوار الرميلة تحت القلعة تجاه مدرسة السلطان حسن من شرقيّها .

1076 – أخو المأمون البطائحيّ [– 549][2]

جعفر بن فاتك بن مختار بن حسن بن تمّام ، الأمير ركن الخلافة ، عزّ الملوك ، أبو الفضل ، ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع ، ابن الأمير مجد الدولة

---

(1) أخبار مصر لابن المأمون ، 47 وهامش 1 – الخطط 4 / 267 : مسجد الذخيرة أو مسجد « لا بالله » . والترجمة منقولة عن ابن المأمون .

(2) الخطط 2 / 340 في ترجمة المأمون البطائحيّ . وكذلك المقفى رقم 2999 .

أبي الحسن ، ابن الأمير أمين الدولة أبي عليّ ، المعروف بأخي الوزير الأجلّ المأمون أبي عبد الله محمد البطائحيّ .

رتّبه أخوه لمّا ولي وزارة الخليفة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور ، بحمل السيف الخاصّ ، وهي رتبة جليلة المقدار لا يليها إلّا أمير عظيم القدر ، وهو أكبر حامل .

[298ب] وهٰذا السيف حليته ذهب مرصّعة بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب / لا يظهر إلّا رأسه ، يخرج من خزائن السلاح الخاصّ عند ركوب الخليفة في يوم العيد ونحوهما . فيسلّم إلى حامله ، وهو ممّن يرخي الذؤابة ما دام حاملاً له . ويكون في وقت مسير الخليفة راكباً في الجانب الأيسر هو وحامل الدواة .

وولّاه أيضاً حماية خزائن الكسوات وصناديق النفقات فجلّ أمره واتّسعَتْ أحوالُه ، بحيث إنّه توفّيت له حظيّة من حظاياه فحصل للغاسلة من المصاغ الذهب المرصّع ، والملبوس المذهّب ، والفرش ما تزيد قيمته على ألف دينار ، سوى مائة دينار عيناً ، وجارية تحمل المصاغ والملبوس .

وكان ممّا عُمِل في عنق هٰذه الحظيّة لمّا كُفِّنت عِقد فيه ثلاثة عشر حجراً فيهم خمسة ياقوت أحمر رمّاني ، وثمانية ما بين أزرق وأصفر يساوي جملة كثيرة . وجُعل في أذنَيها خرصان وزنهما أربعة مثاقيل ذهب وجوهر .

ثمّ لمّا قبض الآمر بأحكام الله على الوزير المأمون ، قبض على جعفر هٰذا في جملة مَن قبض عليه . ثمّ أفرج عنه . وتأخّرت وفاته إلى خلافة الفائز فمات في أثناء سنة تسع وأربعين وخمسمائة[1] . وصلّى عليه الصالح طلائع بن رزيك في الإيوان .

وخلّف سبعة ذكور وأربع بنات فرقّت أحوالهم وركبَهم دَيْنٌ ثقيل حتى

---

(1) في الخطط 2 / 341 : سنة 522 . وفي الاتّعاظ 3 / 223 : سنة 549 .

اًحتاج بعضهم في سنة ستّ وسبعين وخمسمائة إلى بيع تربتِهم بالقرافة . ثمّ مضوا إليها وحفروا القبر الذي فيه حَظيّة أبيهم المذكورة وغربلوا ما تحتها من التراب فوجدوا فيه من الذهب المسبوك ثلاثمائة وعشرين مثقالاً . ثمّ باعوا رخام القبر والتابوت الساج والتربة حتّى وفَوا ما عليهم من الدين . فسبحان محيل الأحوال !

1077 — جعفر بن الفرات [308 – 392][1]

جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، الوزير أبو الفضل ، ابن الوزير أبي الفتح ، المعروف بابن خنزابة ، البغداديّ الأصل ، المصري الدار والوفاة .

وزر أبوه للمقتدر في السنة التي قتل فيها المُقتدر[2] . وولد أبو الفضل في ذي الحجَّة سنة ثمان وثلاثمائة . وسمع من محمّد بن هارون الحضرميّ والحسن بن محمّد الداركي الأصبهانيّ ، ومحمد بن زهير الأيليّ ، ومحمد بن حمزة بن عمارة ، وأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطيّ ، ومحمد بن سعيد الحمصيّ .وجماعة . وكان يذكر أنّه سمع من أبي القاسم البغويّ[3] مجلساً ولم يكن عنده ، وكان يقول : من جاءني به أَغْنَيْتُه . وحدَّث وأملى . وقدم عليه الدارقطنيّ : وذلك أنّه كان يريد تصنيف مسند[4] فلزمه الدارقطني وحصَّل منه مالاً كثيراً ، وروى

---

(1) الوافي 11 / 118 (202) – تاريخ بغداد 7 / 234 (3723) – وفيات 1 / 346 (133) دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 791 – معجم الأدباء 7 / 166 – فوات الوفيات 1 / 292 (104) .

(2) قتل المقتدر سنة 320 .

(3) البغويّ المحدّث توفّي سنة 317 (تذكرة الحفّاظ رقم 738) فعمر ابن الفرات اذ ذاك تسع سنوات .

(4) الراغب في تصنيف المسند هو ابن الفرات . وفي الفوات : وكان ابن خنزابة يريد تصنيف مسند . والدارقطني كان يكبر ابن الفرات بعامين .

عنه أحاديث . قال السِّلَفي[1] : كان من الحفَّاظ الثقات المتبجّحين بصحبة أصحاب الحديث ، مع جلاله ورئاسته ، و[كان] يروي[2] بمصر في حال الوزارة ، ولا يختار على العلم وصحبة أهله شيئاً ، وعندي من أماليه فوائد . ومن كلامه على الحديث وتصرُّفه الدالّ على حدّة فهمه ووفور علمه . وقد روى عنه حمزة الكناني الحافظ مع تقدّمه .

وقال الحسن بن أحمد بن صالح السبيعي[3] : قدم علينا حلب فتلقَّاه الناس وكنت فيهم فعرف أنّي محدّث فقال لي : [أ]تعرف إسناداً فيه أربعة من الصحابة كلّ واحد يروي عن صاحبه ؟

قلت : نعم .

وذكرتُ له حديث السائب بن يزيد عن حويطب بن عبد العزّى ، عن عبد الله بن السَّعديّ ، عن عمر ، في العُمالة[4] . فعرف لي ذلك ، وصار به لي عنده منزلة . وله مسند روى منه الحرف الموفي ألفاً من مسند كذا ، والحرف الموفي خمسمائة من مسند كذا .

وكان يصوم فإذا [أ]فطر نَامَ نَوْمةً ، ثمَّ نهض فتوضَّأ ، ودخل بيت مصلّاه وصفّ قدمَيه إلى الغداة .

---

(1) الحافظ السلفي أحمد بن محمد الأصبهاني (ت 576) : محدِّث انتهى إليه علوّ الإسناد (تذكرة الحفَّاظ ، رقم 1082 ، والسيوطي : حسن المحاضرة ، 1 / 354) . وانظر ترجمته في المقفى رقم 660 .

(2) في المخطوط : على ويروي . والتصويب من وفيات الأعيان (ترجمة 133) حيث التعبير أسلم : وكان يملي الحديث بمصر ، وهو وزير . وفي معجم الأدباء ، 7 / 166 : وكان عالي الحديث بمصر .

(3) السبيعي الحافظ الحلبيّ : حدَّث بحلب في مدَّة سيف الدولة وتوفي سنة 371 (تذكرة الحفَّاظ ، رقم 898) .

(4) في المخطوط : المعاملة . والتصويب من **فتح الباري للعسقلاني (رقم 7163) والعمالة بالضمّ** والكسر : الأجرة التي يأخذها القائم **على أمور المسلمين من بيت المال .**

ولّاه الأمير أبو القاسم أونوجور بن الإخشيد وزارة مصر بعد الحسين بن محمد بن علي الماذرّائيّ في يوم الأربعاء سابع ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فدبَّر الأمور ، وعقد له مجلساً بداره في عشيّة كلّ خميس حضر[ه] القضاة والفقهاء والمحدِّثون .

ولم يزل مدَّة أيّام أونوجور وأيّام أخيه / عليّ ، وأيّام كافور الإخشيديّ . [299 أ] فلمّا مات كافور في عاشر جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة انقسم أمر مصر بين أربعة : فأقيم الأمير أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد في الإمارة ، وعمره عشر سنين وعشرة أشهر ، وجعل خليفتَه الحسن بن عبيد الله ابن طغج[1] وهو بالرملة ، وجُعل على تدبير العساكر شمول الإخشيديّ ، وعلى تدبير الأموال الوزير أبو الفضل . وقام كلّ من القوّاد في هوى نفسه وانفرد بمَا يريد . فقبض أبو الفضل على جماعة من الكتّاب ، وأخذ البيعة على الجند لأبنه أحمد بن جعفر بالإمارة على مصر والشامات والحرمَين ، واحتجَّ بأنّه ابن بنت الإخشيد[2] ، فوقع بينه وبين شمول ، وكثرت الفتن ، ولم يطق رضا الإخشيديَّة والكافوريَّة والأتراك وسائر العسكر ، ولم يحملوا إليه ما عليهم من أموال الضمانات وطلبوا منه[3] فاضطرب الأمر عليه ، فاختفى في يوم الثلاثاء ثاني عشر شوّال منها ولم يعرف له خبر إلى أن جمع الشريف أبو جعفر مسلّم بن عبيد الله الحسينيّ القوّاد والوجوه بداره في يوم الجمعة سادس ذي القعدة ، وأخرج الوزير إليهم في زيّ الاستتار بقلنسوة نوميّة ورداءٍ ونعلٍ . فاعتذر الجماعة إليه ووعدوه من أنفسهم النصرة والخدمة وعقدوا عليهم الوفاء له بذلك ، وكتبُوا له كتاباً يتوثّق به . ثمَّ ركب من دار أبي جعفر إلى الجامع العتيق ، وصلّى

(1) الحسن ابن طغج له ترجمة في المقفّى : رقم 1172 .
(2) في الترجمة الطويلة التي خصّصها ابن سعيد لمحمّد بن طغج أنّه زوج ابنته من [أحمد بن] جعفر بن الفرات ابن وزير الراضي العبّاسي (المغرب ، قسم مصر ، 157) . وفي يتيمة الدهر ، 1 / 433 أنّ ابن الفرات كان « يُدلُّ بِعرسه ، وهي ابنة الإخشيد » .
(3) سقوط في الكلام .

الجمعة ، وأمر بالنداء بالحجّ في البرّ ، وانصرف في جميع العسكر ، وصار إلى أمّ عليّ بن الإخشيد فسلَّم عليها وعاد إلى داره ، فنظر في أمور الناس ، وأمر ونهى ، وعزل وولّى . ولم يحجّ أحد من مصر في البرّ ، ولا وفى بمَا عاهد عليه ، ولا وفى له مَن حلف . وصارت أمور مصر إلى تلاشٍ زائد ، وضاعت الأموال ، وتغيَّرت النيّات ، وافترق الناس : فطائفة خرجت من مصر إلى الرملة ولحقت بالحسن بن عبيد الله بن طغج تضرّب على الوزير وتَرميه بالعظائم ، وأكثر الناس قد كتبوا إلى بلاد المغرب يستحثّون الإمام المعزّ لدين الله على المسير إلى مصر وأخذها لعدم من يقوم بأمرها . وممَّن كتب إليه الوزير أبو الفضل .

وطائفة خرجت إلى المغرب ولحقت بالمعزّ هٰذا ، وقد اختلطت الأمور وكثر الإرجاف بمسير القرامطة لعلمهم بموت كافور . وقد كثرت الفتن ببلاد الشام ، فصار مَن تغلّب صاحبه يتأمّر بدمشق ، والشريف أبو محمد عبد الله أخو مسلّم بالرملة على محاربة الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وقد جمع معه ثمال العقيلي وطوائف من العرب ودعا إلى نفسه وتلقَّب بالمهديّ .

فبينا هم في ذلك بمصر إذ ورد الخبر بقدوم الحسن الأعصم[1] كبير القرامطة إلى الرملة ، وانهزام الحسن بن عبيد الله منهم إلى مصر . فشغب الأتراك على الوزير وطالبوه بأرزاقهم فأستتر منهم . ونهبوا دارَه ودُورَ أصحابه وكتّابه فلم يزل مستتراً إلى سلخ ذي الحجَّة [سنة 357] ، وقد قدم الحسن بن عبيد الله بن طغج ، فخرج إليه ، وهو نازل بالمختار في الجزيرة تجاه مصر . وركب معه في يوم الجمعة ثاني المحرَّم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة من المختار إلى الجامع العتيق . فلمَّا انقضت الجمعة سار خلف الحسن ، والناس تسبّه وتشتمه ، فخاف عليه الحسن ، وأمره أن يمضيَ إلى داره ، فسار إليها . ونزل الحسن بدار الإمارة ، وقبض على الوزير يومَ الاثنين سادس المحرَّم وعذَّبه ، وصادره على مال عظيم باع

(1) في المخطوط : الحسن بن الأعصم ، والتصويب من ترجمته في المقفى (رقم 1146) .

فيه أملاكاً كثيرةً . وتوسَّط أمره الشريف مسلّم فأطلعه إلى داره موكّلاً به ، فأقام إلى أن أطلق في آخر صفر .

وسار الحسن بن عبيد الله إلى الرملة في ثالث ربيع الآخر ومعه شمول / [293 ب] وجماعة من القوّاد ، فخلت له البلاد ، إلّا أنَّ الأخبار وردت بمسير عساكر المعزّ مع القائد جوهر في جمادى الآخرة ، فأنفذ أَهْلَه إلى الأشْمونين مع الشريف عيسى بن عبيد الله أخي مسلّم ، وجمع الناس وشاورهم فاتّفقوا على مراسلة جوهر . ثمَّ اجتمعوا على محاربتِه ، وأن يُولُّوا عليهم نحرير شويزان . ثمَّ انحلَّ ذلك وعادوا إلى المراسلة بالصلح ، وكانت رسل القائد جوهر تَرِد سرًّا إليه .

فسار الشريف مسلّم والقاضي أبو طاهر في جماعة إلى القائد جوهر في يوم الاثنين ثامن عشر رجب [سنة 358] بتقرير الوزير ، وعادوا في أوّل شعبان بكتاب جوهر إلى جماعة أهل مصر ، وبكتابه إلى الوزير . وخاطبه فيه بالوزارة بعدما امتنع من ذلك ، وقال للشريف مسلّم : كيف أخاطبُه بالوزير ، وما وزر لخليفة قطّ ؟

فما زال الشريف به حتّى خاطبه بالوزارة . فاجتمع الناس عنده لقراءة كتاب جوهر ، وقد نقض الإخشيديّة والكافوريّة حديثَ الصُّلح ، وأقاموا عليهم نحرير شويزان ، وانفضُّوا . وخرجوا للقتال في عاشر شعبان فقُتل كثير منهم .

وعبر جوهر إلى مصر ، ونزل بمُناخه حيث القاهرة اليوم في سابع عشر [شعبان 358] ، فخرج إليه فيمن خرج إلى لقائه بالجيزة ، فصاح بعض حجّاب جوهر بالناس : الأرض ! إلّا الشريف والوزير !

فاَستمرَّ به جوهر على قرابته [1] فكان يركب في كلّ يوم إلى القائد جوهر ويلقاه بمناخه فيقبل جوهر منه ما يسره [2] ويعمل بمقتضاه . وجلس معه في

(1) هكذا في المخطوط ولعلَّ المعنى : على تقريبه .
(2) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : ما يشير به .

مجلس المظالم كلّ يوم سبتٍ إلى أن ورد عليه كتاب المعزّ في ذي الحجّة [سنة 358] . فبعث ٱبنه أحمد بن جعفر في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة إلى بلاد المغرب بهديّة إلى المعزّ .

فلمّا قدم القرامطة لقتال جوهر ، وكّل القائد جوهر بالوزير أبي الفضل خادماً يبيت معه في داره ويركب معه حيث كان . ثمّ أمره في رابع صفر سنة إحدى وستّين [وثلاثمائة] أن يخرج من داره بمصر ، وأن يقيم بالقاهرة ، فبنى بها داراً سكنها بعدَه الوزير يعقوب بن كلّس . وردَّ إليه جوهر تدبير الأموال في شهر ربيع الآخر إلى أن قدم المعزّ لدين الله في سابع شهر رمضان سنة ٱثنتين وستّين وثلاثمائة وردّ الأمور إلى يعقوب بن كلّس وعسلوج بن الحسن .

وتعطّل أبو الفضل إلى أن شكاه ابنه أحمد إلى المعزّ في ربيع الآخر سنة خمس وستّين [وثلاثمائة] ، فٱستأذن له أبو إبراهيم إسماعيل بن موسى الحسني على المعزّ ، فدخل عليه ، وشكا ابنَه وعقوقَه فقبل قوله . وعاد فأقام متعطّلاً عن العمل إلى أن كانت غرّة شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة [فـ]ـردّ الخليفة العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعزّ تدبير الأمور إليه ، وأمر الكتّاب كلّهم أن يمتثلوا ما يأمرهم به ، فركب جميعُهم إليه وصاروا إلى داره . فجلس بها وأمر ونهى ، وتحدَّث في الدواوين[1] إلى نصف شعبان منها فاستغنى من ذلك ، فتقدّم ٱلعزيز بإعفائه ومحاسبتِه فحوسب وألزِم بمَال من قبل الضياع التي حلّها وعقدها تخطيطه في الارتفاع . ثمَّ خرّج عليه خراج ضياعه بالشام وضيَّق عليه بسببه ولحقه منه عنت شديد .

وأحيل عليه في سنة أربع وثمانين أصحاب منصور الجوذريّ فشدَّدوا عليه في المطالبة ومدُّوا أيديَهم إليه ، ورموه عن مركوبه إلى الأرض ، ففرَّ منهم والتجأ إلى دار القائِد أبي عبد الله الحسين بن البازيار ، وقد انكسر إصبعه ،

---

(1) في المخطوط : على الواوين . والإصلاح من الاتّعاظ 1/ 277 .

وطلبوا [ا]بنه فوثبوا به . فقام في أمره القائد حتى سكتوا عنه . فلمّا بلغ ذلك العزيز بالله أنكره .

وما زال ملازماً داره حتى مات بها في يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأوّل سنة اثنتين وتسعين[1] وثلاثمائة عن اثنتين وثمانين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيّام ، فجعلت في فيه ثلاث شعرات من شَعر النبيّ ﷺ كان ابتاعها بمَالٍ عظيم ، وكانت عنده في درج ذهب محترمة الأطراف بالمسك فأوصى أن تجعل في فيه بعد موته / ففعل ذلك . وصلّى عليه القاضي حسين بن [علي بن] النعمان [300أ] في داره ، ودُفن بها ، وحضر جنازتَه سائر قوّاد أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز ، وسائر أولياء الدولة وأكابر الناس .

قال المسبّحي[2] : وكان رحمه الله من الفضل والعلم والدين والتصرُّف في سائر العلوم بمنزلة لم يشاهد مثلها ، وحدَّثَ وأسمع وأملى عدَّة مجالس ، وعمل مستخرجاً على صحيحَي البخاري ومسلم وكان كثير البِرّ والصِّلات لآل رسول الله ﷺ كثيرَ الصدقة شديد الغيرة على حرمه ، مبالغاً في الحجاب لهم ، لما تمَّ عليه من أولاده الكبار ، وذلك أنَّ فيهم من واقَعَ أختَهُ وأحبلها . فمنع أولاده الذكور من رؤية أمَّهاتهم وأخواتهم .

حدَّثت طرف المغنّية جارية ابنه أبي محمّد قال[ت] : كنت في منزلي بجو[ار] داره بعد وفاة مولاي أبي محمّد أنا وابنتي وعدَّة جوار بخدمتي . فلمَّا كان نصف الليل إذا بالخدم قد دخلوا عليَّ وقالوا : سيّدنا يستدعيك .

فلبستُ ثيابي ونهضت معهم فصُرِفْتُ إليه أنا وابنتي وجوارينا ، فإذا به في

---

(1) في ترجمة الوفيات ، 1/349 : إحدى وتسعين ، وكذلك في تاريخ بغداد رقم 3723 . وإذا كان مولده سنة 308 كما قيل في أول الترجمة ، فعمره عند الوفاة 84 سنة .

(2) المسبّحي المؤرّخ (366 – 420) : ألّف كتاباً في تاريخ مصر . انظر ترجمته في المقفّى رقم 2632 .

مجلس ، فقبّلت يده أنا وابنتي ، فأمر[نا] بالجلوس وباسَطنا ثمَّ قال : يا بنيَّة ، تحفظين صوتاً كان يُغنّى في دارنا ؟

فقلت : إن رأى سيّدُنا أن يذكره ، فعل .

فقال (طويل) :

أهاجك بالبيداء رسم ومنزل   أضرّ به طولُ البلى فهو مُحوِلُ
وقفتُ به في الركب أبدي تجمّلاً   فأبدى الهوىٰ ما كان يخفي التجمّل

فغنَّيتُه إيّاه بعد أن استدعيتُ العود ، فما هو إلّا أن بدأتُ به حتى وضع كُمَّه على وجهِه وٱنتحب انتحاباً شديداً متداركاً . فتوقَّفت عن الغناء رحمةً له فقال : غنّي ! – وأخذ في شأنه من البكاء . ثم قال : حسبك ! انصرفي !

فقبّلت يده وقمت . فأخذ الخدم بيدي إلى قاعةٍ قد فرشت وأعدَّ فيها سائر ما يحتاج إليه الناس من الآلات والمأكل وغير ذلك ، وجيء بابنتي وجواريّ إليّ ، ثمَّ أغلق علينا الباب . فوالله ما خرجت رجلي منها إلى أن توفّي رحمَه الله .

وكان قد تنسّك وعمرُه أربعون عاماً فكان يصوم ، وإذا أفطر نام ثمَّ نهض وصلّى إلى الصبح . وكان يحمل كلّ سنة إلى بني حسن وحسين المالَ والبُرَّ والدقيق والدهن وغير ذلك ، فلا يزالون في الدعاء له والثناء عليه ، فمكّنوه لهٰذا من دفن أمِّه بدارٍ في جوار قبر رسول الله ﷺ . فلمّا حضرته الوفاة أوصى أن يدفن عند أمّه فحُمِل إلى المدينة النبويّة ودفن عندها .

ومن شعره (بسيط) :

مَن أَحْمَلَ النفسَ أحياها وروّحَها   ولم يبت طاوياً منها على ضجر
إنَّ الرياح إذا اشتدَّت عواصفُها   فليس ترمي سوى العالي من الشجر [1]

---

(1) أورد له ابن سعيد في المغرب – قسم مصر ، 252 – ثلاثة أبيات أخرى (كامل) : =

ورآه سيبويه الموسوس بعد موت كافور في موكب عظيم فقال : ما بال أبي الفضل قد جمع كُتَّابه ولفَّقَ أصحابه وحشد بين يديه حجّابَه ، وشمَّم أنفَه[1] ، وساق العساكر خلفَه ؟ أبلَغَه أنَّ الإسلام طرق ، أو أنَّ ركن الكعبة سرق ؟

فقال له رجل : هو اليوم صاحب الأمر ومدبّر الدولة .

فقال : يا عجباً ! أليس بالأمس نهب الأتراك داره ، ودكدكوا آثاره ، وأظهروا عواره ، وهم اليوم يدعونه وزيراً ، ثمَّ قد صيَّروه أميراً ؟ ما عجبي منهم كيف نصبوه ، بل عجبي كيف تولّى أمر عدوّهم ورضُوه .

وكان قد زوّج ابنه أبا العبَّاس[2] بابنة الوزير يعقوب بن كلّس ، فدخل أبو العبَّاس على ابن كلّس يوماً ، فقال له : يا أبا العبَّاس ، ما أنا بأجلّ من أبيك ولا بأفضل ! أتدري ما أقعد أباك خلف الناس[3] ؟ شَيْل أنفه ! بالله ، يا أبا العبَّاس ، لا تشل أنفَكَ كأبيك ! أتدري ما الإقبال ؟ نشاط وتواضع ! وتدري ما الإدبار ؟ كسل وترافع !

وكان أبو الفضل يهوَى النظرَ إلى الحشرات والأفاعي والحيَّات والعقارب وأمّ أربع وأربعين ونحو ذلك / وكان له في داره قاعة لطيفة فيها هٰذه المذكورات ، [300 ب] ولها قيّم وفرَّاش وحاوٍ يتعاهدها ، وكانت الحواة بأعمال مصر تتقرَّب إليه بمَا تصيده من ذلك فيثيبهم عليها . وكان له وقت يجلس فيه على دكّة مرتفعة ،

= مَن لي بصُحبةِ مَن إذا أغضبتُه ... وسخِطتُ كان الحِلمُ ردَّ جوابِه !
وإذا طربتُ إلى المُدامِ سكرت مِن ... أخلاقِه وطربتُ من آدابِهِ
وتراهُ يصغي للحديثِ بسمعِهِ ... وبقلبِه ، ولعلَّه أدرى بِهِ

(1) في المخطوط : وشمَّر أنفه . والإصلاح من معجم الأدباء ، 7 / 168 .
(2) هذا الابن هو الفضل (ياقوت ، أدباء ، 7 / 163) ، وله ابن آخر يلقّب بسيدوك . ومرَّ بنا ابن ثالث اسمه أحمد . وخصّص المقريزي ترجمة وجيزة لابن آخر يدعى العبَّاس وقال إنّه توفّي بمصر . (المقفّى رقم 1430) .
(3) في معجم الأدباء ، خلف الباب .

ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في السلل ويطرحونه على ذلك الرخام ويحرِّشون بين الهوامّ ، وهو ينظر إليها[1] .

1078 – جعفر بن فلاح [– 360][2]

جعفر بن فلاح بن مروان ، أبو الفضل ، الكتاميّ : مِن أرقى الكتاميّين بيتاً واجلِّهم قدراً .

كان أبوه قائداً جليلاً ، وليَ مدينة طرابلس ، وبرقة وباجة . وكان حسن السيرة في الرعيّة . مات في رجب سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .

ونشأ ابنه جعفر بالمغرب في خدمة المعزّ لدين الله . وهو أحد الجعفرَيْن اللذين أُرشد ابن هانىء الشاعر الأندلسيّ إليهما ، فإنّه ، لمّا امتدح جوهر القائد ، أعطاه مائتَي درهم فاستقلَّهَا وسأل عن كريم يمدحُه فقيل له : عليك بأحد الجعفرين : جعفر بن فلاح وجعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسيَّة ، فمدح جعفر بن فلاح فأعطاه مائتَي دينار . ومن شعره فيه (بسيط) :

كانت محادثة الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح أطيبَ الخبرِ

---

(1) هذا الوزير الخطير ذو الشخصيَّة القويَّة قد لفت انتباه جلّ المؤرِّخين والمترجمين ، وقد اعتبروا فيه تعدُّد الاهتمامات من رواية الحديث والحنكة السياسيّة والارتياح لملاحظة الهوامّ والحشرات وَرَوَوْا عنه في هذه الهواية الغريبة الطرائف والنوادر . ولا شكَّ أنّه مهّد لاقتحام الفاطميِّين أرض مصر . والدليل على تواطئه معهم المعاملةُ الخاصَّة التي عامله بها جوهر أثناء المفاوضات مع الوفد المصريّ .هذا وقد خصّصت دائرة المعارف الإسلاميّة فصلاً مطوّلاً لأسرة ابن الفرات الوزيريّة ولا سيّما للمترجم له هنا ، ولوالده الوزير العبّاسيّ .

(2) وفيات 1 / 361 (138) – الداعي بإدريس : تاريخ ... ، 692 – أمراء دمشق ، 210 . وفي بعض هذه المصادر ، كنيته أبو علي ، وعلي ابنه معروف .

حتى رأيتُ ، فلا والله ما سَمِعَت أذناي بالعشر ممَّا قد رأى بصَري [1]

ثمَّ انتقل إلى جعفر ابن الأندلسيَّة وهو يومئذ أمير الزاب . فلم يزل عندهُ إلى أن استدعاه المعزّ لدين [الله] فبعث به إليه في جملةٍ تحفٍ وطرائف .

ولمَّا جهَّز المعزّ لدين الله القائد جوهر من بلاد المغرب لأخذ مصر ، سار معه جعفر بن فلاح إلى أن وافتِ العساكر الجيزة ، وقد نزل الإخشيديَّة بالجزيرة التي تعرف اليومَ بالروضة لقتال جوهر ، وضبطوا الجِسْرَين [2] ، وتقدَّم مِنهم عدَّة إلى الجيزة . فلمَّا شاهد جوهر ذلك عاد إلى منية شلقان فعبر [إلى] مصر من هناك . وبعث فاستقبل المراكب الواردة من تنيس ودمياط وأسفل الأرض فأخذها . وتولَّى العبور إليهم جعفر بن فلاح عرياناً في سراويل ومعه جمعٌ من المغاربة ، فوقع القتال ، وقتل خلق من المصريِّين . وكان الفتح ، ودخول جوهر ، وبنَايَة القاهرة في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [3] .

فأقام جعفر بن فلاح بالقاهرة إلى ثاني عشر المحرَّم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . وسار إلى الشام في عسكر كبير إلى أن قدم الرملة ، وبها الحسن بن عبيد الله بن طغج وجعفر القرمطيّ [4] وفاتك ودرامك وعِدَّة من قوّاد الإخشيديَّة ورجالهم فقاتلهم قتالاً شديداً ، وأسر الحسن بن عبيد الله وجعفر القرمطيّ وابن الرياحي وفاتك وعدَّة من الأعيان في يوم الثلاثاء لسبع خلون من ربيع الآخر [سنة 359] وأبعدهم إلى القاهرة في القيود مع ابنه . وأخذ السيفُ بقيَّتهم فقتل كثيراً منهم وتمكَّن من الرملة ، وذلك للنصف من شهر رجب . وأقام يتتبَّع ما للحسن بن عبيد الله ولأصحابه مِن أموال حتى استخلصها .

---

(1) البيتان ينسبان أيضاً إلى أبي تمّام ، مع اختلاف .
(2) هما جسرا الفسطاط والجيزة (الخطط 3 / 276) .
(3) هذه الأحداث مفصّلة في ترجمة جوهر ، رقم 1102 .
(4) في المخطوط : ابن القرمطيّ ، والإصلاح من الاتّعاظ ومِمّا سيأتي .

ثمَّ سار إلى طبريّة وأخذ يبني قصراً عند جسر الصِّنَّبْرَةِ[1] ، وكان على طبريّة فاتك غلام ملهم من قبل الإخشيديّة ، فكاتَبَه جعفر وخدعه حتى قَعَد عن الحسن بن عبيد الله . وكاتب شمول الإخشيدي وهو على دمشق قد استخلفه عليها الحسن بن عبيد الله ، واستماله ووعده ، فتمكَّن من طبريّة ، وثقل عليه أمر بني عقيل أهل بلاد حوران والبَثَنِيَّةِ[2] الذين أقامهم كافور الإخشيدي ، وهم شبيب بن [. . .] وظالم بن مرهوب ، وملهم بن [. . .][3] . فاستجلب إليه عرب مُرَّة وعربَ فزارة ، وأوعز إلى مَنْ يفتك بفاتك غلام ملهم ، فوقف له عِدَّة من المغاربة ووثبوا به على حين غفلة فجرَّد سيفه وضرب رجلاً منهم رمى نصف رأسه ، وكثروا عليه وقتلوه . فتبرَّأ جعفر من قتلِه وأظهر جزعاً عليه وقبض على الجماعة الذين قتلوه وبعث بهم إلى ملهم[4] ، فقال لمّا
[301 أ] وصلوا إليه / : هو غلامي ومملوكي وقد وهبتُه للقائد – وأطلق الجماعة الذين قتلوه .

واتّفق من الأمر الرديء لأهل دمشق أنَّ مشايخ أهلها لمّا بلغهم قدومُ جعفر بن فلاح إلى طبريّة خرجوا إلى لقائه ، وفيهم عقيل بن الحسن بن الحسين العلويّ و[أبو القاسم إسماعيل] بن أبي يعلى العبَّاسيّ ، فوافَوا يومَ دخولهم إلى طبريّة قتلَ فاتك ، وقد ثارت فتنة ، والمغاربة ركباناً ، وفيهم مَن يأخذ الناس ، فقصدوا أهل دمشق فأخذوهم وجرَّدوهم من ثيابهم وسبُّوهم وتوعَّدُوهم وقالوا لهم : أَوَذَا نحن سائرون إليكم ! – فصاروا في أَسْوَإِ حال قد أُخذت أثقالهم وثيابهم . فلقُوا جعفر بن فلاح وعادوا إلى دمشق فأخبروا الناس بمَا جرى عليهم من الوعيد وأنَّهم لقُوا قوماً جفاةً قباحَ المنظر والزيّ والكلام ناقصي العقول .

---

(1) الصنبرة على نهر الأردن ، على ثلاثة أميال من طبريّة .
(2) البثنية : قرية من نواحي دمشق .
(3) بقيّة الاسمين بيضاء بالمخطوط وكذلك في الاتّعاظ 1 / 174 .
(4) في المخطوط : إلى ابن ملهم ، والتصويب من الاتّعاظ .

فاستوحشت قلوب أهل دمشق من المغاربة .

وكان شمول قد خرج إلى لقاء جعفر بن فلاح وخلت مدينة دمشق من السلطان ، فطمع الطامع ، وكثر الذعَّار وحمَّال السلاح . واتَّفق أيضاً أنَّ جعفر[اً] لمّا قتل فاتكـ[ـاً] عمِل في قلع بني عقيل من أرض حوران والبثنيَّة ، فأنفذ إليهم مُرَّة وفزارة ، وجهَّز بعدهم جيشاً من المغاربة . فالتقى القوم وأدركهم المغاربة فانهزم العقيليّون وتبعوهم إلى أرض حمص . ثمَّ عادوا عنهم ومالوا على جبل سَنير[1] الذي يقال له اليوم جبل الثلج فنهبوا ، ونزلوا الغوطة فجالوا فيها وساروا حتّى نزلوا على نهر يزيد نحو الدكّة[2] . فثار عليهم أهل دمشق وقاتلوهم وقتلوا منهم [زجلاً][3] من العرب يقال له عيسى بن دهاس الفزاريّ ، وهزموهم عن دمشق ، وذلك يوم الخميس لثمانٍ خلون من ذي الحجَّة .

فأقبل صبيح بطلائع عسكر جعفر بن فلاح ونزل خارج دمشق ، فخرج الناس إليه مستعدِّين في خيل ورَجل فاقتتلوا يومَهم ذلك ثمَّ انصرفُوا .

وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا وصاح الناس في جامع دمشق بعد الصلاة : « النفير ! » فخرج النفير واشتدَّ القتال إلى آخر النهار ، ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلون من ذي الحجَّة يوم عيد الأضحى فقاتله الناس على الشمّاسيّة والقطيعة[4] ، ولم يصلّ الناس يومئذ صلاة العيد . وخرج ابن أبي يعلى ، فلم يزَل القتال إلى بعد العصر فكلَّت الدماشقة ، وحمل عليهم المغاربة ، فانهزموا وركب المغاربةُ أقفيتَهم وبذلوا فيهم السيفَ فقتلوا من ظفِروا به . وقام بأمر البلد أبو إسحاق محمد بن عصودا وغلّق الأبواب وأوقف الرماةَ على شرفات السور ،

(1) جبل سنير : بين حمص وبعلبك (ياقوت : سنير) .
(2) موضع من غوطة دمشق . وفي هامش ابن القلانسيّ ، 2 : هي البوم الدوّاسة .
(3) في المخطوط : وقتلوا منهم كثيراً من العرب يقال له ... ولعلّ في المتن سقوطاً .
(4) لم يذكر ياقوت القطيعة بين قرى الغوطة .

فرمَوا المغاربة بالنشّاب . ونزل العسكر أرض عاتكة[1] وطرحوا النار فيمَا هنالك من الأبنية ، فانهزم ابن أبي يعلى وانفلّ من كان معه فقتل خلق كثير . ودخل فرقة من المغاربة باب الجابية فتكاثر الناس عليهم وأخرجوهم وأغلقوا الباب . فأحاط العسكر بالبلد من كلّ ناحية ، ووقعت المضاربات وارتفع ضجيج الرجال والنساء والصبيان بالبكاء والنفير ، وظنُّوا أنَّ القومَ يدخلون البلدَ بالسيف ، وكان قد قرب غروبُ الشمس ، فأمسك العسكر عن القتال .

وتقدَّم رجل من العسكر وأشار إلى مَن فوقَ الأسوار وحدَّثهم ، فأمسكوا عن الرمي ، وبات أهل دمشق ليلةَ الأحد في سدِّ الأبواب وتضييق الدروب وكسر القنا في الأسواق وحفر الخنادق ، وعَزموا على القتال وباتُوا على خوفٍ .

فلمّا أصبحوا خرج المشايخ إلى جعفر بن فلاح ليتحدَّثوا معه في الصلح ، فما هو إلاّ أن ساروا عن البلد قليلاً [حتّى] خرج عليهم فرسان من المغاربة [فـ]أخذوا ما عليهم من الثياب وقتلوا منهم رجلَين . فلمّا رأى من كان فوقَ المآذن والأسطحة ذلك صاحوا : « اضبطوا الأبواب ، فقد شَلَّحُوا المشايخ ! »[2] فظنَّ الناس أنَّ العسكر يريد الركوب ، ودخَلَ المشايخ عُرْياً ، فأرتاع أهل البلد واشتدَّ خوفُهم وتحيَّروا . ثمَّ جرت بينهم مراسلة فخرجوا إلى جعفر فرعب عليهم / و[أ]وعد البلدَ بالنار والسيف فعاجوا خائفينَ وجِلين وبلَّغوا [301 ب]
اهل البلد ما أقلقهم فاشتدَّ اضطرابهم وعاد المشايخ ثانياً إلى جعفر فاشتدَّ عليهم وأرعد وأبرق فسألوه العفو . فقال : ما أعفو عنكم حتى تَخرُجوا إليَّ ومعكم النساء فيتضرَّعن ويكشفن شعورهنّ ويمرِّغنَها في التراب بين يديّ !

فقالوا : نفعل ما يقول القائد .

ورجعوا إلى البلد وخرجوا إليه بمَا طلب من تضرُّع النساء وكشفهنَّ الشعور

---

(1) أرض عاتكة : خارج باب الجابية بدمشق (ياقوت) .
(2) شلّحوهم : جرّدوهم من ثيابهم .

بين يديه ، وهو مع ذلك يرهبهم . ثمَّ باسَطَهُم وقال : أريد [أن] أدخل يوم الجمعة للصلاة .

فانصرفوا عنه . وركب يومَ الجمعة في عسكره ودخل البلد . فلمّا خرجوا من الجامع وضع جماعة من العسكر أيديَهم في السوق ونهبوا . ثمَّ أرادوا أن يدخلوا إلى الأزقَّة ، فثار بهم الناس وقتلوا كثيراً من الرجّالة ، فاشتدَّ جعفر على المشايخ ووعدهم بكلٍّ مكروه ، وقال لهم : دخل رجال أمير المؤمنين إلى الصلاة فقتلتموهم ! لأُسوِّيَنَّ بهٰذا البلدِ الأرضَ !

فلطفوا به ودارَوْه . فقال : أريد دِيَةَ من قُتل من رجال أمير المؤمنين .

فأذعنوا لذلك . وكان الذي يتولَّى خطابه الشريف أبو القاسم أحمد بن الحسين العقيقي ، و[. . .] بن أبي هاشم . ودخلوا البلد وقسّطوا المال على الناس . وشرع العسكر في البناء فوق نهر يزيد عند الدكَّة وعملوا مساكن وأسواقاً حتى صارت تشبه المدينة ، وبنَوا قصراً عظيمًا شاهقاً في الهواء[1] ، غريبَ البنيان . فلمّا آستقرَّ في الدكَّة طلب حُمَّالَ السلاح وضرب أعناق كثير منهم وصلب جُثَثَهم وعلَّق رؤوسهم على أبواب المدينة ، منها رأس إسحاق بن عصودا .

وبعث بأزرق إلى حمص وسلميّة ، فخرج إليه أهل سلمية بكتاب عبيد الله المهدي جدّ المعزّ لدين الله بترك الخراج لهم متى ملكهم . فبعث بذلك إلى جعفر فأمره بالوفاء لهم .

وقدم ابن عليان العدوي وقد قبض على [. . .][2] بن أبي يعلى العبَّاسيّ لمّا انهزم من نحو تدمر ، وهو يريد بغداد ، فأمر به جعفر فشهر في العسكر على جمل ثمَّ حمله إلى القاهرة .

(1) هذا قصر آخر غير الذي بناهُ بطبريّة على جسر الصنّبرة .

(2) بياض مكان الاسم . وهو اسماعيل ، أبو القاسم .

وأمّا محمّد بن عصودا فإنَّه لمّا انهزم سار إلى الأحساء هو وظالم بن مرهوب العقيليّ ، وحثَّا القرامطة على المسير إلى الشام ، فوافق ذلك منهم الغرض لأنَّ الإخشيديّة كانت تحمل في كلّ سنة إلى القرامطة مالاً ، فلمّا أخذ جوهر مصر أنقطع المال عن القرامطة . فأخذوا في الجهاز للمسير إلى الشام .

وجهَّز جعفر غلامَه فتوحاً في عسكر إلى أنطاكية ، وكانت بيد الروم ، فسار في صفر سنة ستِّين وطلب أهل أعمال فلسطين وطبريّة ، وَسيَّر عسكراً بعد عسكر إلى أنطاكية فنازلوها ، وكان الوقت شتاءً ، إلى أن دخل الصيف ، وهم يداومون القتال . وبعث سريّةً فيها أربعة آلاف إلى إسكندرونة وعليهم عرائِس ، ومعهم ابن الزيّات[1] أمير طرطوس ، وكان عليها عسكر للروم . فظفروا في طريقهم بمائتَي بغل تحمل علوفة لأهل أنطاكية فتقَوَّوْا بها ، وساروا إلى مرج إسكندرونة وفيه مضارب الروم الديباج ، فتسرَّع إليها رجالة تنهبُها ، فحمل عليهم الروم فانهزموا وأخذهم السيف ، ونجا عرائس وابن الزيّات في طائفة ولحقوا بجعفر ، وهلك كثير ممَّن كان في السريّة .

فكثرت الأخبار بمسير القرامطة إلى الشام ، وأنَّهم نزلوا على الكوفة ، وكتبوا إلى الخليفة ببغداد فأنفذ إليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، من مال الرحبة[2] وأنَّهم ساروا من الكوفة إلى الرحبة وأخذوا من ابن حمدان المبلغ . فكتب جعفر إلى غلامه فتوح وهو على أنطاكية يأمره بالرحيل . فوافاه الكتاب مستهلّ شهر رمضان [سنة 360] ، فشرع في شدِّ أحماله ، ونظر الناس إليه فجفلوا ورمَوا خيمَهم وأراقوا طعامَهُم .

---

(1) أبو بكر ابن الزيّات في تاريخ ابن القلانسيّ ، 12 . ولا نعرف عرائس .

(2) أبو تغلب [الغضنفر] بن حمدان كان أميراً على الجزيرة ، والرحبة هي رحبة مالك بن طوق على الفرات تحت قرقيسيا ، بين الرقة و بغداد (ياقوت) وانظر : ماريوس كانار : تاريخ الحمدانيّين ص 96 وهامش 45 .

وأخذوا في السير مجدِّين إلى دمشق ، فلمّا وافَوا جعفراً أراد أن يقاتل بهم القرامطة ، فلم يقفوا وطلب كلّ قوم موضعَهم ، ولم يُبالوا بالموكَّلين على الطرق . وعندما نزل القرامطة على الرحبة أكرمهم أبو تغلب ، وبعث إلى الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنّابي المعروف بالأعصم كبيرهم يقول له : هٰذا شيءٌ أردتُ أن أسير أنا فيه بنفسي ، لكنّي مقيم في هٰذا الموضع إلى أن يرد إليَّ خبرُك ، فإن احتجتَ إلى / مسيري سرتُ إليك . [302أ]

ونادى في عسكره : من أراد السير من الجند الإخشيديَّة وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد ، فلا اعتراض لنا عليه ، وقد أذنَّا له في المسير ، والعسكران واحدٌ .

فخرج إلى القرامطة كثير من الإخشيديَّة الذين كانوا بمصر وفلسطين ممَّن فرَّ من جوهر وجعفر بن فلاح . وكان جعفر لمّا أخذ طبريّة بعث إلى أبي تغلب بن حمدان بداعٍ يقال له أبو طالب التنّوخي يقول له : « إنَّا سائرون إليك فتقيم لنا الدعوة » . فلمّا قدم الداعي على أبي تَغلب وهو بالموصل وأدّى الرسالة قال له : « هٰذا ما لا يتمّ ، لأنّا في دهليز بغداد والعساكر منَّا قريبة . ولكن إذا قربت عساكركم من هٰذه الديار أمكنَ ما ذكرتَه » . فٱنصَرَف بغير شيءٍ .

ثمَّ إنَّ الحسن بن أحمد القرمطي سار عن الرحبة إلى أن قرب من دمشق . فجمع جعفر خواصَّه واستشارهم ، فاتَّفقوا على أن يكون لقاء القرامطة في طرف البريّة قبلَ أن يتمكَّنوا من العمارة . فخرج إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزم عنه عدَّة من أصحابه ، فولَّى في عدَّة ممَّن معه . وركب القرامطة أقفيتَهم وقد تكاثرت العربان من كلّ ناحية وصعد الغبار فلم يعرف كبير من صغير ، ووُجد جعفر قتيلاً ، لا يُعرف له قاتل . وكانت هٰذه الوقعة يوم الخميس لستّ خلون من ذي القعدة سنة ستّين وثلاثمائة . فٱمتلأت أيدي القرامطة بمَا ٱحْتَوَوْا عليه من المال والسلاح وغيره . وخرج محمّد بن عصودا إلى جثّة جعفر بن فلاح وهي

مطروحة على الطريق فأخذ رأسه وصلبه على حائط داره . وأراد بذلك أخذ ثأر أخيه إسحاق بن عصودا .

وملك القرامطة دمشق . وورد الخبر بذلك على جوهر القائد فاستعدَّ لحرب القرامطة .

وكان جعفر أحمقَ هذاراً كثير الكلام ، أكثر كلامه بغير طائل . وكان يحسد جوهر القائد لتقدّمه عليه . وكانت العر[1] فيه كما هو مذكور في ترجمة جوهر[2] .

---

(1) كلمة لم نفهمها .

(2) ترجمة جوهر آتية برقم 1102 .

وترجمة جعفر بن فلاح هذه تفيدنا بأشياء ، لم يذكرها المؤلّف في الاتّعاظ ، منها :

1- ولاية أبيه طرابلس .

2- مشاركة أحد أبنائه في العمليّات حول دمشق . غير أنّ المقريزي لا يُسمّي هذا الابن . ولعلّه أبو محمود إبراهيم الذي خصّص له ترجمة في المقفى (رقم 98) .

ويذكر له ابن القلانسي ابنا آخر هو سلمان أو سليمان بن جعفر بن فلاح . وفي الجزء الثاني من الاتّعاظ ، ص 10 ، أخبار عليّ بن جعفر بن فلاح ، وهو الابن الذي ولي دمشق ثلاث مرّات (أمراء دمشق للصفدي ، 210 - 211) .

ثم إنَّ الداعي إدريس في عيون الأخبار ، 692 يذكر له ابناً رابعاً مات في أوّل مدّة جوهر بمصر سنة 358 .

3- بناء القصر على جسر الصنّبرة . ولعلّه القصر الذي عناه المؤرّخون الذين رَوَوا قولَ من مرَّ بخراباته فقال (كامل) :

يا منزلاً لعب الزمان بأهله ... فأبادهم بتفرُّق لا يجمعُ
أين الذين عهدتهم بك مرَّة ... كان الزمان بهم يضرّ وينفع ؟
ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقي الذين حياتهم لا تنفعُ

(وفيات الأعيان ، والكامل لابن الأثير ، 7 / 42 في تعليق الشيخ عبد الوهاب النجار) .

1079 – ابن الدبوقا الدمشقيّ [621 – 691][1]

جعفر بن القاسم بن جعفر بن علي بن جيش ، رضيّ الدين ، أبو الفضل ، ابن دبوقا ، الدمشقيّ ، المقرىء ، الكاتب .

ولد سنة إحدى وعشرين وستّمائة بحرّان ، وكان أبوه كاتباً بها . ثمّ قدم دمشق . وقرأ القراءات على السخاوي وبرع في العربيّة والأدب ، وتصرّف في الكتابة حتى أضرّ في أواخر عمره ، فجلس للإقراء بجامع بني أميّة فقرأ عليه الناس وحدّث حتى مات في سادس عشرين شهر رجب سنة إحدى وتسعين وستّمائة .

وكان جيّد المعرفة بالأداء فصيحاً متقناً موطّأ الأكناف . قدم القاهرة فيمَا ذكر بعضهم .

1080 – ابن خدار الكاتب [– 268][2]

جعفر بن محمّد بن أحمد ، ابن خدار ، أبو القاسم ، الكاتب ، شاعر مصر . حسن البلاغة ، له ديوان شعر ومكاتبات كثيرة حسنة . وقام مع العبّاس بن أحمد بن طولون ، فلمّا ظفر الأمير أحمد بن طولون بآبنه العبّاس وقد صار ابن خدار وزيره وصاحب أمره ، ضربه ثلاثمائة سوط وقطع يديه ورجليه ، فمات في ذي القعدة سنة ثمان وستّين ومائتين .

ومن شعره (رمل) :

(1) غاية النهاية 1 / 194 (894) .

(2) المغرب (مصر) 118 – العقد 5 / 348 وسمّاه : كاتب ابن طولون – ياقوت : أدباء 7/ 182 وسمّاه : ابن خذار – الوافي 11 / 141 وسمّاه : ابن خدار بالمهلمة .

زارني زَوْرٌ ثكلتهُمُ وأُصيبوا حيثما سلكوا
أكَلوا حتى إذا شبعوا حملوا الفضلَ الذي تركوا

1081 – جعفر بن محمد الكلبيّ الصقلّي [– 375][1]

جعفر بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين . الكلبي ، الصقليّ ، أمير صقلّية .

كان من أمراء بني أبي الحسين بصقليّة يتوارثون إمارتها مدّة سنين . وأوّل من وليَ منهم الحسن بن عليّ في سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة من قِبل الإمام المنصور بنصر الله أبي الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله المهديّ الفاطميّ .

ثمّ ولي بعد الحسن بن عليّ ٱبنُه أبو الحسين أحمد بن الحسن ، ثمّ أبو القاسم عليّ بن الحسن بن علي ، ثمّ ابنه جابر بن أبي القاسم عليّ ، ثمّ جعفر ابن محمّد هٰذا .

وكان أبوه أبو عبد الله محمد بن الحسن قد قدِم إلى مصر مع المعزّ لدين الله ومات بالقاهرة . فلمّا مات المعزّ وٱستخلف من بعده ابنه العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعزّ . ونافق حمزة بن [ثعلة][2] الكتامي بأسوان في سنة ثمان وستّين
[302ب] وثلاثمائة أخرج إليه[3] جعفر بن محمد هٰذا فأخذه ودخل به / القاهرة ومعه أمواله وجواهره ونعمه : فلمّا قتل أبو القاسم علي بن حسن أمير صقليّة لعشر بقين من المحرّم سنة ٱثنتين وسبعين في الجهاد وقام من بعده ابنُه جابر كتب قوم من أهل

(1) أعمال الأعلام 5 / 478 – اتّعاظ 1 / 245 – ابن ميسّر 49 .
(2) بياض بالمخطوط . والإكمال من الاتّعاظ 1 / 245 .
(3) في المخطوط : إلى .

صقلّيّة إلى العزيز يعرّفونه عجزَ جابر عن القيام بأمر صقلّية . فأمر العزيز جعفر بن محمد هٰذا أن يمضيَ من مصر إلى صقلّيّة وعقد له بولايتِها . وقد كان في رتبة ابنه من الوزارة والحال الجليلة . فخاف منه الوزير يعقوب بن كلّس وأراد إبعاده ، فحسّن للعزيز ولايتَه صقليّة وعرّفه أنّ الثغر يتلف ما لم يَلِه[1] ، فتمّت حيلتُه وولّاه العزيز .

فخرج من القاهرة في البرّ ، ومعه خيل يسيرة فوصل إلى مدينة المنصوريّة[2] يومَ الأربعاء لخمس خلون من صفر سنة ثلاث وسبعين [وثلاثمائة] وبين يديه عشرون فرساً بالسروج المحلّاة القلة[3] ، وخمسة بنود مذهبة وخمس عمّاريّات ، ومعه سبكتكين التركيّ[4] فلقيه عبد الله بن محمد الكاتب[5] وأنزله . فنادى مناديه في الناس بإعطاء الأرزاق السنيّة ، فأتاه جماعة من الناس فلم يحمل ذلك عبد الله ونادى : « من مضى الى جعفر بن [محمّد] بن الحسن فقد حلّ دمه » . وأخذ قوماً سائرين نحوَه فضرب أعناقهم . فرحل عند ذلك للنصف منه يريد المهديّة ، ورحل معه عبد الله فأتته ثاني يوم وصوله خمسة مراكب حربيّة من صقلّيّة بهدايا جليلة وعدّة عظيمة بعث بها إليه ابن عمّه جابر بن أبي القاسم . فركب فيها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر [سنة 373] وسار إلى صقلّيّة فتسلّمها من جابر بغير مدافعة واستقامت له أمورها .

---

(1) وليَ يلي الثغرَ : يصير (جعفر) والياً على صقلّية .

(2) في المخطوط : المنصورة .

(3) هذه الكلمة غير مفهومة ، ولعلّها : الثقيلة .

(4) سبكتكين التركي : قال في أعمال الأعلام ، 52 / 478 : من جلّة الترك الموصوفين بالشجاعة .

(5) عبد الله بن محمد الكاتب : أمير افريقيّة للصنهاجيّين . انظر عنه رسالة هـ. ر. ادريس 1/ 48 و 1 / 68 . ولم يذكر في العبادلة من المقفّى ، إلّا أنّ ناسخ السليميّة – أو غيره – عرّف به في الحاشية من ترجمة تميم بن المعزّ الفاطميّ رقم 1027 وقال إنّ المنصور الصُّنْهاجي قتله في رجب 377 .

وكتب إليه العزيز في سنة خمس وسبعين يأمره أن يدفع إلى الراهب الذي هو أبو جاريته السيّدة العزيزيّة[1] ، القلاعَ التي افتتحها جدُّه الحسن بن علي بن أبي الحسين ، وأن يدفع إليه كلّ شيءٍ عنده من قديم وحديث . فقدم الراهب إلى صقلّيّة فأنزله جعفر ووكّل به ومنع أن يدخل عليه أحد ، حتى إنّه كان إذا عبر الحمّام صحبه عدّة من المسلمين حتى يدخل ويخرج فيردّو[نـ]ـه إلى موضعه . فأقام على هٰذا نحو أربعة أشهر . ثمّ جمع له كلّ شيخ وعجوز وعليل من النصارى ودفعهم إليه ، وهم نحو مائة نفس وأمره بالرحيل ، [فأفلت وما صدّق بنجاته][2] فمضى إلى القسطنطينيّة ، وكتب إلى العزيز بمَا كان فيه مع جعفر . وأمر جعفر بعد مسير الراهب فاشترى مركباً أندلسيًّا وشحنه بطرائف الأندلس وأظهر أنّ ابن أبي عامر بعثه إليه ، وكتب إلى العزيز بأنّ صاحب الأندلس قد كتب إليه يدعوه إلى طاعتِه ويعِدُه أن يُقطعَه من الأندلس كلَّ ما [يـ]ـسأله . فكتب إليه العزيز بأنّ سلفَه من بني أبي الحسين ما عرفوا قطّ إلّا طاعتَه وطاعة آبائه – يحضُّه عليها – فبقي جعفر يداري أمره ، والقلاع بأيدي المسلمين ، فلم يرِم أن مات في يوم [. . .] سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فولي بعده أخوه عبد الله بن محمّد .

1082 – القاضي ابن سناء الملك [525 – 592][3]

جعفر بن محمّد بن هبة الله بن محمد ، القاضي[الـ]ـرشيد ، أبو الفضل ، ابن سناء الملك .

---

(1) السيّدة العزيزيّة : قال ابن ميسّر 49 – 50 : هي أم ولد العزيز ، وهي أخت كاتب العزيز ، توفّيت سنة 385 في خلافة العزيز – ويظهر أنّها أمّ الحاكم وأختِه ستّ الملك . وفي أعمال الأعلام 52 / 478 : الراهب أخو جاريته .

(2) في المخطوط : فما أفلت وهو يأمن . والإصلاح من أعمال الأعلام .

(3) لم نظفر له بترجمة غير هذه الوجيزة .

ولد للنصف من شوّال سنة خمس وعشرين وخمسمائة . وتوفّي في يوم الثلاثاء خامس ذي الحجّة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

1083 – ابن عبد الرحيم القنائيّ [619 – 696][1]

جعفر بن محمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن حجون بن محمد بن حمزة بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الشريف صدر الدين ، أبو الفضل ، ابن الإمام ضياء الدين ، ابن الشيخ عبد الرحيم ، الحسينيّ ، السبتي الأصل ، القنائي ، الفقيه الشافعي .

مولده بقنا في سنة تسع – أو ثماني – عشرة وستّمائة ، وأخذ الفقه عن البهاء القفطيّ ، والمجد القشيريّ ، وسمع الحديث من البهاء علي بن الجمّيزى[2] ، والحافظ أبي الحسين يحيى بن عليّ العطّار . / وسمع بدمشق من [303 أ]
الزين [خالد] وغيره . وولي قضاء قوص ، ثمّ وكالة بيت المال بالقاهرة ، وتدريس المشهد الحسينيّ .

وٱشتهر بمعرفة الفقه والأصول والأدب ، وبعُد صيتُه .

توفّي في يوم [. . .] ثاني عشر شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين وستّمائة . وقد حدّث فروى عنه الحفّاظ ، كالدمياطيّ ، وأبي حيّان ، وعبد الكريم الحلبيّ . وتخرّج به جماعة ، منهم ابن الرفعة ، وابن عدلان . وكان من الأعيان . وأفتى بضعاً وأربعين سنة على السداد . وكان يقال إنّه يصلح للخلافة لما ٱجتمع فيه من الأوصاف الجميلة .

---

(1) الطالع السعيد ، 182 (116) السبكيّ 5 / 53 .
(2) في الطالع : ابن هبة الله ابن بنت الجميّزي .

ومن شعره وهو بعرفة [كامل] :

أتظنّ أنّ الله يفردني بالردّ وحدي دونَ مَن وقفا[1]
حاشى الكريمَ وقد وقفت له أن لا يسامِح بالذي سلفا

1084 - جعفر الأفضليّ [543 - 622][2]

جعفر بن محمّد بن مختار ، الأفضليّ ، الأمير الكبير ، أبو الفضل ، مجد الملك ، ابن الأمير شمس الخلافة أبي عبد الله ، ابن شمس الخلافة ، الأفضليّ ، المصريّ ، القوصيّ ، الشاعر الأديب .

ولد في ثاني عشر المحرّم سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . ونشأ بالقاهرة وتأدّب . وقال الشعر ، وكتب الخطّ الجيّد . وله تصانيف تدلّ على فضله . وكان من الأذكياء . وحدّث بديوانه ، وآمتدح جماعة .

روى عنه الزكيّ المنذريّ ، والشهاب القوصيّ . وخدم السلطان صلاح الدين أميراً ، ثمّ خدم آبنه الملك العزيز . وتوجّه الى حلب وخدم صاحبها غازي . ثمّ عاد إلى مصر .

وذكر الذهبيّ أنّ آسمَه جعفر بن إبراهيم بن عليّ[3] وقال : ووهم ابن الشعار في وفاته فذكرها في سنة عشر . ووهم أيضاً في آسمه المنذريّ ..[4]

ومات يوم الجمعة الثاني عشر من المحرّم سنة آثنتين وعشرين وستّمائة بخطّ الكوم الأحمر خارج مدينة مصر . ودُفن بالقرافة .

---

(1) في الطالع - 185 : بالطرد وحدي .
(2) وفيات 1 / 362 (139) - الأعلام 2 / 124 - حسن المحاضرة 1 / 566 .
(3) أعلام النبلاء ، 22 / 300 (177) ولم يغلط الذهبيّ ، بل نسب الوهم إلى ابن الشعّار .
(4) لم يوهم المنذريّ : التكملة ، 3 / 138 (2014) .

وكان شاعراً مشهوراً ، وفاضلاً مذكوراً ، يكتب الخطّ الجيّد ، وللناس رغبة في خطّه لحسنه وصحّته . وله تواليف جمع فيها لطائف دلّت على جودة آختياره . وله ديوان شعر أجاد فيه . فمن مصنّفاته كتاب [الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة][1] .

ومن شعره [كامل] :

هي شدّة يأتي الرخاء عُقَيْبها وأسًى يبشّر بالسرور العاجلِ
وإذا نظرتَ فإنّ بؤساً زائلاً للمرء خيرٌ من نعيم زائلِ

وله في الصاحب صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شكر [كامل] :

مدحَتْك ألسنةُ الأنام مخافةً وتشاهدت لك بالثناءِ الأحسنِ
أترى الزمان مؤخِّراً في مُدّتي حتّى أعيش إلى آنطلاق الألسن ؟

1085 – المهذّب شلعلع [– بعد 577][2]

جعفر بن مفضّل بن زيد ، القرشيّ ، مهذّب الدين ، المعروف بشلعلع .

قال العماد الكاتب : نظمُه كالعِقد المجزّع ، والوشي الملمّع ، والإكليل المرصّع . كتب إليّ يستأذن عليّ [وافر] :

تأمّل أيّها المولى العمادُ أديب ساقه منك الوداد
أتاك به توسُّلُهُ لتأسو بِقُرْبٍ منك ما جَرَحَ البِعاد
فإن تأذن له وارِيناك ببغيته فقد حصل المراد[3]

(1) الزيادة من الأعلام . وقال إحسان عبّاس إنّ كتاب الآداب طبع بالقاهرة سنة 1930 .
(2) الخريدة 2/124 (97) ولم ينقل هذه الأبيات الثلاثة على وفرة ما ذكره من شعره . ولا ابن سعيد في النجوم ، 342 .
(3) كلمة ملتبسة في الصدر .

1086 - ظهير الدين التِزْمَنْتيّ [- 682][1]

جعفر بن يحيي بن جعفر، التَزْمنتيّ، ظهير الدين، القرشيّ، الفقيه، الشافعيّ.

تفقّه على ابن بنت الجمّيزى [وسمع الحديث] من فخر القضاة [أحمد بن محمّد] بن الجباب. وتقدّم في المذهب إلى أن صار شيخ الشافعيّة في زمانه. وصنّف شرح / مشكل الوسيط. وممّن تفقّه عليه الإمام نجم الدين ابن الرفعة. [303ب]

وكان موته في ثاني عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وستّمائة.

1087 - تاج الدولة الكلبيّ [- بعد 410][2]

جعفر بن يوسف بن عبد الله بن محمّد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين، الكلبيّ، أبو محمّد، ابن أبي الفتوح - ويقال أبي الفتح - الأمير تاج الدولة، سيف الملّة، ابن الأمير ثقة الدولة.

أحد أمراء صقلّية المعروفين بـ«بني أبي الحسين». قام بأمر صقلّيّة نيابة عن أبيه الأمير أبي الفتح ثقة الدولة يوسف لمّا فُلِج وتعطّل جانبه الأيسر في [أواخر رجب][3] سنة ثلاث وأربعمائة، فلقّبه الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز بـ«تاج الدولة وسيف الملّة»[4] فاستقرّ على ولايته.

---

(1) حسن المحاضرة 1 / 418 - السبكيّ 5 / 54 - وتزمَنت: قرية من عمل البهنسا بالصعيد غربيّ النيل (ياقوت).

(2) الأعلام 2 / 126.

(3) الزيادة من الاتّعاظ، 2 / 99.

(4) في الاتّعاظ، 2 / 99: سيف الملك. وفي نهاية الأرب 24 / 376: سيف الملّة.

وفي آخر رجب سنة خمس وأربعمائة خالف عليه أخوه الأمير علي بن يوسف ، فقتله بمعونة أخويه أحمد وحسن[1] .

ثمَّ خرج أهل صقلِّية عن طاعته لظلمه وحصروه ، فخرج إليهم أبوه يوسف في مِحَفَّةٍ حتَّى ردَّهم عن محاربته ، وصرفه عنهم ، وولَّى عليهم ابنه تأييد الدولة أحمد الأكحل بن يوسف في سادس المحرَّم سنة عشر وأربعمائة ، وسيَّره[2] من صقلِّية إلى القاهرة فقدِمَها . وسار أبوه من بعده إليها بأموالها وكانت كثيرةً جدًّا[3] .

1088 – جلدك التقويّ والي دمياط [بعد 540 – 628][4]

جلدك بن عبد الله ، الأمير شجاع الدين ، أبو المنصور المظفّريّ ، التقويّ[5] .

ولد في أعوام بضع وأربعين وخمسمائة[...]تأدّب وتفقّه وسمع من السِّلفيّ . وكان يعرف كتاب الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ . وكتب بخطّه أربعاً وعشرين ختمة قرآن . وشهد عدّة مواقف في الجهاد .

وولي ثغر الإسكندريّة ودمياط وشدّ الدواوين بديار مصر .

ومات بالقاهرة عن نيف وثمانين سنة في ثامن عشرين شعبان سنة ثمان وعشرين وستّمائة .

---

(1) أحمد الأكحل وحسن الصمصام . وجاء خبر التمرُّد مقتضباً عند النويريّ .
(2) أي جعفر بن يوسف ، وقد برّر النويري صرفَه إلى مصر بالخوف عليه .
(3) ضبطها النويري 24 / 378 بمبلغ 670 ألف دينار .
(4) الوافي 11 / 174 (258) – فوات 1 / 300 (108) المنذريّ ، 3 / 287 (2343) .
(5) قال في الوفيات 1 / 167 (في ترجمة النفيس القطرسيّ) : أعتقه صاحب حماه تقيّ الدين عمر – فلذلك قيل : التقويّ .

ومن شعره قوله [دوبيت] :

المرء مع الزمان في حالاته ينقاد لحكمه على علّاته
فاْقصد في السعي إنَّ في أوقاته يأتيك الرزق مسرعاً من ذاته .

وقوله [دوبيت] :

قبلت فم الحبيب والشرب نيامْ سرًّا وفضضت من ثناياه ختامْ
أحببت بأن . أبلّ باللثم أوامْ فازداد قلبيَ وآزددت هيامْ[1]

وقوله [سريع] :

هٰذا قريضي حين حرزته علمت أنّي لست من أهله
وكتبته لا لغرامي به لكن عسى أذكر من أجله

وقوله [في غلام يتعلّم علم الهندسة والهيئة – طويل] :

وذي هيئة يزهى بوجه مهندس أموت به [في] كلّ يوم وأُبعَثُ
محيط بأشكال الملاحَةِ وجهُه كأنّ به إقليدساً يتحدّثُ
فعارضهُ خطّ آستواءٍ ، وخَالُه به نقطةٌ ، والصدغُ شكلٌ مثلّثُ

1089 – جمّاز بن شيحة الحسينيّ أمير المدينة [– 704][2]

جمّاز بن شيحة بن هاشم بن القاسم بن المهنّا بن حسين بن المهنّا بن داود آبن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – عليهم السلام – الشريف ، الأمير عزّ

(1) لم نستطع تقويم هذا الشطر الأخير .
(2) الدليل الشافي 1 / 250 (859) – الدرر 2 / 75 (1457) – النجوم 8 / 217 – شذرات 6 / 10 وهو فيها حمّاد .

الدين ، أبو سَنَد ، الحسينيّ ، أمير المدينة النبويّة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وليَ إمارة المدينة في [...] وقدم إلى مصر في سنة اثنتين وتسعين وستّمائة . وكرّمه السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون وعظّمه وأجلّ منزلتَه . وكان الشريف[...] صاحب ينبع قد قبض عليه ، فلم يزل يتلطّف في أمره حتى أفرج عنه . وتوسّط أيضاً في الصلح بين السلطان وبين الشريف أبي نميّ صاحب مكّة وكان في تغيّب عن ملاقاة الركب ، والسلطان يتهدّدُه بتجهيز العسكر لقتاله . وتكفّل برّده إلى الطاعة وحمل كتاب السلطان إليه بمكّة وقام عليه حتى خُطب للسلطان بمكّة وضربـ[ـت] / الدراهم والدنانير بأسمه . وكتب بذلك [304أ] محاضر بعثها مع شرف الدين أحمد ابن الشيخ قطب الدين ابن القسطلانيّ . فسرّ السلطان بذلك وردّ عليه إقطاعاته ، وشكر جمّاز على ما كان منه .

وما زال على إمارة المدينة إلى أن أضرّ وعلت سنّه . ومات في شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعمائة .

1090 – الجُلاح الضبّيّ (1)

جلاح الضبيّ ، من بني هلال بن معاوية بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر .

كان بينه وبين مالك بن المسعى من بني صباح بن سعد بن ضَبّة مشاجرة . فاتّفق الجلاح وابن عمّه أبو الليل على قتل مالك . فقتلاه وهربا . فأدرك أبو الليل في الحرم فقُتل . وأدرك الجلاح بمصر فقُتل .

---

(1) في اللسان : الجلاح بالضمّ والتخفيف : السيل الجُراف . ولم نعرف الرجل .

1091 – حمدان بن صلغاي [– بعد 698][1]

حمدان بن صلغاي [...]

[...] ثمّ خرج إلى الشام بصورة أنّه يستحثّ العساكر المجرّدة إلى سيس على أخذها ، وفي الباطن إنّما هو رسول الأمير منكوتمر نائب السلطنة بمصر ليقبض على كثير من أمراء مصر المجرّدين وأمراء الشام .

فقدم دمشق وأعلم الأمير جاغان المشدّ بمَا نُدب لَهُ . وخرج إلى الأمير قبجق نائب دمشق وقد رحل بعساكره إلى حمص فلقيه هناك . ومضى إلى حلب وأَطْلع النائب بلبان الطباخيّ بأنّه يريد مسك الأمير بكتمر السلاح دار ، والأمير فارس الدين ألبكي نائب صفد ، والأمير عزّ الدين طغطاي ، والأمير بزلار ، والأمير عرار . فنمى الخبر إليهم فاْحترزوا على أنفسهم . ولحق بكتمر السلاح دار بالأمير قبجق نائب دمشق ومعه عدّة من الأمراء ، وكان من خبرهم ما ذُكر في ترجمة قبجق[2].

وفي أثناء ذلك قتل السلطان لاجين ونائبُه الأمير منكوتمر في ليلة الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستّمائة . فقدم الخبر بذلك إلى دمشق في تاسع عشره . فقبض على حمدان وسجن ثمّ حُمل مقيّداً إلى القاهرة هو والأمير سيف الدين كجكن المنصوري في شهر رمضان .

فأعيد حمدان إلى صفد فكان آخر العهد به .

(1) الترجمة ناقصة من بدايتها . ولا يسمح عرض المقريزي في السلوك 1 / 852 (سنة 698) بتعويض النقص . وهو فيه حمدان بالحاء ، مع أنه ورد في المخطوط بين جلاح وجناب . وهو حمدان كذلك في الخطط 4 / 281 حيث يذكر المقريزي تجهيز منكوتمر له إلى حلب للقبض على الأمراء حتى يخلو له الجوّ بمصر .

(2) ترجمة قبجق مفقودة مع حرف القاف .

1092 – جميل بثينة [– 82][1]

جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن خيبر بن ظبيان بن حُنَّ بن ربيعة ابن حرام بن ضنّة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد [وهو] هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، أبو عمرو ، الحُنِّيّ ، العذريّ ، أحد الشعراء المشهورين ، يعدّ في الطبقة السادسة من شعراء الإسلام ويعرف بجميل بن معمر صاحب بثينة .

حدّث عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال : إنّ من الشعر لحكمة .

حكى عنه محمد بن راشد بن عمرو الحبطي ، وكثير بن أبي جمعة[2] الشاعر . ووفد على الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز .

وقدم مصر وحضرته الوفاة بها فقال وقد ذكر بثينة [كامل] :

صدع النعيّ فؤادها بجميل   وثوى بمصر ثواءَ غيرِ قُفول

فبلغ ذلك بثينة فقالت [طويل] :

وإنّ سلوّي عن جميل لساعةٌ   من الدهر ما جاءت ولا حان حَيْنُها
سواءٌ علينا يا جميلُ بنَ معمرٍ   إذا متَّ ، بأساءُ الحياة ولينُها

وكان مع الوليد بن عبد الملك في سفر ، والوليد على نجيب . فرَجز به [مكين العذريّ] فقال :

يا بكر هل تعلم مَن علاكا ؟   خليفةُ الله على ذُراكا

---

(1) وفيات 1 / 366 (142) – خزانة الأدب 1 / 191 – الأغاني 8 / 90 – الوافي 11 / 182 (271) – مختصر ابن عساكر 6 / 112 وهو فيه : ... بن معمر بن صباح ، ولا ذكر الجدّ له يدعى خيبر في غير المقفّى . وتاريخ وفاته في تاريخ دمشق والوفيات .

(2) هو كثيّر عزّة ، وأبو جمعة كنية جدّه .

فقال الوليد [لجميل] : انزل فأرجز ! – وظنّه يمدحه . فنزل فقال :

أنا جميل في السنام من معدّ   في الذروة العلياء والركن الأشدّ

فقال له : آركب لا حملكِ الله !

ولم يمدح جميل أحداً قطُّ .

1093 – جناب الرعينيّ نائب أمير مصر [– 83][1]

[304 ب] جناب بن مرثد بن زين الرعينيّ / أبو هانىء .

شهد فتح مصر . وحدّث عن معاذ بن جبل ، وكان ممّن بايعه لمّا بعثه النبيّ ﷺ إلى اليمن .

وحدّث عنه بكر بن سوادة .

ولّاه عبد العزيز بن مروان أمير مصر على الحرس والخيل والأعوان وضمّ إليه ثلاثمائة من الأمداد .

وكان إذا أغلظ [أحدٌ] لعبد العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه فضربوه وحبسوه فآشتدّ به سلطان عبد العزيز . فلمّا نزل حلوان وسكنها ، جعل جناب على الحرس والشرط والأعوان . ثمّ استخلفه في سنة أربع وسبعين على الإسكندريّة ولم يعزله عن الحرس والأعوان ، ولكنّه استخلفه عليهما حتى قدم من الوفادة إلى أخيه عبد الملك بن مروان .

فلمّا قدم الصريخ إلى الفسطاط بنزول الروم الإسكندريّة نهض جناب في رعين على مقدّمة عبد العزيز فلقي الروم ، وفيهم عدد ، فحملَته الشجاعة على الإقدام عليهم ، فقاتلَهم فقُتل في عدد من رعين . ثمّ أتى عبد العزيز في عظم

---

(1) الكنديّ ، 49 .

الناس فقاتل الرومَ وهزمَهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وذلك في سنة ثلاث وثمانين على الصحيح .

وجَناب بجيم مفتوحة بعدها نون وفي آخره باء موحّدة من تحتها . كذا ضبطه ابن ماكولا .

1094 – جنادة بن أبي أميّة الأزديّ [– 80][1]

جنادة بن أبي أميّة – واسمه كبير ، وقيل : مالك – الأزديّ ثمّ الزهرانيّ – وقال فيه أبو حاتم : الدوسيّ . وإذا صحّ فيه الدوسيّ فهو من زهران بن كعب . وإذا صحّ فيه الأزديّ فهو من زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وهو قبيل عظيم فيه بطون وأفخاذ .

وكان من صغار الصحابة ، روى عن النبيّ ﷺ ، وروى عن معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وابن عمر . شهد فتح مصر ، وولي البحرَ من أيّام عثمان بن عفّان إلى أيّام يزيد بن معاوية إلّا ما كان من زمن الفتنة .

وروى عنه أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني ، وأبو قبيل المعافري ، وشتيم ابن يسان ، ويزيد بن صبح ، والحرث بن يزيد الحضرميّ .

وتوفّي بالشام سنة ثمانين .

1095 – جُنادة الأزديّ الهرويّ اللغويّ [– 399][2]

جُنادة بن محمّد ، الأزديّ ، الهرويّ ، اللغويّ .

---

(1) أسد الغابة 1 / 353 (789) .

(2) وفيات 1 / 372 (143) – الوافي 11 / 192 (284) وكنيتُه فيها : أبو أسامة . وكذلك في بغية الوعاة 213 وقد ذكر السيوطي قصّته مع الصاحب .

كان مكثراً من حفظ اللغة ونقلها ، عارفاً بحوشيِّها ومستعمَلها .

حضر مجلس الصاحب إسماعيل بن عبَّاد بشيراز ، وهو شعث الزيّ ذو أطمار رثّة وسخة ، فجلس قريباً من الصاحب ، وكان مشغولاً . فلمّا بصر به قطّب وقال : قم يا كلب من هٰهنا !

فقال له جنادة : الكلب هو الذي لا يعرف للكلب ثلاثمائة اسم .

فمدَّ عند ذلك الصاحب [يده وقال : قُم إلى هٰهنا ، فما يجب أن يكون مكانك][1] حيث جلست ، ورفعه إلى جانبه .

وقدم مصر وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد [المصري] وأبا علي الحسن بن سليمَان المقرىء النحويّ الأنطاكيّ[2] ، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة وتجري بينهم مذاكرات ومباحثات . فتنكّر الحاكم بأمر الله أبو علي منصور عليهم وقتل جنادة وأبا علي المذكور في ثالث عشر ذي الحجّة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة . واستتر عبد الغنيّ .

1096 – جنيّ الصفوانيّ [– بعد 312][3]

جنيّ الصفوانيّ الخادم [...] .

[...] ودخل بلاد الروم في سنة ستّ وثلاثمائة فخرّب ونهب وأحرق

(1) الزيادة من البغية .

(2) أبو الحسن علي في الوفيات والوافي . وفي غاية النهاية 1/ 215 (982) ترجمة مقرىء قتله الحاكم سنة 399 واسمه الحسن بن سليمان بن الخير الأنطاكيّ النافعيّ . وعليه فرواية المقريزيّ هي الصحيحة ، وقد تأكّدت في الاتّعاظ 2/ 80 .

(3) الكندي ، 277 . النجوم ، 3/ 196 – العيون والحدائق ، 228 ، وفيها أنّ القرامطة أسروه سنة 312 – التنبيه والإشراف ، 331 ، وزاد بعد اسمه : مولى ابن صفوان العقيليّ – صلة تاريخ الطبريّ لعريب ، 107 وفيها ذِكرُ أسره . وفي ص 65 قال عريب إنّ جنيّاً تقلّد ديار مُضَر من قِبل المقتدر بعد وصيف البكتمريّ فضبطها .

وفتح ، وعاد . فقرئت الكتب على المنابر ببغداد .

وقدم إلى مصر مدداً لتكين على قتال أبي القاسم ابن المهديّ عبيد الله صاحب إفريقيّة ، سلخ ذي الحجّة سنة ثمان وثلاثمائة ، ومعه عسكر من بغداد . فعسكر بالجيزة . وجعله مؤنس المظفّر على مقدّمته عند مسيره إلى الفيّوم . فلمّا مضى مؤنس إلى العراق خرج جنيّ أيضاً من مصر في الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة .

1097 - جنكلي بن البابا [- 746][1]

جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله ، العجليّ ، الأمير بدر الدين ، ويرجع نسبه إلى إبراهيم بن أدهم .

كان مقامه بالقرب من آمد ، فخطبه الملك الأشرف خليل بن قلاوون ورغّبه في القدوم إلى مصر ، فلم يوافق على القدوم حتى يرى منشور الإقطاع ، فكتب له منشور بإقطاع جيّد وجهّز إليه فلم يُهَيَّأ له ذلك .

وكان تحت إيالة المغل ملوك بغداد ، ويلي عنهم / رأس عين من قِبل [305أ] غازان . فلمّا مات غازان في سنة ثلاث وسبعمائة أحبّ القدومَ إلى مصر وكتب يستأذنُ في ذلك فأجيب بالإذن والشكر ، ووفَد بكلّ خيرٍ وكُتب إلى الأمراء نوّاب الشام بتلقّيه وإكرامه وتعظيم قدره . فركب بمَن معه من ألزامه وأقاربه وأمواله ، ونزل على الفرات ، فتلقّاه نوّاب بهسنا وكَختْا وكركر[2] وغيرها ، وقاموا بخدمته حتّى قرب من حلب ، فتلقّاه نائبُها ، وقام بواجبه ، وجهّزه إلى

---

(1) الوافي 11 / 199 (296) - السلوك 2 / 698 - النجوم 10 / 143 .

(2) بَهَسْنَا : قال ياقوت : قلعة بقرب مرعش وسميساط ، هي اليوم من أعمال حلب . وكختا لم يذكرها ياقوت ، وفي السلوك 1 / 714 هامش 4 : قلعة في شرقي ملطية . وحصن كركر يقع بين ملطية وآمد (السلوك 1 / 714 هامش 1) وكذلك قال ياقوت .

دمشق ، فتلقّاه أيضاً نائبها ، وسيّره إلى مصر . فخرج إليه الأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء ، ولقُوه بقبّة النصر خارج القاهرة في ثالث ذي الحجّة منها ، وصعدوا به إلى قلعة الجبل . فقبّل الأرض بين يديّ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فاستدناه وسأله عن أحواله ، وأنزله بالقلعة ، وأنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف على إقطاع الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهريّ بحكم انتقاله إلى إمرة بصفد . وأعطى زيادة مائة ألف درهم . وأنعم على أمير عليّ – من ألزامه – بإمرة عشرة ، وعلى نوروز ابن أخيه بإمرة مائة . وأهدى الأُمراء إليه هدايا سنيّة . وٱستمرّ من أكبر أمراء مصر .

وقدمت عليه أخته في سنة ٱثنتين وعشرين وسبعمائة فماتت بدمشق قبل رؤيته .

وكان السلطان يعظّم قدره ويكرمُه ويبعث إليه الذهب مع الأمير بكتمر الساقي ومع غيره ، ويرسل إليه بأن : لا تبوس الأرض على هٰذا المبلغ ولا تنزله في ديوانك – يريد بذلك إخْفَاءَ ما يرسله إليه . وكان يجلس ثانيَ نائب الكرك ، فلمّا خرج إلى طرابلس جلس جنكلي رأس الميمنة ، حتّى مات يوم الاثنين ثامن عشرين ربيع الآخر سنة ستّ وأربعين وسبعمائة .

وكان من الحشمة والعقل والسكون ، والدين الوافر ، وعفّة الفَرْج ، في غاية .

وكان يعرف من الفقه ربع العبادات ، وٱختلاف الأئمّة في ذلك . وكان ركناً من أركان الإسلام في نفع أهل العلم والدين بمَالِه وجاهِه . وأنفق في حركة الناصر أحمد في توجّهه إليه بالكرك وإحضاره إيّاه منها حتّى تسلطن ، وما قدّمه له في سلطنته ، وما تكلّفه في توجّهه لمحاربته بالكرك ، مبلغ ألف ألف وأربعمائة ألف درهم فضّة ، منها نحو سبعين ألف دينار .

وكان له ولدان ، أحدهما ناصر الدين محمد ، وقد مرّ ذكره في

المحمّدين[1] . والآخر شهاب الدين أحمد .

وما زال في رقيّ وازدياد منذ قدم حتّى مات – رحمه الله .

ومن فضائله أنّه كان يتصدّق في كلّ سنة بعد إخراج الزكاة الواجبة عليه بثمانية آلاف[2] إردبّ من القمح ، وثمانين ألف درهم من الفضّة ، منها[3] نحو أربعة آلاف دينار .

1098 – جوّاز الضبيّ رأس الخوارج[4]

جوّاز – ويقال جوّاب – الضّبّيّ ، أحد رؤساء الخوارج .

كان مع عبد الله بن الزبير حتّى قتله الحجّاج بن يوسف ، فهرب ولم يزل هارباً حتّى ضاقت عليه الأرض . وقدم الشام فنزل على عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وكانوا يضيفون مَن لا يعرفون .

فكتب الحجّاج إلى عبد الملك [بن مروان] كتاباً ذكر فيه الخلافة والطاعة فعظّم أمر الخلافة وقدرها والطاعة ، وزعم أنّها قامت السماوات والأرض بهما ، وأنّ الخليفة أعظم عند الله منزلة من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين ، لأنّه خليفة الله في الأرض وخيرتُه من خلقِه ، وذلك أنّ الله خلق آدم بيدِهِ ونفخ فيه

---

(1) هذه عبارة الصفديّ ، ومعروف أنّ الوافي يبدأ بتراجم المحمّدين ، وليس الأمر كذلك في المقفّى الذي حصل بين أيدينا . فالمقريزي نقل عن الصفديّ دون أن يتنبّه إلى مسألة الترتيب . أو لعلّه كان في نيّته أنّ يبدأ بالمحمّدين هو أيضاً ؟ ولكن سبق له أن قال في رأس مخطوط السليميّة : ونفتتح بإبراهيم الخليل تبرّكا به .ومحمّد بن جنكلي تأتي ترجمته في المقفّى برقم 2004 ، وقد توفّي قبل أبيه سنة 742 .

(2) في المخطوط : ثمانية ألف . والإصلاح من السلوك 2 / 696 .

(3) في المخطوط : عنها .

(4) لم نجد له ترجمة في المصادر المعروفة . وذكره الجاحظ (الحيوان 3 / 412) عَرَضاً عندما تعرّض إلى التقيّة كما فهمها قاتلُه صالح بن عبد الرحمان . وهو عنده « جوّاب الخارجيّ » .

من روحه وأسكنه الأرض فجعله خليفتَه ، ثمّ جعل ملائكةً رسلاً إليه ، وإنّما الرسل من الله إلى الخليقة .

فآزدهى ذلك عبد الملك وقال : وددت أنّ عندي بعضَ الخوارج أُخاصمه بهٰذا الكتاب . فآنصرف جلساؤه إلى منازلهم . فقال عبد الله بن يزيد : إنّ أمير المؤمنين أتاه كتاب الحجّاج بكذى وكذى وقال كذى .

فقال له جوّاز : أتثق به ؟

قال : نعم .

[305 ب] قال : تَوَثَّقْ منه ثمّ أعلِمني / .

فراح عبد الله فذكر لعبد الملك عن جوّاز قوله . قال : أحضره !

فأتى عبدُ الله فذكر ذلك لجوّاز . فأصبح جوّاز فآغتسل ولبس ثوبين أبيضَين وتحنّط ، ثمّ جاء إلى باب عبد الملك . ودخل عبد الله فآستأذن عليه فأذن له ، فدخل[1] بسمت وسكون فسلّم ثمّ جلس .

فقال عبد الملك : يا غلام ، أئت بكتاب الحجّاج !

فأتي به . فقال : آقرأ !

فقرأ حتى فرغ . فقال جوّاز : أراه قد جعلك في موضع ملكاً ، وفي موضع نبيًّا ، وفي موضع خليفةً . فإن كنتَ ملَكاً ، فحدِّثنا : متى نزلتَ ؟ وإن كنتَ نبيًّا فحدّثنا : من آستنبأك ؟ وإن كنت خليفةً ، فأخبرنا مَن آستخلفك ؟ أعن ملإٍ من المسلمين ، أو ابتزازاً لأمورهم ؟

فقال أميّة بن عبد الله بن خالد القسريّ : يا أمير المؤمنين ، منهم والله !

قال جوّاز لأميّة : لو كنتُ منهم عرفتَني يوم أبى فديك[2] .

---

(1) المستأذِن هو الأمويّ والداخل هو جوّاز .

(2) ينبزه بهزيمته أمام أبي فديك (عبد الله بن ثور) الخارجي في البحرين سنة 72 – الطبريّ ، 6/ 174 .

فقال عبد الملك : قد أعطيناك عهداً وموثقاً ، ولا سبيل إلى قتلك . والله لا تُسَاكِنّني في بلدٍ أبداً ، فالحق بحيث شئتَ وٱنزل من الأرض حيث أحببتَ !

قال : فإنّي أختار مصر .

فنزل مصر . وكان يرى رأي الصفريّة . فلمّا مات عبد الملك ، كتب الحجّاج إلى الوليد بن عبد الملك أنّ ذمّةَ عبد الملك أمير المؤمنين قد وفت ، ولا أمان لعدوّ الله جوّاز الضبيّ . فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث به إليّ فليفعل !

فكتب الوليد إلى قرّة بن شريك العبسيّ ، وكان عامله على مصر أن ٱبعث إليّ بجوّاز الضبيّ .

فبعث به إليه . فلمّا رآه قال : ٱنطلقا به إلى الحجّاج !

قال : إنّي في أمان أبيك ، وأنا في ذمّته .

قال : لا بدّ من الحجّاج !

قال : مثلك والله أخْفَرَ[1] أباه وٱستهان بذمّته .

فلمّا قُدم به على الحجّاج ، قال : جوّاز ؟

قال : نعم .

قال : أبلغ من أمرك أن تردّ على أمير المؤمنين ؟

قال : ﴿ ٱقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِي هٰذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (طه ، 72) .

فقال الحجّاج لصالح بن عبد الرحمان : قم فٱضرب عنقَه .

فمشى إليه فضرب عنقه خوفاً من الحجّاج . وكان يستغفر الله من ذلك وذلك أنّ صالحاً كان يرى رأي الخوارج ، وكان يزيد ابن أبي مسلم مولى

(1) خَفَر العهد وأخفره : وفى به أو نقضه (من الأضداد) .

الحجّاج يُعاديه . فلمّا جيءَ بجوّاز أراد يزيدُ مكايدةَ صالح وأشار بأن يتولّى قتل جوّاز . فإن فعل ٱغتالَتْه الخوارج ، وإن أبى قتله الحجّاج . فقال الحجّاج : قم إليه فٱضرب عنقَه !

قال صالح : لمّا دعوت بالسيف أردتُ أن أطرحَه فخفتُ أن يَسْبِيَ الحجّاج بناتي . ووالله ما دعاني إلى قتله رغبةٌ في الحياة ، ولكن خفتُ عليهنّ .

ومشى صالح فقتله . ثمّ لم يزل خائفاً من الخوارج حتّى عذّبه عمر بن هبيرة في زمن يزيد بن عبد الملك ، ثمّ طُرِح على مزبلة على باب العذاب . وبه رمق . فسُمع على المزبلة وهو يقول : لا حكم إلّا لله ! ٱستغفر الله من قتلِ جوّاز . اللهمّ ٱغفر لي ولا أراك تفعل !

1099 – هزار الملوك الأمير جوامرد [– 524][1]

جوامرد ، الأمير الأفضل ، هزار الملوك .

كان هو والعادل برغش أخصّ غلمان الخليفة الآمر بأحكام الله أبي عليّ المنصور [ابن المستعلي] حتى إنّه وهب لهما في يوم واحد مائتَي ألف دينار عيناً .

ثمّ إنّ الآمر ردّ الأمر إلى جوامرد قبل قتله بقليل . فتحدّث في المظالم ، ونظر في أحوال الجند ، وصار كأنّه في شيءٍ من أمر الوزارة ، وطمِع في الوزارة .

فلمّا قُتل الآمر أشاع أنّه عهد أن يكون ٱبن عمّه أبو الميمون عبد المجيد [العسقلاني][2] كفيلاً لِحَمل في بطن بعض جواريه . وعضدَه رفيقه برغش حتّى قاما بأمر أبي الميمون وأجلساه كفيلاً ، ونُعت بالحافظ لدين الله . وبايعَه

---

(1) خبر جوامرد وبرغش في الاتّعاظ 3 / 137 ، والنجوم 5 / 241 .

(2) ولد عبد المجيد بعسقلان في المحرّم 507فكان يقال له العسقلانيّ (اتّعاظ ، 3 / 137) .

الناسُ يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وخلع على جوامرد خلع الوزارة .

وٱشمأزّت نفسه من الأمير السعيد أبي الفتح يانس متولّي الباب وأراد القبض عليه . فغمز[هُ] برغش وأومأ إليه بالخروج من القصر، وكان ذلك سبباً لسلامته[1] .

وعندما دُفن الآمر كثر[2] الجند إلى القصر ، وقد داخل برغش الحسَدُ لجوامرد على الوزارة وشقّ عليه تقدّمُه ، [فـ]ـتحيّل / حتى أخرج أبا[عليّ] كتيفات [306 أ] أحمد ، ٱبن الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي من القصر إلى الأجناد . فعندما رأوه تعلّقوا به وقالوا : ما يكون الوزير إلّا ٱبن الأفضل ! — وقاموا بدعوته ، ونصبوا السلالم إلى المنظرة ، وصعد إليها الأمير [...][3] ابن شاهنشاه ، وقال للأستاذين : يا قوم ، هٰذه فتنة ما يسواها[4] هٰذا الذي خلعتم عليه ، ويحصل من ذلك على الخليفة من العوامّ[5] وسوء أدب جهّال العسكر ما لا يُتلافَى . وما هٰذا منّي والله إلّا نصيحة لمولانا ، فإنّني قد علمت من رأي القوم ما لا علمتُم . أخبروا مولانا عنّي بهٰذا .

فلمّا بلغه ذلك قال لجوامرد وهو بخِلَع الوزارة بين يديه : ها أنت تسمع ما يقال .

فقال : يا مولانا ، أنا في محلّك ، ووزارتي بوصيّة خليفة قبلك ، فأتركني أخرج لهٰؤلاء الفعلة الصنعة !

---

(1) الضمائر هنا ملتبسة والتعبير غامض . والرواية أكثر وضوحاً في الاتّعاظ .
(2) في المخطوط : تكثر . وفي الاتّعاظ 3 / 137 : اجتمع بين القصرَين خمسة آلاف فارس وراجل ، وعليهم رضوان بن ولخشي أحد الأمراء أرباب الشجاعة .
(3) في الاتّعاظ : وأطلقوا على المنظرة أميرا يقال له ابن شاهنشاه ، ولعلّه اخٌ لكتيفات .
(4) هكذا في المخطوط ، ولعلّه تعبير عامّيّ بمعنى : لا يستحقّها .
(5) في المخطوط : من الغرامة . وأخذنا بقراءة ناشر الاتّعاظ 3 / 138 .

فقال له الحافظ : لا سبيل إلى فتح باب القصر في مثل هٰذا الوقت ، وقد فعلنا في أمرك ما رتّب لك ، وهٰذه الخلع عليك . ولكن قد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه : لا رأيَ لمَن لا يُطاع .

وٱشتدّ الأمر وعظم تموير[1] العسكر فقيل لٱبن شاهنشاه : « قد أُجبتُم إلى وزارة أبي عليّ » . فلمّا بلغ ذلك لرضوان[2] وأصحابه قالوا: قل له يسلّم لنا جوامرد !

فٱمتنع الحافظ من تسليمه حتى تكاثروا على سور القصر وعزمُوا على ما لا يجمل ، فقال حينئذ لجوامرد : قم احتجب في مكان عسى ندبّر قضيّتك بأمر نصرف به هٰذا الجمع .

فنزعت عنه الخِلع وأحيط به ، وأخذ إلى موضع قتل فيه سرًّا وألقيت رأسُه إلى القوم فطيف بها . وولي أبو علي ابن الأفضل الوزارة .

فكانت وزارة جوامرد نصفَ يوم بغير تصرّف .

1100 – جوّاس بن القعطل[3]

وٱسم القعطل ثابت بن سويد بن الحارث ، وهو الحرشاء بن حصن بن ضمضم بن عديّ بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن ويرة بن ثعلب بن حلوان ٱبن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، أبو [...] .

---

(1) في المخطوط : غوير . وقرأها ناشر الاتّعاظ (هامش1) : تموير وشرحها بالاضطراب والتحرّك .

(2) رضوان بن ولخشي . ولم ينتبه المقريزيّ إلى أنّه لم يذكره فيما سبق ، كأنّه يعتمد على روايته في الاتّعاظ .

(3) ذكر في الحيوان 3/ 509 ، والأغاني 19/ 142 والطبريّ 5/ 542 .

شاعر قدم على عبد العزيز بن مروان . ومن شعره يخاطب عوانة بن النعمان آبن عروة بن قنافة بن عديّ (وافر)[1] :

فإن يُدبِرْ عوانةُ غيرَ راضٍ فإنّي في مودّته زهيد
ستَعلمُ يا عوانُ إذا التقينَا مَن الأَثْرونَ والحيُّ العديدُ !

1101 – جُوبان المنصوري [– 728][2]

كان من أكابر الأمراء بدمشق في دولة المنصور قلاوون . وبنى له تُربَةً بالمزّة ، وكان كثير المال جدًّا .

مات في صفر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

1102 – جوهر الصقلّيّ [312 – 381][3]

جوهر بن عبد الله ، القائد أبو الحسـ[ـيـ]ـن ، الصقلبيّ ، الروميّ ،

(1) لم نجد هذين البيتين في مراجعنا .
(2) السلوك 2 / 304 – النجوم 9 / 274 .
(3) ترجم لهذا القائد الفاطميّ الكبير ابن خلّكان 1 / 375 (رقم 145) والداعي إدريس في عيون الأخبار ، 604 ، واستعرض بالتفصيل فتحه لمصر ، 663 وألّف علي إبراهيم حسن كتاباً بعنوان « تاريخ جوهر الصقلّي » (القاهرة ، 1933) ولكنه لا يغني في معرفة حياة جوهر قبل فتح مصر . وترجم له حسين مؤنس في دائرة المعارف الإسلاميّة ، وذكره فرحات الدشراوي في رسالته « الخلافة الفاطميّة بالمغرب » مفصّلاً أحداث حملتَيْه المغربيّة والمصريّة (ص 222 وص 250) ومخصّصاً فقرة طويلة (ص 367) للخُدّام الصقالبة .
وجوهر صقليّ الأصل كما يظهر من ترجمة المقفّى هنا ؟ وكما أثبتَه إ. هربك Hrbek في دراسة بالألمانيّة عن دور الصقالبة في الدولة الفاطميّة (نقلاً عن ماريوس كانار في ترجمته لسيرة جوذر ، الهامش 12 ص 46) . والصقالبة عبيد مجتلبون من أوروبا الوسطى ، لا من صقلّية بالضرورة ، خلافاً لمَا توهم به عبارة « جوهر الصقلّي » أو « جوهر الروميّ » أي =

الكاتب ، مولى المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ .

ولد في سنة اثنتي عشرة و ثلاثمائة و صار إلى ملك غلامٍ لهم يقال له صابر . ثمَّ انتقل إلى خادم لهم يقال له خيران ، ثمَّ إلى خادم يقال له خفيف[1] . فأهداه خفيف إلى الإمام المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل ، فنحَلَه.[2] ابنه الإمام المعزّ لدين الله وهو صغير فربَّاه حتّى بلغ مبالغ الرجال في خدمته وكنَّاه بأبي الحسين ورقّاه في الخدم إلى أن قام في الخلافة بعد أبيه[3] .

و[لمّا] كانت [سنَة] خمس وأربعين وثلاثمائة ارتفع أمر جوهر وصار إلى رتبة الوزارة .

ثمّ أخرجه المعزّ في يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة سبع وأربعين [وثلاثمائة] على عسكر عظيم بالعدَّة والقوَّة ليتوجَّه به إلى المغرب . وكتب له أن

= البيزنطي (وانظر رسالتنا عن ابن هانىء ص 88) .
وترجمة المقريزي تفيدنا بسنة ميلاده : 312 ، ولكنّها لا تذكر أين ولد ؟ ولا ممّن ولد ؟ وتفيدنا أنّه لم يكن خصيًّا ، فقد أنجب ابنين على الأقلّ : الحسين وجعفر .
وتعطينا بالخصوص صورة أمينة من حسن تدبير هذا القائد الفاتح ، ورفقه بالخصوم في المذهب ، وحنكته السياسيّة ، مع الوفاء المطلق للدولة وللدعوة ، وتواضعه الكبير ، ممّا يفسّر العطف الخاصّ الذي يكنّه له المؤرّخون المصريّون ، والمقريزي منهم ، وقبله القضاعي والكندي وغيرهم .

(1) خفيف الخادم ، « خفيف الصقلبيّ صاحب الستر» (اتعاظ 140) و« خفيف الشمّاس » (ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، 41) ، وقد عاش على الأقلّ حتى سنة 358 إذ كلَّفه المعزّ بجمع المال من كتامة استعداداً للحملة المصريّة (اتعاظ ، 140) .

(2) الكلمة مطموسة ، والقراءة ظنّية .

(3) النصّ مضطرب ، ولا يمكن أن يربّي المعزّ جوهراً وهو يصغره بخمس سنوات أو سبع (فقد ولد المعزّ سنة 317 أو 319) . ولعلَّ النقل مبتور ، إذا ما قارنّاه بنصّ الداعي إدريس ، عيون الأخبار ، 604 : « وحمله خفيف إلى المنصور فعلا ذكره معه وسايره في غزواته ، وكان كاتبه وكاتب المعزّ ... » ولعلّ الترجمة منقولة عن تاريخ القاضي القضاعي الموسوم بـ« أخبار الخلائف » .

يأخذ من كلّ كورة مرّ عليها عدداً معلوماً . وكتب إلى جعفر بن علي الأندلسي وزيري بن مناد الصنهاجيّ ويعلى بن محمَّد الزناتيّ أن يخرجوا معه بعساكرهم . فخرجوا معه حتَّى وصلوا إلى تاهرت، فتلقَّاه يعلى بن محمّد الزناتي وكان صاحب المغرب ، وأكرمه وقام له بالوظائف، والعلف أيَّاماً ، غير أنَّ أهل مَدينة إفكان كانوا إذا باعوا أهل عسكر جوهر شتموهم واستخفُّوا بهم ومع / ذلك فكان يعلى [306 ب] لم يسارع بالمسير مع جوهر . فلمَّا رحل جوهر بعساكره من عند يعلى ، مشى يعلى ليشيِّعَه . فسار جوهر ، وأخذ العسكر في رفع أثقالهم إذ سمع صياحاً عظيمًا . فقال : ما هٰذا ؟

فقيل له : أصحاب يعلى قد ضربوا على ساقه العسكر وقد شغبوا .

فقال يعلى : أنا أمضي لأفرِّقهم .

فمنعه جوهر من المضيّ وزاد الصياح . فأمر جوهر بيعلى فأُرجل عن فرسه وأركب على بغلة . ثمَّ زاد الأمر فأمر جوهر بيعلى فأنزل عن البغلة ومشى بين يديه راجلاً ، فاشتدَّ الأمر ونُهِبَتْ الزوامل[1] فأتى أبو طاعة بن يصل الكتاميّ إلى جوهر وقال : « السيفُ يعمل في عسكرنا وهٰذا حيّ ! » فجرّد سيفه فضرب يعلى [فـ]أطار رأسَه ورفعها على قناة وحملها إلى موضع القتال . فلمّا رآها أصحابُه انهزمُوا فمال عليهم العسكر حتّى بلغوا بهم إلى إفكان والسيفُ يعمل فيهم فدخلوا إفكان بالسيف فقتل أكثر أهلها ونُهب كلّ ما فيها ، وأسِر يدّو بن يعلى ، ثمَّ هدمت إفكان ، وحرقت بالنار ، وذلك كلّه يوم الاثنين[2] الثاني من جمادى الأولى [347] .

ودخل جوهر حتَّى انتهى إلى فاس وبها أحمد بن بكير فامتنع من جوهر

---

(1) الزاملة هي الناقة أو كلّ دابّة يحمل عليها .

(2) أسماء الأيّام لا توافق تواريخها من سنة 347 ، بل توافق سنة 348 ، ولكننا نأخذ بتاريخ 347 الذي ذكره ابن عذاري ، 1 / 222 ، وكذلك ابن خلدون ، 4 / 46 .

وقاتله مدَّة ، فلم يقدر عليه جوهر ورحل عن فاس إلى سجلماسة . فلمّا قرب منها فرَّ عنه محمّد بن الفتح الملقَّب بالشاكر لله أمير المؤمنين ، وكان قد تغلّب عليها سِتَّ عشرة سنة . ثمَّ أُخِذَ أسيراً وحمل إلى جوهر في يوم الأربعاء لثمانٍ خلون من رجب [347] بغير حرب . فمضى جوهر إلى البحر المحيط ، وأمَرَ أن يُصطاد له مِن حيتانِهِ ، وجعلها في قُلّة فيها ماء . وكتب إلى المعزّ كتاباً وجعل في طيّه من ضَريع البحر المحيط وبعث بذلك إليه ، يشير أنَّه انتهى إلى البحرْ المحيط .

ثمَّ عاد إلى فاس[1] بعد أن ملك تلك البلاد كلّها ، فنزل عليها وقاتل أهلها مدَّةً قتالاً طويلاً حتَّى يئِسَ منها . ثمَّ جدَّ فيها إلى أن ملكها ونهب عسكره ما فيها ، وسبوا ذراريّها . وأخذ أحمد بن بكير[2] وقيَّده وجعله مع محمد بن الفتح أمير سجلماسة ، وذلك لعشر بقين من رمضان [348] .

وعمل قفصَين من خشب سجن فيهما المذكورَين . وقفل إلى إفريقيّة بعدما فتح الفتوح وأراح البلدان إلى البحر المحيط . ولم يتعرَّض لسبته وكانت بيد بني أميّة .

فلمّا قدم تاهرت ولَّى عليها زيري بن مناد وضمَّها إلى يده فقوِي أمره . وتركه بها ، وسار إلى المسيلة فترك عليها عاملَها جعفر بن عليّ الأندلسيّ ، وردَّ كلّ قوم إلى مواضعهم .

ووصل إلى المنصوريَّة ومعه أحمد بن بكير أمير فاس ، ومحمد بن الفتح الشاكر لله أمير سجلماسة ، ويدّو بن يعلى بن محمد الزناتي أمير تاهرت ، وكثير من الأسرى في يوم الجمعة لاثنتي عشرة بقيت من شوَّال .

ثم أخرجه المعزّ في سنة سبع وخمسين [وثلاثمائة] لإصلاح المغرب في

---

(1) في العام الموالي ، أي سنة 348 .

(2) عند ابن عذارى 1 / 214 ، وابن خلدون 4 / 47 : أحمد بن بكر [بن سهل الجذاميّ] .

عسكر عظيم ، وليحشد كتامة الذين ينهض بهم إلى المشرق ، ويجبي من البربر خمسمائة ألف دينار ، فدوّخ المغرب .

وقدم يوم الأحد لثلاث بقين من المحرَّم سنة ثمان وخمسين [وثلاثمائة] بعساكر عظيمة من كتامة والمجند[1] والبربر فأقام خارج المنصوريّة ليجتمع إليه الحشود والعساكر . وفتح المعزّ بيت المال ، وأعطى الأموال من ألف دينار إلى عشرين ديناراً . ثمَّ رحل في يوم السبت لأربع عشرة مضت من ربيع الأوّل [358] بالعساكر ، ومعه زيادة على مائة ألف فارس ، وبين يديه أكثر من ألف ومائتي صندوق فيها المال . فنزل برقّادة وخرج إليـ[ـه] المعزّ وخلا به . وأطلق يده ليتصرَّف في بيوت أمواله كيفَ شاء ، ويأخذ منها ، زيادة على ما معه ، ما أحبّ واختار . فقال المعزّ ، وجوهر قائم بين يديه ، والعساكر مجتمعة : والله [لو] خرج جوهر هٰذا وحده بسوطه لفَتَحَ مصر . وليدخُلَنَّ مصر بالأردية من غير حرب ، ولينزلنّ في خرابات ابن طولون . وتبنى مدينة تسمَّى القاهرة تقهر الدنيا !

وأمر المعزّ أولاده وإخوتَه وسائر الأولياء وعبيدَ الدولة أن يمشُوا بين يدي جوهر وهو راكب . وكتب / إلى جميع من يمرّ عليه جوهر من العمّال يأمرهم ، [307 أ] إذا قدم عليهم ، أن يترجّلُوا إليه عند لقائه ويمشُوا في خدمته .

ثم تقدّم إلى جوهر بالمسير ، فرفع من مناخه ، والمعزّ واقف ، ثمّ أكبّ على جوهر وقد ركب فرسَه فسارّه طويلاً ، ثمّ التفت إلى الأمراء أولاده وإخوته فقال : « ودِّعوه ! » فنزلوا عن خيولهم ، ونزل بنزولهم كافّة الناس فودّعوه على قدر مراتبهم واحداً بعد واحدٍ . فلمّا فرِغوا من وداعه أقبل جوهر فقبَّل يد المعزّ وحافر فرسه . فقال له المعزّ : « اركب ! » فركب وسار ، والمعزّ يسايره طويلاً ، ثمّ وقف وقال له : « سر ! » فسار . ثم التفت والمعزّ قائم ، فأومأ إليه

(1) هكذا في المخطوط . ولعلّها : المجنّدة أو : والجند .

بكمّه أن ٱمضِ ! فحرّك جوهر [فرسه] يريد عسكره حتى لحق بهم ، ثمّ نزل منزله . وعاد المعزّ إلى منزله ، فنزع ثيابه وأنفذها كلّها إلى جوهر ، ما عدا السراويلَ والخاتمَ . وأنشد أبو القاسم محمد بن هانىء قصيدة بديعة في يوم رحيل جوهر ، وكان من أيّام الله العظيمة المهولة ، منها [طويل] :

رأيتُ بعيني فوقَ ما كنتُ أسمَعُ   وقد راعني يوم من الحشرِ أروع
غداةَ كأنّ الأفقَ سُدَّ بمثلِهِ   فعاد غروب إلشمس من حيثُ تطلع
فلم أدرِ إذ ودّعتُ كيفَ أوَدّعُ   ولم أدرِ إذْ شيّعتُ كيف أُشيِّعُ
ألا إنّ هٰذا حشدُ من لم يذُق له   غِرَار الكرى جفنٌ ولا بات يهجَعُ
إذا حلّ في أرض بناها مدائناً   وإن سار عن أرض ثَوَت وهي بلقَعُ
تحلّ بيوت المال حيث يحلّه   وجمّ العطايا والرواق المرفّعُ
وكبّرَتِ الفرسانُ لله إذْ بدَا   وظلّ السلاح المنتضَى يتقعقعُ
وعبّ عُباب الموكب الفخِم حولَه   وزفّ كما زفَّ الصباحُ الململّعُ
رحلتَ إلى الفسطاط أوّلَ رحلةٍ   بأيمنِ فألٍ بالذي أنتَ تجمَعُ
فإن يكُ في مصرٍ ظماءٌ لمورد   فقد جاءهُم نيلٌ سوى النيل يهمَعُ
ويمّمَهُم مَن لا يغارُ بنعمةٍ   فيسلبهم ، لكن يزيدُ فيوسع

وفي غد رحيل جوهر هرب من البربر خمسمائة فارس ، فخرج في طلبهم ففاتوه . فقال المعزّ : الله أكرمُ من أن ينصرنا بأراذل البربر ، وإنّي لأرجو أن يكون بزوالهم زوال النحس عن عسكرنا .

تحرّك جوهر إلى مصر

وأقام جوهر بمكانه إلى يوم الأحد لستّ بقين من شهر ربيع الأوّل [358] . ثمّ رحل بجميع العساكر في قوّة عظيمة ، ومعه من الأموال والسلاح والعدد والكراع ما لا يوصف كثرةً . فلم يزل سائراً حتّى وصل إلى

برقة . فٱفتدى منه أفلح الناشب الصقلبيّ متولّي برقة بخمسين ألفَ دينار يحملها إليه ويُعفيه من أن يمشيَ في ركابه ، فٱمتنع جوهر من قبول ذلك ، وأبى إلّا أن يمشيَ راجلاً بين يديه ، فلم يجد أفلح بدًّا من المشي لمّا لقيَه حتى نزل .

وأتت الأخبار إلى مصر في جمادى الآخرة [358] بمسير جوهر إليها . وكان في عامّة أرض مصر حينئذ من الشدّة والغلاء والوباء أمرٌ لَمْ يُعهدْ قبلَه مثلُه ، بحيث إنّه أحصِي من مات في أيّام يسيرة فكانوا ستّمائة ألف إنسان ، وكانُوا يُلقُون الغرباءَ في النيل ، وبلغ الفرّوج ديناراً والبيضةُ درهماً ، وبيع الإردبُّ[1] [من] القمح بثمانين ديناراً ، مع كثرةِ الفتن وتغلُّب كلّ أحدٍ من العمّال وغيرهم على ما يليه ، واختلاف أهل الدولة بمصر من الإخشيديّة والكافوريّة ، وكثرةِ تحاسدهم ، وعظم الخوف من هجوم القرامطة على مصر ، وكانوا قد انتشروا ببلاد الشام . فاختلّت من أجل هٰذا وشبهه الأحوالُ بديار مصر ، وٱتّضعَت أمور الناس ، وتغيّرت نيّاتُهم وساءت معاملاتهم / وفسدت أكثر أوضاعهم ، وشمل الخراب عامّة أرض مصر لموت أهلها ، وقلّة أموالها ، وتعذّر وجود الأقوات ، وكثرة الخوف . [307 ب]

وكان بمصر جماعة من دعاة المعزّ . فٱستمالوا[2] من القوّاد ووجوه الرعيّة ، وأنفذ إليهم المعزّ بنوداً ففرّقوها فيمَن استجاب لهم ، وأمرهم أن ينشروها إذا قَارَبَتْ عساكره مصر . فعندما قرب جوهر من أرض الإسكندريّة جمع الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن خنزابة الناس بداره من مصر ، واتّفقوا على مراسلة جوهر وأن يشترطوا عليه أن يقرّهم على ما بأيديهم من الضياع والأعمال التي يتولّوْنها . وشرط نحرير شويزان أن لا يجتمع مع جوهر . وأرسلوا إليه بذلك الشريفَ أبا جعفر مسلّم [بن عبيد الله الحسينيّ] والشريف أبا

(1) الإردبّ : كيل للحبوب مستعمل بمصر ويساوي 150 كيلوغراماً .

(2) في المخطوط : ثمّ استمالوا ...

إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسّيّ ، والقاضي أبا الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الذهليّ وأبا الطيّب العبّاس بن أحمد العبّاسيّ الهاشميّ في جماعة .

فبرزوا إلى الجيزة في يوم الاثنين ثامن عشر شهر رجب [358] وساروا فلقُوا جوهر في تروجة ، فوافقهم وأجابهم إلى ما التمَسُوه وكتب لهم كتاباً ، نصّه بعد البسملة :

عهد جوهر لأهل مصر

هٰذا كتاب جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعزّ لدين الله صلوات الله عليه لجماعة أهل مصر الساكنين بها ، من أهلها ومن غيرها : إنّه قد ورد مَن سألتموه الترسّلَ والاجتماع معي ، وهم :

أبو جعفر مسلّم الشريف ، أطال الله بقاءه ، وأبو إسماعيل الرسّيّ أيّده الله ، وأبو الطيّب الهاشميّ أيّده الله ، وأبو جعفر أحمد بن نصر أعزّه الله ، والقاضي أبو طاهر أعزّه الله .

وذكروا عنكم أنّكم التَمستُم كتاباً يشتمِل على أمانِكُم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم . فعرّفتهم ما تقدّم به أمر مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وحسنُ نظره إليكم ، فاحمدوا الله على ما أولاكم واشكروه على ما آتاكم ، وادأبوا فيمَا يلزمكم ، وسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة عليكم والعصمة الشاملة لكم :

وهو أنّه ، صلوات الله عليه ، لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة ، والجيوش المظفّرة ،إلّا لما فيه إعزازكم وحمايتُكم والجهاد عنكم ، وقد تخطَّفَتْكم الأيدي ، واستطال عليكم المشرك ، وأطمعَته نفسُه بالاقتدار على بلدكم في هٰذه السنة والتغلّب عليه ، وأسر مَن فيه ، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسَبَ ما

فعلَه في غيركم من أهل بلدان المشرق ، وتأكّد عزمُه وٱشتدّ كلَبُه ، فعاجله مولانا وسيّدُنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه بإخراج العساكر [المنصورة] ، وبادره بإنفاذ الجيوش المظفّرة لمقاتلتِه دونكم ومجاهدتِه عنكم وعن كافّة المسلمين ببلدان المشرق الذين عمَّهُم الخزي ، وشمَلتهم الذلّة ، وٱكتَنَفَتْهم المصائب ، وتتابعت لديهم الرزايا ، واتّصل عندهم الخوف ، وكثرت استغاثتُهم ، وعظم ضجيجُهم ، وعلا صراخُهم ، فلم يُغِثهُم إلّا مَن أرمضه أمرهم ومضّه حالهم ، وأبكى عينَه ما نالهم ، وأسهرها ما حلّ بهم : وهو مولانا وسيّدُنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، فرجا ، بتفضّل [الله عليه] وإحسانه لديه ، وما عوّده وأجراه عليه ، استنقاذَ من أصبح منهم في ذلّ مقيم ، وعذابٍ أليم ، وأن يؤمّنَ من استولى عليه الوهل ، ويُفرخ روع مَن لم يزل في خوف ووجَل ، وآثر إقامة الحجّ الذي تعطّل وأهمل العبادُ فُروضَه وحقوقَه ، من الخوف المستولي عليهم ، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، وإذ قد أُوقِعَ بهم مرّةً بعدَ أخرى ، فسُفكت دماؤهم وابتزّت أموالهم ، مع اعتماد ما هي عادتُه من إصلاح الطرقات ، وقطع عَيْث العائثين فيها ، ليتطرّق الناس آمنين ، ويمشوا مطمئنّين ، ويتحفُوا بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه ، صلوات الله عليه ، انقطاع طرقاتها ، لخوف مارّتها ، إذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين ، ثمّ تجويدَ السكّة وضربَها على العيار الذي / [عليه] السكّة الميمونة المنصورة [308 أ] المباركة ، وقطعَ الغشّ منها ، إذ كانت هٰذه الثلاث خصال [مـ]ـمّا لا يسع مَن ينظر في أمور المسلمين إلّا إصلاحُها واستفراغ الوسع فيمَا يلزمُه منها .

ومَا[1] أوعزَ به مولانا وسيّدُنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، إلى عبده من نشر العدل ، وبسط الحقّ ، وحسم الظلم ، وقطع العدوان ، ونفي الأذى ، ورفع المؤن ، والمناوأةِ في الحقّ ، وإعانة المظلوم ، والتقريب

(1) معطوف على : فعرّفتهم ما تقدّم به أمرُ مولانا ...

والإشفاق ، والإحسان وجميل النظر ، وكريم الصحبة ولطف العشرة ، وافتقاد الأحوال ، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم ، وحين تصرّفهم في أوان ابتغائهم معايشَهم ، حتّى لا تجريَ أمورُهم إلّا على ما لمّ شعثهم ، وأقام أودهم ، وأصلح بالهم ، وجمع قلوبَهم ، وألّف كلمتَهم على طاعة وليّه مولانا وسيّدِنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

وما أمَرَ[1] به مولانا من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرتضي ، صلوات الله عليه ، بإثباتها عليكم ، وأن أجريَكم في المواريث على كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ ، وأضَعَ ما كان يؤخَذُ من تركات موتاكم [لـ]ـبيت المال من غير وصيّة ، من المتوفّى ، بها ، فإنّه لا استحقاقَ لتصييرها ببيت المال ، وأن أتقدّم في رمّ مساجدكم وتزيينها بالفرش والإيقادِ وأُعطيَ مؤذّنيها وقَوَمَتَها ومَن يؤمُّ الناسَ فيها أرزاقَهم ، وأدرَّها عليهم ، فلا أقطعها عنهم ، ولا أدفعُها إلّا من بيت المال ، لا بإحالة على مَن تُقبَضُ منهم .

وأمّا غيرُ ما ذكره مولانا وسيّدُنا أميرُ المؤمنين ، صلوات الله عليه ، ممّا نصَّه مَن ترسّل عنكم ، أيّدهُم الله ، [من] أنّكم ذكرتُم وجوهاً التَمَستُم ذكرَها في كتاب أمانِكم ، فذكرتُها إجابةً لكم ، وتطميناً لأنفُسِكُم ، وإن لم يكن لذكرها معنى ، ولا في نشرها فائدة ، إذ كان الإسلام سُنّةً واحدةً ، وشريعةً مُتّبَعَةً ، وهي :

إقامتُكم على مَذَاهِبكم ، وأن تُتركوا على ما أنتم عليه من أداءِ الفُروض في الاشتغال بالعلم ، والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم ، وثباتُكم على ما كان عليه سلفُ الأمّة من الصحابة ، رضي الله عنهم ، والتابعين بَعدهم ، وفقهاءُ الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم ، وأن يجريَ فرضُ الأذان والصلاة ، وقيامُ شهر رمضان ، وفِطرُه ، والزكاةُ ، والحجُّ ، والجهادُ ،

---

(1) معطوف على : فعرّفتهم ما تقدّم به أمرُ مولانا ...

على ما أمَرَ الله به ونصّه بنبيّه ﷺ في سنّتِه ، وإجراءُ أهل الذمّة على ما كانوا عليه .

ولكم عليّ أمان الله التامّ العامّ ، الدائم الشامل ، المتّصل الكامل ، المتجدّد والمتأكّد ، على الأيّام ، وكرور الأعوام ، في أنفسكم وأموالكم وأهليكم ، ونعمكم وضِياعكم ورباعكم ، وقليلكم وكثيركم ، وعلى أنّه لا يعترض عليكم معترِض ، ولا يتجنّى عليكم متجنٍّ ، ولا يتعقّب [عليكم متعقّب] ، وعلى أنّكم تُصانون وتُحفظونَ وتُحرسونَ ، ويُذبُّ عنكم ويمنع منكم ، فلا يتعرّض إلى أذاكم ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ولا في الاستطالة على قَوِيّكُم فضلاً عن ضعيفكم ، وعلى أن لا أزال مجتهداً فيمَا يعمُّكُم صلاحُه ويشملُكم نفعُه ، ويصل إليكم خيرُه وتتعرّفون بركتَه ، وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

ولكُم عليَّ الوفاء بمَا ألزَمتُه نفسي ، وأعطيتُكم إيّاه ، عهدَ الله وغليظ ميثَاقه ، وذمّتَه وذمّة أنبيائه ورسُلِه ، وذمَّةَ الأئمّة موالينا ، أمراء المؤمنين ، قدّس الله أرواحَهُم ، وذمّةَ مولانا وسيّدِنا أمير المؤمنين المعزّ لدين الله ، صلوات الله عليه ، فتُصَرّحون بها ، وتعلنون بالانصراف إليها ، وتخرجون وتسلّمون عليّ ، وتكونون بين يديَّ ، إلى أن أعبر الجسر ، وأنزلَ في المُناخ المبارك ، وتحفظون / وتحافظون من بعد على الطاعة ، وتثابرون عليها ، وتسارعون إلى [308 ب] فروضها ، ولا تخذلون وليًّا لمولانا وسيّدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وتَلزَمون ما أُمِرتُم به .

وفّقكم الله وأرشدَكُم أجمعين .

وكتب جوهر القائد هٰذا الأمان بخطّه في شعبان سنة ثمان وخمسين [وثلاثمائة] . وصلّى الله على محمد النبيّ ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين الأخيار .

وفي آخره : قال جوهر الكاتب عبدُ أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين : كتبتُ هٰذا الأمانَ على ما تقدّم به أمرُ مولانا وسيّدِنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه . وعليّ الوفاءُ بجميعه لمَن أجاب من أهل البلدِ وغيرِهم ، على ما شرطتُ فيه . والحمد لله ربّ العالمين ، وحسبيَ الله ونعم الوكيل ، وصلّى الله على محمد وعلى آله الطيّبين .

وأشهد جوهر على نفسه جماعة الحاضرين وهم :

أبو جعفر مسلّم بن عبيد الله الحسينيّ ،

وأبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسّيّ الحسينيّ ،

وأبو الطيّب العبّاس بن أحمد الهاشميّ ،

والقاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد ،

وابنه أبو يعلى محمد بن محمّد ،

ومحمّد بن مهلّب بن محمد[1] ،

وعمرو بن الحارث بن محمد .

رفض الإخشيديّة للاتّفاق

وأخذ منه أبو جعفر كتاباً إلى جماعة ، منهم الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات .

وأجاز جوهر الجماعة وحملهم ، ولم يقبل أبو جعفر مسلّم منه شيئاً ، وطعم الجماعةُ عنده معه وودّعوه وانصرفوا . فبلغهم أنَّ الجماعة بمصر قد نقضُوا الصلح فأسرعُوا في الانصراف . وبلغ ذلك جوهراً فأدركهم بمحلّة حفص وقال لهم : قد بلغني أنّ القومَ قد نقضوا الصلح ، فرُدُّوا عليّ أماني !

(1) في المخطوط : بن مهذّب .

فرفقوا به . فقال لأبي طاهر : يا قاضي ، ما تقول في هٰذه المسألة ؟

فقال : ما هي ؟

قال : ما تقول فيمَن أراد العبورَ إلى مصر ليمضيَ إلى الجهاد ويقابلَ الروم فمُنع ؟ أليس له قتالُهُم ؟

فقال القاضي : نعم .

فقال جوهر : وحلالٌ قتالهم ؟

قال : نعم .

فسارع عبد العزيز بن هيج الكلابي[1] من عسكر جوهر فدخل الفيّوم وأقام الدعوة ففرّ منه مبشّر الإخشيديّ إلى الفسطاط .

ووافى الشريف مسلّم والجماعة من عند جوهر في ثامن شعبان ونزل بداره فأتاه الناس [و]فيهم الوزير ابن الفرات ، فقرأ عليهم [سجلّ] جوهر ، وأوصل إلى ابن الفرات وغيره كتبهم ، فأمتنع الإخشيديّة والكافُوريّة ، وقال فرح البجكمي[2] : لو جاءنا يا شريف جدُّك محمد ﷺ بهٰذا ضربنا وجهَه بالسيف !

فلامَهُم ابن الفرات على ذلك وقال لهم : أنتم سألتُم الشريفَ في هٰذه الرسالة ، فلم يتمنّع حتّى أخذ معه أبا إسماعيل ، وهو حسنيّ ، وأخذ معه قاضي المسلمين ، وأخذ رجلاً عبّاسيًّا .

هٰذا وأبو جعفر مسلِّم ساكتٌ لم يزِدْ على أكثرَ من قوله : خارَ الله لكم !

واشتغل بمسارَرَة ابن الفرات ، والكافوريّة مع الإخشيديّة في خوض ،

---

(1) ولكنّه سرعان ما ينقلب في الولاء « فيُسوّد » أي يقيم الدعوة للعبّاسيّين (انظر الاتّعاظ ، 183) .

(2) فرح البجمكي : لعلّه منسوب إلى بَجكم الرّائقي الذي خدم ابن رائق ، وسيُؤْسَرُ مع الإخشيديّة والكافوريّة ويرسَل إلى القيروان ، وربّما عاد إلى مصر مع المعزّ ، إذ نجد في الولاة والقضاة « فرح التحكيمي » في زمن المعزّ (ص 586) .

وقالوا كلّهم : ما بيننا وبين جوهر إلّا السيف !

فقال أبو منحل : فتكون حربٌ بغير أمير ؟

فقالوا : هو كذلك .

فقال : ترضون بمَن أرضَى ؟

فقال[ـوا] : نعم .

فقام قائماً واستقبل نحرير شويزان[1] وقال : السلام عليك أيّها الأمير !

وقاموا كلّهم فسلّمُوا عليه وخرجوا يحجبو[نـ]ـه إلى داره . فانعقد له الأمر ، وأحمد ابن الأمير عليّ بن الإخشيد لا يُفكَّر فيه ولا يُعتدُّ به .

واستعدّ القوم للقتال وساروا في عاشره ، ونزلوا بالجزيرة وضبطُوا الجسرَين . فلمّا رأى ذلك جوهر عَلَى[2] إلى منية شلقان[3] ليعبر من هناك ، وبعث جعفر بن فلاح لاستقبال المراكب الواردة من تنيس ودمياط وأسفل الأرض فأخذها . فبعث الإخشيديّة نحرير الأزغلي ويمن الطويل ومبشّر [الإخشيديّ] وبلال الطائيّ في خلق يمنعوا من العبور فانبرى [للعُبور إليهم جعفر بن فلاح فعبر عرياناً في سراويل مع جمع من المغاربة ووقع القتال][4] فقتل من المصريّين خلق كثير . وانصرف الناس عشيّة الأحد النصف من شعبان [358] . فلمّا كان نصف الليل انصرف مَن كان بالجزيرة إلى دورهم وأصبحوا غازين إلى الشام . وكان ممّن قتل : نحرير الأزغليّ ، ومبشّر / الإخشيديّ ، [309أ]

---

(1) نحرير شويزان أو نحرير الأصغر . وهو غير نحرير الأزغلي أو نحرير الأكبر الذي سيقتل في أوّل لقاء مع جعفر بن فلاح . انظر عيون الأخبار ، 680 ، وهذه الترجمة ، هامش 2 من ص 105.

(2) على السطح يعليه (وزن سقى) : صعِد إليه .

(3) منية شلقان هي اليوم قرية شلقان شرقيّ القناطر الخيريّة بِمركز قليوب (النجوم الزاهرة ، 4 / 31 ، هامش 2) .

(4) التكملة من الاتّعاظ ، 157 .

ويمن الطويل ، وبلال الطائي في خلائق . فلمّا كان يوم الاثنين اجتمع أحمد بن محمد الروذباري الكاتب[1] ، وعبد الله بن أحمد الفرغاني[2] وغير[هم] من الوجوه عند الشريف أبي جعفر مسلّم وسألوه أن يكتب إلى جوهر في إعادة الأمان . فكتب كتاباً بإملاء الروذباري وبعثه . وكتب مع غلامه سعادة الأسود كتاباً آخر ، وجلس الناس عنده لانتظار الأمان نهارَهم . فطاف علي بن الحسين آبن لؤلؤ صاحب الشرطة ومعه رسولٌ لجوهر ، ومعه جابر بن محمّد الداعي ، ومعهم بندٌ عليه [اسم] المعزّ لدين الله ، وبين أيديهما الأجراس ، بأنْ لا مؤنة ولا كلفة ، وأمّن الناسَ . وكان جابر قد فرّق البنود التي عنده فنشر كلّ مَن عنده بندٌ [بَندَه] في دربه . فلمّا كان وقت العصر وافى سعادة بجواب جوهر ، ونصّه بعد البسملة :

عهد جديد من جوهر إلى الشريف الحسينيّ

وصل كتاب الشريف الجليل ، أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييدَه وعلوَّه ، فهو المهنَّأُ بمَا هنّأ به من الفتح الميمون . ووقفتُ على ما سأل من إعادة الأمان الأوّل ، وقد أعدتُه على حاله ، وجعلت إلى الشريف ، أيّده الله ، أن يُؤَمِّنَ كيف رَأَى وكيفَ أحبَّ ، ويزيدَ على ما كتبتُه كيف شاءَ ، فهو أماني وعن إذني وإذن مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه . وقد كتبتُ إلى الوزير أيّده الله بالاحتياط على دور الهاربين إلى أن يرجعوا إلى الطاعة ويدخلوا فيمَا دخلت فيه الجماعة . ويعمل الشريف أيّده الله على لقائي في يوم الثلاثاء لسبعَ عشرة تخلو من شعبان [358] .

---

(1) في عيون الأخبار ، 681 ، كنيَتُه أبو محمد وهو عامل الخراج . وانظر حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطميّة ، 300 ، هامش 2 .

(2) عبد الله بن أحمد الفرغاني ، هو أيضاً أبو مُحمد في عيون الأخبار ، 681 ، ولعلّه هو المؤرّخ المذكور في كتاب الولاة (ص 4) في ترجمة الكندي .

فاستبشر الجماعة وعملوا على الغدوّ إلى الجيزة . ثمّ سأل الشريف غُلامه عمّن قُتل فقال : نحرير الأزغلي ، ومبشّر الإخشيديّ ، ويمن الطويل وبلال .

فقال له : [أ]تدري ويلك ما تقول ؟

فقال : رأيتُ رؤوسهم في طشت .

فقال له : ومَن ؟

فقال : وخلق كثير قد جمعت رؤوسهم .

فبات الناس على هدوءٍ وطمأنينة . ولمّا كان في غداة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان ، خرج الشريف أبو جعفر مسلم والوزير أبو الفضل جعفر آبنِ الفرات ، وسائر الأشراف والقضاة ، وأهل العلم ، والشهود ، ووجوه التجّار والرعيّة إلى الجيزة . فلمّا تكامل الناس أقبل القائد جوهر في عساكره ، فصاح بعض حجّابه : الأرضَ ، إلّا الشريف والوزير !

وتقدّم الناس ، وأبو جعفر أحمد بن نصر التاجر يعرّفه بالناس واحداً واحداً . فلمّا فَرِغوا من السلام عليه مضى إلى فسطاطه فأقام إلى أن زالت الشمس . [فـ]ـسارت العساكر وعبرت الجسرَ أفواجاً أفواجاً ومعهم صناديق المال[1] على البغال وأقبلت القباب . ثمّ جاء القائد جوهر في حلّة مذهّبة مثقل[ـة] تحفّ به فرسانُه ورجّالتُه ، ومدّ العسكر بأسره إلى المُناخ الذي رسم به المعزّ موضعَ[2] القاهرة . فلمّا استقرّت به الدار جاءته الألطاف والهدايا فلم يقبل من أحدٍ شيئاً ، إلّا طَعَامَ الشريف مسلم وحدَه .

فلمّا أصبح أنفذَ عليّ بن الوليد قاضيَ عسكره ، وبين يديه أحمالُ مال ، ومنادٍ ينادي : مَن أراد الصدقة فليَصر إلى دار أبي جعفر أحمد بن نصر !

---

(1) في المخطوط : صناديق بيت المال ، وسايرّنا قراءة الاتّعاظ ، 158 .

(2) في المخطوط : وهو موضع .

فاجتمع خلق من المستورين والفقراء فصار بهم إلى الجامع العتيق وفرّق فيهم .

أوّل دعاء للمعزّ في صلاة الجمعة

فلمّا كان يوم الجمعة الثاني لدخوله وهو لعشر بقين من شعبان [358] سار جعفر(1) ابن القائد جوهر في عسكر إلى الجامع العتيق لصلاة الجمعة ، وخطب للناس هبة الله بن أحمد خليفة عبد السميع بن عمر العبّاسي(2) ببياض حتّى بلغ إلى الدعاء [فـ]ـقرأ من رقعة ما نصّه :

اللهمَّ صلِّ على عبدك ووليّك ثمرة النبوّة وسليل السادة المهديَّة عبدك معدّ أبي تميم المعزّ لدين الله أمير المؤمنين ، كما صلّيتَ على آبائه الطاهرين ، وأسلافه الأئمّة الراشدين . اللهمَّ ارفع درجتَه وأعلِ كلمتَه ، وأوضح حُجَّتَه ، واجمع الأمَّة على طاعتِهِ ، والقلوبَ على موالاته ومحبَّته ، واجعل الرشاد في موافقته ، وورِّثْه / مشارقَ الأرض ومغاربَها ، وأحمدْهُ مبادىء الأمور وعواقبَها ، فإنَّك [309 ب] تقول ، وقولك الحقّ : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء ، 105) . فلقد امتعض لدينك ولما انتهك من حرمتك ، ودرس من الجهاد في سبيلك ، وانقطع من الحجِّ إلى بيتك ، وزيارة

(1) جعفر بن جوهر : ذكره ابن حمّاد ، 41 وابن خلّكان ، 5 / 61 ، والداعي إدريس ، 698 مرافقاً لهديّة أبيه إلى المعزّ . ولم يذكره المقريزي في الاتّعاظ ، 170 .
وحتّى في موضوع الصلاة الشيعيّة بالجامع العتيق ، جاء في الاتّعاظ ، 162 – نقلاً عن ابن زولاق – أن الذي سار إلى جامع عمرو هو جوهر نفسه .
هذا والمعروف من أبناء القائد هو الحسين بن جوهر ، وله ايضاً ابن اسمه جعفر .
وللحسين بن جوهر ، وجعفر بن الحسين ترجمة في المقفّى (رقم 1228 و 1069 من كتابنا هذا) .

(2) عبد السميع بن عمر العبّاسي : يبدو أنّه خلف أباه القاضي عمر بن الحسن الهاشميّ العبّاسي على الخطبة بجامع عمرو . انظر الولاة والقضاة ، 575 و589 . أمّا هبة الله خليفته فلم يذكره الكندي . وانظر ترجمة ابنه محمد بن عبد السميع رقم 2477 .

قبر رسولك ﷺ ، فأعدَّ للجهاد عُدَّتَهُ ، وأخذ لكلِّ خطبٍ أُهبتَه ، فسيّر الجيوش لنصرتك ، وأنفقَ الأموال في طاعتِك ، وبذل المجهودَ في مرضاتِك ، فارتدَعَ الجاهل وقَصُر المتطاول ، وظهر الحقُّ وزهق الباطل . فانصر اللهمَّ جيوشَه التي سيَّرَها ، وسراياه التي انتدبَها لقتال المشركين ، وجهاد الملحدين ، والذبّ عن المسلمين ، وعمارة الثغور والحرمين ، وإزالة الباطل ، وبسط العدل في الأمم . اللهمَّ فاجعل راياتِه عاليةً مشهورة ، وعساكرَه غالبة منصورة ، وأصلح به وعلى يديه .

الدينار المعزّي

وضرب السكّة الحمراء ونقشُها : دعا الإمام معدّ ، لتوحيد الإلّه الصمد ، في سطر .

وفي السطر الآخر : المعزّ لدين الله أمير المؤمنين .

وفي السطر الثالث : ضرب هٰذا الدينار بمصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

وفي الوجه الآخر : لا إلاه إلّا الله محمّد رسول الله أرسله ﴿ بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة ، 33) . عليّ أفضل الوصيّين ووزير خير المرسَلين .

وجلد متزانيَيْن وطاف بهما وظَهر المرأة مكشوف .

وكاتب مزاحم بن محمّد بن رائق[1] ، وكان قد سافر فيمن سار يريد الشّام فرجع عن الحوف في عسكر كبير .

---

(1) مزاحم بن محمد بن رائق : كان الإخشيديّون وكّلوا إليه الدفاع عن المخاضة ليمنع جوهراً من العبور فتخلّى عنها وهرب إلى الشام ثمَّ استأمن لجوهر فأمَّنه وولّاه على الفرما (الأتّعاظ 155 ، 165 ، 167) .

وفي هٰذا الشهر ابتدأ بنيان القصر وبنى المصلّى الذي للعيد . وأفطر جوهر في عيد الفطر على عددٍ بغير رؤية ، وصلّى صلاة العيد بالقاهرة صلّى به علي بن الوليد الإشبيليّ قاضي عسكره وخطب . ولم يصلّ أهل مصر وصلّوا من الغد في الجامع العتيق ، وفيهم القاضي أبو طاهر ، وكان قد التمس الهلال على عادته في سطح الجامع فلم يره ، فلمّا بلغ ذلك جوهراً أنكره وعاتب عليه وتهدّد فيه .

وجلس للمظالم في كلّ يوم سبت ، ثمّ ردَّ المظالم إلى أبي عيسى مرشد[1] . وصرف علي بن الحسين عن الشرطة ، وردّها إلى شبل المعرضي وإلى ابن غزويه المغربيّ[2] . وأشرك بين علي بن يحيى بن العرمرم وبين رجاء بن صولات في الخراج . وأشرك بين محمد بن أحمد الشذائيّ وبين موسى بن الحسين الدنهاجي في ديوان الضياع الإخشيديّة . وأشرك بين محمد بن سالم وبين أبي اليمن قزمان ابن مينا في الضياع الكافوريّة .

ووردت كتب الإخشيديّة والكافوريّة من الشام بطلب الأمان فأمّنهم ووافى منهم في ذي الحجّة ستّة آلاف ، فأنزلهم جوهر خارج القاهرة .

وفي يوم الجمعة ثامن ذي القعدة [358] زيد في الخطبة : اللهمّ صلِّ على النبي محمّد المصطفى ، وعلى عليّ المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين أذهبتَ عنهم الرجس وطهّرتهم تطهيراً . اللهمّ صلِّ على الأئمّة الراشدين ، آباء أمير المؤمنين الهادين .

---

(1) الداعي أبو عيسى مرشد : قال بوناوالا ، 66 لعلّه هو داعي مصر الذي وسمت باسمه رسالة النعمان « في تربية المؤمنين » .

(2) إن كان ابناً لغزويه بن يوسف الذي قتله المهدي ، فهذا يعني أنّ الأسرة بقيت في خدمة الفاطميين . وفي ص 251 ، سمّاه عروبة – أو غزويه – بن إبراهيم كمَا في الاتّعاظ ، 196 .

ونودي على التوابيت في الجامع العتيق برفع البراطيل[1] وقائم الشرطتين ، وكذلك نودِيَ في سائر البلد .

وورد الخبر بقدوم القرامطة إلى الرملة .

وقدم كتاب المعزّ لدين الله من المغرب بوصول رأس نحرير ومبشّر ويمن وبلال .

وفي ذي الحجَّة فرَّ فاتك الهيكليّ[2] إلى الشام . وبلغ جوهراً أنَّ المستأمنة من الإخشيديّة والكافوريّة قد عزموا على القيام . فحضر جنازة[3] في خامسه [358] وانصرفَ منها وهم معه ، فلمّا بلغ باب القصر من القاهرة قال للإخشيديَّة والكافوريَّة : «انزلوا !» فنزلوا ، فقبض على ثلاثة عشر من وجوههم ، واعْتَقَلَهم ستّة أشهر حتى سيَّرهم إلى المعزّ بالمغرب مع الهديّة .

وقبض على أموال نحرير الأزغلي وغيره .

ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

فضرب أعناق جماعة وصلبهم . وندب جعفر بن فلاح لأخذ الشام فسار في [310أ] ثاني عشر المحرَّم [359] وملك الرملة / وبعث الحسن بن عبيد الله بن طغج وجماعة في القيود .

وبعث علي بن غفيانان[4] إلى الصعيد من البرِّ وعلي بن محمّد الخازن في البحر .

---

(1) البراطيل : ضرب من الرسوم تؤخذ من أهل البلد (اتّعاظ ، 166 هامش 2) .

(2) – فاتك – أو فنك – الإخشيديّ : أحد القوّاد الإخشيديّين الذين أسرهم جعفر بن فلاح .أنظر 392 ، عيون الأخبار ، هامش 263.

(3) هي جنازة أحد أبناء جعفر بن فلاح ، كمَا في الاتّعاظ ، 167 دون ذكر اسمه .

(4) الاسم مطموس فأخذنا بقراءة هـ.ر. إدريس في رسالته 1 / 101 . وفي الاتّعاظ ، 169 ، لا ذكر لهذين العلِيَّين .

وتعذَّر الخبز لغلاء السعر فضرب جماعةً من الطحَّانين وطيف بهم .

إقامةُ الطقوس الشيعيّة

وفي يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى [359] صلَّى في جامع أحمد بن طولون ، وخطب به عبد السميع بن عمر العبَّاسي بقلنسوة وَشْيٍ وطيلسان وشيٍ ، وأذَّن المؤذِّنون [بـ]ـحيّ على خير العمل ، وهو أوَّل ما أُذِّن به في مصر ، وصلَّى به عبد السميع فقرأ سورة الجمعة و﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ (المنافقون ، 1) وقنت في الركعة الثانية ، وانحطَّ ساجداً ونسي أن يركع ، فصاح به عليّ بن الوليد قاضي عسكر جوهر : بطلت الصلاة ! أعد ظُهراً أربع ركعات !

ثمّ أُذِّن بـ« حيّ على خير العمل » في سائر مساجد العسكر . وأنكر جوهر على عبد السميع أنَّه لم يقرأ البسملة في كلّ سورة ، ولا قرأها في الخطبة ، فصلَّى به الجمعة الأخرى وفعل ذلك . وكان عبد السميع قد دعا لجوهر في الخطبة فأنكر جوهر عليه ومنعه من الدعاء له .

وقبض على الأحباس من يد القاضي أبي طاهر وردَّها إلى غيره .

ولأربعٍ بقين منه [من جمادى الأولى 359] أذَّن في الجامع العتيق بـ« حيّ على خير العمل » ، وجهروا فيه بالبسملة في الصلاة ، وكانوا لا يفعلون ذلك بمصر .

أحكام المواريث عندهم

وأمر في المواريث بالردِّ على ذوي الأرحام ، وأن لا يرثَ مع البنتِ أخٌ ولا أختٌ ، ولا عمّ ولا جدّ ، ولا ابن أخٍ ولا ابنُ عمّ ، ولا يرث مع الولد ، ذكراً كان أو أنثى ، إلَّا الزوجُ والزوجةُ ، والأبوان والجَدَّةُ ، ولا يرث مع الأمّ إلَّا

مَن يرث مع الولد . وخاطب أبو الطاهر القاضي جوهراً في بنت وأخ ، وأنَّه قد كان حكم قديمًا للبنت بالنصف وللأخ بالباقي ، فقال : « ما أفعل ؟ » فلمّا ألحَّ عليه قال : « يا قاضي ، هٰذه عداوة لفاطمة عليها السلام ! » . فأمسك أبو طاهر ولم يراجعه بعد ذلك .

وأشار الشهود على القاضي أبي الطاهر أن لا يطلب الهلال لأنَّ الصومَ والفطرَ على الرؤية قد زال ، فانقطع طلب الهلال . وصام القاضي في هٰذه السنة مع القائد جوهر كما يصوم ، وأفطر كما يفطر .

ولسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة [359] أنفذ جوهر ابنه جعفر بن جوهر بهديّة إلى المعزّ فيها :

تسع وتسعون بختيّة .

وإحدى وعشرون قبَّة بأجلَّة الديباج المنسوجة بالذهب ، ومناطق الذهب المكلّلة بالجوهر .

ومائة وعشرون جمـ[ـلاً] عرابـ[ـاً] .

وستّة وخمسون جُلاًّ .

وثمانية وأربعون فرساً عليها أجلّة الديباج المنقوش ، والسروج على جميعها أصناف الحلية من الذهب ، ومنها ما هو من الفضَّة مموَّه بالذهب ، ولجُمُها منها ما هو بالذهب ومنها ما هو بالفضّة مموَّه بالذهب .

وعودان عظيمَان من عود كأطول ما يكون من الصواري ، وكان جوهر قد وجدهما فيمَا وجد لنحرير الأزغلي .

وأنفذ مع هٰذه الهديّة جماعةً من قوّاد الإخشيديّة وقوّاد الكافوريّة ومن أنفذه جعفر بن فلاح من الشام ، وهم :

الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وجعفر بن غزوان صاحب القرامطة ،

وفاتك الهيكليّ[1] ، والحسن بن جابر الرياحيّ كاتب الحسن بن عبيد الله ، ونحرير شويزان[2] ، ومفلح الوهباني ، ودرّيّ الخازن ، ودرامك ، ومتلغ التركيّ الكافوريّ ، وأبو منجل ، وجكل الإخشيديّ ، وفرح البجكميّ ، ولؤلؤ الطويل ، وفتك الخادم .

فخرجوا في القيود وساروا إلى رشيد ففكّت قيودهم هناك ، وأركبوا المحامل في البرّ إلى القيروان .

ومنع جوهر من الدينار الأبيض ، وكان بعشرة دراهم ، وأمر أن يجعل الدينار الراضي – وهو الذي عليه اسمُ الخليفة الراضي بالله ، [و]هو محمد بن المقتدر العبّاسي – بخمسة عشر / درهَماً ، والدينار المعزّيّ بخمسة وعشرين درهماً [310 ب] ونصف . فلم يرض الناس بذلك . فردَّ الأبيض إلى ستّة دراهم فتلف بعد ذلك إلى آخر الدهر وافتقر خلق كثير .

وضرب أعناق عدّة من الإخشيديّة والكافوريّة وصلبهم عند كرسيّ[3] الجسر فأقاموا إلى أن دخل المعزّ إلى مصر .

وفي ذي الحجّة أنفذ عسكراً وعشرين حملْ مالٍ وأحمالَ متاع إلى الحرمَين مكّة والمدينة .

---

(1) في المخطوط وفي الاتّعاظ ، 171 : فاتك المنكري . وقد مرَّ ذكر فاتك الهيكليّ بين القوّاد الإخشيديّين الذين فرّوا إلى الشام .

(2) نحرير شويزان هو إذن غير نحرير الأزغلي الذي قُتل مع جمع من الكافوريّة والإخشيديّة حين عبر جعفر بن فلاح إليهم . وفي عيون الأخبار ، 680 : نحرير شويزان هو نحرير الأصغر الذي أمّروه عليهم (انظر هامش 16) .
وهذه الأسماء كلّها ذكرت أيضاً في عيون الأخبار 693 دوّن تعريف .

(3) كرسيّ الجسر : كلمة اصطلاحيّة تعني قاعدته . انظر معجم المصطلحات العلميّة والفنيّة ليوسف خيّاط (الملحق بلسان العرب) .

تدخّل جوهر في أحكام السوق

وفي المحرَّم سنة ستِّين وثلاثمائة اشتدَّت الأمراض والوباء بمصر والقاهرة ، ومنع جوهر من بيع الشواء إلّا بعد سلخ الغنم ، وكان يباع مسموطاً بجلده .

وفي جمادى الآخرة نقل مجلس المظالم عن يوم السبت إلى يوم الأحد ، وأطلق لأصحاب الراتب ألف دينار رتّبت فيهم .

وورد الخبر بقدوم الحسن بن أحمد الأعصم القرمطي إلى دمشق ، وقتل جعفر بن فلاح ، واستيلاء القرامطة على دمشق ، وقصدهم مصر . فتأهَّب جوهر لقتالهم وحَفَرَ خندقاً وعمل عليه بابين من حديد ، وبنى القنطرة على الخليج ظاهر القاهرة ، وحفر خندق السريّ بن الحكم وفرَّق السلاح على العساكر ، فوجد رقاعاً في الجامع العتيق فيها التحذير منه ، فجمع الناس ووبَّخَهم فاعتذروا له فقبل عذرَهُم .

القرامطة يحاصرون القاهرة

ونزل القرامطة عين شمس في المحرَّم سنة إحدى وستِّين فاستعدَّ جوهر وضبط الداخل والخارج . وفي مستهلّ ربيع الأوَّل [361][1] التحم القتال بين القرامطة وبينه على باب القاهرة فقُتل من الفريقين جماعة وأسر كثير . ثمَّ استراحوا في ثانيه والْتَقوا في ثالثِه فاقتتلوا قتالاً كثيراً قُتل فيه ما شاء الله من الخلق ، وانهزم القرمطيّ يوم الأحد ثالث ربيع الأوّل [361] ونهب سواده ومرّ على طريق القلزم . ونودي في مدينة مصر : من جاء بالقرمطيّ أو برأسه فله ثلاثُمائة ألف درهم وخمسون خِلعةً وخمسون سرج[ـاً] محلًّى على دوابّها وثلاث جوائز . وقبض جوهر على تسعمائة رجل من جند مصر في ساعة

---

(1) «وكان يوم جمعة» (اتّعاظ ، 182) .

واحدة وقيّدهم وسجنهم بالقاهرة في دار . ووجد عدَّة ودائع لقوَّاد الإخشيديَّة فأخذها .

ورفع المعاملة بالدنانير المتقيّة – وهي التي عليها اسمُ المتَّقي لله إبراهيم ابن المقتدر العبّاسيّ – وجعل قيمة الدينار الأبيض ثمانية دراهم .

وأمر ألاّ يظهر يهوديّ إلَّا بغيار فاعتمد ذلك .

وفي شعبان منها [361] دخل أبو محمود إبراهيم بن جعفر [بن فلاح] الرملة [1] .

وفيه مرض الشريف أبو جعفر مسلم فأرسل إليه القائد جوهر ابنه حسيناً لعيادِته .

الفراغ من بناء الأزهر

ولسبّع خلون من رمضان [361] فرغ القائد جوهر من بناء الجامع بالقاهرة [2] وجمعت فيه الجمعة .

وفي شوَّال ابتدأ القائد جوهر بحفر الخندق بالقرافة وبَدأ به من بركة الحبش وألفى الأموات تلقى [3] إلى قبر الشافعي فعدل به عنه ، ثمَّ شقَّ مشرّقاً إلى الجبل على المقابر إلى قبر كافور الاِخشيديّ ليحفظ طريق مصر من الفجِّ حتى لا يرد أحدٌ من القلزم .

---

(1) خصّص له المقريزي ترجمة في المقفّى (رقم 98) .

(2) في المخطوط : لتسع ، والتصويب من الوفيات (ترجمة جوهر رقم 145) ومن السيوطي : حسن المحاضرة ، 2 / 251 : « ابتُدىء بناؤه يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة 359 وكمل لسبع خلوان من رمضان سنة 361 » . وهذا الجامع هو الجامع الأزهر ، إلّا أنَّ المقريزي يسمّيه في الاتّعاظ ، 190 : « مصلّى القاهرة » . ولكن نجد اسم الجامع الأزهر في كتاب الولاة والقضاة ، 589 . بِمناسبة تعيين عليّ بن النعمان على قضاء مصر سنة 366 .

(3) في المخطوط : وألفى الأموات حتّى تلقى إلى ...

وفي ربيع الآخر سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة تواترت الأخبار بقدوم المعزّ لدين الله إلى مصر فتأهّب جوهر وأخذ في عمارة القصر. وفي أوّل رجب [362] تقدّم إلى الناس بلقاء المعزّ فخرجوا في ثامنه. وقدم المعزّ في سابع رمضان [362] فنزل قصره من القاهرة وجلس على سرير الذهب في الإيوان، وجوهر قائم بين يديه يقدّم الناسَ قوماً بعد قوم حتّى انقضى السلام.

ومضى وأقبل بهديّته وهي:

من الخيل مائة وخمسون فرساً مسرجة ملجمة منها بذهب، ومنها مرصّع، ومنها مُعنبر.

وإحد[ى] وثلاثون ناقةً من البخاتي عليها قباب بالثياب الديباج والمناطق والفرش، منها تسعة بديباج مثقل.

وتسع نوق مجنوبة مزيّنة بمثقل،
وثلاثة وثلاثون بغلاً منها سبعة مسرجة ملجمة،
ومائة وثلاثون بغلاً للحمل،
وتسعون نجيباً،
[311 أ] وأربعة صناديق مشبكة / يُرى ما فيها وتحتوي على أواني ذهب وفضّة،
ومائة سيف محلّى بذهب وفضّة،
ودرجان من فضّة مخرّقة فيهما جوهر،
وشاشية مرصّعة في غلاف،
وتسعمائة ما بين سفط وتخت فيها سائر ما أعدّه من ذخائر مصر.

ولمّا خطب المعزّ يوم العيد كان جوهر معه على المنبر.

وخلع عليه في سابع شوّال [362] خلعة مذهّبة وعمامة حمراء وقلّده سيفاً، وقاد بين يديه عشرين فرساً مسرجة ملجمة وحمل بين يديه خمسين ألف دينار ومائتَي ألف درهم وثمانين تخت ثياب. وكان إذا ركب المعزّ سار خلفه.

عزل جوهر

واستقرَّ خليفة للمعزّ بديار مصر يَحكم في القاهرة ومصر. ثمَّ صرفه عن الخراج في سادس عشر المحرَّم سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة فكانت مدّة تدبيره أمور مصر أربع [سنين] وعشرين يوماً ما صدر عنه فيمَا يخطّه توقيع ملحون[1].

وأقام بالقاهرة حتى مات المعزّ في ربيع الآخر سنة خمس وستّين [وثلاثمائة].

خروجه لمحاربة القرامطة بالشام

واستخلف بعدَهُ ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار فانتدبه إلى الخروج إلى الشام وحمل إليه خزائن السلاح والأموال. وسار من القاهرة في عسكر لم يخرج إلى الشام قبله مثله، بلغت عِدَّتُهم عشرين ألفاً. فبلغ هفتكين الشرابيّ وهو على عكّا مسير جوهر، والقرامطة على الرملة، فولَّت القرامطة منهزمين عجزاً عن مقاومته، وسار هفتكين من عكّا إلى طبريَّة، ونزل جوهر الرملة. فدخل هفتكين إلى دمشق، وجوهر في إثره إلى أن نزل بين داريا وبين الشماسيّة ظاهر دمشق يوم الأحد لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمسٍ وستّين وثلاثمائة، وحفر على عسكره خندقاً عظيمًا وجعل له أبواباً وبنى البيوت من داخل الخندق. وكان قد انضمَّ إليه ظالم بن مَرْهوب العقيليّ فأنزله خارج الخندق. وجمع هفتكين الدعَّار وحمَّال السلاح من عوامّ دمشق وقدّم عليهم قسَّام النَّسّاط التّراب[2] وأجرى له الأرزاق وأخرجه إلى قتال جوهر، فاستمرَّت الحرب بين

---

(1) في وفيات الأعيان، ترجمة المعزّ رقم 727: عزل جوهر سنة 364 لثلاث عشرة بقين من المحرَّم، عزل عن النظر في سائر أمور مصر.

(2) ويقال له أيضاً قسَّام الزبّال وقسَّام العيّار (الوفيات، 2/ 117)، ويسمِّيه ابن تغري بردي 3/ 114: قسَّام الحارثي، «وكان ينقل التراب على الحمير». وانظر ابن القلانسي، 21، والكامل (سنوات 368 ـ 370).

جوهر وهفتكين من يوم عرفة فجرى بينهم اثنتا عشرة وقعة إلى سلخ ذي الحجَّة [365] ، ولم يزل الحرب إلى يوم الخميس حادي عشر ربيع الأوَّل سنة ستّ وستّين وثلاثمائة ، فانهزم هفتكين وعزم على الفرار إلى أنطاكية[1] ثم ثبت عندما بلغه قدوم الحسن بن أحمد القرمطي إليه ، فاستظهر . وبلغ ذلك جوهراً فدعا إلى الصلح ، وكان الشتاء قد هجم عليه ، وهلك أكثر ما معه من الكراع ، وصار معظم أصحابه رجّالـ[ـة] بغير خيل ، وقلّت العلوفات عنده واشتدَّ وقوع الثلوج . فامتنع هفتكين من إجابته ثمَّ أذعن وأنفذ إلى جوهر بجمال . ورحل عن دمشق بعدما أحرق ما عجز عن حمله مِن الخزائن والأسلحة . وسار يوم الخميس ثالث جمادى الأولى مجدًّا لخوفه أن يدركه القرمطيّ ، فهلك كثير من عسكره لشدَّة الثلج ، وأخذ القرمطيّ يسير خلفهُ من طبريّة إلى الرملة فتحصَّن جوهر بزيتون الرملة ، وخرج هفتكين من دمشق ولحق بالقرامطة واجتمعوا على قتال جوهر . فجرت بينهم حروب طويلة شديدة آلت إلى التجاء جوهر إلى عسقلان ، وقد فنِيَ معظم عسكره ونهبت أثقاله . فنزل هفتكين عليه وحصره حتى بلغ منه الجهد الشديد ، وغلت عنده الأسعار بعسقلان فبلغ قفيز القمح أربعين ديناراً ، وتنكَّر عليه من معه من الكتاميّين واحتقروه وتنقَّصوه وشتموه . وكانوا قبل ذلك قد تجادلوا ولم يصدقوا في القتال وكايدوا القائد جوهراً ، فضاقت بجوهر ومنْ معه الأرض ولاذ إلى الصلح . فبعث إليه هَفْتكين : إن أردتَ الخروجَ بمَن معك فأنا أؤمِّنك حتى تنصرف إلى صاحبك .

فتعاقدوا على ذلك ، وصالح هفتكين على مال ، وخرج وقد علَّق هفتكين [311 ب] سيفه على باب عسقلان حتى يخرج جوهر ومَن معه من تحتِ سيفِه . فسار / إلى القاهرة ، وقد بلغ العزيز ما هو فيه من الجهد ، فبرز يريد السفرَ إلى الشام فسار معه .

(1) وهي إذ ذاك عند الروم .

وكانت مدّة قتال القرامطة وهفتكين لجوهر على الزيتون ظاهر الرملة وعلى عسقلان سبعة عشر شهراً . فلمّا قدم جوهر على العزيز وبلغهُ تجادلُ الكتاميّين غضب من ذلك غضباً شديداً . وعَذَرَ جوهراً [في باطنه] [1] وأظهر أنَّه قد تنكَّر له وعزله عن الوزارة وصيَّر مكانه يعقوبَ بن كلّس . فلمّا فرغ العزيز من قتال هفتكين وعاد إلى القاهرة ، لم يزل جوهر بها إلى أن مات يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت – وقيل بل مات لسبع بقين – من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة . فبعث العزيز بالله إليه بالحنوط والكفن ، وبعث إليه الأمير منصور ابن العزيز وبعثت إليه السيّدة العزيزيّة أيضاً . فكفّن في سبعين ثوباً ما بين مثقل ووشيٍ مذهب . وصلَّى عليه العزيز .

وكان له من الولد حسين ، وحسن ، وأبو أحمد جعفر . فأمَّا الحسين بن جوهر فإنَّ العزيز خلع عليه وجعله في مرتبة أبيه ، وله ترجمة كبيرة في هٰذا الكتاب [2] .

وأمّا حسن فإنّه مات بالمغرب صلَّى عليه المعزّ لدين الله في سنة ستّين وثلاثمائة .

وأمّا أبو أحمد جعفر فبعثه أبوه من القاهرة إلى المغرب بهديّته – وله ترجمة أيضاً [3]

ولمّا مات جوهر لم يبقَ شاعر بمصر من أهلها ، ولا طارىءٌ غريبٌ ، إلّا رثاه ووصف ما أثره وما فتحه من البلاد شرقاً وغرباً .

---

(1) الزيادة من الاتّعاظ ، 1/ 242 .
(2) هي الترجمة رقم 1228 .
(3) لم نجدها في حرف الجيم ، ولعلّ المؤلّف خلط بين جعفر بن جوهر ، وجعفر بن الحسين بن جوهر .

1103 – جوهر الطواشي [– 721][1]

صفيّ الدين ، أحد الخدّام المنصوريّة – قلاوون – ترقّى في الخدم إلى أن صار مقدّم المماليك بعد [...] وتحدّث في نظر أوقاف الخدّام بمدينة الرسول ﷺ .

توفّي يوم [...] سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . وولي بعده الطواشي صفيّ الدين صوان[2] الركني . وكان مهاباً محترماً تخافه المماليك السلطانيّة خوفاً شديداً .

1104 – جوهر بن لؤلؤ القرميّ المقرىء [– 563]

جوهر بن لؤلؤ بن عبد الله القرميّ[3] ، أبو الدرّ ، المقرىء . ولد في [...] وحدّث عن أبي بكر الطرطوشي [...] .

توفّي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من المحرّم سنة ثلاث وستّين وخمسمائة .

1105 – جوهر الجدّالي [– قبل 460][4]

(مؤسّس دولة المرابطين)

أصله من قبيلة جدّاله إحد[ى] قبائل البربر في صحراء بلاد الغرب التي

---

(1) السلوك 2 / 234 . النجوم 9 / 252 .

(2) في السلوك وفي النجوم : صواب .

(3) قراءة هذه النسبة ظنّيّة ، ولعلّها الفرميّ بالفاء . أو القرني بالقاف والنون .

(4) الكامل تحت سنة 448 – نهاية الأرب 24 / 253 – المؤنس 101 ، مدارك عياض 4 / 532 – الاستقصاء 1 / 110 – عبر الذهبيّ 6 / 373 – البيان المغرب 4 / 8 .

يخرج إليها[1] من السوس الأقصى .

قدم مصر حاجًّا في عشر الخمسين وأربعمائة ، ومرّ في طريقه بالسوس الأقصى على رجل يُقْرَأُ عليه مذهب الإمام مالك وحديث النبيّ ﷺ . فسمع منه فأعجب به . فلمّا عاد من الحجّ إلى السوس قصد ذلك الفقيه . فلمّا سمع كلامَه قال له : يا فقيه ، ما عندنا من هٰذا الذي تذكره شيء إلّا الشهادتين والصلاة .

فقال له الفقيه : فاحمل معك من يُعلّمهم عقائد الإسلام وكمال دينهم .

قال : فابعث معي أحد الفقهاء ، وعليَّ حفظُه وبِرُّه وإكرامُه .

فأرسل معه فقيهاً من طلبته يقال له عبد الله بن ياسين فدخل الجوهر وعبد الله بن ياسين إلى الصحراء ، وفيها قبائل ، منهم لمتونة ، وجدَّالة ولمطة ومسّوفة وغيرهم ، فنزلا على قبيلة لمتونة ، وهي على ربوة عالية . فلمّا عاينا القبيلة نزل الجوهر عن جَمَله وأخذ بزمام الجمل الذي عليه عبد الله بن ياسين ، تعظيمًا له .

وأقبلت أعيان لمتونة يتلقَّون الجوهر الجدّالي ليُهنِّئوهُ - كما جرت العادة - بالسلامة ، وكان من أكابر تلك الصحراء . فرأوه يقود ذلك الجمل فقالوا له : من هٰذا ؟

فقال : حامل سنّة رسول الله ﷺ ، قد جاء يعلّم أهل الصحراء ما يلزمهم في دين الله من الإسلام .

فرحّبوا بهما وأنزلوهما . ثمّ اجتمعت طائفة كبيرة من تلك القبيلة وقالوا : تذكر لنا ما أشرتَ إليه أنّه يلزمنا .

فقصّ عليهم عبد الله عقائد / الإسلام وقواعده وبيّن لهم ، حتّى فهم ذلك [312أ]

(1) في المخطوط : يخرج لكنها .

أكثرُهم . ثمّ اقتضاهم الجواب فقالوا : أمّا ما ذكرتَ من الصلاة والزكاة فذلك أمره قريب . وأمّا قولُك : مَن قتَلَ يُقتل ، ومَن سرَقَ يُقطعُ ، ومن زنى يُجلَدُ ، فأمرٌ لا نَلْـ[ـتـ]ـزمُه ، ولا ندخل تحته . اذهب إلى غيرنا !

فرحل عبد الله والجوهر عنهم ، والجوهر الجدّالي يجرُّ زمامَ جمل عبد الله بن ياسين . فنظر إليه شيخ كبير السنّ من لمتونة ، فقال : أرأيتم هٰذا الجمل ؟ لا بدّ أن يكون له في هٰذه الصحراء شأن يذكر في العالم .

وانتهوا إلى جدّالة قبيلة الجوهر ، فتكلّم عبد الله بن ياسين فيهم وفيمن اتّصل بهم من القبائل . فمنهم مَن سمع وأطاع ، ومنهم من عصى . ثمّ إنّ المخالفين لهم تحيّزوا وتحزّبوا . فقال عبد الله بن ياسين للّذين أقبلوا عليه وقبلوا سنّة الإسلام : قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء المخالفين للحقّ ، الذين أنكروا دينَ الإسلام واستعدّوا لقتالكم . فألّفوا لكم حزباً وأقيموا لكم رايةً ، وقدّموا عليكم أميراً .

فقال الجوهر : أنت الأمير .

قال عبد الله : لا يمكنني هٰذا ، إنّما أنا حاملُ أمانة الشرع وأقصّ عليكم نصوصه ، وأبيّن لكم طريقَه ، وأعرّفُكم سلوكَهُ ، ولكن كن أنت الأمير !

فقال الجوهر : لو فعلتُ هٰذا لَتَسَلَّط قبيلي على الناس وعاثوا في الصحراء ، ويكون وزر ذلك عليّ .

فقال عبد الله بن ياسين : فهٰذا أبو بكر بن عمر رأس لمتونة وكبيرُها يفعل ذلك .

فأجاب . فعقدوا له رايةً وبايعوه بيعةَ الإسلام ، وتبعته زمرة من قومه وسمّاه عبد الله بن ياسين أمير المسلمين ، وعادوا إلى جدّالة وجمعوا إليهم مَن أمكن من الطوائف الذين حسن إسلامُهم وسمّاهم عبد الله « المرابطين » .

وتألّبت عليهم أحزاب من الصحراء معاندون من أهل الشرّ والفساد [فلم

يقاتلهم المرابطون بل آستعان آبن ياسين وأبو بكر بن عمر على أولائك الأشرار بالمصلحين من قبائلهم ، فآستمالوهم وقرّبوهم حتّى حصّلوا منهم تحت زرب عظيم وثيق نحو ألفي رجل من أهل البغي والفساد][1] وتركوهم أيّاماً بغير طعام . ثمّ أخرَجوهم شيئاً بعد شيءٍ وقتلوهم عن آخرهم . ومن ذلك الوقت دانت لهم أكثر القبائل وآستقام خلقٌ كثيرٌ .

ولمّا وليَ الأمرَ أبو بكر بن عمر آستبدّ به دونَ الجوهر فداخل الجوهر الحسدُ وشرع في فساد الأمر سرًّا . فعلِم ذلك ، وعقد له مجلساً وثبّت عليه ما ذكر عنه فحكم فيه بأنّه يجب عليه القتل لأنّه نكث البيعةَ وشقّ آلعصا ، وهمّ بمحاربة أهل الحقّ . فقال الجوهر : « وأنا أيضاً أحبّ لِقاءَ الله حتى أرى ما عنده » . فآغتسل وصلّى ركعتين وتقدّم فضُربَت عنقُه .

ثمّ كثرت طائفة المرابطين ، وساروا لقتال الفرنج فقُتل عبد الله بن ياسين[2]، وذلك في عشر الستّين وأربعمائة . ثمّ جمع أبو بكر بن عمر قبائل السوس حتّى أخذ مدينة سجلماسة ، وولّى عليها يوسف بن تاشفين اللمتونيّ ، من بني عمّه ، وعهد إليه من بعده . فلمّا مات أبو بكر ، خلَفه يوسف بن تاشفين ، ودعي بأمير المسلمين . فآفتتح بلاد المغرب شرقاً وغرباً بأيسر سعي ، وبنى مدينة مرّاكش . ثمّ أخذ المعتمد بن عبّاد ملك الأندلس . ثمّ مات فقام من بعده ابنُه عليّ بن يوسف ، ثمّ إسحاق بن عليّ بن يوسف . وقُتل إسحاق سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة ، وآنقضت دولة الملثّمين التي أنشأها الجوهر الجدّالي بقيام دولة الموحّدين على يد محمد بن تومرت .

(1) زيادة من الكامل 9/ 620 - نهاية الأرب 24/ 257 . والمقريزي [ت 845] يلازم هنا رواية النويري [ت 733] ، 24/ 257 - 261 .
(2) في الكامل : قتل في محاربة أهل السوس .

1106 – جيش بن خمارويه [– 283][1]

جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، الأمير أبو [العساكر] ، ابن الأمير أبي الجيش ، ابن الأمير أبي العبّاس .

كان مع أبيه بدمشق . فلمّا قُتل أبوه كما ذكر في ترجمتِه[2] بويع جيش – وكان أكبر أولاد أبيه – في يوم الأحد لِليلةٍ بقيت من ذي القعدة سنة آثنتين وثمانين ومائتين . فسار إلى مصر ودخلها .

فآشتملت عليه طائفة من الجند وحملوهُ على أمورٍ قبيحةٍ . وكان صبيًّا أخرق ، لم يؤدّبه الزمان ولا حنّكته التجارب . فأقبل على اللهو والشرب مع الصفاعنة[3] وأوباش من عامّة العيّارين الذين يحملون الحجارة والثقال والعمد
[312ب] الحديد ويعانون / الصراع وجعلهم بطانته وندماءه ، وأعرض عن قوّاد أبيه ، وكلّهم أمراء يرون أنفسَهم أحقّ بالتقدّم من أبيه .

ثمّ صار مع ذلك إذا سكر يقول لبطانته : « يا فلان ، غداً أقلّدك موضع فلان ، وغداً أهب لك داره وأسوّغك نعمته ، فأنت أحقّ بها من هؤلاء الكلاب »[4] – يعني أكابر غلمانِ أبيه – فيبلغهم ذلك . وزاد حتى صار يضرب بين الرجّالة والفرسان . فانبسطت الألسنة فيه ، وشكا بعض العسكر إلى بعض ما يلقَون منه وتواعدوا عليه . فبلغَهُ ما هم فيه ، فلم يكتم أمره ولا تلافى حالهم ، بل أعلن بمَا بلغه عنهم وتوعّدهم وقال : « لأطلقنَّ الرجال عليهم

---

(1) النجوم 3 / 88 . الكندي ، 241 . الوافي 11 / 229 (326) .
(2) ترجمة خمارويه : رقم 1399 .
(3) في اللدوزي (صفع) الصفعان ج صفاعين : هو المهرّج المضحّك الطفيليّ الذي يصفعه القوم فيضحك لهم .
(4) انظر الطبري تحت سنة 283 .

ولأفعلنّ ولأفعلنّ ! » فزادت نفرتهم منه .

وخرج متنزّهاً إلى منية الأصبغ ، ففرّ من عسكره محمد بن إسحاق بن كُنداج ، وخاقان الفلَيحيّ[1] ، ومحمد بن لَمْجُور بندقة وويذر[2] ومحمد بن قَراطغان في ثلاثمائة رجل من وجوه قوّاده ، ولحقوا بأمير المؤمنين المعتضد بالله من طريق إيلة على جبل السّراة حتى وصلوا إلى الكوفة ، وقد كادوا أن يهلَكُوا . فبعث المعتضد وتلقّاهم وأجزل جوائزهم وخلع عليهم .

وبلغ إفساد جيش وما هو عليه الأميرَ طغج بنَ جفّ ، وهو على دمشق ، والأميرَ أحمد بن طغان ، وهو على الثغر الشاميّ ، فخلعاه وأسقطا اسمَه من الدعوة على منابر أعمالها . فلم يكترث لذلك ولا تأثّر له . فطمع فيه مَن بقي من القوّاد وأجمعوا على خلعه ، وركبوا بأجمعهم ، وهجم عليه غلام خزري يقال له ترمش وقبض عليه . وأصبحوا يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين فأحضروا الفقهاء والقوّاد وأحضروه ليسمعوا كلامه عساه يتوب ويَتبرّأ ممّا فعل . فاعترف أنّه يعجز عن القيام بتدبير الدولة وأنّه قد جعل مَن له في عنقه بَيعة في حِلٍّ وسعة . فعُمل بذلك محضر وخلعوه ونُهبت داره وأخذه الجند ، وأحرقوا مصر ونهبوا الناس . وكان يذكر حنق الجند على جيش بحيث إنّ منهم مَن ترك الجنديّة وصار إمّا مزارعاً أو تاجراً .

فكانت أيّامه ستّة أشهر واثْنَيْ عشر يوماً . وسُجن ثمّ أخرج بعد أيّام ميّتاً .

1107 – جيش بن الصمصامة [– 390][3]

جيش بن الصمصامة القائد ، أبو الفتح [...] .

---

(1) أو السبلخي أو المفلحي . انظر النجوم الزاهرة 8 / 89 هامش 8 .

(2) عند الكندي ، 242 : وويلان ، وفي الكامل : وبدر بن جف أخو طغج .

(3) الذهبي في كتاب العبر (وحرّف اسمُه إلى حنش الكناني) الصفدي في الوافي : الترجمة =

وقدم إلى القاهرة فيمن قدِم إليها مع المعزّ .

وخرج مع خاله أبي محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح[1] إلى الشام ، فولّاه مدينة دمشق لأيّام بقيت في ربيع الآخر سنة أربع وستّين وثلاثمائة[2] ، وقتالَ أهلها . فنزل عليها أيّاماً ، ثمّ عبر أصحابه إلى جهة باب الفراديس ، فثار بهم أهل دمشق وقتلوا منهم ، وساروا إلى جيش ففرّ منهم ، وغنِموا ما كان له . فأصبح جيش ونازل المدينة ومعه نفّاطون ، فضرب مواضع بالنار وقتلَ من قدر عليه ، إلى أن أهلّ جمادى الأولى . فناصبه الناس وجدّوا في قتاله يوماً خلفَ يوم من بكرة النهار إلى الليل ، إلى أن صُرِفَ أبو محمود عن دمشق بريان الخادم[3] ، وسار إلى الرملة فسار معه .

ثمّ لمّا قدم هفتكين الشرابي[4] إلى دمشق وملكها ، بعثه أبو محم[و]د في نحو الألفين إلى دمشق ، فسار حتى قرب من [الـ]بثنيّة ، وبها شبل[5] بن معروف العقيلي في جمع من العَرب ، فقاتله وأسره وأسلمه إلى هفتكين ، فأسلمه هفتكين إلى الدمستق ملك الروم ، وهو يومئذ نازل على دمشق ينتظر ما

= ص 230 رقم 327 من الجزء 11 ، وابن العماد شذرات الذهب ، 3 / 133 ، وسمّوه جيش بن محمد بن الصمصامة . ولا يذكر المقريزي هنا عدد ولاياته لدمشق مثلمَا فعل الصفدي في الوافي إذ ذكر له ولاية سنة 363 ، وثانية سنة 370 « بعد موت خاله أبي محمود » ، وثالثة سنة 389 إلى أن مات سنة 390 . ولئن أشاد المؤرّخون بجهاده للروم ، فإنّهم سخطوا عليه عسفَه وظلمَه لأهل الشام .

ورواية المقفّى تنفرد بذكر هزيمته أمام هفتكين وتسليمه إلى الروم ، وإن كانت تسكت عن ظُرُوف خلاصه منهم .

(1) إبراهيم بن جعفر بن فلاح : ترجم له المقريزي في المقفّى . انظر الترجمة 98 .

(2) كانت ولايته الأولى سنة 363 حسب تهذيب ابن عساكر 3 / 418 والكامل ، وتاريخ ابن القلانسي ، 9 .

(3) ريّان الخادم والي طرابلس : ولي دمشق في رجب 364 (أمراء دمشق ، 210) .

(4) الفتكين التركي في الكامل (سنة 364) وفي الاتّعاظ ، 1 / 294 .

(5) البثنيّة : بين دمشق وأذرعات . وفي المخطوط : شبلة بن معروف . وقد أعاد المقريزي هذه الرواية في ترجمة إبراهيم بن جعفر بن فلاح (رقم 98) .

يجبي إليه أهلُها من المال . فما زال عنده حتى رحل عن دمشق بالمال ، ونزل طرابلس ، فهلك في طريقه ، ونجا جيش وسار إلى خاله أبي محمود ، وقدم إلى القاهرة .

فأقام بها إلى أن ورد على العزيز كتاب منجوتكين بنزول بزيل ملك الروم على حلب . فسيّره على عسكر كثير في أوّل شهر رجب سنة خمس وثمانين وثلاثمائة إلى الشام[1] . فمات العزيز بعد / قليل[2] وقام من بعده ابنُه الحاكم [315أ] بأمر الله ، وصرف منجوتكين عن الشام بسليمَان بن جعفر بن فلاح[3] . ثمّ عزل سليمَان بن جعفر بن فلاح بعد تسعة أشهر بجيش بن الصمصامة . فسار من القاهرة في تاسع ذي القعدة سنة سبع وثمانين [وثلاثمائة] ونزل على دمشق ، بعدما أقام بالرملة مدّة ، في يوم الجمعة لأربع خلون من رجب سنة ثمان وثمانين ، وقدم إليه بشارة متولّي[4] طبريّة ، وسار بالعساكر إلى فامية[5] يوم الاثنين رابعَ عشرِهِ وقد نازلها الروم ، فقاتلهم قتالاً كبيراً قُتل فيه من الروم نحو خمسة آلاف وانهزم باقيهم في يوم الثلاثاء لتسع بقين من رجب . ومضى جيش إلى نحو مرعش يحرق ويهدم ونزل على أنطاكية وبها الروم ، وقاتلَهم أيّاماً ، ثمّ سار إلى شيزر ، وعاد إلى دمشق فنزل المِزّة[6] يوم الثلاثاء ، لسبع بقين من ذي القعدة [388] . ونزل بشارة القصر الذي بدمشق على أنّه ولي دمشق . فورد الكتاب من مصر باستقرار جيش على إمارة دمشق . وكانت دمشق قد خربت وقلّ ناسُها وضعفوا ، وثار قوم من الجهّال وصاروا يأخذون

---

(1) في رواية الكامل ، كان خروج جيش إلى الشام في سنة 386 .

(2) وفاة العزيز : 28 رمضان 386 / 14 أكتوبر 996 .

(3) هذا الابن لجعفر بن فلاح يكنّى أبا تميم . انظر الكامل في حوادث 386 .

(4) في الكامل : انهزم أصحاب جيش ما عدا بشارة الإخشيدي . وذكر ابن عساكر ، 3 / 225 ، أنه وليّ دمشق سنة 388 ثمّ عاد إلى طبريّة سنة 390 .

(5) أفامية Apamée : من كور حمص (ياقوت) .

(6) المِزّة : قرية في بساتين دمشق (ياقوت) .

الخِفارة من الناس ، فكثرت أموالهم وركبُوا الخيل ، ومشت الرجّالة بين أيديهم وزاد عجبهم ، وأظهروا أنّهم تحت طاعة السلطان وفي خدمتِه . فأمّنهم جيش ووعدهم بالأرزاق حتى اطمأنُّوا إليه ، فقبض عليهم وقيّدهم وحبسَهم وشدّد العقوبة عليهم حتى استصفى أموالهم . وتتبّع من استتر منهم ، وضرب أعناقَهم وصلبهم على أبواب المدينة حتى خلا البلد منهم .

ثمّ طمع في بقيّة الناس من أهل المدينة والقرى وجبى [منـ]ـهم الأموال إلى [أن] شمل ضررُه الكافّة فكثر الدعاءُ عليه ، وهو يطرح الأموال على القرى وعلى أهل المدينة ويعدهم ببَذل السيف فيهم . وبينا هو في ذلك إذ ورد الخبر بمسير الروم إليه في طلب ثأرهم بـ[ـأ]فامية . فجمع العربان وغيرهم وأنزلهم من حَرَسْتا إلى القابُون[1] ونزل الروم على شيزر وقاتلوا أهلها وملكوها . ثم أخذوا مدينة حمص وسبوا وحرّقوا ، وذلك في ذي الحجّة سنة تسع وثمانين [وثلاثمائة] – وهي دخلة الروم الثالثة [إلى] حمص – ثمّ ساروا إلى طرابلس ونازلوها مدّةً ثمّ أفرجوا عنها ، وتوجَّهُوا إلى الثغور الجزريّة . فاستأسد جيش عند رحيلهم وزاد ضرره لأهل دمشق . وكان به طرف جذام فتزايد به حتى تمغّط شعره ورشح بدنُه واسودّ . ثم امّحَتْ سِحنة وجهه وداد كلّه ونتن جميع جسده فصار يصيح : « ويحكم ! اقتلوني ! أريحوني ! » إلى أن هلك يوم الأحد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة . وكان مقامه على دمشق ستّة عشر شهراً وستّة عشر يوماً[2] .

ووصل ابنه أبو عبد الله بتركته في جمادى الآخرة ، ودفع درجاً إلى ريدان الصقلبيّ حامل المظلّة ، بخطّ أبيه جيش يتضمّن وصيّته ، وتعيينَ ما خلّفه مفصّلاً مشروحاً ، وفيه أنّ ذلك جميعه لأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ، لا

(1) حرستا والقابون : من قرى دمشق .
(2) في النجوم الزاهرة 4 / 204 أنّه مات في سنة 391 . ورواية المقريزي هنا توافق ما كتبه في الاتّعاظ ، 2 / 33 .

يستحقّ أحد من أولاده في ذلك درهماً واحداً فما فوقه . وتبلغ قيمةُ ذلك زيادةً على مائتي ألف دينار ما بين عَين ورحل ومتاع .

فلمّا مثل أبو عبد الله بن جيش بحضرة الحاكم قال ريدان : « إنّ التركة كلّها قد حزتها وهي على البغال محمولة تحت القصر » . واستأذن الحاكمَ فيمن يتسلّمُها . فأخذ الحاكم منه الدرج وأوْصَلَه[1] لابني جيش بن الصمصامة وقال لهما بحضرة أوليائه ووجوه دولته : « قد وقفتُ على وصيّة أبيكُما رحمه الله من عَين ومتاع ممّا وصّى ، فخذوه هنيئاً مباركاً لكما فيه » . وخلع عليهما فانصرفا بجميع التركة .

حرف الحاء

1108 - حاجي بن محمد بن قلاوون [732 - 748][2]

حاجي بن محمد بن قلاوون ، السلطان الملك المظفّر ، سيف الدين ، الملك الناصر ، ابن الملك الناصر ، ابن الملك المنصور .

ولد وأبوه بالحجاز في [. . .] سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بقلعة الجبَل ونشأ بها . / فلمّا كانت، آخر أيّام أخيه الكامل شعبان قبض عليه وسجنه في يوم [313 ب] السبت تاسع عشر جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، ومعه أخوه الحسين . وكانا قد انقطعا عن الخروج من حين قتل الكامل أخاهم يوسف بن محمد . فبعث الكامل إلى الأمير لاجين أمير جندار زوج أمّ حاجّي يأمره بطلاقها فطلّقها . فاشتدّ خوف حاجّي وحسين ، وبعثا إلى أكابر الأمراء ليشفعوا لهما فلم

---

(1) في المخطوط : وما وصله إلى ... والإصلاح من الاتّعاظ ، 2 / 33 .

(2) الوافي 11 / 237 (341) الدرر 2/ 3 - بدائع الزهور 1 / 187 - السلوك 2 / 714 . النجوم 10 / 148 .

يقبل الكامل شفاعتَهم . وآشتهر عنه ذلك فتعصّب لها طائفة من الأمراء وعدّة من المماليك السلطانيّة . وبعث الكامل فأخذهما وسجنهما في موضع بالقرب منه ، وقد صاحت النساء وآرتفعت أصواتُهنَّ بالعويل والبكاء . وخرجت أمّ حاجّي مكشوفة الوجه تصيح : « يا ولدي ! » فبكت المماليك لبكائها وهمُّوا بعمل فتنةٍ ، إلّا أنّ الأمير أرغون العلائيّ تلطّف بهم حتّى كفُّوا ، وقد عزم الكامل أن يبني على أخيه حاجّي حائطاً ، فقدّر الله في يوم الاثنين أوّل جمادى الآخرة بركوب الأمراء وزوال دولة الكامل بسَجنِه حيث كان حاجّي مسجوناً ، وأُخرج حاجّي منه فقبّل الأمراءُ يدَه وخاطبوه بالسلطنة . وآتّفق أنّه كان قد عُمِل السماط لِيُقدَّم بين يدي السلطان الملك الكامل على العادة ، وعُمل طعامُ حاجّي لِيُدخَل به إليه في السجن . فوقعت الضجّةُ فركب الكامل قبلَ أن يأكُلَ ، فزالت دولتُه .

وطلع الأمراء إلى قلعة الجبل وأجلسوا حاجّي على التخت ، ولقّبوه بالملك المظفّر ، وقدّموا الطعام بين يديه ، وأكل هو والأمراء ما كان قد عُمل[1] للكامل في السجن . . . فكان هٰذا من أغرب ما يتّعظ به العاقلُ في سرعة تقلّب الأحوال ، وكان القائم بذلك من الأمراء ملكتمر الحجازيّ وأقرم الناصريّ وأرغون شاه .

وأوّل ما عمل في دولته أن أخرج المال الذي كان عند الكامل فوجدَ من الذهب مبلغ ثمانين ألفَ دينار ، ومن الفضّة خمسمائة ألف درهم . ثمّ تسلّم أخاه الكامل وقتله . ويوم جلوسه حلف للأمراء أنّه لا يؤذيهم وحلفوا له على العادة . وكتب على يد الأمير بيغرا إلى أبواب الشام بمَا وقع ، وأنّه يحلّفهم للسلطان . وكتب إلى الأعمال بإعفاء الفلّاحين من المغارم ورمى[2] المال عليهم بحمل الشعير والبرسيم .

---

(1) في المخطوط : عنى .
(2) في السلوك 2 / 714 : ورماية المال .

وأخرج الأمير أرغون العلائيّ إلى الإسكندريّة فسُجن بها . وقبض على خدّام الكامل وخواصّه ليستخلص منهم الأموال التي أخذوها على قضاء أشغال الناس ، وأُحيط بموجودهم . وأنزلت أمُّ الكامل من القلعة . وعرضت الجواري فبلغت عِدَّتهُنّ خمسمائة جارية وأَخرج منهنّ المعتوقات ، وفرّق كثيراً من المملوكات في الأمراء . وٱستناب ٱلسلطان الأمير أرقطاي .

وكان سعر القمح في الأيّام الكامليّة من خمسين درهماً الإردبّ إلى خمسة وخمسين ، فٱنحطّ إلى خمسة وثلاثين فما دونها . وكذلك الشعيرُ والفُول انحطّ سعرهُما ففرح الناس بالأيّام المظفّريّة لوجود الرخاء ، وإبطال المغارم والمضارب . وأظهر عفّة وميلاً إلى الخير وقبولاً للنصح .

ثمّ إنّه أقبل على اللهو ، وشُغف بالنساء والغناء واللعب بالحمام . فكثر إنكار الأمراء والمماليك لذلك ، فإنّه بلغَت قيمة العَصبة [1] التي على رأس حظيّته ٱتّفاق زيادة على مائة ألف دينار مصريّة . وبلغت النفقة على عمل حَظير الحمام زيادة على سبعين ألف درهم فضّة . وأعطى حظيّته كيدة [2] في مدّة شهرين خمساً وثلاثين ألف دينار ، ومائتين وعشرين ألفَ درهم . وأنعم على عبد عليّ العوّاد بستّين ألفَ درهم ، وعلى إسكندر [بن الكتيلة] ٱلجُنْكي [3] بأربعين ألف درهم . وصار يحضر أوباش العامّة إلى الدهيشة بالقلعة ويلعبون بين يديه لعب صبّاح . وأنعم عليه بمائة ألف درهم .

فبلغه إنكار / الأمراء عليه على لسان أُلْجَيْبُغَا المظفّري وطنيرق ، وهما يومئذ [314أ] أخصّ الناس به . فٱشتدّ حنقُه ، وأخذ في ذبح الحمام ، وهو يقول : والله

---

(1) في السلوك 2 / 725 عصابة . وهي منديل من حرير موشح بالألوان يعصب على الرأس (دوزي) .

(2) في السلوك 2 / 740 : كيدا . وكذلك فيمَا يأتي من هذه الترجمة . وحظير الحمام برجٌ على السطوح لتربية الحمام (انظر السلوك 2 / 726 هامش 2) .

(3) انظر ترجمة الكتيلة الجنكي رقم 3008 .

لأذبحنّكُم كما ذبحتُ هٰذا الحمام !

وأغلق الدهيشة ، وأخذ في التدبير على الأمراء فقتل أقستقر الناصري ، وملكتمر الحجازي ، وهما يومئذ أعظم أمراء الدولة . وقبض على قرابُغا القاسميّ ، وأيتمش وصمغار يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وأربعين ، فكان يوماً مهولاً . وأحاط بأموال الأمراء المذكورين فأخذها جميعَها ، وأقبل على لهوه .

ثمّ قتل بإشارة أغرلّو الأمير الوزيرَ نجم الدين محمود بن عليّ بن شروين ، والأمير بيدمر البدري ، والأمير ظغيتمر النجميّ ، والأمير أرغون العلائيّ ، والأمير قرابغا القاسميّ ، وتمُر الموساوي وسنغار وأيتمش عبد الغنيّ وغيرهم ، فكانت عِدّةُ من قتَلَ في مدّة أربعين يوماً أحداً وثلاثين أميراً .

وفرّق كثيراً من المماليك في البلاد ، وقبض على أولاد الأمراء . وأخرج مَن بقي من الأمراء إلى الصعيد . وانهمك في شعبان في اللعب بالحمام ، وأعاد لعب العبيد والغلمان عنده بالصراع والثقاف وجري السعاة . ونادى في الناس بإعادة اللعب بذلك ، وصار يلبس ثياباً من الجِلْدِ ويتصارع مع الأوباش ، ثمّ يلعب معهم [لعب] صبّاح بالعصيّ ، ويلعب بالرمح ثمّ بالكرة (1) ، فيكون نهاره في الدهشة مع العبيد السود والغلمان على ذلك ، وليله على معاقرة الخمر وسماع الغناء .

وشُغف بجارية يقال لها كيدا حتى ألهته عن سواها . وأنعم عليها في دفعة واحدَة بعشرين ألف دينار سوى الجواهر ، وهي عظيمة ٱلقيمة . فقدم الأمراء من الصيد في أخريات شعبان ، وقد ساءهم ما يبلغهم عن السلطان فأخذ الأمير أُلْجَيبُغا المظفّري والأمير طنيرق بدالّتهما عليه يعرّفانه ما ينكره الناس عليه من اللعب ، فٱشتدّ حنقه وهدم حُظُرَ الحمام وذبحها ، ثمّ قال لأُلْجيبُغا وطنيرق : والله لأذبحنّكم كلّكم كما ذبحت هؤلاء تماماً !

---

(1) السلوك 2/ 739 هوامش 1ـ 5 ، تفصيل هٰذه الألعاب ، على أنّ « لعب صبّاح » غير مفهوم .

وقد عمل كلامه فيهما وأخذا يدبّران عليه ، وراسلا طشتمر طللية فوعد الأمراء والخاصكيّة . وركبوا يوم الأحد ثاني عشر رمضان بآلة الحرب إلى قبّة النصر ظاهر القاهرة . فبادر السلطان وركب إليهم ، ومعه طنيرق وشيخو ، وأرغون الكاملي ، وطاز ، فتسلّلوا عنه أميراً بعد أمير حتّى بقي في عدد قليل . فولّى يريد القلعة فأدركه بيبغا أروس وأُلْجَيْبُغا في جماعة وأنزلوه عن فرسه [و] بعدما طعنه بيبغا أروس ، ألقاه عن فرسه وضربه طنيرق بالطَبَر[1] فجرح وجهه وأصابعه وأدخلوه تُرْبَة أقستقر وذبحوه ذبحاً في يوم الأحد ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، فكانت مدّتُه سنةً وثلاثة أشهر وآثني عشر يوماً . وأقيم بعده في السلطنة أخوه الناصر حسن بن محمد بن قلاوون .

1109 – أبو القاسم الفهريّ [– 276]

الحرث بن الأبيض بن الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، الفهريّ ، أبو القاسم .

رأى عبد الله بن وهب . وروى عن زيد بن بشر .

توفّي بمصر في جمادى الآخرة سنة ستّ وسبعين ومائتين ، بعدما أسنّ .

1110 – أبو الأسد الهمدانيّ [– 256]

الحرث بن أسد بن معقل الهمدَاني ، أبو الأسد .

يروي عن بشر بن بكر وغيره . روى عنه النسائيّ ، وآبن أبي داود ، وآبن جوصا ، وإبراهيم بن ميمون الصوّاف العسكريّ ، وهو آخر أصحابه .

وثّقه النسائيّ .

---

(1) الطبَر : فأس يدويّ (دوزي) .

وتوفّي يوم الثلاثاء لسبعٍ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وخمسين ومائتين .

1111 – الحرث بن أسد الإفريقيّ [– 208] [1]

الحرث بن أسد ، الإفريقيّ ، صاحب مالك بن أنس .

توفّي سنة ثمان ومائتين .

1112 – الحرث بن أسد العتكيّ [– 220]

الحرث بن أسد ، العتكيّ ، البصريّ ، أبو عليّ .

قدم مصر . حدّث عنه يحيى بن عثمان بن صالح .

توفّي في ذي القعدة سنة عشرين ومائتين .

1113 – الحرث بن العبّاس بن عبد المطّلب [2]

الحرث بن العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ ، أبو الفضل ، الهاشميّ .

أمّه حجيلة بنت جندب بن الربيع الهذليّة . وقيل : بل أمّه أمّ ولد . ووجد عليه أبوه العبّاس فلحق بالزبير بن العوّام ، وهو ببعض مغازيه ، فانصرف به مَعَهُ وكلّمه فيه ، فرضي / عنه . [314ب]

---

(1) رياض النفوس 1 / 290 (رقم 111) والديباج المذهب 106 وهو فيهما : القفصيّ

(2) المعارف ، 122 .

وقال هشام ابن الكلبيّ والهيثم بن عديّ : طرد العبّاسُ الحرثَ فأتى الشام ، ثمّ صار إلى الزبير ، وهو بمصر . فلمّا قدم الزبير قدم به معه وأتى به العبّاس . فلمّا رآه قال له : يا زبير ، جئتني بأبي فضل ؟ لا وصلتك رحم ! نحّه عنّي !

فمات العبّاس . وعمي الحرث بعده ، فقال حين عمي : كلّا ! زعمتم أنّه ليس أبي ، وأنّي لستُ ٱبنَه . وقد عميتُ كما عميَ .

1114 – الحرث بن مسكين [154 – 250] (1)

الحرث بن مسكين بن محمد بن يوسف ، أبو عمر ، مولى محمد بن زبان ٱبن عبد العزيز بن مروان . فقيل : مولى عتاقة ، وقيل : مولى إسلام .

ولد سنة أربع وخمسين ومائة . ورأى الليث بنَ سعد وسأله عن العصير . فقال : هو حلال ما لم يهدر ، فإذا هدر فلا خير فيه .

ليس له عن الليث غير هٰذه المسألة .

ورأى المفضّل بن فضالة ، وتخلّف سماعه ، فروى عن سفيان بن عيينة ، وعبد الله بن وهب ، وعبد الرحمان بن القاسم ، وأشهب بن عبد العزيز ، ودوَّنَ أسمعتَهم وعُدّ في أكابر أصحابهم . وجمع كتاباً فيمَا ٱتّفق فيه رأي ٱبن وهب وٱبن القاسم وأشهب .

وروى عنه أبو داود والنسائيّ ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وأبو يعلى الموصليّ ، وأبو بكر ابن أبي داود ، ومحمد بن زياد بن حبيب ، وعبد الرحمان ٱبن أحمد بن محمّد بن رشيد بن سعد ، وجماعة .

---

(1) الأعلام 2/ 160 – تاريخ بغداد 8/ 216 (4331) – الكندي 467 ، 502 . وفيات 2/ 56 (151) – الوافي 11/ 257 (376) السبكي ، 2/ 113 – الديباج ، 1/ 339 .

وكان فقيهاً على مذهب مالك ، ثقة في الحديث ، ثبتاً ، عظيمًا في نفسه ، حافظاً لمذهبه . وهو أحد قضاة مصر . سُئل عنه الإمام أحمد بن حنبل قبل أن يلي القضاء فأثنى عليه خيراً ، وقال إنّه رآه (قال) وما بلغني عنه إلّا خير . (قال) وكانوا يتساهلون في الأخذ عنه .

وقال أبو حاتم : هو صدوق .

وقال يحيى بن معين : لا بأس به .

وقال النسائيّ : ثقة صدوق – وفي رواية : ثقة مأمون .

وقال ابن وضاح : هو ثقة الثقات .

وقال ابن يونس : كان فقيهاً على مذهب مالك بن أنس ، أخذ الفقهَ عن آبن القاسم وابن وهب ، ورأى الليث بن سعد وسأله . وكان يجالس برد بن نجيح صاحب مالك . وقعد في حلقة برد بعد موته . وكان حُمل مع مَن حمل من مصر في محنة القرآن ، حمله المأمون ، فأقام في السجن ببغداد إلى أن ولي المتوكّل فأطلق جميعَ مَن كان في السجن ، فخرج ورجع إلى مصر . وكتب إليه المتوكّل بعهده على القضاء .

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : قال لي أحمد بن أبي دؤاد : يا أبا عبدِ الله ، لقد قام حارثكم لله عزّ وجلّ مقام الأنبياء – وكان آبن أبي دؤاد إذا ذكره أحسن ذكرَه وأعظمه جدًّا ، وكان يكتب إلى آبن أبي الليث بالوصاة به [1] .

[...] من ثماني مجلّدات . وله « اختلاف الرواية عن أصحاب مالك » يكون في مجلّدين . وتفقّه بالمصريّين وأصحاب مالك .

وقال الخطيب : كان ثبتاً في الحديث ، فقيهاً على مذهب مالك . حمله

(1) في المخطوط : بالموصاة ، والإصلاح من الديباج ، 1/ 340 . وكأن في المتن نقصاً .

المأمون إلى بغداد أيّام المحنة وسجنه لأنّه لم يُجب إلى القول بخلق القرآن . فلم يزل محبوساً إلى أن ولي المتوكّل فأطلقه . فحدّث ببغداد ورجع إلى مصر .

وقال أبو عمر الكندي عن سعيد بن كثير بن عفير : لمّا قدم أمير المؤمنين المأمون مصر ، تلقّاه الناس بالفرما يرفعون على عمّال مصر ، فلم يلتفت إليهم . ودسّ العمّالُ قوماً يُثنون عليهم عند المأمون ، منهم أبو صالح الحرانيّ ، وآبن أبي رملة . فبعث المأمون بالفضل بن مروان وأحمد بن أبي دؤاد إلى المسجد . فأوقفا إبراهيم بن تميم وأحمد بن محمد بن أسباط . وأرسلا إلى الحرث بن مسكين فسألوه عنهما ، فذكر عنهما شرّ ثناء ممّا قد ظهر وآنتشر . فآنتهره الفضلُ بن مروان ، فآنصرف الحرث إلى منزله . وشخص المأمون إلى الغرب ثمّ إلى سخا ، وشخص بالحرث إليه ، فدخل عليه بسخا فسأله فأخبره بسوء السماع فيهما . فقال للحرث : لا تؤويـ[ـك] هٰذه البلاد – وأخرج .

وذكر في رواية أخرى عن أبي يزيد يوسف بن يزيد قال : قدم المأمون مصر ، وكان بها رجل يقال له الحضرميّ تظلّم من آبن أسباط وآبن تميم . فجلس الفضل بن مروان في المسجد الجامع ، وحضر مجلَسه يحيى بن أكثم وآبن أبي دؤاد . وحضر إسحاق بن إسماعيل بن حمّاد بن زيد – وكان على مظالم مصر – وحضر جماعة من فقهاء مصر / وأصحاب الحديث . وأحضر الحرث بن [315 أ] مسكين ليولّى قضاء مصر . فدعاه الفضل بن مروان . فبينا هو يكلّمه إذ قال الحضرميّ للفضل : سل ، أصلحك الله ، الحرثَ عن آبن أسباط وآبن تميم !

فقال : ليس لهٰذا أحضرناه .

فقال : أصلحك الله ، سلْه !

فقال الفضل للحرث : ما تقول في هٰذين الرجلين ؟

قال : ظالمان غاشمان .

قال : ليس لهٰذا أحضرناك .

فٱضطرب المسجد ، وكان الناس متوافرين . فقام الفضل وسار إلى المأمون بالخبر ، وقال : خفت على نفسي من ثوران الناس مع الحرث .

فأرسل المأمون إلى الحرث . فدعاه فٱبتدأه بالمسألة فقال :

ما تقول في هٰذين الرجلين ؟

قال : ظالمان غاشمان .

قال : هل ظلماك بشيء ؟

قال : لا .

قال : فعاملتهما ؟

قال : لا .

قال : فكيف شهِدتَ عليهما ؟

قال : كما شهِدتُ أنّك أمير المؤمنين ولم أرك قطّ إلّا الساعة وكما شهدت أنّك غزوتَ ، ولم أحضر غزوتَك .

قال : ٱخرج من هٰذه البلدة ، فليست لك ببلاد ، وبع قليلَك وكثيرَك فإنّك لا تعاينها أبداً[1] .

وحبسه في رأس الجبل في قبّة هرثمة في خيمة . ثمّ ٱنحدر المأمون إلى البشرود وأحدره معه . فلمّا فتح البشرود أحضر الحرث . فلمّا دخل عليه سأله عن المسألة التي سأله عنها بمصر ، فردّ عليه الجواب بعينه .

قال : فأيّ شيء تقول في خروجنا هٰذا ؟

قال : أخبرني عبد الرحمان بن القاسم عن مالك أنّ الرشيد كتب إليه في أهل دهلك يسأله عن قتالهم ، فقال : إن كانوا خرجوا عن الظلم من السلطان

(1) في ك . الولاة : فإنّك لا تبقى فيها أبداً .

فلا يحِلّ قتالهم . وإن كانوا إنّما شقُّوا العصا فقتالهم حلال .

فقال : أنت تيس ، ومالك [...] منك . آرحل عن مصر !

قال : يا أمير المؤمنين ، إلى الثغور .

قال : آلحق بمدينة السلام .

فقال له أبو صالح الحرّاني : يا أمير المؤمنين تغفر زلّته .

فقال : يا شيخ ، شفعت إن نفع – وجعل المأمون يقول للحرث : يا ساعي ! – يردّدها . فقال له : يا أمير المؤمنين ، ما أنا بساعٍ ولكنّي أُحضرت فسمِعتُ وأطعت حين دُعيت . ثمّ سُئلت عن أمير فآستعفيت فلم أُعفَ ، ثلاثاً ، فلمّا رأيتُ أنّه لا بدّ لي من الكلام كان الحقُّ آثَرَ عندي من غيره .

فقال المأمون : هٰذا رجل أراد أن يُرفع له علَم ببلده . خذه إليك ! – يشير إلى أبي صالح الحرّاني .

وخرج المأمون راحلاً عن مصر لثماني عشرة خلت من صفر سنة تسع عشرة ومائتين . وأخرج بالحرث ، فخرج معه آبنُه إبراهيم وكان إبراهيم رفيق أبي خالد اليمَاميّ في التحمّل . فلمّا كانوا في مفرق الطريق إلى طرسوس وإلى العراق ، أمر المأمون بالحرث أن يُذهب به إلى العراق ، وبأبي خالد إلى الثغر .

وحجّت آمرأة الحارث فسارت من مكّة إلى العراق ، فأقام الحرث بالعراق ستّ عشرة سنة حتّى مات المأمون والمعتصم ، وولي الواثق . فذكره لأبن أبي دؤاد ، فقال آبن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين ، هو حاضر .

فقال : ما ظننتُ أنّه حيّ ؟

فأرسل إلى الحرث وهو بمدينة السلام نازل على الحسن بن عبد العزيز الجَرويّ فقال : سل حاجتك .

فقال : حاجتي أن لا تحملني إلى سرَّ مَن رأى .

فقال ٱبن أبي دؤاد للواثق : هو شيخ ضعيف ، وخفت أن أحمله فيموت .

قال : فٱكتب إليه يتوجّه حيث شاء .

فقدم مصر سنة ٱثنتين وثلاثين ومائتين . وٱغتمّ عليه أهل بغداد أسفاً على فقده ، خصوصاً ، أبو عليّ الحسن بن عبد العزيز الجرويّ . فكتب إلى سعدان ٱبن زيد وهو بمصر يشكو إليه ما نزل به لفقد الجرث ، وفي آخر كتابه هٰذه الأبيات [بسيط] :

من كان يسليه [نأيٌ] عن أخي ثقة — فإنّني غير سال آخرَ الأبدِ[1]
وكيف ينساك من قد كنت راحته — وموضع المشتكى في الدين والولد ؟
كُنْتَ الخليل الذي نرجو النجاة به — وكنتَ مِنّي مكان الروح في الجسدِ
ففرّقَتْ بيننا الأقدارُ وٱضطرمت — بالوجد نار الحُزنِ والكمدِ / [315 ب]

فأجابه سعدان [رمل] :

أيّها الشاكي إلينا وحشة — من حبيب بَانَ عنّا فبعد[2]
حسبك الله أنيساً فبِهِ — يأنس المرء إذا المرء سعد
كلّ أنسٍ بسواه زائل — وأنيس الله في عزّ الأبد
ولقد متّعك الله به — بضع عشر من سنين قد تعدّ
لو تراه وأبا زيد معاً — وهما للدين حِصن وعضُد[3]
يدرسون العلم في مسجدهم — وإذا جنّهمُ الليل هجُد
وإذا ما وردت معضلة — أسند القوم إليهم ما ورد

---

(1) زيادة من تاريخ بغداد 8 / 217 .

(2) في المخطوط : نأى ، والتصويب من ك . الولاة ، 503 .

(3) حاشية في الهامش : يعني أبا زيد عبد الرحمان بن أبي أنعم عمر ، يروي عن مفضّل بن فضالة . مات سنة 224 .

نوّر الله به مسجدهم فهو للمسجد نور يتّقد

فلمّا قام المتوكّل في الخلافة ولّى قضاء مصر جعفر بن عبد الواحد الهاشميّ . فكتب إلى الحرث بن مسكين فقلّده قضاء مصر ، وكان قد ذكر عند المتوكّل فأثنى عليه . وذكر عنده لقضاء مصر عيسى بن أبي لهيعة ، فقيل له : الله الله ، يا أمير المؤمنين ! في المسلمين عيسى مشتهر بالشطرنج .

فقال : مَن ترون توليتَه ؟

قيل له : رجل يعرفُه أميرُ المؤمنين ، وهو الحرث بن مسكين .

قال : آكتبوا بولايته !

فورد على الحرث كتاب تقليده القضاء وهو يومئذ بالإسكندريّة . فلمّا قرأه آمتنع من الولاية . فجبره إخوانه على قبوله وقالوا : نحن نقوم بين يديك .

فقدم الفسطاط وجلس للحكم في مجلس القضاء من المسجد الجامع في يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين ومائتين . وآستكتب محمّد آبن سلمة المراديّ ، وولّى على أموال السبيل والغيّب . فحمله أصحابُه على أن كشف على القاضي أبي بكر محمد بن أبي الليث فأمر به . وكان يُوقَف كلّ يوم بين يديه ويضرب عشرين سوطاً ليخرج ما وجب عليه من الأموال التي كانت تحت يده . فأقام على ذلك أيّاماً حتى كُلّم الحارث في ذلك وقيل له : لا يُحَبُّ للقاضي أن يتولّى مثل ذلك ، وإنّه لقبيح بالقاضي فعله – فخلّى عنه وترك مطالبتَه .

ودعي الحارث إلى لباس السواد ، وهو يومئذ شعار الدولة العبّاسيّة ، فآمتنع من لبسه لأنّه كان أمويًّا[1] . فخوّفَه أصحابُه سطوة السلطان به ، وقالوا له : يقال إنّك من موالي بني أميّة .

---

(1) كان أمويًّا بالولاء .

فأجابهم إلى لباس كساءٍ أسود من صوف . وقيل : بل آستمرّ على الآمتناع . فكتب الأمير إلى المتوكّل بذلك . فورد كتابه : إن لم يلبس فاخلع[ـه] وركّبه – فأمر به الوالي أن يحضر برسول بعث به إليه ، فلقيه محمد بن سعيد ، والرسل تزعجه وقد وَلِهَ . فدنا منه وقال له : يا شيخ ، لا يهولنّك ما ترى ، فإنّ إبراهيم عليه السلام أسلمه أهل الأرض فلم يضرّه ذلك لمّا كان الله له .

فآعتنقه وقال : أحْيَيْتَني يا أخي بهٰذا الكلام ، فأحياك الله سعيداً .

وأقرأه الوالي كتاب المتوكّل . فآمتنع من لباس السواد . فقال شيخ من ناحية المسجد : إنّ الشيخ رأيتُه يلبس هٰذه الثياب الفرجيّة التي تعمل باليمن .

فقال الحرث : بل إنّي ربّمَا ألبسها .

فقال له الوالي : فآلبسها !

قال : أمّا ملمّات ، فنعم .

فقنع منه بذلك وكتب به إلى المتوكّل ، وخلّى عنه .

قال آبن قديد : وكان الحرث مقعداً من رجليه ، فكان يحمل في محفّة في المسجد الجامع . وكان يركب حماراً ، متربّعاً .

وأمر الحارث في ولايته بإخراج أصحاب أبي حنيفة وأصحاب الشافعيّ من المسجد ، وأمر بنزع حصرهم من العمد . وأنزل عامّة المؤذّنين وأخرجهم من الأذان . ومنع قريشاً والأنصار أن يدفع إليهم من طعمة رمضان شيء . وحوّل سلّم المؤذّنين إلى غربيّ / المسجد . وبلّط زيادة عبد الله بن طاهر التي في [316 أ] المسجد ، وأصلح سقوفه ، وبنى سقاية في الحذّائين . وأمر ببنيان رحبة ملاصقة لدار الضرب ليتّسع الناسُ بها .

وحفر خليج الإسكندريّة . ونهى عن تقبيل[1] المصايد فأبيحت للناس .

(1) في كتاب الولاة ، 469 : تقتيل .

ومنع من النداء على الجنائز وضرب فيه . وضرب القرّاء الذين يقرؤون بالالحان . وكشف أمر المصاحف التي بالمسجد الجامع ، وولّى عليها أميناً من قِبله ، وهو أوّل القضاة فعل ذلك .

وترك تلقّي الأمراء والسلامَ عليهم . ولاعن بين رجل وامرأته . ونفى وضرب الحدّ في سبّ أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتهدّد بالرجم . وقتل نصرانيًّا سبّ النبيّ ﷺ بعد أن جلده الحدّ . وأمر بضرب عنقِ رجلين نصرانيّين شُهِد عنده أنّهما ساحران ، فكانت بينه وبين يزيد بن عبد الله في ذلك منازعة . وهدم مسجداً بناه خراسانيّ بين القبور .

ولم يكن في ولايته خلل سوى في بيت مال القضاة ، فإنّ أمرَه لم يجرِ على آستقامة من أجل أنّه دفع مفتاحه إلى أخيه محمد بن مسكين ولإبراهيم بن أيّوب ليخرجا منه شيئاً ، فأتّهم إبراهيم أنّه سرق منه ثلاثين ألف دينار . ثمّ كتبت رقعة إلى الحرث بالطعن في ولايته[1] فآستبدل بكتّابه وأعوانه وغيْرهم .

وشهد عنده رجل فقال له : ما آسمك ؟

قال : جبريل .

فقال له : لقد ضاقت عليك أسماء بني آدم حتّى تسمّيت بأسماء الملائكة ؟

فقال له الرجل : كما ضاقت عليك الأسماء فتسمّيت بآسم الشيطان ، فإنّ آسمَه حارث .

وفي رواية أنّ رجلاً تقدّم إليه في خصومة ، فناداه رجل بآسمه وكان آسمه إسرافيل . فقال له الحارث : ما حملك على أن تتسمّى بهٰذا الاسم ، وقد قال ﷺ : لا تتسمّوا بأسماء الملائكة ؟

فقال له : فلم سمّي مالك بن أنس ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا

---

(1) في المخطوط : في ولاية .

مَالِكُ﴾ (الزخرف ، 77) ؟ ثمّ قال : والله لقد تسمّى الناسُ بأسماء الشياطين ، فما عيب ذلك – يعني الحرث ، ويقال : هو اسم إبليس لعنه الله .

وحضر الحرث جنازة في جمع من وجوه مصر ، وفيهم يونس بن عبد الأعلى ، فأخذ يونس في كلام الزهّاد والحكاية عن الصالحين حتى بكى مَن حضر . فالتفت الحرث إلى يونس وقال له برفق : أنت تحسن هٰذا كلّه وأنت تصنع وتصنع ؟

فقال له يونس : أنت قاضٍ ، وقال رسول الله ﷺ : من جُعل قاضياً فقد ذُبح بغير سكّين .

وكان الحرث منحرفاً على يونس . فاتّفق أنّه شهد عنده بشهادة وانصرف . فأسقط في يديه وعلم أنّ أصحاب مسائل الحرث ، وهم أبو برد أحمد بن سليمَان بن برد ، وعمرو ويزيد ابنا يوسف بن عمرو سيجرحونه . فرجع إلى الحرث من وقته وقال : أصلح الله القاضي ، إنّي شهدت اليومَ شهادةً وفي قلبي منها شيء . لست أحقّها .

فأوقف الحرث الشهادة ، وبلغ أصحاب مسائله ذلك فقالوا : أفلت يونس من أيدينا .

ودخل إلى الحرث رجل فخاطبه بشيء . فقال له الحرث : مَن يشهد لك ؟

قال : محمد بن عبد الله بن عبد الحكم .

فقال له الحرث : قل له إن كان رجلاً فليأتِ وليشهد .

فقال رجل من أهل العراق : ما أعجب أمركم يا أهل مصر ! يكون سليم الأسود الخادم معدّلاً فيكم ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم مجروح ؟

فسمعه سليم فقال : يا هٰذا ، إنّي لم أَخُن أمانتي ، ولم أدّعِ ما ليس

لي . – وكان الحرث قبل سليمًا بغير شاهد شهد له وقال : أنا به عارف .

وكانت عجوز لها موروث في دار فغُصبَته ، وكان مالك بن سيف التجيبيّ ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم يشهدان لها . فشهد لها مالك عند الحارث ، وأقامت المرأة تختلف إليه زماناً ليأذن لها في إحضار محمد بن [عبد الله بن] عبد الحكم ، والحارث يمتنع من إحضاره . فلمّا تيقّن أنّها مظلومة ولم يتمّ لها الشهادة ، بعث من قوّم ذلك الموروث من الدار ، فقوّم بخمسين ديناراً . فدفعها الحرث إلى المرأة حتّى / لا يحضر ابن عبد الحكم . [316 ب]

وخوصم وكيلُ السيّدة في دار من دورها ، فحكم الحرث على وكيلها بإخراج الدار من يده إلى خصمه . فرفع ذلك إلى العراق ، فورد الكتاب على عنبسة بن إسحاق الأمير فيه : وذكر الفضل بن مروان أنّ الحرث بن مسكين لم يزل معروفاً بالانحراف عن السلطان والمباعدة لأسبابه في أيّام المأمون . وإنّ أمير المؤمنين أيّده الله أمر أن يكتب إليك ما رفع الفضل بن مروان من ذلك ، وأن تُعلمَ الحرث أنّ مَقام وكلاء جهة[1] أمير المؤمنين في ضياعها ودورها ومستغلّاتها بمصر مقام من يحوطها ويجبي أموالها ، وتأمر بردّ الدار التي كانت في أيديهم المعروفة بعليّ بن عبد الرحمان الموصليّ إلى أيديهم كما كانت قبل عرضه فيها ، وتركِ النظر في شيءٍ ممّا في يدي وكلاء أمير المؤمنين من الضياع والدور وغلّات مصر ، والاعتراض على أولائك الوكلاء ، بمَا يوهن أمرَهم أو يُطمع في شيءٍ ممّا في أيديهم من حقوق أمير المؤمنين . ويأمر بالتقدّم إلى الحرث في ترك النظر في شيءٍ من الضياع والتعرّض لما في أيدي الوكلاء منها ، ومنعه من ذلك إن حاوله . واكتب[2] بمَا أمر به أمير المؤمنين في ذلك ، وبمنع الحرث من تقدّمه وتجاوزه . واعمل بمَا أمر به أمير المؤمنين ، وانتهِ إليه ، وقِفْ عنده ، وتوقّ مجاوزتَه والتقصير فيمَا أمرت به . وكتب أحمد بن الخصيب يوم الاثنين لخمس خلون من

(1) الجهة هنا : زوجة الخليفة ، وقد سمّيت السيّدة قبل قليل .
(2) في المخطوط : وكتب ، وفي ك . الولاة : وكتبت .

شهر ربيع الآخر سنة أربعين ومائتين .

ثمّ كثرت المرافعات في الحرث . فرفع عليه أنّ رجلاً شهد عنده وقد حلق شعر رأسه فقال له : أشاميّ أنت أم عراقيّ ؟

فقال له الشاهد : بل كوفيّ .

فقال الحرث : فأخبث وأشرّ .

ورفع عليه أنّه شهد عنده شاهد أنّ ٱبن أبي الليث أشهد عليه بكذا .

فقال له : تذكر ابنَ أبي الليث في مجلسي ؟ لا تعد إليّ في شهادة !

ورفع عليه أنّه قال لسهل بن سلمة الأسوانيّ : قد عُدّلتَ عندي ، ولست أقبل شهادتك لأنّك عملت لأبن أبي الليث .

ورفع عليه أنّه قال لسليمَان بن أبي نصر : لا أجيز وصيّة من أوصى إليك ، وقد صحّ عندي أنّك كنت تأتي ٱبنَ أبي الليث – وأخرج الوصيّة من يده .

وكانت دار بخطّة أبي ثعلبة الخشنيّ من الفسطاط تُعرف بدار الفيل من أجل أنّ متملّك الهند أهدى إلى الوليد بن رفاعة أمير مصر فيلاً ، فصيّره بها . وكان أبو عُثيم مسلمة بن مخلد الأنصاري حبّس هٰذه الدار على مواليه الذين بفسطاط ، وهم : كعب بن سليمَان ، وناصح ، ويسار ، ورافع ، وعليّ ، وأولادُهم وأولادُ أولادهم ما تناسلوا ، ذكرُهم وأُنثاهم سواءٌ . وإذا لم يبقَ أحدٌ من أولادهم رجعت الدار إلى السبيل إلى جُزءَيْن : الجزء الأوّل على الفقراء والمساكين ، والجزء الثاني على مَن يسكن فسطاط مصر من صليبة بني ساعدة من الأنصار من آل أبي دجانة سماك بن حرشة الساعديّ ، وهم عصبة مولاه مسلمة بن مخلد على المطوّعة وأهل الديوان ممّا لم يبلغ عطاؤه مائتين . فمن بلغ عطاؤه مائتين ، فلا حقّ له في أجرة ولا سكنى . فإن لم يحضر الفسطاط أحدٌ من بني ساعدة ، كان النصف الذي لهم مضموماً إلى النصف الأوّل في سبيل الله

عزّ وجلّ .

وتاريخ كتاب التحبيس في سنة ثلاث وتسعين .

ثمّ قدم مولى لأبي عُثَيم من إفريقيّة اسمه رباح ، وهو غير مَن سمّى أبو عُثَيم في كتابه ، فأدّعى أنّ له في هٰذه الدار مثل ما لموالي أبي عثيم . وخاصم في ذلك إلى ثوبة بن نمر الحضرميّ قاضي مصر . فحبّس[1] الحبُس لمَنْ سمّى أبو عثيم من مواليه ، وأخرج رباحاً المدّعي منهم ، وقضى بذلك في كتاب تاريخُه سنة سبع عشرة ومائة . وتأخّر من موالي أبي عثيم محمد بن ناصح وعَزّة بنت عمرو بن رافع . فماتت عزّة ، وتركت ٱبنَها إبراهيم بن عبد الصمد المعروف بالسابح . فخاصم إبراهيم / إلى المفضّل بن فضالة قاضي مصر فيما كان بيد أمّه [317 أ] من هٰذه الدار . فرأى المفضّل أن لا حقّ لإبراهيم هٰذا في الدار ، ولم يره من عقِب موالي أبي عثيم على مذهب أهل المدينة ، وسلّم دار أبي عثيم كلّها إلى محمد ٱبن ناصح .

ثمّ خاصم ابن السابح إلى عبد الرحمان بن عبد الله العمريّ قاضي مصر ، فأخرج محمد بن ناصح قضيّة المفضّل بإخراج ابن السابح منها . فنفّذ العمري قضيّة المفضّل .

ثمّ تخاصما إلى إبراهيم بن الجرّاح قاضي مصر ، فحكم بردّ النصف إلى إبراهيم بن السابح ورآه من العصب .

ثمّ مات محمد بن ناصح وإبراهيم بن عبد الصمد بن السابح وتركا أولادَهما : إسحاق بن إبراهيم بن عبد الصمد بن السابح ، وعبيد بن محمد بن ناصح ، فتناظرا فيها إلى هارون بن عبد الله الزهري قاضي مصر ، فقضى هارون أن لا حقّ لإسحاق بن إبراهيم [بن عبد الصمد] بن السابح .

ثمّ تخاصما إلى محمد بن أبي الليث قاضي مصر . فرأى أنّ إسحاق من

---

(1) في المخطوط : فجلس .

عصب موالي أبي عثيم ، وسلّم إليه وإلى أخيه أحمد بن إبراهيم نصف الدار ، وأقرّ النصف في يد عبيد بن محمد بن ناصح ، وأخرج عيال إسحاق وأحمد ابنَي إبراهيم بن عبد الصمد منها .

ولم يحضر إسحاق الحكم ، فكان حكم الحرث عليه ، وهو غائب ، على مذهب أهل المدينة . فقدم من سفَره وٱختلف إلى الحرث زماناً يناظره في حكمه عليه وهو غائب فلم يُجْدِه شَيْئاً . فخرج إلى العراق ورفع على الحرث وتظلّم منه بباب المتوكّل والمنتصر [بالله] . فأمر المتوكّل بإحضار الفقهاء . فنظروا في قضيّة الحرث فخطّؤوه فيها على مذهبهم وتناولوه بألسنتهم . فكتب المتوكّل إلى قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد أن يصرف الحرث عمّا يتولّاه من القضاء بمصر . فكتب جعفر بذلك ، وولّى دحيم – وهو عبد الرحمان بن إبراهيم بن سعيد بن ميمون مولى يزيد بن معاوية وهو على قضاء فلسطين – قضاء مصر . فتوفّي بالرملة في يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة خمس وأربعين [ومائتين] . فولّى المنتصر بكّار بن قتيبة .

وكان قد ورد كتاب المنتصر وفيه نسخة ما أجاب به الفقهاء في حكم الحرث وتخطئته فيه . وورد كتاب المتوكّل على الأمير يزيد بن عبد الله في النظر في ذلك ، فلم يكن من يزيد فيه شيء . فلمّا بلغ الحرث ذلك كتب يسأل الإعفاء من القضاء . وأجابه قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد بأنّه أنهى إلى أمير المؤمنين أنّ كتابك وصل بٱستعفائك ممّا تقلّدت منه ، إسعافاً لك [بمَا] سألت ، وتفضيلاً لما أدّى إلى أنّ موافقتك فيه . فرأيك ، أبقاك الله ، في معرفة ذلك على حسبه .

وكان ورود ذلك على الحرث في يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين . فصرف الحرث عن القضاء ؛ وكانت مدّته سبع سنين وأحد عشر شهراً .

وأقام في منزله لسماع الحديث حتّى توفّي ليلة الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الأوّل سنة خمسين ومائتين . وصلّى عليه الأمير يزيد بن عبد الله ، وكبّر عليه خمساً .

1115 – مجد الدين البهنسيّ [555 – 628][1]

الحارث بن مهلّب بن حسن بن عرفات بن علي بن غيّاث بن القاسم بن المهلّب ابن أبي صفرة ، أبو الأشبال ، مجد الدين ، ابن مهذّب الدين أبي المحاسن ، الأزديّ ، المهلّبيّ ، البهنسيّ ، الشافعيّ .

ولد بمدينة البهنسى سنة خمس وخمسين وخمسمائة . ومات أبوه المحدّث في يوم الاثنين تاسع عشر ذي القعدة سنة ستّ وسبعين وخمسمائة .

وسمع المجد من [. . .] وحدّث بشيء من شعر والده . ووزر للملك الأشرف موسى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، بحرّان ، وترسّل للدّيوان العزيز وإلى جماعة من الملوك . وكان قد اتّصل بالصاحب صفيّ الدين عبد الله بن علي بن شكر وسافر معه إلى الشام . فنوّه به ، وكان له يد طولى في اللغة ، وله شعر جيّد . ومرّت به نكبة صادره فيها الأشرف وحبسه مدّة / ثمّ أفرج عنه . [317 ب]

ومن شعره في رجل سلب أعراض الناس [متقارب] :

طغى ابن فلان على ربّه ... وما منه في الخلق من سالم
وذاك قليل وإن ضوعفوا ... دعوه يسبّ إلى آدم
كنوز المعايب في عرضه ... يفرّق منها على العالَم

ومات بدمشق في صفر سنة ثمان وعشرين وستّمائة . وله أوقاف بمدينة مصر

---

(1) الأعلام 2/ 161 .

وغيرها على زاوية بجامع عمرو بن العاص فيها مدرّس وعدّة طلبة من فقهاء الشافعيّة . وتعرف هٰذه الزاوية بالمجديّة .

1116 – حاطب بن أبي بلتعة [– 30][1]

حاطب بن أبي بلتعة – وٱسم أبي بلتعة : عمرو – وقيل : حاطب بن راشد بن معاذ ، اللخميّ ، حليف قريش . وقيل إنّه من مذحج . وقيل : هو حليف للزبير بن العوّام . وقيل : بل كان عبداً لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحرث بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ ، وَكَاتِبَه ، فأدّى كتابته يومَ الفتح ، وهو من أهل اليمن . والأكثر أنّه حليف لبني أسد بن عبد العزّى بن قصيّ – يكنّى أبا عبد الله – وقيل : أبا محمد – أحد أصحاب رسول الله ﷺ .

شهد بدراً والحديبيّة .

وقدم مصر مرّتين في الرسالة إلى المقوقس . وشهد فتح مصر . ومات سنة ثلاثين بالمدينة ، وهو ٱبن خمس وستّين سنة . وصلّى عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه .

وقد شهد الله تعالى لحاطب بالايمَان في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة ، 1) . وذلك أنّ حاطباً كتب إلى أهل مكّة قبل حركة رسول الله ﷺ عام الفتح يخبرهم ببعض ما يريد رسول الله ﷺ من الغزو إليهم ، وبعث كتابَه مع ٱمرأةٍ ، فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فبعث في طلب المرأة عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه ، فأخذ معه المقداد بن الأسوَد ، والزبير بن العوّام رضي الله عنه فأدركا المرأة بروضة

(1) الإصابة 1 / 300 (1538) – أسد الغابة 1 / 431 (1011) – الوافي 11 / 272 (402) . المعارف ، 318 ، الأعلام 2 / 163 .

خاخ فأخذا الكتاب . ووقف رسول الله ﷺ حاطباً على الكتاب فٱعتذر ، وقال : ما فعلته رغبةً عن ديني – فنزلت فيه آيات من صدر سورة الممتحنة . وأراد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قتلَه ، فقال له رسول الله ﷺ : إنّه قد شهد بدراً .

وروى الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه ، أنّ عبداً لحاطب جاء إلى النبيّ ﷺ يشتكي حاطباً . فقال : يا رسول الله ، ليدخلنّ حاطب النار !

فقال عليه السلام : كذبت ! لا يدخل النار أحدٌ شهد بدراً والحديبيّة .

وروى يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : جاء غلامٌ لحاطب بن أبي بلتعة إلى رسول الله ﷺ فقال : لا يدخل حاطب الجنّة – وكان شديداً على الرقيق .

فقال رسول الله ﷺ : لا يدخل النارَ أَحَدٌ شهد بدراً والحديبيّة .

وفي موطأ مالك رحمه الله أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، قال لحاطب حين ٱنتحر رقيقه ناقة لرجل من مزينة : أراك تجمعهم – وأضعف عليه القيمةَ على جهة الأدب والردع له .

وبعث رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة في سنة ستٍّ من الهجرة إلى المقوقس صاحب مصر والإسكندريّة[1] . فمضى حاطب بكتب رسول الله ﷺ ، فلمّا ٱنتهى إلى الإسكندريّة وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر . فركب البحر ، فلمّا حاذى مجلسَه أشار بكتاب رسول الله ﷺ بين أصبعه . فلمّا رآه أمر بالكتاب فقبض وأمر به ، فأوصل إليه . فلمّا رآه أجلسه وتناول منه الكتاب ، وأنزله في منزله .

(قال) فأقمتُ عنده ليالي . ثمّ بعث إليّ وقد جمع بطارقته فقال : إنّي

---

(1) خبر هذه الرسالة مقتضب عند ابن هشام مفصّل في سيرة دحلان 2 / 173 .

[318 أ] سأكلِّمُك بكلام أحبُّ أن تفهمَه / منّي .

قلت : هلمَّ !

قال : أخبرني عن صاحبك : أليس هو نبيًّا ؟

قلت : بلى ، هو رسول الله .

قال : فما له ، حيث كان هكذا ، لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلدته إلى غيرها ؟

فقلت له : فعيسى بن مريم ، أتشهد أنّه رسول الله ؟ فما بالُه حيث أخذه قومُه وأرادوا صلبه ألّا يكون دعا[1] عليهم بأن يهلكهم الله ، حتى رفعه الله إليه في سماء الدنيا ؟

فقال : أحسنت ! أنت حكيم جاء من عِند حكيم . هٰذه هدايا أبعث بها معك إلى محمّد ، وأرسلُ معك من يبلّغك إلى مأمنك .

وفي رواية أنّ المقوقس قال لحاطب : ما منعه ، إن كان نبيًّا ، أن يدعو عليّ فيسلّط عليّ ؟

فقال له حاطب : ما منع عيسى بن مريم أن يدعوَ على من أبى عليه أن يفعل به ويفعل ؟

فوجم ساعة ثمّ ٱستعادها فأعادها عليه حاطب . فسكت . فقال له حاطب : إنّه قد كان قبلك رجلٌ زعم أنّه الربّ الأعلى فٱنتقم الله به ثمّ ٱنتقم منه . فٱعتبر بغيرك ، ولا يُعتبَر بك . وإنّ لك ديناً لن تدعَه إلّا لما هو خير منه ، وهو الإسلام الكافي اللهُ به فقدَ ما سواه ، وما بشارة موسى بعيسى إلّا كبشارة عيسى بمحمّد . وما دعاؤُنا إيّاك إلى القرآن إلّا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل . ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنّا نأمرك به .

---

(1) في أسد الغابة 1 / 433 : فما باله لم يدعُ عليهم ؟

[ثمّ] إنّ المقوقس أعاد حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى رسول الله ﷺ . وجهّز معه هديّةً ورسولاً يقال له ابن خير . فيقال إنّ حاطب بن أبي بلتعة لمّا قدم المدينة ودخل على النبيّ ﷺ أنشده أبياتاً – ويشبه أن تكون مصنوعة[1] – وهي [كامل] :

انعَم صباحاً يا وسيلةَ أمّةٍ ترجو النجاةَ به غداة الموقِف
إنّي مضيتُ إلى الذي أرسلتني أطوي المهامه في الطريق الأخوف
حتى رأيتُ بمصر صاحبَ ملكها فبدا إليّ بمثل قولٍ منصف
فقرَا كتابَك حين فكّ ختامَه فاهتزّ يرعد كاْهتزاز المرجف
قال الأساقفة الذين تجمّعُوا ماذا أراعَك من كتاب المشرف ؟
قال : اْسكتُوا يا ويلَكم وتأدّبوا هٰذا كتابُ نبيٍّ دين المصحفِ
قالوا : وهمت ! فقال : لستُ بواهِم بل قد عرفتُ بيانَ حقِّ الأحرفِ
في كلّ سطرٍ من كتاب محمّد خطّ يلوح لناظر متوقِّفِ
هٰذا الكتاب كتابُه لك خاضعاً يا خيرَ مولود بحقّك يكتفي
وأتى رسولك بالجواب مسلّماً بإرادة المولى العظيم الأرأف
لي أجرتي : غُرف الجنان وحورُها ونعيمها فأفوز يوم الموقف
صلّى عليك الله ما غسقَ الدجى أو لاح صبح بالضياء المشرف
ومتى بدت شمسُ النهار منيرة في ضوءها الوهّاج حتّى ينطفي

ثمّ إنّ أبا بكر رضي الله عنه ، لمّا استخلف بعد رسول الله ﷺ بعث حاطباً إلى المقوقس بمصر . فمرّ على ناحية قرى الشرقيّة ، فهادنهم وأعطوه . فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص ، فقاتلوه . فاْنتقض ذلك العهد . وهي أوّل هدنة كانت بمصر .

وروى حاطب عن النبيّ ﷺ أنّه قال : مَن رآني بعد موتي فكأنّما رآني في

(1) هي في نظره مصنوعة ولكنّه ينقلها .

حياتي . ومن مات في أحد الحَرَمين بُعث في الآمنين يومَ القيامة .

وليس له غير هٰذا الحديث . حدّث عنه من أهل مصر عبيد بن رفيع [318ب] الهذليّ . وحدّث عنه / أبو عطيف أنّ عمر بن الخطّاب قال : يقاتلكم أهل الأندلس بوسيم حتى يبلغ الدمُ قنن الجبل ثمّ ينهزمون .

وكان حاطب تاجراً يبيع الطعام ، وكان حسن الجسم ، خفيف اللحية ، أَحْنَى[1] إلى القصر ما هو بَين الأصابع .

ودعا له النبيّ ﷺ يوم أُحُد فقال : رضي الله عنك ! رضي الله عنك !

1117 – حبشيّ السلميّ رأس المغاربة [– 324][2]

حبشيّ بن أحمد ، السلميّ ، أبو مالك .

ترأّس على المغاربة الذين كانوا بمصر في أيّام الفتن التي حدثت بها بعد موت الأمير تكين بين أبي بكر محمد بن عليّ الماذرّائيّ وبين أبي بكر محمد بن تكين ، وصار حبشيّ بأصحابه في جملة الماذرّائيّ .

فلمّا ولي أحمد بن كيغلغ مصر ، نزغ[3] الشيطان بين الجند فافترقوا فرقتين فكان جيكويه[4] على أهل مصر ، وحبشيّ على المغاربة نحو الأربعين رجلاً . وفرَّ

(1) أحنى : مائل . وبقيّة الوصف غامضة .

(2) كتاب الولاة والقضاة ، 284 . و « المغاربة » الذين كانوا صنفاً من المرتزقة في الجيش المصريّ ، يستند إليهم الولاة لصرف منافسيهم على الحكم . وهذا الفريق سبق بكثير دخول الفاطميّين إلى مصر ، ويظهر أنه بعيد عن التشيّع . ثمّ إنّ حبشيّ وجماعته من أنصار أحمد بن كيغلغ لمّا ثبتت ولاية الإخشيد على مصر ، نزحوا إلى برقة وأخذوا يُغرون القائم العبيدي باحتلال مصر . فجهّز القائم جيشاً في سنة 324 حسب رواية الكنديّ ، 287 فتصدّى له الإخشيد .

(3) نزغ الشيطان بينهم : أفسد .

(4) قائد المصريين في قراءة رفن فست : حبكويه (الولاة والقضاة ، 284) بالحاء المهملة =

حبشيّ بمن بقي إلى الجيزة وعسكر . ثم سار إلى أسيوط وأقام بها . ثمَّ عاد بالمغاربة إلى الجيزة سلخ صفر سنةَ اثنتين وعشرين [وثلاثمائة] فخرج إليهم جند مصر لقتالهم . فوقع الصلح بين الفريقين يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأوّل . ثمَّ كره ذلك جيكويه فاستعدَّ حبشيّ ، وأقام كلٌّ من الفريقين بالجيزة ، والأمير يومئذ بمصر أحمد بن كيغلغ ، والقائم بتدبير الأمور أبو بكر محمد بن عليّ الماذرَّائيّ .

فبينا هُم في ذلك إذ أتاهم محمد بن تكين يومَ الأحد ثالثَ عشره ونزل الجيزة مع جند مصر وبعث يأمر حبشيّ بطاعتِه فامتنع من ذلك ورجع فيمن معه إلى الصعيد ، ولحق به محمد بن عيسى النوشريّ[1] ، وهم على الدعاء لأحمد ابن كيغلغ . ثمَّ عدَّى حبشي النيل بأصحابه إلى البرِّ الشرقيّ ، ثمَّ سارَا إلى الفسطاط ، فعسكر محمد بن تكين ببركة المعافر[2] فبيَّتَتْهُ طائفة من المغاربة ليلة السبت لثلاث خلون من ربيع الآخر [322] وقتل من الفريقين جماعة . ثمَّ التقوا من الغد فانهزمت المغاربة إلى الجيزة ونزلوا بولاق .

فعقد محمد بن تكين لجيكويه وأحمد بن بدر السميساطيّ على آلافٍ من الجند في طلب حبشي حيث كان . فالتقوا ببلقينة يوم السبت لتسع بقين من جمادى الآخرة [322] واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم جيكويه وأحمد بن بدر وتبعهم المغاربة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعدَّوا النيل إلى بلبيس ، فلحق بهم الفسطاط . وفرَّ محمّد بن تكين في سادس رجب ثمَّ عاد .

= والباء الموحّدة التحتيّة .

(1) هو ابن عيسى النوشري الذي كان أمير مصر عند مرور المهديّ بها قاصداً إفريقية . ومحمّد هذا ولّاه أحمد بن كيغلغ شرطة مصر سنة 323 (كتاب الولاة والقضاة ، 285) .

(2) بركة المعافر أو بركة حمير أو بركة الحبش . قال ياقوت : هي وَهْدَةٌ من الأرض واسعة مشرفة على النيل خلف القرافة . وقال : وليست ببركة للماء وإنّما شبّهت بها . ولكنَّ الكندي (ولاة ، 115) قال إنَّ يزيد بن حاتم المهلّبيّ هو الذي ابتنى هذه الفسقيّة لقومه المعافر ، وأجرى إليها الماء .

فخرج إليه حبشيّ وقاتله فيمَا بين فاقوس وبلبيس[1] فهزمه ثمَّ أسره وبعثه إلى الفسطاط . فقدم الخبر بمسير محمد بن طغْج من دمشق إلى مصر ، فبعث أحمد بن كيغلغ بحبشيّ فيمن معه إلى الفَرَمَا ليمنعَ محمد بن طغْج من المسير . فلمّا هَزم صاعدُ بن الكلملم عليَّ بن بدر ، وكفَّ أحمد بن كيغلغ عن قتال محمد بن طغج وسلَّم إليه مصر ، كره حبشي والمغاربة المُقامَ معه ، فركبوا طريقَ الشرقيَّةِ ، ومعهم بجكم ، وعلي بن بدر ونظيف النوشري ، وعلي المعدنيّ[2] ، ولحقوا بالفيُّوم . فخرج إليهم صاعد فقاتله حبشيّ وقتله ، ومضى من الفيُّوم إلى الإسكندريّة في جيشٍ فأقام بها ، وبعث عليّ بن بدر وبجكم في المراكب التي غنموها من صاعد بن الكلملم ، فصبحوا الفسطاط أوَّل يوم من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة] فأرسوا بالجزيرة تجاه الفسطاط ، وكانت الصناعة بها إذ ذاك فشعَّثوها . فركب محمَّد بن طغج في عسكره ووقف بحيالهم من غير أن يستطيع دفعهم لما بينه وبينهم من النيل .

ثمّ انحدروا من الجزيرة إلى الإسكندريّة آخر النهار ، ولقُوا حبشيّ وساروا جميعاً إلى برقة ، وكتبوا لصاحب إفريقية[3] يستأذنونه في القدوم عليه وأن
[319 أ] يُمدَّهم بجيش ليأخذوا له / مصر ، فإنَّهم يعلمون وجوهَ الحرب وكيف الوصول إليها . فبينا هم في ذلك مات حبشي في صفر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[4] .

1118 – حُبَيش بن دلَجة [– 65][5]

حُبَيش – بضمّ الحاء المهملة وفتح الباء الموحّدة وسكون الياء آخر الحروف

---

(1) يضيف الكندي ، 285 : بِمَوضع يقال له : الطواحين .
(2) في قراءة ناشر كتاب الولاة والقضاة ، 286 : نظيف الموسويّ ، وعليّ المغربيّ .
(3) صاحب إفريقية هو إذ ذاك القائم بأمر الله .
(4) قال الكندي ، 287 إن حبشيّ توفي بالرمادة .
(5) الأعلام 2 / 173 – تهذيب ابن عساكر 4 / 43 – النجوم 1 / 168 الطبري (سنة 65) – مختصر ابن منظور 6 / 193 (134) .

ثمّ شين معجمة – بنُ دلَجة – بفتح اللام ، وقيل : بإسكانها – بن عمرو بن مشمت بن مذعور بن فردم بن حبيب بن زيد بن عوف بن حيّ بن وائل بن جشم بن مالك بن كعب بن القين – وآسمه النعمان وإنّما حضنه عبدٌ يقال له القين ، فغلب عليه – بن جسد بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، أبو [...] ، القيني ، أحد وجوه أهل الشام من أهل الأردن .

شهد صفّين مع معاوية ، وكان يومئذ على قضاعة الأردن . وولّاه يزيد بن معاوية على أهل الأردن يوم بعثهم إلى الحرّة . وقدم مصر مع مروان بن الحكم ، وكان على مقدّمته ، حتّى صالح أهل مصر وملكها . فعقد له في جمادى الأولى سنة خمس وستّين وسيّره في خمسة آلاف من أهل الشام إلى المدينة ليخرجوا منها عمّال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وقال له : أنتَ على ما كان عليه مسلم بن عقبة .

فخرج لعشر خلون منه ومضى حتّى نزل بذي المروة ، ووجد رسولاً من آبن الزبير بكتابه إلى عبد الرحمان بن عتبة بن جحدم عامله على مصر ، ولم يكن بلغه غلب مروان على مصر . فضرب عنقه ، ومضى إلى المدينة فدخلها ونزل في دار مروان دار الإمارة . وكان عليها جابر ابن الأسود بن عوف آبن أخي عبد الرحمان بن عوف من قبل ابن الزبير . ففرّ جابر . فبعث الحارث بن أبي ربيعة – أخو عمر بن أبي ربيعة – جيشاً من البصرة ، وكان والياً عليها لآبن الزبير ، وجعل عليهم حَنْتف بن سجف التميمي[1] لحرب جبيش ، حتّى توافى جند البصرة . فأقبل عبّاس[2] من مكّة حتى لحقهم وهو في آثارهم ، بالرَّبَذَة

(1) هنا تأتي حاشية مدمجة في المتن : ح : حَنْتف بن السجف بن سعد بن عوف بن زهير بن مالك ، وهو العجيف ، من ربيعه بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم القيسيّ آبن السجف التَميميّ . والحنتف هي قراءةُ ناشر المعارف ، 416 . أمّا ناشر الطبريّ 5/ 612 فقرأها : الحُنيف .

(2) عباس بن سهل بن سعد الأنصاري عند الطبريّ 5 / 612 .

فقاتلهم حُبيش فرما[ه] يزيد بن سِيَاه [الأسواريّ] بسهم فقتله في غرّة رمضان منها وانهزم أصحابه ، وتحرّز منهم خمسمائة بالمدينة ، فقتلهم عبّاس بن سهل ، ورجع باقيهم إلى الشام . ودخل يزيد بن سياه المدينة فوقف على برذون أشهب وعليه ثياب بيض . فما لبث أن اسودّتْ ثيابه وَرَايَتُه[1] ممّا مسح الناس به وما صبّوا عليه من الطيب .

قال ابن دريد : هو أوّل أمير أكل على منبر رسول الله ﷺ. قتله حنتف بن السجف [التميميّ] .

ودخل يوماً على مروان بن الحكم وكان يجلسه على السرير معه ، فرأى روح بن زنباع في موضعه من السرير معه فأمر حملته ألّا يضعوه وقال : إن رَدَدْتُم علينا موضعنا وإلّا انصرفنا عنكم .

فقال مروان : مهلاً ! فإنّ لأبي زرعة مثل سِنّك ، وبه مثل علّتِك – يعني النقرس .

قال حبيش : أوَله مثل يدي عندك ؟

قال : وله مثل يدك عندي ، إلّا أنّ يدَه غيرُ مكدّرة بمَنّ .

قال : إنّي لأظنّك يا مروان أحمق .

قال : أظنّ أيّها الشيخ ظننته أم يقين استيقنْتَه ؟

قال : بل ظنّ ظننتُه .

قال : فإنّ أحمق ما يكون الشيخ إذا أُعجِبَ بِظنّه – وفي رواية : إنّ أحمق ما يكون الشيخ إذا استعمل ظنّه .

وقال صالح بن حسّان البصريّ : رأيت حبيش بن دلَجة على منبر رسول الله ﷺ يأكل من مكتلِه تمراً ويطرح نواه في وجوه القوم وقال : والله

(1) عند الطبري (أبو الفضل) 5 / 612 : ورأيتُه ، وفي طبعة أوروبا : ورايته .

إنّي لأعلم أنّه ليس بموضع أكل ، ولكنّي أحببتُ أن أذلّكم لخذلانكم لأمير المؤمنين .

وأخاف أهل المدينة خوفاً شديداً وآذاهم ، وجعل إذا خطبهم يشتمهم ويتوعَّدُهم وينسبهم إلى الشقاق والنفاق والغشّ لأمير المؤمنين – يعني يزيد – حتى أتاه الحتف فخرج إليه وأبى أهل المدينة أن يعينوه / فقُتل ، وسرّ بقتله [319 ب] أهل المدينة سروراً كبيراً وحبست أسراه وهم خمسمائة ضربت أعناقهم .

[وقتل حُبيش بن دَلَجة في سنة خمس وستّين][1] .

1119 – حباسة بن يوسف الكتاميّ [– 307][2]

حباسة بن يوسف الكتاميّ ، أحد قوّاد المهدي عبيد الله [...] .

وبعثه المهديّ على الجيوش لأخذ مصر ، وجهَّز معه مائتَي مركب . فسار إلى برقة ، وبها أبو النمر أحمد بن صالح من الأبناء[3] على جيش كبير من قِبل

---

(1) الزيادة من مختصر تاريخ ابن عساكر 6 / 194 .

(2) الكندي ، 267 – ابن عذاري 1 / 168 – الكامل (سنة 302) .
ورواية المقفّى هنا تلازم كلام الكندي في كتاب ولاة مصر عند ترجمته لأبي منصور تكين الخاصّة ، ص 267 وما يليها .
ونجد في البيان المغرب 1 / 168 تفاصيل كثيرة عن حباسة بن يوسف الملّوسي وعن فعاله بأهل برقة ، وانقطاعه عن القائم بِمصر ، ممّا جرّ قتلَه بالمهديّة حين عاد إليها . وتبع قتلَه انتقاض أخيه غزويه بن يوسف – الذي ساهم في الإيقاع بأبي عبدالله الشيعيّ – في جموع من ملوسة حتى إنّهم هدَّدوا القيروان حسب رواية ابن الأثير (حوادث 302) .
والترجمة مفيدة بِمَا أوردته من شعر المصريِّين المناهضين للجيش الفاطميّ ، ولكنها لا تعرّف بالشاعرين : ابن مهران ونافع بن محمد . وكذلك الكندي لا يعرِّف بهما ، وإنّما يضيف (ص 278) أنَّ ابن مهران قُتل بسبب بيتين قالَهُما في تكين لمَّا عُزل عن ولاية مصر فأمر بقتله عندما ولي مصر سنة 311 للمرَّة الثالثة .

(3) الأبناء : رجالات الدولة العباسية من الخراسانيّين (دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 104) .

أبي منصور تكين أمير مصر . فخرج إلى سرت ولقي حباسة فاقتتلا وانتصف كلّ منهما وامتنَعَ من صاحبه . فعزل تكين أبا النمر بخير المنصوري .

وبلغ ذلك حباسة ، فبعث إلى أبي النمر ، وهو مواقِفُه : « ما يحملك على حربنا وأنت معزول ؟ » وبعث إليه بكتاب وَرَدَ عليه من مصر بذلك . فانصرف أبو النمر إلى برقة ، وتبعه حباسة ، ومضى أبو النمر إلى مصر فملك حباسة برقة .

وخرج منها فلقي خير المنصوري وهزمه ، وأقبل بجيوشه إلى الإسكندريّة فدخلها يوم السبت لثمان خلون من المحرَّم سنة اثنتين وثلاثمائة ، ومعه ما يزيد على مائة ألف . فقدم القاسم بن سيمَا[1] من العراق وقدمت الجيوش مدداً لتكين . فخرج أوّل العسكر من مصر إلى الجيزة في خامس جمادى الأولى منها وخرج تكين في تاسعه فعسكر بها .

وخرج حباسة من الإسكندريّة فعسكر بمشتول من أرض الجيزة . ونوديَ بالنفير في الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة فلم يتخلَّف عن الخروج إلى الجيزة أحدٌ من الخاصّة والعامَّة ، إلّا نفرً[ا] يُعذرون بعلّة أو حالِ عجزٍ عن الحركة . ثمَّ انصرفوا عشاءً ولم يكن لقاء .

ثم نودي بالنفير يوم الخميس بعد ذلك بيومين . فخرج الناس خروجاً لم يُر مثلُه قطُّ في الاجتماع والنشاط وحسن البصيرة . وأتاهم حباسة في جيشه يومئذٍ فيمَا بين الظهر والعصر فالتقَوا فكثرت القتلى بينهم ، وقُتل أكثر رجال حباسة وانهزم باقيهم ، فتبعهم جمعٌ من الرعيَّة ، وعبروا خلفَهم خليج بوهة[2] ، وقد دخل الليل ، فخرج عليهم كمين لحباسة بعد الغروب فقتل منهم نحواً من عشرة آلاف .

---

(1) القاسم بن سيمَا الفرغاني ، أحد قوّاد المكتفي والمقتدر (العيون والحدائق ، 568 ، وفيها أنّه مات سنة 305) .

(2) خليج بوهة : لم نتعرّف عليه .

وأصبح الجند على مصافّهم بالجيزة يوم الجُمعة ، وفيه نوديَ بالنفير وقت صلاة المغرب ، فاضطرب الناس لذلك اضطراباً شديداً ، وخرجت الرعيَّة إلى الجيزة ليلَهم كلَّه كخروجهم بالأمس . ثمَّ عادوا إلى الفسطاط غدَاةَ يوم السبت ولم يكن لقاء .

وعاد حباسة إلى الغرب . فعند وصوله إلى المهديّة قتله المهديّ .

وقال نافع بن محمد بن عمرو في واقعة حباسة (طويل) :

أَلَا شُوْقٌ جَيْبَ الصَّبْرِ إنْ كُنْتَ مُوجَعَا   وَلَا يُلْفِ لَاحٍ فيكَ لِلْعَذْلِ مَطْمَعَا
لِمَا دَهَمَ الإسلامَ مِن فجع حادثٍ   تهُمُّ له أركانُه أن تضَعْضَعَا
لِمصرَعِ إخوانٍ على الدينِ صُرِّعُوا   لنصرةِ دين الله يا لَكَ مصرَعَا !
فمَاتُوا كِراماً ما استضِيمُوا أعِزَّةً   يُلاقُونَ في الله الأسنّةَ شُرَّعَا
ألَمْ ترهُم يومَ الخميسِ ، وقد غدَا   عَدُوُّهُمُ فِيمَنْ أعَدَّ وأجمعَا ؟
وقد صاح فيهم بالنفيرِ أميرُهُمْ   فجاؤُوا سراعاً ، حاسِرينَ ودُرَّعَا
فصادمَهُمْ في الناكِثينَ فأُيّدوا   وكان حماةُ الدينِ أعلى وأمنَعا[1]
فولَّى بخِزيٍ طُوِّقَته كُتامَةٌ   وقد سُقِيَتْ كأساً من الموتِ مُتْرَعَا
ألوفٌ أبادَ القتلُ جَمَّ عديدِهِمْ   فأمسَوا طعاماً للكلابِ ومرتَعا
ترى القوم صرعَى في الحُلافِي جَوَاثِماً   كأعجازِ نخلٍ بالبقيعِ تَقَلَّعَا[2]
/ وطيف بِهام الفاسقينَ على القَنَا   وبُضِّعَ مِنْ لحماتِهِم ما تبضَّعَا [320 أ]
وكانت لحزبِ الكُفر إذْ ذاك عِطفةٌ   فقُتِّلَ مِن أشياعِنا من تسرَّعَا
فصلَّى على تلك النفوس مليكُها   وعوَّضَها أبقى ثوابٍ وأنفَعَا !

وقال ابن مهران (وافر) :

---

(1) في ولاة مصر ، 271 : فأبدأوا .

(2) الحُلَافي : المكان تكثر فيه الحلفاء .

وأيّ وقائع كانت بسفط ... ألا بل بين مشتول وسَفَط[1]
وقد وافى حباسة في كتام ... بكلّ مهنّدٍ وبكلّ خَطِّي
وقد حشدوا لمصر ، ودون مصر ... له خرط القتادِ وأيُّ خرط
وأقبلَ جاهلاً حتَّى تخطَّى ... وجازَ بجهلِهِ حدَّ التخطِّي
بكُتب جماعةٍ قد كاتبُوهُ ... مِنَ أَقْبَاطٍ بمصرَ وغير قِبطِ
وكلٌّ كاتبُوه ونافقونا ... وكلٌّ في البلاد له مُوَطِّي
ووافانا سليمَان بن كافي ... يخطُّ الأرضَ في غيرِ المَخَطِّ[2]
وحفَّتْ بالأميرِ له رُمَاةٌ ... منَ الأَتراكِ ممَّنْ ليْسَ يُخْطِىء
ولا سيّمَا وعن قِسْيٍ صِلابٍ ... وفتيانٍ ومدّ بالمعطِّي[3]
فوافَى الخائنَ المخذولَ منّا ... سِهامٌ للمقاتِل ليسَ تُخطِىء
فكم بالجسرِ من رأسٍ وكفٍّ ... ومصلوبٍ ومشدودٍ بشُرُط
ومَرَّ لَنَا مع الإقبَالِ يومٌ ... شفَى ما في القُلوبِ لكُلِّ مِلْطِ[4]
فقل لحبَاسة : إن كنتَ عنّا ... مضيتَ ، فإنّ قَتلَك ليس يُبْطي
بحول الله ذاك ، فصدّقوني ... وهذي رُقْعَتي لكمُ بخَطِّي

فكان الأمر كما قال ابن مهران . وقُتل حباسة .

---

(1) سفط أبي جرجا : قرية بالصعيد غربيّ النيل (ياقوت . وذكر الوقعة ونقل الأبيات 1 ـ 3) .

(2) سليمَان بن كافي الجيملي (انظر عيون الأخبار . 193) أحد رجال الفاطميّين في الحملة على مصر . ذكر ابن عذاري 1 / 181 تحت سنة 307 مشاركته في احتلال الفيُّوم والأشمونين . وفي رياض النفوس ، 2 / 404 ذكر « عامل برقة المعروف بابن كافي » في خبره مع قاضي برقة ابن الجبلي الذي كان يتشبَّث برؤية الهلال ولا يجنح إلى الحساب الفاطميّ فقتل سنة 341 من أجل ذلك .

(3) قراءة العجز ظنية وهي غير مفهومة . وكذلك في ولاة مصر . 272 .

(4) المِلط : المجهول النسب .

1120 – حجّاج بن عمرو الأنصاريّ[1]

حجّاج بن عمرو بن غزيّة بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن عثمان بن مازن بن النجّار ، الأنصاريّ ، المازنيّ . ويقال فيه : الحجّ بن أبي الحجّاج .

قال البخاري : له صحبة .

روى عن النبيّ ﷺ حديثين : أحدهما في الحجّ :

« من كسر أو عرج فقد حلّ ، وعليه حجّة أخرى » . والآخر : كان النبيّ ﷺ يتهجّد في الليل بعد نومه .

وروى عنه عكرمة وكثير بن العبّاس ، وٱبن أخيه ضمرة بن سعد وعبد الله ٱبن رافع .

وحجّاج هٰذا هو الذي ضرب مروان بن الحكم يوم الدار فأسقطَه حتى حمل وهو لا يعقل .

وقدم مصر مع محمد بن أبي بكر ، فلمّا قُتل محمد سار من مصر وأخبر علي ٱبن أبي طالب رضي الله عنه بقتله .

1121 – الحجّاج بن يوسف [40 – 95][2]

حجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتّب

---

(1) أسد الغابة 1 / 458 (1084) – الوافي 11 / 305 (450) .

(2) الوفيات 2 / 29 (149) – الوافي 11 / 307 (456) – تهذيب بدران 4 / 48 . العقد 5 / 13 – مروج الذهب 3 / 329 . أعلام النبلاء . 4 / 343 (117) .

ٱبن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسيّ – وهو ثقيف – بن بكر بن منبّه ابن هوازن ، أبو محمد ، الثقفيّ .

دخوله مصر مع أبيه

ولد بالطائف عام الجماعة سنة أربعين . وقيل : ولد بمصر ، والمشهور بالطائف . وتقدّم إلى مصر هو وأبوه مع مروان بن الحكم سنة خمسٍ وستّين . فبينا هو وأبوه في المسجد الأعظم ، ومعه عمرو بن سعيد الأشدق ، إذ مرّ بهم سليمان بن عمر ، فسلّم وانصرف ، فأثنَوا عليه خيراً ، وكان قاضيَ الجند زمن عمرو بن العاص ، وكان من خيار الناس . فقال الحجّاج : أما إنّي لو أجد هٰذا خلفَ هٰذا الباب ، وكان لي عليه سلطان ، لضربتُ عنقَه . إنّ هٰذا وأصحابه يثبطون عن طاعة الملوك .

[320 ب] فشتمه والده ولعنَه وقال له : تسمع القومَ يذكرون عنه خيراً ، ثمّ / تقول ما تقول ؟ والله إنّ رأيي فيك ألّا تموتَ إلّا جبّاراً شقيًّا .

وكان أبوه صالحاً .

وعن حرملة بن عمران قال : كان يوسف جالساً في المسجد ، ومعه ٱبنُه الحجّاج . فمرّ سليمَان بن عمرو[1] . فقام إليه يوسف وسلّم عليه وقال : إنّي أريد أن آتي أمير المؤمنين ، فإن كانت لك حاجة فآثِرني بها .

قال : نعم ! حاجتي أن تسأله أن يعزلني .

فقال : والله لوددتُ أنّ عمّال المسلمين كلّهم مثلك . فكيف أسألُه أن يعزلك ؟

ثمّ ٱنصرف . فجلس ، فقال له الحجّاج ٱبنُه : يا أبت ، من هٰذا الذي قمتَ إليه ؟

---

(1) الكندي 304 = سليم بن عمرو التجيبيّ .

قال : يا بنيّ ، هٰذا سليمان بن عمرو قاضي أهل مصر .

قال : يغفر الله لك يا أبتي ! أنت يوسف بن أبي عقيل ، تقوم إلى رجلٍ من كندة أو تجيب ؟

فقال : والله يا بنيّ ، إنّي لأرى الناس لا يرجمون إلّا بهٰذا وأشباهه .

فقال الحجّاج : لا يفسد الناس عن أمير المؤمنين إلّا هٰذا وأشباهه . يقعد ويقعد إليه أقوام أحداث فيذكر سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فيخرج الناس على أمير ٱلمؤمنين . فوالله ، لو صفا هٰذا الأمر ، لسألتُ أمير المؤمنين أن يجعل ليَ السبيل فأقتلَ هٰذا وأشباهَه !

قال : يا بنيّ ، إنّي أظنُّ أنّ الله خلقك شقيًّا .

ثمّ إنّ مروان بعث يوسف وٱبنَه مع حُبَيْش بن دلجة[1] القينيّ إلى إخراج عمّال عبد الله بن الزبير من المدينة . فخرجا فيمن خرج معه لعشر خلون من جمادى الأولى ، وهما على جمل واحدٍ . فوصلا إلى المدينة وشهدَا معه الحرب حتّى قُتل . فٱنهزما فيمن ٱنهزمَ إلى الشام . فقال ٱلحجّاج : ما أقبح ٱلهزيمة ! لقد رأيتُني مع رجلٍ – وكرِه أن يسمّيَ أباه – وكنّا في جيش ابن دلجة فٱنهزمنا ونكصنا ثلاثين ميلاً ، وكان يخيّل إليّ أنّ القوم بين أكتافنا .

وكان على شرطة أبان بن مروان وهو على البلقاء . فلمّا بويع عبد الملك بن مروان بعد موت أبيه ، تقدّم الحجّاج عندَه إلى أن قتل عبدُ الملك مصعبَ بن الزبير وأتى الكوفة [فـ]ـوجّه منها الحجّاج في ألفين – وقيل : في ثلاثة آلاف – لقتال عبد الله بن الزبير . وكان السبب في تسييره دون غيره أنّه قال لعبد الملك : إنّي رأيتُ في المنام أنّي أخذتُ عبد الله بن الزبير وسلختُه . فٱبعَثني إليه وولّني قتاله !

وقيل : إنّ عبد الملك خطب على المنبر فقال : مَن لأبن الزبير ؟

---

(1) مرّت ترجمة حبيش : رقم 1118 .

فقال الحجّاج : أنا يا أمير المؤمنين .

فأسكته . ثمّ عاد فأسكته . ثم عاد فقال له : أنا له يا أميرَ المؤمنين ، فإنّي رأيتُ في النوم كأنّي ٱنتزعتُ جُبّتَهُ فلبستُها .

قتاله لٱبن الزبير

فعقَد له وبعثه ، وكتب معه أماناً لٱبن الزبير ومن معه إن أطاعوا . فسار بالعساكر لأيّام مضت من جمادى الأولى سنة ٱثنتين وسبعين . ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف فقال : نَبعَثُ الخيل إلى عرفة ، ويبعث ٱبن الزبير الخيل أيضاً فيقتتلون بعرفة . وينهزم أصحاب ابن الزبير في كلّ ذلك ، وتعود خيل الحجّاج بالظفَر .

فكتب الحجّاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير ، ويخبرُه بضعفه وتفرّق أصحابه ، ويستمدّه . فأمدّه بطارق بن عمر مولى عثمان . فقدم على الحجّاج بمكّة في ذي القعدة ومعه خمسة آلاف . وكان الحجّاج قد قدم مكّة في ذي القعدة محرماً بحجّه ونزل بئر ميمون وحجّ بالناس من غير أن يطوف بالبيت ولا سعى بين الصفا والمروة . ولم يحجّ ابن الزبير . وكان الحجّاج قد نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة . فأرسل إليه عبد الله بن عمر يقول أنِ ٱتّقِ اللهَ وٱكفف عن الناس هٰذه الحجارة فإنّك في شهر حرام ، وقد قدمت وفود الله[1] من أقطار الأرض ليؤدّوا الفريضة ويزدادوا خيراً فإنّ المنجنيق قد منعهم عن الطواف ، فٱكفف عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكّة .

فبطل الرمي حتى عاد من عرفات وطافوا وسعوا ، ولم يمنع ابن الزبير الحاجّ من الطواف والسعي . فلمّا فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجّاج : انصرفوا إلى بلادكم ، فإنّا نعود بالحجارة على ٱبن الزبير الملحد !

[321أ] /وأوّل ما رمى الحجّاج الكعبة بالمنجنيق رعدت السماءُ وبرقت وعلا صوتُ الرعد على الحجارة فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديَهم . وأخذ الحجّاج

(1) في المخطوط : وفد الله .

حجر المنجنيق فوضعه فيه ورمى . فلمّا أصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من أصحابه آثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام . فقال الحجّاج : يا أهل الشام لا تُنكروا هٰذا ، فإنّي ابن تهامة ، وهٰذه صواعقُها ، وهٰذا الفتح قد حضر . آبشروا !

فلمّا كان الغدُ جاءت الصاعقة فأصابت من أصحاب ابن الزبير عدّة . فقال الحجّاج : ألا ترون أنّهم يُصابون كما تُصابون ؟ وأنتم على الطاعة وهم على خلافها !

ولم يزل القتال بينهم قائماً حتّى غلت الأسعار عند ابن الزبير وآشتدّ الجوع بالناس ، وتفرّقُوا عنه . فخرج إلى الحجّاج نحو عشرة آلاف من أصحاب ابن الزبير بأمان ، فيهم آبنا عبد الله بن الزبير . فخطب أصحابه فقال : قد ترون قلّةَ مَن مع ابن الزبير وما هم فيه من الجهد والضيق .

ففرحوا وآستبشروا وتقدّموا فملأُوا ما بين الحَجون إلى أبواب المسجد ، وآبن الزبير يقاتلهم إلى أن رُمي بأجرّة أرعش منها ، فتكاثروا عليه حتّى قُتل في جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين . فلمّا رأى الحجّاجُ رأسه سجد ، وقام ومعه طارق حتى وقفا عليه . وبعث بالرأس إلى عبد الملك بن مروان في عدّة رؤوس ، وصلبَ جثّةَ آبن الزبير منكّسة . فأرسلت إليه أسماءُ بنت أبي بكر أمّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه تقول له : قاتلك الله ! على ماذا صلبتَه ؟

فقال : آستبقت أنا وهو إلى هٰذه الخشبة فكانت له .

فآستأذنَتْه في تكفينه ودفنه فأبى ، ووكّل بالجثّة من يحرسها ، وكتب إلى عبد الملك بذلك . فكتب إليه يلومُه ويقول : ألا خلّيتَ بينه وبينَ أُمِّه ؟

فأذن لها فدفنته .

وكان عروة بن الزبير لمّا قُتل أخوه عبد الله بن الزبير ركب ناقته وسار إلى عبد الملك قبل أن يرسل الحجّاج بقتل آبن الزبير . فلمّا دخل سلّم عليه

بالخلافة ، فردّ عليه ورحّب به وعانقه وأقعَدَه معه على السرير . فقال عروة :
نمتُّ إليك بأرحام قريبة . ولا قرب للأرْحام ما لم تُقرَّبْ !

وحادثه حتّى جرى ذكر عبد الله . قال : إنّه كان .

قال عبد الملك : وما فعلَ ؟

فخرّ عبد الملك ساجداً . فقال عروة : إنّ الحجّاج صلبه . فهب جثّته لأمّه !

وكان عروة شقيق عبد الله ، أمُّهما أسماء رضى الله عنها .

فقال : نعم .

وكتب إلى الحجّاج يعظّم صلب عبد الله . وكان الحجّاج قد كتب إلى عبد الملك أنّ عروة كان مع أخيه ، فلمّا قُتل عبد الله أخذ مالاً من مال الله وهرب .

فكتب إليه عبد الملك أنّه لم يهرب ، ولكنّه أتاني مبايعاً . وقد أمّنته وحلّلتُه ممّا كان ، وهو قادم عليك ، فإيّاك وعروة !

فلمّا قدم عروة إلى مكّة بعد غيبته عنها ثلاثين يوماً ودفع كتاب عبد الملك إلى الحجّاج ، أنزل جثّة ابن الزبير .

ودخل مكّة فبايعَه أهلُها لعبد الملك . وأمر بكنس الحرَم من الحجارة والدم . وطلب محمّد بن الحنفيّة عليه السلام ليبايع لعبد الملك ، وقد كان طلب منه ذلك قبل قتل ابن الزبير ، فقال : حتّى يجتمع الناس ! وكتب بعد قتل ابن الزبير إلى عبد الملك يطلب الأمان له ولمن معه فكتب إليه بذلك . فأُتي به الحجّاج وبايع لعبد الملك . وبعث لأسماء بنت أبي بكر أمّ عبد الله أن تأتيَه ، وقد ذهب بصرُها فأبت . فأرسل إليها : لتجيئِنّ أو لأبعثنّ إليك من يسحبك بقرونك !

فقالت : والله لا آتيك حتّى تبعث إليَّ مَن يسحَبني بقروني !

فأتى رسوله فأخبره فقال : يا غلام ناولْني سَبْتِيَّتَيَّ . فناوله نعلَيه فقام حتّى أتاها فقال لها : كيف رأيتِ الله صنع بعدوّ الله ؟

قالت : رأيتُك أفسدتَ عليه دنياه وأفسَدَ عليك آخرتك . وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إنّ في ثقيف كذّاباً ومبيرًا . فأمّا الكذّاب / فقد [321 ب] رأيناه[1] . وأمّا المبير فأنت ذاك !

فخرج عنها وسار من مكّة إلى المدينة ، وقد استعملَه عبد الملك على الحرمين مكّة والمدينة . فقدِمها وأقام بها نحو الشهرين يُسيء إلى أهلها ويستخفّ بهم ويقول لهم : أنتم قتلةُ أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه !

وختم على أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يُفعل بأهل الذمّة ، منهم جابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهم . ثمّ عاد إلى مكّة وقال : الحمد لله الذي أخرجني من أمّ نتنٍ ! أهلها أخبث أهل بلد ، وأغشّه لأمير المؤمنين وأحسدهم له على نعمة . والله لولا ما كان ما بيني [وبينهم] من كتب أمير المؤمنين فيهم ، لجعلتُهَا مثل جوف الحمار ! إنّما هي أعواد يَعُوذون بها ورمّة قد بليَت ! حتّى متى يقولون : منبر رسول الله ، وقبر رسول الله ؟

فبلغ قولُه جابر بنَ عبد الله فقال : إنّ وراءه ما يسوءُه . قال فرعون : أنا ربُّكم الأعلى ، فأخذه الله بعدَ أن أمطرَه .

وحجَّ بالناس الحجّاجُ عامَه ، وهو على مكّة والمدينة واليمن واليمَامة . وقيل : إنّ المدينة لم تُضَفْ إليه إلّا في سنة أربع وسبعين لمّا عزل عبد الملك طارقَ بن عمر عنها ، وولّى الحجّاج عوضه فعمِل بالصحابة رضي الله عنهم ما تقدّم ذكره وأقام بها شهراً يستخفّ بحرمتها . وخرج منها معتمراً حتى قدم مكّة ، فهدم بناء ابن الزبير الذي بناه في الكعبة وأعاد البناء الأوّل . فسدّ الباب الغربيّ

(1) مروج الذهب 3 / 318 : فهو المختار .

وأخرج الحِجر من البيت وردم بالحجارة في الكعبة حتى صار ما بها على ما هو عليه إلى اليوم .

ولايتُه العراقَين

فلمّا كانت سنة خمس وسبعين ، مات بشر بن مروان ، فكتب إليه عبد الملك أن فِدْ عليَّ ، فوفد عليه فولّاه العراق . وقيل إنّ عهد الحجّاج أتاه وهو بالمدينة ، وهٰذا أثبت . وأمره عبد الملك أن يبدأ بالكوفة فنزلها ولم يأتِ البصرة خوفاً منه على خالد بن عبد الله ، فإنّ بشر بن مروان كان قد ٱستخلفه عليها ، وكان بين الحجّاج وبين خالد عداوة . وكان الحجّاج قد عبث بآل أَسيد بمكّة ، وعبث خالد بثقيف بالبصرة . وكان الحجّاج يقول لمّا قدم الكوفة : غفر الله لأمير المؤمنين ! لو أذن لي فقدمت على خالد لأخذتُ منه مثلَ خراج العراق !

وجعل عبد الملك للحجّاج[1] العراق إلّا خراسان وسجستان . فسار من المدينة في ٱثنَي عشر راكباً على النجائب حتّى دخل الكوفة في شهر رمضان حين ٱنتشر النهار . بعَثَهُ وهو ٱبن ثلاث وثلاثين سنة . وكان بشر بن مروان بعث المهلّب بنَ أبي صفرة لقتال الخوارج فعصى عامتُهم المهلّبَ بعد موت بشر ، وأتَوا إلى الكوفة والبصرة ، وقيل ذلك للحجّاج فبدأ الحجّاج بالمسجد .

قال عبد الملك بن عمير : بينما نحن جلوس نتحدّث في ناحية المسجد بالكوفة إذ أتى آتٍ فقال : هٰذا الحجّاج بن يوسف ، قدم أميراً على العراق .

فٱشرأبّت الناسُ نحوَه ، ثمّ أفرجوا إفراجةً عن صحن المسجد . فإذا نحن به يمشي ، عليه عمامة سوداء متلثّماً بها متنكّباً قوساً عربيّة يؤمّ المنبر . فما زلتُ أرمقه بطرفي حتّى قَعَدَ على المنبر . وثاب إليه الناس . ولا يحدّر اللثام ولا ينطق حرفاً . وأهلُ الكوفة يومئذ في حال حسنة وهيئة جميلة وعزّ ومنعة . وكان الرجل يدخل المسجد ومعه خمسةَ عشر وعشرون رجلاً : بنيه ومواليه وأتباعه عليهم القوهيّة

---

(1) في المخطوط : عبد الله بن الحجّاج . وعبد الله عوض عبد الملك

والخزون[1] . وفي المسجد رجل يقال له : عمير بن ضابي ، لمّا رأى الحجّاج على المنبر قال لصاحبٍ له : أتريدُ أن أَحْصِبَه لك ؟

قال : أسكت ! حتى تسمع ما يقولون .

فقال الناس بعضُهم لبعض : لعن الله بني أميّة حيث يستعملون على العراق مثلَ هٰذا ! وضيّع الله العراق حيث يكونُ مثل هٰذا عليها أميراً . فوالله لو كان هٰذا كلّه كلاماً ما كان شيئاً !

والحجّاج ساكت ينظر يميناً وشمالاً . فلمّا رأى الحجّاج أنّ المسجد قد غصّ بأهله قال : أجتمعتُمْ ؟

فلم يقل أحدٌ شيئاً . ثمّ قال الثانية : إنّي لا أعرفُ قدرَ أجتماعكم .

فقال رجل منهم : أجتمَعنا ، أصلح الله / الأمير ! [322 أ]

وكان قد أطال السكوت . وتناول محمد بن عمير بن عطارد الحصى ليحصبه وقال : قاتله الله ! ما أعيَاهُ وأَدَمَّه ! والله إنّي لأحسب خبرَه كرؤياه !

فلمّا تكلّم الحجّاج جعل الحصى ينتثر من يده ، وهو لا يعلم به من الخوف . فلمّا رأى الحجّاج عيونَ الناس إليه ، حسر اللثامَ عن فيه ونهض فقال [وافر] :[2]

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

أما والله إنّي لأحتمل الشرّ بحمله ، وأحذوه بنعلِه ، وأجزيه بمثله . وإنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافُها ، وإنّي والله صاحبُها . والله كأنّي أنظر إلى الدماء ترقرق بين اللحى والعمائم !

---

(1) القوهيّة : ثياب من القماش القوهيّ ، المصنوع في قوهستان . أمّا الخزون فلم نعرفها .

(2) جمهرة خطب العرب 2 / 288 ـ العقد 4 / 119 ـ 120 و 5 / 17 ـ مروج 3 / 332 ـ البيان والتبيين 2 / 308 .

ثم قال :

قد شمّرت عن ساقها فَشَمّري ليس أوان عشّك فادرجي[1]

ثمّ قال :

هٰذا أَوانُ الشدّ فٱشتدِّي زِيَمْ [نام الحُدَاةُ وآبن هندٍ لم يَنَمْ][2]
قد لفَّها الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ ليس براعي إبلٍ ولا غَنَمْ
ولا بجَزَّارٍ على ظَهر وَضَمْ[3]

ثمّ قال :

قد لفّها الليلُ بعصلبيّ [أروع خرَّاجٍ من الدَّويّ][4]
مهاجر ليس بأعرابيّ

ثمّ قال :

قد شمّرت عن ساقها فشُدُّوا وجدّتِ الحربُ لكم فَجدُّوا[5]
والقَوسُ فيها وتَرٌ عُرُدُّ مثل جران العود أو أَشدُّ[6]
لا بُدَّ ممّا ليس منه بُدُّ

إنّي والله يا أهلَ العراق و[معدنَ] الشقاق والنفاق ، ومساوِيء الأخلاق ، ما أُغمَزُ تَغمازَ التِّين ولا يُقَعْقع لي بالشِنَانِ[7] ولقد فُرِرت عن

(1) تهذيب بدران 4 / 53 – مجمع الأمثال 2 / 40 – الكامل (سنة 75) .
(2) هذا الشطر انفرد به المقريزي .
(3) قال المرصفي : رغبة الآمل ، 4 / 75 : هذا الرجز قاله رُشيد بن رميض العنزيّ في شريح بن ضبيعة .
(4) هذا الشطر ساقط من المخطوط .
(5) في العقد 4/ 121 : ما علّتي وأنا شيخ إدٌّ ؟
(6) في المروج والكامل والعقد : مثل ذراع البكر .
(7) الشنان ج شنّ : الجلد اليابس إذا صوّت نفرت منه الإبل .

ذكاء[1] وفُتِّشتُ على تجربة ، وجريت من الغاية[2] .

إنّ أمير المؤمنين كبَّ كِنَانَتَهُ ، ثم عجم عيدانَها فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها عموداً ، وأشدّها مَكْسراً ، فوجّهني إليكم ورماكم بي لأنّكم طالما أوضعتم في أودية الفتنة ، وآضطجعتم في منام الضلال ، وسَنَنْتم سُنَنَ الغيّ . وآيمُ الله ! لأنجرنَّكم نجرَ العُود ، ولأقرَعنَّكم قرع آلمَرْوَة ، ولأعصِبنّكم عصبَ السلَمة ، ولأضربنّكم ضربَ غرائبِ الإبل !

إنّي والله ما أعِدُ إلّا وفيتُ ، ولا أهمّ إلّا أمضيتُ ، ولا أَخْلُقْ إلّا فَريتُ[3] . فإيّايَ وهٰذه الزرافات والجماعات ! وقالَ وقيل وما تقول ، وفيمَ أنتم وذاك ! أما والله لتستقيمُنّ على طريق الحقّ أو لأَدَعَنّ لكلّ رجلٍ منكم شُغلاً في جسده .

يا أهل العراق ، إنّما أنتم لكأهل ﴿قَرْيَةٍ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ﴾ (النحل ، 112) ، فأتاها وعيدُ القرى من ربّها . فآستقيموا وآعتدلوا ولا تميلوا ! وبايِعُوا وشايِعُوا ، وآخضعوا وآسمعوا وأطيعوا وأذعنُوا ! وآعلموا أنّه ليس منّي الإكثار ولا الإهذارُ ، ولا مِنكم الفرار ولا النّفار ، إنّما هو آنتضاء السيف ، ولا يُغمَدُ في الشتاء ولا الصيف ، حتى يُنتهى إلى أمر الله وطاعتِه ، ويذلَّ أمير المؤمنين صعبكم ويقيم أودكم وصعركم . ثمّ إنّي وجدت الصدق مع البرّ ، ووجدت البرَّ في الجنّة . ووجدت الكذب مع الفجور ، ووجدتُ الفجور في النار . وإنّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وإشخاصكم لمجاهدة عدوّكم مع المهلّب بن أبي صفرة . وقد أمرت لكم بذلك وأجّلتُكم ثلاثاً وأعطيتُ الله عهداً يأخذني به

---

(1) الذكاء : تمام السن أو حدّة الطبع (الكامل للمبرّد 1 / 221) وفرّ الدابّة : كشف أسنانها ليعرف عمرَها .

(2) في العقد : وأجريت إلى الغاية القصوى .

(3) في اللسان (خلق) : ما خلَقتُ إلّا فريتُ . وخلق الأديمَ : قدّره قبل أن يقطع منه قربةً أو خُفًّا .

ويستوفيه منّي . وإنّي أقسم بالله لا آخذ رجلاً يتخلّفُ بعد أخذ عطائه بثلاثة أيّام إلّا ضربتُ عنقَه ! لا يبلغني أنّ أحداً تخلّف يوماً واحداً بعد أخذ عطائه إلّا ضربتُ عنقَه وأنهبتُ ماله ! اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام !

فقام الكاتب فقرأ : بأسم الله الرحمان الرحيم . من عبد الله عبد الملك [بن مروان] أمير المؤمنين إلى مَن بالعراق من المؤمنين/ والمسلمين . سلام عليكم . [322ب]

فلم يقل أحدٌ شيئاً . فقال الحجّاج من فوق المنبر : أسكت يا غلام[1] ! يا أهل الفرقة ، أيسلّم عليكم أمير المؤمنين ، ثمّ لا تردّون عليه السلام ؟ هٰذا أدبُ ابن نهية[2] . أما والله لأُؤَدِّبَنَّكم أدباً غير هٰذا أو لتستقيمُنّ على الحقّ ! يا غلام ، اقرأ !

فلمّا بلغ الكاتب إلى « سلام الله عليكم » ، قال مَن في المسجد : وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركتُه .

ثمّ نزل الحجّاج عن المنبر ودخل منزلَه وقال لوجوه النّاس : ما كانت الولاة قبلُ تفعلُ بالعصاة ؟

فقالوا : كانت تَضرب وتحبس .

فقال : ولكن ليس لهم عندي إلّا السيفُ . إنّ المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ، ولو ساغت المعصية لأهلها ما قُتل عدوّ ، ولا جبيَ فيءٌ ، ولا عزّ دين .

دفعه الناس إلى حرب الخوارج

ثمّ جلس لتوجيه الناس فقال : قد أمهلتكم ثلاثاً . وأقسم بالله لا يتخلّف

---

(1) حاشية في الهامش : اكفف يا غلام .

(2) حاشية في الهامش : «ابن نهية رجل كان قبل الحجّاج على شرطة الكوفة أو البصرة . وقيل ابن نهية يعني مصعب بن الزبير ، وكانت ... سليمة ونهية قبيلة من سليم منها تفرّعت قبائلها . وردّ هذا أنّ أم مصعب كلبيّة »(جمهرة ابن حزم 111) . وهي الرباب بنت أنيف الكلبيّة – تاريخ بغداد (13 / 105) .

أحدٌ بعدها من أهل الثغور إلّا قتلته .

فلمّا كان اليوم الثالث قام عمير بن ضابىء فقال : أصلح الله الأمير . إنّي شيخ كبير زمِن ، وقد خرج ٱسمي في هٰذا البعث ، ولي ابن أجلدُ منّي في الأسفار وأقوى على الحرب ، فإن رأى الأميرُ أن يأمُر بإشخاصه مكاني ، فعل .

قال : ومَن أنت ؟

قال : أنا عمير بن ضابىء .

قال : أوَمِن هٰذا البعث أنت ؟

قال : نعم .

قال : أوَقبضتَ عطاءك ؟

قال : نعم .

قال : أوَسمعتَ مقالتَنا على المنبر ؟

قال : نعم .

قال : أوَكان أبوك فيمَن قاتل أمير المؤمنين عثمان ؟

قال : لا .

قال : كذبتَ ! أوليس أبوك الذي يقول [طويل] :

همَمتُ ولم أفعَلْ ، وكدتُ ، وليتَني تركتُ على عثمانَ تبكي حلائلُه !

لعمري إنّ في قتلك أيُّها الشيخ لصلاحَ المِصرَيْن ، ٱضربَن يا حرسيّ عنقَ الشيخ عندك ! فإذا رأيتَه بين رجليه ، فذلك حيث يقول عبد الله بن الزَّبير الأسديّ [طويل] :

أقول لإبراهيمَ لمّا لقيتُه أرى الأمر أمسى مَهْلكاً متشعّبا
تجهّز فإمّا أن تزور ابنَ ضابىء عميراً ، وإمّا أن تزور المهلّبا

هما خطّتا خسف نجاؤُك منهما ركوبُك حَوْليًّا من الثّلْج أشهبا
فما إن أرى الحجّاج يغمد سيفَه مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا
فأضحى ، ولوكانت خراسانُ دونَه رآها مكان السوق أو هي أقربا
فأيّهما تأتي فإنّك هالكٌ قتيل ضلال أو طريد مُغَرَّبَا
وكم قد رأينا تارك الغزو ناكلاً تَحَمَّمَ حِنْوَ السرج حتّى تنكّبا[1]

وخرج الناس على وجوههم هرباً إلى السواد ، وأرسلوا إلى أهاليهم أن جهّزونا ونحن بمكاننا . وقال الحجّاج لصاحب الجسر : آفتح باب الجسر ، ولا تحُل بين أحدٍ وبين الخروج !

فخرج في تلك الليلة أربعة آلاف مدجّج ، وبعث العرّاض[2] إلى المهلّب فما أتت عليه عاشرة حتى ازدحم الناس على المهلّب ، فقال : ويحكم ! من هٰذا الذي آستُعمِل على العراق ؟ هٰذا والله الرجل الذكرُ ! قوتل والله العدوُّ !

ثمّ بعث الحجّاج الحكم بن أيّوب بن الحكم بن أبي عقيل على البصرة أميراً وأمره أن يشتدّ على خالد بن عبد الله القسريّ . ففرّ خالد منه إلى عبد الله بن مروان .

وآشتدّ الحجّاج على مَن تخلّف عن بعث المهلّب وأمر بطلبهم . فأخذ عرفاءهم وهدم الدور وعاقب بالقتل على التخلّف عن الوجه الذي يأتي إليه . وكان أوّل من عاقب في ذلك بالقتل ، فإنّ عمر وعثمان رضي الله عنهما كانا إذا أخلّ الرجلُ بوجهه الذي بعث إليه يأمران أن تنزع عمامتُه ويقام للناس ويُشَهَّر أمره . فلمّا ولي مصعب بن الزبير زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الأرض ويسمَّر في يديه مسماران في حائط ، فربّمَا مات وربّمَا خرق المسماران يدَيه وسلم . فلمّا كان الحجّاج قال : كلّ هٰذا لعب ، أَضربُ عنُقَ مَن يخلّ بمكانه من الثغر .

(1) المرصفيّ 4 / 79 : فكائن ترى من مكره الغزو مسمرا ...
(2) الطبري وابن الأثير : العرفاء .

فهرب منه أبرح بن خنزير / التميميّ ، وكان قد تخلّف من بعث المهلّب [323 أ] فأُخذ عريفُهُ وهُدِمت داره فأنشأ يقول شعراً كثيراً ، منه [طويل] :

فإن تنصفونا يآل مروان نَقترِبْ ... إليكم وإلّا فأْأذنوا بأبتعاد[1]
فإنّ لنا عنكم مراحاً ومزحلاً ... بعيس إلى ريح الفلاة صوادي
بِبُختية بزل تمايلُ في البرى ... تبارى على طول الكلال عوادي
وفي الأرض عن ذي الجور منأى ومذهبٌ ... وكلّ بلادٍ أوطئت كبلاد
وماذا عسى الحجّاج يبلغ جهده ... إذا نحن جاوزنا حفير زياد[2]
ففي الأرض عن دار المذلّة مذهب ... وكلّ بلاد أوطئت كبلاد
وجزنا بيوت المصر نحو تهامةٍ ... مجاهلَ أطماس المدلّ عوادي
ولولا بنو مروان كان أبن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد إياد
زمانَ هو العبدُ المقرُّ بذُلّةٍ ... يراوح ولدان القرى ويُغادي

يعني أنّه كان معلّماً .

أستبطاؤه المهلّب في حرب الخوارج

وكتب إلى المهلّب[3] : امّا بعد ، فإن بشرا رحمه الله أستكره نفسه عليك وأراك غناه عنك . وأنا أريك حاجتي إليك . فأرني الجدَّ في قتال عدوّك ومن خفته على المعصية ممّا قِبَلك فأقتُله ، فإنّي قاتلٌ مَن قِبلي . ومَن كان عندي من ولي لمن هَرب عنك فأَمني مكانه فإنّي أرى أن آخذ السميّ بالسميّ والوليّ بالوليّ .

فكتب المهلّب إليه : ليس قِبلي إلّا مطيع ، وإنّ الناس إذا أمنوا العقوبة

---

(1) حاشية في الهامش : وقيل إنّ هذا الشعر لمالك بن الريب بن حرمل أحد اللصوص الشعراء الفتّاك . مات بخراسان في صحبة سعيد بن عثمان .
وفي العقد 5 / 13 : لمالك بن الريب .

(2) حاشية في الهامش : على خمس ليال من البصرة . وحاشية أخرى : فماذا ترى الحجّاج يبلغ كيده

(3) الكامل للمبرّد 1 / 267 .

صغّروا الذنب ، وإذا يئسوا من العفو أكفرهم ذلك . فهب لي هؤلاء الذين سمّيتَهم عصاةً فإنّهم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدوَّ ، ونادم على ذنبه .

وقال الحجّاج ذات يوم : العجب من هٰذا المزوني[1] - اسم عمان فارسيّة كانت تسمّيها بها المجوس ، ثمّ تسمّت بها الأزد لأنّها دولتهم - يعني المهلّب ، أكل الأرض مذ كذى وكذى ، ثمّ تربّص بنا وبأمير المؤمنين . اكتب يا غلام !

من الحجّاج بن يوسف إلى المهلّب بن أبي صفرة :

أمّا بعد ، فإنّك مزونيّ ابن مزوني ، والعجب منك أنّك تربّص بقتال الأزارقة كأنّك ترى أنّك ترث الأرض . وآيم الله ! لئن لم تعاجل القوم لأبعثنّ إليك من يحملك على مكروهك ! والسلام .

وكان المهلّب يروّي الخوارج من منزل إلى منزل حتّى انتهى إلى إصطخر فقاتلوه قتالاً شديداً . وأقام بها ثمانية أشهر . ولمّا أتاه كتاب الحجّاج كتب إليه :

للأمير الحجّاج بن يوسف من المهلّب بن أبي صفرة :

أمّا بعد ، فقد جاءني كتابُك تذكر أنّي مزوني ابن مزوني . وما أنكِرُ ذلك . وإنّما مزون عمان سمّتها العجم بهٰذا الاسم . ولعمر الله إنّي لمزوني ابن مزوني ولا أنكر ذلك . ولكنّ الأمير من قبيلة ادّعت إلى خمس قبائل[2] ، ثمّ والله ما استقرّ قرارها بعدُ : كانوا بقيّة ثمود . ثمّ انتموا إلى وحاطة من حمير ،

---

(1) حاشية في الهامش : المزون : اسم عمان ، فارسيّة ، كان يسمّيها بها المجوس ، ثمّ سمّيت بها الأزد لأنّها قراهم (وانظر ياقوت : مُزون بالضمّ . وفي معجم ما استعجم : مَزون بالفتح ، وقالا : المهلّب بن أبي صفرة يسمّى المزوني) .

(2) حاشية في الهامش : اختلف في ثقيف ابن من هو ؟ فقيل : هو ثقيف بن منبّه بن بكر بن هوازن . وقيل : ثقيف بن النبيت بن منبّه بن منصور بن تقدّم بن أقسى بن دعمى ابن اياد بن نزار بن معدّ . وقيل : ثقيف بين ثنايا ثمود . ونسبُهم غامضٌ على شرفهم وكثرة مناكحهم قريشا) .

ثمّ آنتموا إلى إياد ، ثمّ انتموا إلى عدوان ، ثمّ آنتموا إلى قيس بن منبّه . فليت شعري في أيّ الخمس هي اليوم ؟

فلمّا قرأ الحجّاج الكتاب تبسّم وقال : فحشنا على الرجل ففحش .

ثمّ إنّ الحجّاج آستبطأ المهلّب في مناجزة الحروريّة ، فدبّ إليه حسدَة المهلّب ، فكتب إليه : أمّا بعد ، فإنّك أقبلتَ على جباية المال بغلّة عبيد مُرَّاق وآحتجانه ، وأبطأتَ عن لقاء العدوّ وقتالهم . وإنّك لتناجزهم أو لأبعثنَّ من هو أشدّ منك إقداماً . وقد أرى مكانك عبّاد بن حصين الحبطيّ وفلاناً وفلاناً ، فإنّهم إن يُولَّوا يناجزوا القوم . وقد أرى مكان القشيريّة ومكان أرضك ودارك بالبصرة ، وقد أرى تربُّصَك في خنادقك وجبنَك في لقاء عدوّك شهراً بعد شهر ، وسنةً بعد سنة . وقد أكثرت التعجّب من تركي إيَّاك على عملك ، وإنّما أنت رجل من أهلِ عمان من الأزد ، فآخرج من خنادقك ، وآلقَ عدوَّك يوم كذى وكذى ، فإنّك إن لم تفعل أسندتُ الرمحَ[1] .

فللمّا قرأ المهلّب كتابه دعا ببنيه فقال : « أميرٌ مسلّط ! » ثمّ قال : غلام حدَث ، ظفر / بأرامل الحجاز فظنّ أنّ مَن بقي مثل مَن يحاول . [323 ب]

وكتب إليه : قد فهمت كتابَك . فأمّا تربّصِي في خنادقي فهم الذين هزموا فلاناً وفلاناً ، وقتلوا فلاناً وفلاناً ، وإنّما طلبت بالخندق أثراً بلغَني عن رسول الله ﷺ وطلبت يُمْنَهُ وبركتَه .

وذكرت جباية المال . ومن عجز عن المال فهو عن العدوّ أعجز ، وللجند مؤونة ولهم في المال قوّة ، ولا بدّ لنا ولهم من جبايته . ووجدتُ مثلي ومثلَكَ كما قال الشاعر [طويل] :

ومُستَعْجِب ممّا يرى مِن أناتِنَا ولو زابنَتْه الحربُ لم يترمرم[2]

---

(1) الكامل للمبرّد ، 1125 : وإلّا اشرعتُ إليك صدرَ الرمح .

(2) البيت في اللسان [رمم] منسوب إلى أوس بن حجر . وفي المخطوط : ومستعجل مِمّا =

وذكرتَ أنّك قد رأيت مكان القشيريّة وأرضي وداري ، ووالله ما بلغ من خطر عجوز من عجائز بني قشير ، أو بدرة تنزعها ، أو شجرة تقطعُها أن أركب غير رأيي أو أخاطر بجندي وخاصّتي من أهل مضر حتّى أرى فرصتي من عدوّي . وإنَّ من البلاء أن يكونَ الرأي لمن يملِكُه دونَ مَن يعلمُه . وقد بلغك ما لقي مَن كان قبلي ، وأنا أعلمُ بالحرب ومداراتها ، والحرب خدعة . وقد رأيت ما لقيتَ أنت وأبوك يوم الرَّبَذَة حين أتتكم خيل ابن الزبير .

وأمّا تعجّبُك من تركك إيّايّ على عملي ، وأنّي رجل من أهل عُمان ثم من الأزد ، فصدقتَ . لعمرَ الله إنّي لأزديّ عمانيّ نعمانيّ ، وما أحبُّ أنّ لي بموضعي من قومي موضعاً ، وإنّ شرًّا من أهل عمان قبيلة تنازعها قبائل شتّى .

وقولك : إنّي إن لم ألقهم يوم كذا وكذا أسندت إليّ الرمح ، فقد ظننتُ أنَّ ما دعاك إلى ذلك ما نلت من الظفر بأهل الحجاز والرعاع الذين لقيتَ مع ابن الزبير . ولئن فعلت لأقلبنّ عليك الترس والسلام .

فلمّا قرأ الحجّاجُ الكتاب كتب إلى عبد الملك بن مروان : إنّ المهلّب صاحب خلاف وفتَن ، وقد نزع يداً من طاعة وفارق الجماعة . ولو شئت أن ينصب لي الحربَ دون الأزارقة ، فعل . ولو شاء لناجز القوم ، ولكنّه يطاولهم ليأكل بهم الأرض ويستأثر بالفيء .

ثمّ أدرج كتاب المهلّب إليه في داخل كتابه إلى عبد الملك . فلمّا قرأهُما عبد الملك أحضر خالدَ بن عبد الله القسريّ وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وأقرأهما الكتابين وقال : أترى المهلّب فعلها ؟

فقالا : لا ! كذب الحجّاج . ما أبعد المهلّبَ ممّا نحلَه ! ولكنّ الحجّاج رجلٌ مفسد أخرق لا يزال يعتلّ على أهل الطاعة حتى يُفْسِدَ طاعتَهم ويخرجَهم إلى غير [ما] كانوا عليه ، وما للمهلَّب ذنب . ألا ترى إلى كتاب المهلّب ؟ إنّما

= يرى في أنانتا . وهو كذلك في الكامل للمبرّد 1143 منسوب إلى أوس .

هو جواب كتاب الحجّاج إليه ، وليس بآبتداء . فآكتب يا أميرَ المؤمنين إلى المهلّب كتاباً لطيفاً ، وإلى الحجّاج كتاباً غليظاً ينهاه عن المهلّب ، فإنّ المهلّب لا تُتَّهَمُ طاعتُه ولا نصيحتُه .

فعرف عبد الملك أنّهما نصحاه وصدقاه ، فقال : فعل الله بالحجّاج ! أراد آستفساد المهلّب .

ثمّ كتب إلى الحجّاج : إنّي قد قرأتُ كتابك إلى المهلّب(1) وكتابك فيه إليّ ، فوجدتك قد حرّفتَ به ، وآتّهمت طاعته ونصيحته ، وليس كما ذكرتَ . فآكتُب إليه كتاباً ليّناً ، فإنّه أعلمُ بمَا هو فيه منك ، وما آستْعانك من قوّة أو مددٍ فأعِنه ، وآعرف له سنَّه وشرَفه وغناءه عن المسلمين ، وأنّه لا سلطانَ عليه دون أمير المؤمنين . فآعرف ذلك من رأي أمير المؤمنين ، وآنتهِ إليه !

وكتب إلى المهلّب : أمّا بعد فإنّ الذي عرفنا من طاعتك ونصيحتِك وبلائك في الإسلام قد جعلت لك اللسان وأمددناك باللسان ، وجعلناك قائد الحرب ، فاجر على ما أنت فيه ولا تكُن في أمرك زينونة ولا منتوفة . فإن خفت من أصحاب ضعفاً أو قلّة ، أمددناك [حتّى] تقوّي به ضعفهم . والخراج والأموالُ قِبَلك فآعمل فيه برأيك ، فإنّا قد بسطنا لك الذراع ، ولم نقبل عليك . وكاتب أميرَ المؤمنين فيمَا بدا لك ، فإنّك ليس عليك أميرٌ دون أمير المؤمنين ، والسلام .

فلمّا قدم الرسول بكتاب عبد الملك إلى الحجّاج ، كتب إلى المهلّب : أمّا بعد ، فإنّي كنت أظنّك أشدَّ تعظيمًا لسلطانك / ومعرفة لحقّه من أن تجيبَه بمَا [324 أ] أجبتني به في كتابك إليّ . فالله يغفر لك ، والسلام .

فكتب إليه المهلّب : أمّا بعد ، فما أحدٌ من أهل رعيّتِك أشدُّ تعظيمًا لحقّك وطاعتك منّي . ولكن شتمتَني وعجّلتَ عليّ وآتّهمتَ طاعتي ونصيحتي ، وأنا المبتذل لنفسي وولَدي وقومي في جهاد عدوّ أمير المؤمنين ، وكانوا قد فضحوا من

(1) هكذا في المخطوط ، والصواب : كتابَ المهلّب إليك .

الناس وقتلوا مَن قد عرفت في غير موطن ، وليس صاحبُ الحرب بالمتروّي ولا المتسرّع والسلام .

وكان الحجّاج قد خرج من عامه إلى البصرة وآستخلف على الكوفة عروة آبن المغيرة بن شعبة . فلمّا قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة ، وتوعّد من رآه منهم بعد ثالثة ولم يلحق بالمهلّب . فأتاه شريك – ويقال زياد – بن عمرو اليشكري ، وكان به فتق ، وكان أعور يضعُ على عينه قطنة ، فلقّب « ذا الكرسفة » ، فقال : أصلح الله الأمير ، إنّ بي فتقاً ، وقد رآه بشر بن مروان فعذرني . وهٰذا عطائي مردود في بيت المال .

فقال الحجّاج (رجز) :

إنّ عليها سابقاً عَشَنْزَرَا إذا وَنيْنَ ونيةً تَغَشْمَرَا[1]

ثم قال : آضرب عنقه ! لا آسمَ لكم حتّى تسمّوا لي أنفسكُم !

فطار الناس على كلّ صعب وذلول . فلم يبقَ بالبصرة واحدٌ من عسكر المهلّب إلّا لحق به . وقال ابن همّام : لقد ضرب الحجّاج بالسيف ضربة تقرقر منها بطن كلّ عريف .

ثم سار الحجّاج حتى بقي بينه وبين المهلّب ثمانية عشر فرسخاً ليشدّ ظهره . وأقام بمكانه ، وقال : يا أهل المصرَين ، هٰذا المكان والله مكانُكم شهراً بعد شهر ، وسنةً بعد سنة ، حتى يهلكَ الله عدوّكم ، هؤلاء الخوارج المطلّين عليكم .

ثورة أهل البصرة به مع ابن الجارود

وخطبهم ذات يوم فقال : إنّ الزيادة التي زادكم آبن الزبير إنّما هي زيادة ملحدٍ فاسق منافق ، وليس نجيزها – وكان مصعب بن الزبير قد زاد الناس في العطاء مائةً .

(1) العشنزر : القوي الشديد . وتغشمر : تسلّط وتغلّب . وانظر الكامل في الأدب 1124 .

فقال عبدالله بن الجارود : إنّها ليست زيادةَ ابن الزبير ، إنّما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر .

فقال له الحجّاج : ما أنت والكلام ؟ لتحسنَنّ حملَ رأسك وإلّا سلبتُك إيّاه .

فقال : ولمَ ؟ إنّي لك ناصحٌ . وإنّ هٰذا القول في ورائي .

فنزل الحجّاج وأقام أشهراً لا يذكر الزيادة . ثمّ أعاد القولَ فيها فردّ عليه ابن الجارود مثلَ ردّه الأوّل . فقام أبو ركية مصقلة العبدي فقال : إنّه ليس للرعيّة أن تردّ على راعيها ، وقد سمعْنا ما قال الأميرُ ، فسمعاً وطاعة في ما أحببنا وكرهنا .

فقال له ابن الجارود : يا آبن الجرمقانيّة ، ما أنت وهٰذا ؟ ومتى كان مثلك يتكلّم وينطقُ في هٰذا ؟

فأجمع الوجوه على تصويب رأي آبن الجارود وقالوا له : « نحْن معك وأعوانُك على الحجّاج » . وبايعوه على إخراج الحجّاج من العراق ومكاتبة عبد الملك أن يولّي عليهم غيرَه . وإن أبى خلعُوه . فآستعدّ الحجّاج ، وأظهر آبن الجارود الخلاف في ربيع الآخر سنة ستّ وسبعين ، وأخرج عبد القيس على رايتها ، وآنضمّ إليه الناس حتى لم يبقَ مع الحجّاج إلّا خاصّتُه وأهلُ بيتِه . وخرج آبن الجارود بالناس قبل الظهر وقطع الجسرَ . فبعث إليه الحجّاج أعينَ بنَ [...] يستدعيه فقال له : ومَن الأميرُ ؟ لا ولا كرامة لآبن أبي رغال . ولكن يخرج عنّا مذؤوماً مدحوراً ، وإلّا قاتلناه .

فقال له أعين : إنّ الأمير يقول لك : أتطيبُ نفساً بقتل نفسِك وقتل أهل بيتِك وعشيرتك ؟ والذي نفسي بيده ، لئن لم تأتِني لأدعنّ قومَك وأهلك حديثاً للغابرين !

فقال : لولا أنّك رسول لقتلتُك يا آبن الخبيثة .

وأمر به فوجىء عنقه وأخرج . وزحف ابن الجارود إلى الحجّاج فنهبوا ما في فسطاطه من متاعه ودوابّه ، وأخذت ٱمرأتاه [أمّ أبان] بنت النعمان بن بشير ، وأمّ سلمة بنت عبد الرحمان بن عمرو . وانصرفوا وتركوه . فصار إليه قوم من / [324 ب] أهل البصرة

... ولتضعفنّ منّتكم .

فقال : قد قرب المساء ولكنّا نعاجلُه بالغداة .

فٱستشار الحجّاج من معه . فقال له زياد بن عمرو العتكيّ صاحب شرطة البصرة : أرى أن آخذ لك من القوم أماناً وتخرج حتّى تلحق بأمير المؤمنين ، فقد ٱرفضّ أكثر الناس عنك ولا أرى لك أن تقاتل بمن معك .

فقال عثمان بن قطن الحارثي : لكنّي أرى غيرَ ذلك : إنَّ أميرَ المؤمنين قد شركك في أمره وخلطك بنفسِه ، وسلّطك . فسرتَ إلى ٱبن الزبير ، وهو أعظم الناس خطراً فقتلته . فولّاك الله شرفَ ذلك وسناه . وولّاك أمير المؤمنين الحجاز ، ثمّ رفعَك فولّاك العراق . فبحيث جريتَ إلى المدى وأَصْمَيْتَ[1] الغرض الأقصى ، تخرج على قعود إلى الشام ؟ والله ، لئن فعلت لا نلت من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من السلطان أبداً ، ولتضعفَنّ شأنك . ولكنّي أرى أن نمشي بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفراً أو نموتَ كراماً .

فقال الحجّاج : « الرأي ما رأيتَ » وحفظها لعثمان ، وحقدها على زياد . وأتاه عامر بن مسمع فقال : إنّي أخذتُ لك أماناً من الناس . — فجعل الحجّاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول : لا أؤمّنهم والله أبداً حتى يأتُوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم .

وأرسل إلى عبيد بن كعب النميري يقول : هلمَّ إليّ فٱمنعني !

فقال : قل له : إن أتيتني ، منعتُك .

(1) في المخطوط : وأصلمت . وأصمى الصيدَ : قتلَه مكانَه .

فقال : لا ، ولا كرامة .

وبعث إلى محمد بن عمير بن عطارد بذلك فأجابه مثل الأوّل . فبعث إلى عبد الله بن حكيم المجاشعي في ذلك فردّ عليه كردِّها . ومرّ عبّاد بن الحصين الحبطي بٱبن الجارود وهو يتناجى مع أصحابه فقال : أشركونا في نجواكم !

فقالوا : هيهات أن يَدخل في نجوانا أحدٌ من بني الحبط .

فغضب وسار إلى الحجّاج في مائة رجل ، فسرّ به وقال له : ما أبالي مَن تخلّف بعدك .

وسعى قتيبة بن مسلم في قومه من بني أعصر ، وأقبل بهم إلى الحجّاج ، وكان قد يئس من الحياة ، فٱطمأنّ لقدوم هؤلاء . ثمّ أتاه طائفة بعد أخرى ، فأصبح في ستّة آلافٍ وقد قوي . فٱستشار ابن الجارود أصحابه فقال له عبيد الله ٱبن زياد بن ظبيان : تركت الرأيَ أمسِ حين قال لك الغضْبان : تعشّ بالجدي قبل أن يتغدّى بك ! وقد ذهب الرأي .

فقال : لا يهولنّكم ما ترون من كثرتهم .

وتزاحفوا ، وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد بن ظبيان .

وعلى مَيمنة الحجّاج قتيبة بن مسلم ، وقيل : عبّاد بن الحصين ، وعلى ميسرته سعيد بن أسلم . فٱنحلّت الحربُ عن قتل ابن الجارود بسهم غربٍ . فنادى منادي الحجّاج بأمان الناس إلّا الهذيل وعبد الله بن حكيم ، وأمر أن لا يتّبع المنهزمون ، وقال : الاتّباع من سوء الغلبة .

وبعث إلى المهلّب برأس [ابن] الجارود وثمانية عشرَ رأساً من الوجوه ليراها الخوارج ، وحبس طائفة . وكان ممّن خرج مع ابن الجارود عبد الله بن مالك الأنصاري فقال الحجّاج : لا أرى أنَساً يُعِينُ عليَّ . ودخل البصرة فأخذ ماله وأمر بإحضاره . فحين دخل عليه أنس قال : لا مرحباً ولا أهلاً ! إيه يا خبثة

لعنة الله عليك من شيخ صلّابة جوّال في الدين ، مرّة مع أبي تراب ، ومرّة مع آبن الزبير ، ومرّة مع آبن الجارود . أما والله لأجرّدنّك تجريد الضبّ ولأعضبنّك عضب السلمة ولأقلعنّك قلعَ الصِّمغة !

فقال أنس : من يعني الأمير ؟

قال : إيّاك أعني ، أصمّ الله صداك !

تعنيفه أنسَ بنَ مالك

فقام عنه أنس وركب إلى عبد الملك يشكو الحجّاج ، فكتب عبد الملك إلى الحجّاج : أمّا بعد ، يا آبنَ أمّ الحجّاج ، فإنّك قد طمت بك الأمورُ فعلوتَ فيها حتّى عدوتَ طورَك وجاوزت قدرك يا آبن المستفرمة بعجم الزبيب ![1] لأغمزنّك غمزة كبعض غمزات الليوثِ الثعالبَ ، ولأخبطنّك خبطةً تودّ لها أنّك رجعتَ في مخرجك من بطن أمّك !

أما تذكر حال آبائك في الطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ، ويحفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومياههم ؟ أم نسِيت حال آبائك في اللوم والدناءة في المروءة والخلق ؟

وقد بلغ أميرَ المؤمنين الذي كان منك إلى أنس بن مالك جرأة وإقداماً . وأظنّك أردت أن تسبُرَ ما عند أمير المؤمنين في أمره فتعلم إنكاره ذلك وإغضاءه عنك ، فإن سوّغك ما كان / منك مَضَيْتَ عليه قدماً . والله لقد هممتُ أن [325أ] أركلك رَكلةً تهوي بها إلى نار جهنّم . قاتلك الله ! فعليك لعنة الله من عبدٍ أخفش العينين أصكّ الرجلَين ممسوح الجاعرتين ! ولولا أنّ أمير المؤمنين يظنّ أنّ الكتاب كثير[2] عن الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك لأتاك من يسحبك ظهراً لِبطنٍ حتى يأتي بك أنساً فيحكم فيك .

فأكرمْ أنساً وأهلَ بيته ، وآعرف له حقّه وخدمتَه رسول الله ﷺ ، ولا

(1) انظر اللسان : فرم .

(2) هكذا في المخطوط ، والعبارة غامضة .

تقصّرنّ في شيءٍ من حوائجه . ولا يبلغنّ أميرَ المؤمنين عنك خلافُ ما تقدّم فيه إليك من أمر أنَس وبِرّه وإكرامه ، فيبعث إليك من يضرب ظهرك ويهتك سترك ويشمت بك عدوّك .

وٱلقَه في منزله منتصلاً إليه ، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك ، والسلام .

وبعث بالكتاب إلى أنس فقرأه وأتى به الرسول بعد ذلك إلى الحجّاج فتمعّق وجهُه عند قراءته ورشح جبينُه عرقاً وقال : يغفر الله لأمير المؤمنين .

ثمّ ٱجتمع بأنس فرحّب به الحجّاج وأدناه وٱعتذر إليه وقال : أردتُ أن يعلم أهلُ العراق إذ كان من أخيك ما كان وبلغت منك ما بلغت أنّي إليهم بالعقوبة أسرع .

فقال أنس : ما سكتتَ عنّي حتى بلغ منّي الجهد . وقد زعمت أنّا الأشرار – وقد سمّانا الله الأنصار – وزعمتَ أنّا أهل النفاق ، ونحن للذين تبوّؤوا الدار والإيمَان من قبلكم . وسيحكم الله بيننا وبينك ، فهو أقدر على التغيير ، لا يُشبه الحقُّ عنده الباطلَ ، ولا الصدقُ الكذبَ . وزعمتَ أنّك ٱتّخذتّني ذريعةً وسلّماً إلى منساة[1] أهل العراق بٱستحلال ما حرّمَه الله عليك منّي . ولم تكن لي عليك قوّة فوكّلتك إلى الله ثمّ إلى أمير المؤمنين فحفظ من حقّي ما لم تحفظ . فوالله لو أنّ النصارى على كفرهم رأوا رجلاً خدم عيسى بن مريم يوماً واحداً لعرفوا من حقّه ما لم تعرف أنت من حقّي . وقد خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين . وبعد فإن رأينا [خيراً] حمِدنا اللهَ وأنبأنا به . وأن رأينا غيرَ ذلك صبرَنا ، والله المستعانُ .

فردّ عليه الحجّاجُ ما أخذ منه .

وٱستقامت البصرة للحجّاج بعد ٱبن الجارود . وأبت نفسُه إلّا سوءَ رأي في المهلّب . فكتب إلى عبد الملك : إنّي رأيتُ أن أُمدَّ المهلّب برجل من قومه له

(1) المنساة هي عصا الراعي يزجر – ينسَأ – بها القطيع .

شرفٌ وسنّ وتجربة في جند من أهل الكوفة وهو عبد الرحمان بن مخنف الغامدي ، فأحببتُ أن أطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك .

فكتب إليه عبد الملك يأمره أن يفعل . فبعث ابن مخنف في ستّة آلاف من أهل الكوفة ، وقال له : سر حتّى تنزلَ مع المهلّب نيسابور ، ولا تُخندق على نفسك ولا على جندك ولا تدخل معه في خندقه ، وحُثّه على المناجزة فإنّه قد قطع علينا خراج فارس وآحتواه دوننا .

فسار إلى نيسابور وتلقّاه المهلّب وَأكرمه وسأله أن يعسكر فقال : أريد أن أدنوَ من عدوّنا .

فنهاه وأشار عليه أن ينزل معه ، فإذا أصبح أرتاد له منزلاً وخندق عليه . فقال : يرحمك الله ! والله لئن أطعتُك ليَبْعَثَنَّ الحجّاج بمَن يضرب عنُقي ، ولقد نهاني عن الخندق .

فبيّته الخوارج وقتلوه في سبعين رجلاً من أصحابه . فلمّا بلغ الحجّاج مصابُه كتب إلى عبد الملك به ، فأثنى على المهلّب وذكر فضلَه .

ثمّ إنّ الحجّاج بعث عتّاب بن ورقاء التميميّ في جندٍ من أهل الكوفة مدداً للمهلّب .

من أخبار الحجّاج : مع الخوارج

وسمر الحجّاج ليلةً فقال لبعض حرسه : أئتني بمحدّثٍ من المسجد .

فأتاه برجل فلم يرضه . وخرج ومعه صررٌ من الدراهم إلى المسجد فناول من فيه حتى آنتهى إلى شيخ فأعطاه صرّةً فنبذها . فأعطاه الحجّاج مراراً وهو يردّها عليه . فدنا منه وقال : أنا الحجّاج .

فأخذها . وعاد الحجّاج إلى القصر . وأمر به فأحضر ، فسلّم فقال له : ممّن الرجل ؟

قال : من بني شيبان .

قال : فما ٱسمُك ؟

قال : سمرة بن الجعد[1]

فقال : يا سمرة ، هل قرأتَ القرآن ؟

قال : قد جمعتُه في صدري ، فإن عملتُ به فقد حفظته . وإن لم أعمل به فقد ضيّعتُه .

قال : هل تفرض ؟

قال : إنّي لأفرض الصلب وأعرفُ[2] الاختلاف في الجدّ .

قال : أتبصر الفقه ؟

قال : إنّي لأبصر ما أقوّم به أهلي وأرشد به ذا العمى من قومي .

قال : هل تعرف النجوم ؟

قال : إنّي لأعرف / منازل القمر ، وما أهتدي به في السفر . [325ب]

قال : فهل تروي الشعر ؟

قال : إنّي لأروي المثل ، والشاهد .

قال : أمّا المثل فقد عرفناه ، فما الشاهد ؟

قال : اليوم يكون للعرب من أيّامها عليه[3] شاهدٌ من الشعر ، فأنا أروي ذلك الشعر .

فاتّخذه سميراً . فلم يكن يطلب شيئاً إلّا وجده عنده أو وجدَ عنده منه علماً . وكان سمرة من قعَد[ة] الأزارقة الخوارج . فكتب إليه قطريّ بن الفجاءة

---

(1) في مروج الذهب 3 / 344 : سبرة .
(2) في المخطوط : وأنصر .
(3) في المخطوط : ليس عليه شاهد . والإصلاح من مروج الذهب 3 / 344 .

وهو بإزاء الحجّاج بجيرفت يعيّره بمُقامه عند الحجّاج وركونه إلى الدنيا ، وكتب إليه هٰذه الأبيات [طويل] :

[لـ]ـشتّان ما بين ابن جعَدٍ وبيننا ... إذا نحن رحنا في الحديد المظاهر
وراح يجرّ الخزّ نحو أميره ... أمير بتقوى ربّه غير آمرِ
نُجالِدُ فُرسانَ المهلّب ، كلّنا ... صبور على وقع السيوف البواتر
أبا الجعد ، أين الحلمُ والعلمُ والنُّهَى ... وميراثُ آباءٍ كرامِ العناصِرِ ؟
ألم تَرَ أنّ الموتَ لا شكّ نازلٌ ... ولا بُدَّ من بَعْثِ الأُلَى في المقابِرِ ؟
حفاةً عُراةً وٱلثوابُ لَديهِمُ ... فمن بينِ ذي ربحٍ وآخر خاسرِ
فإنّ الذي قد نلتَ يَفْنَى ، وإنّما ... مقامُك في الدنيا كوقعة طائرِ
فراجع أبا جَعدٍ ولا تكُ مُغْضِياً ... على ظلمةٍ أعشَت عيونَ النواظر
وتب توبة تهدي إليك شهادةً ... فإنّك ذو دينٍ ولستَ بكافِرِ
وسر نحوَنا تلقَ الجهادَ غنيمَةً ... تُفِدْك ابتياعاً رابحاً غير بائِرِ
هي الغايةُ القصوى الرغيبُ نوالها ... إذا نال في الدنيا الغنى كلُّ تاجرِ(1)

فلحق سمرة بقطريّ ، وطلبه الحجّاج فلم يقدر عليه . وبينا هو ذات يوم إذ قدم عليه كتاب قطريّ ، وفي أسفله [طويل] :

من مبلغ الحجّاجَ أنّ سميرَه ... قلى كلّ دين غيرَ دينِ الخوارج ؟
رأى الناس ، إلّا مَن رأى مثلَ رأيهم ... ملاعين ترّاكين قصدَ المناهج
فأيُّ ٱمرىءٍ ، أيُّ أمري يا ٱبن يوسف ... ظفرتَ به لو نلت علمَ الولائج !(2)
إذنْ لرأيتَ الحقّ منه مخالفاً ... لرأيك إذ كنتَ آمرءًا غيرَ فالج(3)
فقد كدتُ لولا اللهُ أمزج بالذي ... به الحقُّ من ديني بمذقة مازج
فأقبلت نحو الله بالله واثقاً ... وما كربتي غير الإلاه بفارج

(1) الأبيات في مروج الذهب 3 / 344 ومنها الزيادة والتصويب .
(2) الوليجة بطانة الإنسان وخاصّته .
(3) السهم الفالج : الفائز الغالبُ .

إلى قطريّ في الشراة معائجاً ولستُ إلى غير الشراة بعائج
إلى عصبةٍ ، أمّا النهارُ فإنّهُمْ هُمُ الأسدُ أسدُ الحرب عندَ التهايج
وأمّا إذا ما الليلُ جنَّ فإنّهم قيامٌ كأنواح النساء النواشج
ينادون بالتحكيم لله إنّهُم رأوا حكمَ عمرو كالرياح الهوائج
وحكمُ ابن قيس مثل ذاك فأعصموا بحبل شديد الفتل ليس بناهج[1]

فطرح الحجّاج الكتابَ إلى عنبسة بن سعيد وقال : هٰذا من عند سميرنا الشيبانيّ ، وهو من الخوارج ولا نعلم به !

ثمّ لمّا قتل المهلّب الخوارج . ومضى قطريّ إلى طبرستان وأتى المهلّب عهدُه من عبد الملك على خراسان . بعث الحجّاج سفيان بن الأبرد الكلبيّ إلى قطريّ في أهل الشام وأهل العراق . فسار حتّى قدم الريّ . ثمّ رجع . فلامه الحجّاج ، وكتب إليه يشتُمُه وقال : أَلَا كنتَ أخذتَه ؟

فقال سفيان : إنّ أبا محمد – يعني الحجّاج – ما يدع المحسنَ حتّى يُسيء .

ومضى إلى / قُومِس وحصر الخوارج ثلاثين شهراً حتَّى أكلُوا الجيف . [326أ]
وأخذهم عنوة وبعث برؤوسهم إلى الحجّاج . وأجلى المهلّب الأزارقة من كرمان بعد فِرار قطريّ . وبعث بشير بن مالك بن نكيت الحرشي – وقيل : مرّة بن تليد الأزديّ – إلى الحجّاج بكتابه ، وكان بشير أديباً ، له لسانٌ وبيانٌ .

مع مبعوث من فصحاء أصحاب المهلّب

فلمّا قدم على الحجّاج برؤوس الخوارج . قال له : ما آسمُك ؟

قال : بشير بن مالك .

قال : بشارة وملك إن شاء الله . كيف تركتَ المهلّب ؟

قال : تركتُه صالحاً ، قد نال ما رجا ، وأمِن ما خاف .

(1) عمرو هو عمرو بن العاص ، وآبن قيس هو أبو موسى الأشعريّ . والناهِجُ هو المستقيمُ الواضح .

فقال : لله الحمد ! كيف كنتم وكيف كان عدوُّكُم ؟

قال : كنّا إذا لقُوا عفوَنا بعفوهم ٱنتصفنا منهم . وإذا لقينا حَدَّهم بحَدِّنا طمعنَا فيهم . وكانت لهم البداة ولنا العاقبة .

فقال : صدقتَ . ﴿إنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود ، 49) .

ثمّ قال : كيف بَنُوهُ ؟

قال : كانوا كفاة السرح حتّى يردّوه . وأعباءَ البيات[1] حتّى يأمنوه .

قال : فأين هم من الشيخ ؟

قال : فضلُه عليهم كفضلهم على الناس .

قال : صدقت . هم كما وصفت . فأيّ بنيه أفضل وأعظم غناءً ؟

قال : ذاك إليه .

قال : لا ، بل قل أنتَ في ذلك ، فإنّي أرى لك عقلاً .

قال : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

قال : أخبِرني كيف فاتكم قطريّ ؟

قال : كادنا بمَا كنّا نكيده به .

قال : فهلّا طلبتُموه ؟

قال : كان الحدّ أحبّ إلينا من الفلّ .

قال : أجل ، أصبتم ووفّقتم . فكيف رأيتَ رجال الجندِ ورآهم ؟

قال : أرضاهم الحقّ ووسعهم النفل . وهم مع رجلٍ يقاتل معهم قتالَ صعلوك ، ويسوسهم سياسة الملوك . فلهم منه شفقُ الوالد ، وله منهم برُّ الولَد .

(1) العقد 2 / 81 . والسرح : المال السائم ، وأعيان البيات غير مفهومة وفي هامش العقد : فإذا أليَلُوا ففرسان البيات . وفي المروج 3 / 359 : كانوا أعداءَ الأبيات حتّى يأمنوا . ولعلّها القراءة الصالحة .

فقال الحجّاج : هل كنتَ هيّأتَ ما أرى ؟

قال : لا يعلم الغيب إلّا الله !

فالتفت الحجّاج إلى عنبسة بن سعيد [وقال] : هٰذا والله الكلام المخلوق ، لا ما يضع الناس ! [1] .

ثمّ أحسن جائزتَه ، وردّه إلى المهلّب .

دخول المهلّب عليه بالبصرة

وكتب المهلّب إلى عبد الملك بالخبر وبهرب قطريّ ، وموت عبد ربّه الكبير وأصحابه . فكتب إليه يأمره أن يستخلف على كرمان بعضَ ولده ويرجع إلى البصرة فيقيم بها حتى يأتيَه أمرُه . فاستخلف المغيرةَ بن المهلّب ، وخلّف معه أخاه يزيد بنَ المهلّب ، وقدم البصرة . وبها الحجّاج مقيمًا . فلمّا دخل عليه نهض إليه عن سريره وسأله عن حاله وجزاه خيراً . وكان على المهلّب سيفٌ كان الحجّاج بعث به إليه ، وهو السيفُ الذي كان بعث به محمّد بن يوسف أخو الحجّاج إليه من اليمن . وهو سيف ذي نواس ، وجدَ في قبر جبي ورضوى ابنتَي ذي نواس . وكان سيفاً قصيراً . فبعث به الحجّاج إلى المهلّب . وكان المهلّب قبلَ ذلك إنّما يتقلّد سيفَ سعد بن أبي وقّاص . فلمّا بعث إليه الحجّاج بذلك السيف تقلّدهما جميعاً . فلمّا رأى الحجّاجُ سيفَه على المهلّب قال : يا أبا سعيد ، ما أجودَ سيفَك هٰذا لولا قصرٌ فيه !

قال المهلّب : إنّه لا يقصر عمّن يصله بخطوه .

قال : يا أبا سعيد ، ادع لي أهل البلاء من أصحابك على قدر بلائهم .

فبدأ المهلّب ببنيه وقال : أما والله ، لولا أنّي أراهم مستحقّين لذلك ما بدأت بهم . ولكنّي أكره أن أظلمَهُم .

ثمّ دعا بأهل البلاء بعدَهم فقام رجل من بني عامر بن صعصعة ، فذكر

(1) في العقد 2 / 82 : هذا الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع .

بلاءً كان منه ، فصدّقه المهلّب . وقال الرجل : فوالله لقد رميتُ فيهم بعشرين سهماً كلّها صيغة ، فما أَشْوَيْتُ ، وما أنْمَيتُ وبكلّها أصْمَيتُ .

فقال الحجّاج لجلسائه : أتدرون ما عنى الرجل ؟ أمّا الإشواء فما لم يُصب مقتلاً ، وأمّا الإنماءُ فما حمل الرميّة حتّى تتغيّب عن صاحبه . وأمّا الإصماء فما أقعصَه مكانَه . وأمّا الصيغة فعمل يديه .

ثمّ دعا المهلّب بقطن بن قبيصة الهلاليّ ، وأخبر بشرفه ونجدته وبلائه وقال : ما أعلم فيه عيباً عند الحرب إلّا ضعفَ صوته .

فقال الحجّاج : أوَتعدُّون ذلك في الحرب عيباً ؟

قال : نعم .

فأحسن جائزتَه وولّاه إصطخر ، وتزوّج ابنتَه أمّ خالد بنـ[ـت] قطن . ثمّ قال الحجّاج للمهلّب : يا أبا سعيد ، أيّ أمرك أحبّ إليك إذا لقِيتَ عدوّك ؟

قال : أحبّ الأنَاةَ وأكره العجلة .

[326 ب] فقال الحجّاج : إنّ في اللقاء / لراحةً .

قال : ذلك إذا كنت لك العاقبة .

فلمّا خرج المهلّب من عند الحجّاج قال : لقد رأيتُ رجلاً لا يدَع بالعراق شرفاً إلّا وضعَه .

ثمّ قال الحجّاج للمهلّب : يا أبا سعيد ، لو أعنتَ الأميرَ – يعني نفسَه – على هديّة أمير المؤمنين ؟

فقال : نعم . حكمك أيّها الأمير .

قال : ألف ألف درهم .

فلمّا آنصرف قال له بنوه : أتدري ما صنعت ؟ من أينَ تجمع ألف ألف ؟ والله لو حملتَها إليه جملةً لقد طلب إليك أضعافها .

قال لهم : أتأمروني أن أرجع عن شيء قد تكلّمت به ؟ ما هٰذا بكائن .

وأمر بجمعها . فجعل الحجّاج يقول له كلّما دخل عليه : يا أبا سعيد ، ما صنعت في حاجتي ؟

فيقول : نعم ، أنا في جمعها .

فلمّا ٱجتمعت حملها إليه . فأخرج له عهده من عبد الملك على خراسان ، وذلك بعد مُقام المهلّب ثلاثة أشهر بالبصرة ، وعلى خراسان يومئذ أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد . وكان الحجّاج يكتب إلى عبد الملك يسأله ولاية خراسان فيأبى عليه كراهةً لعزل أميّة . فلمّا قدم المهلّب البصرةَ ، كتب الحجّاج إلى عبد الملك يسأله ولايةَ خراسان للمهلّب فبعث إليه بعهد المهلّب عليها ، وأمره أن يصرف أميّةَ صرفاً جميلاً . وكتب إلى المهلّب أن يقيمَ بالبصرة تمامَ سنةٍ ، وأن يقدّم رجلاً من ولده إلى خراسان . فندب ٱبنه حبيبَ بن المهلّب إليها . فدعاه الحجّاج وقال : ٱعرض عليّ دوابّك التي تسيرُ عليها .

فعرضها فقال : ما أرى شيئاً أرضاه لك .

وأمر له من مربطه ببغلة خضراء ، فقال : « ٱركب هٰذه ! » وأمر له بعشرة آلاف درهم .

فسار حبيب على تلك البغلة لم يحوّل عنها سرجَه إلى مرو في سبع عشرة ليلة . فلمّا دنا من باب المدينة تلقّاه حمل حطب فنفرت البغلة وحاصت[1] . وكان حبيب يتعجّب من نفارها بعد ذلك الجهد وشدّة السير . وأقام بمرو عشرة أشهر حتّى قدم عليه المهلّب في صدر سنة تسع وسبعين .

اختبارُهُ مروءةَ أبناءِ المهلّب

وقد كان الحجّاج كتب إلى المغيرة بن المهلّب ، وهو على كرمان يأمره بالقدوم عليه . فلمّا سار المهلّب إلى خراسان ، وكان بالأهواز ، تلقّاه بها أولاده

(1) هٰكذا في المخطوط ، ولم نجد لها في المعاجم معنى النفور .

الثلاثة ، وهم : المغيرة وعبد الملك ويزيد ، مقبلين إلى الحجّاج . فقال لهم : إنّكم تَقدمون على رجل لا ينبغي لكم أن يسألكم شيئاً إلّا أعْطيْتُموه إيّاه .

قال المغيرة : وإن سألَنا ما ليس عندنا ؟

قال : نعم ، وإن سألكُم ما ليس عندكم !

فلمّا قدموا على الحجّاج ، قال للمغيرة : أعن الأميرَ على هديّة أمير المؤمنين !

قال : نعم ، حكمُك أيّها الأمير .

قال : خمسمائة ألف درهم .

قال : قد فعلت .

ثمّ قال لعبد الملك مثل مقالته . فقال : ما عندي من مال . وما كنت في شيءٍ . فغضب الحجّاج . فقال المغيرة : آحكم عليه أيّها الأميرُ ما بدا لك . وهو عليّ .

فحكم بمائتي ألف درهم . فضمنها المغيرة . ثمّ قال ليزيد بن المهلّب مثلَ مقالته لأخويْه ، ولم يكن يزيد وليَ شيئاً من الخراج فقال : والله ما كنت بصاحب جبايةٍ . وما كنت إلّا صاحب فرس وسيف .

فغضب الحجّاج وتناوله بمنديل كان في يده . فقال له المغيرة : آحكم عليه أيّها الأمير ما بدا لك ، وهو عليّ .

فحكم عليه بخمسين ومائة ألف . فضمنها المغيرة وحمل إليه خمسين وثمانمائة ألف . فقال الحجّاج : لقد قدمتُ العراق وما أحسب أنّ بها رجلاً أفضلَ من المهلّب حتى رأيت هٰذا الأسود – يعني المغيرة بن المهلّب – فإنّ فيه خلفاً من المهلّب . وكانت في المغيرة أدمة . وأحبس الحجّاج قِبَله عبد الملك بن المهلّب فولّاه شرطته . وأشخص المغيرة ويزيد إلى المهلّب ، وآستعمل المغيرة من قِبله على خراج خراسان . فكان المهلّب على حربها من قِبل عبد الملك ، والمغيرة على خراجها من قِبل الحجّاج ، حتّى مات المهلّب في ذي الحجّة سنة آثنتين وثمانين .

قتالُه لِشبيب الخارجيّ

وكان شبيب[1] بن يزيد بن نعيم الشيبانيّ بدويًّا . فقدم دمشق يطلب الفريضة . وكان الناس إذ ذاك يخرجون إلى الشام يطلبون الفرائض في قومهم . وكان معاوية . ومَن بعده من خلفاء بني أميّة لا يفرضون لأحدٍ من بني بكر بن وائل ولا لبني تميم بالشام لما فيهم من رأي الخوارج . فنزل شبيب على روح بن زنباع ، وكانت الأشراف الذين مع الخلفاء يضيفون مَن لا يعرفون . فقال شبيب لروح / : أنا رجل من بكر بن وائل من بني شيبان ، ثمّ أحدُ بني مرّة ، ولي [327أ] شرفٌ في قومي . وقد نزعتُ إليك ورغبت في الجهاد . فإن رأيتَ أن تكلّم أميرَ المؤمنين حتى يفرض لي ؟

فقال : أفعل .

فكلّم فيه عبد الملك فقال : أبا زرعة . إنّي أكره أن أفرض لبكريّ بالشام .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ له جلداً وعقلاً .

قال : فسَلْه عن نسبه .

فذكر ذلك رَوح لشبيب وقال : إنّي سأعاوده فيك ، فأنتسب لي .

فأنتسب له شبيب ، فذكره لعبد الملك فقال : ما أعرف هٰذا .

فرجع إليه روح ، فقال : ذكر أمير المؤمنين أنّه لا يعرفك .

فولّى شبيب وقال : لعلّه يعرفُني !

فقال روح : أخلق بقفا هٰذا أن يجرّ شرًّا !

وخرج شبيب من العراق ومنزلة الكوفة ، وقد سبقه صالح بن مسرّح

---

(1) حاشية في الهامش : شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو — وهو الصلت — بن شراحيل بن مرّة بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي آبن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

التميميّ بالخروج . فانضمّ إليه حتّى قُتل . فبايع الخوارج شبيباً ، فأقبل حتى كان فيمَا بين الموصل والعراق . فبعث إليه بشر بن مروان خيولاً فهزَمها . وأقام نحواً من سنة ، فكثف أمرُه واشتدّ . ومات بشر بن مروان ، وولي الحجّاج العراق ، فقام قطريّ بن الفجاءة[1] خطيباً فقال ، بعد حمدِ الله والثناء عليه : إنّ الله قد قيّضَ للفاسق أخي ثمود – يعني الحجّاج – رجلاً من الصفريّة – يعني شبيباً – قد أشجاه وشغله الله بنفسه . والله ما يبالي في أيّ الفريقين كان الفتح .

فوجّه الحجّاج إلى شبيب عبيد بن أبي المخارق في رجال أهل الشام ، وقد نزل شبيب الأنبار ، فهزمه شبيب . ثمّ وجّه إليه يزيد بن هبيرة المحاري فهزمه . ثمّ بعث إليه زحر بن قيس فهزمه ، وأصابته ثمانون طعنة وضربة ، فعاد وهو يحمل في القطن ، وعينُه مفلوقة ، فقال الحجّاج : يا أهل الشام ، مَن أحبّ منكم أن ينظرَ إلى الشهيد الحيّ فلينظر إلى هٰذا ! إنّ عينَ هٰذا لتنفح مسكاً في الجنّة !

فقال ذحر للّذي يحمله : ما أرضانا بالزيت !

ثمّ بعث الحجّاج عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث بن قيس فهزمَهُ شبيب . فبعث عتّاب بن ورقاء التميميّ فلقيَه شبيب وقتله . فبعث إليه الجزل الكندي مولى آل عتبة بن أبي معيط فقتله . فبعث إليه أبا الورد مولاه فقتله . فبعث إليه زيادَ بن عمرو العتكيّ فانهزم وقتل . فبعث إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فقتله شبيب . فبعث إليه أبا الضريس مولى بني تميم فقتله .

ومكث شبيب أربع سنين . ثمّ ضرب الحجّاج البعثَ على الكوفة وخرج حتى عسكر في السبخة[2] . وأقبل شبيب ينتقل فيها بين السواد والجبل . فبعث إليه

(1) حاشية بالهامش : قطري بن جعونة ، وهو الفجاءة ، لأنّه كان باليمن فقدم عليه فجأة . وجعونة ابن [مازن] بن يزيد بن زياد بن خنثر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم (وقد سقط مازن من نسبهِ في جمهرة ابن حزم 212) . وكنية قطري أبو محمد وأبو نعامة وأبو عبدالله .

(2) زاد الطبري ، 6/ 275 : بين الكوفة والفرات .

الحجّاج عبد الله بن رميثة الطائيّ . ولم يكن مع الحجّاج يومئذ من أهل الشام إلّا نحو من سبعمائة رجل . فكتب ٱبن رميثة يستأمر الحجّاج ، فكتب إليه أن : أقِم مكانَك . فما شعر الحجّاج ، وهو في عسكره بالسبخة ، إذ أقبل شبيب وقد سبقَ أصحابه في ثلاثين فارساً ففرّقهم في نواحي عسكر الحجّاج ثمّ قال : « لا حكم إلّا لله ! » فٱنذعر الناس ودخل عامّتُهم الكوفةَ ، وقتَلَ من أصحاب الحجّاج نحواً من ثلاثين ومائة رجل ، ولم يُقتل من أصحاب شبيب إلّا رجلان . ثمّ ٱنصرف شبيب فلقيَ أصحابه في الطريق فردّهم . ثمّ أقبل حتى أتى الفالوجة فأقام بها خمسَ عشرة ليلةً . ثمّ أقبل إلى الكوفة فبلغ الحجّاج فرحل إلى كوثى وبعث إليه علقمة بنَ عبد الرحمان الحكميّ . فرجع شبيب إلى الأنبار . فضرب الحجّاج البعثَ على أهل الكوفة فجعلوا ينهزمون . ومرّ ابن الحرميّة العبدي على بقّال بالكوفة ، وكان قد كتب بالبعث فقال : يا بقّال ، إنّكم لفي عافية . فلمّا بلغت الحجّاج كتب إلى عبد الملك : الغوث ! الغوث ! وجّه إليَّ أهل الشام . وإنّ رجلاً من أهل العراق مرّ ببقّال فقال : كذا وكذا .

فأمدّه عبد الملك بأربعة آلاف من أهل الشام . فقدموا عليه وشبيب بالأنبار . وقد أقام بها عشرين ليلةً بعد أن ٱلتقى هو وعلقمة بن عبد الرحمان . فأصبح يوماً وقد سُقيت خيولُه وعُلّقت وجمّت فقال لأصحابه : ما ترون ؟

قالوا : الرأي رأيُك ، فمُرنا بأمرك !

قال : هل لكم أن تدعوا بٱبن أبي الرغال الليلة وذلك بعد ٱرتفاع الضحى ؟

قالوا : يا أمير المؤمنين ، قد منع النهار .

قال : وإن .

فقرط فرسه عنانه ، وقرّطوها أعنّتها ، وسار بهم حتّى دخلوا الكوفة ليلاً بعدما صُلّيَتِ العشاء / الآخرة ، وهو في مائة وخمسين رجلاً ، ومعه ٱمرأتُه [327 ب]

الجهيرة بنت عمرو ، وأمّه غزالة من سبي أصبهان .

وكان الحجّاج قد رحل من البصرة ودخل الكوفة بعد العصر وتحصّن بالقصر. وفي المسجد أصحاب البرانس يصلّون في السواري ، وقد قامت الأحراسُ في السّكك ، وخرج حرسُ الحجّاج إلى المسجد .

فأقام شبيب على كلّ بابٍ رجلين ، وأمرهم أن يقتلوا مَن مرّ بهم . وقال لأمّه وآمرأتِهِ : آقعدا على المنبر لا يصيبكُما أحدٌ بمعرّة .

ودخل المسجد فقتل المصلّين ، ومَن فرّ قتله الذين على الأبواب . وأخذ ميمون العذاب مولى حوشب بن يزيد بن رؤيم الشيبانيّ – وكان حوشب يومئذ على الخراج ، وميمون خليفته . فقال له شبيب : أين حوشب ؟

قال : في منزله .

فأرسل عدّة من أصحابه ليأتوا به فآمتنع . فأتاه ميمون ، ومعه عدّة من أصحاب شبيب فأعلمه بقدوم شبيب فذبحه شبيب وجعل أصحاب شبيب يضربون باب القصر على الحجّاج ويقولون : يا عدوّ الله ! يا آبن أبي رغال ! يا أخا ثمود !

وفي ذلك يقول وصيلة [1] بن عتبان الشيبانيّ أحد أصحاب شبيب (طويل):

لعمري لقد نادى شبيبٌ وصحبُهُ   على الباب لو أنَّ الأمير يُجيب
فأبلغ أميرَ المؤمنين رسالة   وذو النصح لو يدعى إليه قريب
أتذكر إذ دارت عليك رماحُنا   بمسكن والكلبيّ ثمّ غريب ؟
فلا صلح ما دامت منابر أرضنا   يقوم عليها من ثقيفٍ خطيبُ
فإنّك إن لا ترضَ بكرَ بن وائل   يكن لك يوم بالعراق عصيبُ
فلا ضيرَ إن كانت قريش عدًى لنا   يصيبون منّا مرّة ونصيب
فإن يكُ منهم كان مروان وآبنه   وعمرو ومنهم هاشم وحبيب

(1) في المروج ، 4/ 27 : مصقلة .

فمنّا سويدٌ والبطين وقعنب ومنّا أمير المؤمنين شبيب
ومنّا سنان الموت وٱبن عميرة ومرّة ، فٱنظر أيّ ذاك تعيب

فقال عبد الملك بن مروان لمّا بلغته الأبيات : كلّهم والله أعجب !

فلمّا طلع الفجر قال شبيب لبعض أصحابه : « أَذِّنْ وأقم ! » فأذّن وأقام . وتقدّم شبيب فصلّى بأصحابه ، فقرأ سورة البقرة و[سورة] آل عمران حتى كادت الشمسُ تطلع . ثمّ جلس وسط المسجد ساعةً . فأقبلت الجيوش فقال لأصحابه : ٱركبوا .

فأمر الحجّاج قوماً فقاموا على زوايا المسجد فنادَوا : يا خيل الله ، ٱركبي !

وأقبل الناس فجالدهم شبيب وأصحابُه في المسجد حتّى خرجوا على وجوههم . ثمّ خرج هو وأصحابُه وتبعه الناس فٱضطربوا في موضع السوق ساعةً . ثمّ زاحفهم الحجّاج وهو يمشي حتّى تعب ، ومعه يومئذ أربعة آلاف من أهل الشام . فقال لهم : لا يَدَعَنّ معكم عرّاقيًّا غير خالد بن عتّاب بن ورقاء . فإنّه ثائر بأبيه ، وغير جهم بن زحر – وكان شبيب جرح أباه .

وكانت على الحجّاج درع فٱنبهر وقال : ويحكم ! ٱبغوني دابّة .

فطلبوا دابّة فلم يجدوا إلّا بغل سقاء أغرّ محجّلاً فأتي به ، فقال له سفيان بن الأبرد : أيّها الأمير ، اركب هٰذا البغل فإنّه أغرّ محجّل .

قال : قرّبوه ، فإنّه والله يوم أغرّ محجّل .

فركبه ، ثم قال : ويحكم ، ذبَحني العطش !

فأتي بجوّ من ماء ، فكره أن يشرب منه ، فأمر بدِرعه فقَدَّ جيبَها ثمّ قال : أصبّه فيمَا بين جلدي والدرع .

فضاربهم شبيب يَومَهم الأطول حتّى ألجأهم إلى البيوت . وأقبل شبيب حتى علا هو وأصحابه مزبلة تشرف على الكوفة وعلى أصحابه ، ثمّ نزل وقاتل

حتّى كثرت الجراحاتُ . ثمّ ولّى بأصحابه إلى الأنبار فأقام بها . ولم يجتمع له مذ خرج إلى أن قُتل أكثرُ من ثلاثمائة فارس .

[328أ] وقال أسامة بن زيد البجلي الأحيمر / يعيّر الحجّاج ، وقيل : بل قائلُها عمران بن حطّان [كامل] :

صدعت غزالة قلبه بكتيبة ... تركت مسامعه كأمس الدابر[1]
ليث عليّ ، وفي الحروب نعامة ... هوجاء تنفرُ من صفير الصافر
هلّا خرجتَ إلى الغزالة في الوغى ... إذ صار قلبك في جوانح طائر ؟
ألقِ السلاحَ ، وخذ وِشاحَيْ معصرٍ ... وأعمِد لمنزلة الجبانِ الكافر

وقال الحجّاج لأصحابه : ما ترون ؟

قالوا : نرى أنّ القوم قد أثخنَتْهم الجراحات ، فإن أتُّبِعُوا لم يكن لهم قوام .

فوجّه علقمة بن عبد الرحمان إليه فقاتله يوماً وليلة . فولّى شبيب منهزماً ، فبعث إليه الحجّاج سفيان بن الأبرد بن الأصمّ الكلبيّ في ألفَين ، فطلبه حتّى أنتهى إلى دجيل . فأقبل إليه شبيب ، فقطع سفيان جسر دجيل ، فأستدارت السفنُ بشبيب فغرق . فأستخرجه بالشباك ، وقطع رأسه ورأسَ أمرأتِه وأمِّه وعدّة من أصحابه وبعث بها إلى الحجّاج فبعث بها إلى عبد الملك ، وعدّتها سبعون رأساً ، فكانت أوّل رأس قدمت من رؤوس الخوارج إلى الشام .

ثمّ لمّا ضرب عبد الملك الدنانير والدراهم ونقش عليها ذكرَ الله تعالى ، ضرب الحجّاجُ الدراهمَ ونقش فيها « قل هو الله أحد » فكره الناس ذلك من أجل أنّ الجنبَ والحائض يمسّها . ومنع الحجّاج أن يضرب أحدٌ غيره فضرب سمير اليهودي . فأمر بضرب عنقه فقال له : عيار دراهمي أجود من دراهمك فلِمَ تقتلني ولم تتركه ؟ فوضع للناس صنج الأوزان ليتركه فلم يفعل . وكان الناس

---

(1) حاشية في الهامش : مناظره دياس القابر .

يعرفون الوزن قبل ذلك .

ثورة عبد الرحمان ابن الأشعث

وخرج على الحجّاج عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي . وذلك أنّه ولّى عبيد [الله] بن أبي بكرة سجستان في سنة ثمان وسبعين فأقام سنة لم يغز . وكان رتبيل ملك الترك مصالحاً له يؤدّي الخراج ، وربّمَا آمتنع . فكتب الحجّاج إلى عبيد الله بمناجزة رتبيل وآستباحة بلاده وهدم قلاعه وقتل رجاله . فسار في أهل البصرة والكوفة وغنم . وغلب على شيءٍ من أراضي رتبيل حتى أمعن في بلاد الترك ودنا من مدينتهم . فأخذ الترك عليهم العقاب والشعاب فآضطرّ إلى مصالحة رتبيل ، وخرج بعدما قتل عدّة من المسلمين . فلمّا بلغ ذلك إلى الحجّاج آستأذن عبدَ الملك في تسيير الجنود إلى رتبيل وعرّفه ما حدث بالمسلمين فأذن له في ذلك . ففرض على أهل الكوفة عشرين ألفَ فارس وعلى أهل البصرة عشرين ألفاً ، وأعطى الناس أعطياتهم كاملةً وأنفق فيهم ألفَيْ ألفِ درهم سوى أعطياتهم ، وألزمهم أن يخرجوا بالخيول الرائعة والأسلحة الكاملة . وقدّم عليهم عبد الرحمان بن الأشعث وكان الحجّاج يبغضه ويقول : « ما رأيتُه قطّ إلّا أردتُ قتلَه » . وكان الشعبيّ حاضراً فبلّغ قوله آبنَ الأشعث فقال : والله لأحاولنّ أن أزيل الحجّاج عن سلطانه . فلمّا أراد الحجّاج أن يبعثه أتاه إسماعيل بن الأشعث فقال له : لا تبعثه ! فوالله ما جاز جسر الصراة فرأى لوالٍ عليه طاعة ، وإنّي أخاف خلافَه .

فقال له الحجّاج : هو أهيبُ لي من أن يخالفَ أمري .

وسيّره على ذلك الجيش في سنة ثمانين . فأخذ بلاد رتبيل وبثّ بها عمّاله ، وحوى هو ومَن معه مالاً عظيمًا وكتب إلى الحجّاج بمَا فتح الله عليه وأنّه آكتفى بمَا قد أصاب وعزم على الإقامة هناك عامه حتّى يجبيَ البلاد ويعرفها ، ثمّ يأخذ في قابل ما وراءها .

فكتب إليه الحجّاج يوبّخه ويأمره بالتوغّل في أرض الترك ، وهدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم . وإن لم يفعل فأخوه إسحاق بن محمد آبن الأشعث أمير الناس . فقام عبد الرحمان في من مَعه وأعلمهُم بمَا عزم عليه من
[328ب] الإقامة عامَه وبمَا / بعث إليه الحجّاج ، وأنّه يخاف عليهم ما نزل بأصحاب عبيد الله بن أبي بكرة . فثار إليه الناس وقالوا : « بل نأبى على عدوّ الله ولا نسمع له ولا نطيع ! » وكان فيهم أبو الطفيل عامر بن واثلة من الصحابة ، فتكلّم أوّل الناس بخلع الحجّاج ومبايعة عبد الرحمان ، فنادى الناس من كلّ جانب : فعلنا ! فعلنا ! قد خلعنا عدوّ الله !

ووثبوا إلى عبد الرحمان فبايعوه على خلع الحجّاج ونفيه من العراق والنصرة له ، ولم يذكروا عبد الملك بن مروان . فآستخلف عبد الرحمان على البلاد وصالح رتبيل ،ورجع إلى العراق حتّى [إذا] بلغ فارس ، آجتمع الناس وخلعوا عبدَ الملك بنَ مروان [وبايعوا ابن الأشعث على كتاب الله وسنّة نبيّه وخلع أئمّة الضلالة][1] وجهاد المحلّين . وبلغ ذلك الحجّاج فكتب إلى عبد الملك وسأله تعجيل الجنود . وسار إلى البصرة فوافاه كتاب المهلّب بن أبي صفرة أنَّ أهل العراق قد أقبلوا إليك ، وهم مثل السيل لا يردّهم شيء حتّى ينتهِيَ إلى قراره .

وقدمت جيوش عبد الملك . فخرج الحجّاج من البصرة يريد لقاءَ عبد الرحمان فنزل تستر وقدّم عسكراً فهزمه عبد الرحمان بعد قتال شديد في يوم عرفة سنة إحدى وثمانين وقتل منهم جمعاً كثيراً . فرجع الحجّاج إلى البصرة وعبد الرحمان يتبعُه فقتل عدّة من أصحاب الحجّاج وأخذ من أثقاله . ونزل الحجّاج الزاوية وفرّق في الناس مائة ألف ألف وخمسين ألفَ ألفِ درهم . فنزل عبد الرحمان البصرة وبايعه جميع أهلها قرّاؤها وكهولها . وكان سبب تسرّعهم إلى ذلك أنّ العمّال كتبوا إلى الحجّاج أنّ الخراج قد آنكسر ، فإنّ أهل الذمّة قد

---

(1) الزيادة من الطبريّ ، 6/ 338 .

أسلموا ولحقوا بالأمصار . فكتب إلى البصرة وغيرها أنّ من كان له أهل في قرية فليخرج إليها . فأخرج الناسَ ليأخذَ منهم الجزيةَ فجعلوا يبكون وينادون : يا محمّداه ! يا محمّداه ! لكراهتهم في الخروج .

فبكى قرّاء البصرة لما رأوه . وقدم عبد الرحمان عُقيبَ ذلك فبايعوه على حرب الحجّاج وخلع عبد الملك ، وذلك في آخر ذي الحجّة . فلمّا كان المحرّم سنة آثنتين وثمانين آقتتل الفريقان قتالاً شديداً عدّة دفعات . فآنهزم في آخره أصحاب الحجّاج . ثمّ عادوا إلى القتال فآنهزم عبد الرحمان بمَن معه وقُتل منهم خلق كثير وصار إلى الكوفة فآجتمع عليه أصحابُه وبايَعُوه فقاتل الحجّاجُ خمسَ ليال أشدَّ قتال رآه الناس ، وتسمّى هٰذه الحرب وقعةَ الزاوية — وقتل الحجّاج فيها بعد الهزيمة أحدَ عشر ألفاً خدعهم بأن نادى : « لا أمان إلّا لفلان وفلان ! » فقال العامّة : « قد أمّن الناس » . وحضروا عنده فأمر بهم فقتلوا كلّهم . وأقام إلى شعبان ، ثمّ سار مِن البصرة إلى الكوفة . فخرج إليه عبد الرحمان ونزل دير الجماجم وقد آجتمع إليه أهل الكوفة والبصرة والقرى ، وأهلُ الثغور والمسالح .

ونزل الحجّاج ديرَ قرّة أوّل ربيع الأوّل . وآجتمع إليه أمداده من أهل الشام . وقال : إنّ عبد الرحمان نزل ديرَ الجماجم ، ونزلتَ دَيْر قُرّة : « أما يزجر الطير ؟ » وخندق كلّ منهما على نفسه وآقتتلوا كلّ يوم عدّة أيّام . فقال عبد الملك : إن كان يرضي أهل العراق أن ننزع عنهم الحجّاج نزعناه فإنّ عزلَه أيسرُ من حربهم فتحقن الدماء بذلك .

وبعث أخاه محمد بن مروان وهو على الموصل في جند كثيفٍ ومعه آبن أخيه[1] عبد الله بن عبد الملك ، أن يعرض على أهل العراق عزلَ الحجّاج ، فإن قبلوا ذلك كان محمد بن مروان أمير العراق ، وينزل عبد الرحمان أيّ بلد شاء فيكون واليَه . فإن لم يرضوا بذلك ، فالحجّاج أمير الجماعة ووالي القتال .

(1) أي : آبن الخليفة عبد الملك ، كما في الطبريّ ، 6/ 347 .

فلم يأتِ الحجّاج قطّ أمر كان أشدّ عليه ولا أوجع لقلبه من هٰذا ، مخافة أن يقبل أهل العراق عزلَه فيُعزل عنهم . وكتب إلى عبد الملك : والله لو أعطيتَ أهل العراق عزلي لم يلبثوا إلّا قليلاً حتّى يخالفوك ويسيروا إليك ولا يزيدهم ذلك إلّا جرأةً عليك. ألم ترَ – وبلغك – وثوب أهل العراق مع الأشتر على عثمان بن عفّان / وسؤالهم نزع سعيد بن العاص ، فلمّا نزعه لم تتمّ له السنة حتّى ساروا إلى عثمان فقتلوه ، وإنّ الحديد بالحديد ؟ [329 أ]

فأبى عبد الملك إلّا عرض عزله عليهم فعَرض ذلك عليهم عبد الله ومحمد فأبوا وخلعُوا عبدَ الملك مرّة ثانيةً بدير الجماجم . فسلّم عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان أمر العسكر للحجّاج ، فقال : « قد قلت إنّه لا يراد بهٰذا الأمر غيرُكم » . فكانا يسلّمان عليه بالإمرة ويسلّم عليهما بالإمرة . فٱستعدّ الفريقان ، ووقف مع عبد الرحمان سعيد بن جبير وعامر الشعبيّ ، وأبو البختريّ ، وعبد الرحمان بن أبي ليلى . وتزاحفوا للقتال عدّة أيّام يقتتلون أشدّ القتال . فغلت الأسعار وفقد اللحمُ ، والقتال مستمِرٌّ مدّة مائةٍ وثلاثةِ أيّامٍ . فلمّا كان اليوم الرابع عشر من جمادى الآخرة ٱقتتلوا قتالاً شديداً فٱنهزم أصحاب عبد الرحمان ، وتبعهم . فدخل الحجّاج الكوفة وأخذ يبايع الناس وكان لا يبايع أحداً إلّا قال له : « ٱشهد على نفسك أنّك كفرت ! » فإن قال : نعم ، بايعه ، وإلّا قتله .

وأقام بالكوفة شهراً . وأنزل أهلَ الشام بيوت الناس مع أهلها فكان أوّل من أنزل الجند في بيوت غيرهم فٱقتدي به مِن بعده . ثمّ خرج يريد ابن الأشعث وقد ٱجتمع له خَلقٌ ، فٱقتتلا خمسة عشر يوماً من شعبان أشدّ قتال آل إلى هزيمة ابن الأشعث ، وقتل عبد الرحمان بن أبي ليلى الفقيه ، وأبي البختري الطائي في أربعة آلاف من شجعان أهل الكوفة والبصرة . وسيّر الحجّاج ابنَه محمد بن الحجّاج في طلب ابن الأشعث فقاتله في عدّة مواضع ، وهو ينهزم منه حتى لحق برتبيل فأكرمه وأنزله . فما زال به الحجّاج حتى قتله وحمل إليه رأسه

كما ذكر في ترجمة عبد الرحمان بن الأشعث[1].

بناء مدينة واسط

وفي سنة ثلاث وثمانين آختطّ الحجّاج مدينة واسط ونزلها فقال له جامع المحاربيّ : بنيتها في غير بلدِك ، وأورثتَها غير ولدك . وكذلك مَن قطعه العُجب عن الاستشارة،والاستبداد عن الاستخارة . وكان سبب بنائه لها أنّه ضرب بعثاً على أهل الكوفة إلى خراسان ، فعسكروا بحمّام أعين . وكان فتى من أهل الكوفة من بني أسد حديثَ عهد بعرس بآبنة عمّ له ، انصرف من العسكر إلى زوجه ليلاً . فبينا هو معها إذ دقّ الباب طارق دقًّا شديداً . فقال الأسدي : ما هٰذا ؟

قالت له زوجته : هٰذا رجل من أهل الشام يأتي بابنا في كلّ ليلة سكران فيفعل ما تسمع ، وهو يريد المكروه ويتعرّض للمنكر ، وقد شكوتُه إلى شيوخ أصحابه .

فقال : آئذني له بالدخول .

فلمّا دخل قتله . وقال لزوجته : إذا صلّيتُ الفجرَ فآبعثي إلى الشاميّين أن يخرجوا صاحبهم عنك ، فإنّهم سيأتون بكِ ألحجّاج فآصدقيه الخبر على وجهِهِ .

ورفع القتيل إلى الحجّاج ، وأدخلت المرأة عليه فأخبرتْه خبرَها . فقال : « صدقتِنّ ! » ثمّ قال لأولياء المقتول : « آدفنوا صاحبكم » . ثمّ نادى مناديه : لا ينزلَنَّ أحدٌ على أحدٍ !

وأخرج أهلَ الشام فآرتاد لهم منزلاً فأمعن حتّى نزل أطراف العسكر . فبينا هو كذلك إذا براهب قد أقبل على أتانٍ له وعبر دجلة . فلمّا كان موضع واسط تفاحجت الأتان فبالت . فنزل الراهب وآحتفر موضع ذلك البول وحمله حتّى رمى به في دجلة ، وذلك بعين الحجّاج . فقال : « عليّ به ! » فلمّا أتاه قال :

---

(1) هي الترجمة رقم 1439 .

ما حملك على ما صنعت ؟

قال : إنّنا نجد في كتبنا أنّه يُبنى في هٰذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحّده .

فاختطّ الحجّاج مدينة واسط ، وبنى المسجد في ذلك الموضع . وقيل : كان بالقرب موضع يسمّى واسط القصب ، وهي التي بناها الحجّاج أوّلاً قبل أن يبنيَ هٰذه المدينة التي تدعى اليوم واسط . فلمّا بنى هٰذه سمّاها واسط بها . وقيل : بل سمّيت واسط لتوسّطها المصرين البصرة والكوفة لأنّ منها إلى كلّ واحدة منها خمسين فرسخاً . ومنها أيضاً إلى كلّ من بغداد والأهواز خمسون فرسخاً . فواسط مدينتان : كسكر [والنيل][1] . وابتنى الحجّاج مدينة في الجانب الغربيّ وجعل بينهما جسراً بالسّفن ، وبنى قصرَه بهٰذه المدينة الغربيّة والقبّة الخضراءَ التي يقال لها « خضراء واسط » والمسجد الجامع ، وعليها سور . ونزلتها الولاة بعد الحجّاج . وما كان من الدهاقين فمنزلُه بالمدينة الشرقيّة .

[329 ب] فلمّا تفرّغ من عبد الرحمان بن الأشعث ، لم يكن له همٌّ إلّا / يزيد بن المهلّب وأهلُ بيته . وقد كان أذلّ أهل العراق كلّهم إلّا آل المهلّب بن أبي صفرة ومن معهم بخراسان . وكان يبعث إليه ليأتيه فيعتلّ بالغدوّ أو بالحروب . فلم يزل بعبد الملك بن مروان يخوّفه ويغريه حتى كتب إليه بعزله فعزله ، وولّى قتيبة بن مسلم مكانه . وكتب إليه بعدما تسلّم عمله : « إنّي قد نظرت في شيء ، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لدة عام واحدٍ . وإنّ أمرءاً قد سار إلى منهل خمسين سنة لقمين أن يَرِدَه ، والسلام » . ثمّ حبس يزيد بن المهلّب .

فأثخن قتيبة في بلاد الترك وفتح بخارى وعَبر إلى الصغد[2] والطالقان

(1) في المخطوط : مدينتان كسكر وابتنى . فزدنا النيل بناء على ما قال ياقوت في ترجمته لواسط : ... ومصّر مدينة النيل . ولعلّ النيل هي المدينة التي ابتناها بالجانب الغربيّ من نهر الصين بعد أن احتفر نهرَي النيل والزاب (انظر في معجم البلدان : النيل والصين أيضاً) .

(2) وعبر ذا الصغد في المخطوط .

وغيرها من البلاد إلى بحور الصين . وبعث الحجّاج محمد بن القاسم بن الحكم ابن أبي عقيل ففتح السند .

ومات عبد الملك بن مروان للنصف من شوّال سنة ستّ وثمانين وقد آستخلف ابنه الوليد بن عبد الملك ، فأقرّ الحجّاج على عمله وقد أوصاه عبد الملك بذلك . فنزل الحجّاج من الوليد فعرف منزلتَه من عبد الملك .

انتقامه من الخارجين عليه

وفي سنة أربع وتسعين قتل الحجّاج سعيد بن جبير . وذلك أنّه كان ممّن خرج مع عبد الرحمان بن الأشعث . وقد كان الحجّاج عمله على عطاء الجند الذين مع ابن الأشعث . فلمّا كان من آبن الأشعث ما كان ، فرّ سعيد إلى أصفهان . ثمّ جاء طلب[1] الحجاج فسار إلى أذربيجان ، وطال مقامه بها . ثمّ سقط إلى مكة ومكث بها مستخفياً حتّى قدِم خالد بن عبد الله القسريّ فحذّر الناسُ سعيداً منه . فقال : « والله لقد فررتُ حتّى آستحْيَيْت من الله وسيجيئُني ما كتب الله لي » . فأخذه خالد ، ومعه مجاهد وغيرُه وبعث بهم إلى الحجّاج مقيّدين . فلمّا دخل سعيد على الحجّاج قال : لعن الله ابنَ النصرانيّة — يعني خالداً . أما كنت أعرف مكانه ؟ بلى والله ، والبيت الذي بمكّة .

ثمّ أقبل عليه فقال : يا سعيد ، ألم أشرِكْك[2] في أمانتي ؟ ألم أستعملِك ؟

قال : بلى .

قال : فما أخرجَك عليّ ؟

قال : إنّما أنا آمرؤ من المسلمين يخطىء مرّة ويصيبُ مرّة .

فطابت نفس الحجّاج . ثمّ عاوده في شيء فقال : إنّما كانت بيعة في عنقي

---

(1) في المخطوط : ثمّ جاء وطلب ...

(2) في المخطوط : ألم اشكرك . ولعلّ الصواب ما اثبتناه .

لابن الأشعث .

فغضب الحجّاج وٱنتفخ وقال : يا شقيّ ٱبن كُسير ! أما قدمتَ الكوفة ، وليس يؤمّ بها إلّا عربيّ ، فجعلتُك إماماً ؟

قال : بلى .

قال : أفما ولَّيتك القضاء ، فصاح أهل الكوفة وقالـ[ـوا] : لا يصلح القضاء إلّا لعربيّ ، فٱستقضيتُ أبا بردة ابن أبي موسى وأمرتُه أن لا يقطع أمراً دونك ؟

قال : بلى .

قال : أوَما جعلتُك في سمّاري ، وكلُّهم من رؤوس العرب ؟

قال : بلى .

قال : ألم أعطك مائة ألف درهم تفرّقها في أهل الحاجة ثمّ لم أسألْك عن شيء منها ؟

قال : بلى .

قال : فما أخرجك عليّ ؟

قال : بيعة كانت لأبن الأشعث في عنقي .

فغضب الحجّاج . ثمّ قال : أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنُقك من قبل ؟ والله لأقتلنّك ! يا حرسيّ ، ٱضرب عنقَه !

ويروى أنّ الحجّاج قال لسعيد لمّا أتاه : يا سعيد ، ألم أقدمْ مكّة فقتلتُ ٱبن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ؟

قال : بلى .

قال : ثمّ قدمت الكوفة والياً فجدّدت البيعة فأخذت بيعتك ثانياً .

قال : بلى .

قال : فنكثتَ ببيعتين لأمير المؤمنين ، واتوفي بواحدة للحائك ابن الحائك ؟ والله لأقتلنّك !

قال : إنّي إذن لسعيد كما سمّتني أمّي !

فأمر به ، ولم يفصح بمر[...]ـين[1] .

فألتبس عقل الحجّاج عند ذلك وجعل يقول : « قيودنا ! قيودنا ! » فظنّوا أنّه يريد القيود ، فقطعوا رجلَي سعيد من أنصاف ساقيه ، وأخذوا القيود . فكان الحجّاج إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : « يا عدوّ الله ، فبمَ قتلتني ؟ » فيقول : « ما لي ولسعيد بن جبير ؟ ما لي ولسعيد بن جبير ؟ » يكرّرها . فلم يمهل إلّا قليلاً حتّى مرِض ومات لخمس بقين من شهر رمضان سنة خمس وتسعين ، وله من العمر أربع وخمسون – وقيل : ثلاث وخمسون – سنة . فكانت ولايتُه العراق عشرين سنة .

فصاحة الحجّاج

قال قتيبة بن مسلم : خطبنا الحجّاج فذكر القبرَ حتّى بكى وأبكى . ثمّ قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول : سمعت مروان يقول في خطبته : خطبنا عثمان فقال في خطبته : ما نظر / رسول الله ﷺ إلى قبر أو ذكرَه إلّا [330أ] بكى .

وقد روى عدّة أحاديث عن أنس ، وأبن عبّاس .

وقال ابن عون : كنت إذا سمعت الحجّاج يقرأ عرفتُ أنّه طالما درسَ القرآن .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيتُ أفصح من الحجّاج ومن الحسن وكان الحسن أفصح .

---

(1) بقيّة الكلمة انطمست في الهامش ، ولا ذكر لها عند الطبريّ ، 6/ 491 .

بعض مكارمه

وقال عبد الملك بن عمير : قال الحجّاج يوماً : « مَن كان له بلاء فليقم ، فلنُعطه على بلائه ! » فقام رجل وقال : أعطني على بلائي !

فقال : وما بلاؤك ؟

قال : قتلت الحسين .

قال : كيف قتلتَه ؟

قال : دسرته بالرمح دسراً ، وهبرتُه بالرمح هبراً ، وما أشركت معي في قتله أحداً .

قال : أما إنّك لن تجتمع أنت وهو في مكان واحدٍ . آخرج !

ولم يعطه شيئاً .

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج يأمره بقتل أسلم بن عبد البكريّ لشيءٍ بلغه عنه . فأحضره الحجّاج فقال : أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر . والله تعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات ، 6) . والذي بلغه عنّي باطل . فآكتب إليه أنّي أعول أربعاً وعشرين آمرأة ، وهنّ بالباب .

فأحضرهنّ الحجّاج ، فقال : هٰذه أمّه ، وهٰذه عمّته ، وهٰذه زوجته وهؤلاء بناته حتى كانت في آخرهنّ جاريةٌ قاربت عشر سنين . [فـ]ـقال لها الحجّاج : مَن أنتِ ؟

قالت : آبنتُه ، أصلح الله الأمير !

ثمّ أنشأت تقول [طويل] :

أحجّاج لو تشهد مقام بناته   وعمّاته يندبنه الليلَ أجمعا
أحجّاج كم يقتل به إن قتلتَه   ثماناً وعشراً وآثنتين وأربعَا

أحجّاج من هٰذا يقوم مقامَه   علينا ، فمهلاً إن تزدنا تضعضعا
أحجّاج إمّا أن تجودَ بنعمةٍ   علينا وإمّا أنْ تُقَتِّلنا معا

فبكى الحجّاج وقال : « والله لا أعنتُ الدهر عليكُنَّ ولا زدتكنّ تضعضعاً ! » وكتب إلى عبد الملك بخبر الرجل والجارية . فكتب إليه : « إن كان الأمر كما ذكرتَ فأَحسِنْ صلته ، ونفِّل الجاريةَ » . ففعل .

معايبه

وقال أبو بكر بن عيّاش عن عاصم قال : سمعتُ الحجّاج بن يوسف يقول : وقد يلي هٰذه الأمّة [...] ، فاتّقوا الله واسمعوا وأطيعوا ! هي لعبد الملك أمين الله وخليفتُهُ ، ليس فيها مثنويّة . والله لو أمرتُ رجلاً أن يخرج من باب المسجد فخرج من غيره لحلّ لي دمُه . والله لو أخذتُ ربيعة بمضر لكان ذلك لي حلالاً . يا عجبي لعبد هذيل يزعم أنّه يقرأ قرآناً من عند الله ! والله ما هو إلّا رجَز من رجزِ الأعراب . والله لو أدركت عبدَ هذيل لضربت عنقه – يعني عبد الله بن مسعود – يا عجباً لهٰذه الحمراء – يعني الموالي – إنّ أحداً ليأخذ الحجرَ فيرمي به يقول : لا يقع هٰذا حتى يكون خير .

قال أبو بكر بن عيّاش : فحدّثتُ بهٰذا الحديث الأعمش ، فقال : وأنا قد سمعتُه يقول ذلك . فقلت في نفسي : لأقرأنّ بها رغم أنفك .

وقال الأوزاعي : قال عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كلّ أمّةٍ بخبيثها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم !

وقال منصور : سألنا إبراهيم النخعيّ عن الحجّاج فقال : ألم يقل الله تعالى : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؟ (هود ، 18) .

وقال الشافعيّ : بلغني أنّ عبد الملك بن مروان قال للحجّاج : ما أحدٌ إلّا وهو عارف بعيوب نفسه . فعِب نفسَك ولا تخبأ منها شيئاً !

قال : يا أمير المؤمنين ، أنا لجوج حَقود حَسود محبٌّ لسفك الدماء .

فقال عبد الملك : إذن ، بينك وبين إبليس نسب ؟

فقال : إنّ الشيطان إذا رآني سالمني .

وفي رواية : قال عبد الملك للحجّاج : صف لي عيبَك !

فقال : أنا حسود حقود لجوج ذو قسوة .

فقال : ما في إبليس شرٌّ من هٰذا !

وبلغ كلامُه خالد بن صفوان فقال : لقد أستحلّ الشرّ بحذافيره والمروق من جميع الخير بـ[ـتـ]ـزويره . ولقد تأنّق في ذمّ نَفْسه وتحرّم في الدلالة على لؤم طباعه وإفراط كفره وشدّة الشكالةِ لِشَيْطانه الذي أغواه .

[330 ب] وقال الحسين : سمعتُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على / المنبر بالكوفة يقول : « اللهمّ ، كما نصحتُهم فغشّوني ، وأئتمَنْتُهم فخافوني ، فأبعث عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهليّة ! » فوصفه عليّ وقال : الدجّال مفجّر الأنهار يأكل خضرتَها ويلبس فروتَها .

ثمّ قال الحسن : هٰذه والله صفة الحجّاج .

وقال حبيب ابن أبي ثابت : قال علي رضي الله عنه لرجل : لا تموت حتى تدرك فتى ثقيف .

قيل له : يا أمير المؤمنين ، ما فتى ثقيف ؟

قال : لَيُقَالُنَّ له يومَ القيامة : أكفِنَا زاوية من زوايا جهنّم . رجل يملك عشرين سنة أو بضعاً وعشرين سنة ، لا يدع لله معصية إلّا أرتكبها حتى لو لم يبقَ إلّا معصية واحدة ، وبينه وبينها باب مغلق ، لكسره حتى يرتكبها ، يقتل مَن عصاه بمن أطاعه .

وقال سفيان بن سعيد الثوريّ عن سلَمة بن كهيل : اختلفت أنا وذرّ المرهبيّ في الحجّاج فقال : مؤمن . وقلت : كافر .

وقال الأعمش : والله لقد سمعت الحجّاج يقول : يا عجباً من عبد هذيل ! يزعم أنّه يقرأ قرآناً من عند الله . والله ما هو إلّا رجَزٌ من رجز الأعراب ! والله لو أدركت عبدَ هذيل لضربتُ عنقَه !(1) .

ويروى أنّ الحجّاج مرّ بخالد بن يزيد بن معاوية ، وهو يخطر في مشيه ، فقال رجل لخالد : مَن هٰذا ؟

فقال : بخ ! بخ ! هٰذا عمرو بن العاص !

فسمعه الحجّاج ، فرجع وقال : والله ما يسرّني أنّ العاصَ ولدَني ، ولكنّي ابنُ الأشياخ من ثقيف والعقائل من قريش ! وأنا الذي ضربتُ بسيفي هٰذا مائةَ ألفٍ كلّهم يشهد أنّ أباك كان يشرب الخمر ويُضمِر الكفر .

ثمّ ولّى وهو يقول : بخ ! بخ ! عمرو بن العاص !

ويروى أنّه أحصي عدّة مَن قتله الحجّاج فكانوا مائة وعشرين ألفاً .

وقال المدائني عن عامر بن حفص : وكان الحجّاج يطعم أهل السجن دقيقَ الشعير والرمادَ مخلُوطين . ويقال إنّه كان يخلط لهم في ذلك الملحَ أيضاً .

وكان الحجّاجُ أخفش منسلق الأجفان .

وخطب يوماً فقال : اللهمّ أرني الغيّ غيًّا فأجتنبَه ، وأرني الهدى هُدًى فأتّبِعَهُ ، ولا تكِلني إلى نفسي فأضلَّ ضلالاً بعيداً . والله ما أُحبُّ أنَّ مَا مضى من الدنيا لي بعمامتي هٰذه . ولما بقي منها أشبه بمَا مضى من الماء بالماء .

وأراد الحجّ ، فخطب الناس فقال : أيّها الناس ، إنّي أريد الحجّ وآستخلفتُ عليكم آبني هٰذا ، وأوصيتُه فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ في الأمصار : إنّ رسول الله ﷺ أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم . ألا وإنّي قد أُوصيتُ ألاّ يقبلَ من محسنكم ولا يتجاوزَ عن

(1) مرّ بنا هذا القول .

مسيئكم ! ألا وإنّكم ستقولون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلّا مخافتي : ستقولون بعدي : لا أحسنَ الله له الصحابة ! ألا وإنّي معجّل لكم الإجابة : لا أحسن الله عليكم الخلافة !

ثمّ نزل .

وكان يقول : أيّها الناس ، إنّ الكفّ عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

وقال عتبة بن عبد الرحمان بن الحارث : ما رأيتُ عقول الناس إلّا قريباً بعضُها من بعض إلّا ما كان من الحجّاج بن يوسف ، وإياس بن معاوية ، فإنَّ عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيراً .

وضرب الحجّاج أعناق أسرى . فلمّا قُدّم رجل لضرب عنقه قال : والله لئن كنّا أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو !

فقال الحجّاج : أفٍّ لهٰذه الجيَف ! أما كان فيها أحدٌ يحسِنُ مثل هٰذا الكلام ؟

وأمسك عن القتل[1]

ولمّا بلغه موت أسماء بن خارجة قال : هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ومات حين شاء ؟

وقال : ليتَ الله إذ خلَقَنا للآخِرة كفانا أمرَ الدنيا فرفع عنّا الهمَّ بالمأكل والملبس والمنكح ! أو ليتَه إذ أوقعَنا في هٰذه الدار هنّأنَا أمرَ الآخرة فرفع عنّا الاهتمام بمَا ينجي من عذابه !

فبلغ قوله عليَّ بن الحسين فقال : ما عمل في التمنّي شيئاً : ما اختاره الله خير .

---

(1) العقد 2 / 174 .

وخطب الوليد بن عبد الملك[1] فقال : إنَّ أميرَ المؤمنين عبد الملك يقول إنّ الحجّاج جلدَةُ ما بينَ عَيْنَيَّ . ألا إنّه جلدةُ وجهي كُلِّه !

ويقال إنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج وهو على المدينة أن فِد عليَّ ، وَفِدْ معك بمائة رجل من وجوه الناس . فوفد بيحيى بن طلحة[2] بن عبيد الله وحدَه . فخرج الحاجب فقال : أين الحجّاج ؟

فدخل على أنّ الوفد [...][3] ، فقام يحيى وحده . فقال عبد الملك : فأين المائة ؟

فقال [الحجّاج] : هو / يعدلها يا أمير المؤمنين[4] . [331 أ]

(قال يحيى) فلمّا رأيتُ مكاني من عبد الملك قلت في نفسي : والله إنّه ينبغي أن أنصح له ، عسى الله أن يريحنا من الحجّاج . فقلت : إنّ لي حاجةً يا أمير المؤمنين ، فأخلني .

قال : ومن أبي محمّد ؟

قلت : نعم .

فقال له : قم .

فقام وهو يقول [طويل] :

... كمكتفل كفلاً وفي الكفل عقربُ

فقلت : يا أمير المؤمنين ، والله ما يسعُني إلّا نصيحتُك : أعلم أنَّك استعملتَ على بيضتِك وعشيرتك أخبثَ الناس سرًّا وعلانية .

---

(1) في المخطوط : ابن عبد الله .

(2) في سرح العيون لابن نباته (نشر محمد أبو الفضل) 174 : هو إبراهيم بن طلحة .

(3) كلام مبتور .

(4) في العقد ، 2 / 79 : قدمتُ عليك برَجُل الحجاز ، لم أدَعْ له بها نظيراً ...

فقال : وصلك الله وأدّى عنك الحقّ . أنصرف .

فقمت . فأرسلت إلى مولى لي كان ذا رأي فقلت : اعلم أنّي وقعتُ في أمر عظيم . فأخبرته الخبر فقال : بئسَ والله ما تعرّضت من خليفتك وعاملك !

فقلت : كلّا ! قد كلّمت رجلاً لا والله ما رأيت في كفّي[1] رجلاً قطّ أميز منه . وعسى أن يقع كلامي عنده بموقعه .

فلمّا كان الغد حضرنا فخرج الحاجب ، فقال : يحيى بن طلحة ! فدخلت . فقال : الحجّاج ! فدخل . فوقف بين السماطين ، فقال عبد الملك : مكانك يا أبا محمد ! أحسبك ظننتَ أخاك عاب عليك بغير ما أنت عليه . ما قال فيك إلّا ما تعرف . وهٰذا عهدُك على العراق فاخرج إليه فهو خير لك من الحجاز .

فلمّا خرجت إذا أنا بالحجّاج واقف[اً] فعانقني وقال : انظر حوائجك بالعراق !

أزواج الحجّاج

وتزوّج الحجّاج في عمله على العراق نساءً من قريش وغيرهم من العرب ، منهم :

أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ،

وأمّ الجلاس بنت سعيد بن عبد الرحمان بن عتاب بن أسيد وبنت أبي بكر ابن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ،

وأمّ البنين بنتُ المغيرة بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام ،

وأمّ سلَمة بنتُ عبد الرحمان بن عمرو بن سهيل بن عمرو من بني عامر بن لؤي ،

وهند بنت أسماء بن خارجة ،

---

(1) في المخطوط : ما وريت في كفّي رجلا ، ولم نفهم : كفّي .

وهندُ بنت المهلّب بن أبي صفرة ،
وأمّ أبان بنت النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ،
وأمّ قطن بنت قطن بن قبيصة الهلاليّة .

وكان صاحب عذاب الحجّاج معدّ بن عوف بن هلال بن شأس بن ربيعة ٱبن محلّم بن سويط بن عبد بن معاوية بن شعرة بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد ، [بن] ضبّة بن أدّ .

وكان مؤذّنه الجنبة بن طارق بن عمرو بن حوطٍ بن سلمة بن حرمي بن رباح بن يربوع بن حنظلة .

ورُوي عن حوشب بن يزيد بن رويم عن أبيه أنّه دخل على المختار بن أبي عبيد يوماً فسمعه يقول : أنا الذي أتزوّج ٱمرأة من ولد النبيّ ﷺ وأكسر قصر الملك فأبتني بنقضه قصراً وأبتني مدينة داوردان .

(قال حوشب) فحدّثت بذلك الحجّاج فقال : أخطأَتْ ٱستُه الحُفرةَ ! أنا ذاك ! (قال) فنقض الحجّاج قصر النعمان بالحيرة وبنى به قصره في جبّانة الكوفة . وبنى مدينة واسط ، وهي أوّل مدينة بنِيَت في الإسلام . وتزوّج أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر .

فكتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الملك : إنّه بلغني أنّ الحجّاج بن يوسف تزوج بنت عبد الله بن جعفر . وإنّه إنّما يفعل هٰذا بنساء قريش أنت . وقد كان للحجّاج مناكح في العرب مثلها فما أقنعه وأرضاه دون أن يتناول نساء قريش . ثمّ قد كان له في نساء قريش دون أن يتناول ٱمرأة ولدَها رسول الله ﷺ .

فأرسل عبد الملك بالكتاب إلى الحجّاج . فلمّا قرأه قال : وٱعجبا لٱبن زوجة الأنماريّ ! ينكر أن أتزوّج ٱمرأةً من قريش ، وقد جاز العقبة إلينا منهنّ سبعون ٱمرأة . والله لأتزوّجنّ ٱمرأة هي أغيَظ له وأقرب إليه منها !

فتزوّج ابنة سعيد بن عبد الرحمان . فسكت عبد العزيز على مضص .

وقال [أبو] عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء : لقي الوليد بن عبد الملك عبد الله بن جعفر عند عبد الملك بن مروان ، فقال له : أزوّجتَ الحجّاج ؟

فقال : أنا زوّجتُه ؟ والله ما زوّجَهُ إلّا أبوك ! فما مثَلي ومثلُكم في ذلك إلّا كما قال الشاعر [وافر] :

[331ب] ومن يكُ نائيا وتكن أخاه أبا الضحّاك يَنْتهِج الشمالا /

وإنّما آشتريتُ بها خيط رقَبتي .

ويقال إنّ الذي سعى على الحجّاج في أمر أمّ كلثوم حتّى أمره عبد الملك بطلاقها خالد بن يزيد بن معاوية ، فإنّه قال لعبد الملك : يا أمير المؤمنين ، والله إن كان في العرَب أهل بيت أبغض إليّ من آل الزبير ، فلمّا أصهرتُ إليهم أحببتُهم ، وإنّي لا آمنُ الحجّاجَ أن يميل إلى بني هاشم .

فكتب إليه عبد الملك يأمره بطلاقها فقال الحجّاج : « هٰذا عمل ابن الرطبة . أمّا والله لأنكَحنّ أمسَّ به منها رحِماً ! » فتزوّج أمّ الجلاس بنت سعيد بن عبد الرحمان .

وآعتمر الحجّاج في خلافة الوليد بن عبد الملك فأسرع السير ، وجمّع بمكّة ثمّ جمّع بالبصرة وسار معه رجال من أهل البصرة وغيرهم فلم يثبت في السير معه إلّا زريق بن مسلم بن عمرو الباهلي ، فإنّه ثبت على ناقة لم يحوّل عنها رجلاً حتّى دخل البصرة .

ونعس عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر وهو مع الحجّاج فنفض عمامته وهو يسير ثُمّ قال : « يا غلام ، دونك العمامة ! » فألقاها لا يشكّ في أنّه تناولها غلامُه في بيته ، فذهبت عمامتُه . فقال له الحجّاج حين أصبح : أين عمامتُك أبا عبد الرحمان ؟

قال : حيث جعل الأميرُ يدَه ! – وكان الحجّاج آراد آن يأكل فاصابت يده لحيتَه فلطّخَها ، وهو لا يعلم ، من غلبة النعاس .

فقال الحجّاجُ السلاماني يذكر سير الحجّاج :

ما سار من مكّة إلّا سبعاً   يقطّعن أحواز المطيّ قطعا
يحملن خرقاً من ثقيف ينعى

وأسرع السيرَ من الشام في وفادة وفدها فرجز جرير بين يديه :

لمّا بدا الحجّاج بين الموكب   بين قريش وبني معتب
كالبدر يغشى البدر كلّ كوكب

وقال فيه الفرزدقُ وغيره .

وقيل إنّ الحجّاج لم يحجّ في عمله على العراق . وقيل : بل حجّ . فقام إليه وهو بِمنًى رجال من أهل الحجاز فسألوه . فقال : نوّهتم بنا بغير بلادنا ، وما لكم مَتْرَكٌ . مَنْ هنا من أهل العراق ؟

فقام إليه تجّار فقال : هل من سلف ؟

قالوا : نعم .

فحملوا إليه ألف ألف فَقَسَمَهَا . فلمّا قدم العراق ردّها ومثلَها .

ونظر الحجّاج مرّة إلى جعل فقال : لعنها الله فإنّها من وَذَح [1] إبليس .

وسُمع مرّة يقول : « أرسولك أفضل أم خليفتك ؟ » فسمعه جبلة بن [...] فقال : « لله عليّ ألّا أُصَلِّيَ خلفَه أبداً . وإن رأيت من يجاهدُه لَأُجَاهِدَنَّه معه ! » فخرج مع عبد الرحمان بن الأشعث وقُتل معه .

وخطب يوماً فأقبل عن يمينه فقال : « ألا إنّ الحجّاج كافر ! » ثمّ أطرق ،

---

(1) الوذح : ما يتعلّق بأصواف الغنم من قاذورات .

ثمّ أقبل عن يساره فقال : « ألا إنّ الحجّاج كافر ! » ففعل ذلك مراراً ، ثمّ قال : كافر أيُّها المِعْزَى ، باللات والعُزَّى !

مواقف له في صلاة الجماعة

واتّخذ مِن مسجد واسط أربعة كُنُف[1] : واحداً في القبلة ، وآخر عن يمين المسجد ، وآخر عن يساره ، وآخر في مؤخّره . فكان حيث أدركته الصلاة سمع تكبيره من الجناح الذي هو فيه .

وقال ثابت البناني : أخّر الحجّاج صلاة الجمعة حتّى فاتت العصر . ثمّ قال : إنّكم في صلاةٍ ما انتظرتم الصلاة .

وعن مبارك بن فضالة : شهدنا الجمعة مع أبي في زمن الحجّاج ، فقرأ علينا كتاباً جاءه ، فلم يصلّ الجمعةَ يومئذٍ حتّى غربت الشمس فنزل فصلّى الجمعة ثمّ صلّى العصر ثمّ صلّى المغرب .

وعن يحيى بن نافع قال : أتيتُ المسجد للجمعة ، فخرج علينا الحجّاج فلم يرَ إلّا أشياخاً مصطفّين فقال : « ما لي لا أرى إلّا أعلاجاً لا تغسل أعْقَابَها ؟ » ثمّ خطبنا حتى ملأ الناسُ نصفَ الجامع . ثمّ خرج ناس فدخلوا المسجد والحجّاج ينظر ، فقال : ألا إنّ شرّ الدوابّ أذنابُها ، وهؤلاء أذناب أهل الجمعة ، خذوهم !

فأُخذوا فحبسوا . فرأيتهم أخرجوا بعد يومين من الحبس وقد أُخذت أرديتُهم .

وقال مرّة : يدْعى : حيَّ على الصلاة فلا تجيبون ، ولو دعي : حيّ على أربعة دراهم لغصّ المسجد بأهله !

وقال جرير عن الأعمش : لقيت أبا وائل يومَ الجمعة في إمارة الحجّاج ، فقلت له : أصلّيتَ قبل أن تروح ؟

---

(1) في المخطوط : أربع كنف : واحدا ... والكُنُف ج كَنوف وكنيف وهو الجهة والجناح المفصول عن غيره .

قال : مَن أنت ؟

قلت : رجل من المسلمين .

قال : مرحباً بالمسلمين ، نعم !

وقال الحسن : ما شككتُ في الحجّاج منذ رأيتُه ، يعني النفاق .

قال عون : ذكر الحجّاج عند محمد بن سيرين فقال : غيرُ ما تقولون أخوف على / الحجّاج عندي منه . [332 أ]

قلت : وما هو ؟

قال : إن لقيَ الله بقلب سليم ، فقد أصاب الذنوبَ من هو خير منه .

قلت : وما القلب السليم ؟

قال : أن يعلم أنّه لا إلاهَ إلّا اللهُ .

وقال إسماعيل بن عليّة عن عوف : قال محمد بن سيرين : ما أبالي أن أستغفر للحجّاج .

قلت : أَفتَستغفر لأبن الأزرق ؟

قال : لأنّ الأمير – يعني الحجّاج – قاتل على الدرهم . وإنّ الحروريّ – يعني ابن الأزرق – قاتل على ردّ ما جاء به محمد ﷺ .

وقال ابن سيرين في الحجّاج : إن عذّبه الله فبذنبه ، وإن غفر له ، فهنيئاً . وإن كان قلبُه سليمًا فقد أصاب الذنوبَ مَن هو خير منه .

وقال سلم بن قتيبة : ما رأيتُ داراً تلاوة القرآن فيها أكثر من دار الحجّاج .

لهج الناس بذمّه

ولمّا ولي سليمَان بن عبد الملك الخلافة وجلس أوّلَ مجلس جلسَه ، كره القوم أن يذكروا الحجّاج حتى يكون هو الذي يبدأ . فتكلّم سليمَان فذكر

الحجّاج فوقع فيه ونال منه . فما بقي في القوم أحدٌ إلّا قال فيه ، وعمر بن عبد العزيز ساكت . فقال سليمان يا أبا حفص ، ما لك لا تتكلّم ؟

فقال : ما عسيت أن أقول ؟ لو خابَثْنا الأمم بالحجّاج لغَلَبْناهم .

وقال عمر مرّةً : الوليد بالشام ، والحجّاج بالعراق ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وعثمان بن حيّان بالحجاز ، وقرّة بن شريك بمصر : أمتلأت الأرضُ والله جوراً !

وجلس عمر ببيت المقدس فجعل عبد الله بن قيس يقع في الحجّاج ، فجعل عمر يقول : « إيه ، أبنَ قيس ؟ » يكرّرها ، كأنّه يعزّيه به .

وقال : وددت أنّي وجدتُ رجلاً يعنيه أمر الحجّاج أخاصمُه فيه ، فإنْ كان محقًّا تبعتُه ، وإن كنت محقًّا تبعَني . والله ما كان الحجّاج يصلح لدنيا ولا آخرة ! وكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه جبى العراق ثمانين ألفَ ألف وما جبَى الحجّاج إلّا أربعين ألفَ ألف . ولئن أبقاني الله لا أنتهي حتّى أجبيَه ثمانين ألف ألف .

وقال أبو عاصم النبيل : حدّثنا عبّاد بن كثير عن **قحذم** : جبى عمر العراقَ مائةً وسبعةً أو ثمانيةً وعشرين ألف ألف . وجباها عمر بن عبد العزيز مائة وأربعة وعشرين ألف ألف . وجباها الحجّاج ثمانية عشر ألف ألف .

وقال عبّاد عن **قحذم** : أطلق سليمَان بن عبد الملك في غزاة واحدة ثمانين ألف أسير ، وكتب أن يثبتُوا ويُلحقوا بأهاليهم .

وقال صالح بن عبد الرحمان : عرضنا السجون بعد الحجّاج فوجدنا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يحلّ على أحدٍ منهم قطعٌ ولا صلب .

ووُجد أعرابيّ يبول في ربض مدينة واسط ، فأخذ وحبس حتى مات الحجّاج ، فأطلق فقال (طويل) :

إذا ما تجاوَزْنا مدينة واسط خرجنا وصلّينا بغير حساب[1]

وتعبّث الحجّاج بقيس بن الهيثم السلميّ بالبصرة ، وضربه بالسياط ، فكتب قيس إلى القيسيّة بالشام فدخلوا على عبد الملك فقالوا له : إنّ الحجّاج قد تعبّث بسيّدنا بالبصرة فضربه في غير ذنب .

فكتب إلى الحجّاج يلومه . وكتب إلى قيس : إن أحببتَ المقام بالبصرة فأقِم ، ولا سلطان للحجّاج عليك . وإن أحببتَ اللحاق بأميرِ المؤمنين فالحق .

فقال : لا أقيم ببلد الحجّاج فيه سلطان .

فلحق بعبد الملك ، وكان من سمّاره . فذكر عبد الملك الحجّاج ليلةً فأثنى عليه فسكت قيس . فقال له : ما لك لا تتكلّم ؟

قال : قد قال أمير المؤمنين .

قال : قل !

قال : والله يا أميرَ المؤمنين ، لو أَتَتْنا أَمَةٌ ورهاءُ فَرفدتَها بمَا رفَدْتَ به الحجّاجَ لضبطَتْ ما ضبط : قدم علينا زياد على راحلته فضبط العراقَ بأهل العراق ، وترك أهل الشام لثغورهم فلم يأتِنا منهم برجل . ثمّ أتانا ابنُه من بعده غلاماً حدَثاً فضبط العراق بأهل العراق وترك أهل الشام لثغورهم . وأتانا الحجّاج فلم يزل بخرقه وضعف منّته حتى أخرب البلاد وأخاف الناس ، وكتب إليك يستنصرك فأمددتَه بأهل الشام وعطّلت الثغور . فلو أمددتَ أمَةً ورهاء بمَا أمددتَه به لضَبَطَتْ ما ضبط .

وبعث الحجّاج إلى عبد الملك بمَال كثير وهو يومئذ بحمص / فأبرز سريره [332 ب] إلى برج حمص . ثمّ جلس وجلس الناس إليه فيهم خالد وأميّة ابنا عبد الله القسريّ . فلمّا عُرضت عليه هديّة الحجّاج قال : هٰذه والله الأمانةُ والنصيحةُ والحزم !

(1) في العقد 3 / 482 : ... وبُلنا لا نخافُ عقابا .

سياسة الحجّاج غاشمة

ثمّ أشار إلى خالد فقال : إنّي ٱستعملت هٰذا على البصرة فٱستعمل كلّ فاسقٍ فجبى عشرة فاختان تسعة ورفع إلى هٰذا درهماً فرفع إليّ من الدرهم سدُساً . وٱستعملتُ هٰذا – يعني أميّة – على خراسان وسجستان فبعث إليّ بمفتاح من ذهب زعم أنّه مفتاح مدينة الفيل[1] ، وبِرْذَوْنَيْن حَطِمَين وجُوير[يـ]ـات .وٱستعملت الحجّاج ففعل كذا وكذا . فإذا استعملتُكم ضيَّعتم[2] وإذا عزلتُكم قلتم : قطعتم أرحَامَنا .

فرفع خالد رأسَه فقال : ٱستعملتَني على البصرة وأهلها رجلان : مطيع مناصح ومخالف مُشانِح[3] ، فأمّا المطيع فإنّي جَزَيْتُه بطاعته فٱزداد رغبةً . وأمّا المخالف فإنّي داويتُ عداوتَه وٱستَلَلْت ضغينتَه وكنزت صدرَه ودًّا ، وعلمتُ أنّي متى أُصلِح الرجالَ أَجْبِ المال . وٱستعملتَ الحجّاج فجبى لك المالَ وكثّر العداوة في صدور الرجال . فكأنّك بالعداوة التي كنزها لك قد ثارت بالرجال فأنفقْتَ المال فلا مال ولا رجال .

فسكت عبد الملك . فلمّا كان هيج عبد الرحمان بن الأشعث جلس عبد الملك معه خالد فجعل يندب الناس إلى الفريضة ويضحك[4] .

وقال يحيى بن الحكم بن أبي العاصي : والله لقد كان الحجّاج وما عربيّ أنقص منه أدباً ، فطالت ولايتُه فكان لا يسمع إلّا ما يحبّ فمات ، وإنّه لأحمقُ سيّء الأدب .

وقال ابن شوذب : ولي الحجّاج وهو ٱبن ثلاث وثلاثين سنة ، ومات

---

(1) الفيل : قال ياقوت : مدينة ولاية خوارزم .

(2) في المخطوط : ضيعتم هذا . والتصويب من العقد 4 / 24 .

(3) شنّح عليه : شنّع . وفي العقد : مبغض مكاشح .

(4) هكذا في المخطوط . وفي العقد : وقال : هذا والله ما قال خالد .

وهو ابن ثلاث وخمسين ، فما رؤي مثلُه لمَن أطاعه ولا مثلُه لمَن عصاه .

إشارة المنصور العبّاسيّ بخصال الحجّاج

وقال إبراهيم بن صالح : كنّا في مجلس الصحابة ننتظر الإذن . فكان ممّن حمِده [1] معن بن زائدة ، وممّن ذمّه الحسن بن زيد . فأذن لنا فدخلنا على المنصور . فقال الحسن بن زيد : يا أمير المؤمنين ، ما كنت أحسبني أبقَى حتّى يذكرَ الحجّاجُ في دارك وعلى بساطك فيُثنى عليه .

فقال له : وما استنكرتَ من ذاك ؟ رجلٌ استكفاه قومٌ فكفاهم . والله لوددتُ أنّي وجدتُ مثل الحجّاج حتّى أستكفيَه أمري ، وأنزل أحدَ الحرمَين حتى يأتيني أجلي .

فقال معن : يا أمير المؤمنين ، إنّ لك مثل الحجّاج عدداً من أصحابك لو ٱستكفيتَهُم كفَوك .

قال : ومَن هم ؟ كأنّك تريد نفسك !

قال : وأريدها ، فإنّي أبعد من ذاك .

قال : كلّا ، لست هناك . إنّ الحجّاج ٱئتمنه القومُ فأدّى لهم الأمانةَ . وإنّا ٱئتمنّاك فخُنتَنا .

ولمّا مات الحجّاج قال الوليد بن عبد الملك : أما والله لئن سُئِلتُ عنه – ولأُسْأَلَنَّ – لأقولَنَّ : كان والله القويَّ الأمين .

وقال مالك بن دينار : ربّمَا سمعتُ الحجّاج يخطب فيذكر ما صنع به أهل العراق وصنع بهم ، فيقع في نفسي أنّهم يظلمونَه لبيانه وتخلّصه الحجج .

ولمّا أرجف الناس في الكوفة بموت الوليد بن عبد الملك – وكان الحجّاج بها – خرج يوماً فجلس على المنبر فقال : ما أراجيفُ بلغني أنّكم ترجفون بها أوّلاً ثمّ أوّلاً ثمّ أوّلاً لسنَ من زبد الوعيد ؟

---

(1) يعني الحجّاج ، وكأنّ بالخبَر نقصا .

ثمّ نزل . فلم يسمع بعدها مرجف بموته .

عموم الخوف منه

وأخذ الحجّاج امرأة من بني ضبّة فسيّرها لتحبَسَ فصاحت : « واغيلاناه ! » تريد غيلان بن خرشة . فقال الشرطيّ الذي معها : اسكتي ويلَك ! فوالله لو أدركَنا غيلان [لـ]ـرضيَ أن يكون مكاني !

وقال الحجّاج لرجل : مَنْ أجلَدُ قريش ؟

قال : بنو عديّ .

قال : فأيّ بني عديّ ؟

قال : آل أبي الجهل .

فأرسل الحجّاج إلى رجلٍ منهم وهو ينتفض . فقال الحجّاج للرجل : كيفَ ترى ؟

وعصى رجل على الحجّاج . فلمّا قام قائمُ كلّ شيءٍ على ظلّه خرج يريدُ أهلَه في بني سعد ، فمرّ بكلبٍ تحت سقاية يقطر عليها ماؤها في الهاجرة . فقال : يا ليتني هٰذا الكلبُ !

فلم يسر إلّا قليلاً حتى لحقه الكلب يجرّره الصبيان . [فسألت عنه فقالوا :] قد أتى كتاب الحجّاج يأمر بقتلها [1]

وكان الحجّاج لا يلعب عنده ولا يُمزح . ومدحه أكثر شعراء زمانه ، منهم الفرزدق / وجرير والأخطل وحميد الأرقط وعبد الرحمان بن الزبير وليلى الأخيليّة [333أ] في شعر كثير .

بين الحجّاج وليلى الأخيليّة

ودخلت ليلى الأخيليّة على الحجّاج فقال : ما أتاني بكر . . .[طويل] [2]

(1) الخبر في سرح العيون 182 . ويزيد الراوي : فعجبت من عُموم جَوْره .

(2) نقص واضح في الكلام .

إذا نزل الحجّاج أرضاً سقيمة   تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي لها   غلام إذا هزّ القناةَ سقاها
سقاها دماء المارقين وعلّها   إذا جمحت يوماً وخفّ رداها
ولا كلّ حلّاف تقلّد بيعةً   بأعظم عهد الله ثمّ شراها [1]

فلمّا قالت : « غلام إذا هزّ القناة ... » قال : لا تقولي : غلام ، ولكن قولي : همام .

ثمّ قال لها : على أيّ نسائي أحبُّ إليك أن تنزلي ؟

قالت : ومَن نساؤك ؟

قال : أمّ الجلاس بنت سعيد بن عبد الرحمان بن عتّاب بن أَسِيد .
وهند بنت أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة
وهند بنت المهلّب بن أبي صفرة
وأمّ أبان بنت النعمان بن بشير .

قالت : « أنزلني على هند بنت أسماء » . فأنزلها ، وأمر لها بجائزة مائة ، ولم يسمّ إبلاً ولا غنماً .

قالت : زدني !

قال : لك مائتان .

قالت : زدني !

قال : لك ثلاثمائة .

فقال بعض جلسائه : إنّها غنم !

قالت : الأمير أكرمُ مِن أن يُعطِيَ غنماً !

فٱستحيى الحجّاج وقال : « ٱجعلوها إبلاً » ، وما كان أراد إلّا غنماً .

---

(1) العقد 1 / 322 .

وممّا مدحه به الفرزدق [بسيط] [1] :

إنَّ ابن يوسفَ محمودٌ خلائقُه ... سِيّان معروفُه في الناس والمطرُ
هُو الشهابُ الذي يُرمى العدوُّ به ... والمشرفيُّ الذي تمضي به مضرُ [2]
لا يرهب الموت إنّ النفس باسلة ... والرأي مجتمع والجود منتشر
أحيى العراق وقد ثلّت دعائمه ... عمياء صمّاء لا تُبقي ولا تذرُ

ونازع أبان [الحارث] فحجّ بالناس فقال الحرث [طويل] :

[فـ]ـإن تنجُ منها يا أَبَانُ مُسَلَّماً ... فقد أَفْلَتَ الحجّاجَ خيلُ شبيب

فقال الحجّاج : واعجبا للحارث ! يغلبه أبان ويهجوني !

تحويله الدواوين إلى العربيّة

وفي أيّام الحجّاج قلب الديوان من الفارسيّة إلى العربيّة . وذلك أنّ صالح ابن عبد الرحمان كان منقطعاً إلى زادان فروخ كاتب الحجّاج . وهو كان سببَه إلى الحجّاج . فخفّ صالح للحجّاج حتّى كاد زادان ، فشقّ عليه ذلك . فقال صالح لزادان : إنّك سبَبي إلى هذا الرجل ، وإنّي أراني قد خففت لديه خفّة لستُ آمنُ أن يُقدّمني عليك وأن تسقُط .

قال : لا تخف ! ذاك عليّ . هو أحوج إليَّ منّي إليه .

قال : كيف ذلك ؟

قال : لا يجد مَن يكفيه حسابَه غيري .

قال : لو شئتُ حوّلتُ الحسابَ بالعربيّةِ .

قال : حوِّلْ منه سطراً حتّى أرى .

---

(1) ديوان الفرزدق نشر الصاوي ، 435 .

(2) حاشية في الهامش : أي يجعلون سيوفَه تَمْضي . ولكنّ الديوان – وكذلك المخطوط – أثبت تَعْصى وقال شارح الديوان : تتخذه كالعصا تعتمد عليه .

فكتب منه أسطراً . فلمّا رأى ذلك زادان قال لصالح : « تمارضْ ! » فتمارض . فسأل الحجّاج عنه ، فقيل : شاكٍ .

فأرسل إليه طبيبَه فلم يرَ علّةً . فأرسل [صالح] إلى زادان يخبره فقال له : أظهر وأْتِه !

وانصرف [زادان] إلى أصحابه وقال : اطلبوا صنعةً غير هذه .

وأجلّ الحجّاج صالحاً أجلاً حتّى قلب الديوان .

ولمّا مات الحجّاج خطب عبد الملك بن الحجّاج ، وكان قد استَخْلَفَه أبوه على الصلاة فقال : « أنعي إليكم أسدَ الأسود وفارس الفرسان » . ثمّ دفنه وأجرى الماءَ على قبره لئلّا يُعرفَ مكانُه .

ورثاه الفرزدق . وقال الهيثم بن عديّ : قدمت وفود العرب على سليمَان ابن عبد الملك بعدما استخلف ، فأمرهم أن يشتموا الحجّاج فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم : إنّ عدوّ الله كان عَبْداً دَبّاباً قَنَّوَرَ ابنَ قَنَّوَرٍ ، لا نسبَ له في العرب[1] .

[فقال سليمَان :] أيّ شتم هٰذا ؟ إنّ عدوّ الله الحجّاج كتب لي : « إنّما أنت نقطة ، فإن رأيت فيّ ما رأى أبوك وأخوك / كنتُ لك كما كنت لهُما[2] . [333 ب] وإلّا فأنا الحجّاج وأنت نقطة ، فإن شئتُ محوْتُك ، وإن شئتُ أثبتُّكَ ! » فالعنوه لعنه الله !

فأقبل الناس يلعنونـ[ـه] فقام بلال ابن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعريّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرك عن عدوّ الله بعلم .

قال : هات .

---

(1) القَنَّوَرُ : السيّء الخُلُق الشَرِسُ ، وكذلك : الدعيّ في نسبه . وفي اللسان (دبب) : رجل دُبُوب وديبوب : نمّام . ولعلّ « دبّاب » منها .

(2) أبوه عبد الملك بن مروان وأخوه الوليد بن عبد الملك . وقد تولّى سليمان بعد الوليد سنة 96 .

قال : كان عدوّ الله يتزيّنُ تزيُّنَ المومسة ويصعد المنبر فيتكلّم بكلام الأخيار . وإذا نزل عمل أعمال الفراعنةِ ، و[كان] أكذبَ في حديثه من الدجّال .

فقال سليمان لرجاء بن حَيْوة : هذا وأبيك الشتمُ ! لا ما تأتي به هذه السِّفلة .

وعن عوانة قال : قطع ناس من عمرو بن تميم وحنظلة على الحجّاج ، فكتب إليهم : أمّا بعد ، فإنّكم قد آستَحَضْتم[1] الفتنة – وفي رواية : قد آستَنْتَجْتُم الفتنة – فلا عن حقّ تقاتلون ولا عن منكرٍ تنتهون . وايم الله ! إنّي لأهمّ أن يكونَ أوّلُ ما يرد عليكم من قِبَلي خيلٌ تنسف الطارف والتالدَ[2] . وتخلّي النساء أيامى . والأبناء يتامى . فأيّما رفقة مرّت بماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير إلى الماء الذي يليه ، تقدمةً منّي إليكم . والسعيدُ مَن وُعظَ بغيره !

وكان الحجّاجُ يقول : أخطبُ الناس صاحبُ العمامة السوداءِ بين أخصاص البصرة ، إذا شاء خطب ، وإذا شاء سكت – يعني الحسن بن أبي [الحسن يسار] البصري[3] .

وقال يوماً لعبد الملك بن مروان : لو كان رجل من ذهب لكنتُه .

قال : وكيف ذاك ؟

قال : لم تلدني أمةٌ بيني وبين آدم إلّا هاجر .

فقال : لولا هاجر لكنتَ كلباً من الكلاب !

وكان الحجّاج يستعمِلُ زيادَ بن عمرو العتكيّ . فلمّا أتى عبدَ الملك في

(1) في العقد 1 / 51 : آستخفتْكُم .
(2) في المخطوط : والتالف .
(3) الحس البصري : انظر ترجمته في الوفيات 2 / 69 (156) .

الوفد ، والحجّاج حاضر ، قال زياد : « يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الحجّاج سيفُك الذي لا ينبو ، وسهامك الذي لا يطيش ، وخادمُك الذي لا تأخذه فيك لومةُ لائمٍ » . فلم يكن بعد ذلك أخفُّ عليه منه[1] .

وكتب الحجّاج إلى عامل له بفارس : ٱبعَث إليَّ من عمل خلّار ، من النحل الأبكار ، من الدفتسشار ، الذي لم تمسّه النار .

وشكا الحجّاج لجامع المحاربي[2] سوءَ طاعة أهل العراق فقال : أما إنّهم لو أحبّوك لأطاعوك ، على أنّهم ما شنؤوك لنسبك ، ولا لبلدِك ، ولا لذات نفسك . فدعْ ما يُبعدُهم منك إلى ما يقرّبهُمْ إليك . وٱلتمِس العافيةَ ممّن دونَك تُعْطهَا ممّن فوقك . وليكُن إيقاعُك بعد وعيدِك ، ووعيدُك بعد وعدِك !

فقال الحجّاج : إنّي والله ما أرى أن أردّ بني اللكيعة إلى طاعتي إلّا بالسيف !

فقال : أيّها الأمير ، إنّ السيفَ إذا لاقَى السيف ذهب الخيار .

قال الحجّاج : الخيارُ يومئذٍ لله .

قال : أجل ، ولكن لا تدري لمن يجعلُه الله !

فغضب الحجّاج وقال : يا هناه ، إنّك من محارب !

فقال [طويل] :

وللحرب سمّينا وكنّا محارباً إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرَا[3]

فقال الحجّاج : لهممتُ والله أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك !

فقال : إن صدقنا لك أغضبناك ، وإن غششناك أغضبْنا الله . فغضبُ

---

(1) العقد 2 / 137 .

(2) العقد 2 / 179 و4 / 114 وقال : وكان جامع شيخا صالحا لبيبا خطيبا جريئاً على السلطان .

(3) البيت في البيان والتبيين 2 / 68 وقال : هو للخضريّ .

الأمير أهونُ علينا من غضب الله .

فقال : « أجل » . وسكن .

وشغل الحجّاج ببعض الأمر فآنسلّ جامع وهرب .

بعض خُطبِه

وخرج الحجّاج يوماً من القصر بالكوفة فسمع تكبيراً بالسوق فراعه ذلك ، فصعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق ، وبني اللكيعة ، وأولاد العصا ، وأبناء الإماء والفقّع بالقرقر[ة][1] إنّي سمعتُ تكبيراً لا يراد به الله ، وإنّما يراد به الشيطان . وإنّما مثلي ومثلُكُم كما قال عمرو بن برّاقة[2] الهمداني [طويل] :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتُهم — فهل أنا في ذا يآلَ همدانَ ظالم ؟
متى تجمع القلب الذكيّ وصارماً — وأنفاً حميًّا تجتنبْك المظالم

أما والله لا تقرع عصا [بـ]ـعصا[يَ] إلَّا جعلتُـ[ـهـ]ـا كأمس الدابر !

وخطب[3] أهلَ العراق بعد وقعة دَيْر الجماجم فقال : / يا أهل العراق ، [334أ]
إنّ الشيطان قد آستبطنَكم فخالط اللحم والدم ، والعصب والمسامع والأطراف ، والأعضاء والشغاف ، ثمّ أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ ، ثمّ ارتفع فعشّش ، ثمّ باض وَفرّخ فحشاكم نفاقاً وشقاقاً ، وأشعركم خلافاً ، فآتّخذتموه دليلاً تتبعونهُ ، وقائداً تطيعونَه ، ومؤامراً تستشيرونه . فكيف تنفعُكم تجربةٌ أو تعطفُكُم وقعةٌ أو يحجزكم إسلام أو ينفعُكم بيان ؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث

---

(1) في العقد 4 / 115 : بالقرقرة . والفقع : الكمأة ، والقرقرة : الأرض المنخفضة .

(2) في العقد 1 / 119 : ابن برّاقة الهَمْدَاني و4 / 115 : ابن برّاق الهمداني . وفي عيون الأخبار 1 / 237 : لمالك بن حريم وهو بعض لصوص همدان .

(3) الخطبة في العقد 4 / 115 . ونهج البلاغة 2 / 114 والبيان والتبيين 2 / 117 ونهاية الأرب 7 / 245 .

رمتم المكر ، وسعَيتُم بالغدر ، واستحبَبتُم الكفرَ ، وظننتُم أنّ اللهَ يخذل دينَه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي ، وأنتم تتْسلُّون لوذاً وتنهزمون سراعاً . ثمّ يوم الزاوية ، وما يوم الزاوية ! بها كان فشلُكُم وتنازعُكم وتخاذلُكم وبراءةُ الله منكم ، ونكوص وليّكم عنكم ، إذ ولّيتُم كالإبلِ الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها ، لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه ، حتى عضّكم السلاح ، وقصرتكُم الرماح .

ثمّ يوم دير الجماجم ، وما دير الجماجم ! بها كانت المعارك والملاحم ، بضربٍ يُزيلُ الهام عن مَقيلهِ ويُذهل الخليلَ عن خليله . يا أهل العراق ، الكفرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الخطرات ، والنزوة بعد النزوات ! إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم . وإن أمنتُم أرجفتُم ، وإن خفتُم نافقتُم . لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة . هل ٱستحقّكم ناكث أو ٱستغواكم غاوٍ ، أو ٱستنفركم عاصٍ ، أو ٱستنصركم ظالم ، أو ٱستعضدكم خالع إلّا تبعتُمُوه وواسيتموه ونصرتموه ورضيتموه . يا أهل العراق ، هل شغب شاغب ، أو نعب ناعبٌ ، أو زفر زافرٌ ، إلّا كنتم أتباعه وأنصاره ؟

يا أهل العراق ، ألم تنهَكُم المواعظُ ؟ ألم تزجركُم الوقائع ؟ (ثمّ التفت إلى أهل الشام فقال :) يا أهل الشام ، إنّما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنّها من المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذّئاب . يا أهل الشام ، أنتم الجُنّةُ والرداء ، وأنتم العدّة والحِذاء .

بعض أخباره

وخرج يوماً فإذا هو بأعرابيّ في زرع فقال له : ممّن أنت ؟

قال : من أهل عثمان .

قال : فمن أيّ القبائل ؟

قال : من الأزد .

قال : كيف علمُك بالزرع .

قال : إنّي لأعلم من ذلك علماً .

قال : فأيّ الزرع خير ؟

قال : ما غلُظ قصَبُه وأعتمّ نبتُه ، وعظُمت حبّتُه .

قال : فأيّ العنب خير ؟

قال : ما غلظ عمُودُه وأخضرّ عودُه وعظُم عنقودُه .

قال : فما خيرُ التمر ؟

قال : ما غلُظ لحاؤُه ، ودقّ نواؤه ، ورق سماؤه .

* * *

وقال لرجل من الخوارج : أجمعتَ القرآن ؟

قال : أمتفرّقاً كان فأجمعَه ؟

قال : أتقرؤه ظاهراً ؟

قال : بل اقرؤه وأنا أنظر إليه .

قال : أتحفَظُه ؟

قال : أخشيتُ فرارَه فأحفظَهُ ؟

قال : ما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك ؟

قال : لعنه الله ولعنك معه !

قال : إنّك مقتول ، فكيف تلقى الله ؟

قال : ألقاه بعملي ، وتلقاه بدمي .

* * *

وقال مالك بن دينار : غدوت إلى الجمعة فجلست قريباً من المنبر . فصعد

الحجّاج المنبر ، ثمّ قال : آمرءًا ، زوّر عمله ، آمرءًا حاسب نفسه ، آمرءًا فكّر فيمَا يقرؤه في صحيفته ويراه في ميزانه . آمرءًا كان عند قلبه زاجراً وعند همّه ذاكراً ، آمرءًا أخذ بعنان عمله كما يأخذ الرجل بخطام جمله . فإن قاده إلى طاعة الله تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفّه .

وقال الحجّاج لمعلّم ولده : علّمْ ولَدي السِّباحة قبلَ الكتابة ، فإنّهم يصيبون مَن يكتب عنهم ، ولا يصيبون من يسبح عنهم .

* * *

وقال لأبن القريّة : ما زالت الحكماء تكره المزاح وتنهى عنه .

فقال : المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشَرة أبواب : أوّله فرَح وآخرُه ترَح ، والمراح والمزاح نقائض السفهاء كما الشعر نقائض الشعراء . والمزاح يوغر صدر الصديق . وينفّر الرفيق عن الرفيق . والمزاح يبدي السرائر لأنّه يظهر المغاير ، والمزاح يسقط المروءة ويبدي الخنا . لم يجرّ المزاح خيراً ، وكثيراً ما جرّ شرًّا . الغالب بالمزاح واتِر ، والمغلوبُ به ثائِر . المزاح يجلب الشتمَ صغيرُه ، والحربَ كثيرُه . وليس بعد الحرب إلّا عفوٌ بعد قدرة .

فقال الحجّاج : حسبك ! الموت خير من عفوٍ بعد قدرة .

* * *

ويروى أنّ الحجّاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث ، فقام رجل منهم فقال : أصلح الله الأمير ، إنّ لي عليك حقًّا .

قال : وما حقّك ؟

قال : لعنك عبد الرحمان يوماً فرددتُ / عليه . [334 ب]

فقال : من يعلمُ ذلك ؟

فقال : أنشد الله رجلاً سمع ذلك إلّا شهد به !

فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذلك أيّها الأمير .

فقال الحجّاج : خلّوا عنه !

ثمّ قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكر ؟

فقال : لقديم بغضي إيّاك !

قال : وليُخلَّ عنه لصدقه[1] .

* * *

وقال الحجّاج لرجل من الخوارج : والله إنّي لأبغضُكم .

فقال الخارجيّ : أدخل الله أشدَّنا بُغضاً لصاحبه الجنّة !

* * *

وكان الحجّاج يستثقل زياد بن عمرو بن الأشرف العتكيّ . فلمّا أثنت الوفود على الحجّاج عند الوليد بن عبد الملك ، والحجّاج حاضر ، قال زياد بن عمرو : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجّاج سيفُك الذي لا ينبو ، وسهمُك الذي لا يطيش ، وخادمُك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم .

فلم يكن أحدٌ بعد [ذلك] أخفَّ على قلب الحجّاج منه[2] .

* * *

وكان يقول : البخل على الطعام أقبحُ من البرَص على الجسد .

* * *

ولمّا واقف الحجّاج عبد الرحمان بن الأشعث ، نادى منادي الحجّاج : مَن أتاني برأس فيروز [بن] حصين ، فله عشرة آلاف درهم[3] .

---

(1) الرواية مغايرة في العقد 2 / 172 .

(2) مرّت بنا هذه الرواية . وهي في العقد 2 / 137 .

(3) حاشية في الهامش : فيروز حصين هذا كان من مشاهير العجم فأسلم ووالى حصين بن عبدالله العنبريّ . وكان شجاعا جوادًا جميل الصورة جهير الصوت . =

فنصل فيروز من الصفّ فصاح بالناس : من عرفني فقد اكتفى . ومَن لم يعرفني ، فأنا فيروز حصين ، وقد عرفتم مالي ووفائي . فمَن أتاني برأس الحجّاج ، فله مائة ألفٍ .

فقال الحجّاج : فوالله لقد تركني أُكثرُ التلفّتَ ، وإنّي لبين خاصّتي .

فأوتي به الحجّاج فقال : أنت الجاعلُ في رأس أميرك مائةَ ألف درهم ؟

قال : قد فعلت .

فقال : والله لأمهّدنّك ، ثمّ لأحملنّك . أين المال ؟

فقال : عندي . فهل إلى الحياة من سبيل ؟

قال : لا .

قال : أخرجني إلى الناس حتى أجمع لك المال ، فلعلّ قلبَك يرقّ لي . ففعل . فخرج فيروز فأحلّ الناس من ودائعه ، وأعتقَ رقيقه وتصدّق بمَالِه . ثمّ رُدّ إلى الحجّاج فقال : شأنك الآن ، فاصنع ما شئتَ !

فشدّ في القصب الفارسيّ ، ثمّ سلّ حتّى شُرح ، ثمّ نضحَ بالخلّ والملح ، فما تأوّه حتّى مات .

* * *

ويروى عن ابن هبيرة قال : إنّا لنتغدّى مع الحجّاج يوماً إذ جاءه رجلٌ من بني سليم برجل يقوده ، فقال : أصلح الله الأمير ، إنَّ هٰذا عاصٍ .

فقال له الرجل : أنشدك الله أيّها الأمير في دمي . فوالله ما قبضت إيواناً قطّ ، ولا شهدت عسكراً . وإنّي لحائك أُخذت من تحت الحف[1] فقال :

= وانظر خبره في الوفيات 2 / 38 (ترجمة الحجّاج) .

(1) حاشية في الهامش : الحفّ بغيرهاء ، : النسج . والحفّة : الخشبة التي يلفّ عليها الحائكُ الثوب .

« ٱضربوا عنقه » . فلمّا أحسّ بالسيف سجدَ ، فلحِقه السيفُ وهو ساجدٌ ، فأمسكنا عن الأكل . فأقبل الحجّاج فقال : ما لي أراكم صفرت أيديكم[1] وٱصفرّت وجوهكم وحدّ نظركم من قتل رجل واحدٍ ؟ إنّ العاصي يجمع خلالاً تخلّ بمركزه ويعصي أميره ويغرّ المسلمين من نفسه ، وهو بعد أجبر لكم ، وإنّما يأخذ الأجرة لما يعمل ، والوالي مخيّر فيه ، إن شاء قتل ، وإن شاء عفا .

بين الحجّاج والمهلّب

ولمّا هزم المهلّب بن أبي صفرة قطريّ بن الفجاءة ، كتب إلى الحجّاج : الحمد لله الكافي بالإسلام فقدَ ما سواه ، الذي وصل المزيد بالشكر والنعمة بالحمد ، وقضى ألّا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده .

أمّا بعد ، فكان من أمرنا ما قد بلغك . وكنّا نحن وعدوّنا على حالتين مختلفتين : يسرّنا منهم أكثرُ ممّا يسوءُنَا ، ويسوءهم منّا أكثرُ ممّا يسرّهم ، على ٱشتداد شوكتهم . فقد كان علن أمرهم حتى ٱرتاعت له القناة ، ونوّم به الرضيع ، فٱنتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها ، وأدنيتُ السواد من السواد حتّى تعارفت الوجوه . فلم تزل كذلك حتى بلغ الكتابُ أجلَه ، فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا ، والحمد لله ربّ العالمين .

فكتب إليه الحجّاج : أمّا بعد ، فإنّ الله قد فعل بالمسلمين خيراً ، وأراحهم من حدّ الجهاد ، وكنت أعلمَ بمَا فيك ، والحمد لله ربّ العالمين . فإذا ورد عليك كتابي ، فأقسم في المجاهدين فيئَهم ، ونفِّلْ الناس على قدر بلائهم ، وفضّلْ من رأيتَ تفضيلَه . وإن كانت بقِيَت من القوم بقيّة ، فخلّف خيلاً تقوم بإزائهم . وٱستعمل على كرمان مَن رأيتَ ، وولّ الخيلَ شهماً من ولدك ، ولا ترخّص لأحدٍ في اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم عليّ ، وعجِّلْ القدوم إن شاء الله .

---

(1) حاشية أيضاً : صفرت : أي خلَت من الطعام .

فولّى المهلّب ٱبنه يزيد كرمان ، وقدم على الحجّاج ، فأجلسَه إلى جانبه وأكرمَه وقال : يا أهل العراق ، أنتم عبيدُ المهلّب .

/ ثمّ قال : والله كما قال لقيط الايادي [بسيط] [1] : [335 أ]

وقلّدوا أمرَكم لله درّكُمُ … رحبَ الذراع بأمرِ الحرب مضطلعا
لا يطعم النومَ إلّا ريثَ يَبعَثُه … همٌّ يكاد حشاه يقصم الضلعا
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعدَهُ … ولا إذا عضّ مكروهٌ به خشعا
ما زال يحلب هٰذا الدهر أشطرَهُ … يكون متّبعاً طوراً ومُتّبَعا
حتّى استمرّت على شزر مريرته … مستحكم الرأي لا فحماً ولا ضرعا

فقام إليه رجل فقال : أصلح الله الأمير ، والله كأنّي أسمع الساعةَ قطريًّا وهو يقول : « المهلّب كما قال لقيط الإيادي » ثمّ أنشد هٰذا الشعر .

فسرّ [ثمّ قال :] فدعوا هٰذه الأنفس فإنّها أسألُ شيءٍ إذا أُعطيت وأمنع شيء إذا سئلت . فرحم الله ٱمرءًا جعل لنفسه خطاماً وزماماً ، فخِطامُها طاعةُ الله ، وعطفها بزمامها عن معصية الله ، فإنّي رأيتُ الصبرَ عن محارم الله أيسرَ من الصبر على عذابه .

وكان يقول : إنَّ ٱمرءًا أتت عليه ساعةٌ من عمُره ، ولم يذكر فيها ربَّه ، أو يستغفِرْ من ذنبه ، أو يفكّرْ في معاده ، لجدير أن تطولَ حسرتُه يومَ القيامة .

والحجّاج أوّل من أجرى في البحر السفنَ المقيَّرة المسمّرة غير المخرّزة والمرهونة [2] . وهو أوّل من ٱتّخذ المحامل ، وفيه يقول الراجز من أبيات :

أوّل عبد عمل المحاملا … أخزاه ربّي عاجلاً وآجلا

---

(1) حاشية في الهامش : لقيط بن معمّر . قال هذا الشعر يحرّض قومه ويحذّرهم كسرى . والأبيات في الأغاني 22 / 393 ، وفي العقد 5 / 268 .

(2) لم نفهم المقصود بالمرهونة .

وكتب يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة إلى الحجّاج : « وإنّ العدوّ نزل بعرعرة الخيل . ونزلنا بالحضيض » . فقال الحجّاج : ليس هٰذا من كلام يزيد . فمَن هنالك ؟

قيل : يحيى بن يعمر[1] .

فكتب إلى يزيد أن يشخصَه .

فلمّا قدم عليه قال له : أسمعتني ألحنُ ؟

قال : الأمير أفصح من ذلك .

فأعاد عليه القول وأقسم . فقال : نعم ، تجعل إنّ مكان أنّ .

فقال له : ٱرحل عنّي ولا تجاورني !

ويروى عن محمد بن المُنْتَشِر بن الأجدع الهمداني[2] قال : دفَع إليّ الحجّاج أزادمرذ بن الهربذ أحد الدهاقين وأمرني أن أستخرج منه مالاً وأغلظ عليه . فلمّا ٱنطلقتُ به قال لي : يا محمّد . إنّ لك شرفاً وديناً . وإنّي لا أعطي على القسر شيئا . فٱستَأْدِني وٱرفق بي . (قال :) فقلت : تؤدّي إليّ في أسبوع خمسمائة ألف . فبلغ ذلك الحجّاج فأعضبه وٱنتزعه من يدي ، ودفعه إلى رجل كان يتولّى له العذاب . فدقّ رجليه ويديه ولم يُعطِهِمْ شيئاً . (قال محمد بن المنتشر) : فإنّي لأمرّ يوماً في السوق . وإذا صائحٌ بي : « يا محمّد ! » فٱلتفتّ ، فإذا [أنا] به معرَّضاً على حمار . مدقُوقَ اليدين والرجلين . فخفت الحجّاج إن أتيته . وتذمّمتُ منه فملت إليه فقال لي : إنّك وليت منّي ما ولي هؤلاء ، فأحسنتَ . وإنّهم صنعوا بي ما ترى ولم أعطهم شيئاً . وهٰهنا خمسمائة

---

(1) ليحيى بن يعمر خبر آخر مع الحجّاج في العقد 2/ 175 و5/ 20 .

(2) حاشية في الهامش : محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك الهمْداني الوادعي الكوفي : ابن أخي مسروق (بن الأجدع) . سمع عائشة . روى عنه ابنه إبراهيم في الغسل . والخبر في العقد 5/ 29 ، والوفيات 2/ 43 .

ألف عند فلان ، فخُذها فهي لك . (قال) فقلت : ما كنت لآخذ منك على معروفي أجراً ، ولا لأَرْزَأَك على هٰذه الحال شيئاً .

قال : فأمّا إذ أتيتَ فٱسمع أحدِّثْك : حدَّثَني بعض أهل دينك عن نبيّك ﷺ [أنّه] قال : إذا رضي الله عن قوم أمطرهم في وقته ، وجعل المال في سمحائهم ، وٱستعملَ عليهم خيارَهم . وإذا سخِط عليهم ٱستعمل عليهم شرارهم ، وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطرَ في غير حينه . (قال :) فٱنصرفت فما وضعتُ ثوبي حتى أتاني رسول الحجّاج فأمرني بالمصير إليه . فألفيتُه جالساً على فراشه ، والسيف منتضًى في يده . فقال لي : « ٱدنُ ! » فدنوت شيئاً . ثمّ قال لي : « ٱدنُ ! » فدنوت شيئاً . ثمّ صاح الثالثة : « ٱدن ، لا أبا لك ! » فقلت : ما بي إلى الدنوّ من حاجة وفي يد الأمير ما أرى !

فأضحك الله سنّه وأغمدَ سيفه عنّي وقال : ٱجلس ! ما كان من حديث الخبيث ؟

نماذج من علوّ نفسه

فقلت : أيّها الأمير ، والله ما غششتُك منذ ٱستنصحتني ، ولا كذبتُك منذ ٱستخبرتني ، ولا خنتك منذ ٱئتمنتني – ثمّ حدّثتُه الحديث ، فلمّا صرت إلى ذكر الرجل الذي المال عنده ، أعرض عنّي بوجهه ، وأومأ إليَّ بيده وقال : « لا تسمِّه ! » ثمّ قال : / إنّ للخبيث نفساً ، وقد سمع الأحاديث . [335 ب]

ويقال إنّ الحجّاج كان إذا ٱستغرب ضحِكا ، والى بين الاستغفار . وكان إذا صعد المنبر تلفّح بمِطرفه ، ثمّ تكلّم رويداً فلا يكاد يسمع ، ثمّ يتزيّد في الكلام حتّى يُخرجَ يده من مطرفه ، ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى مَن في المسجد .

وكان يطعم في كلّ يوم على ألف مائدة ، على كلّ مائدة ثريدٌ [وجنبٌ من شِواءٍ وسمكة طريّةٌ ويطاف به في محفّة على تلك الموائد لِـ]ـيتفقّد أمور الناس ، وعلى كلّ مائدة عشرة ، ثمّ يقول : يا أهل الشام ، أكسروا الخبز لئلّا يُعاد

عليكم. - وكان له ساقيان، أحدهما يسقي الماء والعسلَ، والآخر يسقي اللبن[1].

مدح ليلى الأخيلية له

وذكر أبو الحسن المدائنيّ عمّن حدّثه عن مولى لعنبسة بن سعيد بن العاصي[2] قال: كنت أدخل مع عَنْبَسَة إذا دخل على الحجّاج. فدخل يوماً ودخلت إليهما، وليس عند الحجّاج أحدٌ غيرَ عنبسة. فقعدت. فجيءَ الحجّاج بطبَق فيه رطب فأخذ الخادم منه شيئاً فأتاني به. ثمّ جيء بطبق آخر فأتاني الخادم منه بشيءٍ. ثمّ جيء بطبق آخر وآخر حتّى كثرت الأطباق. وجعل لا يأتون بشيءٍ إلّا جاءني منه بشيءٍ، حتى ظننتُ أنّ ما بين يديَّ أكثرُ ممّا عندهم.

ثمّ جاء الحاجب فقال: آمرأة بالباب.

فقال الحجّاج: أدخلها.

فدخلَتْ. فلمّا رآها طأطأ رأسَه حتّى ظننتُ أنّ ذَقنه قد أصاب الأرض. فجاءت حتى قعدت بين يديه. فنظرتُ إليها فإذا هي آمرأةٌ قد أسنَّت حسنة الخَلق، وإذا هي ليلى الأخيليّة. فسألها الحجّاج عن نسبها فآنتسبت له. فقال لها: يا ليلى، ما الذي أتاني بك؟

قالت: إخلاف النجوم، وقلّة الغيوم، وكلَب البرد، وشدّة الجَهد. وكنتَ لنا بعدَ الله الرفد!

فقال لها: صفي لنا الفجاج.

فقالت: الفجاج مُغْبَرّة، والأرض مقشعرّة، والمنزل معتلّ، وذو العيال مختلّ، والمال للقلّ، والناس مُسنِتُون، ورحمةَ الله يرجون، قد أصابتنا سنون

(1) العقد 5/ 13 مع بعض الاختلاف، والزيادة منه.
(2) عنبسة بن سعيد بن العاص الأموي: انقطع إلى الحجّاج وهو أخو عمرو الأشدق. والخبر في الوفيات 2/ 47.

مجحفة مبلطة لم تدع لنا هُبعاً ولا رُبَعاً ، ولا عافطة ولا نافطة [1] ، أذهبت الأموال ، ومزّقت الرجال وأهلكت العيال .

ثمّ قالت : إنّي قد قلت في الأمير قولاً .

قال : هاتي .

فأنشأت تقول : [طويل] :

أحجّاج ، لا يُفلَلْ سلاحُك ، إنّما الـ — ـمنايا بكفّ الله حيثُ يراها
أحجّاجُ ، لا تُعطي العُدَاةَ مُناهُمُ — ولا الله يُعطي للعداةِ مُناها
إذا هبط الحجّاجُ أرضاً مريضة — تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العُقام الذي بها — غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها [2]

فقال : لا تقولي : غلام قولي : همام !

(قالت :)

سقاها فروّاها بشرب سجاله — دماء رجال حيث مال حشاها
إذا سمع الحجّاج رِزّ كتيبة — أعدّ لها قبل النزول قِرَاها [3]
أعدّ لها مسمومة فارسيّة — بأيدي رجال يحلبون صراها [4]
فما ولد الأبكارُ والعُون مثلَه — ببحرٍ ولا أرض يجفّ ثراها

فقال الحجّاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صفتي شاعرٌ منذ دخلتُ العراق غيرَها .

---

(1) أُبلِط القوم : لصقوا بالأرض من شدّة الفقر . والعافطة النعجة والنافطة : العنزة . وفي الأغاني 11 / 226 : لم تدع لنا فصيلاً ولا ربعاً ، والربع : فصيل الربيع .

(2) الداء العُقام : الذي لا يرجى منه برء .

(3) الرزّ بالكسر : صوت الرعد .

(4) الصرى : البقيّة من البن في الضْرع .

ثمّ ٱلتفت إلى عنبسة [بن سعيد] فقال : والله إنّي لأعدّ للأمر عسى أن لا يكون أبداً .

وٱلتفت إليها فقال : حسبك !

فقالت : قد قلت أكثرَ من هٰذا .

فقال : حسبك ، ويحك ، حسبك ! (ثمّ قال :) يا غلام ، اذهب بها إلى فلان وقل له : ٱقطع لسانَها .

فذهب بها فقال : يقول لك الأمير : ٱقطع لسانها .

فٱستدعى الحجّام ، فالتفتت إليه وقالت : ثكلتك أمّك . أما سمعتَ ما قال ؟ إنّما أمرك أن تَقْطع لساني بالبرّ والصلة .

فبعث إلى الحجّاج يستثبته ، فٱستشاط غضباً وهمّ بقطع لسانه فقال : « ٱرددها ! » فلمّا دخلت عليه قالت : « كاد والله أيّها الأمير يقطع مقولي » . ثمّ أنشأت تقول [بسيط] :

حجّاجُ ، أنت الذي ما فوقه أحدٌ إلّا الخليفةُ والمستغفرَ الصمدُ

[336أ] / حجّاج أنت شهاب الحرب إن لقحت وأنت للناس نورٌ في الدجى يقِد

فأقبل على جلسائه فقال : أتدرون مَن هذه ؟

قالوا : لا والله أيّها الأمير ، إلّا أنّنا لم نرَ ٱمرأة قطّ أفصح لساناً ، ولا أحسن محاورة ، ولا أملح وجهاً ، ولا أرصن شِعراً منها .

فقال : هٰذه ليلى الأخيليّة التي مات توبة بن الحُمَير الخفاجي في حبّها .

ثمّ قال لها : أنشدينا يا ليلى بعضَ ما قال توبة فيك .

قالت : نعم ، أيّها الأمير . هو الذي يقول [طويل] :

وهل تبكِيَنْ ليلى إذا متُّ قبلَها وقام على قبري النساءُ الصوائح

كما لو أصاب الموتُ ليلى بكَيْتُها   وجاد لها دمعٌ من العَينِ سافحِ
وأُغبَطُ من ليلى بمَا لا أنالُه   ألا كلّ ما قرّت به العين صالحْ
ولو أنّ ليلى الأخيليّة سلّمَت   عليّ ، وفوقي جندلٌ وصفائح [1]
لسلّمتُ تسليم البشاشة ، أو زَقَا   إليها صدى من جانب القبرِ ضَابحُ [2]

فقال : زدينا .

فقالت : نعم ، هو الذي يقول [طويل][3] :

حمَامةَ بطنِ الواديَيْنِ ترنّمي   سقاك من الغرّ الغوادي مَطيرُها
أبيني لنا ، لا زال ريشك ناعماً   ولا زلت في خضراءَ غضٍّ نضيرُها
وأشرفُ بالقَوْزِ اليفاعِ لعلّني   أرى نار ليلى أو يراني بصيرُها
وكنت إذا جئت ليلى تبرقعت   فقد رابني منها الغداةَ سفورُها

الأبيات ...

فقال الحجّاج : يا ليلى ، ما الذي رابه من سفوركِ ؟

قالت : أيّها الأمير ، كان يلمُّ بي كثيراً . فأرسل إليَّ يوماً : « إنّي آتيكِ » . ففطن الحيّ فأرصدوا له . فلمّا أتاني سفرت ، فعَلِم أنّ ذلك لشرّ فلم يزد على التسليم والرجوع .

فقال : لله درّك ! فهل رأيت منه شيئاً تكرهينَهُ ؟

قالت : لا ، والله الذي أسأله أن يصلحك . غير أنّه قال لي مرّةً قولاً ظننتْ أنّه خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول [طويل] :

وذي حاجة قلنا له : لا تُبح بها   فليسَ إليها ما حييتَ سبيلُ

---

(1) في الأغاني 22 / 229 : ودوني تربة وصفائح .
(2) الصنح : صوت الصدى .
(3) الأغاني 11 / 198 والوفيات 2 / 48 .

لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَه وأنت لأخْرى صاحبٌ وخليل

فلا والذي أسأله أن يصلحك ، ما رأيت منه شيئاً حتّى فرّق الموت بيني وبينه .

قال : ثمّ مَه ؟

قالت : لم يلبث أن خرج في غزاة ، فأوصى ابن عمّ له : إذا أتيت الحاضرَ من بني عبادة ، فناد بأعلى صوتك [طويل] :

عفا الله عنها ، هل أبيتنّ ليلةً من الدهر لا يسري إليّ خيالُها

فخرجتُ وأنا أقول :

وعنه عفا ربّي وأحسن حاله فعزّ علينا حاجةٌ لا ينالُها

قال : ثمّ مه ؟

قالت : لم يلبث أن مات ، فأتى نعيُه .

قال : فأنشدينا بعض مراثيك فيه .

فأنشدت . ثمّ قال : سلي يا ليلى تُعْطَيْ .

قالت : أعطِ فمثلُك أعطى فأحسن .

قال : لك عشرون .

قالت : زد ، فمثلك زاد [فأجمل] .

قال : لك أربعون .

قالت : زد ، فمثلك زاد فأفضل .

قال : لك ستّون .

قالت : زد ، فمثلك زاد فأكمل .

قال : لك ثمانون .

قالت : زد ، فمثلك زاد فتمّم .

قال : لك مائة ، وٱعلمي يا ليلى أنّها غنم !

قالت : معاذ الله أيّها الأمير ، أنت أجوَدُ جوداً ، وأمجَدُ مجداً ، وأورى زنداً من أن تجعلها غنَماً .

قال : فما هي ويحك ؟

قالت : مائة ناقة برعائها .

فأمر لها بها . ثمّ قال : أيُّ نسائي أَحبُّ إليكِ أن أنزلكِ عندها الليلةَ ؟

قالت : ومَن نساؤك أيّها الأمير ؟

قال : أمّ الجلاس[1] بنت سعيد بن العاص الأمويّة / وهند بن أسماء بن [336 ب] خارجة الفزاريّة ، وهند بنت المهلّب بن أبي صفرة العتكيّة .

فقالت : القيسيّة أحبّ إليّ – أرادت الفزاريّة لأنّ فزارة من قيس عيلان – [فدخلت عليها فصبّت حليها عليها حتّى أثقلَتها لٱختيارها إيّاها ودخولها عليها دونَ مَن سواها][2] .

وذكر المدائنيّ أنّ الحجّاج لم يكن يظهر منه لجلسائه بشاشة ولا سماحة في الخلق إلّا في يوم دخلت عليه ليلى الأخيليّة ، فقال لها : بلغني أنّك مررتِ بقبر توبة بن الحمير فعدلتِ عنه . فوالله ما وفيتِ له ، ولو كان هو بمكانك ما عدل عنك .

---

(1) حاشية في الهامش : أمّ الجلاس هي بنت سعيد بن عبد الرحمان ... الأمويّ ، والجلاس مخفّف .

(2) ليلى الأخيليّة من عامر بن صعصعة . والإضافة من مروج الذهب 3 / 378 . وانظر العقد 1 / 322 .

قالت : أصلح الله الأمير ، إنّ لي عُذراً .

قال : وما عُذرك ؟

قالت : إنّي سمعتُه يقول : ولو أنّ ليلى الأخيليّة ... وكان معي نسوة قد سمعنَ قوله فكرهتُ أن أكذّبه .

فاستحسن الحجّاج قولها وقضى حوائجَها وانبسط في محادثتها . فلم نرَ منه بشاشة وأريحيّةً داخَلتْه مثل ذلك اليوم .

* * *

ويروى عن بعض الفقهاء قال[1] : دعاني الحجّاج فسألني عن الفريضة المخمّسة ، وهي : أمّ ، وجدٌّ ، وأختٌ . فقال لي : ما قال فيها الصدّيق رضي الله عنه ؟

قلت : أعطى الأمّ الثلث ، والجدّ ما بقيَ لأنّه كان يراه أباً .

قال : فما قال أمير المؤمنين – يعني عثمان رضي الله عنه ؟

قلت : جعل المال بينهم أثلاثاً .

قال : فما قال ابن مسعود رضي الله عنه ؟

قلت[2] : أعطى الأختَ النصف ، والأمَ ثلثَ ما بقيَ . والجدَّ الثلث لأنّه كان لا يفضّل أباً على جدّ .

قال : فما قال فيها زيد بن ثابت ؟

قلت : أعطى الأمّ الثلث ، وجعل ما بقي بين الأختِ والجدّ للذكر مثل حظّ الأنثيين لأنّه كان يجعل الجدّ كأحد الإخوة .

(1) هذه الفريضة في العقد 5 / 33 ، مع اختلاف ، فأحد الخمسة هو ابن عبّاس عوض أبي بكر .

(2) في العقد : جعلها من ستّة فأعطى الجدّ ثلاثة ، والأم اثنين والأخت سهما .

(قال) فزمّ أنفه ثمّ قال: فما قال فيها أبو تراب؟

قلت: أعطى الأمّ الثلث، والأخت النصف، والجدّ السدس.

فأطرق ساعةً ثمّ رفع رأسه فقال: فإنّه امرؤٌ يرغب عن قوله[1].

وجلس الحجّاج يوماً يأكل في جماعة، منهم محمد بن عمير[2] بن عطارد ابن حاجب بن زرارة، وحجّار بن أبجر بن بجير[3] العجلي. فأقبل على محمد بن عمير فقال: يا محمد، يدعوك قتيبة بن مسلم إلى نصرتي يوم رُسْتاق باذ، فتقول: هٰذا أمرٌ لا ناقة لي فيه ولا جمل! لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملاً! يا حرسيّ، خذ بيده وجرّد سيفك فاضرب عنقه!

فنظر الحجّاج إلى الحجّار وهو يبتسم فدخلته العصبيّة. وكان مكان حجّار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مضر. وأتي الخبّاز بفرنيّة أولَبنيّة[4] فقال: اجعلها ممّا يلي محمّداً، فإنّ اللبن يعجبه. يا حرسيّ، شمّر سيفك (يعني: أغمده) وانصرف!

وقال الحجّاج على المنبر: يزعمون أنّا من بقايا ثمود. والله يقول: ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ (النجوم، 51).

وقال يوماً لأبي العسوس الطائي: أيّ أقدمُ، أنزولُ ثقيف الطائف أم نزول طيّىء الجبلين؟

فقال أبو العسوس: إن كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيّ الجبلين قبلها. وإن كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم.

---

(1) حاشية في الهامش: قبّح الله الحجّاج! بل عليّ امرُؤ يُرغب في قوله!.

(2) محمد بن عمير، له ترجمة في لسان الميزان 5/ 330.

(3) أبجر والد الحجّار مات بالكوفة على النصرانيّة.

(4) قراءة تقريبيّة، والفرنيّة نوع من الهريسة، واللبنيّة حلوى من اللبن الحامض (دوزي).

فقال الحجّاج : يا أبا العسوس ، اتّقني ، فإنّي سريع الخطفة للأحمق المتهوّك !

فقال أبو العسوس [طويل] :

يؤدّبني الحجّاجُ تأديبَ أهله فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا
وإنّي لأخشى ضربةً ثقفيّة يَقُدُّ بِهَا مِمَّن عصاه المُقَلَّدا
على أنّني ممّا أحاذر آمنٌ إذا قيل يوماً : قد عتا المرءُ واعتدى

انتقامه من الموالى لخروجهم مع ابن الأشعث

ونظر الحجّاج بعد وقعة ابن الأشعث فإذا جُلُّ مَن خرج معه ، من الفقهاء وغيرهم ، من الموالي . فأحبّ أن يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ويخلطهم بأهل القرى والأنباط ، فقال : إنّما الموالي علوج ، وإنّما أوتي بهم من القُرى ، فقراهم أولى بهم[1] .

فأمر بتسييرهم من الأمصار ، وإقرار العرب بها . وأمر أن ينقش على يد كلّ إنسان منهم اسم قريتهِ التي وجّهه إليها . وطالت ولاية الحجّاج فتوالد القوم هناك فخبثت لغاتُ أولادهم وفسدت طباعهم .

فلمّا قام سليمان بن عبد الملك أخرج مَن كان في سجن الحجّاج من
[337أ] المظلومين ، وكانوا / ثمانين ألفاً ، وردّ المنقوشين فرجعوا في صورة الأنباط ، ففي ذلك يقول الراجز :

جارية لا تدري ما سَوقُ الإبل أخرجها الحجّاج من كِنّ وظلّ
لو كان بدر حاضراً وابن حمل ما نُقِشت كفّاك في جلدٍ جلل[2]

(1) العقد 3 / 416 .

(2) في العقد 3 / 417 : لو كان شاهدًا حذيف وحمل ... كفّاك من غير جدل . وحذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريّ .

وقال شاعر لمّا استقضي أبو عصمة نوح بن درّاج على الكوفة [بسيط] :

يا أيّها الناس قد قامت قيامتُكم   إذ صار قاضيَكم نوحُ بن درّاجِ[1]
لو كان حيًّا له الحجّاج ما سلمت   كفّاه ناجيةً من نقش حجّاج

ويروى عن حسّان النبطيّ[2] قال : رأيتُ الحجّاج فيمَا يرى النائمُ ، فقلتُ : أصلح الله الأمير ، ما صنع الله بك ؟

فقال : يا نبطيّ ، أَهْدَأْ عليك !

فقال حسّان : « فرأيتُنَا لا نفلت من نقشِهِ في الحياة ومن شتمه بعد الوفاة ! » ويروى أنّه قصّ هٰذه الرؤيا على ابن سيرين فقال له : لقد رأيتَ الحجّاج بالصحّة .

وكان العديل بن الفرخ بن معن بن أسود بن عمرو بن جابر بن ثعلبة بن سنيّ بن الحرث بن ربيعة بن عجل بن لحيم العجليّ هارباً من الحجّاج فجعل لا يحلّ ببلدة إلّا ريع لأثر يراه من آثار الحجّاج ، فهرب حتّى أبعد . في ذلك يقول [طويل] :

يُخوِّفُني الحجّاج حتى كأنّما   تحرّك عظم في الفؤاد مهيضُ
ودون يدِ الحجّاج من أن تنالني   بساط لأيدي اليعملات عريض
مهامِهُ أشباه كأنّ سرابها   ملاءٌ بأيدي الغاسلات رحيض

فلم ينشب أن أُتي به الحجّاج ، في ذلك يقول العديل [طويل] :

فلو كنتُ في سلمى أجأْ وشعابها   لكان لحجّاج عليّ دليلُ
خليلُ أمير المؤمنين وسيفُه   لكلّ إمام مصطفى وخليل

---

(1) العقد 3 / 417 : إنّ القيامة فِيمَا أحسُب اقتربَت .

(2) حسّان النبطي : كاتب الحجّاج ، كان نصرانيّاً فأسلم على يد ابن المنتشر في أيّام هشام (الوزراء والكتّاب ، 61) .

بنى قبّةَ الإسلام حتى كأنّما أتى الناسَ من بعد الضلال رسول

وقال سوّار بن المضرّب ، وقد هرب من الحجّاج [طويل] :

أقاتليَ الحجّاجُ إن لم أزر له دراب وأترك عند هندٍ فؤاديا[1]
فإن كان لا يرضيك حتى تردّني إلى قطريّ ما إخالك راضيا
إذا جاوزَت درب ٱلمجيزين ناقتي فباست أبي الحجّاج لمّا ثنانيا[2]
أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميمٌ والفلاة ورائيا[3]

وكان محمد بن عبد الله بن نمير بن أبي نمير النميري الثقفيّ يشبّب بزينب بنت يوسف أخت الحجّاج ، وفيها يقول من أبيات [طويل] :

تضوّع مسكاً بطنُ نعمان إذ مشت به زينبُ في نسوة عطرات
يُخْنين أطرافَ البنان من التقى ويخرجن شطر الليل معتجرات

فطلبه الحجّاج فهرب منه ، ثمّ أتي به إليه فقال [طويل] :

[ف]ـهاك يدي ، ضاقت بي الأرضُ رُحْبُها وإن كنت قد طوّفتُ كلّ مكان[4]
فلو كنت بالعنقاء أو بِأَسومِها لخلتك إلاّ أن تَصُدّ قراني[5]

---

(1) حاشية : أراد دَرابجرد ، إلّا أنّه كسر الدال ، وكسر الدال ليس ظاهرًا في المخطوط ، فالتعليق من الناسخ ولعلّه ترجم خطّ المقريزيّ . وقال ياقوت : دَرابجرد : كورة بفارس .

(2) قراءة الشطر الثاني عسيرة . ولا غناء في نقل الخزانة ، 7/ 55 .

(3) في حواشي المخطوط ، وهي هنا كثيرة : أراد بورائي : أمامي : قال تعالى : ﴿ وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾ (مريم ، 5) وقال : ﴿ وكان وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَة غَصْبًا ﴾ (الكهف ، 79) .

(4) العقد 5 / 324 . وفي هذا البيت . فداك أبي .

(5) حاشية : أُسُومها فيه فتح الهمزة وضمّها ، والفتح أكثر لأنّه موضع ، والضمّ قليل لأنّه من بناء الجموع .
وفي العقد : بتخومها .

ثمّ قال : والله يا أيّها الأمير ، والله إن قلت إلّا خيراً ، إنّما قلت :

يحنِين أطراف البنان من التقى ويخرجن شطر الليل معتجرات

/فعفا عنه . ثمّ قال : أخبرني عن قولك [طويل] : [337 ب]

ولمّا رأت ركب النميريّ أعرضَت وكُنَّ مِنَ أن يلقَينَه حذرات

في كم كنتم ؟

قال : كنت على حمار هزيل ، ومعي صاحب على أتانٍ مثله .

* * *

ويقال إنّ الحجّاج كان هو وأخوه معلّمَين بالطائف ، وكان لقبُه كليباً ، وفي ذلك يقول القائل [متقارب] :

أينسى كليب زمانَ الهُزال وتعليمه سورة الكوثر ؟

رغيف له فلكةٌ ما تُرى وآخر كالقمر الزاهر

يريد أنّ خبزَ المعلّمين يأتي مختلفاً لأنّه من بيوت صبيان مختلفي الأحوال .

وقال آخر [متقارب] :

كليب تمكّن في أرضكُم وقد كان فينا صغير الخطر

ولمّا دخل الحجّاج مكّة اعتذر لأهلها بقلّة ما وصلهم به ، فقال قائِل منهم[1] : إذن والله لا نَعذُرك ، وأنت أمير العراقين ، وآبن عظيم القريتين ، يريد عروة بن مسعود الثقفيّ [والوليد بن] المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . فأمّا عروة فإنّه ولد الحجّاج من قِبل أمّه .

ثكله في آبنه وأخيه

ورأى الحجّاج في منامه أنّ عينيه قُلِعَتا فطلّق الهندَين : هند بنت المهلّب ،

(1) العقد 1 / 254 - والاعتراض منسوب إلى الشعبيّ .

وهند بنت أسماء بن خارجة . فلم يلبث أن جاءه نعيُ أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنُه محمّد ، فقال : هٰذا والله تأويل رؤياي . (ثم قال) : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، محمد ومحمد في يوم واحد ! (ثم قال – طويل)[1] :

[فـ]ـحسبي بقاء الله من كلّ ميّت وحسبي رجاء الله من كلّ هالك
إذا كان ربّ العرش عنّيَ راضياً فإنّ شفاءَ النفس فيمَا هُنَالِك

وقال : مَن يقول شعراً يسلّيني به ؟

فقال الفرزدق[2] [كامل] :

إنّ الرزيَّةَ لا رزيّة مثلها فقدان مثلِ محمّدٍ ومحمّد
ملكان قد خلت المنابر منهما أخذ الحِمامُ عليهما بالمرصد

فقال : لو زدتني ؟

فقال [بسيط] :

إنّي لباكٍ على ابنَي يوسفٍ جزعاً ومثل فقدهما للدين يبكيني
ما سدّ حيٌّ ولا ميت مسدَّهما إلّا الخلائف من بعد النبيّين[3]

فقال : ما صنعت شيئاً ، إنّما زدتَ في حزني .

فقال الفرزدق [طويل] :

لئن جزع الحجّاجُ ما من مصيبةٍ تكون لمحزون أجلَّ وأوجعَا
من المصطفى والمصطفى من خيارهم جناحيه لمّا فارقاه فودّعا
أخ كان أغنى أيمنَ الأرض كلّه وأغنى ٱبنُه أهلَ العراقين أجمعا

---

(1) العقد 1 / 123 .
(2) ديوان الفرزدق ، 190 .
(3) هذان البيتان مفقودان من الديوان .

جناحا عقاب فارقاه كلاهُما ولو نزعا من غيره لتضعضعا[1]

قال : الآن !

وكتب الحجّاج بعد وفاة أخيه محمد بن يوسف إلى الوليد بن عبد الملك : أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنّه أصيب لمحمّد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار . فإن يكن أصابها من حلّها فرحمَه الله . وإن تَكُن من خيانة فلا رحمه الله !

فكتب إليه الوليد : أمّا بعد ، فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيمَا خلّف محمد ابن يوسف . وإنّما أصاب ذلك المال من تجارة أحلَلْناها له . فترحَّمْ عليه رحمَه الله .

الحجّاج وجرير

ولمّا دخل جرير بن الخطفى العراق أتى أبا يوسف الحكم بن أيّوب بن يحيى بن الحكم بن أبي عقيل الثقفيّ ، وهو على البصرة . فكتب الحكم في ذلك إلى الحجّاج : إنّه قدم عليَّ أعرابيٌّ باقعة لم أرَ مثله .

فكتب إليه أن يحمله معه . فلمّا دخل عليه قال : يا جرير ، بلغني أنّك ذو بديهةٍ فقل في هٰذه الجارية - لجارية قائمة على رأسه . فقال جرير : ما لي أن أقول فيها حتّى أتأمّلها ، وما لي أن أتأمّل جارية الأمير .

فقال : بلى .

فتأمّلها وسألها وقال لها : ما ٱسمُك يا جارية ؟

فأمسكت فقال الحجّاج : خبّريه يا لخناء .

فقالت : أمامة .

فقال جرير [كامل] :

(1) ديوان الفرزدق 494 ، مع اختلاف كثير .

ودّع أمامة حان منك رحيل إنّ الوداع لمن تُحبّ قليل
مثل الكثيب تمايلت أعطافه والريح تجبر متنه وتُهيل
هٰذي القلوب صوادياً تيّمتها وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ[1]

فقال الحجّاج : قد جعل الله لك السبيل إليها ، خذها ! هي لك .

فضرب بيده إلى يدها فتمنّعت عليه فقال :

إن كان طبَّكُمُ الدلالُ فإنّه حسَنٌ دلالُكِ يا أُمَيْمَ جميلُ

فاستضحك الحجّاج ، وأمر بتجهيزها معه إلى اليمَامة ، وكانت من أهل الريّ ، وكان إخوتها أحراراً ، فاتبعوه فأعطوه بِها حتى بلغوا عشرين ألفاً فلم يفعل .

* * *

وقال الوليد بن عبد الملك للحجّاج في وفدة وفدها عليه : هل لك في الشراب ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، ليس بحرام ما أحللتَه . ولكنّي أمنعُ أهل عملي منه ، وأكره أن أخالفَ قول العبد الصالح ، وما أريد أن أخالفهم إلى ما أنهاهم عنه .

فأعفاه .

* * *

ويذكر أنّ أوّل عمل وليَه الحجّاج تبالة . فلمّا سار إليها وقرب منها قال للدليل : أين هي ؟ وعلى أيّ سمت هي ؟

قال : تسترُها عنك هٰذه الأكمة .

---

(1) ديوان جرير ، نشر الصاوي ، 472 .

قال : لا أراني أميراً على عملٍ تستره عنّي أكمة . أهوِن بها عليّ !

وكرّ راجعاً فقيل في المثل : أهون من تبالة على الحجّاج .

* * *

ولمّا حضرت الحجّاجَ الوفاة قال للمنجّم : هل ترى ملكاً يموت ؟

قال : أرى ملكاً يموت ٱسمُه كليب ، وأنت ٱسمك الحجّاج .

قال : أنا والله كليب : أُمّي سمّتني به وأنا صبيّ .

فمات .

* * *

وٱستخلف على الخراج يزيد بن أبي مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن أبي كبشة .

* * *

وقال الحجّاج مرّة لعبد الرحمان بن الأشعث : عمدتَ إلى ما لله فجعلته تحت ... – وتلجلج خوفاً من أن يقول قذعاً أو رفثاً كما يقول الناس : تحت ٱستك – ثم قال : تحت ذيلك .

وكتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان يعظّم أمر قطريّ . فكتب إليه عبد الملك : أوصيك بمَا أوصى به البَكريّ زيداً .

[فقال الحجّاج لحاجبه : نادِ في الناس : مَن يُخبِرُ الأميرَ بمَا أوصى به البكريّ زيداً] فله عشرة آلاف درهم[1] .

فقال له رجل : أنا أُخبِرُه .

فأدخله عليه ، فقال له : ما قال البكريّ لزيد ؟

قال : قال لٱبن عمّه زيد – والشعر لموسى بن جابر الحَنَفيّ – [طويل] :

(1) زيادة من ذيل الأمالي ، 71 .

أقول لزيدٍ : لا تثرثر فإنّهم يرونَ المنايا دون قتلك أو قتلي
فإن وضعوا حرباً فضَعْهَا ، وإن أَبَوْا فَشُبٌّ وَقُودَ الحربِ بالحطب الجزلِ
وإن عضَّتِ الحربُ الضروسُ بنابِها فعرضَةُ حرّ الحرب مثلك أو مثلي

فقال الحجّاج : صدق أمير المؤمنين : عرضة نار الحرب مثله أو مثلي .

قصّة المتمنّية أمّ الحجّاج مع نصر

وحضر الحجّاج يوماً مجلس عبد الملك بن مروان ، وعروة بن الزبير عنده يحدّثه ويقول : قال أبو بكر كذا ، وسمعتُ أبا بكر يقول كذا -- يعني أخاه عبد الله بن الزبير . فقال الحجّاج : أعند أمير المؤمنين تكنّي أخاك المنافق ، لا أمّ لك !

فقال عروة : يا ٱبنَ المتمَنِّية ، أَلِي تقول : لا أمَّ لك ، وأنا ابن عجائز الجنّة ، صفيّة وخديجة وأسماء وعائشة ، رضوان الله عليهنّ ؟

وهٰذه المتمَنيّة هي الفريعة بنت الهمام ، أمُّ الحجّاج . وقيل إنّ أصحاب الحجّاج كانوا يصيحون بٱبن الزبيّر أيّام محاربته بمكّة : يا ٱبن ذات النطاقين ! -- وهم يظنّون ذلك سبًّا ، فيقول عبد الله بن الزبير : أمّي والله ! -- وينشد بيت أبي ذؤيب [طويل] :

وعيَّرها الواشون إنّي أحبُّها وتلك شكاة ظاهر عنك عَارُها

[338ب] /ويحمل ويقول : مكانك يا ٱبن المتمنّية -- يعني أمَّ الحجّاج .

وقيل للفريعة أمّ الحجّاج « المتمنّية » لقولها في نصر بن حجّاج بن عِلاط بن خالد بن نويرة بن خالد بن حنشر بن نويرة بن هلال بن عبيد بن ظفر بن بهصر [بسيط] :

هل من سبيل إلى خمرٍ فأشربَها أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجّاج ؟
إلى فتى ماجدِ الأعراق مقتبل سهل المحيّا كريم غير ملجاج

نَمَته أعراق صدقٍ حين تنسبه   أخو حفاظٍ عن المكروب فرّاج
سامي النواظر من بعد له مهَل   تضيءُ صورتُه في الحالك الداجي
نعم الفتى في سواد الليل يطرقه   لبائس وللمهوفٍ ومحتاجِ[1]

وكانت تهوى نصراً هٰذا حتى ضُرب بها المثل فقيل : أصبّ من المتمنّية . وكان نصر أحسنَ أهل زمانه صورةً فضنيت من حبّه ودنِفت من الوجد به ، ثمّ لهجت بذكره حتى سار ذكره هجّيراها . فمرّ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ذات ليلة فسمعها تقول رافعة صوتها : هل من سبيل إلى خمر فأشربَها ... الأبيات – فقال عمر : « مَن هٰذه المتمنّية ؟ » فعُرّف خبرها ، فلمّا أصبح أحضر المتمنّى ، فلمّا رآه بهره جمالُه فقال له : أنت الذي تتمنّاك الغانيات في خدورهنّ ، لا أمّ لك ؟ والله لأزيلَنَّ عنك رداء الجمال !

ثمّ دعا الحجّامَ فحلقه . ثُمَّ تأمّله فقال : « أنت محلوقاً أحسن » . فأمره أن يعتمّ فافتتن النساء بعِمّته . فقال عمر : والله لا تساكنّي بلداً .

فقال : وأيّ ذنبٍ لي في ذلك ؟

قال : صدقتَ ، الذنب لي إذ تركتُك في دار الهجرة .

ثمّ أركبه جملاً وسيّره إلى البصرة وكتب معه إلى مجاشع بن مسعود السلميّ : « إنّي صيّرتُ إليك المتمنّى نصرَ بن حجّاج السلميّ إلى البصرة » . فاستلب نساء المدينة لفظة عمر فضربن بها المثل فقلن : « أصبّ من المتمنّية » فصارت مثلاً . وقال نصر بن حجّاج لمّا حلق [طويل] :

لقد حسد الفرعان أصلع لم يكن   إذا ما مشى بالفرع بالمتخايل
فصلّع رأساً لم يصلّعه ربّه   يرفُّ رفيفاً بعد أسود جائل

(1) عيون الأخبار 4 / 23 .

وٱشتدّ على أمّ نصر غيبة ٱبنها فعرضت لعمر بين الأذان والإقامة . فلمّا خرج يريد الصلاة قالت : يا أميرَ المؤمنين لأحاكمنَّك بين يدي الله ! أيَبيتُ عبد الله وعاصم إلى جنبك ، وبيني وبين ٱبني المفاوز والفيافي ؟

قال لها : إنّ عبد الله وعاصماً لم تهتف بهما الغواني العواتق في خدورهنّ .

وكتب نصر بن حجّاج من البصرة إلى عمر : سلام عليك ، أمّا بعد [طويل] :

لعمري لئن سيَّرتني أو حَرَمتَني ... لَمَا نلتَ من عِرضي عليك حرامُ
أإن غنّت الحسناءُ يوماً بمُنيةٍ ... وبعض أمانيّ النساءِ غَرامُ
ظننتَ بيَ الأمرَ الذي ليس بعده ... عزاءٌ ، وَما لي في النديّ كلامُ
ويمنعُني ممّا ظننتَ تكرّمي ... وآباء صدق طاهرون كرامُ
ويمنعُها ممّا ظننتَ صلاتُها ... وحصن لهَا في قومها وصيامُ
فهاتانِ حَالَانَا فهل أنت راجعي ... فقد جُبَّ منّا غاربٌ وسنام

فقال عمر رضي الله عنه : أما ، ولي من الأمر شيء ، فلا !

وأقطعه مالاً بالبصرة ودارا فٱستوطنها .

وقصّة نصر بن حجّاج مع شميلة

وكما قالوا بالمدينة : أصبُّ من المتمنّية ، قالوا بالبصرة : أدنف من المتَمَنَّى . وذلك أنّ نصراً لمّا ورد البصرة أخذ الناس يسألون عنه ويقولون :
[339أ] « أين المتمنّى الذي سيّره عمر ؟ » فغلب عليه هٰذا الاسم بالبصرة كما غلب ذلك الاسم / على عاشقته بالمدينة . وذلك أنّه لمّا نزل البصرة أنزله مجاشع بن مسعود منزلَه من أجل قرابته ، وأخدمَه ٱمرأتَه شُميلة ، وكانت أجمل ٱمرأة بالبصرة فعلقته وعلقها ، وخفي على كلّ واحدٍ منهما خبرُ الآخر لملازمة مجاشع ضيفه . وكان مجاشع أميًّا ، ونصر وشميلة كاتبَيْن . فعيل صبر نصر فكتب على الأرض بحضرة مجاشع : إنّي قد أحببتُك حبًّا لو كان فوقك لأظلّك أو تحتك [لأقَلَّكِ] .

فوقَّعَتْ تحته غير محتشمة : « وأنا » . فقال مجاشع لها : ما الذي كتب ؟

قالت : كتب : ما الذي تحلب ناقتُكم ؟

فقال : وما الذي كتبتِ تحتهُ ؟

فقالت : كتبت : وأنا .

فقال مجاشع : كم تحلب ناقتكم ، وأنا : ما هٰذا لهٰذا بطبق !

فقالت : أصدقك ، إنّه كتب : كم تغلّ أرضكم ؟

فقال مجاشع : كم تغلّ أرضكم ، وأنا ، ما بَين كلامِه وجوابك قرابة !

ثمّ كبّ على الكتابةِ جفنةً ، ودعا بغلام من الكتّاب فقرأ عليه فٱلتفتَ فقال : يا ٱبن عمّ ، ما سيّرك عمر من خير . قُم ، فإنّ وراءك أوسع لك .

فنهض مستحيياً ، وعدل إلى منزل بعض السُلَمِيِّين فوقع لجنبه فضنيَ من حبّ شميلة ودنف حتّى صار رحمة ، وانتشر خبرُه ، فضرب نساء البصرة به المثل فقلن : أدنَفُ من المتمنّى .

ثمّ إنّ مجاشعاً وقف على خبر علّة نصر ، فدخل عليه عائداً ، فلحقته رقّة لما رأى به من الدنف . فرجع إلى بيته وقال لشميلة : عزمت عليك لما أخذت خبزة فلُكتِها بسَمن ثم بادرت بها إلى نصر .

فبدرت بها إليه ، فلم يكن به نهوض . فضمّته إلى صدرها وجعلت تلعقه بيدها . فعادت قواه وبرىء كأن لم تكن علّة[1] . فقال بعض عوّاده : قاتل الله الأعشى ! لكأنّه شهد منهما النجوى حيث يقول [سريع] :

لو أسندت ميتاً إلى نحرها قام ولم يُنقل الى قابر

فلمّا فارقته عاوده النكس ، ولم يزل يتردّد في علّته حتى مات منها .

* * *

---

١ في المخطوط : فلتة .

ومرّ فتى من أهل الكوفة بالحجّاج وهو يعرض الناس ، فأعجبه فقال : ممّن أنت يا فتى ؟

قال : من قوم لم يكن فيهم جبان .

قال الحجّاج :أنت إذن من يام .

قال : أنا منهم . – ويام هٰذا هو يام بن أصبى بن رافع بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن عوف بن همدان . وكانت يام تدعى في الجاهليّة قتلة جبَانها . وكان فيهم جبان في الجاهليّة يقال له قنيب . فحلفوا ألّا يولد له ولد فيهم أبداً . وحلفوا على قتله . فقال لهم رجل منهم : ويحكم ! أَخصوه ولا تقتلوه ! فإنّه لا يولد له إذا كان خصيًّا ، ولا تحنثون في أيمَانكم .

فشاع ذلك في همدان فكرهت أن تذهب يام بهٰذا الذكر ، فقالوا : خذوا من كلّ قبيلة سهماً فآرموه بجميع السهام ، وإلّا حلنا بينكم وبينه .

فأجابوهم إلى ذلك ، فبعث إليهم من كلّ قبيلة بسهم ، ثمّ صيّروه هدفاً وجعلوا يرمونه وهم يقولون :

لله سهم ما نبا من عَيْنب حتى توارى نصله في مَنْشبِ

* * *

ويروى أنّ الحجّاج قدّم أسرى ليضرب أعناقهم ، وفيهم عامر بن حطان أخو عمران بن حطان في جماعة من الخوارج . فأمر بقتلهم ، وكان حنقاً على عامر لبسالتِه . فلمّا آنتهى القتلُ إليه قال للسيّاف : آقتل آبنَ الفاعلة ! – مقذعاً له .

فقال له عامر : يا حجّاج ، بئس ما أدّبك به أهلك ! أبعد الموت غاية أستبقيك لها ؟ ما يؤمّنك لو رددت عليك أضعاف ما قلت ؟

فاستحيى الحجّاج وقال : أفيك موضع للصنيعة ؟

قال : أجل .

فأمر له بفرس مسرّج وسيف محلّى ، وخلّى سبيله . فقال له الخوارج : لتعودَنَّ إلى محاربة عدوّ الله ، فإنّ الله أطلقك بخير .

قال : هيهات ! أسترقّ عُنُقاً مُعتِقُها ، وأرتهَن يداً مُطلقُها ! – ثم قال [كامل] :

أأقاتل الحجّاج عن سلطانه ... بيدِ تقرّ بأنّها مولاتُه ؟
إنّي إذن لأخو الدناءة والذي ... علّت على عرفانه جهلاتُه
ماذا أقول إذا وقفت إزاءه ... في الصفّ واحتجَّتْ له فعلاتُه / [339 ب]
أأقول جُرتَ عَلَيّ إني فيكمُ ... لأحَقُّ مَن جارت عليه ولاتُه
وحلَفت ما ظني بحقّ إنّني ... فيكم لمدره مطرق وعلاته[1]
تاالله لا كِدتُ الأمير بآلةٍ ... وجوارحي وسلاحها آلاته
وتحدّث الأكفاء أنّ صنائعاً ... غرست لديّ فحنظلت نخلاته
أبت الحزامة أن أبيت مَصَعِّراً ... خدّي وخَيْلُ الحق مُنْتَعِلاَتُه[1]

* * *

وقال الهيثم بن عديّ : دخل عبد الرحمان بن أبي بكرة على الحجّاج فقال : ما أذهب أسنانك ؟

قال : أكل الحارّ ، وشرب القارّ .

قال : فما طعامُكَ ؟

قال : أكتني[2] بِلُحُوم صغار المعز .

قال : فما شرابُك ؟

قال : ما حَلَّ قليله وحَرُم كثيرهُ .

(1) لم نفهم هٰذا البيت .
(2) قراءة ظنّيّة .

قال : فما الذي بَقَّى طرّتك ؟

قال : لم تأتِ عليّ ليلة إلّا تمرّختُ فيها بالبنفسج من قرني إلى قدمي .

(قال) فما زال الحجّاج يتمرّخ حتّى مات .

1122 - حجر بن الحارث المذحجيّ [- بعد 64][1]

حجر بن الحارث بن قيس المذحجيّ ، ويقال : حجر بن عمرو من بني الحارث بن [...] ، يكنّى أبا الورد .

حدّث عن أبي هريرة وعبد الله بن الزبير .

حدّث عنه الحارث بن يزيد ولهيعة بن عقبة .

شهد صفّين مع عليّ رضي الله عنه وحضر النهروان مع الحروريّة وآرتُثّ[2] . فكان أوّل من أتى مصر برأي الخوارج . وأقام بها حتى قام عبد الله آبن الزبير بمكّة بعد موت يزيد بن معاوية يدعو إلى نصرة الحرم ، فخرج إليه فيمن خرج منها ، والأمير بمصر يومئذ مسلمة بن مخلد الأنصاري . فأقاموا معه يمنعون الكعبة أن تُنتهك حُرمتُها . ثمّ قدم مع عبد الرحمان بن عتبة بن جحدم إلى مصر في شعبان سنة أربع وستّين ، ومعه جمع كبير من الخوارج الذين كانوا مع آبن الزبير من أهل مصر وغيرهم ، فأظهروا التحكيم وقالوا : لا حكم إلّا لله ، ودعوا إليه[3] .

---

(1) الكندي ، 41 . وهو عنده : حجر بن عمرو .

(2) آرتُثَّ بالبناء للغائب : جُرح .

(3) زاد الكنديّ : فآستعظم الجند ذلك .

1123 - الحرّ الأمويّ أمير مصر [-113] (1)

الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس آبن عبد مناف .

ولّاه هشام بن عبد الملك الصلاة والحرب بمصر فقدمها لثلاث خلون من ذي الحجّة سنة خمس ومائة بعد محمد بن عبد الملك بن مروان ، فأقرّ حفص آبن الوليد على شرطه . وانتقض عامّة أهل الحَوْف الشرقيّ من أجل أنّ عبيد الله آبن الحبحاب متولّي الخراج زاد على كلّ دينار قيراطاً . فبعث إليهم الحرّ بأهل الديوان فحَاربوهم وقتلوا منهم بشراً كثيراً وذلك سنة سبع ومائة ، وهو أوّل آنتقاض القبط بمصر . ورابط الحرّ بدمياط ثلاثة أشهر ، وآستخلف حفصاً ، ثمّ وفد إلى هشام بن عبد الملك في شوّال منها ، وآستخلف حفصاً [على الفسطاط] حتى قدم في ذي القعدة .

وفي إمارته آنحسر النيل عن البرّ . فكتب إلى هشام أنّ النيل آنكشف عن أرض ليست لمسلم ولا لمعاهد ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذنَ له بالبناءِ فيها فإنّ الناس مضطرّون إليها ، فأذن له في بنائها قيسارِيّة ، فآبتدأ بناءها في رجب منها حتّى فرغت .

وفي سنة ثمانٍ [ومائة] تباعد ما بينه وبين عبيد الله بن الحبحاب فكتب عبيد الله إلى هشام يُكثر من ذمّه . وكتب الحرّ يستعفي ، فصرفه هشام في ذي القعدة سنة ثمان ومائة ، فكانت ولايتُه على مصر ثلاث سنين سواءً .

وعاد إلى دمشق فولّاه الموصل ، فبنى بها داراً سُمّيت « المنقوشة » لأنّه نقشها بالسلاح والرخام والفصوص المنقوشة .

(1) الكندي ، 73 . مختصر آبن عساكر ، 23 / 280 (163) .

ورأى ذات يوم آمرأة تحمل جرّة ماءٍ فإذا تعِبت وضعتها ساعة ثمّ حملتها ، وذلك لبعد الماء . فكتب إلى هشام بذلك فأمره أن يحفر نهراً إلى البلد فحفره ، فكان أكثر شرب أهل البلدِ منه . وبقي العمل فيه عدّة سنين .

ولم يزل على الموصل حتّى مات بها في ذي الحجّة سنة ثلاث عشرة ومائة .

1124 – أبو عمر الجهنيّ المحدّث [– 204]

[340 أ] / حرملة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة الجهنيّ ، أبو عمر .

كوفيّ قدم مصر وحدّث بها عن أبيه وعمّه عبد الملك بن سبرة ، وعثمان بن مضرس .

حدّث عنه الحميديّ ، وعليّ بن حجر ، وأحمد بن الفرج الحجازيّ ، وطائفة كثيرة .

وقال آبن معين : ليس به بأس . وذكره آبن حبّان في الثقات . توفّي سنة أربع ومائتين .

1125 – حرملة بن عمران الحاجب [80 – 160] (1)

حرملة بن عمران بن قُرَاد ، مولى سلمة بن مخرمة ، التجيبي ، ثمّ من بني زُمَيلة ، أبو حفص .

ولد سنة ثمانين . وروى عن عبد الرحمان بن شمّاسة ، وعبد العزيز بن عبد الملك بن مليل .

---

(1) الوفيات 2 / 65 (في آخر ترجمة حفيده حَرملة بن يحيى رقم 1127) – الوافي 11 / 340 (498) .

روى عنه الليث بن سعد ، وعبد الله بن المبارك ، وجرير بن حازم ، ورشدين بن سعد ، وعبد الله بن وهب ، وأبو عبد الرحمان عبد الله بن يزيد المقرىء، وعبد الله بن صالح ، في آخرين .

وكان فقيهاً يحجب الأمراء زمن بني مروان ويقال له : حرملة الحاجب . وولي سوق مصر في إمرة عبد الملك بن موسى بن نصير . قال عبد الله بن يزيد المقرىء : أتينا حرملة بن عمران لنسمعَ منه يوم سَبت فخرج علينا راكباً على بغلة ، فقال : إنّ هٰذا يوم لا أشتغل فيه بغير المقابر .

قلت : وما تصنع في المقابر ؟

قال : أبكي على أهل الشرَف . إنّما الدين مع الشرف ، فإذا ذهب أهل الشرف ذهب الدين .

وقال ابن المبارك : حدّثني حرملة بن عمران ، وكان من أولي الألباب .

وانفرد ابن مبارك عنه بثلاثة أحاديث لم يحدّث بها عنه غيره ، وهي : حديث حرملة عن عبد العزيز بن عبد الملك بن مليل عن أبيه عن عقبة بن عامر يرفعه : لَيَقْرَأَنَّ القرآن أقوام . . .[1]

وحديثه عن عبد الله بن الحارث الأزدي عن عرفة [بن] الحارث الأزديّ .

وحديثه عن عبد الرحمان بن شمّاسة عن عرفة بن الحارث .

وتوفّي في صفر سنة ستّين ومائة .

وثّقَهُ آبن معين ، وخرّج له البخاري ومسلم والنسائي وآبن ماجة .

(1) في الجامع الصغير ، 2/ 139 : . . . من أمّتي يمرقون من الإسلام كما . . .

1126 – حرملة المدلجيّ[1]

حرملة بن معن بن جشم المدلجيّ ، من الصحابة ، كان بمصر .

1127 – حرملة الزميليّ صاحب الشافعيّ [166 – 243][2]

حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن [عمران بن] قراد ، مولى بني زميلة ، من تجيب ، أبو حفص .

ولد سنة ستّ وستّين ومائة . وروى عن الشافعيّ وتفقّه به ، وصار من أئمّة أصحابه . وروى عن [أبي] عبد الله [محمد] بن وهب . ولم يكن بمصر أكتبُ عن ٱبن وهب منه . وذلك أنّ ٱبن وهب أقام بمنزلهم سنة وأشهراً مستخفياً من الأمير عبّاد بن محمد ، وقد طلبه ليولّيه قضاء مصر .

وروى عن أيّوب بن سويد الرملي ، وبشر بن بكر التنيسيّ ، وسعيد بن أبي مريم ، ومؤمّل بن إسماعيل .

وروى عنه مسلم في صحيحه ، وابن ماجة في سننه ، وأحمد بن الهيثم ، وحفيده أحمد بن طاهر بن حرملة ، والحسن بن سفيان ، ومحمد بن الحسن بن قتيبة ، وخلق .

وكان من أكثر الناس روايةً عن ٱبن وهب .

وعن حرملة : عادني ابن وهب في رمدٍ كان بي فقال لي : يا أبا حفص ، لا يُعاد منَ الرمد ، ولكنّك من أهلي .

---

(1) أسد الغابة 1 / 476 (1132) .

(2) وفيات 2/ 64 – السبكي 1/ 257 – ميزان الاعتدال 1/ 472 . أعلام النبلاء 11/ 389 (84) .

ونظر إليه أشهب فقال : هٰذا خير أهل المسجد . ولم يكن أبوه كذاك .

وقال يحيى بن معين : كان أعلم الناس بآبن وهب .

وقال ابن عديّ : سألتُ عبد الله بن محمد بن إبراهيم الفرهاذاني أن يملي علينا شيئاً من حديث حرملة . فقال لي : يا بنيَّ ، وما تصنعُ بحرملة ؟ حرملة ضعيف !

ثمّ أملى علينا عن حرملة ثلاثة أحاديث ، لم يزدني على ذٰلك .

وسمعت ابن سلم يقول : أتينا أحمد بن صالح فلم يحدّثني وذلك أنّي بدأت بحرملة ، ومن بدأ بحرملة لم يحدّثه أحمد . فحملت كتاب يونس بن يزيد ، وكنت كتبتُه عن حرملة لأرضيَه فحرقته بين يديه . فليتني لم أحرقه لأنّه لم يحدّثني .

وقال أحمد بن صالح : صنّف ابن وهب مائةَ ألف حديث وعشرين ألفَ حديث . فعند بعض الناس منها / الكلّ - يعني حرملة . [340 ب]

قال ابن عديّ : قال لنا محمد بن موسى : وكان أحمد بن صالح قد سمع في كتاب حرملة فأعطاه من سماعه النصف . (قال) وحديث ابن وهب كلّه عند حرملة ، إلّا حديثين : حديث ينفرد به أبو الطاهر آبن السرح ، وحديث يحدّث به عنه الغربَاء : فحديث أبي الطاهر : كلّكم سيّد[2] . وحديث الغرباء : لا حليم إلّا ذو عثرة[1] .

قال ابن عديّ : وحرملة روى عن ابن وهب والشافعي ما لم يروِه أحدٌ . فأمّا ابن وهب فكان متواريا في دارهم ، طُلِب للقضاء فتوارى عندهم فسمِع منه ما لم يسمَعه أحدٌ . فحديث ابن وهب ، مقطوعه ومسنده وأصنافُه ونسخُه ، كلّها عنده إلّا ما ذكرتُ من هٰذين الحديثين .

---

(1) الجامع الصغير 2 / 202 وبقيّة : ولا حكيم إلّا ذو تجربة .

(2) قراءة ظنّيّة .

وحدّث عن الشافعيّ بالكتب وحكاياتٍ منثورة لم يروها أحدٌ غيرَه . وكتب الشافعي التي رواها حرملة عنه فيها زيادات كثيرة ليست عند أحدٍ .

وحدّث عن غيرهما ممّن كتب عنه بمكّة ومصر ، وقد تبحّرتُ حديث حرملة الكثير وفتّشته فلم أجِدْ في حديثه ما يجب أن يُضعَّفَ من أجله . ورجل توارى ابن وهب عندهم ويكون حديثه كلُّه عنده ، فليس يبعُد أنْ يُغرب على غيره من أصحاب ابن وهب كتباً ونسخاً وإفرادات ابن وهب .

وأمّا حمل أحمد بن صالح عليه ، فإنّ أحمد سمع في كتبه من ابن وهب فأعطاه نصفَ سماعه ، ومنعه النصف ، فتولّد بينهُما العداوةُ من هٰذا . وكان من كان يبدأ إذا دخل مصر بحرملة لا يحدّثه أحمد بن صالح ، وما رأيت أحداً جمع بينهما فكتب عنهما جميعاً ، ورأينا أنّ مَن عنده حرملة ليس عنده أحمد ، ومَن عنده أحمد ليس عنده حرملة .

وتوفّي حرملة ليلة الخميس لتسع بقين من شوّال سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

وله كتاب المبسوط وكتاب المختصر في الفقه . وقد قال أبو حاتم : لا يُحتجُّ به .

1128 – **حرمي الورّاق** [559 – 647]

حرمي بن عبد الغني بن عبد الله بن أبي بكر ، أبو الكرم ، الأنصاريّ ، الخزرجيّ ، الورّاق .

ولد بمصر في سنة تسع وخمسين وخمسمائة تخميناً . وتوفّي بمصر في أواخر ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستّمائة .

1129 - حرمي الدقيقيّ [559 - 639][1]

حرميّ بن محمود بن عبد الله بن زيد بن نعمة بن كثير بن ماجد. أبو الحَرَم، الروبِيُّ الأصل، المصريّ المولد والدار. الدقيقيّ. الطحّان.

ولد بمصر سنة تسع وخمسين وخمسمائة تخميناً. وتوفّي بها بعد عَوده من الحجّ يوم الجمعة العشرين من صفر سنة تسع وثلاثين وستّمائة. ودفن من الغد بسفح المقطّم عند والده.

وذُكِر أنّه من رُوبَة. بلد بالشام - وهي بضمّ الراء وسكون الواو وفتح الباء الموحّدة.

1130 - حرمي الخرّاط [559 - 641][2]

حرميّ بن موسى بن عبد الله بن هلوات بن عبد الرحمان. أبو موسى وأبو مسعود، الجذاميّ، الزيديّ، الناتِليّ. المصريّ. الشافعيّ. الخرّاط.

ولد في نصف جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

1131 - حرمي الفاقوسي العامري [649 - 734][3]

حرمي بن قاسم بن يوسف. العامريّ. مجد الدين. أبو اليمن. الفاقوسيّ. الشافعيّ، وكيل بيت المال، وأحد نوّاب الحكم بالقاهرة. ومدرّس المدرسة

---

(1) التكملة 3 / 574 (3013).

(2) التكملة 3 / 619 (3117). ومنها ضبطنا النسبة وتاريخ الوفاة.

(3) الوافي 11 / 343 (505) — النجوم 9 / 305.

الناصريّة بجوار قبّة الإمام الشافعيّ بالقرافة .

ولد سنة تسع وأربعين وستّمائة تخميناً . وقرأ على الباجي الأصول ، وبرع في الفقه . وعُرف بالمروءة فقصده الناس لقضاء حوائجهم ، فكان يبذل فيها جهدَه ويبالغ في السعي لهم ، وقلّما مات أميرٌ كبير إلّا وأسند وصيّته إليه . فكان الناس يقولون عنه : هو آدم أبو البشر !

وكان وكيل بيْت الملك الظاهر بيبرس ، ووكيل الأمير أيبك الخزندار ، والأمير بكتمر الجوكندار الكبير .

وكان ساكناً خيّراً .

توفّي يوم الثاني من ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وقد أسنّ وعجز عن الحركة .

1132 – حريث الجذاميّ

حريث بن باهل بن عثمان بن ٱمرىءٱلقيس ، الجذاميّ . ثمّ الوائليّ – من وائل بن قصيّ بن سعد بن أناس بن حزام بن جذام – وكان رئيس جذام .

شهد فتح مصر .

1133 – أبو الخطّار الكلبيّ أمير الأندلس [– 129][1]

حسام بن ضرار بن سلامان بن خثيم بن ربيعة بن حصن بن ضمضم بن عديّ بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة / بن بكر بن عوف بن زيد [341أ]
اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن

(1) نفح الطيب 1 / 216 – ابن عذاري 2 / 33 – الأعلام 2 / 187 .

الحاف بن قضاعة . أبو الخطّار ، الكلبيّ ، أمير الأندلس .

قدم مصر ودخل إفريقيّة . فلمّا مات بلج بن بشر[1] وقام من بعده بالأندلس ثعلبة بن سلامة [العامليّ] وثارت البربر بناحية ماردة ، قال أبو الخطّاب يعرّض بيوم مرج راهط وما كان فيه بلاء كلب مع مروان بن الحكم[2] . وقيام القيسيّة مع الضحّاك بن قيس الفهريّ على مروان [طويل] :

أفادت بنو مروان قيساً دماءَنا   وفي الله إن لم يعدلوا حكَمٌ عدلُ
كأنّكمُ لم تشهدوا مرجَ راهطٍ   ولم تعلموا مَن كان ثمَّ له الفضلُ
وقيناكمُ حرَّ القنا بنحورنا   وليس لكم خيلٌ تُعَدُّ ولا رجلُ

فلمّا بلغ هشام بنَ عبد الملك ذلك كتب إلى حنظلة بن صفوان الكلبيّ[3] وقد آستعمله على إفريقيّة . أن يولّي أبا الخطّار الأندلس ، فولّاه وبعثه إليها ، فقدم في رجب سنة خمس وعشرين [ومائة] يومَ جمعة .

فدانت له . وفرّق جمعَ بلج بن بشر وعبد الرحمان بن حبيب[4] ، وأخرج ثعلبة بن سلامة[5] في سفينة إلى إفريقيّة . ثمّ أخرج بعده عبد الرحمان بن

---

(1) بلج بن بشر القشيريّ (ت 124) له ترجمة في المقفّى رقم 970 .

(2) أبو الخطّار وقومه يمنيّون ، وهذا التمثّل يُمهّد لتعصّبه لليَمنيّة على القيسيّة . ووقعة مرج راهط دارت سنة 64 بالشام بين جند الأمويّين وقد بايعوا مروان بن الحكم ، والضحّاك بن قيس الفهري القرشيّ وقد بايع عبدالله بن الزبير وتبعه أمل دمشق . انظر ترجمة الضحّاك في الأعلام 3 / 309 وترجمة عبدالله بن الزبير في المقفّى رقم 1481 .

(3) حنظلة بن صفوان (ت 127) له ترجمة في المقفّى 1313 .

(4) بلج مات . أمّا عبد الرحمان بن حبيب حفيد عقبة بن نافع فقد غامر بالأندلس فلم يفلح فتملّك إفريقيّة قسرًا سنة 126 ـ الأعلام 4 / 73 .

(5) ثعلبة بن سلامة كان والي الأندلس عند قدوم أبي الخطّار سنة 124 وكان هشام بن عبد الملك رتّب الولاية على هذا النحو : كلثوم بن عياض فبلج بن بشر آبن أخيه فثعلبة هذا ـ ابن عذاري 2 / 32 .

حبيب ، وأخرج مع ثعلبة أهل الشام فنزلوا القيروان مع حنظلة .

وأظهر أبو الخطّار عدلاً في الحكم وقصداً في السيرة [إلى أن مالت به العصبيّة في يمنيّته][1] . فأفسد أمرَه بسرعة وهاجت الفتنة : وذلك أنّ رجلاً من كنانة خاصم رجلاً من غسّان . فٱستعان الكناني بالصميل بن حاتم بن شمر ابن ذي الجوشن [كبير القيسيّة . وكان من طوالع بلج][1] . فكلّم فيه أبا الخطّار فأغلظ له فردّ عليه الصميل . فأقيم وضُرب قفاه فمالت عمامتُه[2] . وخرج فقيل له : نرى عمامتك مالت .

فقال : إن كان لي قوم فسيقيمونها .

ثمّ مضى فجمع له كما ذكر في ترجمته[3] . وأتى شدونة فٱستخلف أبو الخطّار على قرطبة . وخرج إليهم فٱقتتلوا في رجب سنة سبع وعشرين ومائة قتالاً شديداً فٱنهزم أبو الخطّار وأُسر ، بعدما قُتِل أصحابُه شرَّ قتل . وسجنه الصميل وثوابة بن سلامة الجذامي بقرطبة . وملكها ثوابة .

فسار عبد الرحمان بن حسّان الكلبي وأخرج أبا الخطّار من السجن[4] وٱستجاش اليمانيّة فٱجتمع لهُ خلق كثير وأقبل بهم إلى قرطبة وقاتل ثوابة والصميل ومعها المضريّة واليمانيّة . فلمّا ٱشتدّت الحرب نادى رجل : يا معشر اليمانيّة ، ما لكم تتعرّضون للحرب على أبي الخطّار . وقد جعلنا الأمير منكم ؟ – يعني ثوابة ، فإنّه كان من اليمن – ولو أنّ الأميرَ منّا لقد كنتم تُعذرونَ في قتالكم لنا . وما نقول هٰذا إلّا تحرّجاً من الدماء ورغبة في عافية العامّة !

---

(1) الزيادة من نفح الطيب 1 / 227 لتوضيح العصبيّة بين الغسّانيّ (يمنيّة) والكنانيّ (قيسيّة) .

(2) في النفح ، لا ذكر للضرب وإنّما قال : فأُقيم من مجلسه وتقنّع .

(3) ترجمة الصميل مفقودة .

(4) في البيان المغرب 2 / 35 أنّ أبا الخطّار أفلت من سجنه ، لا غير ، ولكنّه يزيد بعد حين : أخرجهُ عبد الرحمان بن نعيم الكلبيّ وهرب به إلى لبلة .

فقال الناس : صدق والله ! الأمير منّا ، فما بالُنا نُقاتلُ قومَنَا ؟

وتركوا القتال وٱفترقوا . وفرّ أبو الخطّار إلى باجة ورجع ثوابة إلى قرطبة ، فسمّي ذلك العسكرُ عسكر العافية[1] .

فلمّا مات ثوابة في سنة تسع وعشرين [ومائة] وأقام الصميل بعده يوسف ٱبن عبد الرحمان الفهري قال أبو الخطّار : إنّما أراد الصميل أن يصيّر الأمر إلى مضر – وسعى في الناس حتى ثارت الفتنة بين اليمن ومضر ، وٱجتمعت اليمنيّة إليه والمضريّة إلى الصميل ، وتزاحفوا وٱقتتلوا أيّاماً كثيرة قتالاً لم يكن بالأندلس أعظمُ منه . ثمّ أجلت الحرب عن هزيمة اليمنيّة . فمضى أبو الخطّار منهزماً وٱستتر في رحى [بشقندة] كانت للصميل ، فدُلّ عليه فأخذه الصميل وقتله .

وكان شجاعاً ذا رأي وكرم ، وهو الذي قسم كور الأندلس على أجناد الشام لمّا كثروا عنده ولم تحملهم قرطبة ففرّقهم في البلاد ، فأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسمّاها دمشق ، وأنزل أهل حمص إشبيلية وسمّاها حمص ، وأنزل أهل قنسرين بجيّان وسمّاها قنسرين ، وأنزل أهل الأردنّ بريّه وسمّاها الأردن ، وأنزل أهل فلسطين بشدونة / وسمّاها فلسطين ، وأنزل أهل مصر [341 ب] بتدمير وسمّاها مصر لشبهها بها ، فجرت أسماء هٰذه الكور على ذلك مدّة .

وكان أبو الخطّار مع فروسيّته وكرمه شاعراً محسناً . فمن شعره قولُه [بسيط] :

إنّ ٱبن بَكر كفاني كلّ مُعْضِلَةٍ ... وحطّ عن غاربي ما كان يؤذيني
إذا ٱتّخذتَ صديقاً أو هممتَ به ... فٱعمد لذي حسبٍ ترضاه أو دينِ
ما قدّر الله في مالي وفي ولدي ... لا بُدّ يدركني ، لو كنتُ في الصين

---

(1) في البيان 2 / 34 تبريرٌ آخر لهذا الأسم : هو جيش أبي الخطّار وقد أطلق سراح المسلمين من البربر وغيرهم الذين نادى ثَعلبة بن سلامة ببيعهم في سوق قرطبة بعد انتصاره على البربر الثائرين .

1134 ـ حسام القوّال [- بعد 615]

حسام بن علي بن مروان القوّال [. . .]

وحضر في ناحية بوصير سنة خمس عشرة وستّمائة في مجتمع وأنشد [طويل] :

سرت نفحةٌ كالمسك ، بل هي أعطرُ وأردية الظلماء تُطوى وتُنشرُ
فأوهمتُ صحبي أنّها عرف روضةٍ ينمّ بها واشي النسيم ويُخبر
وما هي إلّا نفحةٌ بَعثَت بها سليمى ، إلى صبّ ينام ويسهر
وإلّا فما ذاك النسيمُ الذي سرى بذي الأثْل عن عرف العبير يعبّر

فقام فقير اسمُه ثابت وتواجد وقال : « أعد ! » فأعاده .

ثمّ أنشد أيضاً [؟] :

يا سادتي بالذي أزعجني وثبّتكم
ومَن عليّ قضى دائم محبّتكم
لو كنت في القبر وأقسمتم بصحبتكم
قامت عظامي إلى الطاعة ولبّتكم

فجاء الفقير ومسك بطوقه ، وما زال ينهج[1] حتى مات .

وعملت دعوة مرّة في خانكاه سعيد السعداء بالقاهرة . وحضر في السماع خلق كثير من المشايخ وغيرهم . فغنّى القوّال وطاب[2] الجماعة ، وفقير فيهم لا يتحرّك . فلمّا كان في آخر السماع غنّي المغنّي مواليا :

(1) نهج بوزن ضرب وفرح : أخذ يلهث .
(2) في المخطوط : وطابوا .

إذا ٱجتمعتُم وهبّت نسمة الأسحار وقد تغنّت على أغصانها الأطيار
قولوا إذا لم تروا شخصي مع الحضّار مسكين فلان ، حظِيَ منّا ببعد الدار

فصاح ذلك الشاب وخرّ ميتاً رحمه الله .

1135 ـ العماد المحلّيّ [560 ـ 629][1]

حسام بن غزّي بن يونس ، أبو المناقب ، عماد الدين ، ابن الجمّال ، الشافعيّ ، المحلّيّ .

ولد سنة ستّين وخمسمائة ، وتفقّه بمصر على الشهاب أبي الفتح محمد بن محمود بن محمد الطوسي . وسمع من البوصيري وغيره .

وحدّث بمصر ودمشق ، وسكنها .

وكان لا يأكل لأحد شيئاً ولا للسلطان .. وإذا أحضر طعاماً أخرج من كمّه شيئاً وأكله . وكان لا يزال معه ألف دينار في وسطه . وتصدّر بالمحلّة في رجب سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

ومات في ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وستّمائة ليلة الأربعاء عاشر شهر ربيع الأوّل بدمشق . وخلّف مالاً كثيراً ورِثَهُ عصبتُه .

وكانت له معرفة حسنة بالأخبار وأيّام الناس مع دين وصلاح وورع .

ومن شعره قوله [خفيف] :

قيل لي : من هويتَ قد عبث الشعـ ـرُ بخدّيْه ، قلت : ما ذاك عاره
جَمرةُ الخدِّ أحرقَت عنبرَ الخا ل فمن ذلك الدخانِ عِذارُه

---

(1) التكملة 3 / 303 (2380) – الوافي 11 / 349 (515) – الوفيات 6 / 253 (في ترجمة غيره) .

وقوله [سريع] :

شوقيَ إليكم دون أشواقكم لكنّه لا بدّ أن يشرح
لأنّني عن قلبكم غائب وأنتُم في القلب لن تبرحوا"[1]

1136 – حسام بن نصر العقيليّ [– بعد 558][2]

[342 أ] / حسام بن نصر بن مبارك العقيليّ ، ابن أخت الصالح طلائع ابن رزيك ، الأمير عزّ الدين .

كان مقدّم عسكر الصالح . وتأخّر بعد زوال الدولة الفاطميّة . وسار إلى الشام ، ورحل إلى العراق ، وله شعر .

1137 – حسّان بن سيّار الأوزاعيّ

حسّان بن سيّار الأوزاعي ، رسول نبيّ الله شعيب .

مرّ بمصر لمّا بعثه إلى إفريقيّة . ذكر الهمدانيّ عن ابن الكلبيّ قال : أخبرني أبو بكر بن عيّاش عن سليمان الطويل ، عن عبد الرحمان بن زياد الإفريقيّ ، قال : خرجتُ بإفريقيّة مع عمّي إلى مزدرع لنا ، فحفر عمّي موضعاً فأصاب تراباً هشًّا فطمع فيه . فحفرنا عامّة نهارنا حتّى أفضينا إلى بيت كهيئة الأَزَج[3] ، وإذا فيه شيخ مسجّى بثوبه ، وعند رأسه كتاب إلى حسّان بن سيّار الأوزاعي رسول شعيب النبيّ ﷺ إلى هٰذه البلاد . فدعوتُ أهلها إلى الإيمان

(1) هكذا في المخطوط ، بالإقواء .
(2) اتّعاظ 3 / 236 ، 257 وهو فيه : حسام بن فضّة .
(3) الأذج : أزّجَ البيت : بناه طولا .

فكذّبوني وقتلوني ، ودفنتُ في هٰذا الحفر . فمنه يبعثني الله عزّ وجلّ فأخاصمهم يوم القيامة . — قاله الرشاطيّ .

وقال : ذكر[ه] ابن الكلبي في نسب حمير قال : ولد زيد بن سدد بن زرعة بن سبإ الأصغر م[ـا]لِكاً ومرثداً وهم الأوزاع ، بطن في همدان .

1138 — حسّان بن عبد الرحمان الجهنيّ [— 636][1]

حسّان بن عبد الرحمان بن حسّان بن محمد بن عبد الله ، الفقيه ، أبو علي ، الجهني ، المهدَويّ الأصل ، الإسكندراني المولد والدار .

سمع من النسفيّ وحدّث . وقرأ الأصول والطبّ ، وبرع فيهما .

توفّي بثغر الإسكندريّة في أواخر رجب سنة ستّ وثلاثين وستّمائة .

1139 — حسّان بن عتاهية [— 133][2]

حسّان بن عتاهية بن عبد الرحمان بن حسّان بن عتاهية بن خزر بن سعد بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن تجيب ، التجيبي ، أبو حسّان ، أمير مصر .

جالس عطاء بن أبي رباح وسمع منه ، وكان فقيهاً .

ولّاه مروان بن محمد بن الحكم[3] مصر بعد ٱستعفاء حفص بن الوليد ، وحسّان يومئذ بالشام . فكتب إلى خير بن نعيم الحضرميّ ليستخلفه فسلّم حفص

---

(1) الوافي 11 / 362 (527) وزاد : الطبيب — التكملة 3 / 511 (2883) .

(2) الكندي ، 85 — النجوم 1 / 300 .

(3) مروان الجعديّ ومروان الحمار .

إلى خير . ثم قدم حسّان يوم السبت لِثنتَي عشرة خلَت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين على الصلاة ، ومعه عيسى بن أبي عطاء على الخراج .

فأسقط فروض[1] حفص كلّها . فوثب به قوّاد الفروض وقالوا : « لا نرضى إلّا بحفص ! » وزحفوا إلى داره ، وعليهم رجاء بن الأشيم فحصروه وقالوا : ٱخرج عنّا حيث شئتَ فإنّك لا تقيم معَنا ببلدٍ .

وأخرجوا عيسى بن أبي عطاء صاحب الخراج ليومين بقيا من جمادى الآخرة فهرب ، وأعادوا حفصاً .

وكانت ولاية حسّان ستّة عشر يوماً .

فلمّا قدم حوثرة بن سهيل أميراً على مصر ، جعل حسّان على شرطة إمارته كلّها حتّى خرج من مصر فٱستخلفه عليها في قول . وقيل : بل ٱستخلف أبا الجرّاح بسر بن أوس الحرشي . فلمّا قدم مروان ، فرّ حسّان فيمن فرّ ، فمضى على وجهه من بوصير ومعه أبو الوليد ، فركبا قارباً في النيل ، فكانا لا يدخلان قريةً إلّا قالا لأهلها : « إنّ أميرَ المؤمنين قادم عليكم فأصلحوا له ما يحتاج إليه من النزل والعلف » ، فلا يظنّون إلّا أنّ الأمر كذلك حتى أتيا إخميم ، فنزلا بها ، وكان بها عبد الملك بن مدلج ، رجل من موالي مروان . فخاف أبو الوليد على نفسه ، فخرج حتى أتى أسوان . وأقام حسّان بإخميم . فأرسل من يشتري له طعاماً . فدلّ عليه عبد الملك بن مدلج فركب إليه ، ومعه رجل من المسوّدة كان شريكاً له ، من أهل خراسان من الأزد . فجعل ابن مدلج يغمز به وقال : « هلمّ أبا حسّان ! » فأخذه ووجّهه إلى صالح بن عليّ مقيّداً في النيل . فلمّا قدم ساحلَ الفسطاط ، أتي بحمار سقّاء فحُمل عليه عرضاً ، ثمّ أقبل به على خولان ، ثمّ دخل به على تجيب ، وهم جلوس في أنديتهم ، فما قام منهم أحد

---

(1) الفروض : عطاء الجند .

إلّا آبن أبي العوجاء ، فإنّه تبعه وهو يبكي . فقال له : ما يبكيك ؟ من ير يوماً يُريه .

ثمّ أدخل على صالح بن علي بن عبد الله بن عبّاس فقال له : كتبتُ إليك أماناً فأقرأتَ كتابي الجعدي !

فقال : كانت في عُنقي بيعة وفيتُ بها .

فأمر به فضُرب ستّةَ عشر سوطاً أو ثمانية عشر سوْطاً . ثمّ قال له : أفيك / [342 ب] خير إن آستبقيتُك ؟

قال : وأيّ خير فيَّ بعد هٰذا ؟

(وفي رواية : أمّا لك ، فلا يكون .

وفي رواية : لا خير في العيش بعد مروان) .

فأمر شعبة بن عثمان التميميّ ، وكان يخلف يزيد بن هانىء على الحرس أن يضرب عنقَه فقتله وصلبه . فأقام على الخشبة ثمانية عشر شهراً .

ويروى أنّ صالح بن عليّ لمّا أمر شعبة بقتل حسّان تركه أيّاماً ، فآجتمع إليه جماعة من بني رميلة ، فمتّوا إليه بالرحم وقالوا : أصلحك الله ، إنّ حسّان قد قتل منّا قتلى - يعنون أنّ حسّان سعى ببني رميلة إلى حوثرة حتّى قتل عامّتهم على مذهب الخوارج - فإن رأيتَ أن تنفذ ما أمر به الأمير أصلحه الله فعلت . قال شعبة : وأيُّ رحم بيني وبينكم ، وأنتم من كندة ، وأنا من تميم ؟

قالوا : إنّ أمّنا تميميّة .

فقال : أفعل ما سألتم ، والله لأقتلنّه ! - فقتله .

وكان يزيد بن هانىء ، وعامر بن إسماعيل سألا شعبة أن يؤخّر حسّان حتّى يكلّما فيه صالح بن عليّ فوعدهما ، ثمّ كلّما صالحاً فعفا عنه فوجداه قد قتلَه . وأتى كتاب أبي جعفر المنصور بعد قتل حسّان بيوم يوصيه بحسّان ، فوجدَه قد

قُتل .

وكان قتلُه في سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

وقال عبد الله بن عبد الرحمان بن معاوية بن حديج : سألني أبو جعفر المنصور قال : ما فعل حسّان بن عتاهية ؟

قلت : قتله شعبة .

قال : قتله الله ! كان لنا جليساً عند عطاء بن أبي رباح .

1140 – حسّان بن مالك الكلبيّ [– 65][1]

حسّان بن مالك بن بجدل بن دلجة بن أنيف بن قنانة بن عديّ بن زهير بن جنّاب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات آبن رفيدة بن ثور بن كلب بن وضرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف آبن قضاعة ، أبو سليمان ، الكلبيّ ، زعيم كلب ومقدّمهم .

شهد صفّين مع معاوية ، وكان على قضاعة دمشق يومئذ . وكان له مقدار ومنزلة عند بني أميّة . وله شعر .

وولّاه معاوية فلسطين . وأقرّه يزيد عليها لمّا بويع بعد أبيه ، حتّى مات وقام بعده آبنه معاوية بن يزيد .

فلمّا مات معاوية بن يزيد سار إلى الأردنّ يدعو إلى بني أميّة ، وقد بويع عبد الله بن الزبير بمكّة ، وآنتقضت الشام . فقال لأهل الأردنّ : ما شهادتُكم على آبن الزبير وقتلى الحرّة ؟

قالوا : نشهد أنّه منافق وأنّ قتلى الحرّة في النار .

---

(1) الوافي 11 / 359 (520) – تهذيب ابن عساكر 4 / 145 .

قال : فما شهادتُكم على يزيد وقتلاكم بالحرّة ؟

قالوا : نشهد أنّه على حقّ وأنّ قتلانا في الجنّة .

قال : فأنا أشهد : لئن كان يزيد وشيعتُه على حَقّ إنّهم اليوم عليه .

قالوا : صدقت ! نحن نبايعُك على أن نقاتلَ مَن خالفَك وأطاع ٱبنَ الزبير ، على أن تُجنّبنا هٰذين الغلامَين – يعنون عبد الله وخالد ابنيْ يزيد بن معاوية – فإنّا نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبيّ .

وكان الضحّاك بن قيس قد غلب على دمشق . فكتب إليه حسّان كتاباً يعظّم فيه حقّ بني أميّة ، وحسنَ بلائهم عنده ، ويذمّ ابن الزبير وأنّه خلع خليفتين – يعني يزيد ابن معاوية وٱبنَه معاوية بن يزيد – وأمره أن يقرأ كتابه على الناس .

وكتب كتابًا آخر ، وسلّمها إلى ناغضة [الكلبيّ][1] وقال له : إن قرأ كتابي على الناس ، وإلّا فٱقرأْ هٰذا عليهم – وكتب إلى بني أميّة أن يحضروا ذلك .

فقدم ناغضة دمشق فدفع كتابَ الضحّاك إليه ، وكتابَ بني أميّة إليهم .

فلمّا كان يوم الجمعة صعِد الضحّاكُ المنبر فقال له ناغضة : ٱقرأ كتاب حسّان على الناس .

فقال له : ٱجلس !

فقام إليه الثانية والثالثة ، وهو يقول له : ٱجلس !

فأخرج ناغضة الكتابَ وقرأه على الناس . فقال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : صدق حسّان وكذب ابن الزبير – وشتمه .

وقام يزيد ابن أبي النمس الغسّانيّ ، وسفيان بن الأبرد الكلبيّ فصدّقا حسّاناً وشتما ابنَ الزبير .

---

(1) الزيادة من الطبريّ ، 5/ 532 .

وقام عمرو بن يزيد الحكَميّ فشتم حسّاناً وأثنى على يزيد بن معاوية .

فصعد مرقاتين من المنبر ، فسكت الناس . ونزل الضحّاك فصلّى الجمعة ودخل القصر .

فجاءت كلب وأخرجوا سفيان بن الأبرد ، وجاءت غسّان فأخرجوا يزيد ابن أبي النمس ، وخالد وعبد الله ابنَي يزيد / ابن معاوية في أخوالها من كلب ، [343 أ] فأخرجوا الوليد بن عتبة .

وخرج الضحّاك فجلس بالمسجد وذكر يزيد بن معاوية وشتمه فثار به شابّ من كلب وضربه بعصا ، وكانت فتنة : فقيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحّاك . وكلب تدعو إلى بني أميّة وبيعة خالد .

فدخل القصر وأمتنع به حتّى خرج من الغد إلى صلاة الفجر . وبعث إلى بني أميّة يعتذر إليهم ، وأنّه لا يريد ما يكرهون . وأمرهم أن يكتبوا إلى حسّان – ويكتب معهم – ليسير من الأردنّ إلى الجابية ، ويسيرون من دمشق إليها ليبايعوا رجلاً منهم .

فكتبوا إلى حسّان ، وسار الضحّاك وبنو أميّة نحو الجابية . فأتاه ثور بن معن فقال : يا ضحّاك ، دعوتنا إلى آبن الزبير فبايعناك على ذلك ، وأنت تسير إلى هٰذا الأعرابيّ من كلب يستخلف آبن أخته خالد بن يزيد .

فقال : ما الرأي ؟

قال : أن نُظهرَ ما كنّا نَكتُمُ ، وندعو إلى ابن الزبير .

فرجع الضحّاك بمن معه من الناس فنزل مرج راهط ، ودمشق ضدّه .

وآجتمع حسّان وبنو أميّة وغيرهُم بالجابية ، فكان حسّان يصلّي بهم أربعين يوماً ، وهو يسلّم عليه فيها بالإمرة ، والناس يتشاورون . فقام الحصين بن نمير ، وروح بن زنباع في أمر مروان بن الحكم حتّى بُويعَ بالخلافة .

فشهد معه حسّان مرج راهط ، وقدم إلى مصر معه ثمّ مضى إلى الشام

وقام ببيعة عبد الملك بن مروان من بعد أبيه ، وبيعة أخيه عبد العزيز من بعده حتّى تمّت .

فلمّا قام عبد الملك بعد موت أبيه مروان لزمَه وقاتل معه عمرو بن سعيد الأشدق . فكان عمرو إذا خرج حميد بن حريث على الجبل ، أخرج عبد الملك سفيان بن الأبرد . فإذا أخرج عمرو بن زهير ابن الأبرد ، أخرج إليه عبد الملك حسّان ابن [مالك بن] بجدل . كان ذلك دأبهم أيّاماً حتّى ٱصطلح عبد الملك وعمرو .

ومات [. . .]

ومن شعره – وقيل : بل لرجل من كلب – [طويل] :

[فـ]إن لا يكن منّا الخليفة نفسُه فما نالها إلّا ونحن له شهود

وقال آخر [طويل] :

نزلنا لكم عن منبر [لو] علمتم بحسّان إذ لا تستطيعون منبرا

1141 – حسّان بن النعمان الغسّاني [– 80] [1]
صاحب فتوح المغرب

حدّث عنه أبو قبيل . وكان ممّن شهد فتح مصر ، وله رواية عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

فلمّا قُتل عقبة بنُ نافع ملك كسيلة القيروان إلى أن كانت خلافة عبد الملك ٱبن مروان [فـ]كتب عبد الملك بن مروان إلى حسّان بالنهوض إلى إفريقيّة ويقول

(1) الوافي 11 / 360 (521) – تهذيب ابن عساكر 4 / 146 – ابن عذاري 1 / 222 – النجوم 1 / 200 – الحلّة السيراء 2 / 331 – الأعلام 2 / 190 .

له : إنّي قد أطلقتُ يدَك في أموال مصر ، فأعطِ من ورد عليك من الناس ، وٱخرج إلى جهاد إفريقيّة .

فخرج في سنة ثلاث وسبعين ، ومعه جيش كبير ، حتى نزل طرابلس . وٱجتمع إليه من كان خرج من إفريقيّة وإطرابلس ، فوجّه على مقدّمته محمد بن أبي بكر ، وهلال بن ثروان اللواتي ، وزهير بن قيس[البلويّ] ، ففتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة .

وخرج إلى قرطاجنّة وفيها الروم ، فقاتلهم ، وهربوا في البحر إلى جزيرة صقلّيّة وغيرها ، فدخلها بالسيف ، ورجع إلى القيروان . وقال : دلّوني على أعظم ملك بإفريقيّة ! [– فدلّوه على ٱمرأة تملك البربر تُعرف بالكاهنة – وكانت تخبرهم بأشياء من الغيب – وقالوا له : إن قتلتها لم تختلف البربر بعدها عليك] . وهي بجبل أوراس .

فسار حتى نزل على نهر [نيني][1] ونزلت الكاهنة فٱقتتلوا قتالاً شديداً فهزمته وقتلت من أصحابه وأسرت منهم ثمانين رجلاً . وأفلت حسّان إلى أنطابلس ، ونزل قصوراً من حيّز برقة عرفت بعد ذلك بـ « قصور حسّان » ، وٱستخلف على إفريقيّة أبا صالح[2] . وكتب إلى عبد الملك بمَا جرى له . فكتب إليه عبد الملك أن يقيم بحيث وافاه الكتاب . فلقيه الكتاب بعمل برقة فبقي فيه خمس سنين . وكانت برقة ولوبية ومراقية إلى حدّ أجدابية من عمل حسّان .

وأحسنت الكاهنة إسار من أسرته من أصحاب حسّان ، وأرسلتهم إلّا رجلاً من بني عبس يقال له خالد بن يزيد ، فإنّها تبنّته ، وأقام معها .

[343ب] ووافت حسّان فرسان العرب . فبعث إلى/ خالد رجلاً رسولاً فقال له :

---

(1) أو وادي مسكيانة كما في البيان المغرب 1 / 36 وفي الكامل 4 / 31 . وعند السلاوي صاحب الاستقصاء 1/ 93 : وادي مليانة ، وفي المخطوط : على النهر ، لا غير .

(2) أبو صالح مولى حسّان ، وهو الذي ينسب إليه فحص أبي صالح .

« رزقك الله ، تعود إليّ » . فلمّا خلا أخذ الكتاب منه فقرأه ، وكتب على ظهره : إنّ البربر متفرّقون ، ولا نظام لهم ولا رأي . [وإنّما ٱبتُلينا بأمرٍ قدّره الله وأكرم به مَن أراد منّا] الشهادة . فٱطوِ المراحل وجدّ في السير ، فإنّ الأمرَ إليك ، ولستُ أسلمُك ، ولا حول ولا قوّةَ إلّا بالله .

وجعل الكتاب في خبز ملّة وجعلها في زاد الرجل . ومضى ، فلم يغب عنه إلّا قليلاً حتى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها وهي تقول : « ويلكم يا بنيّ ! ذهب ملككم ! وهلاكُكُم فيمَا يأكله الناس ! » وكرّرت ذلك ، فٱفترقوا يميناً وشمالاً يطلبون الرجل فستره الله حتّى قدم على حسّان بالكتاب . ثمّ كتب أيضاً كتاباً آخر وجعله في قربوس نُقِر له فيه وأطبق عليه . فلمّا مضى الرسول خرجت الكاهنة ناشرة شعرها تضرب صدرها وهي تقول : « يا بنيّ ، ذهب ملككم في شيءٍ من نبات الأرض ، وأراه بين فرجين ! »[1] وكرّرت ذلك . فمضى الرسول إلى حسّان فندب أصحابه وخرج إلى غزوها . فخرجت ناشرة شعرها وقالت : ٱنظروا ماذا ترون في السماء ؟

قالوا : نرى شيئاً من سحاب أحمر .

قالت : لا وإلٰهي ، ولكنّه وهج خَيل العرب !

ثمّ جمعت ولدَيها وقالت : إنّي مقتولة وأرى رأسي تركض به بَراذين مقطوعة أذناها إلى المشرق ، ويوضع بين يدي ملك العرب الأعظم الذي بعث هٰذا الرجل .

وقالت لخالد : لهٰذا اليوم أردتُك يا خالد . أمّا أنت فسوف تدرك ملكاً عظيمًا عند الملك الأعظم . وإنّي أوصيك بأخوَيك هٰذين خيراً .

فقال لها : إنّي أخاف إن كان ما تقولين حقًّا ، [أن] لا يُستَبْقَيا .

---

(1) في معالم الإيمان 1 / 58 : بين خشبتين .

قالت : بلى ، ويكون أحدهما عند العرب أعظمَ شأناً منه اليوم .

قال : فإذا كان هٰكذا ، فارحلي بنا وخلّي له البلاد !

فقالت : أأفرّ وأنا ملكة ؟ والملوك لا تفرّ من الموت ، فأورث قومي عاراً إلى آخر الدهر !

ثمّ قالت : ٱركبوا وٱستأمنوا إليه .

فركب خالد ولقي حسّان وأخبره خبرها وأخذ لأبنَيها أماناً وقدما عليه ، فوكّل بهما مَن يحفظهما . وقدّم خالداً على أعنّة الخيل .

وخرجت الكاهنة ناشرة شعرها ثمّ قالت : ٱنظروا ما دهمكم ، وٱعملوا لأنفسكم فإنّي مقتولة .

والتحم القتال وانهزمت جيوشُها ، وٱتّبعها حسّان حتّى قتلها على بئر عرفت بعد ذلك ببئر الكاهنة .

وكان مع حسّان جماعة من البربر من البتر ، فولّى عليهم أكبر أولاد الكاهنة وقرّبه . وأسلم كثير من البربر . وعقد لأبنها الآخر بعدما أسلم هو وأخوه . وانصرف إلى القيروان وبنى مسجد جماعتها[1] ، ودوّن الدواوين ، ووضع الخراج على عجم إفريقيّة وعلى مَن أقام معهم على النصرانيّة من البربر ، واستقامت له الأمور . ثمّ توجّه إلى عبد الملك بن مروان بغنائمه في جمادى الآخرة في سنة ستّ وسبعين – وقيل : سنة ثمان وسبعين . فلمّا مرّ على برقة جعل على خراجها إبراهيم ابن النصرانيّ . ثمّ مضى فمرّ بعبد العزيز بن مروان وهو بمصر . ثمّ نفذ إلى عبد الملك بن مروان فسرّ عبد الملك بمَا أورده عليه من فتوحه وغنائمه . ويقال : بل أخذ منه عبد العزيز كلّ ما كان معه من السبي ، وكان قد قدم معه من وصائف البربر بشيءٍ لم يُرَ مثله جمالاً ، فكان نصيب الشاعر يقول : حضرتُ

(1) في المعالم 1 / 61 : وأمر بتجديده .

السبيَ الذي كان عبد العزيز أخذه من حسّان ، وهو مائتا جارية ، منها ما يقام بألف دينار !

وقدم حسّان من قبل عبد الملك متوجّهاً [إلى] المغرب . فلمّا قدم مصر قال لعبد العزيز : آكتب إلى عبدك تليد بالإعراض عن إنطابلس – وكانت الروم قد أغارت على إنطابلس بعد حسّان ، فهرب إبراهيم ابن النصرانيّ وآستولى الروم عليها . فبعث عبد العزيز إليها زهير بن قيس فقاتلهم وقتل أكثرهم . فثار عطيّة آبن يربوع من مذحج . وجمع المسلمين ، وقاتل الروم وهزمهم . فبعث عبد العزيز غلامه تليد ، ومعه من أشراف أهل مصر عدّة ، فضبط إنطابلس . فلمّا سأل حسّان / عبدَ العزيز في مكاتبة تليد أن يعرض عن إنطابلس ، قال له : ما [344 أ]
كنتُ لأفعل بعد أن ضيّعتَها فآستولَتْ عليها الروم .

فقال حسّان : إذن أرجع إلى أمير المؤمنين .

فقال عبد العزيز : آرجع !

فآنصرف حسّان راجعاً إلى عبد الملك بن مروان ، وخلّف ثقله بمصر . فقدم على عبد الملك وهو مريض . فوجّه عبد العزيز بموسى بن نصير إلى المغرب ، فقدم إفريقيّة سنة ثمان وسبعين .

ثمّ لم يلبث حسّان حتّى مات . وقال ابن يونس : توفّي سنة ثمانين بأرض الروم ، والله أعلم .

1142 – أبو عليّ السمسار [550 – 639][1]

حسن بن إبراهيم بن هبة الله بن دينار ، أبو علي ، السمسار ، الصائغ . مولده سنة خمسين وخمسمائة . وسمع الحافظ السلفيّ وحدّث .

---

(1) التكملة 3 / 581 (3031) .

مات بمصر في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وستّمائة .

1143 – علم الكفاة التستريّ [– بعد 456][1]

حسن بن إبراهيم بن سهل بن فضل بن سهل التستري ، العميد ، علم الكُفاة ، أبو علي . قد ذُكر أبوه وعمُّه[2] أبو سعد سهل . وكان هو يهوديًّا فأسلم وحفظ القرآن ، وولي بيت المال . ثمّ قلّد الوزارة في خلافة المستنصر بالله أبي تميم معدّ بعد أبي محمد الحسن بن مجلّي بن أبي كدينة في رابع ذي الحجّة سنة ستّ وخمسين وأربعمائة ، فأقام فيها عشرة أيّام وآستعفي فولي بعده أبو شجاع محمد بن الأشرف أبي غالب محمد بن علي بن خلف .

1144 – الحسن بن الجرّاح [– 185]

الحسن بن إبراهيم بن الجرّاح . ولي أبوه قضاء مصر ، وكان لا بأس بسيرته إلى أن قدم عليه ولده الحسن هذا فساء من سيرته وصرف عن الحكم ، وعاش آبنه رجب إلى أن مات بمصر سنة خمس وثمانين ومائة .

1145 – الحسن بن زولاق [306 – 387][3]

الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن عليّ بن خلف بن راشد بن

---

(1) اتّعاظ 2 / 270 وهو فيه : أبو علي الحسن بن أبي سعيد . وفي ص 332 قال المقريزي إنّ أمّ المستنصر هي التي ولّت أباه أبا سعيد إبراهيم التستريّ اليهوديّ وزارتها .

(2) في المخطوط : فذكر . ولم يمرّ ذكر أبيه إبراهيم . أمّا عمّه – ولعلّه الجَدّ – سهل ، فحرف السين مفقود من المقفّى .

(3) وفيات 2 / 91 (167) وفيها أنّه ذيّل كتاب القضاة للكندي من سنة 246 إلى سنة =

عبد الله بن سليم بن زولاق ، أبو محمّد ، الفقيه ، التاريخيّ ، الليثيّ ، المصريّ .

ولد سنة ستّ وثلاثمائة وتوفّي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة بمصر في أيّام الحاكم بأمر الله ونظرِ الحسن بن عمّار الوزير[1] .

وكان فقيهاً شافعيًّا ، فيه تشيّع ، ورماه ابن عين الغزال بالكذب[2] .

وبعثه الأستاذ كافور الإخشيديّ في أيّام تدبيره دولة أوتُوجور ابن الإخشيد برسالته إلى سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان في سابع ذي القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة .

ولمّا قدم المعزّ لدين الله من المغرب خرج فيمن خرج إلى لقائه بمحلّة حفص وخطب بين يديه خطبة أصغى إلى جميعها ، وما سار حتى فرغ منها ، وهي :

الحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتّقين ، ولا عُدْوَانَ إلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ، الجاحدين الغاصبين ، وصلّى الله على خير أمين ، دعا إلى خير دين ، محمّدٍ سيّد المرسلين ، وعلى أهل بيته الطاهرين ، على رغم أنف الراغمين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب ، 33) ، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَنْهُ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى ، 23) ، ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾ (الدخان ، 32) .

السلام على أمير المؤمنين المعزّ لدين الله ، السلامُ على الإمام المنتظر ،

= 386 – وترجم له رفن كست في مقدّمة نشرته لكتاب الولاة والقضاة ، 45 – 46 وفصّل الكتب التي تنسب إليه ، ومنها هذه العناوين السبعة المذكورة هنا . وقال ابن حجر في لسان الميزان ، 2 / 191 : لا يبعد أن يكون تشيّعه حقيقة ، فإنّ ذلك يظهر في تصانيفه .

(1) الحسن بن عمّار الكلبي له ترجمة في هذا الكتاب : رقم 1204 .

(2) في لسان الميزان : ابن أعين الغزال . وقال : لا أعرفه ، وزاد : وابن زولاق صدوق لا شكّ فيه .

السلام عليك يا مهديَّ الأمّة وعالِمَها ، السلام عليك يا خليفَةَ رَبِّ العالمينَ ، السلامُ عليك يا صاحبَ الزمان ، وصاحبَ السرّ والإعلان ، فضائلُكُم أكثر من أن تُحصَى ، أنتم أهل البيتِ والكساء ، بكم وُحِّد الرحمان ، وبكم نزل القرآن ، وبكم ظهر الإيمَان ، وبكم زجر الشيطان ، وبكم اضمحلّت الأباطيل ، وبكم افتخر على الملائكة جبريل ، إذ قال يومَ الكساء : « وأنا منكم يا محمّد ؟ » فقال : « وأنت منّا يا جبريل » . فعرّج مفتخراً على ملائكة الصمد الممجّد قائلاً : مَن مثلي ، وأنا من أهل بيت محمّد ؟

جبريل خادمكم وميكائيل زائركم وعرشُ الرحمان سقف بيتكم ﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود ، 73) .

إليك يا أميرَ المؤمنين خرجنا مهاجرينَ ، وإلى سعيك مسارعين ، وإلى ميمون غُرّتك مُشاهدين ، وإلى عِلمِك مقتبسين ، ولعبدك جوهرٍ شاكرين .

[344ب] أتتنا مصنّفات علمك فنشرناها في المتعلّمين ، وبثثناها في أمصار المسلمين / وشرّفناها على جميع العالمين ﴿ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (يوسف ، 38) .

ويُقال إنّه أظهر في دولتهم التشيّعَ ، ووليَ النظرَ في المظالم ، وصنّف كتباً كثيرَة منها :

كتاب القضاة بمصر ، وكتاب الأمراء ، وكتاب سيرة الإخشيد ، وكتاب سيَر الماذرّائيّين ، وكتاب سيرة المعزّ ، وكتاب سيرة القائد جوهر ، وكتاب سيرة العزيز .

1146 ـ الأعصم القرمطيّ [278 ـ 366][1]

الحسن بن أحمد بن الحسن بن بهرام ، أبوعليّ – وقيل : أبو محمَّد – بن أبي منصور بن أبي سعيد الجنّابيّ ، ويعرف بالأعصم القرمطيّ .

وقيل فيه : الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنّابيّ ، واسمه الحسن بن بهرام .

ويقال : الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كودركار .

ولد بالأحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين .

وهٰذه الطائفة التي تُعرف بالقرامطة قد عظم في العالم أمرها ، وشنع بين الخليقة ذكرها ، ودوَّخوا الممالك والأقطار ، وأذلّوا أعزّة أهل البدو وسكّان الأمصار . وسأتلو من أنبائهم جملةً توقفك على كنه أحوالهم ، فأقول :

لقاء حسين الأهوازي بحمدان قرمط

إنَّ ابتداءَ أمر هٰذه الطائفة كان من رجل من الشيعة يعرف بـ « حسين الأهوازي » ، سكن عسكر مُكْرَم وتحوَّل إلى البصرة ، ثمَّ صار إلى سلميّة من أرض حمص فأقام بها مدَّة . وخرج داعيةً إلى العراق فصادف بطريقه في سواد الكوفة رجلاً يعرف بـ « حمدان بن الأشعث » – ويقال له : قرمطة ، من أجل أنَّه كان قصيرَ القامة قصيرَ الرجلَيْن متقارب الخطى – وهو ماشٍ ومعه ثور .

---

(1) الوافي 11 / 373 (543) – فوات 1 / 227 (112) ـ تهذيب ابن عساكر 4 / 148 ـ النجوم 4 / 128 – الأعلام 2 / 193 – اللباب 1 / 238 – شذرات 3 / 55 الذهبي في العبر 2 / 340 وقال : وله شعر وفضيلة .
وفي المخطوط حاشيتان ، الأولى تشرح لفظة الأعصم لغويًا ، والثانية تعرّف بجنابة « بلدة » صغيرة من سواحل فارس بينها وبين شِيراز أربعة وخمسون فرسخًا .

فسأله الحسين عن الطريق إلى قرية يقال لها « قس بهرام » ، فقال له حمدان : أنا قاصدُها .

فتماشيَا ساعةً ، وعرض حمدان على الحسين أن يركب ثوره فأبى ذلك وقال : لم أؤمرْ بذلك .

فقال له حمدان : كأنّك تعمل بأمرِ آمرٍ لك ؟

قال : نعم .

قال : ومَن يأمُرك وينهاك ؟

قال : مالكي ومالكُك ومَن له الدنيا والآخرة .

فبهت حمدان أن يفكّر ، ثمَّ نظر إليه وقال : يا هٰذا ، ما يملك ما ذكرتَه إلّا الله .

قال : صدقت . والله يهَب ملكه لمن يشاء .

قال حمدان : فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟

قال : رُفع إليّ جرابٌ فيه علِم سرٍّ من أسرار الله ، وأُمِرْتُ أن أشفيَ هٰذه القرية وأغنيَ أهلها وأستنقذهم وأملّكَهم أملاك أصحابهم .

وشرع يدعوه . فقال له حمدان : يا هٰذا نشدتك الله إلّا دفعتَ لي من هٰذا العلم الذي معك وأنقذتني ، ينقذك الله !

فقال : لا يجوز ذلك أو آخذَ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله على النبيّين والمرسلين ، وأُلقي إليك ما ينفعك .

فما زال حمدان يضرع إليه حتى جلسا وأخذ عليه العهد . ثمَّ قال له : ما اسمُكَ ؟

فقال له : حمدان بن الأشعث قرمط . وأسألك أن تسير معي إلى منزلي حتى تجلس فيه ، فإنَّ لي إخواناً أصيِّرهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهديّ .

فسار معه إلى منزله ، وجمع عليه حمدان الناس فأخذ عليهم العهد . واغتبط به حمدان لكثرة ما شهدَه من خشوعه وصيام نهاره وقيام ليله . وشهر أمرُه في أصحابه حتى كان أغبط الناس به مَن أخذه إلى منزله . وكان يخيط لهم الثياب فيتبرَّكون بخياطتِه ، ويرتزق من أجرتها إلى أن أدركَ العُمُرُ . فوُصف لأبي عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي ، أحد وجوه الكوفة وعلمائها وفضلائها ، أمرُ الحسين الأهوازيّ ، فنصبه لحفظ تَمْره ، فأحسن القيام في حفظها ، وبالغ في أداء الأمانة ، وخرج عن الحدِّ في كثرة التشدُّد ، وذلك في سنة أربع وستّين ومائتين . فاستحكمت ثقة الناس بالحسين إلى أن حضرَته الوفاة ، فعهد لحمدان بن الأشعث قرمط ، وأقامه مقامه وقضى نحبَه .

حمدان قرمط يخلف حسين الأهوازي بعد وفاته

وكان قد استجاب له مهرويه بن زكرويه السلماني الصواني ، وجلندى الرازي ، وعكرمة البابلي ، وإسحاق البوراني ، وعطيف النيلي في آخرين . وبثَّ دعاته في السواد يأخذون على الناس العهود . وكان أكبر دعاته عبدان الأهوازي ختَن قرمط ، فقام في الدعوة وبثَّ الدعاة في أعمال السواد بالكوفة ، فدخل / في دعوة قرمط بنو ضبيعة بن عجل من ربيعة ، وبنو يشكر من بكر بن [345 أ] وائل حتى لم يتخلَّف عنه رفاعي ولا ضبعي إلَّا ودخل في دعوته ودان بها . ولم يبقَ من بطون العرب المتَّصلة بواسط بطنٌ إلّا استجابَ له . فدخل في دعوته كثير من بني عابس ومن ذهل وعنزة وتيم الله وبني ثعل ، وهم معظم سواد الكوفة ، فقوِيَ قرمط وأخذ يجمع أموالهم .

فكان أوَّل ما فرض عليهم « الفطرة » ، وهو درهم يؤخذ من كلّ واحدٍ من الرجال والنساء والصبيان ، فسارعُوا إلى ذلك وحملوه إليه .

ثمَّ فرض عليهم « الهجرة » ، وهي دينار على كلّ رأس أدرك الحنث[1] وتلا

(1) الحنث : الإدراك .

عليهم قول الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ ، واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة ، 103) وقال لهم : هٰذا تأويلُ هٰذا .

فدفعُوا ذلك إليه وتعاونُوا عليه حتى إنَّ مَن كان منهم فقيراً أسعفوه .

ثمَّ فرض عليهم « البلغة » ، وهي سبعة دنانير ، وقال : هٰذا هو البرهان الذي أراده الله تعالى بقوله : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة ، 111) . وقال : هٰذا بلاغُ مَن يريدُ الإيمَانَ والدخولَ في السابقينَ ، ﴿ أُولَائِكَ المُقَرَّبُونَ ﴾ (الواقعة ، 11) . فكان من أدَّى سبعة دنانير عن البلغة أطعمه شيئاً حلواً لذيذاً في قدر البندقة وقال له : « هٰذا طعام أهل الجنَّة نزل إلى الإمام » . وصار يبعث إلى كلّ داعٍ منها مائة بلغة ويطالبه بسبعمائة دينار ، عن كلّ واحدة سبعة دنانير .

ثمَّ فرض عليهم الخمسَ من كلّ ما يملكونه وما يكسبونه ، وتلا عليهم قول الله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ للهِ خُمُسَهُ ﴾ ... الآية (الأنفال ، 41) . فبادروا إلى ذلك وقوّمُوا سائرَ ما يملكونه من ثوبٍ وغيره وأدَّوا منه الخمس ، حتَّى إنَّ المرأة كانت تُخرِج من غَزلها خُمُسَه والرجل يخرج الخمس ممَّا يكسبه .

ثمَّ فرض عليهم « الألفة » وهي أنَّهم يجمعون أموالهم في موضع واحدٍ ، وأن يكونوا فيه كلّهم أسرة واحدة لا يفضّل أحدٌ من أصحابه على صاحبه ولا أخيه في مُلكٍ يملُكه بشيءٍ البتَّةَ ، وتلا عليهم قول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ... ﴾ الآية (آل عمران ، 103) ، وقوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم وَلٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال ، 63) . وقال لهم : لا حاجة بكم إلى الأموال فإنَّ الأرضَ بأسرها ستكون لكم دون

غيركم . وقال لهم : هٰذه مِحنتُكم التي امتُحنتُم بها ليعلَمَ كيف تعملُون . وألزمهُم بشراء السلاح في سنة ستّ وسبعين ومائتَين وأقام في كلّ قرية رجلاً مُختاراً من الثقات تجمع عنده أموال قريته مِن غنم وبقر وحلي ومتاع وغير ذلك ، فكان يكسو عاريَهم وينفق عليهم ما يكفيهم حتَّى لم يبقَ بينهم فقير ولا محتاجٌ . وأخَذَ كلّ رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضلُ في رتبتِه ، وجمعت إليه المرأة كسبَها من مغزلها ، وأدَّى إليه الصبيُّ أجر نِطارته وحراستِه للطير ونحوه ، ولم يبقَ في ملك أحد منهم غير سيفه وسلاحه لا غير .

ثمَّ لمّا استقام له ذلك كلّه أمر الدعاة أن تُجمَع النساءُ في ليلةٍ عيَّنها ويختلطنَ بالرجال حتَّى يتراكبن ، وقال : « هٰذا من صحَّة الودّ والإِلف » . ففعلوا ذلك .

ثمَّ إنَّه أفشى فيهم إباحةَ الأموال والفروج ، والغِنى عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض ، وقال : هٰذا كلّه موضوع عنكم ، ودماءُ المخالفين وأموالُهم حلال لكم ، ومعرفة صاحب الحقّ تغنيكم عن كلّ شيءٍ ولا تخافون معه إثماً ولا عذاباً .

وعنى بصاحب الحقّ الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وقال : بِهٰذا الإِمام اتَّسقت هٰذه الأمور ، ولولاه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم .

فبسطوا أيديهم بسفك الدماء وقتلوا جماعةً ممَّن خالفهم . فخافهم الناسُ ووافقهم كثير من مُجاوريهم .

بناء دار الهجرة

ثمَّ إنَّ الدعاةَ اتَّفقُوا على بناء دار هجرة فأقاموا سوراً في قرية يقال لها « مهتماباذ » من سواد الكوفة ، وجعلوا عُرضَه ثمانية أذرع ، ومن ورائه / خندق [345 ب]

عظيم ، وبنوا من داخل السور المباني ، وتحوّل إليها الرجال والنساء ، وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين ، كلّ ذلك والخليفة ببغداد مشغول بصاحب الزنج وكثرة الفتن . فلم يبقَ أحد إلّا خافهم لقوّتهم وتمكّنهم في البلاد .

ومات عبدان . وكان منهم رجل يقال له مهرويه قد عُرف بالثقة والدين ، فانقاد إليه خلق كثير وقال : أنا من ولد عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وصار يركب في قبّة على جمل ويُدعى بالسيِّد ، وكان له ابن يقال له زكرويه ، أحد الدعاة ، ومن الناس من يسمِّيه [أبا] الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . فاتُّهم زكرويه بقتل عبدان ، فخاف ثمَّ تحوَّل من سواد الكوفة وأنفذ ابنه الحسين [بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق] ونزل سلميّة فوجد بها بني أبي الملاحف ، وهم : أبو عبد الله الحسين بن أحمد وأخواه[1] أبو العبَّاس أحمد وحسن . فاستمالوه إلى القرمطة وحسّنوا له أن يدعو إلى أبيه محمد بن إسماعيل فأجابهم إلى ذلك .

وكان معه من أولاده أربعة هم :

أبو القاسم أحمد بن الحسين صاحب الجمل

وأبو الحسن علي صاحب الخال

وأبو محمد عبيد الله الذي ملك إفريقيّة

والقاسم الذي خرج مع أبيه الحسين بالهبير .

فخرج أبو القاسم أحمد في أوَّل المحرَّم سنة تسعين ومائتين في ألف رجل وتوجَّه إلى الرقّة وقاتل عاملها سباد الديلمي وقتله وأخذ جميع ما في عسكره . وسار إلى دمشق فخرج إليه طغج بن جفّ عاملُها من قِبل أبي موسى هارون بن أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فهزمه أقبح هزيمة وقتل أكثر مَن معه وأخذ أموالهم . ونجا طغج إلى دمشق ، فنزل أبو القاسم على دمشق من داريا

---

(1) في المخطوط : واخويه .

إلى المزّة وحصرها سبعة أشهر حتى قدم بدر الحمامي بجيوش مصر . فزحف إليهم وقد ركب جملاً أحمر قدّام عسكره . وحوله مائة أسودَ بسيوف وحَجَفٍ[1] فكان إذا أشار بكُمّه إلى ناحية من عسكره حملوا على عساكر مصر وهزموهم ، إلى أن انتدَب له فارس من أهل مصر [فـ]ـطعنه برمح أرداه عن الجمل ومات وقتل الفارس[2] .

وقام من بعد أبي القاسم أخوه أبو الحسن عليّ صاحب الخال . فمضى بمَن معه عن دمشق . فبعث إليه المكتفي أبا الأغرّ السلميّ . فلقيَه على حلب وهزمه . فسيَّر إليه محمدَ بن سليمان الكاتب فواقعَهُ بناحية سلميّة وقتل من أصحابه ستّة آلاف رجل . وفرّ فقبض عليه وحمل إلى بغداد فدخل على فيل في ثاني ربيع الأوَّل سنة إحدى وتسعين ، فصار يقول : « ألستُم يا فسَقة بقايا قتَلة الحسين ابن علي ؟ » وضربت عنقُه وعنق المدّثر ابن أخيه – واسمُه عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل – وبقيّة أصحابه ، وعمرُه يومئذ سبع وعشرون سنة . وقيل إنَّه قَتَلَ هو وأخوه من أهل الشام والبوادي وأصحاب السلطان وأهل المدن ومن جند مصر ومن جند العراق نحو ستّمائة ألف إنسان .

ولمَّا قتل المكتفي مَن ذكرنا غضب لذلك الحسين بن محمّد وجمع وسار إلى الكوفة وقتل جماعة ونهب . ثمَّ سار وأخذ الحاجّ بأسرهم ، فخرج إليهم جيش من بغداد وقاتلهم وقتلهم في رَبيع الأوَّل سنة خمس وتسعين [ومائتين] ، وقتل الحسين بن محمد وابنه القاسم ، وقتل معه زكرويه وسائر دعاته . فهٰذه جملة أخبار القرامطة الخارجين ببلاد الشام .

---

(1) الحَجَفَة : الترس من جلد .

(2) في الكامل (سنة 290) : رماه بعض المغاربة بمِزراق . وزرقه نفّاطٌ بالنار فاحترق . وفي المخطوط : الفارسي .

انتشار قرامطة البحرين بالعراق

أمّا قرامطة البحرين فكان مبدأ أمرهم أنّ رجلاً من أهل جنّابة يعرف بأبي سعيد الجنّابيّ – واختلف في اسمه فقيل : الحسن بن بهرام ، وأنّه من الفرس ، وقيل : الحسين بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، وأنّه كان يعمل الفِراءَ ويسافر من البحرين إلى سواد الكوفة ، فنكح امرأة من قوم كانوا يدينون بالقرمطة ، وصحب عبدان – وقيل : بل صحب قرمط وأخذ عنه – وعاد إلى القطيف فدعا الناس ، وكان أوّل من استجاب له بنو سنبر ، وهم : الحسين وعليّ وحمدان . وما زالت دعوتُه تنتشر
[346 أ] وأمرُه يقوى حتى جمع وقاتل مَن خالفَه بِمَن أطاعه وهدم مدينة هجَر / بعد محاربة أهلها عدّة أشهر ، وبنى دار هجرة بمدينة الأحساء وقاتل جيوش المعتضد في سنة سبع وثمانين ومائتين وقتل أكثرهم . وأسر معظمهم . ولم يزل أمره يشتدّ حتى قتله غلامُه في الحمّام بمدينة الأحساء في سنة اثنتين وثلاثمائة ، وكانت مدّته نحو ستّ عشرة سنة .

وقام من بعده ابنه أبو طاهر سليمَان فأكثر من الغزو . وسار إلى البصرة وأخذها في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وقتل منها خلقاً كثيراً ، ثمّ أوقع بالحاجّ في ذي الحجّة منها وأخذ لهم من المال ما لا يقدّر قدره . وأخذ الكوفة في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة [وثلاثمائة] وقتل منها وأسر كثيراً .

ثمّ سار يريد بغداد في سنة خمس عشرة ونزل الكوفة في شوّال منها وقاتل يوسف بن أبي الساج وأسره ودمّر عساكره . وسار إلى الأنبار . فهمّ أهل بغداد بالهرب . وكانت له هناك معارك مع جيوش العراق . وسار إلى الرحبة ووضع السيفَ في أهلها . ونهب الجزيرة وقاتل أهل الرقّة ورأس عين وسنجار . وفرض الأموال على الناس وعاد إلى الأحساء .

ثمّ قدم مكّة في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وردم زمزم بالقتلى ، وانتهك حرمة الكعبة وأخذ كسوتها وأموالها وقلع الحجر الأسود من موضعِهِ وعاد به إلى بلاده .

ثمّ سار إلى الكوفة في سنة تسع عشرة فأفسد وعاد .

ثمّ خرج في سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة] إلى الكوفة ونادى بالأمان ، وفرض على أهل خراسان وبغداد والشام ومصر الأموال العظيمة ، وكانت تحمل إليه في كلّ سنة ألفا شدّة[1] .

ثم سار أيضاً إلى الكوفة سنة خمس وعشرين وعاد ، فأهلكه الله بالجدري بعدما تقطّع جسدُه وذلك في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

فقام من بعده أخَواه أبو القاسم سعيد وأبو العبّاس أحمد ، واستقرّ الرأي والتدبير منوط[اً] بستّة نفر .

وردّوا الحجر الأسود مع سنبر بن الحسن بن سنبر في سنة تسع وثلاثين ووُضِع في مكانه يوم النحر فكانت مدّة غيبته اثنتين وعشرين سنة تنقص أيّاماً .

حلول الأعصم بالشام ومصر

وغلب الحسن بن أحمد على الشام في ذي الحجّة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، وولّى على دمشق وشاحاً السلميّ ، ثمّ رجع إلى الأحساء في صفر سنة ثمان وخمسين .

وفي سنة تسع وخمسين خطب لهم بمكّة ، وساروا إلى دمشق في سنة ستّين وثلاثمائة وقتلوا جعفر بن فلاح في ذي القعدة ، وكبيرهم يومئذ الحسن بن أحمد صاحب الترجمة .

---

(1) كلمة غامضة في المخطوط . وفي قاموس كازميرسكي : الشَّدَّة بالفتح : الرزمة .

وكان سبب حركته هٰذه أنّ ظالم بن موهوب العقيلي لمّا انهزم من جعفر بن فلاح عن بلاد حوران والبثنيّة لحق بالأحساء ، وحثّ القرامطة : فإنّ المالَ الذي كان يُحمل إليهم من مصر انقطع عند دخول القائد جوهر بعساكر المعزّ لدين الله إلى مصر . فبعثوا العرفاء لجميع العرب . وسار الحسن بن أحمد إلى الكوفة فوافاه مَن استجاب له من العربان ، وأنفذ إلى بغداد يطلب المال فجهّز إليه خزانة سلاح وأربعمائة ألف درهم أُحيل بها على أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة الحسين بن حمدان ، وهو على الرحبة .

فسار الحسن إلى الرحبة وحمل إليه أبو تغلب العلوفة والمال المرسوم به ، وتوجّه إلى دمشق . وقد صحبه كثير من عسكر أبي تغلب ومَن انهزم من الإخشيديّة . فخرج إليه أبو الفضل جعفر بن فلاح وقاتله ، فقُتل جعفر .

ونزل الحسن يوم الخميس سادس ذي القعدة [360] على المزّة خارج دمشق . وجبى من المدينة مالاً كثيراً . وسار إلى الرملة من دمشق يوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من ذي القعدة وقد استخلف عليها ظالم بن موهوب ، واجتمع عليه عرب الشام وكثير من الأتباع والأجناد ، ونازل يافا ، وبها سعادة ابن حيّان . وقاتله ، ثمّ رحل عنها وترك على حصارها أبا المنجّى عبد الله بن علي ابن منجّى القرمطي وظالم بن **مرهوب** العقيلي . ونزل خارج القاهرة بعين شمس لعشر بقين من صفر سنة إحدى / وستّين . ومعه خمسة عشر ألف جملٍ وبغلٍ [346 ب]
تحمل صناديق الأموال وأواني الذهب والفضّة . سوى التي تحمل الخيم والمضارب والبنود وغير ذلك من الأثقال . وقد استعدّ جوهر القائد لحربه ، فالتحم القتال يوم الجمعة أوّل ربيع الأوّل [361] على باب القاهرة ، وقُتل من الفريقَين وأسر جماعة ، وباتوا ليلة السبت ، وأصبحوا متكافئين ، وغدَوا يوم الأحد للقتال على باب الخندق فكانت وقائع شديدة قُتل فيها من الفريقَين عدد كبير . وانهزم الحسن ونُهب سواده بِبِرْكة الحاجّ . وأخذت صناديقُه وكتُبُه . ومضى في الليل على طريق القلزم . ونهب بنو عقيل وبنو طيّىء كثيراً من سواده . وهو

مشغول بالقتال ، فسار إلى الأحساء .

ثمّ عاد من الأحساء ونزل الرملة في سابع رمضان [361] وطرح مراكب في البحر وملأها بالمقاتلة ، وأكثر من جمع العربان معه ليسير إلى القاهرة .

فقدم المعزّ لدين الله أبو تميم معدّ من بلاد الغرب ونزل بالقاهرة في رمضان سنة اثنتين وستّين ، فكتب إلى الحسن بن أحمد كتاباً عظيمًا ، فكتب جوابه بعد البسملة : وصل إلينا كتابك الذي كثر تفصيله وقلّ تحصيلُه ، ونحن سائرون إثره ، والسلام .

فلمّا كان شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستّين كثر انتشار القرامطة في أعمال الشام وكثُر الإرجاف بهم في القاهرة ومصر ، وبلغت مقدّمتهم أريافَ مصر وأطراف المحلّة لعشر بقين من جمادى الآخرة [363] ، ووصلت منهم سريّة إلى أطراف الحَوْف أوّل يوم من رجب .

وبعث الحسن بن أحمد [القرمطيّ] عبد الله بن عبيد الله أخا الشريف مسلم[1] إلى الصعيد ، فنزل في نواحي أسيوط وأخميم ، وجبى الأموال ، وحارب أصحاب المعزّ . ونزل الحسن ببلبيس فتأهّب المعزّ لقتاله ، وندب ابنَه وليَّ العهد الأميرَ عبد الله بالعساكر ، وقد انتشر القرامطة في نواحي أسفل الأرض يجبون الأموال .

وخرج ريّان الصقلبيّ في أربعة آلاف إلى المحلّة فقتل وأسر كثيراً من القرامطة ، فاشتعلت أرض مصر أعلاها وأسفلُها بنار الحرب من القرامطة .

ونزل الأمير عبد الله بركة الحاج في سلخ رجب وقد نزل النعمان بن أحمد أخو الحسن بن أحمد تجاهه ، ونزل الحسن بسطح البركة ، ووقع القتال بين الفريقين واشتدّ ، فولّى حسّان بن عليّ بن الجرّاح الطائيّ منهزماً عن الحسن بمَن معه ، وكانوا جمعاً كبيراً ، فلم يثبت الحسن ومضى على وجهه ، ونُهب سوادُه

(1) عبد الله بن عبيد الله الحسيني أخو الشريف مسلم . انظر ترجمته رقم 1538

وأُخذت قبّته ، وأُسر من عساكره خلق كثيرٌ . فنزل أذرعات وتوجّه منها إلى الأحساء ، وقد تمزّقت عساكره .

فبلغ ذلك عضد الدولة فنّاخسرو ابن ركن الدولة عليّ بن بويه ، فطمع أن يظفر ببقيّة القرامطة في الأحساء ، وبها يومئذ أبو يعقوب عمّ الحسن بن أحمد . فبعث إليه عسكراً كثيفاً ، ففرّ عن الأحساء ، فاحتوى العسكر على الأحساء وما فيها . ووافى الحسن بن أحمد فيمَن بقي معه فانضمَّ إليه عمُّه وبقيّة أصحابه وحاربَ العسكر فكانت بينهم وقعة عظيمة قُتل فيها رجال العسكر وأخذت أموالُهم . فقويَت نفس الحسن بن أحمد وعادت دولتُه . وكتب يستدعي العرب فأجابوه . ثمّ بعث رسوله إلى المعزّ يطلب موادعتَه ويوصيه بكاتبه أبي المنجّى ، وقد قبض عليه وحمل إلى القاهرة ليسجن بها ، فأفرج عنه في خامس محرّم سنة أربع وستّين [وثلاثمائة] .

فلمّا قدم هفتكين الشرابيّ إلى دمشق وملكها وسار القائد جوهر من القاهرة إلى دمشق وحصر هفتكين ، بعث إلى الحسن بن أحمد يستدعيه ، فسار من الأحساء يريد دمشق . فسار جوهر بعد مصالحة هفتكين إلى طبريّة ، وقد قرب منه الحسن بن أحمد فأسرع في الرحيل . وخرج الحسن من المزّة يريد طبريّة ففاته جوهر ، فبعث سريّة تلحقه فواقَعهم أصحاب جوهر وخلس[1] إلى الرملة . فلمّا / بلغ ذلك الحسن سار من طبريّة وسار هفتكين في أثره حتى نزلا [347 أ]
الرملة فمات الحسن بها في يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رجب سنة ستّ وستّين وثلاثمائة .

فقام من بعده ابنُ عمّه جعفر بن أبي سعيد الجنّابي ، وقاتل جوهراً هو وهفتكين بقيّة السنة . ثمّ فسد ما بينه وبين هفتكين فسار إلى الأحساء ، وحمل معه الحسن حتّى دفنَه هناك .

(1) قراءة ظنّيّة ، ولعلّها : وخلص .

شعر الأعصم

وكان الحسن بن أحمد قصيراً له كرسيّ من خشب يصعد عليه حتى يركب . وكان لا يركب من الخيل إلّا أقواها . وقال يردّ على من عيّره بالقصر [خفيف] :

زعمُوا أنّني قصير ، لعمري　　　ما تكال الرجال بالقُفْزَانِ[1]
إنّما المرءُ باللسان وبالقلـ　　　ـب ، وهٰذا قلبي وهٰذا لساني

ووقّع في آخر يوم من أيّام حياته توقيعاً بِخطِّه لم يُفهم من ضعف يده فاستَثْبَت فيه فَبَيَّنَه ثمَّ قال ومات من يومِه [وافر] :

رَأَوْا خطّي نحيلاً فاستدَلُّوا　　　به منّي على جسمٍ نحيل
وقد قوّيتُ أسطرَه بجُهدِي　　　ولكن ما استحال من الذبولِ[2]

وقال يرثي [مجزوء الكامل] :

أعزز عليّ بقتله　　　لشبابه وأبوّتهْ
قد كنتُ ذا خوفٍ عليـ　　　ـه لبطشِه وجراءتِهْ
وجماله وكماله　　　وحيائه ومروءتِهْ
وعطائه ووفائه　　　وبهائه ورئاستِهْ
وجهاده لعداته　　　وجميل وصف سياستِه
حاوٍ خصالَ الخيرِ لم　　　لم يَمْتَنَّ قطّ ولم يَتِه
فاق المغارب جوده　　　فعلا تعالي همّتِه

---

(1) القُفزان ج . قفيز وهو مكيال ومقياس (اللسان : قفز) .

(2) الفقرة مضطربة وكذلك البيتان . والإصلاح من الوافي بالوفيات (ترجمة الجنابي القرمطي رقم 543 ج 11 / 373) .

جاد الإلٰهُ عليه في الـ   أُخرى بسُكنَى جنّتِه [1]

والقرمطي نسبة إلى قرمط ، وهو حمدان بن الأشعث . وإنّما سمّي قرمطاً لأنّه كان قصير القامة ، قصير الرجلين ، وكان خطوه متقارباً . فقيل له من ذلك : قرمطٌ .

وقيل : بل هو نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج من مذاهب الإسلام .

وقيل : لأنّ صاحب الجمل وصاحب الخال القائمين ببلاد الشام كانَا من قيس مِن بني عبادة بن عقيل من بني عامر ، ثمّ من بني قرمطيّ بن جعفر بن عثمان بن المهنّا بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جونة بن طهفة بن حزن ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

ولمّا نزل الحسن بن أحمد إلى الرملة أحضر إليه الفرّاشون في بعض الليالي الشموعَ . فقال لأبي نصر ابن كشاجم[2] ، وكان كاتبَه : يا أبا نصر . ما يحضرك في صفة هٰذه الشموع ؟

فقال : إنّما نحضر في مجلس السيّد لنسمع من كلامه ونستفيد من أدبه .

---

(1) قراءة هذه الأبيات عسيرة جداً ، وهي غير موجودة في ترجمات الأعصم الأخرى .

(2) ابن كشاجم : أحمد بن محمود أبو نصر في اليتيمة ، 1/ 285 ، وأبو الفرج في الترجمة التي خصّصها له المقريزي في المقفّى رقم 633 وقد نشرها حبيب الزيات ص 182 من مجلّة المشرق ، 1937 فقال إنّه كان عند كافور الإخشيدي ينادم ويتطرّف وكانت له موهبة : قراءة نقش الخواتم باللمس دون أن ينظر إلى فصوصها .

وترجمة الأعصم هنا تفيدنا أنّه انتقل بعد وفاة كافور إلى بلده وبلد أبيه الرملة فصادفه هناك الأعصم فأصبح كاتباً له .

أمّا كشاجم أبوه ، فقد عاش بالخصوص في بلاط سيف الدولة وتوفّي بين 335 و358 (انظر دائرة المعارف الإسلاميّة في فصل «كشاجم») .

فقال الحسن بن أحمد في الحال بديهاً [متقارب] :

وممجدولة مثل صدر القناة تعرّت وباطنُها مكتسِ
لها مقلة هي روح لها وتاج على هيئة البرنس
إذا غازلتها الصَّبا حرّكت لساناً من الذهب الأملس
وإن رنّقت لنعاس عرا وقطّت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ضياءً يجلّي دجى الحندس
فنحن من النور في أسعُدٍ وتلك من النار في أنحسِ

فقام أبو نصر وقبّل الأرض وسأله أن يأذن له في إجازة الأبيات فأذن له فقال :

ولـيـلـتـنـا هٰـذه لـيـلـة تشاكِل أشكال إقليدسِ / [347 ب]
فيا ربّة العود حثّي الغنا ويا حامل الكأس لا تحبس

فتقدّم بأن يخلع عليه وحمل إليه صلةً سنيّة وإلى كلّ واحدٍ من الحاضرين .

وكتب الحسن بن أحمد إلى جعفر بن فلاح [بسيط] :

الكتب معذرة ، والرسل مخبرة والحقّ متَّبَع ، والخير موجود
والحرب ساكنة ، والخيلُ صافنة والسلمُ مُبتذَل ، والظلّ ممدودُ
فإن أنبتُمْ فمقبولٌ إنابتُكُم وإن أبيتُمْ فهٰذا الكور مشدود
على ظهور المطايا أو يَردن فِنا دمشق ، والباب مهدوم ومردود
إنّي امرؤ ليس من شأني ولا أربي طبلٌ يرنُّ ولا ناي ولا عودُ
ولا اعتكاف على خمرٍ ومجمرةٍ وذات دلّ لها غنْج وتفنيد
ولا أبيتُ بطين البطنِ من شبَع ولي رفيقٌ خميصُ البطن مجهودُ
ولا تسامت بيَ الدنيا إلى طمعٍ يوماً ولا غرّني فيها المواعيدُ

ومن مختار شعره [طويل] :

له مُقلة صحّت ، ولكنْ جفونُها   بها مَرَضٌ يَسبي القلوبَ ويُتلِفُ
وخدّ كورد الروض يجنى بأعين   وقد عزّ حتى إنّه ليس يُقطفُ
وعطفة صُدغٍ لو تعلّم عطفها   لكان على عشّاقه يتعطّفُ

وقوله [كامل] :

يا ساكنَ البلدِ المنيفِ تعزّزاً   بقلاعه وحصونه وكهوفه
لا عزّ إلّا للعزيز بنفسه   وبخَيْله وبرَجلِه وسيوفِه
وبقبّة بيضاء قد ضربت على   شرف الخيام لجارِهِ وحليفِه
قَوْمٌ إذا اشتدّ الوغى أردى العدا   وشفى النفوسَ بضربه ووُقُوفه
لم يرضَ بالشرف التليد لنفسه   حتّى أشاد تليدُه بطريفِه

وقوله [بسيط] :

إنّي وقوميَ في أحساب قومِهِمُ   كمسجد الخيف في بحبوبة الخَيْفِ
ما علّق السيفُ منّا بابن عاشرة   إلّا وهمّتُه أمضى من السيف

وكان الحسن بن أحمد يتعشّق أبا الدؤاد المفرّج بن دغفل بن الجرّاح ، فدخل عليه يوماً وفي وجهه أثر فسأله عنه فقال : قبّلتني الحمّى . فأنشد [خفيف] :

قبّلته الحمّى ، ولي أتمنّى   قبلةً منه من زمان طويلِ
حاجة طالما تردّدتُ فيها   قُضِيت للغريبِ قبل الخليل

وفيه يقول [مجتثّ] :

هل لنا فُرجَةٌ إليـ   ـك ؟ أَبنْ يا مُفرِّجُ !
لامني فيك معشرٌ   هُمْ إلى اللوم أحوَجُ
كيف لم يسبهم عذا   رُكَ هٰذا المُدَرّجُ ؟

ومن شعره في عِلّته [وافر] :

ولو أنّي ملكتُ زمامَ أمري — لما قصّرتُ عن طلب النجاح
ولكنّي مُلكتُ فصار حالي — كحال البُدنِ في يوم الأضاحي
يُقَدن إلى الردى فيمُتنَ كَرهاً — ولو يسطَعْنَ طِرْنَ مع الرياح[1]

1147 – حسام الدين أنوشروان [631 – 699][2]

الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان ، قاضي القضاة ، حسام الدين ، أبو الفضائل ، ابن قاضي القضاة تاج الدين أبي المفاخر ابن قاضي القضاة جَلال الدين ابن أبي الفضائل ، الرازي ثمّ الروميّ ، الحنفيّ .

ولد بأقصرا من بلاد الروم في ثالث عشر المحرّم سنة إحدى وثلاثين وستّمائة . وولي قضاء ملطية زيادةً على عشرين سنة . ثمّ قدم الشام سنة خمس وسبعين وستّمائة فارًّا من التتار . وأقام بدمشق وولِيَ قضاءها بعد صدر الدين سليمَان الحنفيّ في تاسع عشرين شهر رمضان سنة سبع وسبعين وستّمائة . فامتدّت أيّامه إلى أن [ولي] السلطان الملك المنصور لاجين ، فبعث البريد إلى دمشق لإحضار الأمير علم الدين سنجر الدواداري ، وصحبته قاضي القضاة

---

(1) للأعصم شعرٌ كثيرٌ ، هذا ما نستفيده من هذه الترجمة المطوّلة ، فإذا أضفنا إلى هذه الأبيات الستة والثلاثين الأبيات الاثني عشر التي زادها الصفدي على هذه المجموعة ، وهي : سبعة أبيات في وصف الحجل ، وثلاثة في الغزل ، وبيتان في مفاخرة الفاطميّين ، وقد نقلها ابن الأثير أيضاً 7 / 43 (كامل) :

زعمَت رجال الغرب أني رهبتُها — فدمي إذن ما بينها مطلول
يامصرُ إن لم أسقِ أرضَك من دمٍ — يروي ثراك فلا سَقاني النيلُ !

وإذا تأمّلنا تنوّع الأغراض فيها واختلاف القوافي ، جاز لنا أن نفترض أنّ شعره المفقود أكثر من شعره الواصل إلينا .

(2) الوافي 11 / 397 (571) . الجواهر المضيئة ، 2 / 39 (427) .

حسام الدين ، فقدما إلى القاهرة في [...] ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين وستّمائة ، فأقبل عليه وولّاه قضاة القضاة الحنفيّة بديار مصر عوضاً عن شمس الدين أحمد بن إبراهيم السروجي في يوم [...] . وولّى ابنه جلال الدين أبا المفاخر أحمد قضاء دمشق .

فباشر القضاء بحرمة وافرة . وصار يبيت عند السلطان إلى أن قُتل[1] ، وهو حاضر عنده كما ذكر في ترجمته[2] فاستغاث وقال : ما يحلّ !

فأشاروا إليه بالسيوف وآختفى هناك ، وآشتغل القوم عنه بالسلطان . فلمّا أعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة مرّة ثانية بعد لاجين ، صرفه بالسروجي في أوّل ذي الحجّة سنة ثمان وتسعين ونقل الحسام[3] إلى قضاء الحنفيّة بدمشق عوضاً عن ولده . فلم يزل على ذلك حتى خرج مع العساكر لحرب غازان ، وشهد الوقعة بوادي الخزندار عند سلميّة ، ففُقد من الصفّ ، ولم يوقف له على خبر في يوم الأربعاء سابع عشرين ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين وستّمائة .

وذكر أنّه لم يقتل ، وإنّما فرّ مع من آنهزم وأسره الفرنج ، وصاروا به إلى قبرس[4] ، فتعاطى عندهم الطبّ . وجاء خبره إلى دمشق في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة أنّه حيّ بقبرص وأنّه يطلب ما يفكّ به أسره ليحضر إلى دمشق ، ثمّ سكن هٰذا الخبر ولم يعرف له صحّة .

وقيل : بل أخذه إسهال آمتدّ به أيّاماً عُقيبَ أسره ومات .

وكان مجمعاً للفضائل ، عرياً من الرذائل ، كثير المكارم ، عفيفاً ،

---

(1) قُتل لاجين .

(2) ترجمة لاجين مفقودة .

(3) أي حسام الدين صاحب الترجمة .

(4) أي جزيرة قبرص .

رئيساً ، سَيُوساً ، متودّداً إلى الناس، متحبّباً لهم ، فيه مروءة وحشمة. وله نظم حسَن وعنده أدب ، وله رغبة في إذاعة الخير عنه . ونال من الرئاسة بمصر ما لم ينله قاضٍ غيره .

1148 - الحسن بن بقاء ابن الخشّاب[1]

الحسن بن بقاء بن محمد بن أحمد الخشّاب . روى عن علي بن الحسين بن بندار الأذني ، ومحمد بن عبد الله بن حكيم الأبيض الفهريّ صاحب النسائي . وكتب عنه أبو نصر السِّجزيّ ، وسعد بن علي الزنجانيّ ، وأبو إسحاق الحبّال وغيرهم ، وعبد الوهّاب بن الحسن الكلابي الدمشقيّ قدم عليهم ، وعمرو بن منصور بن منصور بن يزيد الحوراني ، وأبو العبّاس أحمد بن إبراهيم الرازي وآخرون .

1149 - الحسن بن ثوبان الهمْداني [- 145][2]

الحسن بن ثوبان بن عامر ، الهمدانيّ ، ثمّ الهوزنيّ ، يكنّى أبا ثوبان .

يروى عن أبيه ثوبان بن عامر ، وعكرمة ، وسليم بن عِتر[3] ، وقيس بن رافع ، وموسى بن وردان ، وطائفة .

ويروي عنه حيويه بن شريح ، وعمرو بن الحرث ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، وسعيد بن أبي أيّوب ، وعبد الرحمان بن شريح ، ويحيى ابن أيّوب وضمّام بن إسماعيل .

خرّج له النسائي وابن ماجة . وقال أبو حاتم : لا بأس به . ولي ثغر رشيد

(1) توفّي ابن بندار الأذنيّ سنة 385 ، وأبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي سنة 444 ، فيكون صاحب الترجمة عاش بين القرنين الرابع والخامس .
(2) ذكر الكندي ، 307 شيئاً من مروياته .
(3) سليم بن عِتر التجيبيّ : ولي قضاء مصر من سنة 40 إلى سنة 60 (الكندي 303) .

لعبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير في خلافة مروان بن محمد الجعدي .

وكانت له عبادة وفضل . قال المفضّل بن فضالة : دخل علينا الحسن بن ثوبان يوماً ، ونحن في المسجد ، فوقف بنا فسلّم . ثمّ ذهب فجال في / [348 ب] المسجد ، ثمّ رجع إلينا . فقلنا له : يا أبا ثوبان ، وقفتَ بنا ثمّ ذهبتَ ثمّ رجعت ؟

فقال : إنّي أطلب مَن هو أربح لي منكم ، فلم أجده .

وقال أبو زرارة الليث بن عاصم : خرجتُ إلى الحجّ ، وكان عديلي الحسن ٱبن ثوبان ، فكنت كثيراً ما أسمعُه يقول : مَن شهد خروجَه من الدنيا هانت عليه الدنيا ومصائبُها .

فلمّا قدمنا مرض مرضَه الذي توفّي فيه ، فدخلت عليه أعودُه . فلمّا أردت الانصراف ، قلت له : يا عمّ ، أوصني .

فقال : ٱعمل لمثل مضجعي هٰذا ، وللآخرة على قدر مقامك فيها ، وللدنيا على قدر مقامك فيها . فإنّ مقامك في الدنيا قليل .

وتوفّي في شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة .

وفي إمرته على رشيد وثب مينا بالمسلمين برشيد ، وكان مروان بن محمّد يومئذ بترسا[1] . والمسوّدة بالفسطاط ، وقد سوّد أهل الإسكندريّة ، وبعث إليهم مروان بكوثر بن الأسود ، وعثمان بن أبي نِسعة [2] فغلبا أهل الإسكندريّة . فٱستمدّ أهل رشيد كوثر فأمدّهم بعثمان بن أبي نِسعة في خمسمائة ، فجاؤوا . والأقباط في العدوة وأهل الديوان الذين هم بالثغر مائة وخمسون . فبعث الحسن

(1) ترسا : قرية بالجيزة بناها القاسم بن عبيد الله بن الحبحاب (الخطط 1/ 335) .

(2) الكوثر بن الأسود الغنويّ : ذكر الكندي ، 96 استيلاءه على الإسكندريّة .
وعثمان بن أبي نسعة الخثعميّ : كان أيضاً من قوّاد الجعديّ ، وقتله صالح بن علي العبّاسيّ بعد هزيمة مروان (الكندي ، 98) .

بخمسين في المعدّية ، وأقرّ خمسين معه ، وبعث بخمسين إلى طرف القرية حرساً . فأقبل المدد حتى مرّوا بالقبط وبينهم النيل . ثمّ هبطوا فنزلوا الوادي . فقال القبط : ما هؤلاء وأنتم إلّا كلحم على النار . هل يصبح ؟

وكان القبط سبعة آلاف . فلمّا أصبحوا شدّوا على جعفر بن مطير التجيبي أمير خراج رشيد وقتلوا ممّن معه ثمانية . فجاء الصريخُ الحسنَ فجمع خيله وسار . فلمّا عاينَهم قرأ السجدة وسجد ، وسجد مَن معَه . ثمّ قام فقال : حمّ لا ينصرون . وحمل عليهم بمَن معه ، فقتلوا قتلاً لم يسمع بمثله ، فتواثبوا إلى الماء . فبعث الله تماسيحَ لم يُرَ مثلُها فجعلت تخطف كلّ مَن وقع في الماء منهم . ولم يعلم ابن أبي نسعة ، ولا مَن معه بالخبر .

وقيل : بل ثار مينا صاحب البرلّس في اليتماء والبشرود[1] وإخنا ورشيد . وقاتل القاسم بن حذيفة الأزدي فقاتَلَهُم حتّى قُتِل في أهل الثغر .

ثمّ توجّه مينا إلى إخْنا ، وعليها مالك بن الحسين الزنادي فانحاز إلى رشيد وصار من جملة أصحاب الحسن بن ثوبان . فٱستمدّ المسلمون كوثر ، فأتاهم القبَط ، وهم في صلاة الصبح ، فقرأ الحسن : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنْفَطَرَتْ﴾ (الانفطار ، 1) ، ثمّ ٱنصرف إليهم فقاتلهم فهزمهم فظفر بهم ، وكتب إلى مروان بالفتح .

---

(1) البشرود وإخنا ورشيد : من كور أسفل الأرض ، إخنا بين رشيد غربا والبرلّس شرقا على البحر في اتّجاه دمياط ، والبشرود داخل الأرض شمالي دميرة وسخا (عن خريطة رفن كست في كتاب الولاة والقضاة) . أمّا اليتماء فلم نجدها ، ولعلّه أسم محرّف .
هذا وقد تعرّض المقريزيّ لثورة القبط على مروان الجعدي باقتضاب شديد في الخطط 1 / 128 .

1150 – الملك الأمجد الحسن بن داود [بعد 620 – 670][1]

الحسن بن داود بن عيسى بن محمد بن أيوب بن شادي . الملك الأمجد ، ابن الناصر ، ابن المعظّم ، ابن السلطان الملك العادل ، ابن أبي بكر .

ولد بعد سنة عشرين وستّمائة ، وبرع في الفقه والأدب ، وشارك في فنون ، وصحب المشايخ ، وقال الشعر ، وترسّلَ الترسّلَ الفائقَ . وكتب الخطّ المنسوب ، وتزوّج أبنة الملك العزيز عثمان ابن العادل ، ثمّ تزوّج أختَ الناصر يوسف صاحب حلب فولدت له صلاح الدين . واقتنى كتباً نفيسة . وروى عن ابن اللتيّ وغيره .

ومات في [جمادى الأولى] سنة سبعين وستّمائة [بدمشق][2] .

وكان كثيرَ المعروف عالي الهمّة ، شجاعاً مقداماً ، عنده صبرٌ وثبات .

وكان يقتصد في ملبسه ومركبه مع المروءة والجود والمهابة عند الأمراء .

1151 – أبو عليّ الأنصاري الكاتب [– 529][3]

الحسن بن زيد بن إسماعيل بن علي بن محمد ، أبو عليّ ، الأنصاريّ ، الكاتب بديوان المكاتبات في الدولة الفاطميّة .

نفاه الأفضل ابن أمير الجيوش بسبب ما نُسب إليه أنّه من الطائفة النزاريّة .

---

(1) الوافي 12 / 6 (رقم 4) – النجوم 7 / 236 – شذرات 5 / 331 . النجوم 7 / 236 .

(2) الزيادة من الوافي ومن الشذرات .

(3) النجوم لأبن سعيد ، 237 .

وأتّهم أيضاً بهجاء الأفضل . فلمّا ولي المأمون محمد بن فاتك الوزارة ، وأنشأ الجامع بناحية الواحات ، أقامه خطيباً به .

ثمّ إنّه صار إلى القاهرة ، وبقي بها حتى كانت أيّام الحسن ابن الخليفة الحافظ . [فـ]ـنسب إليه أنّه قال فيه [بسيط] :

لم تأتِ يا حسن بين الورى حسناً ولم ترَ الحقَّ في دنيا ولا دين
قتلُ النفوس بلا جرم ولا سببٍ والجَور في أخذ أموال المساكين
لقد جمعتَ بلا علم ولا أدب تيهَ الملوك وأخلاق المجانينِ / [349 أ]

فقتله حسن فِيمن قتله في سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وقيل : بل صنع هٰذه الأبيات [ابن قادوس] ودسّها في رقاع آبن الأنصاريّ ، ثمّ سُعي به إلى الحسن بن الحافظ فوجِدت معه فضرب رقبتَه .

قال صاحب الجنان : هو عريق النسب ، في صناعة الأدب . يمتّ إليها بأوفى ذمام ، ويضرب فيها بأخوال وأعمام . جدّه لأبيه المعتمد الأنصاري[1] وجدّه لأمّه المجيد ابن أبي الشخبَاء[2] ، وكان طموح النظر إلى الرتب العليّة ، والمنازل السنيّة ، تريه همّتُه أنّه بعِبْءِ الرئاسة مُسْتقلّ فهو لكلّ مأْمَلَةٍ مستقلّ . ولو فسح العمرُ له بآمتداده ، وسمح له الدهر بمراده ، بلغ ما ظهر من أدبه ، إلى غاية مطلبه .

إلّا أنّ الزمان دفع في صدر أمله ، وقصّر خطى أجله . فترامت به الأحوال ، إلى أن قتل في الاعتقال السلطاني لأمر نمي عنه ، وهجاء زوّر عليه . فكأنّما أخبر عن حاله بمقاله [بسيط] :

---

(1) معتمد الدولة إسماعيل ، ولي قضاء الأردن ، وقتله بدر الجمالي (نفس المرجع هامش 2) .
(2) أبو عليٍ الحسن بن عبد الصمد العسقلاني ، مجيد الدين ، قُتل سنة 486 (أخبار مصر لأبن ميسر ، 29) . وانظر ترجمته الآتية رقم 1165 .

من لي بعوّد زمانٍ كنت أكرهُه … وكيف للميت بالرُّجعى إلى الألم ؟

ومن شعره [بسيط] :

سأصرف الهمّ عن قلبي بصافية … تكاد تقبس منها جذوة النار
تدبّ نشوتُها من قبل سورتها … فليس تقتل إلّا بعد إنذار

وقال في خيمة الأفضل ابن أمير الجيوش التي سمّاها « خيمة الفرح » [بسيط] :

مولاي قد قصّرت عن شأوك الأممُ … وأبدت العجزَ منها هٰذه آلهممُ
أخيمة ما نصبتَ اليوم أم فلك … ويقظة ما نراه منك أم حلم ؟
ما كان يَخطرُ في الأفكار قبلَك أن … تسمو علوًّا على أفق السُّهَى خِيَمُ
حتى أتيتَ بها شَمَّاءَ شاهقةً … في مارن الدهر من تيهٍ بها شَمَمُ[1]
إنّ الدليل على تكوينها فلكاً … أن آحتوَتك ، وأنت الناسُ كلُّهُمُ
يَمُدُّ مَن في بلاد الصين ناظرَه … كيمَا يرى مصر علماً أنّها علم
ترى الكناس وآرام الظباء بها … أضحَتْ تجاورُها الآساد والأجمُ
والطيرُ قد لزمت فيها مواضعها … لمّا تَحقَّقْنَ منها أنّها حزم
يغدو القماريُّ والبازي يُسالمُها … كأنّما جمعَتْها كُلَّها رحِمُ
لديكَ جيشٌ وجيش في مناكبها … مصوّر ، وكلا الجيشين مزدحِمُ
إذا الصبا حرّكتها ماج موكبُها … فمقدِم منهُمُ فيها ومنهزم
أخيلُها خيلُك اللائي تُغيرُ بها … فليس يُنزع عنها السَّرْجُ واللجمُ ؟
عَلَّمْتَ أبطالَها أن يقدموا أبداً … فكلّهم لغِمَار الحرب مقتحمُ
أمّنتهم أن يخافوا سطوةً لِردًى … فقد تسالمتِ الأسيافُ والقمَمُ
كأنّها جنّةٌ والقاطنون بها … لا يستطيلُ على أعمارِهم هرم

---

(1) المارن : طرف الأنف .

علَت فخلنا لها سرًّا تحدّثهُ   للفرقدين وفي سمعَيْها صمَمُ
إن أنبتت أرضُها زهراً فلا عجبٌ   وقد همَتْ فوقَها من كفِّك الديَمُ
يا « خيمةَ الفرَح » المأمونَ طائرُها   أصبحت فألاً به تستبشر الأُمَمُ
أعطى وذبّ فأغنت كفُّهُ وحمَت   من أن يماح فقير أو يباحَ دم / [349 ب]

ومنها في المديح :

ما قال « لا » قطُّ مذ شُدَّت تمائمُه   وكم له « نعماً » في طيّها نعم
لو كنت شاهدَ شعري حين أنظمُه   إذَنْ رأيتَ المعالي فيك تختصمُ
إذا آدّعَتك الوغى غار الندى حنَقاً   أو أودعَتْك المواضي جاذب القلمُ
ترى النجوم للَفْظي فيك حاسدةً   تودّ لو أنّها في المدح تنتظمُ
أزَرتُك اليومَ من فكري محبّرَةً   في ناظر الشمسِ من لألائها سقَمُ

وذكره العماد في الخريدة فقال : وصفه القاضي الفاضل وأثنى على فضله ، فإنّه في وقته ، لم يسمح العصرُ بمثله ، إلّا أنّه طرقه حادث الزمان الغائظ ، فأحفظ عليه الحسن ابن الحافظ ، وتقلّد حوبته ، وضرب رقبته . وسبب ذلك أنّ ابن قادوس عمل بيتين هجا بهما حسناً ولد الحافظ ، ودسّهما في رقاع ابن الأنصاري ، ثمّ سعى به إلى المذكور فأُخذ فوُجدَت معه ، فقتل بعد الذلّ الشديد والإهانة صبراً بالسيف .

ومن شعره [كامل] :

كم للخيال يداً لو آعتمَدَ الذي   يولي . ولكن [قد] أنال ، وما درى
ما زلتُ أشكُرُ كلَّ مُولي نعمةٍ   حتّى شكرتُ على السّرى طيفَ الكرى

وقال [طويل] :

سرى واصلاً طيفُ الكرى بعدَما صَدّا   فهل خطأً أدّى الزيارة أم عمدَا ؟
ولمّا أتى عطلاً من الدرّ جيدُه   نَظَمْتُ دموعي فوق لبّاتِه عِقدا

وقال [متقارب] :

لعلّ سنا البارقِ المنجد ... يخبّرُ عن ساكن ثهمد
ويا حبّذا خطرة للنسيم ... تجدّد من لوعة المُكْمَد
وفي ذلك الحيّ خمصانة ... لها عُنُق الشادن الأجيدِ
تتيه بعزّة بدر التمام ... وسالـفـة الرَّشَإِ الأغـيـدِ
وتلحف عِطف قضيب الأراك ... رداءً من الأسحم الأجعد
أعاذل أنحيتَ لوماً عليّ ... تروح بذلك أو تغتدي
ففضليَ يبكي على نفسه ... بكاء لبيد على أربدِ
فلا تَبْأَسَنَّ بمطل الزمان ... فإنّيَ منه على موعد
ولا تشكُ دهرَك إلّا إليك ... فما في البريّة من مسعد
ولا تغترر بعطايا اللئام ... فقد ينضح الماء من جلمدِ

1152 – الحسن بن زيد والد السيّدة نفيسة [– 168][1]

الحسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب .

قدم إلى مصر ، ومعه ابنتُه السيّدة نفيسة وزوجها إسحاق بن جعفر بن محمّد .

وولي الحسن بن زيد المدينة في رمضان سنة خمسين ومائة ، من قبَل أبي جعفر المنصور .

وكان فاضلاً أديباً عالماً .

وأمّه أمّ ولد .

---

(1) الأعلام 2 / 205 .

توفّي أبوه زيد بن الحسن ، وهو غلام حَدَث ، وترك عليه ديناً أربعة آلاف دينار ، فحلف الحسن بن زيد أن لا يُظلّ رأسَه سقفُ بيت إلّا سقفَ مسجدٍ ، أو بيت رجلٍ يكلّمه في حاجة ، حتّى يقضِي دَينَ أبيه . فوفّاه وقضاه بعد ذلك .

وأتي ، وهو عامل المدينة ، بشَابّ شارب متأدّب فقال : يا ابن رسول الله ، لا أعود . قال رسول الله ﷺ : أقيلوا ذوي الهيْآت عثراتِهم . وأنا ابن أبي / أُمامة سهل بن حنيف ، ومكان أبي مع أبيك ما علمتَ . [350 أ]

قال : صدقت ، فهل أنتَ عائد ؟

قال : لا والله !

فأقاله وأمر له بخمسين ديناراً وقال : تزوّج بها وعُد إليّ .

فتابَ الشابّ ، وكان الحسن بن زيد يُجري عليه النفقة .

وكانت ولايتُه المدينة في سنة خمسين ومائة بعد جعفر بن سليمَان ، فأقام عليها خمسَ سنين ، ثمّ عزله المنصور ، وحبسه ببغداد وأخذ ماله . فلمّا ولي المهدي ، محمد ابن أبي جعفر المنصور ، الخلافة ، أخرجه وردّ عليه ماله .

ثمّ إنّه مات في سنة ثمان وستّين ومائة . وقيل إنّ قبره بمصر . وكان منحرفاً عن أهل بيتِه ، مائلاً إلى المنصور . ويقال إنّه كان مجاب الدعوة ، وأنّه مرّ بالأبطح ، فإذا بآمرأة تحمل آبناً لها على يدها ، فآنقضّ عليها عُقابٌ وخطف الولد . فتعلّقت بالحسن بن زيد ، وسألته أن يدعوَ الله بردّ الولد عليها . فرفع الحسن يديه ودعا ربّه بمَا شاء ، فأقبل العُقاب وألقى بالولدِ إلى أمّه من غير أن يضرّه بشيءٍ .

وكان يعد[ل] بألف من الكرام . ومدحَه غير واحد . وقال يونس ابن أبي يعقوب : حدّثني جعفر بن محمّد الصادق قال : لمّا قُتل إبراهيم بن عبد الله بن

حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام حُشرنا من المدينة ، فلم يترك فيها محتشم حتّى قدمنا الكوفة . فمكثنا فيها شهراً نتوقّع القتل . ثم خرج الربيع الحاجب فقال : أين هؤلاء العلويّة ؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم .

(قال) فدخلت إليه ، والحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . فلمّا صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟

قلت : لا يعلمُ الغيبَ إلّا الله .

قال : أنت الذي يُجبى إليك هٰذا الخراج ؟

قلت : إليك يجبى يا أمير المؤمنين الخراج .

قال : أتدرون لمَ دعوتُكم ؟

قلت : لا .

قال : أردتُ أن أهدم رباعَكم وأغوّر قُلُبَكم[1] ، وأعقرَ نخلكم وأنزلكم بالسراةِ فلا يجيئكم أحدٌ من أهل الحجاز وأهل العراق ، فإنّهم لكم مفسدة .

قلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ سليمَان عليه السلام أُعْطِي فشكر ، وأيّوب عليه السلام ابْتُليَ فصبر ، وإنّ يوسف عليه السلام ظُلِم فغفر . وأنت من ذلك السِّنخ[2] . (قال) فتبسّم وقال : أعد ! — فأعدتُ . قال : مثلك فليكُن زعيمَ القوم . وقد عفوتُ عنكم ، ووهبت لكم خراج[3] أهل البصرة .

ويروى أنّ الحسن بن زيد لمّا ولي المدينة قال لإبراهيم بن هرمة : إنّي لستُ كمَن باع لك دِينَه رجاء مدحِك أو خوفَ ذمّك . قد أفادني الله بولادة نبيّه المَادحَ وجنّبني المقابحَ ، وإنّ من حقّه عليَّ ألّا أغضِيَ على تقصير في حقّه .

---

(1) القُلب ج قليب : الآبار .

(2) السنخ : الأصل .

(3) في المخطوط : حرام .

وأنا أقسم بالله : لئن أتيتُ بك سكران لأضربنَّك حدّيْن : حدًّا للخمر ، وحدًّا للسكر ! ولأزيدَنَّ لموضع حرمتِك بي . فليكن تركك لله تُعَنْ عليه ، ولا تَدَعْها للنّاس فتوكلَ إليهم .

فنهض ابن هرمة وهو يقول [وافر] :

نهاني ابن الرسول عن المدام وأدّبني بـآداب الكـرام
وقال لي اصطبِرْ عنها ودعها لخوف الله لا خوفِ الأنام
وكيف بصبري عنها ، وحبّي لها حبٌّ تمكّن في عظامي ؟
أرى طيبَ الحلال عليّ خبثاً وطيبَ العيش في خبث الحرام[1]

1153 ـ الحسن بن زيرك الطبيب [ـ 270] [2]

الحسن بن زَيْرك ، كان من أطبّاء مصر في أيّام أحمد بن طولون . فاتّفق أنّه لمّا قدم أحمد بن طولون من الشام في مرضه ، أحضر الحسن هٰذا وشكا إليه طبيبَهُ سعيد بن نفيلة النصرانيّ ، فسهل الحسن على ابن طولون أمر عِلّتِه وقال له : أرجو لك السلامة عن قرب .

وعندما ٱستراح ابن طولون من حركة السفر وٱطمأنّ بٱجتماع شملِه وهدوء نفسه ، خفّت عنه العلّة . فتبرّك بالحسن ، إلّا أنّ الأقدار لم تساعده ، وشرع ابن طولون يخلط مع حرمه فتزايدت به العلّة ، فٱستدعى الأطبّاء وكتم عنهم ما كان منه من سوء التدبير / والتخليط . واشتهى سمكاً قريساً[3] فأكله . وعندما ٱستقرّ في معِدتِه تتابع الإسهالُ ، فأحضر الحسن وقال له : أحسب أنّ الذي [350 ب]

---

(1) ديوانه ، نشر المعيبد ، النجف 1969 ص 35 .
(2) الوافي 12 / 24 (17) ـ ابن أبي أصيبعة 3 / 138 .
(3) السمك القريس : المصبّر في الحوامض .

سقيتنيه اليومَ كان غيرَ صواب .

فقال : يحتاج الأمير أيّده الله ، إلى إحضار جماعةِ أطبّاء الفسطاط إلى داره في غداة كلّ يوم ، حتّى يتّفقوا على ما يأخذه . وما سقيتُكَ إلّا ما تولّى عجنَه ثقتُك ، وجميعُه يُنهضُ القوّةَ الماسكةَ في معدتِك وكبدِك .

فضاق صدر ابن طولون وقال : والله لئن لم ينجع فيَّ تدبيركُم لأضربنّ أعناقَكم بأسركم ، فإنّكم تمخرقون على العَليل ولا يحصل منكم شيء في الحقيقة .

فخرج من بين يديه وهو يرعد ، وكان شيخاً كبيراً . فحمِيت كبدُه من سوءِ فكره وخوفه وتشاغل بالهمّ عن المأكل والمشرب والنوم ، واعتاده إسهال ذريع حرّك قوّته فاختُلط وصار يهذي بعلّة ابن طولون حتى مات من غد ذلك اليوم في جمادى الآخرة سنة سبعين ومائتين .

1154 ـ المطّوّعي المقرىء [270 ـ 371][1]

الحسن بن سعيد بن جعفر ، المطّوّعيّ ، أبو العبّاس ، العبّادانيّ ، المقرىء ، نزيل اصطخر .

ولد في حدود سنة سبعين ومائتين . وكان أحدَ مَن عُني بالقراءات وتبحّر فيها ، ولقي الكبارَ ، وأكثر من الرحلة في الأقطار . وقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحدّاد ، ومحمد بن عبد الرحيم الأصبهاني ، والحسين بن عليّ الأزرق الجمّال ، ومحمد بن القاسم بن يزيد الإسكندرانيّ ، ومحمد بن موسى الصوري ، صاحبَي ابن ذكوان[2] ، وأحمد بن فرح المفسّر ، ومحمد بن محمد بن

---

(1) الوافي 12 / 29 (24) ـ غاية النهاية 1 / 213 (978) .

(2) ابن ذكوان : محمد بن سليمان البعلبكيّ (ت 354) ـ غاية النهاية 2 / 148 (3041) .

بدر [الباهليّ] صاحبي الدوري[1] ، وإسحاق بن أحمد الخزاعيّ .

وسمع الحديث من الحسن بن المثنّى ، وإدريس بن عبد الكريم ، وأبي خليفة الجمحيّ ، وجعفر الفريابيّ ، وطائفة . وجمع وصنّف ، وعمّر دهراً طويلاً . وانتهـ[ـت] إليه علوم الإسناد في القراءات . قرأ عليه أبو الفضل محمد ابن جعفر الخزاعيّ ، وأبو الحسين علي بن محمد الخبّازي ، وأبو بكر محمد بن عمر ابن زلال النهاونديّ شيخ عبد السيّد بن عتّاب ، ومحمد بن حسين بن الكرازيني ، وهو آخر مَن تلا عليه .

وحدّث عنه أبو بكر ابن أبي علي الذكواني ، وأبو نعيم الحافظ وجماعة . قال أبو الفضل الخزاعيّ : قلتُ للمطوّعي : في أيّ سنة قرأتَ على إدريس الحدّاد ؟

قال : في السنة التي رحلتُ فيها إلى الريّ ، سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

قلت له : فقد قاربت المائة ؟

قال : إلّا سنتَين .

قلت له ذلك في سنة سبع وستّين وثلاثمائة . (قال الخزاعي :) وكان أبوه واعظاً محدّثاً .

وقال أبو نعيم : قدم الحسن هذا إصبهان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . وكان رأساً في القرآن وحفظه . وفي حديثه وروايته لينٌ .

قال أبو بكر بن مردويه : ضعيف .

توفّي ، وقد أناف على المائة ، في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .

---

(1) الدوري : حفص بن عمر (ت 248) أعلام النبلاء ، 11 / 541 (159) .

1155 – الحافظ النسويّ [213 – 303][1]

الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء ، أبو العبّاس ، الشيباني ، النسويّ ، الحافظ ، صاحب المسند .

من قرية بالوز ، وهي على ثلاثة فراسخ من بلد نسا .

روى عن هدبة بن خالد ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وحيّان بن موسى ، وإسحاق بن راهويه ، وعمرو بن زرارة ، وقتيبة بن سعيد ، وإبراهيم بن يوسف البلخي ، وعليّ بن حجر ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعمرو الناقط ، وسويد بن سعيد ، وأبي خيثمة ، والقواريريّ ، وإبراهيم بن الحجّاج ، وأبي الربيع الزهراني ، وسهل بن عثمان العسكري ، وعبد الرحمان بن سلّام الجمحيّ ، وأبي كامل الجحدريّ ، وشيبان بن فرّوخ ، وإبراهيم بن المنذر الخزامي ، وأبي مصعب ، وهارون بن سعيد ، وعيسى بن حمّاد .

وقدم دمشق فسمع بها من هشام بن خالد ، ودحيم ، وإبراهيم بن هشام ابن يحيى بن يحيى ، وصفوان بن صالح ، وهشام بن عمّار ، وإبراهيم بن أيّوب الحوّاري ، وعبّاس بن الوليد الخلّال .

وسمع بمصر محمد بنَ رمح ، وأبا الطاهر وحرملة . وسمع المسيّب بن واضح .

وروى عنه محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني الحافظ ، وأبو علي الحسين ابن عليّ الحافظ ، وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وهو من أقرانه ، وجعفر بن محمد بن سوّار ، وأبو عمر أحمد بن المبارك السلميّ ، وأبو الحسين

---

(1) الأعلام 2/ 206 – الوافي 12/ 32 (28) – النجوم 3/ 189 أعلام النبلاء ، 14/ 157 (92) .

محمّد بن عبد الله بن جعفر الرازيّ ، وأبو بكر محمد بن الحسن النقّاش المقرىء ، وأبو حامد بن الشرقيّ ، / وأبو عمرو بن حمدان ، وأبو بكر محمد بن داود بن [351 أ] سليمَان الزاهد ، وأبو بكر محمد بن جعفر البشتي ، وأبو بكر عبد الله بن محمد ابن مسلم الإسفراييني ، وأبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجانيّ ، وأبو جعفر محمد بن عليّ الجوسقانيّ ، وأبو حاتم محمد بن حبّان البستي ، وإبراهيم بن إسماعيل القارىء ، وعلي بن قيدار الزاهد ، وابنا ابنيه إسحاق بن سعد بن الحسن ، وأبو محمد سفيان بن محمد بن الحسن بن سفيان .

قال ابن أبي حاتم : كتب إليّ ، وهو صَدوق .

وقال الحسن بن سفيان : قدمتُ على عليّ بن حجر ، وكان من آدب الناس ، وكان لا يرضى قراءة أصحاب الحديث ، فغاب عنه القارىء يوماً . فقال : هاتوا من يقرأ .

فقمت فقلت : أنا .

فقال : اجلس .

ثمّ قال الثانية : مَن يقرأ .

فقلت : أنا .

فقال : اجلس .

وقال أبو بكر بن علي الرازي : ليس للحسن في الدنيا نظير . — وقال أبو علي الحسين بن عليّ الحافظ : سمعت الحسن بن سفيان يقول : إنّما فاتني يحيى بن يحيى : فالوالدة لم تدعْني أخرج إليه . فعوّضني الله بأبي خالد الفرّاء ، وكان أسند من يحيى بن يحيى . وقال : لولا اشتغالي بحبّان بن موسى ، وسماعي مصنّفاتِ ابن المبارك منه ، لجئتكُم بأبي الوليد وسليمَان بن حرب .

وقال الحاكم : سمعتُ أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وأبا عمرو

أحمد بن محمد الجيزيّ ، وأبا بكر أحمد بن علي الرازيّ الحافظ في جماعة المطّوعة ، وهم متوجّهون إلى فَرَاوَة[1] فقال له أبو بكر أحمد بن عليّ : قد كتبتُ لأبي بكر محمد بن إسحاق هٰذا من حديثك .

فقال : هات ، ٱقرأ !

فأخذ فقرأ . فلمّا قرأ أحاديث أدخل إسناداً منها في إسناد فردّه الحسن بن سفيان إلى الصواب . فلمّا كان بعد ساعة ، أدخل أيضاً إسناداً في إسنادٍ فردّه إلى الصواب . فلمّا كان في الثالثة قال له الحسن : ما هٰذا ؟ لا تفعل . فقد ٱحتَمَلْتُك مرّتَين ، وهٰذه الثالثة . وأنا ٱبن تسعين سنة ، فٱتّقِ الله في المشايخ ! فربّمَا ٱستجيبَت فيك دعوة .

فقال أبو بكر بن خزيمة : لا تؤذِ الشيخ !

فقال أبو بكر : إنّما أردتُ أن يعلم الأستاذ أنّ أبا العبّاس يعرف حديثَه .

(قال) وسمعتُ أبا الوليد [حسّان بن محمد] الفقيه يقول : كان الحسن ابن سفيان أديبًا فقيهًا . أخذ الأدبَ عن أصحاب النضر [بن شميل . أخبرَنا أبو نصر] أحمد بن جعفر[2] الإسفراييني [قال : حدّثنا] الفقيه أبو الحسن الصفّار قال : كنّا في مجلس الشيخ الإمام الزاهد الحسن بن سفيان النسويّ ، وقد ٱجتمع لديه طائفة من أهل الفضل ارتحلوا إليه من أطباق الأرض والبلاد البعيدة مختلفين إلى مجلسِه لاْقتباس العلم وكتابة الحديث . فخرج يوماً إلى مجلسه الذي كان يملي فيه الحديث . فقال : ٱسمعوا ما أقول لكم قبل أن نشرع في الإملاء . قد علمنا أنّكم طائفة من أبناء النّعم وأهل الفضل ، هجرتُم أوطانكم وفارقتم دياركم وأصحابَكم في طلب العلم وٱستفادة الحديث . فلا يخطرنّ ببالكم أنّكم قضيتُم بهٰذا التجشّم للعلم حقًّا ، أو أدّيتم بمَا تحمّلتم من الكُلَف والمشاقّ من فروضه

---

(1) فراوة : بلدة من أعمال نسا (ياقوت) .

(2) الزيادات من أعلام النبلاء ، 14/ 159 ـ 161 وفيها : أحمد بن محمد الإسفراييني .

فرضاً . فإنّي أحدّثكم ببعض ما تحمّلته في طلب العلم من المشقّة والجهد ، وما كشف الله سبحانه وتعالى عنّي وعن أصحابي ببركة العلم وصفوة العقيدة من الضيق والضنك :

أعلموا أنّي كنت في عنفوان شبابي أرتحلت من وطني لِطلب العلم واستملاء الحديث . فأتّفق حصولي بأرض المغرب وحلولي بمصر في تسعة نفرٍ من أصحابي طلبة العلم وسامعي الحديث . وكنّا نختلف إلى شيخ كان أرفع أهل عصره في العلم منزلة ، وأدراهم بالحديث ، وأعلاهم إسناداً ، وأوضحهم رواية . فكان يملي علينا كلّ يوم مقداراً يسيراً من الحديث حتى طالت المدّة وخفنا النفقة . ودفعت الضرورة إلى بيع ما صحِبَنَا / من ثوب وخرقة ، إلى أن لم يبقَ لنا ما كنّا [351ب] نرجو حصول قوت يوم منه ، وطوينا ثلاثة أيّام بلياليها جوعاً وسوءَ حال ، ولم يذق واحدٌ منّا شيئاً . وأصبحنا بكرة اليوم الرابع بحيث لا حراك بأحدٍ من جملتنا من الجوع وضعف الأطراف . وأحوجت الضّرورةُ إلى كشف قناع الحشمة وبذل الوجه للسؤال . فلم تسمح أنفسنا بذلك ولم تطب قلوبُنا به ، وأنِف كلّ واحدٍ منّا عن ذلك ، والضرورة تحوجُ إلى السؤال على كلّ حال . فوقع آختيار الجماعة على كتابة رقاع بأسامي كلّ واحدٍ منّا ، وإرسالها قرعةً ، فمن آرتفع اسمه من الرقاع كان هو القائم بالسؤال وأستماحة القوت له ولأصحابه . فأرتفعت الرقعة التي اشتملت على آسمي ، فتحيّرتُ ودهشْت ولم تسامحني نفسي بالمسألة وآحتمال المذلّة . فعدلتُ إلى زاوية من المسجد أصلّي ركعتين طويلتين قد آقترن الاعتقاد فيها بالإخلاص ، أدعو الله سبحانَه بأسمائِه العِظام وكلماته الرفيعة لكشف الضرّ وسياقةِ الفَرَج . فلم أفرغ بعد مِن إتمام الصلاة حتّى دخل المسجدَ شابٌّ حسنُ الوجه نظيفُ الثوب طيّبُ الرائحة ، يتبعه خادم في يده منديل فقال : « من منكم الحسنُ بن سفيان ؟ » فرفعت رأسي من السجدة وقلت : أنا الحسن بن سفيان ، فما الحاجة ؟

فقال : إنّ الأمير ابن طولون صاحبي يقرئكم السلام والتحيَّة ويعتذر إليكم

في الغَفْلَةِ عن تفقّد أحوالكم والتقصير الواقع في رعاية حقوقكم ، وقد بعث بمَا يكفي نفقة الوقت ، وهو زائرُكم غداً بنفسه ، ويعتذر بلفظه إليكم .

ووضع بين يدي كلّ واحدٍ منّا صرَّة فيها مائة دينار . فتعجّبنَا من ذلك جدًّا ، وقلنا للشابّ : ما القصَّةُ في هٰذا ؟

فقال : أنا أحد خدم الأمير أحمد بن طولون المختصّين به والمتّصلين بأقربائه وخواصّ أصحابه . دخلتُ عليه بُكرة يومي هٰذا مسلّماً في جملةِ أصحاب لي . فقال لي وللقوم : « أنا أحبُّ أن أخلوَ يومي هٰذا ، فٱنصرفوا أنتم إلى منازلكم » . فٱنصرفتُ أنا والقوم . فلمّا عدت إلى منزلي لم يسبق قعودي حتى أتاني رسول الأمير مسرعاً مُسْتَعْجِلاً يطلُبني حثيثاً .

فأجبتُه مسرعاً فوجدتُه منفرداً في بيتٍ واضعاً يمينَه على خاصرته لوجع ممضٍّ ٱعتَراه في داخل جسده . فقال لي : أتعرف الحسن بن سفيان وأصحابه ؟

فقلت : لا .

قال : ٱقصد المحلّة الفلانيّة ، والمسجد الفلانيّ ، وٱحمل هٰذه الصُّرَرَ وسلّمها في الحين إليه وإلى أصحابه ، فإنّهم منذ ثلاثة أيّام جياعٌ بحالةٍ صعبةٍ ، ومهّدْ عُذري لديهم ، وعرّفهم أنّي صبيحة الغدِ زائرهم ومعتذر شفاهاً إليهم .

(قال الشابّ) سألتُه عن السبب الذي دعاه إلى هٰذا . فقال : دخلت هٰذا البيت منفرداً على أن أستريح ساعةً . فلمّا هدأت عيني رأيتُ فارساً في الهواء متمكّناً تمكّنَ مَن يمشي على بساط الأرض ، وبيده رُمحٌ . فقضيتُ التعجّب من ذلك وكنت أنظر إليه متعجّباً حتى نزل إلى باب هٰذا البيت ، ووضع سافلة رمحه على خاصرتي وقال : قم فأدرك الحسنَ بنَ سفيان وأصحابه ، قم وأدركهم ! قم وأدركهم ! قم وأدركهم ! فإنّهم منذ ثلاثة جياع في المسجد الفلانيّ .

فقلت : مَن أنت ؟

فقال : أنا رضوان صاحب ٱلجنّة .

ومنذ أصاب سافلة رمحِه خاصرَتي أصابني وجعٌ شديدٌ ، لا حراك لي معه . فعجّلْ إيصال هٰذا المال ليزولَ الوجعُ عنّي .

فقال الحسن : فتعجّبنا من ذلك ، وشكرنا الله سبحانه وتعالى ، وأصلحنا أمورنا ، ولم تطب أنفسُنا بالمقام حتّى لا يزورَنا الأمير ولا نطلع الناس على أسرارنا ، فيكون ذلك سبب ارتفاع آسمٍ وآنبساط جاهٍ ، ويتّصل ذلك بنوع من الرياء . فخرجنا تلك الليلة من مصر ، وأصبح كلّ واحدٍ منّا واحدَ عصره وقريعَ دهره في العلم والفضل .

فلمّا أصبح الأمير ابن طولون أتى المسجدَ لزيارتنا وطلبنَا ، فأخبر بخروجنا .

[فـ]أمَرَ بآبتياع تلك المحلّة بأسرها، ووقفها على ذلك/المسجد ، وعلى من ينزل به [352 أ] من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم ، نفقةً لهم حتّى لا تختلّ أمورُهم ولا يصيبَهم من الخلل مَا أصابنا[1].

وذلك كلّه بقوّة الدين وصفوة الاعتقاد ، والله سبحانَه وليُّ التوفيق .

* * *

وقال الحاكم : الحسن بن سفيان محدّث خراسان في عصره ، مقدّم في التثبُّتِ والكثرة والرحلة والفهم والفقه والأدب . تفقّه عند أبي ثور ، وكان يُفتي على مذهبه . وصنّف المسند الكبير ، والجامع ، والمعجم ، وغير ذلك . وهو رَاويةُ خراسان لمصنّفات الأئمّة .

توفّي سنة ثلاث وثلاثمائة .

1156 ـ الشهاب البصروي [637 ـ 719][2]

الحسن بن سليمَان بن فزارة بن بدر ، الشيخ الإمام ، شهاب الدين ، أبو

(1) علّق الذهبيّ في السير ، 14/ 162 فقال : لم يَلِ طولون مصر ، أمّا أحمد بن طولون فيصغر عن الحكاية ، فالله أعلم بصحّتها .

(2) شذرات 6 / 51 و يسمّيه : الكفري .

عبد الله ، البصروي ، الفقيه ، الحنفيّ .

ولد سنة سبع وثلاثين وستّمائة تقريباً . وقرأ القراءات على القاسم بن أحمد الأندلسيّ ، وتفرّد بالإقراء عنه .

وسمع الحديث من عبد الدائم ، وٱبن الدرجي ، وٱبن أبي اليسر ، وابن طلحة ، في آخرين . وحدّث ، وقرأ بنفسه ، وكتب بخطّه ، وشرح الشاطبيّة . وكان عارفاً بالنحو والأدب .

توفّي في ثالث عشر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة [1] .

1157 – أبو عليّ الورّاق [555 – 731] [2]

حسن بن سيف بن عليّ بن عبد الله ، ابن أبي الفتح ، ابن مكثر بن يعلى ابن عبد الله بن محمد بن عليّ ، أبو عليّ ابن المنذر ، الأندلسيّ الأصل ، المصريّ المولد والدار ، الورّاق .

ولد بالقاهرة في السابع من ذي الحجّة سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وتوفّي بالقرافة يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة .

1158 – ٱبن النقيب [606 – 687] [3]

حسن بن شاور بن طرخان ، ناصر الدين ، أبو عليّ ، ابن نجم الدين أبي

---

(1) في الشذرات : توفّي بدمشق في شعبان عن 82 سنة .

(2) لم نجد له ترجمة في غير المقفّى . وإدراجه في هذا القاموس غريب إذ لا يذكر له المقريزيّ ميزة غيرَ مهنةِ الوراقة ونسبتهِ الأندلسيّة البعيدة .

(3) الأعلام 2 / 207 وقال : النفيسيّ . الوافي 12 / 44 (39) : ابن الفقيسيّ كما هنا . =

الفتح ، ابن النقيب ، الكناني ، المعروف بآبن الفقيسيّ .

ولد في سنة ستّ وستّمائة ، ومات [سنة سبع وثمانين وستّمائة] .

ومن شعره [سريع] :

ليهنَ أحبابيَ نِيلٌ دنا ومفرد وَفاءَهُ مؤذنا
ما النيل إلّا أدمعي بعدهم كلّا ولا المفرد إلّا أنا

وهو أوّل من أثار هٰذا المعنى ، وأخذ منه جمَاعة . وقال أيضاً [رمل] :

صبغة اللحية ذنب بدليل قد تأصّلْ
فَهْيَ لا تبرحُ منه كلّ وقت تتنصّل

وقال [متقارب] :

وداد الورى ملَق كلُّه وسُمُّهُمُ كامنٌ في الرحيقْ
وكلّهمُ واحدٌ يلْتَقِيك بقلب العدوّ ووجهِ الصديق

وقال [رمل] :

لا تثق من آدميّ في وداد بِصفاء
كيف يُرجى منه صفو وهو من طين وماء ؟

وقال [سريع] :

وصاحب صاحبتُه عالماً بأنّه كالسمّ في الجسم
فكنت في صحبته كالذي أضلَّه الله على علم

وقال [خفيف] :

= فوات 1 / 324 (115) : النفيس - شذرات 5 / 400 : ابن النقيب . النجوم 7 / 376 : ابن الفُقَيسيّ وابن النقيب - الدليل الشافي ، 262 (899) - ابن سعيد في المغرب 1/ 258 ولم يذكر له نسبة .

حجّ في الدهر حجّة وتـغـنّى وأحـرمـا
وأتـانـا مـن الحجا زِ كما راح مُجرما
وهو ذو الحجّة الذي مـا توقّى المحرّمـا

وقال [وافر] :

أتطمع من زمانك ذا وفاءً وتأمَلُ ذاك جهلاً من بنيه ؟
لقد قلّ الوفاء به ، وإنّي لأعجبُ من وفاء النيل فيه

وقال [كامل] :

ولقد كتمتُ غرامَه حتّى بدا في صفحتَي خدّيه مشْقةُ لامِ
[352ب] فوشى ونمّ عليَّ آسُ عذاره فاَعجَبْ لآسِ عِذارِهِ النمّامِ /

1159 – الحسن بن شعرة [– 256][1]

كان مضحّكاً لأمير المؤمنين المتوكّل على الله . وكان يغنّي أيضاً . فقدم إلى مصر وانضوى إلى أحمد بن محمد بن مدبّر ، وصار لما يعلمه من كراهة ابن مدبّر لأحمد بن طولون يذكره عنده بسوءٍ . فأحضره ابن طولون ونهاه عن ذلك ، وكأنّه إنّما أغراه به ، ولم ينتهِ . فأقبل يتقرّب إلى ابن مدبّر يذكره بمَا لا يجوز من أبواب الضحك . فبلغه ذلك فبعث إليه من نهاه فلم ينتهِ ، فأحضره وقال له : ويحك ، انتهِ عمّا بلغني عنك . فلن يبلغني بعد هٰذا شيءٌ أكرهُه إلّا أتيتُ على نفسك .

فعاد إلى ابن مدبّر بعد أن أحلفه ابن طولون ، فحلف له أنّ جميع ما يبلغه كذب عليه . فدخل خزائن كسوته ولبس منها ثياب أحمد بن طولون ، وخرج

---

(1) لم نجد له ترجمة غير هذه .

إليه فجلس مثلَ جلوسه وحكاه بمثل كلامه وجميع إشاراته ، وأعاد على ٱبن مدبّر جميعَ ما خاطبه به أحمد بن طولون ، وابن مدبّر يضحك منه ويُعجبه ذلك . فبلغ المجلسُ أحمدَ بن طولون فأسرّه في نفسه[1] .

وكان قد زاد السعرُ وٱضطرب البلدُ . فَركب أحمد بن طولون ليَهدِّىء الناسَ ويعاقبَ القمّاحين والخبّازين وينظر في مصالح الناس . فلمّا بلغ مسجد عبد الله ٱزدحم النساء من السطوح للنظر إليه من كلّ دار . فاطّلعَت ٱمرأة من دار ابن شعره من السطح من بين مِرْكَنَيْنِ[2] فيهما ريحان . وجاءت أخرى معها فٱزدحمتا فرمت إحداَهُما إحدى المِرْكَنَتَيْن فسقطت القدور على كِفل فرس أحمد ٱبن طولون ، فوثب به ونثره من السرج فلولا ثباتُه في سرجه لطاح منه .

فسأل عن الدار فقيل : هي للحسن بن شعره . فأحضره في الوقت وشقّ ثيابه عنه وضربه في موضعه خمسمائة سوط وهدم الدار وطاف به البلدَ على جمل فمات لوقته وذلك في سنة ستّ وخمسين ومائتين .

1160 – الحسن بن الصبّاح [– 518][3]

الحسن بن صباح ، الرازي ، رئيس الإسماعيليّة ، المعروف بالكيّال .

كان رجلاً شهماً كافياً عالماً بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك . فمال إلى دعوة الباطنيّة وصار تلميذاً لأحمد بن عبد الملك بن عطّاش الطبيب . وكتب للرئيس عبد الرزّاق بن بهرام بالريّ . فٱتّهم أبو مسلم رئيس الريّ[4] بدخول جماعة من المصريّين عليه ، فخافه ابن الصبّاح وخرج من

---

(1) في المخطوط : في أسره .
(2) المِركن والمركنة : الإجّانة والجفنة .
(3) اتّعاظ ، 2 / 323 و3 / 108 – الأعلام 2 / 208 – دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 260 – الكامل لأبن الأثير (سنة 494) . الفخري لأبن الطقطقا ، 300 .
(4) في الكامل : وهو صهر نظام الملك .

الريّ ، فطلبه أبو مسلم فلم يدركه .

ومضى ابن الصبّاح فطاف في البلاد . فقدم إلى مصر في سنة تسع وسبعين وأربعمائة في زيّ تاجر وٱجتمع بالخليفة المستنصر بالله ، وحدّثه في إقامة دعوته ببلاد خراسان[1] ، فوصله بمَال ، وأقام عنده مدّةً . فبلغه عنه ما أوجب ٱعتقاله . ثمّ أخرجه وأنعم عليه ، وكتب له بخطّه جواباً عن مسائل سأله عنها على مذهب الإسماعيليّة .

وخرج من القاهرة إلى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم . ورجع إلى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر ، وهو يطوف على الناس ويدعو إلى المستنصر وينشر الدعوة ببلاد الجبل وقزوين وأصبهان حتى شاعت . وسيّر دعاتَه ورُسلَه إلى بلاد العجم وألقى عليهم مسائلهم التي منها :

لمَ كانت الأيّام سبعة ؟

والبروج ٱثني عشر ؟

والسماوات سبعاً ؟

والأرضون سبعاً ؟

والشهور ٱثني عشر ؟

وفي كلّ كفّ من الإنسان خمسُ أصابع ؟

وفي كلّ إصبع ثلاثة شقوق ؟

وفي ظهر الإنسان ٱثنتا عشرة خرزة ؟

وفي عنقه سبع خرزات ؟

ونحو ذلك .

وٱدّعى أنّه ٱستأثر من إمامه بغوامض علوم وبديع أسرار . وكانت الدعوة الإسماعيليّة هناك قديمة فقبلها كثير من الناس . وأخذ في ٱبتياع الأسلحة والعُدد

---

(1) في الكامل : وأمره أن يدعوَ الناس إلى إمامته .

الحربيّة سرًّا . وواعد أصحابه ممَّن ٱستجاب له على ليلة عيّنها لهم من شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، والسلطان يومئذ ملكشاه ابن ألب أرسلان . وأخذ قلعة ألموت وهي بنواحي قزوين ، ولها بلاد كثيرة بأصبهان وقلاع عديدة . وكانت قديمًا قبل الإسلام وفي صدر الإسلام لملوك الديلم ، وهي من الحصانة والمناعة / [353 أ] على غاية ، لا ترقى الهممُ إلى بلوغها وتُحيطُ بها بحيرة . فبعث نظام الملك عسكراً إلى قلعة ألموت فحصر ابن الصبّاح إلى أن ضاق ذرعُه بالحصر . فأرسل مَن قتل نظام الملك ، فلمّا قُتل رجع العسكرُ عنه .

ولمّا ملكها ٱجتمع باطنيّة إصبهان ونواحيها مع رئيس دعاتهم أحمد بن عطاش ، وأخذوا قلعتين عظيمتين فعظم أمرُهم وكثر عملُهم بالسكّين . وكان أوّلُ عملِهم بالسكّين أنّ الحسن بن الصبّاح لمّا بثَّ دعوته وصار معه طائفة أظهر التديّنَ والزهادةَ وقال لأصحاب قلعة ألموت : نحن قومٌ ضعفاء زهّاد نريد عبادة الله عندكم . فبيعونا نصف هٰذه القلعة !

فباعوها منهم بتسعة آلاف دينار وسكنوا فيها . فٱستولى عليها ، وبلغ خبره ملك تلك الناحية فقصده بعسكره ليحاربه . فقال عليّ اليعقوبيّ للحسن بن صبّاح ولمن معه : أيّ شيءٍ يكون لي عندكم إنْ كَفَيْتُكم أمرَ هٰذا العسكر ؟

فقال : نذكرك في تسابيحنا .

فقال : رضيتُ .

ونزل بهم . وقسمهم أرباعاً في أرباع العسكر . وجعل معهم طبولاً وقال : إذا سمعتُم الصائحة فٱضربوا الطبول .

ثمّ هجم على صاحب العسكر في الليل وقتله . فوقع الصياح في العسكر ، فضرب أولائك الطبول ، فلم يثبت العسكر لِما ملأ قلوبَهم من الخوف وفرّوا بأجمعهم وتركوا خيامَهم ، فنقلها أصحاب ابن الصبّاح إلى قلعة ألموت . ومن

ذلك الوقت سنّوا سنّـ[ـة][1] السكّين ، وٱغتالوا الملوك والرؤساء ، وكثر قتلهم للناس .

فٱستدعي الإمام أبو حامد الغزالي إلى نيسابور وأقام بالمدرسة النظاميّة فيها وٱشتغل بمناظرة أصحاب ابن الصبّاح وألّف كتاب « المستظهري » وأجاب عن مسائلهم . وجدّ السلطان ملكشاه في قلعهم فلم يتمكّن من ذلك .

فلمّا مات المستنصر بالله في ذي الحجّة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، ٱدّعى الحسن بن الصبّاح أنّه قال للمستنصر لمّا كان عنده : « مَن الإمام بعدك ؟ قال : ولدي نزار » . وأنكر إمامة المستعلي ودعا لنزار ابن المستنصر . فلمّا قُتل نزار في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين قال أصحاب ابن الصبّاح له : إنّك تدّعي حضوره .

فقال لهم : الآية في ذلك أن يطلع القمر في غير وقته من غير مطلعه .

ثمّ عمد إلى جبل بجانبهم شديد الارتفاع . وعمل بعض مخاريقه فصار يرى كالقمر قد طلع من وراء الجبل . فعند ذلك صار بعضُهم يبشّر بعضاً بالإمام نزار . وأقرفوا[2] من أهل مصر وشرعوا في ٱفتتاح الحصون فأخذوا قلاعاً . وٱشتغلوا بعمل السكّين التي سنّها لهم علي اليعقوبيّ . وأخذ ابن الصباح يقول لأصحابه : إنّ الإمام نزاراً بين أعداء كثيرة ، والأعداء محيطة به ، والبلاد بعيدة ، ولم يتمكّن من الحضور ، وقد عزم على أن يستخفي في بطن ٱمرأة ويستأنفَ الولادة ليجيء سالماً .

فصدّقوه في ذلك ، وأخرَج إليهم جارية حبلى وقال لهم : « إنّ الإمام قد ٱختفى في هٰذه » . فعظّموها حتى ولدت ذكراً وسمّاه حسناً وقال : قد تغيّر الاسم بتغيير الصورة .

---

(1) قراءة ظنّيّة .

(2) أقرف به وأقرفه : عابَهُ .

وفي المحرّم سنة ثلاث وخمسمائة سيّر السلطان محمد بن ملكشاه وزيرَه أحمد ابن نظام الملك إلى قلعة ألموت لقتال الحسن بن الصبّاح ، فحصره وهجم عليه الشتاء فعاد بغير طائل .

وفي سنة خمس وخمسمائة ندب أيضاً لقتاله الأمير أنوشتكين شيركير صاحب ساوة[1] فلك عدّة قلاع للحسن بن الصبّاح ونزل على قلعة ألموت بعساكره ، وأمدّه السلطان محمّد بعِدّة من الأمراء ، فجدّ في قتال الحسن وبنى له مساكنَ يسكنها هو ومَن معه . فضاق الأمر على الحسن وقلّت الأقوات عنده حتى كان يجري لكلّ مِن أصحابه رغيفاً وثلاث جوزاتٍ في اليوم . فبينا هم في ذلك إذ مات السلطان فرحل العسكر وغنم الحسن ما تخلّف عنهم .

ثمّ إنّ ابن صبّاح ندب لقتل الأفضل ابن أمير الجيوش من أصحابه فلمّا قتل في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة / ووليَ القائد أبو عبد الله [353ب] محمد بن فاتك المعروف بالمأمون البطائحيّ وزارة الخليفة الآمر بأحكام الله بعد قتل الأفضل ، اتّصل به أنّ النزاريّة والحسن بن الصبّاح فرحوا بموت الأفضل ، وأنّ آمالهم امتدّت إلى قتل الآمر والمأمون ، وقد بعث ابنُ الصبّاح رسلاً لمن في مصر من أصحابه بأموال تفرّق فيهم .

فضبط حينئذ المأمون أمرَ مصر ضبطاً عظيمًا حتّى قبض على جماعةٍ كثيرة من أصحاب ابن الصبّاح . وعقد مجلساً بالقصر للنظر في أمر النزاريّة . وكتب إلى الحسن بن الصبّاح يعظه ويأمره بالرجوع عن القول بإمامة نزار ، فلم يقنع بذلك ، وأقام على دعوته إلى أن مات بناحية ألموت في سنة ثماني عشرة وخمسمائة .

وكان ذا سمت وزهد ، وله أتباع من جنسه .

وقام مِن بعده بألموت ديلميّ يعرف بزركمين .

---

(1) ساوة : بين الريّ وهمذان (ياقوت) .

وهٰذه الطائفة الإسماعيليّة يقال لها أيضاً الباطنيّة ، وأصلُ دعوتها مأخوذ عن القرامطة .

وأوّل ما عُرف أمرها أنّه ٱجتمع منها ثمانية عشر رجلاً يوم العيد في مدينة ساوة ، وقد فطن بهم الشّحنة[1] وأخذهم وسجنهم ثمّ سُئل فيهم فخلّى عنهم ، وكان ذلك في سلطَنة ملكشاه . ثمّ إنّهم دعَوا مؤذّناً من أهل ساوة كان بأصبهان فلم يجبهم فقتلوه فأمر الوزير نظام الملك بتتبّعهم . فأُخِذ رجل نجّار ٱسمُه طاهر وقُتل ومُثّل به وجرّت العامّة برجله في الأسواق . فحنق الباطنيّة ودسُّوا على نظام الملك حتى قتلوه بالنجّار . ثمّ ٱجتمعوا في موضع بالقرب مِن قاين[2] وأخذوا قافلة عظيمة مرّت بهم من كرمان ، وقتلوا سائر مَن بها إلّا رجلاً تركمانيًّا ، فإنّه فرّ إلى قاين وأعلم الناس فخرجوا إليهم فلم يقدروا عليهم . وعظم أمرُهم وٱشتدّت شوكتهم بنواحي أصبهان ، وصار دُعَاتُهم يسرقون من قدروا عليه ويقتلونه حتى أتلفوا خلقاً كثيراً ، وانتشرت دعوتهم .

ثمّ إنّ الفقيه أبا القاسم مسعود بن محمّد الخجنديّ الشافعيّ تجرّد لهم بمدينة أصبهان وجمع الجمعَ الغفيرَ بالأسلحة وتطلّبهم وأخذ منهم عالماً كبيراً ، وحفر لهم أخاديدَ وأضرمَها ناراً ، وجعلت العامّة تأتي بالباطنيّة أفواجاً وفرادى وتلقيهم في النار ، وقد أَوْقفوا على رأس الأخاديد رجلاً سمّاه مالكاً . فقتل منهم خلق كثير في شعبان سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

وكان الباطنيّة قد ٱجتمعوا على أحمد بن عبد الملك بن عطاش وألبَسُوه التاج وجمعوا له الأموال وقدّموه عليهم ، مع جهله ، لأنّ أباه كان مقدّماً فيهم . فٱتّصل بدِزدار[3] قلعة أصبهان التي بناها السلطان ملك شاه ، وبقيَ معه

---

(1) الشّحنة : صاحب الشرطة .

(2) قاين : بين نيسابور وأصبهان (ياقوت) .

(3) الدزدار أو الدزدان : الوالي .

فوثق به الدزدار وقلّده الأمور . فلمّا مات الدزدار بعد موت ملكشاه في أيّام خاتون الجلاليّة أمّ السلطان محمد ابن ملكشاه ، آستولى أحمد [بن عبد الملك] آبن عطّاش على القلعة بعده ، ونال المسلمين منه ضررٌ عظيم من أخذ الأموال وقتل الأنفس وقطع الطريق والخوف الدائم .

* * *

وفي الحسن بن الصبّاح يقول الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن الهبّاريّة[1] العبّاسي ، وكتب بها من كرمان في سنة ستّ وسبعين وأربعمائة إلى أمين الدولة أبي سعد ابن الموصلايا نائب الديوان ببغداد ، فعرضَها على الخليفة المستظهرِ بالله ، وهي [رجز] :

عزّ على المنصور والسفّاح   ظهور أمر الحسن الصبّاح
يدعو إلى ميمونه القدّاح   بألسن الصفاح والرماح
أنائمٌ أنت أبا العبّاس ؟
ناحت دعاة القوم في النواحي   فدعوة الصباح كالصياح
قد صرّحت بشرّها الصراح   قائلةً بألسنٍ فِصاح :
حيّ على قتل بني العبّاس !
فأكثر العالم مستجيبُ   إلّا آمرؤٌ محقّقٌ نجيبُ
بقلبه من خوفهم وجيبُ   وذاك في هٰذا الورى عجيبُ / [354 أ]
وكلّهم شاربُ هٰذا الكأس
لم يبقَ في ظهورهم خفاءُ   قد ذهب النفاقُ والريَاءُ
ولعبوا بالملك كيف شاؤوا   وآستذأَبَتْ للجرّة الجَمَّاءُ

(1) ابن الهبّاريّة : شاعر عبّاسيّ خدم الوزراء السلاجقة ، وهو صاحب ديوان الصادح والباغم ، ونظم كليلة ودمنة (توفّي سنة 504) انظر دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 797 .

إذ غلبت [أ]سدٌ عن الأخياسِ[1]

فالباطلُ اليومَ جهاراً ظاهر شيطانه للمسلمين قاهر
بكذبه مُعَالِنٌ مُجاهر سيفه على العباد شاهر
مفتخر بمكره في الناس

حذار من شرّهمُ حذارِ فإنّهم كالأُسُد الضواري
قانيةُ الأنياب والأظفار ليس لها في الغاب من قرار
شوقاً إلى العراك والمراس

فنارُهم تستعِرُ استعاراً ترمي إليك الجمر والشّرارا
ترى فراش ضوءِها الأعمارا فٱحذر أبَيتَ اللعنَ ثارا
فهي بلا أس ولا نحاس

حقرتُم الشرار في الرماد فعاد كالجمر في الاتّقاد
وحرّه والله في فؤادي وسائرِ القِلوب والأكباد
قلوب أهلِ السنّة الأكياس

كأنّنا نبصر ما يكون إنّ اللبيبَ ظنّه يقين
هوّنه قومٌ وما يهونُ والاحتقار لهمُ جنون
واحزناً ! ليس لجرحي آس !

إن تَمّ أمرُ القوم في كرمانِ دبّ إلى الأقطار والبلدان
وٱنكشفت سريرةُ السلطان [. . . . .][2]
وجاء بغداد بلا ٱحتباس

(1) الجرّة بالفتح : العذاب والظلمة . وبالكسر : القوم . والجمّاء النعجة . والخيس بالكسر : أجمة الأسد .
(2) شطر ساقط .

1161 – الحسن بن طغج [– 340][1]

الحسن بن طغج بن جف بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خاقان ، أبو المظفَّر ، ابن الأمير أبي محمد ، الفرغاني .

بعثه أخوه الأمير محمد بن طغج الإخشيد على الجيوش إلى الإسكندريّة لثمان بقين من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، فالتقىٰ هو وصالح بن نافع مع أهل المغرب ، وعليهم رجل يقال له يعيش من كتامة ، وآخر يقال له أبو تازرت ، كتاميّ ، فاقتتلُوا قريباً من تروجة في خامس جمادى الأوَّل وهزموا المغاربة وقتلوا منهم عِدَّةً كبيرةً وأسروا جمعاً عظيمًا ، وقتل أميرهم يعيش ، ودخل الحسن الإسكندريّة ، وقتلوا مَن كان بِها من أصحاب سلطان إفريقيّة[2] .

ثمَّ قفَل ومعه صالح بن نافع حتى نزل الجيزة بالأسارى . وعبر إلى الفسطاط أوّل يوم من جمادى الآخرة ، وطيف بالأسرى ، وهم مائة وثمانية رجال .

ثمّ استخلفه أخوه على الفسطاط لمّا توجَّه لقتال الأمير أبي بكر محمد بن رائق[3] في المحرَّم سنة ثمان وعشرين [وثلاثمائة] .

---

(1) الوافي 12 / 61 (48) – النجوم 3 / 310 – تهذيب ابن عساكر 4 / 186 .

(2) خبر هذه الحملة الفاطميّة الثالثة على مصر وارد عند ابن عذاري ، 1 / 209 وابن الأثير 6 / 238 وابن خلدون ، 4 / 40 . ويتّفقون على أنّ قائد الحملة هو زيدان الخادم . ويضيف ابن عذاري : « ومعه عامر المجنون وأبو زرارة » . فلعلّه أبو تازرت المذكور هنا . ولا ذكر ليعيش الكتاميّ . أمّا صالح بن نافع فقد ذكره الكندي (الولاة ، 287) دون أن يعرّف به .

(3) في المخطوط : أبو بكر بن محمد ... وابن رائق هو أمير الأمراء الذي حارب الإخشيديّين بمصر والخلفاء ببغداد والحمدانيّين بالجزيرة (انظر ترجمته في دائرة المعارف الإسلاميّة وفي رسالة ماريوس كانار عن الدولة الحمدانيّة 411 – 412) .

ثمَّ استخلفه أيضاً لمّا سار إلى الشام بعد قتل ابن رائق في شوَّال سنة ثلاثين [وثلاثمائة][1] إلى أن قدِم لثلاث عشرة من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين .

[354ب] ثمَّ استخلفه بعد ذلك لمّا سار إلى لقاء المتَّقي / لله في سادس رمضان سنة ثنتين وثلاثين [وثلاثمائة] فخلفه حتى عاد في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين[2] .

ثمَّ استخلفَه لمَّا خرج إلى الشام في شعبان منها لقتال سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان . فلمَّا مات الإخشيد[3] بدمشق أقيم ابنُه أبو القاسم أونوجور ابن الإخشيد في إمارة مصر ، وجُعِل عمّه أبو المظفَّر خليفةً له . فأقام معه إلى أن أخذ سيف الدولة علي بن حمدان دمشق وطبريّة والرملة . فسار على العساكر من مصر ، هو وكافور الإخشيدي ، وصارت الطبول تضرب على مضرب كلّ منهما وقتَ كُلِّ صلاة . فسارا إلى الرملة وأخرجا منها أصحاب ابن حمدان ، وسارا إلى طبريّة وقاتلا ابن حمدان وملكاها ، ومضيا إلى دمشق في جمادى الآخرة [سنة 335] ، واقتتلا مع ابن حمدان فانهزم على مرج عذراء[4] .

واستقرَّ أبو المظفَّر بالرملة أميراً عليها ، وأضيفت إليه دمياط ، فأقام بها إلى أن مات في ربيع الآخر سنة أربعين وثلاثمائة .

وكان ، وهو بالرملة ، إذا شكا الناس إليه يقول : صيروا إلى مصر فإنَّ أخي الإخشيد بها وقد مُسِخَ أسودَ – يعني كافور الإخشيدي – فإنَّه كان يلي تدبيرَ أمر مصر لأونوجور ابن الإخشيد .

---

(1) قتل ابن رائق بالموصل في رجب 330 (دائرة المعارف الإسلامية : ابن رائق) .
ومسير محمد بن طغج إلى الشام كان في 6 شوال 330 (الكندي : ولاة ، 291) .

(2) يدقّق الكندي : ولاة ، 292 : « فنزل البستان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر » .

(3) وفاة الإخشيد في آخر ذي الحجّة 334 (الكندي ، 293) .

(4) مرج عذراء في غوطة دمشق . قريب من مرج راهط .

1162 – أبو عليّ الجمّال المقرىء [– 289][1]

الحسن بن العبّاس بن أبي مهران ، الرازي ، أبو علي ، المقرىء ، [يعرف بالجمّال] .

عُنِيَ بالقراءات فأخذ عن قالون وأحمد بن يحيى الحلوانيّ ، وأحمد بن عيسى الأصبهاني ، وأحمد بن صالح المصريّ . وسمع من سهل بن عثمان العسكري ، وعبد المؤمن بن علي الزعفرانيّ ، ويعقوب بن حميد بن كاسب وغيرهم . وانتهت إليه الرئاسة في الضبط والتجويد . وأقرأ [بـ]ـبغداد وغيرها ، قرأ عليه أبو بكر بن مجاهد ، وأبو بكر بن شنبوذ ، وأبو بكر النقّاش ، وأزدمر وحدّث . روى عنه ابن قانع والطبرانيّ وطائفة .

قال الخطيب : ثقة . مات في رمضان سنة تسع وثمانين ومائة .

1163 – الحسن بن العبّاس الحسينيّ قاضي دمشق [– بعد 386]

الحسن بن العبّاس بن أبي الحسن ، الحسيني ، أبو محمد ، الشريف .

ولّاه الحاكم العبيدي قضاء دمشق في المحرّم سنة سبع وثمانين وثلاثمائة .

1164 – الحسن بن عبد الرزّاق العسقلانيّ [– 719]

الحسن بن عبد الرزّاق بن عبد الكريم ، العسقلانيّ ، أبو محمد .

[دخـ]ـل القاهرة . سمع من الحافظ رشيد الدين العطّار ، والنجيب عبد

---

(1) الوافي 12 / 62 (51) – تاريخ بغداد 7 / 397 – غاية النهاية 1 / 216 (986) .

اللطيف وغيرهما ، وحدّث .

ومات في تاسع المحرّم سنة تسع عشرة وسبعمائة .

1165 – ٱبن أبي الشخباء الكاتب [– 482][1]

الحسن بن عبد الصمد ، وقيل : الحسن بن محمد بن عبد الصمد – بن أبي الشخبَاء ، القاضي المجيد ، ذو الفضيلتين ، أبو علي ، العسقلانيّ ، الكاتب .

ولي ديوان الإنشاء ، وله رسائل وشعر كثير وخطب . وكان من فرسان النثر . ويقال إنّ القاضي الفاضل كان جلّ ٱعتماده على رسائله .

وقتل بخزانة البنود[2] في سنة ٱثنتين وثمانين – وقيل سنة ستّ وثمانين – وأربعمائة .

ومن شعره [كامل] :

أصبحت تخرجني بغير جريمة ... من دار إكرام لدَار هوان
كدَمِ الفصاد يراق أرذلَ موضع ... أبداً ويخرجُ من أعزّ مكان
ثقلت موازينُ العباد بفضلهم ... وفضيلتي قد خفّفت ميزاني

وقال في غريق [كامل] :

شمس العلا غرَبَت بحيث ترى ... أبداً غروبَ الشمسِ والبدرِ
فكأنّما هو درّةٌ دُفنت ... في حيثما وُلدت من البحر
وتنزّهت عن أن يصافحَهَا ... تُرب الصفيحِ وظلمةُ القبر[3]

---

(1) وفيات 2 / 89 (166) – الذخيرة 4 / 627 – ٱتّعاظ 2 / 328 . وقد مرّت بنا ترجمة ابن بنته ابن الأنصاري : رقم 1151 .

(2) زاد في الوفيات : وهي سجن بمدينة القاهرة .

(3) في الذخيرة 4 / 659 : سمك الصفيح .

وقال : [كامل] :

ما زال يختار الزمانُ ملوكَهُ … حتّى أصَابَ المصطفى المتخيّرا / [355أ]
قل للأُلَى سَاسوا الورى وتقدّموا … قُدُماً هلمّوا شاهدُوا المتأخّرَا
تجدوه أوسع في السياسة منكمُ … صدراً وأحمدَ في العواقب مصدرَا
إن كان رأيٌ شاوِرُوهُ أحنفاً … أو كان بأسٌ نازِلوه عنترا
قد صام والحسناتُ ملءَ كتابه … وعلى مثال صيامه قد أفطرا
ولقد تخوّفك العدوّ بجهده … لو كان يقدر أن يردّ مُقَدّرَا
إن أنتَ لم تبعث إليه ضُمّراً … جُرداً بعثتَ إليه كيداً مضمَرَا
يسري وما حملت رجال أبيضاً … فيه ولا اعتقلت كُماة أسمرَا
خطروا إليك فخاطروا بنفوسهم … وأمرتَ سيفَك فيهمُ أن يخطرا
عجبوا لحِلمك أن تحوّل سطوة … وزلال خُلقك كيف عاد مكدّرَا
لا تعجبوا من رقّة وقساوةٍ … فالنار تُقدَحُ في قضيبٍ أخضرا[1]

1166 ـ الحسن بن عبد العزيز الجروي [ـ 257][2]

الحسن بن عبد العزيز ، ابن وزير بن ضابي ، أبو علي ، الجذامي ثمّ الجروي .

روى عن عمرو بن أبي سلامة التنيسيّ ، وبشر بن بكر ، ويحيى بن حسّان ، وعبد الله بن يوسف التنيسيّ ، وأبي مسهر الدمشقيّ ، وأيّوب بن سويد الرملي ، وعبد الله بن يحيَى البرلّسيّ ، وطائفة .

وعنه : البخاري في الصحيح ، وإبراهيم الحربيّ ، وعبد الرحمان بن أبي حاتم ، والمحاملي ، وجماعة ، آخرهم حفيده جعفر بن محمد بن الحسن الجرويّ .

---

(1) الأبيات في الوفيات 2 / 90 .

(2) الوافي 12/ 71 (60) – تاريخ بغداد 7/ 337 – أعلام النبلاء . 12/ 333 (131)
وزاد : الجرويّة قرية تنيس .

وثّقه أبو حاتم وغيره . وقال الدارقطنيّ : لم نرَ مثلَه فضلاً وزهداً .

وقال الخطيب : مذكور بالورع والفِقه ، موصوف بالعبادة .

وقال حفيده : سمعته يقول : مَن لم يردَعه الموتُ والقرآن ، ثمّ تناطحت بين يديه الجبالُ ، لم يرَتدع .

وقال ابن يونس : حُمل من مصر إلى العراق بعد قتل أخيه عليّ بن عبد العزيز . وكان قتل عليّ في ذي الحجّة سنة خمسَ عشرةَ ومائتين . فلم يزل بالعراق إلى أن توفّي بها سنةَ سبع وخمسين ومائتين . (قال) وقد حدّثنا عنه غير واحدٍ . وكانت له عبادة وفضل . وكان من أهل الورع والفقه .

وروى ابن شاهين أنّه توفّي في رجب سنة سبع وخمسين .

1167 – سبط الفقيه زيادة [617 – 714][1]

الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام بن فتح ، أبو علي ، الغماريّ الأصل ، المقرىء ، الملقّب بسبط الفقيه زيادة .

ولد سنة سبعَ عشرة وستّمائة . وسمع من عيسى بن عبد العزيز ، فكان جمّاعة ؟ أصحابه بالسماع . ومن جُملة ما سمع عليه « الناسخ والمنسوخ » لأبي داود السجستانيّ ، بسماعه من السلفيّ ، و« المحدّث الفاصل » للرامهرمزيّ[2] .

وسمع القصيدتَين للشاطبيّ من أبي عبد الله القرطبيّ .

وقرأ القراءات فأتقنها ، وأقرأ .

وعمّر إلى أن مات في شوّال سنة أربع عشرة وسبعمائة ، وهو في عشر المائة .

(1) الوافي 12/ 73 (64) – شذرات 6/ 30 – غاية النهاية ، 1/ 217 (990) .
(2) المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي للحسن بن عبد الرحمان الرامهرمزيّ – سير أعلام النبلاء ، 16/ 73 (55) .

1168 ـ أبو علي التونسيّ الطويل [– 616][1]

الحسن بن عبد الله بن الحسين[2] ، الشيخ العارف ، أبو علي ، التونسيّ المالكيّ ، المعروف بالطويل .

توفّي بثغر دمياط ، وهي محاصرة ، في شعبان سنة ستّ عشرة وستّمائة .

وزاره الوزير الصاحب صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شُكر فقال له : كيف حالُك ؟

فقال : حال مَن ينتظر سفراً طويلاً بلا زاد ، وقبراً موحشاً بلا مؤنس ، والقدومَ على الله تعالى بغير حجّة .

1169 ـ أبن العرجاء القيروانيّ [– بعد 547][3]

الحسن بن عبد الله بن عمر ، ابن العرجاء ، الإمام أبو عليّ ، أبن المقرىء أبي محمّد .

قرأ على أبيه ، وعلى أبي معشر الطبريّ .

وطال عمرُه ، وقصده القرّاء لعلوّ سنده . وقرأ عليه محمد بن أحمد بن معط [التجيبي] الأويوريّ[4] ، وأبو الحسن بن كوثر المحاربيّ ، وأبو القاسم محمد بن وضاح خطيب شقر ، وآخرون .

---

(1) التكملة 2 / 476 (1693) .

(2) في التكملة : الخيّر .

(3) غاية النهاية 16 / 217 (991) – وزاد : القيرواني ، وكانت جدّته فقيهة عرجاء .

(4) النسبة غير واضحة والتصحيح من غاية النهاية 2 / 89 (2809) .

وكان أبوه قد أدرك ، عند مجيئه من المغرب ، الشيخ أبا العبّاس بن نفيس ، وأخذ عنه وعن عبد الباقي بن فارس . / [355ب]

وبقي إلى حدود سنة خمسمائة بمكّة .

وبقي أبو علي هٰذا إلى حدود الأربعين وخمسمائة[1] . وقد رحل إليه أبو عبد الله ابن غلام الفرس بابنه إبراهيم ، وقرأ عليه الروايات الكثيرة .

1170 – ابن ويحيان الراشدي [– 685][2]

حسن بن عبد الله بن ويحيان ، الأستاذ أبو علي ، الراشديّ ،التلمسانيّ ، المقرىء ، من بني راشد ، قبيلة من البربر .

قدم إلى ديار مصر ، وقرأ بالروايات على الكمال بن شجاع الضرير ، وجلس للإقراء مدّةً . فقرأ عليه مجد الدين التونسيّ ، وشهاب الدين أحمد بن جبارة [المقدسيّ] . وكان بصيراً بالقراءات وعللها ، عارفاً بالعربيّة ، صاحب عبادة وزهد وإخلاص واشتغال بنفسه لا يغتاب أحداً . وكان ذاكراً لقصيد[ة] الشاطبيّ يشرحها لمَن يقرأ عليه ، وفي لسانه عجمة البربر . وكان يحلّ ألفية ابن معطي ومقدّمة ابن بابشاذ . وكان ثقة مأموناً في قوله . توفّي في ثامن عشر صفر سنة خمس وثمانين وستّمائة .

1171 – أبو علي الأزدي الصقلّي [590 – 669][3]

الحسن بن أبي عبد الله بن صدقة بن أبي الفتوح ، أبو علي ، الأزدي ،

---

(1) في غاية النهاية : بقي إلى سنة 547 .

(2) الوافي 12/ 92 (78) – غاية النهاية ، 1/ 218 (994) .

(3) غاية النهاية 1/ 219 (999) – الوافي 12/ 92 (77) .

الصقلّي ، المقرىء ، الإمام الزاهد .

ولد سنة تسعين وخمسمائة . وقرأ القرآن على أبي الحسن السخاوي ، وهو من جلّة أصحابه ، وأجاز له المؤيّد [بن محمد بن عليّ][1] الطوسيّ ، وأبو روح عبد المعزّ [بن محمّد] الهرويّ . وسمع من ابن الزبيدي وجماعة . وقرأ عليه غير واحد . وروى عنه أبو الفدا ابن الحباب ، وأبو الحسن [عليّ بن محمد] ابن القطّان[1] .

وكان من السادات في زهده وتعبّده وتقلّله ، وافرَ الحرمة ، ساعـ[ـياً] في قضاء الحقوق ، له مهابة وقبول تامّ .

توفّي في ثاني عشر ربيع الآخر سنة تسع وستّين وستّمائة بدمشق . وكان صاحب كرامات وكشف .

1172 ـ الحسن بن عبيد الله بن طغج [ـ 371]

ابن جف بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خاقان ، الأمير أبو محمد ، ابن الأمير أبي الحسن عبيد الله ، ابن الأمير أبي محمد ، الفرغانيّ .

وولي الرملة بعد [. . .][2] ، فلمّا وصل أبو الطيِّب أحمد المتنبّي إلى الرملة يريد مصر حَمَل إليه الحسن بنُ عبيد الله هدايا وخلع عليه وحمله على فرس جواد بمركب ثقيل وقلّده سيفاً محلًّى وسأله المدح ، فاعتذر إليه بالأبيات الرائيّة وهي [خفيف] :

غير أنّي تركتُ مقتضبَ الشعـ ـر لأمرٍ مثلي به معذور
ترك مدحيك كالهجاء لنفسي وقليل لك المديح الكثيرُ

---

(1) الزيادة من أعلام النبلاء ، 22/ 104 (76) و 114 (81) و 306 (183) .
(2) بياض بالأصل ، ولعلّه خلف عمَّه الحسن بن طغج الذي مات والياً على الرملة سنة 340 (انظر ترجمته رقم 1161) .

وسجاياك مادحاتُك لا لفـ ـظي ، وجودٌ على كلامي يُغيرُ
فسقى الله من أحبَّ بكفَّيْـ ـكَ وأسقاك أيُّهَذا الأميرُ[1]

وعندما مات الأستاذ كافور الإخشيدي عُقد الأمر بمصر من بعده للأمير أبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد على أن يكون القائم بتدبير أمره الحسن بن عبيد الله .

وأنفذ إلى الشريف عبد الله بن عبيد الله أخي مسلمٍ ، وهو بالرملة يلي تدبير أمر الشام أن يعقد البيعة لأبي الفوارس ، فاختلفا وتحاربا فسار إليه تبر الإخشيدي من مصر وعقد نكاح فاطمة بنت الإخشيد على الحسن بمصر ، وهو بالشام . وقيل ورد من قِبله ودُعي له على سائر المنابر بعد أبي الفوارس .

فلم يزل بالرملة إلى أن قدم أبو محمد الحسن بن أحمد كبير القرامطة إليها ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى انهزم منهم .

وسار في ذي الحجَّة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة إلى مصر فتلقَّاه تبر إلى الفرما ، وسار منها إلى تنيس ، فعبر إلى مصر ، ونزل بالمختار[2] من الجزيرة في سلخ ذي الحجَّة ، وخرج إليه ابن الفرات والناس .

وركب من المختار يوم الجمعة لِلَيلَتين خلتا من المحرَّم سنة ثمانٍ وخمسين بالسواد[3] في جميع العسكر إلى الجامع العتيق فصلَّى الجمعة ومعه ابن الفرات ،

(1) هذه الأبيات في ديوانه (شرح العكبري ، 2 / 146) وكلام المقريزي يوهم أن أبا الطيّب لم يمدح الحسن بن عبيد الله بن طغج . والواقع أنّه مدحه بقصيدة ميميّة معروفة :

أنا لائمي إن كنتُ وقت اللوائم علمتُ بما بي بين تلك المعالم

وكان ذلك أثناء اضطرابه الأوّل بالشام ، سنة 336 . فلمّا فارق سيف الدولة وقصد كافوراً ، سنة 346 ، رغب إليه أمير الرملة فاعتذر بهذه الأبيات (انظر : عبد الوهاب عزّام : ذكرى أبي الطيّب بعد ألف عام ، القاهرة 1956 ، ص 77 ـ 78) .

(2) « البستان المختار » أحد منتزهات جزيرة الروضة .

(3) السواد : شعار العبّاسيّين .

فدعي له بعد الأمير أبي الفوارس . ونزل بدار الإمارة وكثر له الدعاء وكان يوماً مشهوداً .

فقبض على أبي الفضل جعفر بن الفرات الوزير وعذّبه وصادره وقبض على جماعة . وأقام في الوزارة كاتبَه الحسن / بن جابر الرياحيّ[1] ، فأتته رسالة القرامطة [356 أ] بطلب المال وغيره .

وأعرس بفاطمة بنت عمِّه الإخشيد في ثامن صفر . وخرج من مصر يريد الشام في ثالث ربيع الآخر [358] ومعه شمول في جماعة من القوّاد والجند . ونزل على ظاهر دمشق فأقام مدَّة أشهر إلى أن قدم جوهر القائد إلى مصر في شعبان منها ، وبعث جعفر بن فلاح بالعساكر إلى بلاد الشام .

فسار الحسن في شهر رمضان من دمشق ، واستخلف عليها شمولاً الإخشيديّ . ونزل بالرملة وتأهَّب للقتال ، فوافقه القرامطة ولقيهم فهزموه في ذي الحجّة . ثمَّ جرى بينَه وبينهم صلحٌ وصاهرهم ، ورحل القرامطة .

فكتب إلى شمول بأن يسير إليه ليجتمعا على حرب جعفر بن فلاح فتقاعد عنه لحقد كان في نفسه منه ، وصار يكاتب جوهراً القائد بمصر .

فبينا هو في ذلك إذ قدم جعفر بن فلاح بالعساكر فلقِيَه وحارَبه فانهزم ، وأخذ السيفُ عسكرَه فقُتل كثيرٌ منهم وأُخِذَ أسيراً في النصف من شهر رجب سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . وبعثه إلى القائد جوهر في القيد ومعه جعفر القرمطي وآخرون . فبعثهم جوهر مع هديَّة وعِدَّة ممَّن قبض عليه إلى المعزّ ، فخرجوا من مصر لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة [360] وهم في القيود . فلمَّا وصلوا إلى رَشيد نُزِعت عنهم القيود وأركبوا المحامل وساروا إلى بلاد المغرب .

ثمَّ قدم الحسن بن عبيد الله مع المعزّ لدين الله إلى مصر في شهر رمضان سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة .

---

(1) تأتي ترجمته رقم 1175 .

ومات بالقاهرة في خلافة العزيز بالله ليلة الجمعة لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، وصلّى عليه العزيز بالله في القصر ، وطُرح على تابوته ثوبٌ مثقل .

1173 – المهذّب ابن الزبير الشاعر [– 561][1]

الحسن بن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن محمد ، القاضي المهذّب ، صفيّ الملك ، عميد الدولة ، أبو محمد ، ابن القاضي الرشيد سديد الدولة أبي الحسن ، ابن القاضي الرشيد الموفّق سديد الدولة ثقة الملك أبي إسحاق ، المعروف بابن الزبير ، القرشيّ ، الأسديّ ، الأسوانيّ .

لم يكن بمصر في زمنه أشعر منه . قال الحافظ أبو محمد المنذري : سألت قاضي القضَاة شرف الدين محمد بن عين الدولة عنه وعن أخيه الرشيد أيّهما أفضل ، فقال : المهذّب في الشعر والأدب ، وذاك في فنون .

وله كتاب تفسير القرآن في خمسين مجلّدة ، وكتاب « جنان الجنان ورياض الأفهام » ، ذيّل به كتاب يتيمة الدهر . وله شعر كثير ، ومحلّ في الفضل أثير .

ومات خوفاً من شاور في [...] سنة إحدى وستّين وخمسمائة .

ومن شعره في الشمعة [طويل] :

ومصفرّة ، لا عن هوى ، غير أنّها   تحوز صفات المستهام المعَذَّبِ :
شجوناً وسقماً واصطباراً وأدمعاً   وخفقاً وتسهيداً وفرط تلعّبِ
إذا حرّكتها الريح كانت كمعصم   تردّ سلاماً بالبنان المخضّب[2]

---

(1) فوات 1 / 337 (119) – الأعلام 2 / 220 – الوفيات 1 / 161 (في ترجمة أخيه الرشيد) – الوافي 12 / 131 (108) .
(2) في المخطوط : حمستّها .

وقال (سريع) :

لا ترجُ ذا نقصٍ ولو أصبحت ... من دونه في الرتبة الشمسُ
كيوان أعلى كوكبٍ موضعاً ... وهو إذا أنصفته نحسُ

وقال (مجزوء الكامل) :

أحبابنا ما بالكم ... فينا من الأعداء أعدى ؟
وحياة ودّكُمُ وحر ... مة وصلكم ما خنت عهداً

وقال (كامل) :

وترى المجرّة في السماء كأنّها ... تسقي الرياض بجدول ملآن
لو لم تكن نهراً لما عامت بها ... [أبداً] نجوم الحوت والسرطانِ

وقال في الخليفة العاضد من أبيات (طويل) :

وإنّ أمير المؤمنين وذكره ... قرينان للآي المنزَّل في الذكر
لقول رسول الله : تلقون عترتي ... معاًوكتابَ الله في مورد الحشر / [356 ب]
إذا ما أقام العصر لاح لناظر ... فوالعصر ، إنّ الجاحدين لفي خسرِ !

ولمّا مات الصالح بن رزيك حدثت عداوة بين القاضي الجليس[1] ابن الحباب ، والمهذّب بن الزبير ، فبلغ شاور أنّ ابن الزبير يمدح شيركوه ويحرّضه على قتله . فلمّا سار شيركوه عن القاهرة قبض شاور على ابن الزبير وَآعتقله وعزم على قتله . فدخل عليه القاضي الجليس ابن الحباب وما زال به حتى أفرج عنه . فلمّا كان الليل وقف ابن الزبير على باب آبن الحباب وأستأذن عليه فبعث إليه يقول : العداوة باقية ، وما فعلت هٰذا إلّا ستراً للحِرفة والفضيلة . وقد فعلت

(1) القاضي الجليس : عبد العزيز بن الحسين (ت 561) - الأعلام 4 / 140 . وقال الصفدي : ولم يعش المهذّب بعد الجليس إلاّ شهراً واحداً . وهو آبن الحبّاب بالجيم في الفوات .

معك قبل هٰذا ما هو أعظم من هٰذه فما حفظتَها . فوالله لا ٱجتمعنا إلّا يومَ القيامة !

فٱتّفق موت القاضي الجليس في أوّل السنة ، ومات بعده ابن الزبير .

1174 - زكي الدين السعديّ [575 - 639] [1]

الحسن بن علي بن أحمد بن أبي الحسن ابن أحمد ، زكيّ الدين ، أبو محمّد ، ٱبن أبي الحسن ، ابن أبي السعود ، الأنصاريّ ، الخزرجيّ ، السعديّ ، الكوفي ، الحنفيّ ، [المقرىء] .

مولدُه بالكوفة في ثامن عشر ذي الحجّة سنة خمس وسبعين وخمسمائة . وأخذ القراءات السبعَ وعلمِ الأدب بالموصل عن أبي الحزم مكّي الفارقيّ .

وقدم القاهرة وشرح شعر المتنبّي ، وقال الشعر .

توفّي بدار الحديث الكامليّة بالقاهرة في يوم الخميس سادس جمادى الآخر سنة تسع وثلاثين وستّمائة . ودُفِنَ بسفح المقطّم ، وحبّس كتبه بالكامليّة .

ومن شعره قوله [رجز] :

فكلّ حسن وجمال في الورى ... فعنك يروى وإليك يسنَدُ
فالحسنُ موقوفٌ عليك مرسل ... إليك مقطوع به لا يُجْحَدُ
ومرسل دمعي ، ودائي معضل ... والصبر مرفوعٌ ووجدي مسند

وقوله [مقتضب] :

---

(1) ستتكرّر الترجمة في المخطوط (رقم 1192) باقتضاب . وينبّه الناسخ في الحاشية إلى أنّ المترجَم هُناك : حسن بن علي بن أبي السعود ، هو المترجم هنا : الحسن بن علي بن أحمد . وانظر التكملة 3 / 579 (3027) وفيها : المقرىء ، ولكن لم يترجم له في طبقات القرّاء (غاية النهاية) . وانظر الطبقات السنيّة ، 3 / 79 (694) .

صدّ إن شئت أو فمِلْ		أنت للنفس مالكُ
قد تفرّدت بالجما		لِ وعزّ المشارك
إنّ يوماً أراك فيـ		ـه ليوم مبارك
ونهاراً تـغـيـبـه		أسود اللون حالك
وظلامـاً تحـلّـه		في النور سالك[1]

وقوله [كامل] :

ومهفهف كالغصن قام، وقد دجا الـ		ـليل البهيمُ ، يُنيرُ بالمصباح
ناديتُه : أَطفِي السراجَ ، فإنّ لَي		من وجهك الميمون ألفَ صباح

وقوله [رمل] :

والذي خصّك بالحسـ		ـن وأعطاك الملاحة
ليس لي يا بدر إلّا		أن أرى وجهك راحة

1175 ـ الحسن بن جابر الرياحيّ [ـ بعد 359][2]

كتب للحسن بن عبيد الله بن طغْج . وقدم معه إلى مصر آخر ذي الحجّة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فاستوزره يوم الاثنين لستّ خلون من المحرَّم سنة ثمان وخمسين بعد قبضه على الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات . وخوطب بالوزير . فعاشر الناس عِشرةً جميلةً ولم يرَ أحدٌ منه سوءًا .

فلمَّا خرج الحسن بن عبيد الله من مصر إلى الرملة في ثالث ربيع الآخر ،

---

(1) قراءة هذا البيت عسيرة .
(2) الاتّعاظ 1 / 121 ، ذكرة في جماة الأسرى المرسلين إلى المعزّ ، ولم يزد على كونه كاتباً للحسن بن عبيد الله بن طغج .

سار معه ، وكانت وزارته نحو ثلاثة أشهر .

فلم يزل مع [ابن] عبيد الله حتى سارَ جعفر بن فلاح من القاهرة إلى الشام وأسر [ابن] عبيد الله بن طغج والحسن بن جابر ، في عدَّة من القوَّاد وغيرهم وبعثهم إلى القائد جوهر [فأنفذهم] جوهر مع ولده جعفر بن جوهر إلى المعزّ بالهديَّة من القاهرة . فأخرج الحسن مقيّداً فيمن أخرج إلى المغرب . وذلك في سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة فسار إلى القيروان .

1176 ـ أبو الفتوح الحسنيّ [– 430][1]

الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الأمير أبو الفتوح .

غلب أبوه جعفر [بن الحسن] بن محمد على مكَّة بالقوَّة في أيَّام الإخشيديَّة ، وقام من بعده ابنُه عيسى بن جعفر . واستمرَّ إلى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . فولي أخوه أبو الفتوح / الحسن صاحب الترجمة . ويقال إنَّ القاهر [357 أ]
العبَّاسي كتب إليه في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة بولاية مكَّة ، فأنفذ كتابه إلى العزيز بالله أبي المنصور نزار ابن المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ . فوقَّع له بولاية مكَّة وأرسل إليه بمَال وخلع للشرفاء بني الحسن . فأحضرهم عند الكعبة وقسم فيهم المال . وقال عندما لبِّس الكعبة الكسوةَ البيضاء : « الحمد لله يا بني فاطمة الزهراء وأصحاب السنة الغرَّاء ، على أن زيّن بيته بلبسة السرور بعد لبسة الحزَن ، وجعل ملك الحرمين لبني بنت رسوله من بني الحسين وبني الحسَن » فأرضى الفريقين .

وتمادت إمارته إلى أن قام الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز ، فكتب إليه بالبراءة ممَّن غصب وصيّ رسول الله ﷺ ميراثه في الخلافة ، ومنع

(1) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق 64 وقال : وكان متقلّدا سيْفا زعم أنّه ذو الفقار .

فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ حقَّها في فدك . فغضب أبو الفتوح وقال : قوم قام بهم منار الإسلام بعد نبيِّه ﷺ ، نذكرهم بمَا لا يجب ؟ أهٰكذا فعلتِ النصارى بالحواريّين ؟ بل جعلوا قبر كلِّ واحدٍ مزاراً لحجٍّ وعبادة . والله لو أمرني أن ألعن قوماً على غير المِلَّة لما ارتضيت أن أكون لعَّاناً ! والله إنّ من عقوق جدِّنا علي بن أبي طالب وصفه بالعجز » .

فقام أبو الفتوح بهٰذا وخطب به على رؤوس العلويّة . فقام إليه رجل منهم وقال : أيّها الأمير ، هٰذا مقال من يجب عليه أن لا يرجع عمَّا قاله .

قال : صدقت .

وشرع في مباينة الحاكم . ثمَّ قدم عليه الوزير أبو القاسم الحسين بن علي بن المغربيّ[1] برسالة مفرّج بن دغفل بن الجرَّاح الطائيّ وابنه حسَّان بن مفرِّج يدعوانه للإمامة ومباينة الحاكم ، ووعداه أن يقوما له بالأمر ، وأطمعه أبو القاسم في ذلك وهوَّن الخطب فيه . فانقاد إليه وجمع بني الحسن وخاطبهم فيمَا أشار به أبو القاسم فوافقوه وبايعوا أبا الفتوح ولقَّبوه بالراشد بالله . فصعد منبر مكَّة وخطب لنفسه . ثمَّ نزل وأخذ يستعدُّ للمسير .

فاتَّفق موت بعض أرباب اليسار بجدّة ، فأشار عليه أبو القاسم بأخذ تركته فاستولى عليها بأجمعها وكانت عظيمة . وأخذ أيضاً كثيراً من المحاريب الذهب والفضَّة المنصوبة على الكعبة ، وضربها دنانير ودراهم ، وعليها لقبُه ، وفرَّقها فيمن اجتمع إليه ، وبعث بأبي القاسم إلى بطون سليم وعوف بن عامر وغيرهم من بطون العرب يدعوهم إلى طاعته وأخذ البيعة عليهم بخلافتِه . فاستجابوا لطاعته . فلمَّا استوسق له الأمر ، سار من مكَّة في سنة إحدى وأربعمائة في جمعٍ موفور حتى قدم الرملة من أرض فلسطين حيث منازل بني الجرَّاح . فخرج مفرّج وبنوه حسَّان ومحمود وعليّ بحُماتهم إلى لقائه ، وقبَّلوا له الأرض وسلّموا

---

(1) تأتي ترجمة الوزير ابن المغربيّ برقم 1246 .

عليه بالخلافة وخاطبوه بإمرة المؤمنين ، وأنزلوه بدار الإمارة من مدينة رملة لدّ . فأمر بالنداء في الناس بأمان الخائفين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثمَّ ركب يوم الجمعة ، ومفرّج وأولاده وسائر أمراء طيّىء مشاة في ركابه وبين يديه حتى دخل الجامع ، وصعد المنبر وخطب فحمِد الله وأثنى عليه وقرأ بعد البسملة : ﴿ طسمّ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ ، نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بالحَقِّ ... إلى قوله ... يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص ، 1 – 6) . ثمَّ أتمَّ الخطبة ونزل فصلَّى بالناس الجمعة وعاد إلى دار الإمارة .

فبلغ ذلك الحاكم ، فما زال ببني الجرَّاح حتَّى استمالهم إليه ودفع إلى كلّ من حسّان وأخويه خمسين ألف دينار عيناً ، سوى التحف والخطايا[1] . فتخلَّوْا عن أبي الفتوح وتقاعدوا عنه حتّى انحلَّ أمره وعاد إلى مكَّة في سنة ثلاث وأربعمائة ، وأقام الدعوة للحاكم وضرب السكَّة باسمه وأقام بها حتى مات سنة ثلاثين وأربعمائة .

ومن شعره [مجتثّ] :

[357ب] [هات] الكؤوس فمنها ... إلى السرور أسير /
عجبتُ منها شموساً ... حفَّت بهنَّ بُدور
عجبت منها خدوداً ... لاحت عليها ثغور

فلمَّا سمعها الوزير أبو القاسم ابن المغربيّ قال له يوماً بحضرة الأشراف وأمراء العرب : « ما رأيت أشعر منك في قولك ... » وأنشد هٰذه الأبيات . فخجل أبو الفتوح وعلم أنَّه أراد إعلامهم أنَّه يشرب الخمر . فقال لأحد حجّابه : « عليّ بالمصحف » فلمَّا حضر فتحه وقال : وحقِّ ما احتوى عليه ما شربتُها قطّ ولا حضرت عليها !

وتوحَّش بأبي القاسم ففرَّ منه . ومن شعره [خفيف] :

(1) الخِطائيّ حسب دوزي نوع من أقمشة الحرير المستوردة من الصين ، وكاطاي من أسماء الصين قديما .

وصلتني الهمومُ وصلَ هواك وجفاني الرقاد مثل جفاك
وحكى لي الرسولُ أنَّكِ غضبي يا كفى الله شرَّ ما هو حاكي !

1177 ـ عزّ الدين ابن مسكين [ـ 710][1]

الحسن بن الحارث بن الحسين بن يحيى بن خليفة بن نجا بن الحسن بن محمّد ، عزّ الدين ، ابن مسكين ، الشافعيّ .

ولد في [...] .

وتوفّي ليلة السبت ثامن جمادى الأولى سنة عشر وسبعمائة . وهو أحد أئمّة الفقهاء وأكابر الصلحاء .

حدّث عن الرشيد العطّار . ودرّس بالمدرسة الناصريّة المجاورة لقبّة الشافعي بالقرافة .

وعُيّن لقضاء دمشق فأمتنع .

كتب ابن الرفعة[2] تحت خطّه في فتوى : جوابي كجواب سيّدي وشيخي .

1178 ـ أبو علي الحصائريّ [242 ـ 338][3]

الحسن بن حبيب بن عبد الملك بن حبيب ، أبو علي ، الفقيه الشافعيّ ،

(1) السلوك 2 / 95 . وعنه أخذنا أسماء آبائه ، في المخطوط : ابن الحسين بن الحسين بن يحيى – طبقات الأسنوي 2 / 464 (1147) وطبقات ابن قاضي شهبة ، 2 / 276 (501) .

(2) توفّي ابن الرفعة في نفس العام – السلوك 2 / 94 . وانظر ترجمته في هذا الكتاب رقم 609 .

(3) طبقات السبكي 3 / 255 – مختصر ابن عساكر 6 / 326 (203) . الوافي 11 / 415 (595) – شذرات 2/ 346 ؛ سير أعلام النبلاء ، 15/ 383 (206) .

المعروف بالحصائريّ ، الدمشقيّ .

أحد الثقات الأثبات .

سمع بمصر محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، والربيعَ بن سليمَان المراديّ ، وإبراهيم بن مرزوق البصريّ ، وبكّار بن قتيبة ، وأبا محمّد أزهر بن زفر الورّاق ، وأبا غسّان مالك بن يحيى ، وعبد الله بن محمد بن شعيب ابن أبي مريم ، وعلان ، وفهد بن سليمَان ، وبكر بن سهل ، وأبا يعقوب ابن أبي مريم ، وأبا يعقوب إسحاق بن حسن الطحّان ، وجعفر بن محمد بن عبد الله الطائفيّ ، وأبا زكريا يحيى بن أيّوب العلّاف ، وأبا الحسن حبشي بن الربيع بن طارق .

وسمع بالشام العبّاس بن الوليد بن مزيد البيروتيّ ، وأبا أميّة محمد بن إبراهيم بن مسلم الطرسوسيّ ، وجماعة .

وسمع صالح بن أحمد بن حنبل ، وأبا زرعة الدمشقيّ .

وسمع بمكّة من جماعة .

وروى عنه تمام بن محمد ، وأبو حفص ابن شاهين ، وأبو سليمَان بن زيد ، وطائفة كبيرة .

وحدّث بكتاب « الأمّ » للشافعيّ . وكان ثقة نبيلاً حافظاً لمذهب الشافعيّ .

ولد في رجب سنة ٱثنتين وأربعين ومائتين . ومات في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

1179 – أبو محمّد ناصر الدولة الحمدانيّ [– 452] [1]

الحسن بن حسين بن حسن بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث

---

(1) الوافي 12 / 353 (333) – اتّعاظ 2 / 201 إلى 260 . =

= هذا ، وإنّ أسماء الأمراء الحمدانيّين تلتبس لتكرّرها من جدٍّ لحفيد ، وتشابه الكنى والألقاب . ولذلك يعمل المقريزي على تفصيل نسبِ كلّ واحدٍ مِمّن ترجم لهم وهم :

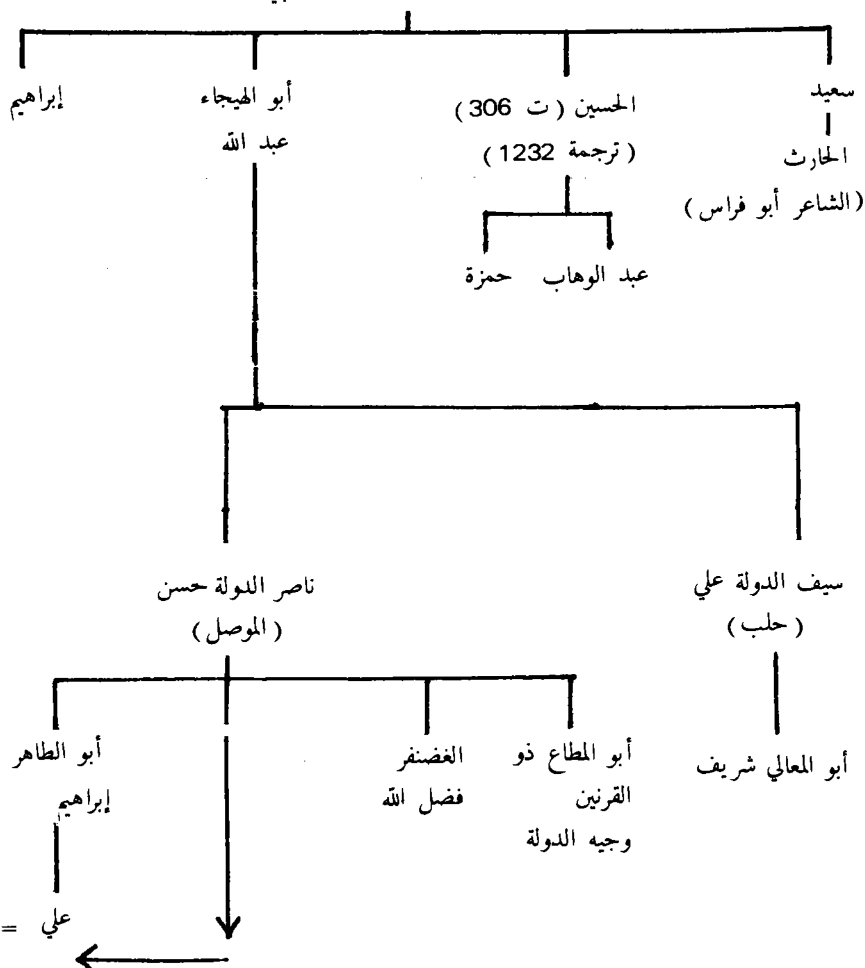
رقم 1179 : الحسن بن الحسين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان (ت 452) .

رقم 1230 : الحسين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان (ت بعد 388) .

رقم 1231 : الحسين بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان (قتل 465) .

رقم 1232 : الحسين بن حمدان (مات في السجن سنة 306) .

ولمزيد من التوضيح نحاول ضبط تسلسل الأسرة في الشجرة التالية :



= ←



الحسين أبو عبد الله
ترجمة 1230

الحسن أبو محمد
ترجمة 1179

تاج المعالي
المهذب (قتل سنة 465)

أبو علي الحسين
ترجمة 1231

فخر العرب عليّ
(قتل سنة 465)

ٱبن لقمان ، الأمير ناصر الدولة ، أبو محمد ، ابن الأمير ناصر الدولة أبي عبد الله ، ابن ناصر الدولة أمير الأمراء أبي محمد ، ابن الأمير أبي الهيجاء ، التغلبيّ الحمدانيّ ، من بيت جليل القدر ، نافذ الأمر[1] .

كانت دولتُهم رفيعة العماد ، ثابتة الأوتاد ، بيتُها من أنبهِ بيوت العرب ذكراً ، وأعلاها قدراً . وصار بنو حمدان فخِذين ، وهما يجتمعان في أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان : فالفخذُ الأوّل هو ناصر الدولة أبو محمد الحسن ابن أبي الهيجاء وبنوه ، وكانت قاعدة مَمْلكته بالموصل . وكان له غيرُها من البلاد كآمد وديار مضر وديار ربيعة وسنجار . فلمّا انقرضت دولتُهم من الموصل بخروج أبي تغلب الغضنفر فضل الله ابن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن أبي الهيجاء ، كما ذكر في ترجمته من هٰذا الكتاب[2] ، ٱفترق أولاد ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء ، فدخل طائفة منهم في طاعة عضد الدولة فنّاخسرو ابن معزّ الدولة الحسن ابن بويه ، وبعضهم في طاعة العزيز بالله نزار ابن المعزّ لدين الله معدّ الفاطميّ ، وبعضهم في طاعة ابن عمّهم أبي المعالي شريف ابن سيف الدولة أبي الحسن عليّ بن أبي الهيجاء ، صاحب حلب .

فممّن صار في طاعة العزيز وسار إلى القاهرة ناصر الدولة أبو عبد الله / [358 أ] الحسين ، ابن ناصر الدولة أمير الأمراء أبي محمد الحسن ابن أبي الهيجاء ، وأخوه أبو المطاع ذو القرنين[3] . فولي ناصر الدولة الحسين صور ، وولي أبو

(1) حاشية في الهامش : تغلب هذا هو ابن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، منهم بنو جارية بن مالك بن خثعم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وهم فخذ بني حمدان .

(2) ترجمة الغضنفر فضل الله مفقودة مع حرف الفاء . وترجمة أخيه أبي عبد الله الحسين تأتي برقم 1232 .

(3) أبو المطاع ذو القرنين وجيه الدولة : ترجم له المسبّحيّ : أخبار مصر 2 / 41 ونقل شيئاً من شعره ، وابن خلّكان في الوفيات 2 / 279 (230) وجعله حفيد ناصر الدولة لا ٱبنه ، فبينهما أبو المظفّر حمدان . وقال : توفّي سنة 428 . وفي النجوم الزاهرة 5 / 27 سمّاه الحسن بن عبد الله بن حمدان ، وإنّما الحسن أبوه .

المطاع الإسكندريّة ودمشق ، كما ذكر في ترجمتَيْهما من هٰذا الكتاب .

والفخذ الثاني من بني حمدان : سيف الدولة أبو الحسن عليّ بن أبي الهيجاء وأولاده .

وكانت ولادة الحسن هٰذا في [...] وولي صور بعد وفاة أبيه . ثمّ ولي دمشق بعد أمير الجيوش أنوشتكين الدِّزبري . فوصلها يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . ومعه الشريف فخر الدولة نقيب الطالبيّين . أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العبّاس بن الحسن بن الحسين بن علي ٱبن محمد بن علي بن إسماعيل بن جعفر الصادق . ناظراً . فأقام على ولاية دمشق إلى أن أَخَّر معزّ الدولة أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس . متولّي حلب ، ٱلحملَ سنتَين . فكتب الوزير أبو البركات الحسين بن محمّد الجرجرّائي إلى ناصر الدولة هٰذا . وإلى شجاع الدولة جعفر بن كليد متولّي حمص بالمسير إلى حلب بعدّة من الجند وقبائل العرب من الكلابيّين وغيرهم .

فسار ابن حمدان ونزل على حلب يوم الأربعاء لخمسٍ بقينَ من ربيع الآخر سنة أربعين وأربعمائة . فقاتلَه أهلُها قتالاً شديداً ٱقتضى عَودَه عنها . فلم يشعر في رجوعه إلّا بسيل عظيم جاءه بغتة . فهلك فيه من الكراع والخيل والرجّالة شيءٌ كثيرٌ . ونجا بنفسِه وبمَن معه إلى دمشق[1] .

فملَكَ ثُمال معرّة النعمان وقتل جعفر بن كليد والي حمص[2] . فأغرى الوزير أبو البركات[3] الخليفة المستنصر بالله بناصر الدولة . وأنّه أساء التدبير في عوده عن حلب . وما زال به حتّى ولّى دمشق القائد بهاء الدولة طارق الخادم الصقلبيّ . وتقدّم إليه بالإسراع في المسير إلى دمشق جريدة[4] والقبض على

(1) خبر الهزيمة في الاتّعاظ 2 / 201 .
(2) قتل ابن كليد لستّ بقين من شعبان سنة 440 - (اتّعاظ 2 / 202) .
(3) هو الوزير الجرجرائيّ الحسين بن محمد ، وستأتي ترجمتُه رقم 1259 .
(4) جريدة أي مسرعة .

ناصر الدولة .

فقدم دمشق بغتةً في يوم الجمعة أوّل يوم من شهر رجب ودخل القصر من حيث لم يشعر به أحد ، وجلس في دست ناصر الدولة ، وآستدعا[ه] إليه . فلمّا جاءه قبض عليه وحمله إلى صور . ثمّ نقله إلى الرملة ، وصودر ، ثمّ نقل إلى القاهرة وآعتُقل بها إلى أن ورد الخبرُ بكائنة أمير الأمراء رفق [الخادم] [1] على حلب في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، [فـ]ـأطلق من الاعتقال .

وأعيد إلى ولاية دمشق في يوم الاثنين النصف من رجب سنة خمسين وأربعمائة ، فلم يزل عليها إلى أن خرج عسكر من مصر في سنة آثنتين وخمسين وصار إلى دمشق . وكتب ناصر الدولة أن يكون على العسكر ويتوجّه إلى قتال محمود بن نصر بن صالح بن مرداس ، وقد تغلّب على حلب وحصر الأمير مكين الدولة أبا عليّ الحسين بن عليّ بن ملهم بن دينار العقيليّ نائب المستنصر على حلب بالقلعة .

فسار إليها في سادس ربيع الأوّل حتّى وصل سَرمين [2] ففرّت بنو كلاب ومحمود بن نصر إلى الشرق ليلة الاثنين سابع رجب منها فتبعهم ناصر الدولة ، وهو في خمسة عشر ألفَ فارس ، ومحمود في أقلّ من ألفَين ، حتّى نزلوا على الفنيدق ، الذي عرف بعد ذلك بـ«تلّ السلطان» . وآلتقى الفريقان هناك يوم الأربعاء سلخ رجب المذكور . فآنهزم مَن مع ناصر الدولة وخرج وقد جاءته ضربةٌ في يده فشُلّت ، وأُخذ أسيراً . فآشتراه محمود بن نصر بأربعين ألفَ دينار .

وتسلّم حلب أسد الدولة أبو ذؤابة عطيّة بن صالح بن مرداس ، يوم الخميس أوّل شعبان . فأتاه محمود بن نصر فآنهزم عطيّة منه آخر النهار ، وتسلّم

---

(1) واقعة رفق الخادم في الاتّعاظ 2 / 209 .

(2) سرمين : على مرحلة من حلب .

محمود مدينة حلب يومَ الجمعة ثاني شعبان . وملك حلب ثلاثةٌ في ثلاثة أيّام . وهٰذا من غريب الاتّفاق .

ثمّ تسلّم محمود القلعة في عاشر شعبان . فلمّا قدم معزّ الدولة ثمال بن صالح بن مرداس من مصر ٱصطنع مَن في باب ناصر الدولة وخلّى سبيله . فعاد إلى مصر [و]في ذلك يقول عليّ بن عبد العزيز المعروف بالفُكَيْك الشاعر ، وكان يمدح ناصر الدولة فلم يُعطِه شيئاً [كامل] :

[ولئن غلطتُ بأن مَدَحتُك ، طالباً جدواك ، معْ علمي بأنّك باخلُ
فالدولةُ الزهراءُ قد غَلطَتْ بأَنْ نعَتَتك ناصرَها ، وأنت الخاذل
إن تمّ أمرُك مَعْ يدٍ لك أصبحَتْ شلّاءَ ، فالأمثالُ عنديَ باطلُ][1]

1180 ـ الشهاب الربعيّ [ـ 617][2]

الحسن بن الحسن بن عليّ ، الأديب الشاعر ، أبو عليّ ، ابن ناهض ، الربعيّ ، المصريّ ، الصعيديّ ، شهاب الدين .

[358ب] / مات بمدينة الرها للنصف من شوّال سنة سبع عشرة وستّمائة .

1181 ـ السديد ابن الذهبيّ [548 ـ 629][3]

الحسن بن الحسين بن محمد بن المفرّج ، الشيخ الأديب الفاضل ، سديد الدين ، أبو محمد ، ٱبن عبد الله ، القيسرانيّ الأصل ، المصري المولد والدار ،

(1) سقطت الأبيات من المخطوط فنقلناها عن الاتّعاظ 2/ 260 ، وعن الوافي ، وفيه : الفكيك الحلبيّ .

(2) التكملة 3/ 62 (1845) ، ووفاته فيها : سنة 618 .

(3) التكملة 3/ 300 (2372) .

المعروف بآبن الذهبيّ .

مولدُه بمصر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

ووجد ميتاً في داره بالقاهرة يوم الجمعة التاسع من صفر سنة تسع وعشرين وستّمائة .

وكان فاضلاً يكتب الخطّ الجيّد . وله مذكّرات مفيدة . وكتب مجموعاً بخمسين مجلّدة .

ومن شعره [منسرح] :

صادفني مخبر فخبّرني ... يا وهب أنّي خرجت [عن] سنني

وغير خاف عنكمْ مُحافَظَتي ... وصونُ أسراركُمْ عَن العَلَن

فلا تظنّوا بأنّني سكنَت ... نفسيَ من بعدكُم إلى سكَن

وآستوضحوا ذاك قبل عتبكمُ ... ظُلماً لذِي لوعةٍ وذي شجنِ

قلبي لكم لا يزال منزله ... لأجل هٰذا خلا من الحزَن

أَغْفِرُ للدهر كلَّ حادثةٍ ... إن سرَّ طرفي بوجهكَ الحسنِ

1182 – الأخرم الفرغانيّ [– 409][1]

الحسن بن حيدرة ، المعروف بالأخرم الفرغاني .

قدم إلى القاهرة في أيّام الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ابن العزيز نزار ، وأظهر القولَ بحلول الإلاه سبحانه في الحاكم ، وصرّح به ودعا الناس إلى ذلك ، وتكلّم في تأويل كلّ ما ورد في الشريعة ، بعظائم . فكثرت أتباعه وخلع

(1) اتّعاظ 2 / 118 هامش 2 – النجوم 4 / 183 .

عليه الحاكم وحمله على فرس في ثاني شهر رمضان سنة تسع وأربعمائة . فلم تمضِ سوى ثمانية أيّام حتى تقدّم إليه رجلٌ وهو سائر على طريق المقس فألقاه عن فرسه وضربه حتّى هلك . فأرتجّ الناس[1] وقبضوا على الرجل وقتلوه من ساعته ونهبوا دار الأخرم بالقاهرة وأخذوا كلّ ما فيها . وحمل الأخرم في تابوت إلى الحاكم فكفّنه ودفنَه . وحملت العامّةُ الرجل الذي قتله فكفّنوه ودفنوه وبنوا على قبره ولزموه ليلاً ونهاراً يتبرّكون بزيارته . فلمّا كان بعد أربع عشرة ليلة وُجد قبره منبوشاً ، وقد أخذت جُثّته فلم يـ[ـو]قف لها على خبرٍ بعد ذلك .

1183 ـ الحسن بن خلف القيروانيّ [427 ـ 514][2]

الحسن بن خلف بن عبد الله بن بَلِّيمة ، الأستاذ أبو علي ، القيروانيّ ، المقرىء ، نزيل الإسكندريّة ، مصنّف « تلخيص العبادات »[3] ، في القراءات .

ولد يوم عاشوراء سنة سبع أو ثمان وعشرين وأربعمائة ، وعُني بالقراءات وتقدّم فيها . فقرأ بالقيروان على أبي بكر القصري[4] ، والحسن بن علي الجلولي ، وأبي العَالية البندولي ، وعمّار بن بلال[5] ، وعبد الملك بن داود القسطلاني .

وقدم مصر فقرأ بها على محمد بن أحمد بن علي القزويني وأحمد بن نفيس وعبد الباقي بن فارس . وتصدّر للإقراء مدّة ، فقرأ عليه أبو العبّاس أحمد بن

---

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : فأرتجّ الحرس .
(2) الوافي 11 / 430 (615) – غاية النهاية 1 / 211 (970) .
(3) في الوافي وغاية النهاية : تلخيص العبادات بلطيف الإشارات .
(4) زاد في غاية النهاية : إمام جامع القيروان .
(5) في غاية النهاية : عثمان بن بلال الزاهد .

الحطيئة ، وعبد الرحمان بن خلف الله بن عطيّة ، وأبو الحسين محمد بن عبد الرحمان الإشبيلي المعروف بٱبن عظيمة ، ويحيى بن سعدون [القرطبيّ] وجماعة .

توفّي بالإسكندريّة في يوم السبت ثامن عشر رجب سنة أربع عشرة وخمسمائة .

1184 – الحسن ٱبن أبي الملاحف [– بعد 290] [1]

الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا ، أخو أبي عبد الله الشيعيّ ، ويُعرف بابن أبي الملاحف .

خرج مع أخويه أبي عبد الله الحسين ، وأبي العبَّاس محمد ، وصار من جملة الشيعة . وتوجَّه مع أخيه أبي عبد الله إلى بلاد المغرب بعد أن مرَّ بمصر . وأقام بالمغرب إلى قُبيل مسير عبيد الله إلى المغرب بيسير [2] .

ثمَّ صار إلى صنعاء ونزل عند عليّ بن الفضل بن زياد الخلقاني [3]

(1) ابن أبي الملاحف الذي صحب أبا عبد الله إلى بلاد كتامة ، اسمه في افتتاح الدعوة ، 31 / 61 عبد الله ، ولم يذكر القاضي النعمان أنّه أخٌ للداعيَين . وكذلك الداعي إدريس في عيون الأخبار ، 84 ، لم يذكر هذه القرابة . وتساءل محمد الطالبي في رسالته عن الإمارة الأغلبية ، 640 (و657 من الترجمة العربيّة) عن هذا الشخص « الغامض » ولم يذكر له قرابة بأبي عبد الله غير القرابة في المذهب .
والمقريزي نفسه يسمِّيه عبد الله في ترجمة أبي عبد الله ولا يذكر الأخوّة بينهما . ولكنّه يسمّي أبا العبّاس المخطوم « ابن أبي الملاحف » وهي نسبة لم يطلقها على أبي عبد الله . فلعلّ المؤلّف قد وهم في الاسم وفي القرابة معاً ، وابن أبي الملاحف يبقى داعياً مرافقاً لأبي عبد الله إلى المغرب كما جاء في افتتاح الدعوة ، وكذلك في سيرة جعفر الحاجب ، 125 . وقدَّرنا تاريخ قتله بسنة 290 اعتماداً على ما جاء في الترجمة من أنّه خرج من المغرب حوالي سنة 286 ، فالأربع سنوات البواقي تكون مدَّة إقامته باليمن ثمّ بمكّة .

(2) كان خروج المهدي من سلميّة سنة 286 (عيون الأخبار ، 145) .

(3) علي بن الفضل يعرف بالجيشاني نسبة إلى جيشان باليمن ، فلعلّ الخلقاني هنا تحريف .

الجنَديّ ، وصار له بصنعاء اليمَن شأن ، إلى أن تخوّف من عليّ بن الفضل . فقال له : إنّي رأيتُ فيمَا يرى النائمُ كأنّي بمكّة في مكان عالٍ وحولي جمع كبير .

فقال له : أنت والله صاحب مكّة .

[359 أ] فسيّره وضمّ / إليه ابن أدهم وأنفذ معهما مالاً عظيمًا . فسارا من صنعاء ، وقد خلّف حسن له بها مائتَي فرس إلى غير ذلك من الأموال .

ونزلا مكّة فشرعا في إشهار الدعوة وبثّها في الناس ، فوشِيَ بهما ، وشهد عليهما ابن خزيمة من عدول مكّة بالقرمطة ، فضُربا بالسياط حتى ماتا . وصُلبا ، فكان ذلك تأويل رؤيا حسن .

1185 – أبو علي الكاتب [– بعد 343][1]

الحسن بن أحمد ، أبو عليّ ، الكاتب .

صحب أبا علي الروذباريّ وغيره . وكان أوحد مشايخ وقته . قال فيه أبو عثمان المغربيّ[2] « أبو علي الكاتب من السالكين » ، وكان يعظّم شأنه .

مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة .

ومن كلامه : إذا انقطع العبدُ إلى الله تعالى بكلّيّتِهِ ، أوّلُ ما يفيده الله الاستغناء به عن الناس .

وقال : يقول الله تعالى : من صبر علينا وصل إلينا .

وقال : إذا سمع الرجلُ الحكمَةَ فلم يقبلها فهو مذنب . وإذا سمعَها ولم يعمل

---

(1) الشعرانيّ 1 / 112 (214) وفيها : أبو علي الحسين ، من كبار مشايخ المصريّين . مسالك الأبصار ، 8/ 250 .

(2) أبو عثمان المغربيّ : سعيد بن سلّام القيزوانيّ (طبقات الأولياء ، 237) توفّي سنة 373 .

بها فهو منافق .

وقال : إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلّا بمَا يَعنيه .

وقال : روائح نسيم المحبّة تفوح من المحبّين وإن كتموها ، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفَوها ، وتدلّ عليهم وإن ستروها .

وقال : إنّ الله تعالى يرزق العبد حلاوة ذكره ، فإن فرح بها وشكره آنسه بقربه ، وإن قصّر في الشكر أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوتَه .

1186 – موفّق الدين ابن الديباجيّ الكاتب [– 619][1]

الحسن بن أحمد [...] الأديب ، الكاتب ، المؤتمن ، أبو علي ، موفّق الدين ، ابن أبي المكارم ، ابن أبي الحسين ، الديباجيّ [...] .

... وباشر في ديوان الإنشاء أيّام الملك الكامل مدّةً ، وكتب الخطّ الحسن وقال الشعر الجيّد . وتوجّه رسولاً إلى الشرق . وعاد فأدركه أجلُه بدمشق في ليلة الثامن والعشرين من شهر رجب سنة تسع عشرة وستّمائة .

1187 – أبو عليّ الإوَقيّ / الأَوَهيّ [– 630][2]

حسن بن أحمد بن يوسف ، الشيخ الصالح ، أبو عليّ ، الإوقيّ ، الصوفيّ ، نزيل بيت المقدس .

---

(1) الوافي 11 / 398 (572) – التكملة 3 / 18 (1753) .

(2) التكملة 3 / 334 (2447) – شذرات 5 / 135 وفيها : الأوهي بفتحتين نسبة إلى قرية بين زنجان وهمذان . وقد وضّح ياقوت اختلاف النسبة في ترجمته لأبي عليّ [مادّة أَوَه بفتحتين من معجم البلدان] فقال نقلاً عن أبي علي : قال لي الحافظ السلفيّ : ينبغي أن تزيد في اسم بلدك [أَوَه] قافاً للنسبة . فلذلك قيل لي : الأَوَقيّ .

سمع من الحافظ السلفيّ ، وأبي محمد عبد الواحد بن عسكر المخزوميّ ، وأبي المكارم الفضل بن علي المقدسيّ .

وسمع بمصر من أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الرحبيّ ، وبالقاهرة من أبي المحاسن المشرّف بن المؤيّد بن عليّ الهمذانيّ وحدّث ببيت المقدس وأقام بها زيادةً على أربعين سنة .

ومات بها في ليلة الجمعة العاشر من صفر سنة ثلاثين وستّمائة .

والإِوَقيّ بكسر الهمزة وفتح الواو ، وبعدها قاف وياء النسبة .

ويقال إنّ الإوقي نسبة إلى واه[1] .

1188 – اليازوريّ [– 450][2]

الحسن بن علي بن عبد الرحمان ، أبو محمد ، اليازوريّ ، الوزير الأجلّ الأوحد المكين ، سيّد الوزراء وتاج الأصفياء ، قاضي القضاة وداعي الدعاة ، علَم المجد ، خالصة أمير المؤمنين ، الناصر للدين .

نشأته بالرملة :

كان أبوه من أهل ضيعة من ضياع فلسطين يقال لها « يازور » ، وله بها حال متّسعة ونباهة[3] كبيرة . فلمّا اتّسعَت حالُه ، وكثر مالُه ، أنِف من المقام بها وتحوّل إلى الرملة وسكنها فشُهر بها . وعُرِف بالصدق في القولِ وسماحة النفس ، فتقدّم الشهودَ بها ، ورُدّ إليه قضاءُ أكثر أعمال الرملة . ونشأ له

(1) هكذا في المخطوط ، وقد مرّ بنا أنّها أوه .

(2) الأعلام 2 / 218 – ابن ميسّر (ماسي) 8 – الإشارة ، 40 – اتّعاظ 2 / 212 – ابن القلانسيّ 84 – الكامل 9 / 81 (سنة 449) .

(3) قراءة تقريبيّة .

ابنان ، أصغرُهما الحسنُ هٰذا . فخلف أخاه ، القائمَ بعد أبيه ، وأربى على أبيه وأخيه في حسن الطريقة وجميل السيرة وشرف الأعلاق .

واتّصل بخدمة خيرة ، كاتب الوزير علي بن أحمد الجرجرائيّ فأحسنت إليه واعتنت به ومنعت من التعرّض لصرفه من الحكم إلى أن توفّيت ، فصرف عن الحكم[1] .

دخوله في خدمة أمّ المستنصر...

وقدم إلى القاهرة وتلطّف بكثرة مداخلته وتوصّل إلى خدمة السيّدة أمّ الخليفة المستنصر وواظب خدمتَها وخدمةَ حواشيها ولازم بابها للسعي في عوده إلى الحكم بفلسطين . وصار يتردّد إلى الوزير أبي نصر صدقة بن يوسف الفلاحيّ[2] حتّى اختصّ به وأفضى إليه بمَا يجده من استبداد أبي سعد سهل التستريّ بأمور الدولة وما يلقى من امتهانه له ، فيشاركه في التدبير عليه ويلقّنه من ذلك ما يجد به سبيلاً إلى المكر به . فنفر منه أبو سعد ومقته وهمّ / بالإيقاع به ، فعوجلَ [359ب] وقُتل ، واليازوري مع ذلك يتردّد إلى قاضي القضاة وداعي الدعاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان ولا ينقطع عنه ليردّه إلى الحكم ببلده . ففهم القاضي سوءَ رأي أبي سعد التستريّ فيه فانحرف عنه ولم يلتفت إليه . واستمرّ عليه هٰذا بعد قتل أبي سعد .

فاتّفق أنّ قاضي القضاة حضر يوماً بباب البحر أحد أبواب القصر على عادته في كلّ اثنين وخميس ، وجلس ينتظر خروجَ السلام إليه ، وجلس معه من الشهود من جرى رسمُه بذلك ، فدخل اليازوريّ وجلس معهم فالتفت إليه

---

(1) فقرة مضطربة : لم نعرف خيرة «كاتب» الجرجرائي . وفي الاتّعاظ 2 / 197 : واتّصل بخدمة الوزير الجرجرائي فصار بذلك مَمنوعا مِمّن يريده بسوء .

(2) الوزير الفلّاحيّ : كان يهوديّاً فأسلم فصار وزيراً . وقتل سنة 440 .

القاضي وقال له : بأمرِ مَن جلستَ هٰهنا ؟ أتظنّ أنّ المجالس كلّها مبذولة ، لكلّ أحدٍ أن يجلس فيها ؟ هٰذا مجلس لا يجلس فيه إلّا مَن أذنت له حضرة الإمامة وشرّفَتْه به . آخرج ، فوالله لا تصرّفتَ على أيّامي أبداً !

فخرج ورجلاه لا تكادان تحملانه . ووقف على باب البحر إلى أن خرج قاضي القضاة ، فسار في أعقابه وسبقه ووقف بباب داره . فلمّا نزل صقَع[1] له آستعطافاً لئلّا يُرِيَه أنّه وجد من كلامه ، فلم يُعِره طرفَه ودخل ، فآنصرف اليازوري . ولقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعيّ خليفة قاضي القضاة فقال له : يا أبا محمّد ، قد كان يجب أن لا تُريَه وجهَك عُقيبَ ما جرى لك معه اليومَ .

ثمّ آنصرف عن القضاعيّ وأقبل على أبي عبد الله أحمد بن محمد بن أبي زكريا خليفة قاضي القضاة فخاطبه بأجفى من خطاب القضاعيّ له . فتركه وقد عظُم همّه .

... بتوسّط القائد رفق

ووافى منزلَه فوجد [أن] قد حضر إليه من ضياعه ثلاثون حملاً من التفّاح لتُباعَ بمصر ، فأنفذ منها خمسة أحمال إلى الوزير الفلاحيّ ، وبعث لقاضي القضاة خمسة أحمال ، وللقائد الأجلّ عدّة الدولة رفق خمسة أحمال ، ولأبن أبي زكريا ثلاثة أحمال ، وللقضاعي خمسة أحمال ، وفرّق حملين على حواشيهم . وكان ثمن هٰذه الأحمال يبلغ جملة[2] ثلاثمائة دينار . فلم يلتفت أحدٌ منهم إليه ولا عطف عليه [ما خلا القائد الأجلّ عدّة الدولة رفق ، فإنّه شكره وأثنى عليه][3] ...

---

(1) صقع له : آنحنى أمامه وطأطأ رأسه مسلّماً .

(2) قراءة تخمينيّة .

(3) زيادة من الاتّعاظ 2 / 199 – وهي لا تسدّ الثغرة .

... ولا تقدّم منّا إليه من الجميل ما يوجب أن يكافئنا عليه . وهٰذا رجل حرّ له مروءة توجب أن نصطنعَه ونحقّقَ حُسنَ ظنّه بنا .

وركب اليازوريّ من الغد ووقف عند باب البحر . فلمّا أقبل رفق من داره يريد القصرَ ، تلقّاه وسلّم عليه . فأكرمه ورحّب به وسأله عن حاله . ثمّ دخل إلى القصر وقضى حقّ الخدمة ، وخرج فوجده واقفاً على حاله . فسلّم عليه ، وسار معه إلى داره حتّى وصل إليها ، فٱنثنى اليازوريّ راجعاً . وأقام على ذلك أيّاماً .

فخفّ على قلب رفق ، وقويت رغبتُه في ٱصطناعه . وصار إذا وصل إلى داره أمر اليازوريّ بالنزول معه ، فينزل ويجلس معه ويحادثه ، وكان حلوَ الحديث فَكِهَ المحاضرة . فأطال جُلوسَه معه . وبقي رفق إذا غاب عنه يشتاق إليه ، وإذا همّ بالقيام عنه أمسكه إلى أن تحضر المائدة ، وأكثر منه حتّى عُدَّ من خواصّه .

ولمّا ضجرت أمّ المستنصر مِنْ عرض خدمتها على أبي نصر إبراهيم أخي أبي سعد سهل التستريّ ، وٱمتناعِه ، حتّى وقفت أمورُ خدمتها وبقي بابُها مغلوقاً مدّةَ ثلاثة أشهر ، قال رفق في بعض الأيّام لليازوريّ ، وقد أفضى به الحديث إلى كثرة رغبة السيّدة أمّ الخليفة في أبي نصر وٱمتناعِه : إنّي أرى رأياً ، فما عندك فيه ؟

قال اليازوريّ : ما هو ؟

قال : تكتب رقعة تلتمس خدمةَ السيّدة وتعرض نفسَك عليها .

فقال له اليازوريّ : كنتُ أظنُّ جميلَ رأيك فيّ وإيثارَك مصلحة حالي ، فأَكْذَبني ظنّي .

فقال : بمَاذا ؟

قال : لهُزْئك بي . فإنّي قد ٱجتهدتُ في العود إلى قرية كنت فيها فبُخل

عليّ بها . فكيف إذا تعرّضتُ لهٰذا الأمر الكبير ومناوأةِ الوزراء ؟

فقال له : أما ترضى بي سفيراً لك في هٰذا الأمر وعلى ٱستفراغ الوسع لوجوب حقّك عليّ ؟ فإن قضت الأقدار ببلوغ الغرض في ذلك ، فقد أدركنا ما نؤثره . وإن تكن الأخرى ، فعلى أكثر من العطلة ما نحصل[1] .

فٱستجاب إلى ذلك ، وكتب رقعة يعرضُ نفسه وماله على السيّدة ، ويخطبُ خدمتَها ويبذل الاجتهاد فيها . فأخذ رفق الرقعة وركب من الغد إلى / [360 أ] القصر ، ودخل إلى السيّدة وقد أحضرَت أبا نصر وعاودَته في الخطاب وهو على حاله من الامتناع إلى أن أضجرها . فٱنتهز رفق الفرصة بضجرها وقال : يا مولاتنا قد طال غلقُ بابك ووقوفُ خدمتكِ وكثرة ٱمتناع الشيخ أبي نصر ممّا تريد[ينـ]ـه منه . وهٰهنا من أنت تعرفينه ، وهو رجل مسلم وقاضٍ ، وكثير المروءة ، وهو مستغنٍ بمَاله وأملاكه عن التعرّض لمالِك ، وهو ثقة ناهض كافٍ .

فقالت : مَن هو ؟

فقال : القاضي أبو محمد اليازوريّ . وهٰذه رقعتُه .

فأمرتْه بتسليمها إلى أبي نصر . وقالت : ما تقول فيه ؟

فلم يصدّق بذلك وقال : يا مولاتَنا ، هو والله الثقةُ الأمينُ الناهض الذي يصلح لخدمتِكِ ، وفيه لها جمال ، وما تظفرين بمثله .

فوقع ذلك منها بالموافقة لما كان في نفسها من الغيظ بٱمتناعه عليها . وقالت لرفق : قل له يجلس في داره غداً إلى أن أنفذ إليه .

فسرّ رفق بذلك سروراً كبيراً وخرج . فرأى اليازوريّ فقال له : أقمحٌ أم

(1) في الاتّعاظ 2 / 199 : فقد أكثر من العطلة ما تحصّل . وقراءتنا أصوب إذا فهمناها على هذا النحو : فعلى ماذا نحصل أكثر من العطلة ، أي : ماذا نخشى أكثر من البطالة الحاليّة ؟

شَعير ؟

قال : بل برّ يوسفيّ – وقصّ عليه القصّة وقال له : ٱغدُ إلى دارك فلا حاجة إلى الاجتماع اليوم ، وإذا كان الغد فاجلس حتى يأتيَك رسولُ السيّدة .

ففعل . وجاءه من الغد الرسول يستدعيه . فركب إلى باب السيّدة وقد جلسَت له وراء المقطع ، وردّت إليه أمرَ بابها والنظر في ديوانها الذي هو باب الريح . فبلغ ذلك الوزير أبا نصر صدقة بن يوسف الفلاحيّ فشقّ عليه كونُ هٰذا الأمر لم يكن على يده مع علمه أنّه لا يقدر عليه ، فإنّ السيّدة لم تكن تسمع قوله لما في نفسها منه بقتل أبي سعد ، ولم يسَعه إلّا المجاملة . وٱستدعى أمراء الأتراك وأمرهم بالمضيّ إليه وتهنئته . فلمّا دخلوا على اليازوريّ تلقّاهم وأعظمهم لسعيهم إليه ، وعندما هنّؤوه شكرَهم وأثنى عليهم وقال : ما أنا إلّا خادم ونائب لمواليّ الأمراء . أسأل في تشريفي بمَا يعنّ لهم من خدمة أنهض فيها وأبلغ الغرض فيمَا يرسمون .

ٱرتفاع شأنه بخدمة السيّدة :

فنهضوا ، وقام لوداعهم . وأتوا إلى الوزير [الفلاحيّ].وأعلموه بما كان من اليازوريّ ، فقلق لذلك . ولم تطل الأيّام حتّى قبض على الوزير وقُتل ، وأقيم بعده في الوزارة أبو البركات الحسين بن محمد الجرجرائيّ . فأقبلت حال اليازوريّ تتزيّد ومنزلته ترتفع وأمرُه يتأكّد . وخلعت عليه السيّدة خلعة ثانية ، ولُقّب بالمكين الأمين عمدة أمير المؤمنين . وأمرَته أن لا يقوم لأحدٍ ، فإنّ خدمتَه لا تقتضي إعظام أحدٍ إذا دخل إليه . فكان يعتذر إلى مَن يأتيه من الجلّة والرؤساء والأكابر عن ترك القيام ويقول : لو ملكتُ ٱختياري لبالغتُ في تكرمتكم بمَا تستحقّونه – إلى أن تمهّد عذره في ذلك ، ما خلا القائد الأجلّ عدّة الدولة رفق ، الذي كان سفيره : فإنّه كان إذا أقبل إليه وثب قائماً ووفّاه حقّه من

الإعظام . فبلغ ذلك السيّدة فقالت له : لا تتحرّك لأحدٍ بالجملة !

فكان بعد ذلك إذا جاء ، يعتذر إليه . فمكث كذلك مدّة ، وحاله آخذة في الترقّي ، ورئاستُه تزدادُ إجلالاً إلى أن صار يحضر بحضرة الخليفة المستنصر إذا أراد أن يستدعي الوزير كما كان قد تقرّر لأبي سعد التستريّ مع الوزير الفلاحيّ . فشقّ هذا على الوزير أبي البركات . وذلك أنّه كان إذا حضر اليازوريّ عند المستنصر تحدّث طويلاً ، وتكون السيّدة من وراء المقطع فيدور بينهم الكلام فيمَا يحتاج إليه . ثمّ تستدعي الوزير ، فإذا دخل وعرض ما يريد من أمور الدولة لا يُجيبه إلّا اليازوريّ ، ثمّ يلتفت إلى الخليفة بعد ما يجيب الوزير ويقول : أليس هو الصواب ؟

فيقول الخليفة : نعم .

ويخرج الرسول من وراء المقطع ويقول عن السيّدة : هو الصواب .

فصار الوزير كأنّه إنّما يعرض على اليازوريّ لا على الخليفة والسيّدة ولا يقدر على الاعتراض فيمَا يقوله ولا يجد بدًّا من آمتثال ذلك .

سعي الوزير الجرجرائيّ لإقصائه عن السيّدة :

فشقّ عليه ما صار إليه وأخذ في إعمال الحيلة . فأشار عليه أبو الفضل صاعد بن مسعود[1] أن يحسّن للخليفة تولية اليازوريّ القضاء ، فإذا تقلّد القضاء وقع في هَوْر[2] كبير وشغلَه عن ملازمة السيّدة ، فيصل الوزير حينئذ إلى آستخدام ولدِه مكان اليازوريّ ، ويستوي / له الأمر ويملك جهتَي السلطان [360ب]
والسيّدة .

فاتّفق حضور قاضي القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عند الوزير

(1) صاعد بن مسعود الشيخ الأجلّ زين الكفاة صاحب ديوان الشام – اتّعاظ 2 / 203 .
(2) الهوْر : الانشغال وتبدّد العزيمة وضعف الرأي .

وتقلّقه من خليفتَيه أبي عبد الله محمد القضاعيّ وأبي عبد الله أحمد بن أبي زكريا وشكوى المذكورَين من قاضي القضاة مع توعّك أبي محمد اليازوريّ وتخلّفه في داره أيّاماً . فخلا الوزيرُ بالخليفة وأعاد عليه ما ذكره كلٌّ من القاضي وخليفَتيه وشنّع أمرَ قاسم وقبّحه . فقال الخليفة : فَمَن نستبدل به ؟

فقال : عبيدك كثير ؛ وبين يديك مَن يتجمّل الحكمُ به مع ثقته وأمانتِه وقربه من خدمتك .

فقال : ومن هو ؟

قال : القاضي أبو محمد .

فقال : ذاك في خدمة مولاتنا الوالدة ، ولا تفسح له في ذلك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هي – خلّد الله ملكها – أغيَرُ على دولتك وأحسن نظراً إليها من أن تحولَ بينها وبينَ ما يجمّلُها . ومع هٰذا فلم يُنقل ممّا هو فيه إلى ما هو دونَه ، بل إلى ما هو أوفى منه .

فأجاب إلى ذلك . وقام وقد ٱستقرّ هٰذا وتمّ له ما أراده ، وشرع في الحال في كتابة سجلّه وإعداد الخلع له ليخلع عليه في غد ذلك اليوم خوفاً من نقض ما ٱستقرّ .

وبلغ ذلك كلّه القائد رفق فأنفذ إلى اليازوريّ وقصّ عليه الخبر وقال له : تلطّف في أمرك كما تريد . – فعظم هٰذا على اليازوريّ وخاف مِن إبعاده عن خدمة السيّدة ، فإنّها كانت أجلّ الخِدم وأوفاها وأسناها محلاًّ وأغناها : فإنّ كلّ مَن كان في الدولة من وزير وأمير وغيرهما محتاج إليه .

فلمّا كان مع عشاء الآخرة حمل على نفسه وهو محموم ، وركب إلى باب الريح[1] ، ودخل وأعلمَها مكانَه . فأكبرت حضورَه في مثل ذلك الوقت مع

(1) باب الريح : احد أبواب القصر الكبير الشرقيّ وهو منزل سكنى الخليفة ومحلّ حرمه – الخطط 2 / 180 .

ما تعلمُه من توعّك بدنه . فخرجت وراء المقطع وسألته عن حال مرضه وما الذي دعاه إلى العناء في هٰذا الوقت على ما هو عليه . فرمى نفسه بين يديها وقصّ عليها القصّة كلّها وقال : إنّما الغرضُ إبعادي عن خدمتك وحرماني السعادةَ التي ألحقتِني بها ليقع التّمكُّنُ منّي .

قالت : وما الذي تكره من ذلك ؟

فقال : يا مولاتنا ، هور الحكم واسعٌ . وأحوال قاضي القضاة قاسم ٱبن النعمان فيه مشهورة . ولو كانت جاريةً على النظام المستقيم لشُغلتُ عن خدمتك ، فكيف والحاجة داعية إلى تجديد إصلاحه وإحكام نظامه ، وفي هٰذا شغل كبير ؟

فقالت : لا يضيق صدرك بهٰذا الأمر ، فبابي لك ، وخدمتي موفورة عليك ولا أستبدل بك أبداً .

فقال : يا مولاتنا ، قد قدّمت القول إنّ هور الحكم كبير واسع ، وٱشتغالي به يحول بيني وبين ملازمة بابك .

فقالت : خلفاؤك في الحكم ، القضاعيّ وٱبن أبي زكريا هما ينفّذان من الأحكام ما يجوز تنفيذه . فإذا تحرّرت الأحكامُ نزلتَ ففصلتَ ذلك . وقرّرْ لنزولك يومَين في الجمعة لفصل الأحكام . فإذا نزلت كان ولداك ينوبان عنك في تنفيذ أمور خدمتي . وهٰذا التقرير لا يغلبُك فعله .

فقبّل الأرض لها ودعا وشكر وٱنصرف .

قبوله خطّة القضاء بنصيحة من مولاته

فلمّا كان في غد ذلك اليوم وهو الثاني من المحرّم سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، ٱستُدعِيَ إلى حضرة أمير المؤمنين وخُلع عليه وقُرِىء سجلُّه في الإيوان ، وخرج والدولة بأسرها بين يديه . فأقام في تنفيذ الأحكام عدّة أيّام

وولداه[1] ينوبان عنه في باب الريح . وجعل الوزير يبعث للسيّدة مَن يطارحُها في ذكر بابها ويعرّض لها بذكر ولد الوزير . فقالت : وما هو الأمر الذي يَعجز ولدا القاضي أبي محمد عنه ، وقد لقِنا فِعلَ أبيهما وفهِما منه ما يحتاجان إليه ، ومع ذلك إلى أن يجيء أبوهُما ، وما كنت بالذي يستبدل به بوجه ولا سبب .

فلمّا سمع ذلك الوزير أبو البركات ، أسقط في يده وقال : أردنا وضعه ، والله تعالى يريد رفْعَه .

فقال له أبو الفضل صاعد : أمّا إذا جرى الأمرُ بخلاف ما ظننّاه وأملناه ، فليس إلّا مجاملةُ الرجل ومواثقتُه على السلامة . فتواثقا وتعاهدا . وصار لا يسلّم على الوزير ولا يجتمعان إلّا يوماً في الشهر ، يحضر إليه في داره . فإذا صار إليه آحتجب الوزير عن كلّ أحد ، وخلا به ، وبالغ في إكرامه ، وهو في الباطن يدبّر عليه . فكفاه اللهُ أمرَه ، وقبض عليه وشغرت / رتبة الوزارة عدّة أيّام ، [361 أ] والسيّدة تعرضها على اليازوريّ وهو يمتنع . فأقيم أبو الفضل صاعد وخلع عليه وعُمل واسطةً لا وزيراً . فصار إذا أحبّ أن يعرض على الخليفة أمراً ممّا يتعلّق به يتقدّم اليازوريّ إلى الحضرة ، ثمّ يستدعي بأبي الفضل ، فإذا عرض ما أحبّ لا يجيبُه إلّا اليازوريّ . فصار في نفسه منه مثلُ ما كان في نفس غيره من الوزراء . وأقبل ينصب عليه ويحمل الرجالَ على مكروهه ويوهِمُهم أنّه إذا سأل لهم زيادة أو ولاية ، يعترضُهُ اليازوريّ بمَا يُبطل رأيَه ويُفسدُه . فآستدعى ناصر الدولة حسين بن حمدان[2] بعض خواصّ اليازوريّ وقال له : اعلم أنّ القاضي له من الثناء الجميل كثير ، ونحن شاكرون له ، معتذرون بجميله ، مفتقرون إلى جاهه في جميع أمورنا . وآعتفاؤه من هٰذا الأمر لا يبرئه من ذمّنا إن وقفت حوائجنا ، ويكون الشكر فيه لغيره إن قضيَت . وهٰذا الرجل عميد الملك هوذا

(1) في الاتّعاظ 2 / 208 : آستناب آبنَه الأكبر أبا الحسن محمد ولُقّب بالقاضي الأجلّ خطير الملك . وآختصّ الولد الثاني بخدمة السيّدة .

(2) ستأتي ترجمة هذا القائد الحمدانيّ برقم 1233 .

يحمل الرجال عليه ويشعرهم أنّه يجهد في قضاء حوائجهم ، وأنّه يعترضه بمَا يبطلها عليهم ، وفي هٰذا الأمر ما يعلمه . فقل له عنّي : يا سيّدنا ، أمَّا إذ تريد شكرَ الرجال وسلامة صدورهم لك وخلاص نيّاتهم في طاعتك ، فأدخلْ في هٰذا الأمر . فإن أحسنت عرفوا ذاك لك وشكروه منك ، وإن أسأتَ كان لك ضررُه وشرّه . وإلّا فاعتزل جانباً ولا تلعب بروحك مع الرجال لئلّا يُتلفَك أبو الفضل . وإن أذن لي في المثول بحضرتِه ذكرتُ له ذلك .

فلمّا بلّغ هٰذا لليازوريّ قال له : أمهلني الليلةَ وبكّر إليّ .

فبكّر إليه وهو خال فقال له : أعِدْ عليّ قولَ ناصر الدولة .

فأعاده . فقال : أقرِهِ عنّي السلام وقل له : والله إلّا أدخل فيه ويكون لي خيره وشرّه !

فأبلغ ذلك ناصر الدولة ، فقال : هٰذا هو الصواب .

ارتقاؤهُ الوزارة

فلمّا كان بعد يومين قُرىء سجلّه بالوزارة ولُقّب بالوزير الأجلّ ، الأوحد ، المكين ، سيّد الوزراء ، وتاج الأصفياء ، وقاضي القضاة ، وداعي الدعاة ، علم المجد ، خالصة أمير المؤمنين . وخلع عليه في اليوم السابع من المحرّم فنظر في الوزارة ، ومضى فيها مُضيَّ الجواد ، ونهض مسرعاً بنهوض غبّر به في وجوه مَن تقدّمه .

وكاتب ملوك الأطراف فأجابوه بمَا يليق بقدره ووفور حقّه من الرئاسة ، ما خلا معزَّ بنَ باديس صاحبَ إفريقيّة ، فإنّه قصّرَ به في المكاتبةِ عمّا كاتبَ به مَن تقدّمَه من الوزراء . وكان يكاتب كلاً منهم بـ«عبدِه» ، فجعل مكاتبته « صنيعتَه » . وكان لأبن باديس بالقاهرة نائب[1] ، فأستدعاه اليازوريّ وعتب

---

(1) في الاتّعاظ 2 / 212 : هذا الوكيل للصنهاجي يسمّى أبا القاسم ابن الأخوة .

صاحبَه وقال له : أظنّه ٱنتقصني عمّن تقدّمني إذ لم أكن من أهل صناعة الكتابة . وإن لم أكُنْ أوفى منهم ، فما أكونُ دونَهم . ومن رفعَه السلطانُ ٱرتفع وإن كان خاملاً ، ومن وضعَه اتّضع وإن كان جليلاً نبيلاً . فٱكتُب إليه بمَا يرجعه إلى الصواب .

فكتب إليه بذلك ، وقد أذكى اليازوريّ عليه عيوناً يطالعونه بمَا يتفوّه به . فلمّا وقف ابن باديس على كتاب وكيله قال : ما الذي يريد منّي هٰذا الفلّاح ؟ [أن] أكتبَ له « عبده » وهو أكّار[1] ؟ والله لا كان هٰذا أبداً ! وإنّ الذي كتبتُ به إليه لكثير .

فطالعه عيونُه بقول ابن باديس . فأحضر الوكيل وقال له : قد جرى صاحبك على عادته في الجهل . فٱكتُب إليه بمَا يردعُه ، وإلّا عرّفتُه بنفسي إذْ لم يعرِفني .

فكتب إليه بذلك فأجاب بأقبح من الأوّل . فدسَّ إليه اليازوريّ من تلطّف حتّى أخذ سكّينَ دواته . فلمّا وصلت إليه أحضر الوكيل وقال له : قد كنت أظنّ بصاحبك أنّ الذي حملَه على ما كان منه نزوةُ الشبيبة وقلّة خبره بمَا تقضي به الأقدار ، وأنّه إذا نُبّه تنبّه . فإذا الجهلُ مستولٍ عليه ، وظنُّه بأنّ بُعد المسافة بيننا وبينه يمنع من الانتصاف منه ، والوصولِ إليه بمَا يكره . وقد تلطّفنا في أخذ سكّينه من دواته ، وها هي ! فأَنفِذْها إليه وأَعْلِمْه أنّا كما تلطَّفْنا في أخذها [فـ]إنّنا نتلطّفُ في ذبحه بها . – ودفعها إليه ، فكتب الوكيل بذلك إليه فٱزداد شرًّا وبطراً وطغياناً . فدسَّ إليه مَن أخذ نعله – وكان يمشي في الأحذية السنديّة – فلمّا وصلت أحضرَ الوكيلَ وأعلمَه بمَا / ٱنتهى إليه من جهل [361ب] صاحبه ، وقال : ٱكتُبْ إلى هٰذا البربريّ الأحمق وقل له : إن عقلتَ وأحسنتَ أدبك ، وإلّا جعلنا تأديبَك بهٰذه !

(1) الأكّارُ : حرّاث الأرض .

أنتقامُه من المعزّ الصنهاجيّ بإرسال الأعراب على إفريقيّة

فكتب إليه ، فجرى على عادته في إطلاق الكلام القبيح . فتشمّر له حينئذٍ اليازوريّ[1] ، وبعث مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم ، أحد الأمراء ، إلى طرابلس المغرب ، وبها من العرب زغبة ورياح وقد حدثت بينهما حروب . فسار إليهما بخلع كثيرة وأموال وافرة ليصلح بينَهما . فتحمّل ما كان بينهما من الدماء ، ودفع إليهم الدياتِ ، وزاد في إقطاعاتهم . وبعثَهُم على محاربة إفريقيّة وأباحهم ديار ابن باديس وقام في هٰذا قياماً عظيمًا حتّى سار المذكورون وٱستولَوا على أعمال القيروان وضايقُوا ابنَ باديس وحصروه إلى أن نفدت أمواله وقلّت عُددُه وتفلّت منه رجالُه وأشرف على التلفِ ففرّ بحُشاشتِهِ في زيّ ٱمرأة من القيروان إلى المهديّة ، وترك حرمه وداره وأمواله وغلمانَه . فأخذ العرب المدينةَ وقتلوا الرجال وسبَوا النساء ونهبوا ما كان في قصوره وجالوا في المدينة وأخربوها . وحمل ما نُهِب إلى القاهرة من الآلاتِ والأسلحة والعُدد والخيام ، وكان لدخول ذلك يوم عظيم .

وكان في البحيرة طائفة يقال لها بنو قرّة قد ٱقتطعوها وملكوها وعمّروا ضياعَها ، وٱشتدّت شوكتهم ، وخشن جانبهم وعظُم أمرُ مقدّميهم حتّى ٱنتشر ذكرهم وذلّ لهم عدوّهم وثقل أمرهم حتى [على] ولاة الإسكندريّة ، وٱجتمع معهم الطلحيّون فصاروا يداً واحدةً . وكانت لهم واجبات على الدولة ، ولم يكن لهم إقطاع ، بل كان ما يستحقّونه من واجباتهم يُحمَل مع واجبات العسكر بالإسكندريّة إلى الوالي فينفقه فيهم . وكان الوالي بالإسكندريّة في سنة ثلاث

---

(1) عند ابن خلدون 4 / 62 جاء التهديد على هذا الشكل : أمّا بعد ، فقد أرسلنا إليك خيولا ، وحملنا عليها رجالا فحولا ، « لِيَقْضِيَ الله أمرًا كَانَ مَفْعُولًا » (الأنفال ، 44) . وانظر الاتّعاظ 2 / 215 .

وأربعين وأربعمائة ناصر الدولة حسن[1] بن حمدان والد ناصر الدولة الثائر بالقاهرة على المستنصر. فلمّا أنقضت سنة أربع وأربعين وأربعمائة آستحقّ الطلحيّون على الدولة عن واجباتهم ثلاثة آلاف دينار، فواصلوا أقتضاء ناصر الدولة إنفاقَها فيهم، فوعدهم، وكتب إلى الحضرة يلتمس لهم ذلك. فوعده الوزير أنّه إذا حمل إلى رجال العسكر آستحقاقاتهم حمل ذلك في جملته، وكان قد بقي لحمل المال مدّة شهرين. فأستبعدوا الصبرَ إلى ذلك الوقت وواصلوا مطالبته، وحملوا بني قرّة على معونتهم عليه. فأضطهدوه وألزموه بالمسير معهم ومع جيرانهم الطلحيّين إلى الحضرة لألتماس ذلك. فلم يجد بدًّا من إجابتهم، وسار معهم إلى الجيزة وطلع إلى الوزير وعرّفه الحال. فقال: ما أخّرنا ذلك عنهم إلّا لأنّ السنة كثيرةُ النفقات والطوارىء. ولٰكن هٰذه ألفُ دينار، فخذها وأنفقها فيهم إلى أن نحمل باقي مالهم مع مال العسكر.

فأخذ الألف وعاد إليهم وعرّفهم ما قال الوزير. فأمتنعُوا من أخذ الألف، وذكروا أنّهم قد تعبوا وكلّفوه المسير معهم ولا يرجعون إلّا بعد قبض الثلاثة آلاف. وألزموه بالعَودِ. فعاد وعرّفَ الوزيرَ ما كان منهم. فغضب وأمر لهم بألفٍ أخرى وقال: قد ذكرنا لك أنّا لم نؤخّر عنهم ذلك إلّا لضيق الحال وأنتظارٍ ما يصل من الريف فنحمل إليهمْ باقي آستحقاقهم. ولم يبقَ الآن إلّا ألف، ونحن نحمل إليهم ذلك بعد هٰذا.

قهره لبني قرّة الثائرين وإجلاؤهم عن البحيرة

فعاد إليهم ناصر الدولة، فأبَوا إلّا أخذَ الجميع، وأنّهم لا يبرحون من مكانهم إلّا بجميع ما يستحقّونه وجفَوا في الخطاب. فعاد إلى الوزير وعرّفه ما

(1) في المخطوط: حسين، وإنّما هو حسن، وقد مرّت ترجمته برقم 1179 ولم يقل فيها المقريزي أنّه ولي الإسكندريّة، وإنّما خلف أباه الحسين على ولاية صور.
وعبارة الأتّعاظ 2/ 218: ناصر الدولة بن حمدان أبو ناصر الدولة حسين...

كان منهم . فٱشتدّ غضبُه وقال : إجابتُهم إلى ما التمسُوه دفعةً بعد أخرى طمَّعهم . ووالله لا أطلقتُ لهم درهماً واحداً ! – وٱستعاد الألفَي دينار من ناصر الدولة ، وتقدّم بتجريد العسكر لهم . فتسرّع من خفّ مع يمن الدولة[1] كافور الشرابيّ وساروا إليهم ، فإذا بِهم متأهّبين للقائهم ، فجرت بينهم نوبةٌ قتل فيها ٱثنان من العسكر ، وحال بينهما الليل . فلمّا بلغ ذلك الوزير عظم عليه إقدامُهم على العسكر ، سيّمَا بني قرّة ، فإنّهم كانوا أشدّ حرباً من الطلحيّين .

وكان بالقاهرة من مقدّمـ[ـيـ]ـهم ثلاثة نفر ، وهم ضيوف مُكْرَمون ، فأشير على الوزير بقبضهم ليكفّ عادية باقي بني قرّة . فٱستدعى صاحب الستر سيف الدولة مبشّر ، / ومتولّي الشرطة سنان الدولة ابن جابر ، ومتولّي الصناعة [362 أ]
عظيم الدولة عطاء ، وأمرهم بأخذ الثلاثة ليلاً وتسييرهم تحت الحفظ والحوطة إلى الجيزة والتحيّز بهم عن العسكر إلى حيث يأمنون على أنفسهم ، وتخلية سبيلهم . ففعلوا ذلك . وأصبح الناس وقد علموا بمضيّهم . وكلّموا الوزير في ذلك فقال : قبحُ السمعة في القبض عليهم وهم في ضيافتنا منَعَني من ذلك . فهم في هٰذه الحال كالحرم . فلم أستجز فعلَ ذلك ، بل أطلقتُهم ، ووالله لا أخذتُهم إلّا من ظهور دوابّهم !

فقال شخص من الأكابر يعرف بعجلان بن مطر اللواتيّ : قد فعل هٰذا الوزير شيئاً لم يسبقه إليه أحدٌ ، من إطلاق هؤلاء القوم ، واستحيى فيهم بمَا فعله . ووالله ليظفرنَّ بهم لأنّ هٰذا تقليد البغي ، فإن كان فيهم بعد ذلك كائن فالدائرة عليهم .

فكأنّما نطق بالغيب : فإنّهم تشمّروا عند وصول الثلاثة إلى الحاجر ونزلوا به . وأخذ الوزير يجرّ العساكر لهم حتّى كمل له ما أراد ، وسيّرها وقد تجمّعت حشود بني قرّة . فالتَقوا بكوم شريك فكانت الدائرة عليهم وقُتل منهم خلق كثير

(1) في الاتّعاظ 2 / 219 : ليث الدولة .

وانهزموا . فتبعهم العسكر ظنًّا أنّهم يعودون إلى اللقاء ، فلم يَثنهم شيءٌ عن قصد برقة ، وأسلموا أموالَهم وكلَّ ما في أيديهم للنهب ، ففاز به العسكر وغنموه ، وانقلعت شأفة بني قرّة والطلحيّين من البحيرة ، إلى اليوم ، وبقُوا مشرّدين مطردين يجاورون العربان على أقبح صورة أربعين سنة .

وقد كان الوزير لمّا أخرج العسكر لقتال بني قرّة ، فنّدَ أهلُ الدولة رأيه ، وحكموا أنّهم لا ينتقلون من البحيرة أبداً لقوّة بأسهم وشدّة شوكتهم ولأئتلافهم بالطلحيّين . فأكذبَ جميلُ فِعلِه ظنّهم . ثمّ إنّه رأى في كون العساكر في أعمال البحيرة كلفة كبيرة . فنقل بني سنبس من الداروم[1] بفلسطين ، وكانوا قد ثقلت وطأتهم بتلك الأعمال وصعب أمرُهم ، فعدّى بهم إلى البحيرة ، وهم أعداء قيس ، وأوطأهم ديارهم وأقطعهم أرضهم ، فأمتحى أسم بني قرّة .

وكان تجهيزه العساكر لبني قرّة في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وتسييرهم في مستهلّ شوّال . فخطّأه الناس كلّهم وغلّطوه في فعله وحكموا بأنّه لم يجرّد قطّ عسكر في شوّال فظفر ، وأنّهم لا يأمنون على العسكر أن ينهزم وينكسر . وكان شمس الدولة[2] [إليه] زمّ القصور والخدمة في الرسالة ، وهو أيضاً زمام الأتراك والقيصريّة ، وليس في الدولة من يجري مجراه جلالةً ، وبينه وبين الوزير مباينة شديدة ، ويتوقّع له الشرّ ويتربّص به الدوائر . فصار ينتظر انهزام العسكر ليقبض عليه ، والأقدار تؤيّده بالسعادة العظيمة . فلمّا أراد أن يسيّر العسكر من الجيزة رتّب على الميمنة سنان الدولة ابن جابر ، وعلى الميسرة حصن الدولة حيدرة بن منزوي ، وجعل في القلب ناصر الدولة بن حمدان ، وهو المقدّم عليهما . وقرّر معه أن يكون اللقاءُ في يوم الخميس الخامس من شوّال ، بطالع تخيّره له . وبعث معه عدّة من طيور الحمام ليُطالعَه بمَا يكون

(1) بنو سنبس طائيّون . والداروم أو الدارون : قرية بَعد غزّة في اتّجاه مصر .
(2) في المخطوط : يمن الدولة ، والإصلاح من الاتّعاظ 2 / 220 .

منه ومنهم يوماً بيوم . فلمّا كان اليوم الذي تقرّر فيه اللقاء ، جلس الوزير في داره وهو شديد القلق كثير الاهتمام بأمر العسكر ، واحتجب عن الناس لشغل سرّه بهٰذا الأمر . وجلس ينتظر سقوط الطائر بمَا يكون . فلم يزل كذلك إلى الساعة الخامسة من النهار . فقام ليجدّد طهار[تـ]ـه وعبر بالبستان وقد أطلق الماءُ في مجاريه ، فرأى ورقةً تمرُّ على وجه الماء فأخذها متفائلاً بها فوجدها أوّلَ كتاب كان وصل من القائد فضل إلى الحاكم بأمر الله ، قد ذهبت طرّته وعُنوانُه وبقي صدرُه ، وهو : كتب عبد مولانا الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين من المخيّم المنصور في الساعة الخامسة من نهار يوم الخميس الخامس من شوّال ، وقد أظفره الله عزّ وجلّ بعدوّ الله تعالى وعدوِّ الحضرة المطهّر أبي ركوة المخذول . وهو في قبضة الإسار ، والحمد لله ربّ العالمين .

فلمّا وقف على ذلك سجد إلى الأرض شكراً لله تعالى واستشعر الظفر
[362ب] وعجب من موافقة اليوم وعدّة / الأيّام من شوّال والإعلام بالظفر . ثمّ تجهّز للصلاة ، فما فرغ حتى سقط الطائر بانكسار بني قرّة وانهزامهم وبمَا منّ الله تعالى به من الظفر بهم . فأخذ الكتاب والورقة التي وجدها في الماء وركب إلى القصر ودخل إلى الخليفة المستنصر بالله وأوقفه على الكتاب ، فسرّ وابتهج . وأراه الورقة التي وجدها في الماء وقال : هٰذا أعجب يا أمير المؤمنين – وحدّثه حديثه . فعجب من هٰذا الاتّفاق . ثمّ تواصلت الأخبار من ناصر الدولة بالبشرى وشَرْح الحال في الظفر وانهزام القوم . فخلع على الوزير ، وزيد في ألقابه : الناصر للدين ، غيّاث المسلمين . فقوي أمره ، وذلّ خائب أعدائه ، وعادوا يتقرّبون إليه بالخدمة ، فأغضى عنهم ولم يؤاخذ أحداً منهم . وقدِمتِ الرؤوس ممّن قُتل وأموال كثيرة من أموال أهل البحيرة .

تخليصه أهل صقلّيّة من الأمراء الكلبيّين

فلمّا خلا سرّ الوزير من أهل البحيرة ، نظر في أمر مدينة صقلّيّة فإنّ أهلها

كانوا [أعلنوا] خلافهم ، وكاتبوا ابنَ باديس صاحب إفريقيّة وملّكوه عليهم ، فأساء فيهم السيرة . فثاروا به وأخرجوه وكاتبوا ملك الروم فبعث إليهم بطريقاً فحكم فيهم مدّة ، فلم يصبروا له ووثبوا به وأخرجوه عنهم ، وبعثوا إلى المستنصر يطلبون عفوَه ويستصرخونه فكتب إلى مستخلص الدولة [الكلبيّ] ابن أبي الحسين ، فوليَهُم مدّةً . ثمّ بعثوا يشْكون منه ، فسيّر الوزير صمصام الدولة ابن لؤلؤ ، أحدَ الأمراء – وكان رجلاً عاقلاً – ومعه خِلَع نفيسة وأمر[ه] أن يصلح ذات بينهم ، فإن رضوا بأبن أبي الحسين خلع عليه وقرأ سجلّه بتجديد ولايتِه .

وإن أمتنعوا من الطاعة له ، لبِس هو الخلعة وقرأ سجلاً كتب له بولاية صقلّيّة ، وأن يتلطّف في إخراج بني أبي الحسين من جزيرة صقلّيّة ويحملهم إلى القاهرة . فسار إلى صقلّيّة وتحدّث في الصلح . فأمتنعُوا من ذلك ولم يجد فيهم حيلةً . فأظهر سجلّه ولبس خلعَته فرضُوا به . وأخرج جميعَ مَن كان بصقلّيّة من بني أبي الحسين ، وهم زيادة على ثلاثين رجلاً ، وخلت منهم . فأستقام أمرُه .

إرجاعه الصليحيّ باليمن إلى الطاعة

وبعث الوزير رسلَه إلى اليمن ، وقد ثار فيها علي بن محمد الصليحيّ . فما زالوا به حتى دخل في طاعة الدولة وبعث النجاوى إلى القاهرة ، ومعها هديّة جليلة تبلغ عشرة آلاف دينار . فجاء من ذلك ما ليس في المظنون ولم يُرَ مثله فيمَا تقدّم .

ثمّ إنّه عطف على النوبة وأضعف عليهم البقط فحملوه وأستمرَّ بعده .

حزمُه في معاملة الروم البيزنطيين

وكانت الهدنة قد أنعقدَت مع الروم في وزارة أبي نصر الفلاحيّ ، وقدم من قبَلهم رسولان ، أحدُهما يُعرف بأبن اصطفانوس هو المتكلّم – وكان داهيةً أديباً شاعراً نحويًّا فيلسوفاً نظّاراً ، ولد ببلاد الروم ونشأ بأنطاكية ، ودخل إلى

العراق وأخذ عن العلماء والأدباء ، فآشتهر ذكره وبعُد صيتُه .

والآخَرُ صاحب حرب يعرف بميخائيل . فأعجبَهُما حسنُ زِيّ الدولة وكريمُ أفعالها وجميلُ سيرتها ، سيّمَا ميخائيل فإنّه أطربه ذلك ، وكان خيّراً عاقلاً . فلمّا عاد[ا] إلى بلادهما ، قضت الأقدار بموت متملّك الروم وتملّك ميخائيل هٰذا بعده . فأقام في المملكة نحو الخمس سنين .

وقصر النيل بمصر في سنة أربع وأربعمائة ، ولم يكن بالمخازن السلطانيّة شيءٌ من الغلال ، فآشتدّت المسبغة ، وغلا السعرُ . وكان لخلوّ المخازن سببٌ : وهو أنّ الوزير الناصر للدين أبا محمد اليازوريّ لمّا أضيف إليه القضاءُ في وزارة أبي البركات الجرجرّائيّ ، كان ينزل إلى جامع عمرو بن العاص بمصر في يومي السبت والثلاثاء من كلّ أسبوع ليجلس في الزيادة منه[1] للحكم ، على رسم مَن تقدّمه من القضاة . فإذا صلّى العصر طلع إلى القاهرة . وكان في كلّ سوق من أسواق مصر عريف على أرباب كلّ صنعة يتولّى أمورهم . ومن عادة أخباز مصر في أزمنة الغلاء أنّها متى بردت لم يرجع منها إلى شيءٍ لكثرة ما تغشّ به . وكان لعريف الخبّازين دكّان يبيع الخبز . وبجانبها دكّان رجل صعلوك يبيع بها الخبز أيضاً ، والسعر يومئذ أربعة أرطال بدرهم وثُمُن . فرأى الصعلوك أنّ خبزه قد
[363 أ] كاد يبرد ، فخاف من كساده فنادى عليه : أربعة أرطال بدرهم ! / ليرغّب الفقير فيه . فمال الناسُ إليه لأجل تسمُّحِه بثُمُن درهم ، وآشتَرَوه بأجمعه ، وبقي خبز العريف لم يعطف عليه أحد . فغضب . ووكّل بالرجل عونين من الحسبة أغرماه عشرة دراهم . فلم يُطق ذلك ومضى إلى الجامع وآستغاث بقاضي القضاة . وكان هناك . فأحضر المحتسب وأنكر عليه فقال : العادة جارية بآستخدام عرفاء في الأسواق على أرباب الصنائع . وتقبُّل قولهم فيما يذكرونه ، وقد حضر عريف الخبّازين بالسوق الفلانيّ وآستدعى عونَين من الحسبة ، فوقع

---

(1) أي في الجناح الذي زيد إلى البناء الأصليّ .

الظنّ أنّه أنكر شيئاً يوجبُ فعل ذلك . فٱستدعى القاضي الخبّازَ وأمره ، فقصّ على المحتسب خبرَه . فقال القاضي للمحتسب : رجلٌ يُرخِص على الناس أقواتهم فيجازى على ذلك بمَا يؤذيه – ثمّ سأل الخبّاز كم أُخذ منه . فقال : أخذ منّي العريف خمسةَ دراهم ، وكلّ ما في يدي مائة درهم .

فقال : يُصرف هٰذا العريفُ عاجلاً ، ويُغرّم ما أخذَه من هٰذا المسكين ويُعاد إليه .

والتفت إلى صاحب دواته فقال له : ٱنظر ما معك فٱدفعه إلى هٰذا الخبّاز .

حسن تدبيره في أزمة الغلاء

فناوله قرطاساً فيه ثلاثون رباعيًّا ، فكاد عقل الخبّاز يذهب من شدّة فرحه . وعاد إلى دكّانه فإذا عجنتُه الثانية قد خبزت فنادى عليها : خمسة أرطال بدرهم ! – فمال الناس إليه وٱشترَوا خبزَه لرخصه . فخاف مَن هناك من الخبّازين تلاف أخبازهم ، فإنّها برَدت ، وباعوا مثل بيعه . فنادى : ستّة أرطال بدرهم ! – فقادتهم الضرورة إلى بيع أخبازهم كذلك . وصار يريد مكايدَة العريف بإرخاص السعر ويزيد رطلاً رطلاً ، والخبّازون يتبعونه في بيعه خوفاً على بوار أخبازهم ، إلى أن بلغ النداء : عشرة أرطال بدرهم ، وٱنتشر ذلك في سائر البلد ، وتسامع به الناس فتسارعوا إليه ، حتّى إنّه لم يخرج قاضي القضاة من الجامع إلّا والخبز في جميع البلد عشرة أرطال بدرهم .

وكانت العادة أنّه يشترى للديوان السلطانيّ في كلّ سنة غلّة بمائة ألف دينار وتجعل متجراً . فلمّا عاد قاضي القضاة إلى القاهرة مثل بحضرة الخليفة المستنصر ، وعرّفَه ما مَنّ الله تعالى به في هٰذا اليوم من إرخاص السعر ، وتوفُّرِ الناس على الدعاء لأمير المؤمنين ، وأنّ الله – جلّت قدرتُه – فعل ذلك ، وحلّ إسعادُ الناس . بحسن نيّة أمير المؤمنين في رعيّته بغير موجب ولا فاعل له ، بل بلطف الله تعالى واتّفاق قريب يسير . وقصّ عليه الخبر ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ

المتجر الذي يقام بالغلّة فيـ[ـه] أوفى مضرّة على المسلمين ، وربّمَا انحطّ السعر عن مشتراها فلا يمكن بيْعُها ، حتى تتغيَّرُ في المخازن وتتلف . والمصلحة أن نُقيم متجراً لا كلفة على الناس فيه ويُفيد أضعاف فائدة الغلّة ولا يُخشى عليه من تغيّر في المخازن ولا انحطاط [سعر] : وهو الخشب والصابونُ والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك .

فأمضي المستنصر له ما رآه ، واستمرّ ذلك ودام الرخاءُ على الناس مدّة سنين .

ثمّ قصر النيل في سنة سبع وأربعين بعد خمس سنين من نظره في الوزارة ، ولم يكن بمخازن السلطان من الغلّة إلّا ما ينصرف في جراياتِ مَن في القصور ومطبخ الخليفة وحواشيه لا غير . فورد على الوزير من ذلك ما شغل سرّه وكثر له فكره . ونزع السعر إلى ثمانية دنانير التلّيس[1] الدوّار ، واشتدّ الأمر على الناس .

ففتح الله له من التدبير أن نظر في أمر النواحي . وكانت عادة التجّار أن يقرضوا المُعَاملين حين إسعارهم[2] وضيق الحال عليهم في المقام للديوان بمَا يجب عليهم من الخراج ، مالاً يبتاعون به منهم غلّاتهم عند إدراكها ليصيبُوا فيها ربحاً . فإذا استقرّت مبايعتُهم حضروا مع المعاملين إلى الديوان وقاموا عنهم للجهبذ بمَا كتب عليهم ، ويثبت ذلك في روزنامج الجهبذ[3] مع مبلغ الغلّة . فإذا أدركت غلّاتهم وصارت في الجرون[4] اكتالها التجّار وحملوها إلى مخازنهم

---

(1) التلّيس : كيلٌ للقمح يساوي 150 رطلا أو ثماني ويبات – الإشارة ، 43 هامش 5 ، والاتّعاظ 2 / 74 هامش 2 .

(2) اسعارهم قراءة تخمينيّة ، ولعلّها اعسارهم أو : افتقارهم ، والعبارة في الاتّعاظ 2 / 216 ليست اكثر وضوحاً .

(3) الجهبذ : متولّي استخلاص المكوس . والروزنامة والروزنامجة هنا : الدفتر ، وهي أيضاً برنامج استخلاص أموال الدولة السنويّ .

(4) الجرن ج جرون وأجران : مخزن القموح .

يريدون فيها السعر الغالـ[ـي] . فمنع الوزير من ذلك في هٰذه السنة ، وكتب إلى العمّال بسائر النواحي أن يستعرضوا روزنامجات / الجهابذة ويحصروا منها ما قام [363ب] به التجّار عن الـ[ـمـ]ـعاملين ومبلغ الغلّة الذي وقع الابتياع عليه وأن يقوّموا للتجّار [ما] وزنوه للديوان ويربحوهم في كلّ دينار ثُمُنَ دينار ، تطييباً لقلوبهم ، وأن يضَعُوا ختومهم على المخازن ويطالعوا بمبلغ ما يحصل تحت أيديهم فيها .

فلمّا تحرّر ذلك جهّز المراكب لحمل الغلّات من النواحي ، وأودعها في المخازن السلطانيّة بمدينة مصر ، وقرّر ثَمن التلّيس ثلاثة دنانير بعد ما كان بثمانية دنانير . وسلّم إلى الخبّازين ما يبتاعونه لعمارة الأسواق ، ووظّفَ ما تحتاج إليه مصر والقاهرة ، فكان ألف تلّيس دوّار كلّ يوم : مصر ، سبعمائة . والقاهرة ثلاثمائة . فاستمرّ هٰذا التدبير مدّةَ عشرين شهراً حتّى أدْركت غلّةُ السنة الثانية ، فتوسّع الناسُ بها وزال عنهم الغلاء ، وما كادوا يتألّمونَ لحُسنِ هٰذا التدبير .

إعجاب الإمبراطور البيزنطيّ بحال الخلافة

وبلغ ميخائيل متملّك الروم[1] ما بمصر من الغلاء المذكور ، فرأى لكثرة محبّته في الدولة أن يحمل إلى القاهرة مائة ألف قفيز من الغلّة ، وقدم كتابُه وعيّن الغلّة والكيل الذي تستوفى به عند وصولها ، وسيّرها إلى أنطاكية ، وأعدّ هديّةَ الهدنةِ على العادة وهديّةً من ماله ، فضعّف هديّة الهدنة . فلمّا رأى الروم ذلك منه نفرت قلوبهم وظنّوا به الميلَ إلى الإسلام وقتلوه وأقاموا بعده رجلاً يُعرف بأبن سقلاروس[2] من أهل أنطاكية ، وكان عسيراً لَجُوجاً خبيثَ الطباع . فقبض على الهديّتين وقال : أنا أنفقُ ثمنَهُما على قتال المسلمين .

(1) هو ميخائيل الخامس (1041 – 1042) .
(2) ميخائيل السادس « ستراتيكوس » (1056 – 57 / 447 – 448) .

وكان للوزير عيون بالقسطنطينيّة فكتبوا إليه بذلك . فسيّر مكين الدولة بن ملهم إلى اللاذقيّة في عسكر ، فسار إليها وحاصرها . ونودي في بلاد الشام بالغزو إلى بلاد الروم . فلمّا ٱشتدّ الأمرُ على أهل اللاذقيّة بعثوا إلى ٱبن سقلاروس بمَا هم فيه . فكتب إلى المستنصر يستوضح ما الذي أوجب ذلك ؟ – فكتب إليه بأنّ الذي فعله في نقض ما ٱستقرّ مع مَن تقدّمه من الهُدنة وقبضِه الهديّةَ أوجبَ ذلك . فأجاب بأنّه يحمل الهديّة . فٱشترَط عليه إطلاقَ كلِّ مَن في بلاده من الأسرى . فأجاب بأنّه إذا أطلق مَن لهم في بلاد الإسلام من أسرى الروم ، أطلَق مَن عندهُ من المسلمين . فأجيب بأنّه لا يصحّ التماسُه لذلك : فإنّ مَن أُسر من بلاد الروم تفرّقوا في الممالك بالعراق والدولة الفاطميّة والمغرب واليمن وغير ذلك ، ولا حكمَ للحضرة على جميع الممالك حتّى يَرتجع منها مَن صار في أيدي أهلها . وبلادُ الروم بخلاف ذلك ، ومَن حصل فيها من المسلمين كان كمَن هو مُعتقَل في دار واحدة لا يمكنُه الخروجُ منها إلّا بإرادتِهم ، وبين الحالَين فرقٌ كبير . فأجاب بأنّه يُطلق مَن في بلاد[ه] من أسرى المسلمين . فٱشتُرط عليه مع ذلك النزولُ عمّا صار في أيدي الروم من الحصونِ الإسلاميّة . فٱمتنع من ذلك وقال : إذا أسلِم إلينا ما صار في أيدي المسلمين من حصون الروم ، سلّم ما في أيديهم من حصون المسلمين . فثقّل اليازوريّ الجيش بجيش آخر وقدّم عليه الأمير السعيد ليث الدولة ففتحت اللاذقيّة . وأجيب ابن سقلاروس بأنّه لا يصحّ أن يسَلّم إليه ما صار في أيدي المسلمين من الحصون لأنّهم قد ٱبتنَوا فيها العمارات وأنشأوا البساتين فلا يصحّ تسليمها إليهم ، فإنّه يصير المسلمون [بها أهل] ذمّة[1] . فأجاب بأنّه يدفع إليهم ثمن أملاكهم وينقلهم إلى بلاد المسلمين . ثمّ أجابوا إلى تسليم ما في أيديهم من الحصون الإسلاميّة .

وكانت العادةُ جاريةً بأنّه إذا وصلت هديّةُ الروم أن تقوّم في بيت المال ،

---

(1) في المخطوط : لهم ذمّة .

وتحمل إليهم هديّة قيمتها نحو الثلُثين من هديّتهم ليصير للإسلام مزيّة عليهم بالثلث . فآشترط الوزير على آبن سقلاروس أن تكون قيمة ما يحمل إليهم من الهديّة عوضاً عن قيمة هديّتهم النصف من ذلك . فأجابوا إليه .

آنقطاع المفاوضة مع الروم بنكبة اليازوريّ

فآشترط الوزير أن يؤدّي إليه جزيةَ كلِّ مَن تضمُّه دار البلاط ، التي هي دارُ المِلك ومحلُّ المُلْك ومكانُه . فآمتنع من ذلك . فثقَّلَ الجيش بجيش ثالث[1] . فأوغلوا في بلاد الروم يقتلون ويأسرون وينهبون ، فآشتدّت بليّة الروم . وبعث ابن سقلاروس مكاتباتِه بالإذعان إلى القيام بالجزية عن دار البلاط ، وشرع في تجهيزها فبلغت نيفاً وثلاثين ألفَ دينار ، وحمل ذلك إلى أنطاكية . فبلغه صرف الوزير اليازوريّ ، فأعيدت / إلى القسطنطينيّة . وزيّنت بلاد الروم لموته وكثُر [364 أ] فرَحُهم بمَا صُرف عنهم من خشونة جانبه .

دعمُه لثورة البساسيريّ ببغداد .

وآتّفق أنّه كان بالعراق رجل يُعرَفُ بأبي الحارث البساسيريّ[2] صار اسباسْلار كبيرَ القدْر يبلغ إقطاعُه نحو ثلاثين ألف دينار ، فوقع بينَه وبين الوزير رئيس الرؤساء أبي القاسم ابن المُسلِمة وزير القائم بأمر الله العبّاسيّ في سنة سبع وأربعين وأربعمائة وعانده إلى أن أخرجه من بغداد ، فقصد ديار بكر . وكاتب المستنصر ، وهو بأعمال حلب يرغب في الخدمة ويعرض نفسه ويستأذن في الوصول إلى الحضرة ، وأنّه في ثلاثمائة غلام . فأخذ الوزير الكتابَ وقبله أحسنَ قبول . وآستشار أهل الدولة في الإذن له . وكلّهم أشار بذلك وأنّ في قدومه ما

(1) سيقول المقريزيّ ، ص 425 : وعليه الأمير حفّاظ بن فاتك موفّق الدولة .
(2) في تاريخ بغداد 9 / 799 أسمه : أرسلان التركيّ . وفي خصوص البساسيري انظر : دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 1105 ، والكامل سنوات 445 ـ 451 والإشارة ، 69 وابن القلانسيّ 81 .

يوجب مجيءَ غيرِه طمَعاً فيمَا ناله من الكرامة ، وفيه زيادة في عدد رجال الدولة . فلم يوافِق على مجيئه وقال : هٰذا الرجل قد كان إقطاعه بالعراق ما يزيد على ثلاثين ألفَ دينار ، ومعه أولاد مولاه الملك أبي طاهر ابن كاليجار وغيرُهم من أولاد الملوك ، وأجلّهم إقطاعُه ألف ومائتا دينار ، فإن ٱقتصر به على مثل ما لهم من الواجب لم يرضَ ، وإن زيد عليه كان قبيحاً . وأيضاً فإنّا لا نُطيقُ مَن عندنا اليوم من الأتراك ، فكيف إذا ٱنضاف إليهم مثلُ هٰذه العدّة ؟ والصواب أن يبقى بحيث هو ، ونُحسِن إليه ونُقيمه لمناصبة أعداء الدولة . فإن نهض بذلك كان النفعُ للدولة والاسمُ لها . وإن قصُر عنه كان ذلك برأسه .

تلطّفه في صرف خطر السلاجقة عن الشام ومصر

وٱتّفق وصول طغرلبك السلجوقي من خراسان بالغزّ إلى بغداد في هٰذه السنة ، وللوزير بها أعيُنٌ . فكتبوا إليه بوصوله وأنّه مزمع على المِسير من بغداد إلى بلاد الشام ليَملِكه كما ملك بغداد . فقلق من ذلك لعظم أمر طغرلبك ، وأنّه دوّخ الممالك وقتل الملوك واحتوى عليها وانتشر صيتُه وكبر في نفوس الملوك شأنه ولم يبقَ له مُعاندٌ يخافُه . فرأى أنّ الحيلة أبلغُ من مراده من دفعه عن البلاد بالاستعداد ، لكثرة ما معه من العساكر . وكتب إليه يُهنّئه بقدومه إلى العراق ويبذل له من الخدمة ما يوفي على أمله ، وأنّ أرض مصر كلّها بحكمه[1] ، وأنّه وإن كان مستخدماً لدولة ويدعو إليها ، فإنّه يعلم كثرةَ الاختلاف ممّن يجاورها في نسبها واتّفاقِ الكلمة ووقوعِ الإجماع على الرضى بالخليفة الصحيح النسَب الصريح الحسَب الهاشميّ العبّاسيّ ، وأنّه لا يمتنع من الإقرار له بذلك – وأعطاه صفقة يده على مبايعته وتسليم الدولة إليه ، وأنّه قد ٱتّصل به إزماع حضرته على التوجّه إلى الشام ، وأنّه أشفقَ من تسليمها إليه أن تطأها عساكرُه مع كثرتها

(1) انظر هذه المراسلة في الفخري ، 292 .

وتجمّعها فتخربها وتعفي آثارها . [فإن رأى إعفاءها] من وطءِ العساكر لها ووصول ركابها إليها على وجه الفرجة والنظر إلى دمشق وحسنِها ، فلها عالي رأيها .

فلمّا وقف طغرلبك على كتاب اليازوريّ قال : هٰذا كتاب رجلٍ عاقل[1] ، يجب أن يعتمدَ ما أشار به – وأذن للعساكر في العود إلى بلادها . فمضى كلّ عسكر إلى وطنه ، وقوّض خيامَه وضربَها على الجانب الغربيّ يريد الشام . فكتب عيون الوزير إليه بذلك ، فقلق شديداً وكتب إلى طغرلبك : لا تغرّنّك الأماني والخدع بأن أسلّم إليك أعمال الدولة وأخون أمانتي لمن غذّاني فضلُه وغمرَني إحسانُه وتتعيّن عليّ طاعتُه وموالاتُه . فإن كنتَ تسلّم إليّ ما في يدك لصاحبك من بلاد العراق وأعمالها ، سلّمت إليك ما في يدي لصاحبي . [و]الواجب أن تكون كلمة الإسلام مجموعةً لٱبن بنت النبيّ ، الذي هو أولى بمكانه من غيره . وإن رغبت إلى ما في الموادعة والمهادنة انتظمَت الحال بين الدولتين وأمِن الناسُ بينهُما . فإن أبيتَ إلّا الخلافَ ونزع بك الهوى إلى الظنون الفاسدة والأطماع الكاذبة ، فليس لك عندي إلّا السيفُ . فإن شئتَ فأقِم ، وإن شئتَ فسِرْ !

فغاظ ذلك طغرلبك وقال : خدَعَني هٰذا الفلّاح وسخر منّي . – وكتب إلى إبراهيم ينال أخيه : ردّ إليّ العسكر مسرعاً ! – فأنفذ إبراهيم ليردّهم فلم يرجع أحدٌ منهم وقالوا : فِينَا مَن بينَه وبين وطنِه شهران وثلاثة وخمسة ، وقد سرنا معه حتّى وطىء الأعمال وملك البلاد وفتح المدن وٱحتوى عليها وفاز / بمَا [364ب]
فيها ، ولم نحصل منه إلّا على التعب والنصَب والخيبة . وإذا كُنّا لم نُصِب في طول سفرنا خيراً فما عسى أن نؤمّلَه إذا عُدنا ؟ – ومضَوا . هٰذا وقد بثّ اليازوريّ عيونَه وجواسيسَه في عسكر طغرلبك وٱستفسَد أعيانهم وألطفهم وأكثر

(1) الرواية متشابهة في المخطوط وفي الاتّعاظ 2/ 236 .

أمانيَهم ومواعيدَهم ، وتوصّل إلى زوجة طغرلبك ، وإلى أبي نصر منصور الكندري وزيرِه ، وإلى إبراهيم ينال أخيه وصاحب جيشه . فمالوا إليه وتقاعسوا عن طغرلبك . وما كفاه ذلك حتّى حمل الخاتون زوج طغرلبك على قتله ، فقالت : أمّا بيَدِي فلا ، ولكنّي أتحيّز عنه بغلماني ، وهم حميّة عسكره – وكانت عِدّتهم نحو اْثنَي عشر ألفاً – وفي اْعتزالي بهم عنه ضعف لجانِبه .

واْعتزلت عن طغرلبك بهم ، وكان ذلك سبب الظفَر به ..

ثمّ إنّ طغرلبك بعث في سنة خمسين وأربعمائة إلى سنجار ألفَين وخمسمائة من الغزّ إلى البساسيري فقدِمَها وظفر بها وقتل جميعها وأفلت منهم نحو المائتي فارس . فلم يقاتل بعدها رجال الدولة الفاطميّة ، وعاد عن بغداد ، فقوي البساسيريّ وكثف جمعه . وقصد أعمال العراق يفتحها بلداً بلداً ، والوزير [اليازوريّ] يُمدّه بمَا يستعين به على ذلك من المال والرأي والتدبير ، إلى أن وصل إلى بغداد وناصَب القتال ، وقسم عسكره فرقتَين ، فرقة تقاتل في النهار ، وأُخرى تقاتل من صلاة المغرب إلى الفجر ، حتّى دخلها وأقبل يملك محالّها وشوارعَها إلى أن وصل دار الخلافة وحصرها ونصب عليها القتال من كلّ جانب وفرّق النقّابين في جميع جهاتها [1] . فلمّا أشرف على أخذها صعِد القائم بأمر الله إلى أعلى الدار واْستشرف على الناس وأقبل ينادي : يا أهل بغداد ! – ويحضّهم على نصرته والدفاع عن حوزته . واْستذمّ من قريش بن بدران [2] وطلب منه الأمان ، فأخذه ومنع منه البساسيريّ ، وأسلمَه الوزير اْبنَ المسلمة [3] . واْستولى البساسيريّ على دار الخلافة بمَا فيها وكسر منبر الجامع وقال : هٰذا منبر يُعْلَنُ عليه ببغض آل محمّد . – وأنشأ منبراً آخر وخطب عليه للمستنصر . ثمّ لفّ ابن المسلمة في جلدِ ثورٍ وصلبه حتّى جفّ عليه فمات . وأقامت الخطبة للمستنصر

(1) في هذه الأحداث ، انظر رواية الإشارة ، 44 وابن ميسر (ماسّي) ، 10 .
(2) قريش بن بدران العقيلي في تاريخ بغداد 9/ 403 .
(3) ابن المسلمة : أبو القاسم علي بن الحسن بن محمد رئيس الرؤساء .

أربعين جمُعة ، والقائم معتقَل في قلعة الحديثة عند مهارش[1] نحو عشرة أشهر .

وعزم اليازوريّ أن يحمل إلى مهارش عشرة آلاف دينار ويستخلص الخليفة من يده ويحمله إلى القاهرة على حال جميلة ، فإذا قرب منها تلقّاه بأهل الدولة أحسنَ لقاءٍ وبالَغ في إكرامه وأنزله في القصر الغربيّ وحمل إليه ما يناسبُه وأقام له الراتب السَّنيَّ في كلّ يوم وجعل له مائة دينار في كلّ يوم وجعله يركب في موكب المستنصر بين يديه يحجبه . فإذا ركب بين يدَيه عدّة ركبات وانتشر في الأقطار خبر هٰذا الحال ، خلع عليه وعقَد له ألويةَ الولاية للعراق وكتب عهده بتقليده إيّاه وسيَّره إليه وأعاده إلى مملكتِه وخلافتِه من قِبَله . فمَنَعه حادث القدر ، الذي حلّ به قبل إدراك ما في نفسه .

تلطّفه في استرجاع حلب من المرداسيّ

وكانت حلب قد تغلّب عليها صالح بن مرداس من أمراء بني كلاب في أيّام الظاهر لإعزاز دين الله عليّ ابن الحاكم ، وكثف أمره ، إلى أن وليَ أمير الجيوش أنوش تكين الدزبري دمشق وأعمال الشام فحاربَه وقتلَه . فقام من بعده ابنُه شِبل الدولة أبو نصر فحاربَهُ الدزبريّ وقتلَه أيضاً ، وملك حلب واستخلف عليها من غلمانه رضيّ الدولة منجوتكين فأقام بها عدّة سنين . فلمّا مات الدزبري تغلّب على حلب ثمال بن صالح بن مرداس في وزارة الجرجرّائيّ . فكتب إليه بولايتها وقرَّرَ عليه مالاً يحمِلُه في كلّ سنة . وتمادى الحال على ذلك إلى أيّام الوزير الناصر للدين أبي محمّد اليازوريّ ، فلم يرضَ بذلك . وعلم أنّه لا يُطيق صرفه ، فرجع إلى عادته في إعمال الحيلة واستعمال الخديعة ، وبعث إليه بقاضي مدينة صور ، فساس الأمرَ مع ثمال وأحكم التدبيرَ فيمَا قرّره معه ، ووعده

---

(1) مهارش بن مجلّي أمير العرب ، ابن عمّ قُريش بن بدران (الفخري ، 295 ، الكامل ، سنة 450) .

ومنّاه حتى نزل من قلعة حلب وسلّمها إلى والٍ من قِبل المستنصر ، وسار من
[365 أ] حلب يريد القاهرة . فلمّا بلغ إلى رفح بلغَه القبضُ على اليازوريّ فقال : والله /
إنّي أموتُ بحسرة نظرةٍ إلى مَن آستلّني من ذلك الملك وأخرجَني بلا رَغبة ولا
رَهبة إلّا بحُسن السياسة . ولو رام ذلك منّي قسراً لتعذّر عليه .

أمثلة من أريَحيّته

وكان له من المآثر المرضيّة والخلال الحميدة والأفعال الجميلة[1] والأخلاق الرضيّة ما يتجمّل الملوك بذكرها : منها أنّهُ كانت له مائدة يحضرها كلّ قاضٍ وفقيه وأديب وجليل القدر ، فيجتمع عليها قريباً من عشرين نسَمَة . حدّث القاضي عمدة الدولة ابن حميد قال : كنت أجلس على يساره . فإذا آزدحمُوا وكثر تضايقُهم على المائدة ، جذبني إليه حتى يكاد ينحرف عن مجلسه . فأذكر يوماً ونحن مجتمعون ، إذ استؤذن على الفقيه أبي عقبة ، فأمر بدخوله . فلمّا دخل لم يجد موضعاً فجذبني إليه بحيث صرت إذا مددتُ يدي إلى المائدة لا أُرجِعُها إلى فمي إلّا بكُلفة ، خوفاً أن أصيبَه بها . فبينا أنا كذلك وقد مددتُ يدي ورجعتُها ، وهو قد مدّ يدَه فلم أمهل حتى ترجع فأصاب مرفقي جوخة[2] صدره ، فورد عليّ أمرٌ عظيم من ذلك ، وتأخّرتُ وقبّلت الأرض وقلت : قد بسّطنا إنعامُ سيّدنا إلى حيث لا نستحقّه ، وأخرجَنا إلى سوء الأدب . ولو أنعمْتَ بنصب مائدة نجتمع عليها بحضرته لكان لنا في ذلك الشرفُ الأوفى والفخرُ الأسنى ، ولم ننتهِ إلى هٰذا الحدّ في سوء الأدب .

فقال : وما الذي أوجب قولَك هٰذا حتّى ذكرتَ ما ذكرت ؟ ولقد نكدت بإيراده .

---

(1) اتّعاظ 2 / 243 .

(2) في المخطوط : جوجو . والجوخة نوع من الرداء الصوفيّ (دوزي) .

فقلت : يا سيّدنَا نُسيءُ آدابنا فتغفر ونعترف بالخطإ فتنكره علينا ، ونعتذر عن ذلك فتلومُنا عليه . فما ندري بمَاذا نُقابل إحسانك ، ولا بأيّ لسان نشكر تفضُّلَك .

فقال : وما الذي كان حتى نحتاج إلى كلّ هٰذا ؟ – وأقبل يجذبني وأنا أتقبّض ، حتى زاد تمكّني باجتذابه لي فوقَ ما كنت عليه أوّلاً ، وقرُب كتفي من صدره ، وهو منطلق الوجه ظاهر البشر . وكان قبل ذلك اليوم يسمع حديثَنا على المائدة ولا يكاد يجيب لأنّه كان كثيرَ الصمت قليل الكلام لا نسمع منه إلّا اللفظ القليل عن الكلام الكثير . فٱبتدأ ذلك اليوم يتحدّث بمَا يستطاب حتى يزيل عنّي ما ٱعتراني من الغمّ بمَا كان منّي . (قال) وأقمتُ معه خمسَ عشرةَ سنةً قبل وزارته ملازماً له في المبيت والصباح ، فكنت أراعيه في حالاتها كلّها ليلاً ونهاراً فلا أراه يتغيّر عليّ منها شيء ، ولا يَتبيّن لي منه غضب من رضًى . فحدّثت أبي بذلك فقال : يا بنيّ ، إنّي لم أكن لأؤثر سماع ذلك منك ، فكيف سماع غيري له ؟ فلا تحدّث به أحداً ، وتلطَّفْ في تأمّل ذلك منه إلى أن تقف عليه ، فإنّك إذا حدّثتَ به نُسِبت إلى غلظ الطبع وثخانةِ الحسّ ، والبلهِ .

فأقبلت أدقّقُ التأمّلَ له في حالتَي غضبِه ورضاه ، شهوراً قبلَ أن يَتبيّن لي : فكان إذا رضي تورّدت وجنتاه بحمرة . وإذا غضِب ٱصفرّت محاجرُ عينيه . فعرّفتُ أبي بذلك فقال : يا بنيّ ، هٰذا غاية في سكون النفس وصحّة الطباع وٱعتدال المزاج .

وكانت طبائعهُ قريبةً من الاعتدال ، فإذا أحسّ بميل طباعه عمّا يعهدُه ، أخذ في إصلاحه حتّى تعود إلى الاستقامة .

حسن احتمائه في المأكل والمشرب

وحدّثت بعض من كانـ[ـت] تقوم بخدمته من النساء قالت : كنت أتولّى صلاح ما يشربه من الدواء في كلّ يوم ، وكان لا يعطّل شربه يوماً واحداً .

وذلك أنّه كان يشرب السكنجبين والورد أسبوعاً ، ثمّ يريح نفسَه ثلاثة أيّام ، ثمّ يشرب النَّقُوعَ المغلّى في الشتاء ، والمنجّم في الصيف ، أسبوعاً لكلّ منهما . ويشرب ماء البزور أسبوعاً ، ويشرب ماء الجبن ثلاثة أيّام ، ويشرب ماء البقل أسبوعاً ، ثمّ يشرب الراوند[1] المنقوع كذلك ، ويريح نفسَه بين كلّ دواءَين ثلاثة أيّام ، ولا يخلّ بذلك في صيفٍ ولا شتاء .

وكان نديّ الوجه كثيرَ الحياءِ لا يكاد يرفَعُ طرفَه إلّا لضرورة . ولم يسمع منه قطّ في سُؤال لفظة « لا » ، بل كان إذا سُئل فيمَا يرى إجابةَ سؤاله إليه يقول « نعم » بإخفاضٍ من طرْفه وخفوتٍ من صوته . فإذا سُئل فيمَا لا يرى الإجابةَ إليه يُطرق ولا يرفع بصرَه . وعُرِف هٰذا منه ، وكان لا يُراجَع فيه إلّا بعد مُدّة .

وكان كلّ مَن يحضر مائدتَه يستدعي منه الحضورَ بين يدَيْه ليلاً ليسمروا عندَه . وكان فيهم من يشرب المسكر ، فإذا حضروا عرف / كلٌّ منهم مجلسه [365ب]
الذي تقرّر له . وكان كلّ مَن لا يشرب النبيذ يجلس عن يمينه ، ومَن يستعمله يجلس عن يساره . وتوضعُ بين يدَي كلّ منهم الفواكه الرطبةُ واليابسة ، ويتفرّد مَن لا يشرب بحلاوة توضع بين يديه ، ومن يشرب يعمَل بين يديه ما يستعمله ، وستارة الغناء مضروبة . فيجلسون بين يديه ، وهو مشغول يوقّع ، وهم يتحدّثون همساً وإشارة ، إلى أن يَنْقَضِيَ أَرَبُه من التواقيع ، فيُسندُ ظهرَه وينشّطهم للحديث فيتحدّثون . ويقول لمَن عن يمينه : قد تجدّد اليومَ كذا وكذا ، فما عندكم فيه ؟ – فيقولون : سعادة حضرة سيّدنا تُمهّد له صواب الآراء ، وقد خصّها الله تعالى من ذلك بمَا لا تهتدي عبيدُها إليه .

لجوءُه الدائم إلى المشورة

فيقول : بل يقول كلّ منكم ما عندَه في ذلك ، ولا يقوم في نفسٍ واحدٍ

(1) السكَنْجَبين نوعٌ من الخلّ . والنقوع المشمش المجفّف . والراوَنْد نبتٌ صالحٌ للأمعاء ، ولم نفهم المنجّم .

منكم أنّ ما رآه خطأٌ فيمسك عن ذكره ، فربّمَا كان الصوابُ مقروناً بذلك الرأي وهو ضالّة[1] مَنْ لم تجرِ عادتُه بإنعام الفكرة فيه .

فيصقع[2] أحدُهم ويقول : الذي يراه العبدُ على وجه الخدمة كذا وكذا فلا يزال يسمع من واحدٍ واحدٍ حتى يستكمل الجماعة . ثمّ يعطف على شماله فيقول : قولوا ! — فيفعلون كفعل الأوّلين ، وهو يسمع ولا يردّ على أحد شيئاً ، فلا يصوّب المصيبَ ولا يُخطِّىءُ المُخْطِىءَ ، ويبيتُ يضرب الآراء بعضَها ببعضٍ حتى يتمحّض له الصواب ، ويصبح يرمي فلا يُخطىء . وهٰكذا كانت أفعاله طول مدّته ، لم يستبدّ قطّ برأيه ولا أنفَ من المشورة ، بل يقول : المستبدّ برأيه واقفٌ على مداحض الزلَل ، وفي الاستشارة حلّ عقول الرجال .

وبهٰذا العقل تمّ له ما كان يدبّره حتى أثّر في جميع ما رامه من أطراف الدنيا آثاراً بقِي ذكرُها دهراً طويلاً .

حسن تدبيره لمداخيل الدولة

وأراد أن يعرف قدرَ ٱرتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقايس بينَهما . فتقدّم إلى أصحاب الدواوين بأن يعمل كلٌّ منهم ارتفاعَ ما يجري في ديوانه ، وما عليه من النفقَات . فعُمل ذلك ، وتسلّمَه متولّي ديوان المجلس وهو زمام الدّواوين ، فنظّم عليه عملاً جامعاً وٱختصره أيّام [دولته .] فجاء ارتفاع الدولة ألفَي ألف دينار ، منها : الشام : ألف ألف دينار ، ونفقاته بإزاء ارتفاعه . ومنها : الريف وباقي الدولة : ألف ألف دينار ، يقف منها عن مغلول وينكسر عن موتى وهراب ومفقود أبواب : مائتا ألف دينار .

(1) في المخطوط : ضالّة تصيبه مَن لم ...
(2) صقع بصوته : رَافَعَه .

وتبقى ثمانمائة ألف دينار ، ينصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلاثمائة ألف دينار ، وعن ثمن الغلّة للقصور : مائة ألف دينار . وعن نفقات القصور : مائتا ألف دينار . وعن عمائر ، وما يُقام للضيوف الواصلين ، من الملوك وغيرهم ، مائة ألف دينار . ويبقى بعد ذلك مائتا ألف دينار حاصلة يَحملُها كلّ سنة إلى بيت المال المصون . فحظي بذلك عند الخليفة ، وتمكّن منه ، وارتفع قدرُه عندَه . وكانت الدولةُ طولَ نظره في عُرس ، لتوالي الفتوحات في أيّامه وعمارة الأعمال بحسن تدبيره وٱستخدام الكفاة فيها بجودة اختياره .

بوادر النكبة

وكان المستنصر يحضر عنده في كلّ يوم ثلاثاء من كلّ جمعة ويبيت عنده في لذّة ومسرّة ، فيحضر إليه من التحف والطرف والغرائب ما لا يكاد يقدر عليه غيره . فٱستمرّ على ذلك ثماني سنين . فكثُر الحاسد له على ما يتأتّى له من السعادة وتعينه عليه الأقدار . واستطال حسّاده مدّته فٱبتغَوا له الغوائِل ونصبُوا له الحبائل ، وركّبوا عليه المناصبَ حتى كان هلاكُه بأقلّ الناس قدراً وأحقرهم ، وأدناهم منزلةً وأضعفهم قدرةً ، وهم من أطراف الخدّام ، ليبيّن الله آياته للناس ليعلموا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ : وذلك أنّ ٱثنَين من أطراف المستخدَمين ، أحدُهما خادم يعرف بفرج المغراويّ(1) كان في حاشيتِه ، والآخر خازن في بيت المال يتولّى خزانة الفُرُش يعرف بتَنَا ، تمحّلوا له الأباطيل ونمّقوا الأحاديث وزخرفوا القول وحكَوا أنّه نقل الأموال إلى الشام في التوابيت وفي شمع سبكه ، وأنفذه إلى القدس وإلى الخليل ، وأنّه قد عوّل على الهرب إلى بغداد . فصُدّق ذلك وقُبض عليه بغير ذنب إلّا الملَلُ والحسَد الذي جرت عادة الملوك به . وإنّ مَلَلَهم بغير علّة وحسدهم على تظافر مَن يُنْعِمُونَ عليه بِمَا يصير في يديه ليتجمّل به ، [366 أ] فيكون / ذلك سبب حسدهم ومللهم .

(1) في الاتّعاظ 2 / 238 : فرج المغربيّ .

وأتّفق أنّ المستنصر التمس من صفيّ المُلك ولدِ الوزير عمَلَ دعوة يدعوه إليها ، فدافعَه عن ذلك ، آستعظاماً لحضوره عنده . فأقام مدّة حتّى بعثه والده الوزير الناصر للدين على تكلّف عملها . فآهتمّ لذلك وصنع ما يليق إعداده . وتقرّر الحال على يوم . فلمّا تهيّأ ذلك ، حضر صفيّ الملك إلى أبيه وأعلمه بإنجاز ما يحتاج إليه ، فصار معه إلى الدار بخواصّه فرأى ما تقصر عنه كلّ صفة : من ذلك أنّه فرش مجلسَين بديباج بياض كلّه وفيه جامات كِبارٌ حُمْرٌ بنقوش كأجل من الأعدال[1] ، وفي كلّ مجلس ثلاث مراتب وبساطٌ ملءَ المجلس ، وسرادقَيْن - يعني : ستارتَين - وحجلتين للصدر - يعني شخانتين[2] - وكلّ مرتبة ثماني قطع ، ثَمَنُ ذلك خمسةُ آلاف دينار .

فأقبل كلّ [مَن] حضر يبالغ في صفته ، إلّا آبنَ حميد فإنّه صار ساكتاً ، فلحظه الوزيرُ . وطاف المجالس وا[ستـ]ـعرض كلّ ما أعدّه ، وهو يقول : يُزاد هٰهُنا كذا ، ويُترك هنا كذا . - ثمّ عدل إلى بيت الطهارة فدخله ، وقد أعدّ في دهليزه من الفرش والآلات والطيب ، وفي داخله من الفواكه والمشمومات كلّ مستحسن .

وآستدعى ابنَ حميد منفرداً ، وجلس في دهليزه وقال : يا عمدةَ الملوك ، ما لي لم أسمَعْك تؤمّن على ما قالته الجماعة ؟

فآعتلّ بمَا لم يقبله الوزير ، وألزمه أن يصدُقَه فقال : يا سيّدَنا ، عندي أحدُ رأيَيْن : إمّا أن تأمُر بإزالة هٰذه الفرش ونصبِ غيرِها ممّا هو مستعمَل ، أو تحمله إلى الخليفة إذا انقضى جلوسه عليه .

---

(1) في الاتّعاظ 2 / 238 : كلّ مجلس كما حمل من الأعدال ، ولا يتّضح المعنى .

(2) الحجلة : ضرب من الفُرش . والشخانة لم نعرفها .

فقال : وما هو هٰذا ؟ أليس هو ممّا أنعم به وصار إليّ مِن فضلِه ؟ وما قدرُه حتّى تمتدّ عينُه إليه وتتطلّعَ نفسُه له ؟ أمّا إزالتُه ونصبُ غيره ، فما كنتُ لأكسِرَ نفسَ هٰذا الصبيّ . وإن أمرتُ بإزالته حزِن وآنكسرت نفسُه . — وقام .

...كانت سبباً لتنكّر الخليفة على اليازوريّ

فحضر المستنصر وأقام يومه في الدار ، وأحضر إليه ما [أ]عدّ له من الطُّرَف . وركب آخر النهار وعاد إلى قصره . وحضر خواصّ الوزير عنده على عادتهم . فآنفرد بآبن حميد وقال له : يا عمدةَ الدولة ، والله ما أخطأَ حَزْرُك فيمَا قلتَه بالأمس : منذ دخل الخليفة إلى الدار إلى أن خرج لم يَطرِفْ طَرفَةً عن تأمّلِ الفرُش ، فإذا وجّهتُ طرفي نحوَه أطرَق وتشاغل .

فقال : يا سيّدي ، إذ فات الأمرُ الأوّل ، فلا يفوتُ الثاني .

فقال : والله لا فعلت ، ولا غَمَمتُ صفيّ الملك بحرمانه إيّاه !

وآتّفق أيضاً أنّ ابن حميد دخل على الوزير في يوم بكرة ، وقد قدّمت الدابّة إلى باب المجلس ، فخرج ليركب ، وعليه ثوب أسمرُ اللون مليحُ السمرة . فدنا منه ليصلح ثيابه لمّا ركب ، وجعلَ يلمس الثوب . فسار الوزير وعاد . فلمّا آنقضت المائدة قال لآبن حميد : قد لحظتُك اليوم تنظر الثوب الذي كان عليّ ، فعجبتُ من ذلك . فلمّا مثلت بحضرة مولانا كنتُ بحيث جرتِ العادةُ . فأقبل يتأمّلُ الثوبَ ، ولم يزل يزحف من الدست حتّى قرُب منّي . فتغافلتُ عنه ، ولحظتُه وقد مدَّ يدَه إلى الثوب ليلمسه . فقلت في نفسي : زال عجبي من عُمدة الدولةِ إذا كان الخليفة على هٰذه الصفة ، وهو ثوب ملحم[1] خراسانيّ .

فقال : الملوك إذا أنعموا على أحدٍ ممّن في دولتهم نعمةً وتظاهر بها ،

---

(1) الملحم من الثياب : ما كان قماشه مصنوعاً بلحمة من حرير .

آستحال الإحسانُ والاصطناعُ حسداً ومللا .

خصاله الحميدة

وكان الوزير شريف الأخلاق ، عاليَ الهمّة ، كريمَ الطباع ، وطيىءَ الأكنَاف ، مستحكَم الحِلم[1] ، واسعَ الصدر ، نديَّ الوجه ، يستقلّ الكثير ويستصغر كلّ كبير . فكان راتب مائدتِه في كلّ يوم كموائد الملوك في الأعياد والولائم . وكان لا يبتاع لمطبخه من الطير ما هو مُعَرَّق ، ولا مُصدَّر[2] ، وسعر المعرّق ستّة أطيار بدينار ، والمصدّر أربعة بدينار ، والمسمّن ثلاثة بدينار ، والفائق آثنان بدينار ، فيعمل المسمّن لداره ومَن فيها ، وأمّا مائدتُه فلا يقدَّم عليها إلّا الفائقُ .

فآتّفق حدوثُ الغلاءِ في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وصار الخبزُ طُرفةً من الطُّرَفِ لقلّتِه وغلاءِ السعر من قصور[3] النيل ، والمستنصر يحضر دار الوزير في كلّ يوم ثلاثاء على عادته ، وتقدّم إليه المائدة ، فيراعي حالَها فيجدُها على ما يعهد ، لم يختلّ منها شيء ، حتّى الدجاج الفائق . فقال لصاحب مطبخه : ويلك ! يكون راتب مائدة الوزير الدجاج / الفائق ، ومائدتي دون ذلك ؟ [366ب]

فقال : يا مولانا ، ما ذنبي إذا قصَّر بك أصحاب دواوينك ومطابخك ولم [يطلقوا لمائدتك ما ألتمسُه منهم ؟ والوزير ، فلا يتجاسر وكلاؤه أن][4] يقصّروا في شيءٍ ممّا جرت به العادةُ في راتب مائدته وغيرها ، مع تقدّمه إليهم في كلّ يوم بالزيادة فيها وفي راتب داره .

---

(1) في المخطوط : الحكم ، والإصلاح من الاتّعاظ 2 / 245 .
(2) المعرّق : المهزول . والمصدّر : لعلّه غليظ الصدر يابسه .
(3) أي نقصان فيضانه .
(4) زيادة من الاتّعاظ 2 / 240 .

وكان الوزير أيضاً إذا أعطى هنّأ ، وإذا أنعم على إنسانٍ أسبغ ، وإذا اْصطنع أحداً رفعَه إلى ما تقصر عنه الآمال والأماني ، مع عظيم الصدقة وجزيل البرّ الذي عمَّ به أهلَ البيوتاتِ بمَا أقامه لهم من المشاهرات على مقاديرهم ، والأشراف سكّان المنامة[1] ، والفقراء وأهل الستر بالقرافة بمَا يواصلهم به من البُرّ والكُسى ، ويجري ذلك على يد ابن عصفور أحد الشهود بمصر ووكيل السيّدة الوالدة . فكانوا يظنّون أنّ ذلك من إنعامها وبِرّها أو من إنعام المستنصر . فلمّا قُتل الوزير انقطع عنهم ما كان يصل إليهم من برّه ، فاْستنصروا بذلك [الوكيل] وواصلوا الخطاب فيه وقالوا : قد جُفينا من مولانا ومولاتنا واْنقطع برُّهما عنّا ، فلو أذكرتَهُما بنا ؟ – وأكثروا من ذلك على اْبن عصفور . فقال لهم : الذي كنتم ترون ما كان ليجيئكم حتى يبعث الله ناصرَ دين آخر ! فحينئذ يأتيكم منه ما كان يصلكم به .

فقالوا : نحن اْلتمَسْنا من مولانا ومولاتنا ، ولم نلتمس من ناصر الدين ؟

فقال : ما كان يجيئكم ذلك إلّا من الوزير ، فإن بعثَه الله لكم فعساه يبرُّكم بمَا كان يبرّكم به .

فعجبُوا من ذلك وأكثروا من الترحّم عليه .

ولمّا تظافر الغلامان[2] على الوزير حتّى تمّ من القبض عليه ما تمّ ، لم يشعر مستهلّ المحرّم سنة خمسين وأربعمائة إلّا وقد قبض عليه . فكتب رقعةً إلى أبي الفرج البابليّ ، لموضع تقدمتِه له ، وبمَا أحسن به إليه وأنعم عليه ، وأنّه هو الذي رفعَه على جميع أصحاب الدواوين ، واْستخلَصه دونَهم . وظنَّ أنّه يُجازيه على ما صنع إليه ، ويفي له . فخاب ظنُّه . ونصّ الرقعة بعد البسملة : عرفنا يا أبا الفرَج ، أطال الله بقاءك وأدام عزَّك ، تغيُّر الرأي فينا ، وسوء النيّة

(1) المنامة : ذكرها ابن دقماق 1 / 35 بين الأماكن المذكورة بمدينة مصر قرب غافق .

(2) قد مرّ ذكرهما : فرج المغراويّ وتنا الفرّاش .

والطويّة . فإن يكن هٰذا الأمرُ صائراً إليك ، فآحفظ الصُّحبَةَ وآرعَ واجبَ الحرمة . وإن يَكُن صائراً إلى غيرك فآبتغِ لنَفْسِك نفقاً في الأرض . على أنّا نشير عليك إذا دُعيتَ إليه ألّا تتأبّى عنه ، فإنّه أصلحُ لك وأعوَد علينا ، والسلام .

تنكّر البابلي له بعد إحسانه إليه

فدُعي البابليّ وآستقرّ في الوزارة بعد اليازوريّ ، فتجرّد لمقابلة إحسان مصطنِعِهِ بكلّ قبيح ، وذكره في مجالسِهِ بمَا لا يستحقُّهُ منه . وكانت هٰذه الرقعةُ أعظم ذُنوبه عنده ، فكان يقول : يخاطبُني وهو على شفير القبر بنون العظمة ! – ولا يذكره إلّا بالسفيلة والسقائط[1] . ولم يُقنعه كونُه في الاعتقال بمصر حتّى نفاه إلى تنيس في صفر ، هو وأولاده ونساؤه وحاشيتُه ، فآعتُقلوا بها . وشرع في التدبير على قتله خوفاً من الرضى عنه .

فحدّث عظيم الدولة متولّي السِّتر قال : كنتُ في جملة الصقالبة الموكّلين على الناصر [اليازوريّ] ثمّ على البابليّ بعده . فكنت أرى من رئاسة الناصر – على شبيبته – ورجاحته ، وسكون جأشه ، ومن طيش البابليّ وخفّته ونقصه ، ما أعجبُ منه . وهو أنّي لمّا كنت موكّلاً بالناصر ، كنت أراه ملازماً بالعتبة باب المجلس في القاعة لا يتغيّر مكانه . وكان البابليّ يتعلّى عليه ويراسله بمَا يُمِضُّ[2] ويوصينا إذا مضينا إلى [اليازوريّ] بالجلَب على فتح الباب والإكثار من قلقلتِه عند الفتح ، لنُرعبَه بذلك ، فوالله ما يكترث إليه ولا ينزعج . وإذا دخل إليه تذكار متولّي الستر يكون جلوسه منه في الاعتقال كجلوسه منه في وقت وزارته ، ويخاطبه بمَا يرضى به فيجيبه عنه بسكون وهدوء كأنّه في الدست جالساً . فأذكر ، وقد دخل إليه يوماً فجلس ونحن

---

(1) في الاتّعاظ 2 / 240 : بالسفاهة واللغو . وقراءتنا ظنّيّة .
(2) في الاتّعاظ 2 / 246 : بِمَا يُمضي .

وقوفٌ بين أيديهما أكثرَ من ثلاثين صقلبيًّا ، فأدّى إليه ما أوصاه البابليّ به ، وأجابه عنه . فنهض ولبس نعلَه وقال له : يا سيّدي ، صرفتَني عن السِّتر بغير ذنب ثمّ أعدتَني إليه بغير مسألة . فما كان مَغْناك[1] في ذلك ؟

فرفع طرفه إليه كأنّه والله يخاطبه من دست الوزارة وقال له : كان صرفُك في الأوّل برأيي وآختياري . ثمّ أعدتُك كذلك برأيي لِما عرَفتُه من ميل مولانا إلى آستخدامك .

فخرج تذكار وهو يقول : انظروا إلى هٰذا الرجل في سكون جأشه وقلّة [367 أ] آحتفاله في الجواب / مع حاجتِه إليّ في مثل هٰذا الوقت الذي تحقّق قُدرتي على الإحسان إليه فيه وعلى الإساءة . فوالله ما خاطبْتُه إلّا وأنا أظنّ أنّه سيجيءُ بمَا يُمهّدُ عندي عُذرَه فيه ، فلم يكن منه غيرُ ما سمعتمُوه . ووالله ما أجدُ سبيلاً إلى مقابلتِه بغير الجميل ، لما كنتُ أشاهدُ من أفعاله وجميل سيرته .

وكان أكثرَ وقته صائماً ، ولا يكاد يُفطر إلّا أقلَّهُ . ذاك ، وهو كثير التلاوة ، ولا يسأل عن شيءٍ من طعام ولا شرابٍ . وكنتُ من حاله عجباً .

كان في حال وزارته كثير الصمت ، مواصلَ الإطراق ، شديدَ سكون النفس ، هادىء الطبائع . فكنّا نحمِل ذلك منه على التيه والصلَف والإعجاب وقلّة احتفاله بالناس . فلمّا صار في حالة القبض والخوف كانت حاله على مثل ما كنّا نشاهده منه ونتّهِمُه فيه .

مكيدة البابليّ لقتل اليازوريّ

وأخذ البابليّ كلّما حضر بين يدَي المستنصر يكثر التثريب على اليازوريّ ، إلى أن كان اليوم الذي شغبت عليه الأتراك ووطئوا درّاعته . فإنّه لمّا دخل على

(1) في الاتعاظ 2 / 246 : فما كان سبب ذلك ؟

المستنصر قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّه لا ينفذ لك أمر ، ولا يتمّ لي نظر ، وهٰذا الكُلَيْبُ في قيد الحياة .

فقال : ومَن هو هٰذا الكُلَيْبُ ؟

فقال : الحسن بن عليّ بن عبد الرحمان اليازوريّ .

فقال : أيّها الوزير ، آعلم أنّي لم أصرف اليازوريّ عن خدمتِنا ولنا في إعادته رَغبة . فطِب نفساً ودَع ذكرَه ، فأنتَ آمنٌ ممّا تخافُه من جهته .

فقال : والله ، إنّ هٰذا لعجبٌ فِيمَنْ حسُن مَتَابُكَ ، يا أمير المؤمنين ، عنه ، مع قبيح فعله وما همّ به من قتلك ، حتّى إنّ السقيّة[1] أقامت تدور في قصرك أسبوعاً كاملاً .

[فقال : أيّها الوزير ، أقامت السقية تدور عليّ في قصري أسبوعاً كاملاً ؟][2]

قال : نعم .

فأطرق متعجّباً وبقي متفكّراً وأمسك . فظنّ البابليّ بإمساك الخليفة أنّه راضٍ بمَا يفعلُه مع اليازوريّ ، وخرج ، وآستدعى طاهراً كاتب السرّ وسيّره لقتله . فنمى الخبر إلى أمّ المستنصر فأنكرته ، ودخلَت على المستنصر وقالت : أنتَ يا مولانا أمرتَ البابليّ بقتل اليازوريّ ؟

فقال : لا .

قالت : قد سيّر طاهر[اً] ابنَ غلام رشيد لقتله .

فآستدعى المستنصر سعيد السعداء[3] وأنفذه إلى البابليّ وقال : قل له : لم

(1) السقيّة : شرابٌ مسموم .
(2) زيادة من الاتّعاظ 2 / 241 .
(3) هو الاستاذ قنبر أحد خدّام القصر المحنّكين ، عتيق المستنصر (الخطط 4 / 273) .

نأمُرْك بقتله ، فأنفِذْ مَن يُعيد طاهراً ويمنعْه من النفوذ .

فألفاه سعيد السعداء في الحمّام ، فآعتذر إليه . فقال : لا بدَّ من الدخول إليك ! - ودخل وأدّى الرسالة إليه . فقال : نعم ، هوذا أَخرجُ وأسيّرُ مَن يُعيدُه .

وطوّل في الحمّام . ثمّ خرج ، فإلى أن يكتب الكتاب ويسيّر النجّاب ، جدَّ طاهر في السير ووصل قبله إلى تنيس . فلم يدخِل النجّاب حتّى نُفّذ الحكم في اليازوريّ . وذلك أنّ طاهراً لمّا وصل دفع كتاب البابليّ إلى الأمير جمال الدولة صبح والي تنيس وفيه : إنّا قد سيّرنا طاهراً فيمَا أنت تقف عليه من جهتِه ، فتثبّت منه فيه وتحضر معه لإنجازه وتحذر من تأخيره من اليوم إلى غد[1] .

فقال : وما الذي وصلتَ فيه ؟

فأخرج تذكرة بخطّ البابليّ فيها : إذا وصلتَ يا طاهر أعزّك الله ، إلى تنيس ، وقد شقيتَ ولهثتَ من العطش ، فلا تبلّ ريقَك بقطرة دون أن تحضرَ حسن بن عليّ بن عبد الرحمان اليازوريّ إلى دار الخدمة وتمضي حكمَ السيف فيه . فقد كتبنا إلى الأمير جمال الدولة بمعونتك على ما نستدعيه من ذلك ، فقدّمْه ولا تؤخـّره إن شاء الله .

فقال له الوالي : أنت خليفة صاحب السّتر ، ومُرسل من جهة السلطان ، والأمر الذي وصلتَ فيه ممتثل . فأمض الحكمَ فيه .

فقال : بحضورك .

قال : وما معنى حضوري إذا بلغتَ غرَضَك فيمَا وصلتَ فيه ؟

فقال : لا بدّ من حضورك !

---

(1) الزيادة والاصلاح من الاتعاظ 2 / 242 .

قتل اليازوريّ في سجن تنيس

وأنفذ مَن أحضر اليازوريّ من الدار التي اَعتُقل بها . فلمّا حضر أُجلِس على مصطبة باب الدهليز ، وطاهر على مقابلته في مصطبة ، والصقالبة والسعديّة خدّام الستر وقوف ، والسيّاف قائم . وقال طاهر : يا حسن ، يقول لك مولانا : أين أموالي ؟

فلم يجبه ولم يرفع طرفَه إليه . فقال له : لك أخاطب يا حسن بن عليّ بن عبد الرحمان . يقول لك أمير المؤمنين : أين أموالي ؟

فلم يجبه ورفع طرفَه ونظر إلى طاهر وإلى الجماعة القيام وقال لطاهر : يا كلب ، تجيءُ وهٰذا معك – وأشار إلى حيدرة السيّاف – وتسألني بعد ذلك ؟ ولكن قل له : يا مولانا ، قُبِضَ عليَّ / وأنا آمنٌ على نفسي . فإن كان عندي [367ب] مال ، فقد وجدتَه في داري . وكُتُب داعيك وثقتِك المؤيَّدِ[1] في الدين في القمطرة الفلانيّة تشهد بذكر مالك أين هو .

فأشار طاهر إلى الذين معه فأخذوا اليازوريّ وضربَت عنقُه في الحال . وسار لوقته عائداً ، ومعه رأس اليازوريّ ، إلى القاهرة . فبلغ ذلك المستنصر فاَغتمّ لقتله ، وحقد على البابليّ حتى صرفه . وكان قتله في ليلة [...] الثاني والعشرين من صفر سنة خمسين وأربعمائة . وأُلقيت جثّته على مزبلة إلى أن ورد أمر المستنصر بعد ثلاثة أيّام بتكفينه وتجهيزه والصلاة عليه . فغسّل في مسجد وحُنّط بحنوط كثير وكافور ، وحمل بين العِشاءَيْن ومعه المشاعل ودُفن .

(1) المؤيّد في الدين : أبو نصر هبة الله بن موسى. اَنظر الإشارة ، 44 ومقدّمة ديوانه نشر محمد كامل حسين ، القاهرة 1949 ص 18 . والأموال المشار إليها هي التي سيّرها اليازوريّ إلى البساسيريّ مع المؤيّد ، وقد مرّ ذكرها .
وفي ابن ميسّر (ماسي) ، 8 أنّه اتّهم بتهريب الأموال إلى بيت المقدس مع ولده ، فلعلّ هذا التهريب هو المقصود هنا .

ثمّ حضر صقلبيّ بعد ذلك ومعه الرأس فدفنَت معه في القبر .

ولم يتمكّن أحدٌ في الدولة المصريّة بعد الوزير يعقوب بن كلس تمكّنَ اليازوريّ . وحُكي أنّه حجّ في صباه . فلمّا زار قبر رسول الله ﷺ نام في الحجرة النبويّة ، فسقط عليه شيءٌ من الخَلوق الملطّخ بحائط الحجرة . فأتاه بعض خدّام الحجرة وأيقظه وقال له : أيّها الرجل ، إنّك ستلي ولايةً عظيمَةً . وقد بشّرتك ، ولي منك الحِباءُ والكرامة .

فصار إلى ما صار حتّى إنّه سأل المستنصر بالله أن يكتب ٱسمَه على سكّة الذهب والفضّة فأذن له في ذلك . وطبعت بٱسمه نحو شهر ثمّ بطلت . وأمر المستنصر ألّا يسطّر هٰذا في السير . وكانت صفةُ سكّته [سريع] :

ضُربتُ في دولة آل الهُدى   منَ آل طٰهٰ وَآلِ ياسينِ
مستنصِر بالله جلّ ٱسمه   وعبده الناصر للدينِ

في سنة كذا .

ومن طريف التخلّصات في المكاتبة ما وقع له ، وهو أنّ العالي بالله إدريس ابن المعتلي بالله يحيى ابن الناصر علي بن حمّود بن ميمون بن حمّود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صاحب الأندلس كتب إلى المستنصر بالله من مدينة مالقة مكاتبة فيها : « من أمير المؤمنين العالي بالله إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله » . فعيب عليه بمصر قلّةُ تصوّره ومعرفتِه بأنّه لا يجوز أن يكون أميرُ المؤمنين في زمانٍ واحدٍ إلّا واحداً . ثمّ ألجأَت الضرورة إلى مكاتبتِه بنحو ما كتب ، وكان اليازوريّ إذ ذاك في الوزارة وتدبير أمور مصر . فقال : أنا أخلّصُ لكم هٰذه القضيّة وأعلّقُها بمعنى دقيق لا يَبينُ للمُكَاتَب – وكان صاحب حيل – فكتب إليه : من أمير المؤمنين المستنصر بالله معدّ إلى العالي بالله أمير المؤمنين بمَالقة [1] .

---

(1) في الاتّعاظ 1 / 246 خالقه عوض بِالقة ، ولا يتّضح بها التخلّص .

1189 – ابن أبي جرادة الحلبيّ [488 – 551][1]

حسن بن عليّ بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبي جرادة ، المعروف بالقاضي أبي عبد الله وأبي عليّ ، ابن أبي المجد ، الملقّب ثقة الملك ابن أبي جرادة ، الحلبيّ ، العقيليّ .

ولد بحلب في سنة ثمان وثمانين – وقيل : في سنة اثنتين ، وقيل : في سنة ثلاث ، وتسعين – وأربعمائة . وقدم إلى القاهرة في خلافة الحافظ لدين الله ووزارة العادل علي بن السلّار ، وأقام بها ، ومدح الصالح ابن رزّيك .

ومات بالقاهرة في جمادى الأولى – وقيل : جمادى الآخرة – سنة إحدى وخمسين وخمسمائة[2] ، ودُفن بظاهر القاهرة في موضع يعرف بعين الغزال شماليّ قلعة القاهرة في مقابر بني سناء الملك .

وهو من بيت كبير بحلب ، وكان له فضل غزير وأدب كثير وتقدّمٌ عند ملوك العصر . وكتب الخطّ المليح فبلغ غايةَ الجودة . ورفع الصالح ابن رزّيك قدره فكبرت منزلتُه . وصار له من بعده نَسلٌ بمصر .

ومن شعره [سريع] :

أحبابنا ، هل وقفة باللوى تسعف مشتاقاً بمشتاق ؟
وهل نُداوَى من كلوم النوى بلفّ أعناقٍ بأعناق ؟
ما زلتُ من بينكم مشفقاً لو أنّه ينفعُ إشفاقي
وجدي بكم نقد وميعادكم منكسر في جملة الباقي

(1) الوافي 12 / 173 (152) – شذرات 4 / 174 – النجوم 5 / 331 .
(2) في المخطوط : 451 ، والإصلاح من الوافي .

وقال [بسيط] :

يا صاحبيّ أطيلا في مؤانستي ... وذاكراني بخلّانٍ وعشّاق
وحدّثاني حديث الخيف إنّ به ... رَوْحاً لقلبي وتسهيلاً لآماقي[1]
ما ضرّ ريحَ الصَّبا لوقاسَمَت حُرَقي ... واستنقذت مهجتي من أسر أشواقي
داءٌ تقادم عندي ، مَن يعالِجُه ... ونفثةٌ بلغَت منّي ، مَن الراقي ؟
يفنى الزمانُ وآمالي مصرّمَةٌ ... ومَن أُحبُّ على مطلٍ وإملاق
واضيعةَ العمر ! لا الماضي انتفعتُ به ... ولا حصلتُ على شيءٍ من الباقي

وقال [كامل] :

قالوا : تركتَ الشعرَ ؟ قلت لهم ... فيه آثنتان يعافُها حسبي
أمّا المديح فجلّه كذبٌ ... والهجو شيءٌ ليس يحسُنُ بي

1190 - ابن وكيع التنّيسيّ [- 393][2]

الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيّان بن صدقة بن زياد ، أبو محمد ، المعروف بآبن وكيع ، التنيسيّ ، الشاعر المشهور .

أصله من بغداد . ومولده بمدينة تنيس في [...] . كان سمساراً بتنيس ، وكان متأدّباً ظريفاً . قال فيه أبو منصور الثعالبيّ : شاعرٌ بارع ، وعالِم جامعٌ ، قد برع في أهل زمانه ، فلم يتقدّمه أحدٌ في أوانه ، وله كلّ بديعة تسحر الأوهام وتستعبد الأفهام .

وذكر الأمير المختار المسبّحي وفاته بتنّيس في ثالث عشرين شهر ربيع الآخر

---

(1) في المخطوط : لأخلاقي ، والإصلاح من النجوم .
(2) وفيات 2 / 104 (171) . يتيمة الدهر 1 / 256 .

سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . وقال في حقّه : كان شاعراً مطبوعاً حُلْوَ الألفاظ . وله ديوان شعر جيّد . وله كتاب بيّن فيه سرقات أبي الطيّب أحمد بن الحسين المتنبيّ سمّاه « المنصف » . وكان في لسانه عجمة . ويقال له « العاطس » .

وذكر عبد الرحيم في كتاب « أخبار الشعراء » [قال :] قال أبو الحسن علي ابن منصور الحلبيّ : سألني ابن وكيع أن أخرج معه إلى تونة[1] لنشرب . فخرجنا ، واستصحب مُغنّياً ، وألقى عليه أن لا يُغنّي إلّا بشعره ، فغنّى [مجتثّ] :

لو كان كلّ عليلٍ يزدادُ مثلَك حُسْنا
لكان كلٌّ صحيحٍ يودُّ لو كان مُضنَى
يا أكملَ الناس حسناً صِلْ أكمَلَ الناس حُزْنَا
غنِيتَ عنّي ، وما لي وجه به عنك أغنى

وكان قد عمِل سرقات المتنبّي وحاف عليه[2] . وعذلتُه في ذلك فلم يرجع عن إغراقه . فقلت : هل تثقل عليك الموافقة ؟

فقال : لا .

قلت : أبياتُك مأخوذة ، الأوّل من واحد ، والثاني من آخر . فالأوّل من قوله [وافر] :

فلو كان المريضُ يزيدُ حُسناً كما تزدادُ أنت على السقام
لما عِيدَ المريضُ إذَنْ وعُدَّتْ شكايتُه من النعم العظام[3]

والثاني من قول رؤبة [رجز] :

(1) تونة : جزيرة قرب تنيس ودمياط . وعلي بن منصور الحلبي لعلّه ابن القارح مراسل أبي العلاء .

(2) حاف عليه يحيف : جار .

(3) هذان البيتان مفقودان من ديوان المتنبّي .

مسلم ما أنساك ما حييتُ لو أشربُ السلوان ما سَلِيتُ[1]
ما بي غنًى عنك وإن غنِيتُ

فقال : والله ما سمعتُ بهٰذا !

فقال : إذا كان الأمر على هٰذا فاعذِر بمثله المتنبيّ !

وقال ابن سعيد في كتاب « المغرب في حلى المغرب » : من أئمّة علماء الأدب المشهورين . أصله من فارس ، وكثيراً ما يفتخرُ في شعره بالأكاسرة . ويتشوّق إلى بغداد . وشعره في المدح قليل . وكان يُقيّمُ الثيابَ التنّيسيّة ويبيعُها على يده وينادي في سوق البزّ . وكثيراً ما يكثر ذكر قناعته بذلك عن بذل وجهه في شعره . وله كتاب « المنصف » على ديوان المتنبّي ، وسمّاه الأدباء « الجائر » لكثرة ميله عليه . وله في طبقات المرقص والمطرب محاسن كثيرة . ومدح المعزّ
[368ب] الفاطيّ والقائد / جوهر .

وأورد كلّ مَنْ ذكرنا له عدّةَ مقاطيع وقصائد . وكان في كلامه حُكْلَةٌ[2] – أي عجمة لا تُبينُ الكلامَ .

ومن شعره [سريع] :

حاسبني الدهر على ما مضى بــدّل فرحاتي بترحاتي
فليتَه جازى بمَا نلتُه لـكنّه أضعـف مرّات

وقوله [سريع] :

إن سرّك الدهر فلا تستطل ولا تهُن في نَوب الدهر
فقبح عجب المرءِ عند الغنى كقُبح ذلّ المرءِ في الفقر

---

(1) سلا يسلو وسلِيَ يسلى بمعنى .
(2) حَكُلَ الأمر : أشكل والتبَس .

وقوله [مجتثّ] :

إن كان في الناس خير فالشرّ في الناس أعظمْ
في خلطة الناس أنس وبُـعـدُهـم لك أسلمْ
فـــاحـــذرْهُـــمُ وتحرَّزْ مـنـهُـمْ لعلّك تسلمْ

وقوله [كامل] :

إن كان قد بَعُدَ اللقاءُ فودُّنا باقٍ ونحنُ على النوى أحبابُ
كم قاطع للوصل يؤمن ودّه ومواصل بودا[د]ه يرتاب

وقوله [مخلّع] :

أبصره عـاذلي عـلـيـه ولم يكن قبل ذا يراهُ[1]
فقال لي : لو هوِيتَ هٰذا ما لامك الناس في هواه
قل لي : إلى مَن عدلتُ عنه ؟ فليس أهلَ الهوى سواه !
فظلّ مِن حيثُ ليس يدري يأمُرُ بالحبّ من نهاهُ

1191 - ابن شنار الغزّيّ [706 - 753][2]

الحسن بن عليّ بن حمد بن حُمَيد بن إبراهيم بن شَنَار - بفتح الشين المعجمة ثمّ نون بعدها ألف وراء - بدر الدين ، الغزّي .

ولد بغزّة سنة ستّ وسبعمائة . وكتب المنسوب ، وقال الشعر الجيّد الجزل

---

(1) في الوفيات 2/ 106 واليتيمة 1/ 380 : رآه .

(2) الوافي 12/ 184 (157) والنقول من شعره فيه كثيرة ، وقال الصفدي إنّه كاتب له معه مساجلات - الدرر 2/ 103 (1525) - الدليل الشافي 1/ 267 (918) وقال : ويُعْرَف أيضاً بالزغاري . المنهل الصافي ، 5/ 110 (920) .

الألفاظ المتينَ التركيب . وكان سريع البديهة ، حسن الرويّة ، له غَوصٌ على المعاني .

وعارض ابنَ شهيد في كتابه « التوابع والزوابع » ، ووضع في تلك المادّة كتاباً سمّاه « قريض القرين » وجوّده . وكتب في الإنشاء بدمشق سنة ثمان وأربعين ، حتّى مات في ليلة الخميس حادي عشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بدمشق .

وقدم القاهرة وأقام بها مدّة .

ومن شعره في مليح على فمه حبّ [رمل] :

يا فمَ المعشوق سبحا نَ الذي زادك زَيْنا
قد تحلّيتَ بدرٍّ فتحبّبْتَ إلينا

وقال أيضاً [وافر] :

توهّمَ إذ رأى حَبًّا يحاكي على شفَتَيه دُرًّا في عقيقِ
فقلت له : وحقِّك ليس هٰذا سوى حَبَبٍ على كأسِ الرحيقِ

وقال [طويل] :

وصفراءَ حالَ المزجِ يصبغُ ضوؤُها أكُفَّ الندامى وهو في الحال ناصِلُ
وتهفو بألباب الرجال لأنّها « دويهيَّةٌ تصفرُّ منها الأناملُ »[1]

وقال [طويل] :

وأهيف كالغصن المرنّح شاقني فطار إليه القلب من فرط شوقه
رأى البدر يحكي وجهَه وهو سافرٌ فحمّله من جَوْره فوقَ طوقه

---

(1) تضمين لشطر من شعر لبيد (ديوانه ، 256) .

1192 – الزكيّ السعديّ – انظر رقم 1174 (مكرّرة)

1193 – القاضي ابن حمدون الصوري[1]

الحسن بن علي بن الحسين بن حمدون ، القاضي وليّ الدولة ، أبو محمد ، الصوريّ .

وليَ قضاء مدينة صور ، وقضاء / الإسكندريّة ، وبها توفّي في [...] . [369 أ]

ومن شعره يمدح ابن أبي عقيل حاكم صور [كامل] :

يا مَن أمنتُ به الذي أتخوَّفُ ... وغدوتُ في إنعامه أتصرّفُ
أورقتَ عودي وهو يَبْسٌ هالكٌ ... وشفَيتَ جسمي وهو مُضنًى مُدنَفُ
ولقد نهَيتُ الشعَر أن يعتادَني ... فأبى عليّ وقال : لمْ لَا أَشْرُفُ ؟
فليهتِفَنَّ بكلّ أرضٍ منطقي ... بالشكرِ مَا غَنَّى الحَمامُ الهُتّفُ

1194 – الأمير حسن ابن الحافظ العبيديّ [– 529][2]

حسن بن عبد المجيد بن محمد بن معدّ بن عليّ بن منصور بن نزار بن معدّ ابن إسماعيل بن محمد بن عبد الله ، الأمير أبو [...] ، ابن الخليفة أمير المؤمنين الحافظ لدين الله أبي الميمون .

كان عاقًّا لأبيه ، خرج عليه وحصره بالقصر يريد أخذه على أمره . وكان

---

(1) في المخطوط : ابن صمدون بالصاد ، ولم نجد هذا الاسم ، ولا صاحب الترجمة ، ومعلوم أنّ مدينة صور وليها أمراء حمدانيّون .

(2) الوافي 12 / 94 (80) – أتّعاظ 3 / 149 .

عاقبة عقوقه أن قُتِل .

وكان من خبره أنّ أباه الحافظ لدين الله عهد إلى ٱبنه سليمَان ، فمات بعد شهرين ، وكان أسنَّ أولاده . فترشّح حسن لولاية العهد من أجل أنّه أسنُّ مَن بقي من إخوته ، فلم يَرضَه أبوه لذلك وعهد إلى ٱبنه حيدرة ، وجعل إليه النظر في المظالم . فشقّ ذلك على حسن ، مع ما كان له من الأموال والبلاد والكثير من المواشي والمراكب . وصار له ديوان مفرد ، فدعا لنفسه ، وكاتبَ الأمراء والأجناد ، وعوّل على ٱعتقال أبيه ، وأطمعَ الناس فيما يوصلهم إليه إذا تمّ أمرُه . فٱمتدّت إليه الأعناق ، وركب للحرب . فواقعه أخوه حيدرة . وصار العسكر فرقتين : فرقة مع أبي تراب حيدرة ، وفرقة مع حسن ، وهي الريحانيّة والجيوشيّة . وجرت بينهما وقعة عظيمة في يوم الأربعاء خامس عشر رمضان سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بين القصرين قُتل فيها من الفريقين نحو عشرة آلاف رجل ، وفرّ حيدرة إلى أبيه .

فبعث الحافظ إلى حسن ليسكّن الفتنة ، فلم يدخل إليه وطالبه بحيدرة ، وضايق القَصْرَ وحاصره حصراً شديداً ، وصاح الجند : يا حسن ، يا منصور !يا لَلْحَسَنيّة !. وكانت هٰذه أوّل مصيبة نزلت بالدولة ، لقتل عِدّة لا يسمح الزمان بتربية مثلهم . وٱستحرّ القتل في الريحانيّة بحيث لم يَسلَم منهم إلّا مَن ألقى بنفسِه في النيل من ناحية المقس . وصار إلى حسن أوباش العسكر وذعّار[1] الناس ، وفرّق فيهم الزرد وسمّاهم « صبيان الزرد » وجعلَهم خاصّتَه ، فكانوا لا يفارقو[نـ]ـه ، إن ركب ساروا حوله ، وإن نزل لازموه .

فلم يجد الحافظ بدًّا من مداراتِه ، وولّاه العهد من بعده وكتب بذلك سجلاً قُرِىء في يوم الخميس لأربع بقينَ من رمضان ، وأركبه بشعار الخلافة ونعتَه بوليّ عهد أمير المؤمنين . فتمكّن حسن من الدولة وتصرّف فيها ولم يبقَ

(1) الذاعر : الخبيث أيضاً .

للحافظ معه حُكم . وقتل قاضي القضاة سراجَ الدين أبا الثريّا نجمَ بنَ جعفر ، وقتل ناظر الدواوين الشريف معتمَد الدولة علي بنَ جعفر بن العسّاف ، وقتل زمام المؤمنين وولّى أبا عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسّر [القيسرانيّ][1] القضاء ، وقتل جماعةً من الأمراء وأقام غيرهم . فٱختفى منه الحافظ وحيدرة ، وجدّ في طلبهما ، فأخرق بأوباشه ناموسَ القصر وهتك حرمتَه . وصار يُفَتِّشُ على أبيه وأخيه ، وأوباشُه مع ذلك تحسّن له كلّ رذيلة . فبسط يده في أذى الناس . فتغيّرت الخواطر ، وعزم مَن بقي من أمراء الدولة على خلع الحافظ من الخلافة وخلع حسن من ولاية العهد ، وٱجتمعوا بين القصرين وبعثوا إلى الحافظ يعلمونه بمَا يفعلونه ، فٱعتذر إليهم ، وبعث الأستاذ وفيّ الدولة إسعاف[2] إلى الصعيد ، فجمع من الريحانيّة وغيرهم أمماً لا يحصيها إلّا الله ليُقاتلَ بهم الأمير حسن ابن الحافظ . فبلغ ذلك حسن[ـاً] فبعث إليه جيشاً عرمرماً ، وخرج . فلمّا ٱلتقى الجمعان هبّت ريحٌ سوداء في وجوه أصحاب إسعاف ، فركبهم عسكر حسن فلم يفلت منهم [إلّا] القليل وغرق أكثرهم في النيل ، وقتلوا ، وأُخذ إسعاف وأدخل به إلى القاهرة على جمل ، وفوق رأسه طرطور أحمر إلى / بين [369ب] القصرين ، فرشق بالنشّاب حتّى مات . وألقي من القصر الغربي أيضاً بأستاذ آخر فقتلوه ، وقُتل الأمير شرَف الأمراء .

فلمّا [ٱشتدّ] الأمر بالحافظ ، تحيّل على حسن بأن ألقى إليه من القصر رقعةً فيها : يا ولدي ، أنت على كلّ حال ولدي ، ولو عمل كلّ منّا لصاحبه ما يكره الآخر ، ما أراد أن يصيبَه مكروه ، ولا يحملني قلبي . وقد ٱنتهى الأمر إلى أنّ أمراء الدولة – وسمّاهم – وقد شددت وطأتك عليهم وخافُوك – قد عوّلوا على الفتك بك[3] ، فخذ حذرك يا ولدي !

(1) زيادة من الاتّعاظ ، 3/ 119 .
(2) في الاتّعاظ : إسحاق ، أحد الأستاذين المحنّكين .
(3) الكلام مضطرب هنا وفي الاتّعاظ 3 / 150 .

فلمّا وقف حسن على الورقة قامت قيامتُه وقبض على أولائك عند حضورهم للسلام عليه وقتلَهم . فآشتدّت المصيبة بفقد أركان الدولة وأعضادها ، وكانت أشدّ من المصيبة بالريحانيّة . فعند ذلك نفرت القلوب وعزم مَن بقي على خلع الحافظ من الخلافة ، وحسن من ولاية العهد .

وكان تاج الدولة بهرام الأرمنيّ قد فرّ من حسن ووليَ الغربيّة . فلمّا علِم تغيّرَ خواطر جميع الناس على حسن ، جمع الناس وسار لحربه ، فتسلّل إليه العسكر ولم يبقَ مع حسن سوى الرجّالة من الجيوشيّة [والإسكندرانيّة والفرحيّة][1] ومَن يقوّيهم من الغزّ الغرباء . فتحيّر حسن في أمره ولم يدرِ ما يصنع ، وألجأته الضرورة إلى أن لحق بالقصر وصار إلى أبيه . فقبض عليه وقيّده ، فأعلم بذلك الأمراء ، وكان قد آجتمع بين القصرين من الفارس والراجل عشرةُ آلاف . فراسلهم الحافظ بأنّه قد أزال أمر حسن ، وأنّه لا يتصرّف أبداً ، ووعدهم بالزيادة في إقطاعاتهم . فلم يقبلوا ذلك وقالوا : إمّا نحن ، وإمّا هو ، وما لم تتحقّق الراحة منه وإلّا فلا حاجة لنا بك أيضاً ، ونخلع طاعتك .

وأحضروا الأحطاب وأشعلوا فيها النار لإحراق القصر وبالغوا في الإقدام عليه . فلم يجد بدًّا من إجابتهم إلى قتل حسن بعد ثلاثة أيّام ، ليقتله في سَتر . ودبّر مع أبي سعد ابن قرقة سقيّة بعثها مع عدّة من الصقالبة فأكرهوه حتى شربها ، فمات في يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وجُعل على سرير وأُعلم العسكر بموته فلم يثقوا بذلك وبعثوا الأمير المقدّم جلال الدين أبا عبد الله محمد جلب راغب ليراه . فدخل عليه وهو مسجّى وعليه ملاءة . فكشف عن وجهه وغرس حديدةً كانت معه في عدّة من مقاتله حتى تيقّن أنّه قد هلك . فعاد وأعلمهم بموته فتفرّقوا .

---

(1) الزيادة من الاتّعاظ 3 / 155 .

وكان حسن جريئاً مفسداً ، أراد قلب الدولة ، وقدّم الأراذل وأخرب بيوتاً كثيرة وأكثر الفساد ، وصادَرَ الناسَ وأخذ أموالهم ، وأراق دماءً عظيمة بغير حقّ . وفيه يقول أبو علي حسن بن زيد بن إسماعيل بن علي بن محمد الأنصاري الأبيات التي قتله[1] بها [بسيط] :

لم تأتِ يا حَسَناً بين الورى حسناً ولم تَرَ الحقَّ في دُنيا ولا دين
قتلُ النفوس بلا جُرم ولا سببٍ والجوْرُ في أخذ أموال المساكين
لقد جمعتَ بلا علمٍ ولا أدبٍ تِيهَ الملوك وأخلاقَ المجانين

1195 ـ معين الدين الجوينيّ [588 ـ 643][2]

حسن بن علي [أو ابن محمد] بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه ، الأمير الوزير الصاحب ، شيخ الشيوخ ، أبو محمد ، وأبو السعادات ، معينُ الدين ، ابن شيخ الشيوخ أبي الحسن بدر الدين ، ابن شيخ الشيوخ أبي الفتح ، ابن الفقيه أبي الحسن ، ابن الإمام الزاهد علَم الزهّاد أبي عبد الله ، الجوينيّ ، الحمويّ ، المصريّ ، الشافعيّ .

ولد مستهلّ المحرّم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . وكانت أمّه ابنةُ [القاضي شهاب الدين] ابن أبي عصرون قد أرضعَت الملكَ الكاملَ محمّدَ بن العادل أبي بكر بن أيّوب ، فصار هو وإخوتُه : فخر الدين يوسف ، وعماد الدين عمر ،

---

(1) أي التي قتله الحسن ابن الحافظ بسببها سنة 529 . وانظر ترجمة هذا الشاعر فيما مضى : رقم 1151 .

(2) الوافي 12 / 246 (225) وهو فيه : الحسن بن محمد بن عمر ، على أنّه يزيد : ابن شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن . وأبو الحسن عادة كنية من اسمُه عليّ .
وفي الشذرات 5 / 218 : ابن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر . وفي النجوم 6 / 355 : حسن بن محمد بن عمر ، وكذلك في العبر 5 / 175 .

وكمال الدين أحمد ، إخوة الكامل من الرضاعة ، فرقّاهم الرتب العاليةَ ، وولّى معينَ الدين مشيخةَ الشيوخ .

وبعثه في الرسالة إلى بغداد لمّا مات أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر وقام من بعده في الخلافة ابنُه أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو جعفر المنصور . فلمّا قدمَها وقف بدار الوزارة وقال مسلّماً عن مُرسِلِه ، والوزير إذ
[370أ] ذاك مؤيِّد الدين [أبو الحسن محمد بن محمد القمّي][1] : عبدُ الدولةِ / المقدّسةِ النبويّةِ المستنصريّةِ محمد بن أبي بكر بن أيّوب يُقبِّل العتباتِ التي يُستشفى بتقبيل ثراها ، ويتمسّك مِن عبوديتها[2] بأوثق عراها ، ويُوالي شكرَ الله تعالى على إماطة ليل العزاء الذي عمّ مُصَابُه ، بصُبْح الهَنَاء الذي تمّ نصابه ، حتى تزحزح عن شمس الهدى شفَق الإشفاق ، وصوّح نبت الردى في نفق النفاق ، فٱمتازت الخلافة المعظّمة من مستنصرها بالمثل الأعلى ، وفاز عبد دولتها من ولايتها بالقِدح المعلّى ، جعل الله كلمتَها العليا وكلمةَ أعدائها السفلى ، وضمّ شرف الأخرى بجلال مجدها إلى شرف الأولى مصلّياً ومستلماً ، ومقبلاً وملتزماً أبداً ، إن شاء الله تعالى .

فكان الفصلُ منه عزاءً وهناءً في هٰذه الكلمات المختصرة . فلمّا قدم إلى القاهرة بعثه في الرسالة ، ومعه أخوه كمال الدين أحمد وقاضي العسكر شمس الدين محمد الأرموي ، إلى الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق في شعبان سنة أربع وعشرين وستّمائة ، على أن يَسيرَ الكمال بجواب المعظّم إلى المجاهد صاحب حمص ، ويتوجّهَ المعين إلى بغداد برسالة إلى الديوان العزيز .

ثمّ أقامه السلطان بعد عوده يتحدّث في الأموال ، وسمّاه نائب الوزارة ، وٱعتمد عليه في مهمّات أموره إلى أن مات . فقام مع إخوته في تحليف العساكر

---

(1) الزيادة من السلوك 1 / 221 . ومات الظاهر العبّاسيّ في رجب 623 .
(2) في السلوك 1 / 221 : ويستكفى بتمسّكه من ...

للملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل حتى تمّت له السلطنة ، وقدموا إلى القاهرة . فأقام في خدمة الملك العادل إلى أن خُلع من السلطنة بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيّوب . فٱستوزرَه في يوم الخميس حادي عشرين ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستّمائة قبلَ الظهر بٱلبركة خارج القاهرة ، وسلّم إليه أمور المملكة بأسرها فشرع في التدبير ونظر في مصالح البلاد .

فٱتّفق في سنة أربعين أنّ بعض غلمانه بنى بأمره على سطح مسجد بمدينة مصر مكاناً تضرب فيه طبلخانات الوزارة . فأنكر ذلك الشيخ عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام قاضي مصر ومضى بنفسه وأولاده إلى أن هدم البناء ونقل ما كان فوق سطح المسجد . ثمّ أشهد على نفسه أنّه قد أسقط شهادة الصاحب الوزير معين الدين ، وأنّه قد عزل نفسَه من وظيفة قضاء مصر والوجه القبليّ . فشقّ ذلك على السلطان[1] .

وفي سنة ٱثنتين وأربعين وستّمائة جهّزه الملك الصالح على العساكر ومعه الدهليز السلطانيّ والخزائن ، وأقامه مقامَ نفسِه وأذِن له أن يجلسَ على رأس السماط ويركبَ بهيئة الملوك ، وأن يقف الطواشي شهاب الدين رشيد أستادار السلطان في خدمته على السماط مثلما يقف بين يدي السلطان ، وأن يقف أمير جاندار والحجّاب بين يديه كما هي عادتُهم في الخدمة السلطانيّة .

وكتب [إلى][2] الخوارزميّة وكبيرهم كشلوخان ، وقد قطعوا الفرات وساروا إلى دمشق نصرة للملك الصالح نجم الدين أيّوب على عمّه الصالح إسماعيل صاحب دمشق ونزلوا بغزّة ، بأن يكونَ بأجمعهم في خدمة الصاحب معين الدين . فسار بالهيئة الملوكيّة من ظاهر القاهرة إلى غزّة فتلقّاه الخوارزميّة والعسكر وسار بهم إلى بيسان وأقام بها مدّةً . ثمّ رحل عنها إلى دمشق فنزل

---

(1) الخبر في السلوك 1 / 312 .

(2) زيادة من السلوك 1 / 319 .

عليها وقد ٱمتنع بها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن العادل أبي بكر بن أيّوب . فعاثت الخوارزميّة في أعمال دمشق وكثر إفسادهم . فبعث الصالح إسماعيل إلى الصاحب معين الدين بسجّادة وإبريق وعكّاز وقال له : ٱشتغالك بهٰذا أولى من ٱشتغالك بقتال الملوك .

فسيّر له جنكاً وزمراً وغلالةَ حرير وقال له : السجّادة والإبريق والعكّاز يليق بي ، وأنت أولى بالجنك والزمر والغلالة .

وجدّ في محاصرة دمشق وضايقَها وأحرق قصر حجّاج[1] في ثاني محرّم سنة ثلاثٍ وأربعين وستّمائة ، وركّب المجانيقَ وألحّ في القتال إلى أيّام من جمادى الأولى . فأذعن الصالح إلى ترك دمشق وخرج عنها ، وقد تعوّض بدلها بعلبك وبصرى . ودخل الصاحب معين الدين إلى دمشق يوم الاثنين عاشر جمادى الأولى ، وكفّ الخوارزميّةَ عن المدينة ، ودبّر الأمورَ أحسنَ تدبير ، وأقطع [370ب] الخوارزميّة / الساحلَ بمناشيرَ كتبها لهم وعلّم عليها بخطّه ، وسلّم قلعةَ دمشق إلى الطواشي شهاب الدين رشيد ، وأقام الخطبة للملك الصالح نجم الدين أيّوب بدمشق وسائر أعمالها . وبعث بالبشارة إلى الملك الصالح فأنكر على الأمراء وعلى الطواشي رشيد تمكينَهم الصالحَ إسماعيل من بعلبك وقال : إنّ مُعينَ الدين حلَف له ، وأنتم فما حلفتم .

وأقام الصاحب معين الدين بمدينة دمشق يدبّر أمورها إلى أن مرِض ، ومات في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وستّمائة . ودُفن إلى جانب أخيه عماد الدين عمر بسفح قاسيون .

وكان يكثر في تواقيعه [عبارة :] « يجري على العادة » ، فقال فيه الأمير سيف الدين علي ٱبن المشدّ [منسرح] :

صوفتُكم ما له من السعادة   أستغفرُ الله غير سجّادة

(1) محلّة بظاهر باب الجابية بدمشق (السلوك 1 / 320 هامش 4) .

لو شاوروه في حلق لِحيَتِه   قال : ٱحلقوها جرى بذا العادة

وزار مرّة الإمام الشافعيّ بالقرافة فصادف عنده جمال الدين أبا الحسين يحيى بنَ مطروح فأنشده بديهاً [الكامل] :

لله أيّ فضيلة أدركتُها   في خدمة المولى الوزير الناسك
عند الإمام الشافعيّ وجدتُه   فظفرتُ عند إلشافعيّ بمَالك

1196 – الوزير علم الدين الماشليّ [– بعد 457][1]

الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن عيسى ، الوزير الأجلّ ، تاج الرئاسة ، علم الدين ، سيّد السادات ، أبو عليّ ، ابن سديد الدولة ذي الكفايتين ، الماشليّ ، أخو الوزير معزّ الدين أبي عبد الله الحسين[2] .

وليَ أيضاً الوزارة في الأيّام المستنصريّة ، وقد ٱستحكم الفساد في الأمور وقلّت الهيبة ، وأسقط الكتاميّون حشمته فيمَا كانوا يعرضون له به ، فأقام أيّاماً وٱنصرف ، وسار إلى الشّام . وكان مع أخيه بصور وعاد .

وتوفّيا بمصر .

1197 – الحافظ أبو علي الوخشيّ [385 – 471][3]

الحسن بن علي بن محمد بن أحمد بن جعفر ، أبو عليّ ، الوخشيّ .

---

(1) الإشارة ، 53 .

(2) أخوه الحسين تولّى الوزارة مرّتين ومات سنة 487 – الإشارة ، 49 . وأبن مُيسِّر (ماسي) 32 – 33 . وفي الاتّعاظ 2 / 264 (سنة 454) يسمّيه سديد الدولة العقيليّ ولا يذكر الماشليّ .

(3) الوافي 12 / 163 (136) – العبر 3 / 277 – شذرات 3 / 339 .

البلخيّ ، الحافظ ، من أهل وخش من نواحي بلخ ، أحد الحفّاظ الأثبات الفضلاء .

ولد في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . ورحل من بلده في سنة أربع عشرة وأربعمائة إلى العراق والشام . وقدم مصر . ودخل الثغور والبصرة والجبال . وسمع الحديث الكثير وعاد إلى بغداد . ومات ليلة الثلاثاء خامس ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ببلخ .

وقد حدّث عنه الحافظ أبو بكر الخطيب البغداديّ ، وقال أبو بكر الجيانيّ : حضرت يوماً مجلسَ الإمام عثمان خال البلخيّ في تعزية وقعت بالمقابر ، فأسند حديثاً عن القاضي الإمام أبي علي الوخشيّ ، فذكر عنه أنّه قال : لمّا مرّ بي قول النبيّ ﷺ : « نعم الإدام الخلّ » أقمتُ أيّاماً متفكّراً في حكمةِ هٰذا الحديث وما المراد منه . فبعد أيّام وقعَ لي أنّ الخَلَّ يقتل جميع الحشرات ويذهب بها . فقلت : لله عليّ أن أقتلَ حيّاتِ لذّاتي وعقاربَ شهواتي ! — فلزمت ذلك .

قيل : فلمّا مات وهُيِّىءَ له حُفَرَتُه وأُتِي به إليها ، فإذا النداء : قد جاء قتّالُ الحيّات والعقارب ! — فلقد حدّثني جماعة لا أحصيهم أنّه خرج كلّ حيّة وعقرب كان بالمقابر التي دُفن فيها وصارت إلى الخراب ، وكانت أكثرَ من أن تُحصَى . وأُريتُ الموضعَ الذي خرجَت منه والذي ذهبَت فيه .

1198 — الأمير ابن ملهم العقيليّ [— بعد 452] (1)

الحسن بن علي بن ملهم بن دينار ، العقيليّ ، أبو علي ، الأمير مكين الدولة وأمينُها ، أحدُ الأمراء في الأيّام المستنصريّة .

---

(1) الاتّعاظ 2 / 215 وما يليها . والأحداث المرويّة هنا قد سبقت في ترجمة اليازوريّ رقم 1188 .

أنتدَبَه الوزير الناصر للدين أبو محمد الحسن اليازوريّ للتوجّه إلى رياح وزغبة بخِلع سَنيّة وأنعام كثيرة ليصلح بينَهم . وكانت تنزل بطرابلس المغرب وما والاها ، وقد حدثت بينها حروبٌ . فسار وتلطّف حتى حمل ما بينهُما من الدِياتِ وأزال الضغائن من بينِها - وكان رجلاً سديداً عاقلاً مستحكم الرجحان - فلمّا تمّ له ما أراد من ذلك ، زاد في إقطاعاتهم وبعثهم على معانَدة معزّ بن باديس صاحب إفريقيّة / حتّى ساروا إليه وحاربوه وأخرجوه منها [371 أ] وأخربوا القيروان إلى اليوم .

ثمّ إنّه لمّا حدث الغلاء بمصر في سنة سبع وأربعين وأربعمائة جهّز ميخائيل متملّك الروم بالقسطنطينيّة مائةَ ألف قفيز غلّة إلى أنطاكية حتى يُحملَ إلى مصر توسعة للناس ، وجهّز هديّةَ الهُدنة على العادة ، وهديّةً سنيّةً من ماله . فثار به الروم وقتلوه وأقاموا بعده ابن سقلاروس فمنع[1] الهديّتين والغلّة من المسير إلى مصر وقال : أنا أنفق ذلك على حرب المسلمين .

فبلغ ذلك الوزير الناصر للدين أبا محمد الحسن اليازوريّ ، فسيّر مكين الدولة ابن ملهم إلى اللاذقيّة في عسكر كبير ، فحاصرها مدّة . فبعث أهلها إلى ابن سقلاروس بمَا هم فيه ، وكاتب المستنصر في ذلك وما الذي أوجبه ؟

فأجيب بأنّ المقتضي لهٰذا هو منع الغلّة والهديّة . وطالت المكاتبات بينه وبين المستنصر . فبعث الوزيرُ جيشاً ثانياً عليه الأمير السعيد ليث الدولة . ففتحت اللاذقيّة ووقع العيث فيها . وجال ابن ملهم في أعمال أنطاكية . ثمّ أردفه بجيش ثالثٍ عدّته ثلاثة آلاف ، وعليهم الأمير موفّق الدولة حفّاظ بن فاتك ، والأمير أبو الجيش عسكر [بن الحلي][2] ومقادة جميع الجيوش إلى الأمير مكين الدولة ، فساروا إليه . وأوغل في بلاد الروم يقتل ويأسر حتى أنكى النكاية

---

(1) (فمنع) من ماله ، وهي عبارة مقحمة في المخطوط .
(2) زيادة من الاتّعاظ 2 / 228 .

البالغة . وما زال على ذلك حتّى قُتل الوزير اليازوريّ . [فجهّز] ابن سَقلاروس ثمانين قطعة في البحر فحاربت ابنَ ملهم وأسرته ومَن معه من أعيان العرب لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة .

ثمّ إنّه تسلّم قلعة حلب من معزّ الدولة أبي علوان ثمال بن صالح بن مرداس . وسار ثمال إلى مصر .

فلم يزل بحلب إلى أن أخذ المدينةَ محمود بنُ نصر بن صالح في جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين ، فانحاز إلى القلعة ، وكتب إلى مصر بطلب نجدة . ثمّ تسلّم محمود القلعةَ في شعبان من السنة المذكورة .

1199 - أبو البدر ابن المعمّر الإسكافيّ [- 596][1]

الحسن بن علي بن المعمّر بن عليّ بن عبد الملك بن ناهوج ، أبو البدر ، ابن أبي منصور ، ابن أبي سالم ، الإسكافيّ - نسبة إلى إسكاف بني الجنيد ، قرية من قرى بغداد تعرف بالعلياء ، وهي بكسر الهمزة وسكون السين المهملة .

كان من أهل بغداد [و]أحد الكتّاب المتصرّفين في خدمة الديوان . قدم مصر ، وسكنها إلى أن مات بها في يوم الأربعاء سابع عشر رمضان سنة ستّ وتسعين وخمسمائة ، ودفن بالقرافة ، عن سبع وستّين سنة .

وكان فيه أدب . وسمع أبا محمد ابن الخشّاب[2] وأخذ عنه النحو . وحدّث بمصر . ومن شعره [طويل] :

ألا قُل لجيران الصفا ليتَ داعيَ الـ ... ـتفرّق أعمى يوم راح مناديا
لعمري لقد ودّعتُ يومَ وداعكم ... بشِعب المَنَقّى شعبةً من فؤاديا

(1) التكملة 1 / 363 (547) - بغية الوعاة ، 225 .
(2) عبد الله بن أحمد بن الخشّاب (ت 567) - أعلام النبلاء ، 20/ 523 (337) - بغية الوعاة ، 276 .

1200 - آبن هود المرسيّ الزاهد [633 - 699][1]

الحسن بن عليّ بن يوسف بن هود، الجذاميّ، المغربيّ، الزاهد، أبو عليّ، [بدر الدين][2]، ابن عضد الدولة أبي الحسن، وهو[3] أخو المتوكّل على الله أبي عبد الله محمد [بن يوسف] ملك الأندلس[4].

كان أبوه عضد الدولة [علي بن يوسف] ينوب عنْ أخيه المتوكّل بمرسية. فتزهّد آبنُه الحسن وآشتغل بشيءٍ من علوم الحكمة والطبّ ونظر في كلام ابن عربيّ وابن سبعين[5] وآنتمى إلى رأي ابن سبعين وعظّمه.

وكان عنده غفلةٌ في غالب أحواله بحيث يصحبه الرجل سنة ويغيب عنه أيّاماً يسيرةً فيراه فلا يعرفه، ويذكّره بأشياءَ جرت له معه فلا يذكر، ولا يظهر عليه أنّه رأى ذلك الشخصَ عُمرَه.

---

(1) له ترجمة في الوافي بالوفيات للصفديّ ج 12 / ص 156 (128) وفوات الوفيات لابن شاكر الكُتبي 1 / 345 (122) وعبر الذهبيّ 5 / 397 وشذرات الذهب لابن العماد 5 / 446 والسلوك للمقريزيّ 1 / 905 وطبقات الأولياء لأبن الملقّن، 428 / 126. ومسالك الأبصار، 8/ 237.

(2) الزيادة من السلوك ومن غيره.

(3) أي عضد الدولة أبو الحسن عليّ.

(4) ملك غرناطة على الموحّدين ابتداءً من سنة 625. انظر دائرة المعارف الإسلاميّة، 3 / 562 فصل : بني هود. ولقب المتوكّل أسنده إليه الخليفةُ العبّاسيّ من بغداد سنةَ 631. انظر آبن خلدون 4 / 169.

(5) محيى الدين ابن العربي : محمد بن علي بن محمد الحاتميّ الطائيّ (ت 638) العارف الصوفي الكبير، له ترجمة وافية في دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 729. وترجم له المقريزي في المقفّى : رقم 2830.

أمّا ابن سبعين، فهو عبد الحقّ بن إبراهيم بن محمد العكّي (ت 668). له ترجمة في دائرة المعارف 3 / 945. والملاحظ أنّ ابن العربيّ وابن سبعين وابن هود ثلاثتهم ولدوا بمرسية.

وقدم مصر ، وحجّ مرّاتٍ وجاور . ودخل اليمن وآحترمه[1] سلطانها وأرسل إليه وإلى أصحابه مالاً .

وقدم دمشق غيرَ مرّةٍ ، وأكرِم أوَّلَ دخوله إليها إكراماً كثيراً ، وقصَدَه نائب السلطنة بها والقاضي والأعيانُ ثمّ طالت إقامتُه بها فآنتقص ذلك الإكرام . وكان يظهر عليه أنّه لا فرق عندَه بين الحالتَين .

[371ب] وكان نُقِمَ عليه كلامٌ يصدر / منه لا يُوافقُ الشريعة[2] . وكان شيخ الإسلام تقيّ الدين أحمد بن تيميّة[3] كثيرَ الوقيعة فيه والتنقّص له ، يُنفِّرُ الناسَ عنه التنفيرَ الكثيرَ ويحذّر منه التحذيرَ الوافر .

وقال الذهبيّ : ثمّ بان أمره ، وقطع بأنّه من رؤوس الاتّحاديّة[4] .

وقال الصفديّ : وكان تلحقه [حالٌ][5] تشغله عن حسّه وتذهله عن نفسه حتّى إنّه كان يُوضعُ في يده الجمر ولا يشعر ، فإذا أحرقه عاد إلى حسّه . وربّمَا وقع في الحفائر ولا يدري[6] .

وكان يُقرىء الدلالة للرئيس موسى[7] ، وأسلم على [يده] جماعة من

---

(1) هكذا في المخطوط وفي المسالك ، ولعلّها : وأكرمه .

(2) نقل له الصفديّ أبياتاً قد تكون محلّ تهمة ، منها :

أنا عَبْدٌ ، أنا رَبٌّ   أنا عِزٌ ، أنا ذُلٌّ
أنا دنيا ، أنا أخرى   أنا بعضٌ ، أنا كلٌّ

(3) هو الفقيه الحنبليّ المشهور . توفّي سنة 728 وقد آضطُهد كثيراً بسبب تصلّبه في الدفاع عن السنّة وقاوم الصوفيّة وله ترجمة مطوّلة في المقفّى (رقم 462) .

(4) قال فيه : الصوفيّ الاتّحاديّ الضالّ (عبر 5 / 397) .

(5) زيادة من المسالك .

(6) عبارة الوافي : « وكان يُحفر له الحفر في طريقه فيقع فيها ذهولاً وغيبة » . وهي أعمالٌ تدلّ على عداوة له من الناس .

(7) موسى بن ميمون القرطبيّ الطبيب الفيلسوف اليهوديّ . انظر ترجمة في الأعلام الزركليّ 8 / 284 . توفي سنة 601 . =

اليهود ، فأغاظهم ذلك فعمِلوا عليه حتّى سقَوه الخمر في حال غيبته وأَرَوْه [لـ]ـلمسلمين وهو في تلك الحال فما غيّر هٰذا عقيدةَ مَن له فيه عقيدة[1] .

وقال أبو حيّان[2] : رأيتُه بمكّة وجالستُه . وكان يظهر منه الحضور مَعَ مَن يكلّمه [ثمّ] تظهر الغيبة منه . وكان يلبس نوعاً من الثياب ممّا لم يُعهَد لبس مثله بهٰذه البلاد . وكان يذكر أنّه يعرف شيئاً من علوم الأوائل – وأنشد[3] عن أبي الحكم بن هانىء عنه قوله [بسيط] :

خضتُ الدجُنَّةَ حتى لاح لي قَبَسٌ — وبَانَ بانُ الحِمى من ذلك القَبَسِ
فقلتُ للقَوم : هٰذا الربعُ ربعُهُم — وقلتُ للسّمع : لا تخلو من ٱلجَرَسِ
وقلت للعين : غُضّي من محاسِنِهم — وقلت للنطقِ : هٰذا موطنُ الخَرَسِ

وقال الشهاب أحمد بن فضل الله[4] : أنشدني شيخنا أبو الثناء – يعني الشهاب محمود[5] – هٰذه الأبيات . وكان من خبرها أنّ ٱبن هود حجّ . فلمّا أتى المدينة وشارف أعلامها ، نزل عن دابّته وٱغتسل ولبس ثياباً نظافاً ، ثمّ جعل يمشي ، وهو يهمهم بكلامٍ خفيٍّ سمعَه بعضُ من كان يمشي خلفَه ، فإذا هو يقول [طويل] :

= وكتاب الدلالة هو « دلالة الحائرين » الذي عرض فيه فلسفته .

(1) هذه الحادثة جاءت مفصّلة عند الصفدي وابن شاكر .

(2) الأثير ابن حيّان : هو محمد بن يوسف ، أبو حيّان النحويّ الجيّانيّ (ت 745) . انظر الأعلام 7 / 26 . وله ترجمة في المقفّى : رقم 3600 .

(3) أبو حيّان هو الذي نقل شعر المرسيّ عن أبي الحكم . ولا نعرف ابن هانىء هذا .

(4) هو ابن فضل الله العمري ، أحمد بن يحيى (ت 749) صاحب مسالك الأبصار . انظر الأعلام 1 / 254 . وله ترجمة في المقفّى رقم677 . والنقل من المسالك ، 8/ 239 .

(5) الشهاب محمود : هو محمود بن سلمان – أو سليمان – بن فهد الحنبلي الحلبيّ (ت 725) الأديب الكاتب . انظر الأعلام 8/ 48 . وقد سها الناسخ أيضًا في اسمه فكتب الشهاب ابن محمود .

نَزَلْنَا عن الأكوارِ نمشي ، كرامةً   لمَن حَلَّ فيه أن نُلِمَّ به رُكْبَا[1]

ثمّ لم يزل يَطَأْطِئُ مِنْ رأسه ويخضع حتّى أتى باب المسجد وكأنّه راكع ، فسلّم على النبيّ ﷺ من ظاهر الحجرة بأكمل الآداب ، ثمّ صلّى ركعتَي التحيّة بالروضة ، ثمّ خرج إلى الزيارة فجلس على الرمل ، ثمّ جعل يبكي ويخطّ على الرمل الأبيات . فقرأها بعض الحاضرين فحفظها وأنشدها عنه – يعني قوله : خضت الدجنّة ... إلى آخرها .

(قال) وأتى لاجين نائب الشام ، وحسامُ الدين الرازي ابنَ هود ، وهو لا يعرفُهُما . وكان مع لاجين سجّادة ففرشها تحت ابن هود بيدِه ، وساعده الرازي . فقال له بعضُ مَن عنده : يا سيّدي ، هٰذا نائب السلطان ، وبيده [قد] فرش لك السجّادة ، وهٰذا الذي معه مِن أكابر العلماء .

فقال : بارك الله فيهما ، والله ما فرش لي السجّادة إلّا ليجلس على سرير الملك ، وصاحبه قاضي القضاة .

قال كاتبه[2] : وكذا وقع . جلس لاجين هٰذا على سرير الملك وتلقّب بالسلطان الملك المنصور ، ووليَ حسام الدين هٰذا قضاء القضاة ، وهو أبو الفضائل الحسن بن أحمد الرازيّ الحنفي ، كما قد ذكر في ترجمتَيهما من هٰذا الكتاب[3] .

---

(1) رُكبا : جمع راكب ، أي نزّهنا الحَرَم عن أن نحلّ بها راكبين .

(2) أي المقريزيّ المؤلّف . وهي عبارتُه حين ينتقل من النقل إلى التعليق .

(3) لا جين المنصوريّ تسلطن بمصر من سنة 696 إلى 697 – النجوم الزاهرة لأبن تغري بردي ج 8 ص 85 – 114 . وترجمة لاجين مفقودة من المقفّى .

والقاضي حسام الدين هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازي ثمّ الرومي ، قاضي القضاة الحنفي (ت 699) – انظر الوافي 11 / 397 (571) ، وفي سنة وفاته اختلاف . وقال المقريزي في السلوك 1 / 888 أنّه عُدِم في وقعة حمص مع التتار ، وهي عبارة تعني أنّه فُقِدَ دون تيقّن من موته . وفي الوافي أنّه يكون قد أسر وحمل إلى جزيرة قبرص . وترجمته في المقفّى تأتي برقم 1150 .

قال الشهاب محمود : وكان ابنُ هود ذا علم جمٍّ ، ولكن كانت الغيبة غالبةً عليه . ولقد كان يبقى الأيّام والليالي لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً . وكان كثيراً ما يقعد في مقابر كيسان مستديراً للمدينة متوجّهاً إلى القبلة قبالة البرج ، ويبقى الأيّامَ الكثيرةَ في الحرّ والبرد لا يتغيّر من مكانه . ولقد رأيتُه هنا مرّة في زمان صيف شديد وقد لفحته هواجر الحرّ وأثّر فيه السمومُ . وكانت بيني وبينه صحبة ، فوقفت أمامَه وأنشدتُه قول الداني [كامل] :

أنت المنيّةُ والمُنى ، فيك اَستوى ... ظلُّ الغمامة والهجيرُ المُحرِقُ

فرفع رأسه إليَّ وقال : من تكون ؟

فعرّفتُه بنفسي ، فقال : ما أعرفك .

فانصرفت وأنا أرثي له ممّا يقاسي .

وقال البرزالي : سألتُه عن مولِده فقال : في ثالث عشر شوّال سنة ثلاث وثلاثين وستّمائة بمرسية .

وتوفّي عشيّة الاثنين السادس والعشرين من شعبان سنة تسع وتسعين وستّمائة بدمشق . ودُفن بكرة الثلاثاء بسفح قاسيون . / وتقدّم في الصلاة عليه [372 أ] القاضي بدر الدين محمد بن جماعة .

ومن شعره [طويل] :

أُوَرّي بذكر الجزع عنه وبانِه ... ولا البانُ مطلوبي ولا قصديَ الرملُ
وأذكرُ سُعْدى في حديثي مُغالطاً ... بليلى ، ولا ليلى مرادي ولا جمْل
ولم أرَ في العُشّاق مثلي لأنّني ... تلذُّ ليَ البلْوى ويحلو ليَ العذْل
سوى معشرٍ حلّوا النظام ومزّقوا الـ ... ـثِيَابَ ولا فرضٌ عليهم ولا نفلُ
مجانينُ إلّا أنّ ذلّ جنونهم ... عزيز ، على أعتابهم يسجد العَقل

وقوله [طويل] :

سلامٌ عليكم صدّق الخبَرَ الخُبرُ   فلم يبقَ « قال القَسُّ » أو « حدّث الحَبْرُ »

وهي قصيدة عسرة المسلك متوعّرة الجوانب يُحار في ظلمائها ويخبط في بهمائها ، منها :

وأشرق نور الحقّ من كلّ وجهة   على كلّ وجهٍ فأستوى السرّ والجهرُ
فهامُوا وتاهُوا بين حقٍّ وباطلٍ   يُجَوِّزُه زيدٌ ويمنعُه عمرو
ولو سلّموا ساروا على منهج الهدى   إلى حضرة الرضوان لكنّهم غرّوا
فقوموا على ساقٍ من الجدّ وأثبتوا   على قدم التجريد إنّ الغنى فقر
ولا تجعلوها راحةً دونَ غايةٍ   فلا راحةٌ إلّا إذا بُعثر القبرُ

وقوله [كامل] :

حاشا بنانك من أذى يا من له الـ   ـقدْرُ الكبير ورفدُه لا يُمنَعُ
لم تبد فيهنّ الداملُ ضلّة   بالقصد لكن ساقهنّ المطمع
لمّا رأت كفّيك جوداً هامعاً   وسحابَ ذاك الجود لا يتقشّع
قصدَت مشاركة الأنام فأصبحت   من فيض جودك تستمدّ وتجمع (1)

1201 – أبو علي النخّاس [– 302]

الحسن بن علي بن موسى بن هارون بن إبراهيم ، أبو علي ، النخّاس – بنون وخاء معجمة – النيسابوريّ .

رحل إلى الشام ومصر ، فسمع هشام بن عمّار ، وعبد الأعلى بن حمّاد ، وعثمان بن أبي شيبة وغيرَه .

وروى عنه أبو سعيد بن يونس ، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عثمان بن

(1) هٰذه الأبيات العينيّة لم تذكر في الوافي ولا في الفوات وذكرَت في المسالك ، 8/ 241 .

عبد الوهّاب بن عرفة بن أبي التمام إمام جامع مصر ، وأبو أحمد بن عديّ وجماعة .

قال ابن يونس : قدم إلى مصر [و]حدّث ، وكان صَدوقاً .

وتوفّي بمصر في شعبان سنة آثنتين وثلاثمائة .

1202 ـ الحسن بن وصيف [- بعد 279]

أحد قوّاد خمارويه بن أحمد بن طولون . جعله على الشرط مكان أحمد بن محمد العجنفي في سابع شوّال سنة تسع وسبعين ومائتين ، وصرف موسى بن طونيق في سادس شعبان سنة آثنتين وثمانين .

1203 ـ حسن بن يحيى القرشيّ [541 ـ 632][1]

حسن بن يحيى بن الصبّاح بن الحسين بن عثمان ، أبو صادق ، القرشيّ ، المخزوميّ ، المصريّ ، نزيل دمشق ، الشافعيّ ، العدل .

ولد العاشر من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بمصر ، وتوفّي بدمشق في السادسَ عشرَ من شهر رجب سنة آثنتين وثلاثين وستّمائة .

وهو آخر من حدّث عن آبن رفاعة سماعاً ، وأجازه . وكان مشهوراً بالحسن والصلاح .

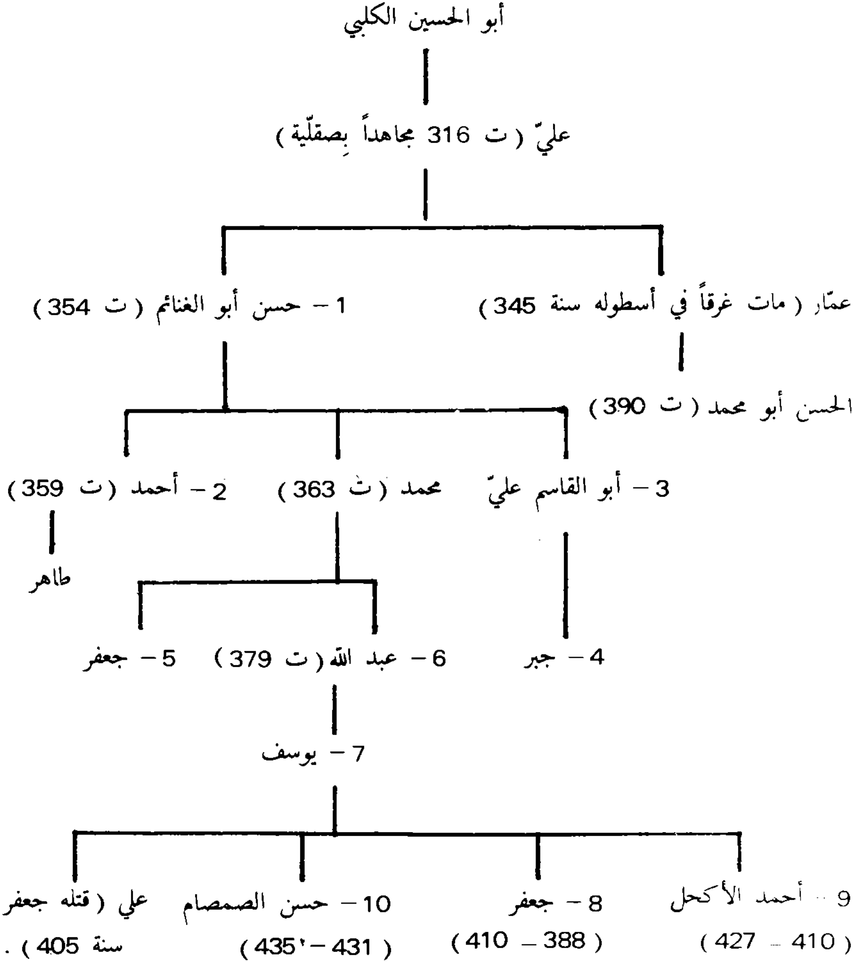
1204 ـ الحسن بن عمّار الكلبيّ [- 390]

الحسن بن عمّار بن علي بن أبي الحسين – واسمه محمد بن الفضل بن

(1) الوافي 12 / 304 (276) وفيه : ابن الحسين بن عليّ الكاتب ، نشىء الملك . العبر 5 / 128 – التكملة 3 / 393(2600) وفيها : ابن الحسين بن عليّ .

يعقوب[1] – أمين الدولة أبو محمد الكلبيّ ، أحد شيوخ كتامة[2] . كان أبوه

(1) محمد بن الفضل بن يعقوب : لعلّه هو أبو الحسين رأس الأسرة الكلبيّة التي خدمت الفاطميّين بالمغرب فأقطعوها جزيرة صقلّية طيلة قرن . والمصادر لا تعرف هذا الجدّ الأعلى إلّا بكنيته . وأعلام هذه الأسرة يترتّبون في الجدول التالي ، وقد رقّمنا ولاة صقلّية منهم من 1 إلى 10 .



(2) بنو أبي الحسين كلبيّون ، أي عرب يمنيّون . وعبارة « أحد شيوخ كتامة » تعني ضرباً من الولاء بين القبيلة البربريّة والأسرة العربيّة . (وانظر فصل « الكلبيّون » في دائرة المعارف الإسلاميّة) .

في خدمة الإمام القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهديّ ، فبعثه على رجال كتامة إلى تونس في فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكّاريّ ، وقد سبقه إليها مسنويه بن بكر الهواريّ من قِبَل [أبي] يزيد ، ودخلها في عاشر صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، فقتل وسبى وهدم الدور . ولقي عمّاراً [1] فقاتله وهزمه عمّار وتبعه إلى تونس وقتل كثيراً من أصحابه / وأخذ ثلاثة آلاف جمل تحمل طعاماً [372ب] وغيره ، وعاد إلى القائم بالمهديّة ، فأمره أن يقيم بسوسة . ثمّ مات القائم ، وكان مع ابنه المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل حتّى مات وقام من بعده ولدُه المعزّ أبو تميم معدّ . فسار من قبل أخيه الحسن بن علي [2] متولّي صقلّيّة على أسطول إلى بلاد الروم وعاد ، فخرجت عليه ريح شديدة بالقرب من صقليّة فعطب الأسطول بأسره وغرق القائد عمّار في يوم الجمعة لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ودفنَ من الغد بصقليّة .

ثم إنّ الحسن بن عليّ افتتح في سنة اثنتين وخمسين قلاعاً بجزيرة صقليّة ونزل على قلعة رمطة فحاربها فطال عليه أمرها فرجع إلى جزيرة صقليّة وترك [على] رمطة [3] ابن أخيه أبا محمد الحسن بن عمّار صاحب الترجمة ، فأقام عليها وطال مُقامُه . واستغاث الرومُ بصاحب القسطنطينيّة . فوجّه إليهم عسكراً في البرّ وعسكراً في البحر ، والتقى ابن عمّار مع مقدّمة الروم في نصف شوّال منها بشرذمة يسيرة فرزقه الله الظفرَ وقتل قائد الروم صاحب عسكر البرّ وأسر صاحب عسكر البحر ، وانهزمت عساكرهم فتبعهم المسلمون فجزّوا منهم عشرة آلاف رأس ، وغرق منهم في البحر خلق كثير . وكان في طريقهم خرق عَميق في

(1) عمّار بن علي الكلبي : انظر خبره مع أبي يزيد في عيون الأخبار ، 278 وما يليها . وانظر خبر غرقه وأخبار الأسرة عموماً في تاريخ ابن خلدون 4 / 207 - 210 وأعمال الأعلام لابن الخطيب (نشر ح . ح . عبد الوهاب في ذكرى أماري ج 2 ص 476) .

(2) الحسن بن علي أبو الغنائم : كانت له وقائع مع أبي يزيد ، وهو أوّل من ولي صقليّة من أبناء أبي الحسين .

(3) رمطه اسمها عند مؤرخي الغرب : راميتّا .

الأرض فحال بينهم وبين رؤيته الغبار فتواقعُوا فيه وقتَ الهزيمةِ وسقط الخيل والرجال وصار بعضُهم على بعض فهلك فيه من الروم خلق لا يُحصيهم إلّا الله فماتوا كلّهم ، وأُسر منهم بعد هٰذا كلِّه ألْفا أسير فيهم مائة بطريق . وأخذ من أموالهم وسلاحهم وكراعهم ما يقصر عنه الوصف[1] . ونزل من قلعة رمطة نحو ألفِ عِلجٍ خوفاً وجزَعاً .

وأقام الحسن بن عمّار مُحاصراً لها ، ووجّه بالقائد والبطارقة والرؤوس وكتاب الفتح إلى مدينة صقليّة ، فخرج إليهم الحسن بن عليّ بالعدّة والعساكر فتلقّاهم فرأى ما سرّه وفرح بذلك فرحاً شديداً ، ثمّ انصرَف فاعتلّ من إفراط الفرح بحُمَّى حادّة ومات بعد ذلك بسبعة أيّام لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة من هٰذه السنة [352][2] . وفتح الله قلعةَ رمطة على يد الحسن بن عمّار لثلاث بقين منه ، فقتل جميعَ مَن كان بها من الرجال وسبى النساء ، واستولى على جميع ما فيها من نعمة ومتاع وغير ذلك .

ثمّ قدم من صقليّة على المعزّ في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة بالمهديّة ، فخرج معه لحرب أبي خزر يعلى الزناتيّ الثائر[3] .

ثمّ عاد . فبعثه في يوم الثلاثاء لتسعٍ خلونَ من شوّال سنةَ تسعٍ وخمسين [وثلاثمائة] على الأسطول إلى مصر . فانتهى إلى طرابلس . وأقلع منها يوم الخميس لثمانٍ بقينَ من شوّال سنة ستّين وثلاثمائة . ثمّ قدم إلى القاهرة يوم الاثنين رابع ربيع الأوّل سنة إحدى وستّين ، ثمّ لمّا قدم الأسطول في ذي القعدة من المغرب خرج عليه ابن عمّار في ذي الحجّة وسار إلى تنيس ولقيَ

---

(1) عُرفت الوقعة باسم « وقعة الحفرة » (النويري : نهاية الأرب ، 24 / 361) ، وعنده أنّ الوقعة دارت في سنة ثلاث وخمسين . وفي أعمال الأعلام ، 477 : سنة 352 .

(2) تتضارب التواريخ هنا . فالراجح أنّ الحسن بن علي توفّي سنة 354 (انظر ترجمة ماريوس كانار لسيرة جوذر ، هامش 184) .

(3) خروج المعزّ إلى باغاية مفصّل في عيون الأخبار ، 705 .

أسطول القرامطة فأخذ منه سبعَ قطع وأسر خمسمائة رجلٍ .

ثمّ سار في رجب سنة اثنتين وستّين إلى الحَوف[1] على عشرة آلاف فواقع القرامطة .

وما زال بالقاهرة بقيّة أيّام المعزّ وأيّام العزيز . ولمّا احتُضِر العزيز بالله بمدينة بلبيس استدعى القاضيَ محمّدَ بنَ النعمان والحسنَ بنَ عمّار هذا وأوصاهما بولده أبي علي المنصور ومات . فأقيم في الخلافة بعده أبو علي ولقّب بالحاكم وسار إلى القاهرة وسنُّه إحدى عشرة سنة وخمسةُ أشهر . فأنفق في المغاربة وكتامة وشرطوا أن لا ينظر في أمورهم إلّا ابن عمّار . وذلك أنّه أعطى لِكُلِّ واحد من شيوخ كتامة لمّا أنفقَ فيهم من خمسة آلاف دينار إلى ما دونها ، وأعطى شبابهم على أقدارهم . وكان العزيز قد غضب عليهم لخذلانهم القائد جوهر في نوبة هفتكين وعرف الوزير يعقوب بن كلس ذلك فاطّرَحَهم حتى ضاعوا وساءت حالاتهم وتفرّق كثير منهم في الصناعات . فتنبّه ابن عمّار [إلى] حالهم[2] فاجتمع شيوخ كتامة عند المصلَّى خارج القاهرة ، وقد خالفوا على الحاكم . فخرج إليهم ابن / [373 أ] عمّار وما زال بهم حتّى أحضرهم إلى القصر وقرّر لهم ما أرضاهم به وأنفق فيهم ، وحلف للحاكم ثمّ حلّفهم وحلف عليه الحاكم بأمر الله في يوم الثالث من شوّال سنة ستٍّ وثمانين وثلاثمائة . وقلّده سيفاً من سيوف العزيز بالله وحمله على فرس بسرج من ذهب ، وكنّاه ، ولقّبه « أمين الدولة » . وقال له : « أنتَ أميني على دولتي ورجالي » . وقاد بين يديه عدّة خيول ، وحمل معه خمسين ثوباً من سائر البزّ الرفيع . ونزل من القصر إلى داره في موكب عظيم . وقرأ سجلَّه قاضي القضاة محمد بن النعمان بجامع مصر في خامسه . فاستكتب أبا

---

(1) أي الحوف الشرقي ، في جهة الفرما وتنيس شرقي أسفل الأرض (اتّعاظ ، 1 / 167 ، هامش 1) .

(2) قراءة ظنّيّة .

عبد الله [...][1] الموصلي واستخلفه على أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم . وألزم سائر الناس بالترجّل له فترجّل كلّ رئيس في طائفتِه . وقرّر لكتامة سبعة أعطية في السنة وأنفق فيهم وحمل رجالاتهم – وهم نحو الألف – على دوابّ الإصطبل التي خلّفها العزيز ، ولم يترك أحداً من الشيوخ حتى حمله على الفرس والفرَسين بالمراكب الحسنة من خزائن القصر .

وسيّر سلمانَ بنَ جعفر بن فلاح إلى الشام على عسكر ، وخلع عليه ، وقلّده سيفاً مذهّباً ، وحمله على فرس ، وقاد بين يديه أربعة أفراس بمراكبها ، وأنعم عليه إنعاماً زائداً ، وأنفق في المغاربة السائرين معه[2] ، وبعث إليه بخزانة مال على ثمانية وستّين بغلاً فيها أربعمائة ألف دينار وسبعمائة ألف درهم ، وبعث إليه بستّة وأربعين حملاً من السلاح وعشر جمّازات عليها الدروع وستّ قباب بفرشها وأجلّتها[3] ومناطقها وسائر آلاتها ، وستّ جمّازات بجنب آلة الديباج الملوّن وثلاثين جَمّازة بأجلّة وعشرة أفراس وثلاث بغلات بمراكبها ، ومنديل يحمله خادم فيه ثياب من ثياب العزيز وسيف من سيوفه .

وصار ابن عمّار ينزل ويركب من باب الحجرة التي فيها الحاكم فيشقّ القصرَ راكباً ، وألزم سائر الناس بالتبكير إلى داره ، وكانوا يزدحمون على بابه وفي دهاليزه ، وبابه مغلق . ثمّ يفتح بعد حين فـ[ـيـ]ـدخل الأعيان إلى قاعة الدار ويجلسون على حصير ، وهو جالس في مجلسه لا يدخل إليه أحد مقدارَ

---

(1) ترك الاسم بياضاً في المخطوط . ولم يذكر كذلك في الاتّعاظ ، 2 / 6 .

(2) السياق يوهم أنّ كلّ هذه الهدايا والقرارات كانت من الحسن بن عمّار . وفي الاتّعاظ ، 2 / 7 ، أسندت الأفعال كلها إلى النائب .

(3) الأجلّة جمع جُلّ (الدابّة والعمّارية الخ ...) : ما تُلبسه وتغطّى به ، وفي المخطوط : بأهلّتها ولا توافق الغرض .والجمّازة أيضاً ضربٌ من الهوادج على الناقة ومنه انتقلت الى الناقة نفسها . والجنب المذكورة قبل هي الجوالق ، أو الزنابيل أو السلال التي تحمل على جانبي المركوب . ولعلّها : نجب ج نجيب وهو البعيرُ الأصيل (دوزي) . وفي الأتّعاظ 2 / 9 : تجنب بآلة .

ساعةٍ . ثمّ يأذن للأعيان كالقاضي ووجوه كتامة والقوّاد فيدخل أكابرهم . ثمّ يؤذن لسائر الناس فيزدحمون ولا يقدر أحدٌ على الوصول إليه ، فمنهم من يومىء إلى تقبيل الأرض ، وهو مع ذلك لا يردّ السلام على أحدٍ .

فإذا خرج لا يتمكّن من تقبيل يده إلّا قومٌ بأعيانهم . وباقي الناس يقبّل بعضُهم الركاب ، وبعضُهم يومىء إلى تقبيل الأرضِ .

وأنفد ما في الإصطبلات من الخيول فأنعم على كتامة بألفين وخمسمائةِ فرس ، وأخرج للحُملان والقَود شيئاً كثيراً ، وحمل من الخيل والبغال والنوق لسلمان بن فلاح زيادة على ألف رأس ، وباع من الخيل والبغال والنجب والحمير ما يتجاوز الوصف حتى بيعت الناقةُ بستّة دنانير ، وبيع الحمار الذي كانت قيمتُه خمسين ديناراً بأربعة دنانير . وقطع أكثر الرسوم التي كانت تطلق للأولياء من الأتراك وغيرهم . وقطع أكثر ما كان من المطابخ واقتصر على البعض . وقطع أرزاقَ جماعةٍ من أصحاب الراتب ، وفرّق كثيراً من جوار في القصر على الناس ، وكان فيه من الجواري والخدم عشرة آلاف جارية وخادم ، فباع من اختار البيع وأعتق من سأل العتق ، كلّ ذلك طلباً للتوفير .

وحمل إلى سلمان بن فلاح جُلَّ رحل العزيز وأمتعتَه . واصطنع أحداثَ المغاربة ، فكثر عبثُهم وامتدّت أيديهم إلى أخذ الحرم من الطرقات ، وسلبوا الناس في الشوارع وغيرها . فكثرت شكاية الناس منهم فلم يُمسِكهم[1] . ثمّ إنّه فرّط في الأمر حتى تعرّضوا لغلمان الأتراك يريدون أخذ ثيابهم . فثار بسبب هذا شرٌ قتل فيه واحدٌ من المغاربة وغلام من الأتراك . فاجتمع شيوخ الطائفتين وصاروا أحزاباً . فقام ابن عمّار في نصرة المغاربة ، ووقعت الحرب بين الفريقين ، وقُتل جماعة منهما . فانطلقت الألسنةُ من كلّ منهما بالقبيح في حقّ الآخر ، وأقاموا على المصافّ يوم الثلاثاء / ويوم الأربعاء تاسع شعبان . فركب [373ب]

(1) في المخطوط : فلم يشكهم .

بينهما ابن عمّار يوم الخميس بآلة الحرب وحفّت به المغاربة . وتجمّعت الأتراك ، وكانت بينهما وقائع قُتل فيها عدّة رجال وجرح كثير ، وجمعت الرؤوس بين يدَي ابن عمّار . فأنكر ذلك وعرف أنّه أخطأ في ركوبه ، فعاد إلى داره .

ونزل إليه برجوان[1] ليصلح بينه وبين الأتراك . فعندما دخل إليه برجوان ركب غلمانُ الأتراك دار ابن عمّار فعاد برجوان إلى القصر ، وامتدّت أيدي النهّابة إلى دار ابن عمّار واصطبلاته ، وإلى دار رشأ غلامه ، فأخذوا منها ما لا يُحصى كثرةً . وكان أكثر مَن نُهب المغاربة الذين اصطنع أحداثَهم . فسُقط في يده ونجا بنفسِه إلى داره بمصر ليلة الجمعة لثلاثٍ بقين من شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وعزل[2] عن النظر ، فكانت مدّة أيّام نظره أحد عشرَ شهراً ينقص خمسةَ أيّام . ولزم داره بمصر سبعة وعشرين يوماً . ثمّ خرج إليه الأمر بعوده إلى القاهرة فعاد وترك داره ليلة الجمعة خامس عشرين شهر رمضان . وأقام بها لا يركب ولا يدخل إليه أحد إلّا أتباعُه وخدمُه . ورسم بإطلاق رسومه وجرايات حشمِه وكلّ ما كان له في أيّام نظره من فاكهة وثلج وغيره ، ومبلغ ذلك من ثمن اللحم والحيوان والفواكه والتوابل خمسمائة دينار في كلّ شهر ، وسلّة فاكهة في كلّ [يوم] بدينار ، وعشرة أرطال شمع كلّ يوم وحمل ثلج عن يومين .

فلم يزل ملازماً لداره إلى أن أذن له في الركوب يوم السبت الخامس من شوّال سنة تسعين . فركب إلى القصر ونزل موضعَ نزول الناس بأسرهم . وواصل الركوب إلى يوم الاثنين رابع عشرِه . فأحضر عشيّة إلى القصر وجلس به إلى عشاء الآخرة ، ثم أذن له في الانصراف . فعندما قام ثار به جماعة من الأتراك قد أُعدّوا لقتله فقتلوه واحتزّوا رأسه ودفنوه موضعَه[3] . ثمّ سألَ أهلُه في نقله إلى تربَتِه ، فحُمل إليها بالقرافة . وكانت مدّة إقامتِه بعد عزله عن النظر إلى

(1) برجوان الأستاذ كان بمثابة الوزير .
(2) في المخطوط : وأعزل .
(3) رواية الاتّعاظ ، 2 / 36 مُمَاثلة لِمَا في المقفّى .

أن قُتِل ثلاثَ سنين وشهراً واحداً وثمانية عشرَ يوماً[1] .

1205 – الحسن بن عمر الكردي [630 – 720][2]

حسن بن عمر بن عيسى بن خليل ، الكرديّ ، الدمشقيّ ، أبو علي وأبو محمد .

مولده يوم الخميس لعشرين من ذي الحجّة سنة ثلاثين وستّمائة .

قرأ على [أبي الحسن] السخاويّ القرآن ، وسمع الحديث منه ومن ٱبن اللتيّ[3] وجماعة ، وأكثر من الرواية ، وحدَّث وعمَّر . ورحل الناس إليه ، وٱستوطن الجيزة تجاه مصر .

ومات بمصر يوم [...] ثالث ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة .

1206 – الزكيّ الأسطرلابي

حسن بن عمر بن سالم ، زكيّ الدين ، أبو محمد ، النقّاش ، الأسطرلابيّ . برع في علم الميقات وقال الشعْر الجيّد .

---

(1) هذه الترجمة المفصّلة تتناول جانبين من حياة هذا الأمير الصقليّ : حياته بصقليّة وجهاده للروم بها ، وحياته بالقاهرة في بلاط العزيز فالحاكم ، ويبدو أنّ حركته بمصر كانت أوسع ، ونفوذه أقوى . أو لعلّ المقريزي غلّب الفترة المصريّة على الطور الصقلّي .

وأهميّة الترجمة تكمن في ما تنقله من مظاهر الصراع بين المغاربة ، أي الكتاميّين حلفاء الحسن بن عمّار وسنده ، والأتراك خدم القصر وقوّاد الجيش . وكذلك العداوة الدفينة أو الصريحة التي يكنّها المصريّون لهؤلاء المغاربة المتعسّفين الذين لا يردعهم رادع ولا يزعهم وازعٌ .

(2) الوافي 12/ 195 (165) – المنهل الصافي ، 5/ 114 (921) ، وهو فيهما : ٱبن القيم ، وترجمته أطول .

(3) السخاوي ، علي بن محمد ، توفّي سنة 643 وابن اللتي ، عبد الله بن عمر ، سنة 635 ، وقال الصفديّ : أسمعه أبوه في الرابعة من ٱبن اللتي .

وتوفّي [...] .

ومن شعره (بسيط) :

الحرُّ بالبرِّ والإحسانِ تملِكُه ... والنذل بالضِدِّ أفعالاً وأخلاقا
يزدادُ لوماً إذا ما زدتّه كَرَماً ... كالنفط يزداد بالتكريم إحراقاً

1207 – أبو علي الناسخ [570 – 626][1]

الحسن بن عيسى بن سراج ، أبو علي المعروف بالناسخ ، الشيخ الصالح .

مولده سنة سبعين وخمسمائة .

وصحب جماعةً من الصالحين ، وانقطع بسفح المقطّم . ثمّ توجّه إلى الإسكندريّة فتوفّيَ بها في يوم الجمعة سابع عشرين ذي الحجّة سنة ستّ وعشرين وستّمائة .

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليغموري : وجدتُ بخطِّ الشريف صدر الدين البكري : سمعت الشيخ أبا علي الحسن بن أحمد بن أبي القاسم الصقلّي القرشي يقول وقد حضر البطّيخ فقال : هل صحّ عندكم يا أهلَ الحديثِ كيف أكل النبيُّ ﷺ البطّيخ ؟

فقلت : ما أحفظ في هٰذا شيئاً .

فقال : سمعت الشيخ أبا علي الناسخ بمصر ، وكان من الصالحين الكبار يقول : رأيت النبيّ ﷺ في المنام فقلت له : يا رسول الله ، كيف يؤكل البطّيخ ؟

فقطع شقّة وأكلها من جهة اليمنى إلى نصفها ثمّ حوّلها إلى الجانب الآخر

(1) التكملة لوفيات النقلة 3 / 255 (2271) .

وأكلها حتى فرغت ، وقال : هكذا يؤكل البطّيخ .

فمن يوم سمعت منه هٰذه / الحكاية لم آكُلِ البطّيخ إلّا بهٰذه الصفة . [374 أ]

وقال المنذري الحافظ : سمعت أبا علي الناسخ يقول : قال لي أبو عبد الله ٱبن شعيب : كنت واقفاً ، وقد رآني الشيخ أبو العبّاس العزفي - بالزاي - فقال بعض أصحابه : قل للشيخ : يقول لك تفطر عندنا الليلة .

فجاءني وقال لي ذلك . فقلت له : [لا .

فقال :][1] قل له : لمَ ؟

فقلت له : ترضى أن أترك أن أكون على باب الله تعالى وأكون على بابِك ؟

1208 - الحسن بن غالب الطرسوسيّ [- بعد264][2]

ولّاه أحمد بن طولون الشرط مكان طخشي بن بلبرد في جمادى الأولى سنة أربع وستّين ومائتَين . ثمّ صرفه بإبراهيم بن بلبرد[3] في ثامن رجب .

1209 - غلام الهراس [374 - 468][4]

الحسن بن القاسم بن عليّ ، أبو علي ، الواسطيّ ، المقرىء ، المعروف بـ«غلام الهراس» شيخ القرّاء ومسند العراق .

ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، ورحل في طلب القراءات شرقاً وغرباً .

---

(1) الكلام منقوص ، والزيادة منّا .

(2) الكندي ، 217 ، 49 .

(3) هو أخو طخشي (الكندي ، 219) .

(4) غاية النهاية 1 / 228 (1040) - الوافي 12 / 204 (179) - العبر 3 / 268 .

وقرأ على صاحب ابن مجاهد .

وعمّر ، وتأخّرت وفاتُه عن رفقائه . وقرأ القرآن بالروايات قبلَ الأربعمائة وبعدها ، على غير واحد ، بواسط وبغداد والكوفة والبصرة وحرّان ومصر .

وكان أعورَ بفرد عين . ثمّ شاخ وعميَ . ورحل الناس إليه من الآفاق وقرؤوا عليه ، وكان يلقّب « إمام الحرمين » .

وتوفّي يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى سنة ثمان وستّين وأربعمائة . فمِمّن قرأ عليه : عبيد الله بن إبراهيم مقرىء أبي قرّة ، قرأ عليه للدوريّ عن قراءته على أبي بكر بن مجاهد . وقرأ بواسط على عبد الله بن أبي عبد الله العلويّ صاحب النقّاش . وببغداد على عبد الملك النهروانيّ ، وأبي أحمد بن أبي مسلم الفرضيّ ، وأبي الخضر السوسنجرديّ[1] ، و[أبو] بكر بن شاذان ، والحسن بن محمد السامريّ ، وعلي بن أحمد الحمّاميّ وجماعة . وقرأ بالكوفة على القاضي محمد بن عبد الله الجعفي الهَرَوانيّ[2] ، وأبي الحسن محمد بن جعفر النحويّ ابن النجّار . وبدمشق على أبي علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازيّ ، والحسين بن عبد الله الرهاوي .

وتصدّر بدمشق للإقراء مُدّةً في حياتها[3] . ثمّ حجّ وجاور . وقرأ على محمد بن الحسين الكازريني . وقرأ بحرّان على أبي القاسم الزيدي . وقرأ بمصر على أبي العبّاس بن نفيس . وبالبصرة على الحسن بن عليّ بن [أحمد] بن بشّار النيسابوريّ صاحب [أبي بكر][4] النقّاش . وروى الحديث .

وللبغداديّين فيه كلام . قال فيه أبو الفضل بن خيرون ، وقد سُئل عنه :

---

(1) اسمه في غاية النهاية 1 / 73 (321) : أحمد بن عبد الله بن خضر ، وكنيته أبو الحسن (325 – 402) .

(2) له أيضاً ترجمة في غاية النهاية 2 / 177 (3152) .

(3) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : في جامعها .

(4) الزيادة من غاية النهاية 1/ 222 (1007). والنقّاش شيخ القرّاء محمد بن الحسن (ت 351) .

مطرّز معلّم كذّاب .

وقال هبة الله بن المبارك السقطيّ : كنت أَحَد من رحل إلى أبي علي ، فألفيت شيخاً عالماً فَهِماً صالحاً صدوقاً متيقّظاً نبيلاً وقوراً .

وقال أبو الفضل بن خيرون : كان غلام الهراس مقرئاً ، غير أنّه خلط في شيءٍ من القراءات ، وأدّعى إسناداً في شيءٍ لا حقيقة له ، وروى عجائب .

وقال ابن السمعانيّ : قرأ أبو علي بالأمصار ، وسافر في طلب القراءات وأتعب نفسَه في التجويد والتحقيق حتى صار طبقة العصر ، ورحل الناس إليه من الأقطار .

1210 - الوزير ابن أبي كدينة [- 466][1]

الحسن بن مجلّي بن أسد بن أبي كدينة [...] ، الوزير الأجلّ الأوحد ، جلال الإسلام ، ظهير الإمام ، قاضي القضاة ، وداعي الدعاة ، شرف المجد ، خليل أمير المؤمنين وخالصتُه ، أبو محمد ، ابن القاضي ثقة الدولة وسنائها .

كان سيّء الخلق قاسيَ القلب . ويُقال إنّه مِن وَلَد عبد الرحمان بن ملجم . تردّد في الوزارة والقضاء ، فولي الوزارة خمسَ دفعات ، أوّلُها بعد صرف أبي غالب عبد الظاهر بن الفضل في سابع عشرين شعبان سنة خمس وخمسين وأربعمائة . وأضيف إليه القضاء عوضاً عن عبد الحاكم بن وهيب[2] . وقبض عليه في خامس ذي الحجّة منها . ثمّ أعِيد إلى القضاء فقط بعدَ جَلال المُلك أحمد بن عبد الكريم في ثالث عشرين المحرّم سنة ستّ وخمسين . وصُرف

---

(1) الإشارة ، 51 ، ابن ميسّر (ماسي) ، 23 .

(2) أبو القاسم عبد الحاكم بن وهيب ، وهو غير أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم الذي تولّى أيضاً الوزارة (الإشارة ، 50 - ابن ميسّر ، 14) والآتي بعد قليل بلقب جلال الملك .

عنه بأبي غالب عبد الظاهر في تاسع عشر ربيع الآخر منها . وصُرف عنهما في رابع ذي الحجّة ، ثمّ أعيد إليهما بعد فخر الملك أبي شجاع محمد ابن الأشرف أبي غالب محمد بن علي بن خلف في حادي عشرين المحرّم سنة سبع وخمسين . فبقي أربعة أيّام وصُرف عنهما في سادس عشرينه . فولي فخر الملك الوزارة ، وولي جلال / الملك أحمد القضاء . ثمّ أعيد في النصف من جمادى [374ب] الآخرة إلى الوزارة والقضاء ، وصُرف عنهما في نصف رجب . ثمّ أعيد وصُرف في سادس عشرين صفر سنة ثمان وخمسين بجلال الملك . [ثمّ أعيد] إلى القضاء في يوم الثلاثاء ثامن المحرّم سنة تسع وخمسين وصُرف بأبي القاسم عبد الحاكم بن وهيب . ثمّ أعيد في سابع جمادى الآخرة . ثمّ صُرف بعبد الحاكم في ثالث عشرينه . وأعيد في ربيع الأوّل سنة ستّين إلى القضاء والوزارة معاً ، وصرف في جمادى الأولى . ثمّ أعيد يوم عيد النحر ، وصُرف عن القضاء بعبد الحاكم بن وهيب في ثالث عشرين صفر سنة إحدى وستّين . ثمّ ولي الوزارة والقضاء جميعاً بعد خطير الملك محمد بن الحسن بن علي اليازوريّ في شوّال . وصرف عن القضاء في ذي القعدة بعبد الحاكم بن وهيب . ثمّ ولي في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين الوزارةَ والقضاء والدعوة .

فلمّا قدم أمير الجيوش بدر الجمالي إلى القاهرة وأستولى على أمور الدولة وقتل رجالها ، بعث بأبن أبي كدينة إلى دمياط وقتله بها . ولمّا دخل عليه السيّافُ ليضربَ عُنقَه ، كان السيفُ كليلاً ، فضربه به عِدّة ضرباتٍ ، يقال إنّها إحدى عشرة ضربة وهي عدّة ولاياته[1] . وذلك في جمادى الآخرة سنة ستّ وستّين [وأربعمائة][2] .

(1) الحساب في هذه الرواية المملّة مختلّ : فالوزارات ثماني لا خمس ، والولايات عشر فقط . وعند ابن ميسّر23 عدد الضربات سبع ، مثل عدد الوزارات . امّا الولايات فاربع عشرة . ولعلّ التدقيق المفرط من المقريزي وسالِفه يفسّر بميلهما الى ما يسمّى غريب الاتّفاق .

(2) في المخطوط : وخمسمائة .

1211 - أبو علي البغداديّ المقرىء [- 438][1]

الحسن بن محمد بن إبراهيم ، أبو علي ، البغداديّ ، المقرىء ، الفقيه المالكيّ ، مصنّف كتاب الروضة في القراءات [الإحدى عشرة] .

قرأ على أبي أحمد [عبيد الله بن محمد] الفرضيّ ، وأحمد بن عبد الله السوسنجرديّ ، وأبي الحسن ابن الحماميّ ، وعبد الملك النهروانيّ ، وطبقتهم.

وقرأ بالكوفة على محمد بن عبد الله الهروانيّ ، ومحمد بن جعفر النجّار .

وقدم مصر وسكنها وصار شيخ الإقراء بها . قرأ عليه أبو القاسم [يوسف بن علي] الهذليّ ، وأبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن غالب الخيّاط ، و [محمد] بن شريح [الإشبيليّ] صاحب الكافي . وروى الروضة عنه علي بن محمد بن حميد الواعظ .

توفّي في رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

1212 - ابن كاسيبويه الكاتب [- 588][2]

الحسن بن إسماعيل بن كاسيبويه ، قاضي عسقلان ، أبو علي ، القاضي المؤتمن ، السعيد ، جلال الملك ، الأشرف ، ضياء الدين .

... وروى عن أبي عمرو عثمان بن فرح العبدريّ الأندلسيّ . وكتب في ديوان الإنشاء بالقاهرة عند الموفّق أبي الحجّاج يوسف بن الخلّال مدّة . فلمّا عمي ابن الخلّال استنابه في الديوان ، وكان الديوان قد صار مقسوماً بين ابن

(1) غاية النهاية 1/ 230 (1045) والزيادة منه وفي تراجم شيوخه يسمّيه : الحسن بن علي ابن إبراهيم .

(2) الخريدة (مصر) 1/ 54 .

الخلّال وبين القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسانيّ . فباشر المؤتمن نيابة عن ابن الخلّال شركةً للقاضي الفاضل ، إلى أن قدم أسد الدين شيركوه إلى القاهرة ووليَ الوزارة للعاضد . فسأل أن يعيَّن له كاتب من كتّاب الإنشاء . فبعث إليه العاضد بالقاضي الفاضل ، فكتب لشيركوه ثمّ لصلاح الدين يوسف . ولزم المؤتمن بيتَه مدّةً إلى أن قدم التاج أبو اليمن الكنديّ إلى مصر [و]سكن برحبة الجامع الأزهر . فصحبه المؤتمن ، وتوصّل به ، إلى أن آستخدمه عند الأمير عزّ الدين فرخشاه [بن شاهنشاة بن أيّوب] ، وسار معه إلى دمشق . فلمّا مات فرخشاه[1] خدم بعده الملكَ المظفّر تقيّ الدين عمر بنَ شاهنشاه بن أيّوب . ثمّ خدم الملك الظاهر غازي ، ثم صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، وتوجّه معه إلى حلب ، ثمّ عاد معه إلى دمشق وأقام بها في خدمته .

قال العماد الكاتب في حقّه : هو من صدور الكتّاب بمصر الذين يثنى عليهم الخنصر . ولم يزل في الدولة المصريّة مقدّماً مصدّراً ، وبِكرُ فضلِه خلفَ حجابِ الصَّوْن مخدّراً ، ما أحسَنَ أثَرَ يراعتِه خطًّا ، ومأثولَ براعته خطْباً ، وما أمكن خاطرَه المنير في سماء النظم لِفَلَك المعاني قُطباً . ولمّا زالت الدولة حار ا[بـ]ـن كاسيبويه وكاد يخفى ، ولو أنّه في العلم سيبويه . فآواه القاضي الفاضل ، وغمرَتْه منه الفواضل ، وناضل عنه ، وصيّره عزّ الدين فرخشاه ابن شاهنشاه آبن أيّوب وزيرَه . وهو سهل العبارة سلسها ، مبتدع الاستعارة مختلسها ، كتابتُه حلوة معسولة ، من كُلَف الصنعة مغسولة . وله نظم يناسب نثره سلاسة ونهجاً . فمِن ذلك قوله في عزّ الدين [فرخشاه] وهو في الغزو ، من أبيات [كامل] :

[375 أ] يا سيّدَ الأملاك غيرَ مدافع   والمنتمي منهم لأكرم مُنتمَى /
والكامل العزّ الذي أضحى له   فضلُ التفرّد بالكمال مُسَلَّما

(1) مات فرّخشاه ابن أخي صلاح الدين في أوّل جمادى الآخرة 578 (السلوك 1 / 79 – النجوم 6 / 23) .

وَسَمَتْ محاسنُك الزمَانَ فلم تَدَعْ ... وقتاً من الأوقاتِ إلّا موسِما
وَسَمَتْ فجاوزتِ السماءَ ، مناقبٌ ... قد خلّفَت مِن خَلفِهِنَّ الأنجُما
ذعَرَت مهابتُك الليوثَ خوادر[ا] ... وثنت عزائمُك الخميس عرمرَما
أزرت خلالك بالحسام إذا مضى ... عند الضريبةِ والغمام إذا همى
وشفعتَ فضلَ براعةٍ بشجاعة ... جعلَت لك النصرَ المعجَّل مَغنَما
لا غروَ أن جرّ الجيوشَ مقدّماً ... من كان قد شهدَ الوقائعَ مُقدِما
شوقي إلى المولى وإن قرُبَ المدى ... لِلقائه ، شَوقٌ يزيد تضرُّما
ما راق عيشٌ بَعْدَ بُعْدِ ركابه ... كلّا ، ولا عدِمَ الجنانُ تألُّمَا
قَسماً ، لقد هجر الكرى جفني ، فلا ... يعتاده حتى يَعُودَ مُسَلَّمَا

وتوفّي بدمشق في أوّل رمضان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وهو يكتب للملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين يوسف ، وعمره يومئذ خمس وستّون سنة . قال القاضي الفاضل : وكان من أعيان الكتّاب وعقلائهم ، تنقّلت به خدم كثيرة في الديار المصريّة ، وخدم بديوان المكاتبات بمصر مدّةً ، سنة أربعين وخمسمائة وهلمّ جرًّا . وكان مشكور الطريقة ، سهل الألفاظ ، صحيح المعاني ، مستجيب الخاطر ، حسنَ الخطّ ، جميل المحاضرة . وخلّف بنتاً وأخاً رحمه الله .

ومن مصنّفاته كتاب الغلمان وكتاب الجواري ، وله عدّة رسائل .

1213 – بدر الدين الحسنيّ النسّابة [– 809][1]

حسن بن محمد بن حسن ، السيّد الشريف ، بدر الدين ، أبو محمد ، النسّابة ، الحسنيّ ، الشافعيّ .

(1) الضوء اللامع 3 / 123 (474) وقال : ذكره المقريزيّ في عقوده ، ولعلّ هذا ما يفسّر اقتضاب الترجمة هنا . وقال السخاويّ : هو سبط الشريف النسّابة حسن بن محمد بن =

حدّث عن الوادي آشي ، والميدوميّ ، وآستقرّ نسّابة الأشراف بديار مصر دهراً طويلاً . وولي مشيخة خانكاه بيبرس ، حتى مات في سادس عشر شوّال سنة تسع وثمانمائة وقد قارب التسعين .

ولم يكن فيه ما يُمدح به إلّا أنّه علويّ .

1214 – أبو محمد الصِّلحيّ الكاتب [– 376] (1)

حسن بن محمد ، أبو محمد ، الصلحيّ – بكسر الصاد – الكاتب ...

... وخلف أبا بكر محمد بن رائق على أمور الحضرة ببغداد في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة . وجلس للنظر في المظالم نائباً عن ابن رائق . وحضر مجلسَه قاضي القضاة والشهود ووزراء الحضرة وكتّابُها . وكتب لتكين الشرابيّ .

وتصرّف قديمًا بفارس في أعمال جليلة ، وآخر عمل تقلّدَه كتابة أمير المؤمنين المطيع لله على ضياعه وداره في سنة إحدى وخمسين [وثلاثمائة] . فكان المطيع يؤانسه ، وإذا مشى في الدار مشى معه ، ويحادثُه ويفيضُ معه في ألوانٍ غير ما يتعلّق بالعمل ، ويُفضِي إليه المطيعُ بأموره . فلمّا فسدت أمورُ الحضرة وانقرض تدبير السلطان بها ، خرج من بغداد إلى مصر .

1215 – الحسام الغوري قاضي الحنفيّة [– 771] (2)

حسن بن محمد بن محمد ، الغوريّ ، قاضي القضاة ، حسام الدين ،

= أيّوب المتوفى سنة 766 (الضوء اللامع 3 / 121 (472)) – الدليل الشافي 1 / 270 (928) – النجوم 13 / 164 – السلوك 4 / 48 .

(1) الوافي 12 / 222 (202) ومنه ضبطنا تاريخ الوفاة .

(2) السلوك 2 / 442 ، 490 ، 603 ، 611 – النجوم 10 / 60 – الطبقات السنيّة ، 3/ 107 (713) . الجواهر المضيئة ، 2/ 88 (478) هامش 1 ، ومنها سنة وفاته .

البغداديّ ، الحنفيّ ، محتسب بغداد .

قدم صحبة نجم الدين محمود بن عليّ بن شروين وزير بغداد في سابع عشر صفر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة . ثمّ خلع عليه ، واستقرّ قاضي القضاة الحنفيّة بالقاهرة ومصر ، عِوضاً عن برهان الدين إبراهيم بن عليّ بن عبد الحقّ ، في ثامن عشر جمادى الآخرة منها . فسار في القضاء سيرةً غيرَ معهودة ، من تسلّطه بلسانه على الناس ، وتكلّمه بمَا لا يُحمَل ، وفعله في قضائه بمَا يسخر منه .

فلمّا مات السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأُقيم ابنُه الملك المنصور أبو بكر في السلطنة ، كتب الغوري ورقةً إلى الموفّق هبة الله بن إبراهيم ناظر الدولة – وقد تأخّر صرف معلومه – يذكر فيها مساوىء القبط بمَا فيه فُحش وبشاعة ، فبلّغوا ذلك للسلطان . فلم يكتفِ بمَا كتبه حتّى ذكر للسلطان في دار العدل بحضرة رفاقه القضاة والأمراء ، عن الكتّاب قبائح لم يكن فيها عن سبّ[1] . فغضب / السلطان على مشافهته بذلك وطلب خروج القضاة الوزير [375ب] نجم الدين محمود وزير بغداد ، وأنكر على الغوريّ ما صدر منه وأنّه لولا أنّه رفيقك لضربتُه بالمقارع . فطلبه الوزير وبالغ في تعنيفه وتوبيخه ، وعرّفه تغيُّرَ السلطان عليه .

ثمّ لمّا أقيم الناصر أحمد في السلطنة حضر القضاة بجامع القلعة ليبايع له الخليفة على العادة . فجمع بعض زفوريّة[2] المطبخ السلطانيّ جمعاً من رفاقه وهجم الجامعَ بهم . فأقاموا الغوريّ من بين القضاة ومزّقوا ثيابه وخرقوا عمامته في عنقه وصاحوا بسبّه[3] وتناولوه بالنعال يضربو[نـ]ـه وهو يستغيث : يا مسلمين ، يجري على قاضٍ من قضاة المسلمين مثل هٰذا ؟ !

(1) هكذا في المخطوط : ولعلّها : لم يكفّ فِيها عنّ سبّ .
(2) لم نجد هذه الكلمة في المعاجم ، وإنّمَا يُعرَف الزفر ، وهو الغليظ الشرس البذيء من الناس . وفي السلوك والنجوم : صبيّ من مطبخ السلطان .
(3) في السلوك والنجوم أنّ الطبّاخ حقد على القاضي لأنّه حكم لزوجته في قضيّة بينهما .

فأدركه بعض الأمراء في عدّة من المماليك وقبضوا على طائفة من العامّة فضُربوا . وحُمل الغوريّ إلى بيته بالصالحيّة . فما هو إلّا أن ٱستقرّ به [حتّى] ثارت العامّة وٱقتحموا عليه البيت ونهبوا جميعَ ما فيه . وكان يوماً شنيعاً .

وشرع القضاة في كتابة محاضر بمَا كان يفعلُه ليثبتوا فِسقَه وكانت أنفسُهم قد ٱمتلأت عليه حنقاً ، لقبح أفعاله التي لا تليق بالحكّام ، وجرأته عليهم . فإنّه كان إذا جلس بدار العدل يأخذ المجلسَ بحديثه مع السلطان بالتركيّ ، وينكّت على القضاة ويضع منهم . وإذا تخاصم إليه رجل وٱمرأتُهُ ، قام في نصرة المرأة . وتصدُر منه مع ذلك قبائح ، منها أنّ ٱمرأةً دخل بها أبوها إليه فٱدّعَت على زوجها بمبلغ صداقها وكسوتها ، فإذا نجم[1] صداقها في كلّ سنة دينار . فأمرها بكشف وجهها فكشفَت عن صورة جميلة فقال لأبيها : يا مدمّغ[2] ، مثل هٰذه تزوّجها بدينار كلّ سنة ؟ والله يا مدمّغ يسوي مبيتها كلّ ليلة مائة درهم ! – ثمّ قال لزوجها : يا نحس ، تستغلي أن تكون هٰذي بهٰذا القدْر ؟ والله أنت أدمغ من أبيها !

وكان يكثر من السخف ، بحيث إنّه قال للأمير قوصون بحضرة الأمراء إنّه ، وهو محتسب ببغداد ، وقف على دكّان حلوانيّ قد عمل من دبس القَسْب سياطة بيضاء وأخبره أنّه قصّرها بالبيض[3] . فقال له : ويلك ! مجنون أنت ! أنا عندي جارية سوداء لي عشر سنين أقصّرها بالبيض ما ٱبيضّت !

وٱدّعت عنده ٱمرأة على زوجها بحقّ وجب فيه حبسُه ، فأمر بحبسه . فقال الرجل : وتكون ٱمرأتي في سجن البغداديّة حتى أحصّلَ ما لَها عليّ ؟

فقال القاضي : أنت مجنون ! أنا أحقُّ من البغداديّة ! – وأشار لنقيبه

---

(1) نجم صداقها ، أيّ أنّ الزوج يدفع أليها صداقَها منجّما في أقساط معلومة .
(2) المدمّغ والملموغ : مخلوط العقل أيضاً .
(3) القصّة في السلوك 2 / 611 أكثر وضوحاً . والقسب تمرٌ يابس ، والتقصير للثوب والصوف تنظيفه وتبييضه . والسياطة لم نعرفها .

فأطلعها إلى طبقة في دار القاضي ، فأقامت عنده أشهراً . وكانت المحاكمة عنده بين الخصمَين تُقيم مدّةً لكثرة عيّه وتلبيكه[1] الأمورَ .

ودعي مرّة إلى عقد نكاح بعض أولاد الأمراء ، فدخل هو والقضاة الثلاث[ـة] ، وقد بسط البيت بالحرير المزركش . فتجنّب القضاة الجلوسَ على ذلك ، إلّا هو ، فإنّه جلس عليه وقال : يا جماعة الجند ! انظروا فعل هؤلاء : يتركو[ن] الجلوس على هٰذا الحرير ! وأقسم بالله العظيم لو قدروا عليه لباعوه وأكلوا ثمنَه !

فضحك الحاضرون ، وٱشتدّ ذلك على القضاة .

فلمّا تهيّأت المحاضر عليه قصدوا إراقةَ دمه ، فقام الأمير طشتمر حمص أخضر نائب السلطنة في حقّه ، حتى حكم الشيخ تقيّ الدين السبكي بسفره من أرض مصر ، فأخرج في [...] سنة ٱثْنَتَيْن وأربعين وسبعمائة . وٱستقرّ عوضَه في قضاء القضاة الحنفيّة زين الدين عمر بن عبد الرحمان البسطاميّ .

1216 – الحسن ابن الجرّاح الكاتب [209 – 269][2]

الحسن بن مخلد بن الجرّاح ، أبو محمد ، الكاتب ، الوزير ، البغداديّ .

تنقّله في الوزارة ببغداد

أصله من دير قُنّى . ولد في سنة تسع ومائتين . وخدم في دور الخلفاء بالكتابة وتنقّل في الرتب [...] والنفقات . [و]تقلّد ديوان الضياع بعد إسحاق بن منصور في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين . فكتب إلى عمّال

(1) لبّك الأمر : خلطه . وفي السلوك أمثلة أخرى من سوء تصرّف هذا القاضي في أحكامه .
(2) الأعلام 2 / 237 – الوافي 12 / 267 (239) – الفخري ، 251 – النجوم 3 / 37 ، 45 – دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 883 .

المشرق والمغرب ثلاثمائة كتاب ، إلى أن كتب للموفّق أبي أحمد طلحة . وتعيّن للوزارة وذكر لها عندما تقلّد المعتمد الخلافة . ثمّ خلف الوزير أبا الحسن عبيد الله آبن يحيى بن خاقان . فلمّا مات ابن خاقان أُحضر الحسن في يوم السبت لإحدى عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وستّين ومائتين ، وهو غدُ اليوم الذي
[376أ] مات فيه آبن خاقان ، واستوزره/ المعتمد ،وخلع عليه في يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت منه ، فآجتمعت له الوزارة وكتابة الموفّق .

وبقي أيّاماً إلى أن دخل موسى بن بُغا سرَّ مَن رأى ، فسأل المعتمد أن يستوزر سليمَان بن وهب ، فأجابه إلى ذلك . فبلغ الحسن الخبر فآستتر في اليوم الرابع من دخوله وسار إلى بغداد . وكانت وزارتُه هٰذه تسعةً وعشرين يوماً .

ثمّ قبض عليه عبيد الله بن سليمَان بن وهب بعدما وليَ أبوه ، لستٍّ خلون من المحرّم سنة ثلاث وستّين [ومائتين] وظفر به بعد ثلاثة أيّام وعذّبه وطالبه بالأموال ، وأخذ خطّه بألف ألف دينار . فأكبر جميع الكتّاب ذلك وعدّوه من عظيم خطإ سليمَان وآبنِه إذ سنّا مطالبةَ الكتّاب بمثل هٰذه الأموال . وآبتدأ الحسن بأداء المال شيئاً فشيئاً .

وكان الذي فعل به موسى بن بُغا . فتوفّي موسى في المحرّم سنة أربع وستّين ، وأخرج الحسن من محبسه وأسقط ما كان عليه وردّت عليه ضياعُه . وقُبض على سليمَان وقُيّد ونهبت دارُه ، في ربيع الآخر . وأعيد الحسن إلى الوزارة ثانياً بعد سليمَان بن وهب في شوّال منها ، وخلع عليه . فلم تمضِ له الأمور ، وهرب إلى بغداد ، فكُتب في قبض أمواله . ووليَ بعده الوزارةَ أبو الصقر إسماعيل بن بلبل مدَيدةً يسيرةً .

فتذكّر المعتمد كِفاية الحسن بن مخلد ، فآستفتى الفقهاء في اليمين التي حلفها للموفّق أن لا يستعمل الحسن ، فرُخِّص له في ذلك . وعُزل ابن بلبل وجرت أحوال من القوّاد ، وغلت الأسعار . فأشاروا على المعتمد أن يوليَ الحسن ،

فقبل منهم وقلّده الوزارة مرّة ثالثة ، وخلع عليه في جمادى الأولى سنة خمس وستّين . فأوقع بآل وهب وطالبهم بالأموال وأُخذت خطوطهم بسبعمائة ألف دينار ، وأخذ خطّ ابن الفرج كاتِبهم بمائة دينار ، فقال الناس : هٰذه سُنّتُهم التي سنُّوها على الحسن بن مخلد .

تحوّله إلى مصر

ثمّ تغيّرت الموالي على الحسن [بن مخلد] فركبوا إلى داره وقبضوا عليه ومضوا به إلى مضاربهم مكشوفَ الرأس بلا سراويل . ثمّ حُمل إلى الأنبار ، فسار إلى الرقّة وبها أبو الفتح .... [فكتب] إلى أحمد بن طولون بقدوم الحسن ٱبن مخلد إلى الرقّة منفيًّا . وكتب الحسن إليه أيضاً أن يكون عنده بمصر ، فكتب أحمد بن طولون بحمله مُكرّماً . فقدم إلى مصر في أواخر سنة خمس وستّين .

وكان سبب لحاقه بأحمد بن طولون ما أسلف إليه أحمد في وزارته . وذلك أنّ أحوال أحمد بن طولون لمّا اتّسَعَت وعظُم صيتُه ، كتب فيه ماجور من دمشق وهو يتقلّدها مِن قبل المعتمد على الله : أمّا بعد فإنّه قد ٱجتمع لأحمد ٱبن طولون أكثر ممّا كان تجمّع لأحمد بن عيسى بن شيخ ، والخوفُ منه أكثر ، إذ كان فيه من الفضل ما ليس في أحمد بن شيخ .

وكتب فيه أيضاً أحمد بن محمد بن مدبّر ، وهو على خراج مصر ، وشقير الخادم متولّي البريد بمصر في معنى هٰذا . فورد على أحمد بن طولون من الحضرة كتاب : أمّا بعد فإنّا رأينا أن نردّ إليك أمرَ دارنا بالحضرة وتدبيرَ مملكتِنا . فإذا قرأت هٰذا فٱستخلف على قصرك مَن أحببتَ ، والبلدُ لك وبٱسمك ، وٱشخص إلينا فيمَا ندبناك إليه ورأيناك أهلاً له ، والسلام .

فلمّا قرأ أحمد بن طولون الكتابَ ، عرف بمَا فيه من الدهاء والذكاء وغزارة العقل وقوّة الحزم ، أنّها حيلة عليه حتى يقع في القبضة . فأنفذ كاتبه أبا

عبد الله أحمد بن محمد الواسطيّ إلى الحضرة ومعه مال كثير إلى الوزير الحسن بن مخلد ، وأضاف مع المال شيئاً من دقّ تنيس ودمياط وكثيراً من الخيل والبغال والطرف ، وكتب إليه يسألُه أن تشملَه عنايتُه في الإقامة على عملِه ، وأن يُطلقَ له ولدَه وحرمه . فلمّا وصل ذلك إلى الحسن قال : ما نزعجه عن عمله ولا نقبل فيه قولَ ساعٍ يسعى فيه .

وركب هو ويارجوح صاحب أحمد بن طولون وأبو آمرأته إلى أمير المؤمنين المعتمد على الله ، وأحسنا القول في أحمد بن طولون وصغّرا ما كتب به ماجور وابن مدبّر وشقير . فأمر بتثبيتِ عملِه في يده . فكتب إليه الوزير الحسن بن مخلد بذلك وأطلق له حرمه وولدَه ، فقدم عليه بهم الواسطيّ ، فسرّ بذلك سروراً كثيراً ، وتصدّق بصدقات جليلة المقدار ، وحمل / إلى الحسن هدايا سنيّة ومالاً [376ب]
كثيراً ، وكتب يشكره على ما كان منه ويستدعي بالكتب التي كُتِبت في حقّه . فلمّا ملأ عيْنَ الحسن وقلبَه أنفذ الكتب إليه . فلهٰذا لحق الحسن بأحمد بن طولون وآختاره .

تولّيه الخراج بمصر

قال الصوليّ : لمّا قدم الحسن بن مخلد على أحمد بن طولون رأى منه ما لم ير مثلَه قطّ من الفهم والدراية بأمور الدنيا ، فحظي عنده وقرّر أن يستكتبَه وقال له : آنظر في الأعمال بمصر . – فنظر فيها فضمن له زيادة ألف ألف دينار في آرتفاعها ، على أن يكون العدلُ أفشى والناسُ أرضى . فخافه الكُتّاب فدسُّوا إلى ابن طولون من قال له : هٰذا عينٌ للناصر أبي أحمد الموفّق عليك . – فحبسه وعذّبه إلى أن قتله . وما وثق الكتّاب بحبسه بمصر وخافوا أن يحتاج إليه حتّى قالوا : من حقّ هٰذا أن يُحبسَ في غير مصر ، فإن حدث به حادثٌ لم يكن في جوار الأمير ولا ينسب إلى أفعاله . – فأنفذه إلى أنطاكية وتقدّم إلى صاحبه بها أن يعذّبه ، فمات في الحبس بأنطاكية في سنة تسع وستّين ومائتين .

وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر أنّه مات بحبس ابن طولون بمصر في صفر سنة إحدى وسبعين ومائتين .

وذكر غيرُهما أنّه مات في سجنه بأنطاكية يوم الأحد لخمس خلونَ من شعبان سنة سبع وستّين ومائتين .

سبب تنكّر ابن طولون له

وذكر أحمد بن يوسف الكاتب في سيرة آبن طولون أنّ أحمد بن طولون لمّا وصل إليه الحسن بن مخلد أظهر إكرامَه وإعزازه وآلتجمّل به والتشرّف . ولم يزل عنده على هٰذه الحال إلى أن تأمّل أحمد بن طولون منه أنّه يرى أنّ فعلَه ذلك به لآستحقاقٍ و[هو] فرضٌ واجبٌ عليه ، وأقبل يتبسّط بين يديه تبسّط المتبوع من التابع ، إدلالاً وآطّراحاً للهيبة ولتَوفيَةِ الحقّ . فأحفظه ذلك عليه . وكان ينادمه ، فحضر يوماً محبوب بن رجاء معه بحضرة أحمد بن طولون ، فقال لمحبوب على جهة المداعبة [مقتضب] :

فاح ريح الحماحم من سراويل قاسم

يعرّض بأنّ أمّ محبوب آسمُها قاسم . وذهب عنه أنّ آسم أمّ أحمد بن طولون [قاسم . فقال ابن طولون :] أتذكر أمّي – وقد كانت حصاناً – أو تقول فيها هٰذا ؟ إنّما المنكر أن يكون الوزير أخيفَ[1] أو أزرقَ أو أعورَ – وكانت إحدى عينيّ الحسن زرقاء والأخرى سوداء – فهٰذا مشؤوم في الدوابّ ، فكيف في الوزراء ؟

فأحفظ ابنَ طولون قولُ الحسن بن مخلد وخبّأ ذلك له . فلمّا كان بعد أيّام أحضرَه أحمد بن طولون لمنادمته على الرسم . فغنّى – وقد سكر – بالنبطيّة

---

(1) الأخيف من اختلف لونُ عينيه .

وصفّق بيديه ، ثمّ زاد عليه السكر وملكه فقال [هزج] :

أيا ويحك كم تصعدْ لقد جزتَ مَدَى الفرقدْ
فلو زلّ بك النّعلا ن لَأَسْتَوْبَأْتَ ما تحمَدْ[1]

فاغتاظ أحمد بن طولون غيظاً شديداً ، وأمَر به فَجُرّ برجله إلى الحبس . فما زال محبوساً حتى خرج أحمد بن طولون إلى الشام ، فحمله مقيَّداً معه ، فمات في الطريق ، فدُفِن في قصر عيسى بن شيخ بالخشاشي[2] .

بعض مناقبه

وكان الحسن بن مخلد يحبّ الأدب وأهله ويصلهم . ولم يكن له حظّ جزيل فيه كحظّه في علم الخراج ومعرفة الضياع والإقطاع ، لأنّه لم يطلبه صغيراً وإنّما أحبّه حين اتّصل بإبراهيم بن العبّاس الصوليّ فرأى أدبَه وعلمه . فكانت شهوتُه له أكثرَ من حظّه منه .

وكان أجلّ الناس لباساً وطيباً ومركوباً ومنزلاً وآلةً وغلماناً وداراً . وكان خدمُه يركَبون إلى الميدان في يوم الجمعة بالجنائب الكثيرة ، والغلمان الدونة في الوشي والديباج المنسوج بالذهب . وكان في داره من الفرش المعلّقة والمبسوط[ـة] ما قيمتُه مائةُ ألف دينار . وكان يُعاتَب في ذلك فيقول : أمرُ أمثالنا يجيءُ جملةً ، فلمَ لمْ نتعجّلْ باللذّة ونبادرِ الفرصةَ ونتمتّعْ بصفوِ الزمان قبل كدرِه ؟

وكان يقال : ما لا يعلمُه الحسنُ بن مخلد من الخراج فليس هو في الدنيا .

وكان عظيم الجسم ، مهيب المنظر ، قويّ الحجّة ، شديد المعارضة ، لا

---

(1) أستوبأ الطعامَ : كرهه وأستثقله معدته . والقراءة بعد ظنّيّة .

(2) هكذا في المخطوط ، ولم نهتد إلى هذا المكان . ولعلّه تحريف للشيبانيّ وهي نسبة عيسى بن الشّيخ الثائر على أحمد بن طولون في سنة 256 . ومات عيسى سنة 269 (دول الإسلام ، 163) .

يُقدَّمُ في وقته أحدٌ عليه ولا يُقاس به . ومن شعره [مخلّع] :

من صادر الناسَ صادروه   وأعنتُوه وما كروه / [377أ]
وجاحدوه الحقوق أصلا   وبالأباطيل ناظروه[1]
بمثل ما راح من قبيح   أو حسَنٍ منه باكروه

قال يوسف بن يعقوب قوصرة : آعتذرتُ إلى الحسن بن مخلد فقال لي : لا عليك ، أعزّك الله ، من صادر الناسَ... الأبيات الثلاثة ، وما كنتُ أظنُّ أنّه يقول الشعر . قال لي الحسن بن عليّ : وما سمعتُ له شعراً غيرَ هٰذا .

وكان يقال : أهيب الكتّاب مجلساً وخطاباً آثنان : عمر بن الفرج الرُّخَّجِيّ[2] والحسن بن مخلد ، لعلمه بأمور الدنيا .

ما قيل فيه من الشعر

وكتب إليه سعيد بن حميد في يوم نيروز [وافر] :

قضى حقّ الهديّةِ كلُّ مُهْدٍ   ومحتفِل ليومٍ كِسرويِّ
فلمّا كان حقُّك فوقَ شكري   وكان الشكرُ من خُلُق الوفيِّ
وكان اللهُ قد أعطاك فضلاً   مبيناً للعدوِّ وللوليِّ
رغِبتُ إليه أن يجزيك عنّي   كما رغب الفقيرُ إلى الغنيِّ
وأمَّنني من التقصير أنّي   أُحيلك بالجزاء على مليِّ
فأهديتُ الثناءَ وبعضَ شكري   كما يُهدِي السريُّ إلى السريِّ

ومدحه أبو الفضل أحمد بن طاهر ، فأرسل إليه أن قد أمرت لك بمائة دينار فآلقَ رجاء . – فلقي رجاء فقال له : لم يأمرني بشيءٍ – فكتب إليه [بسيط] :

(1) كلمة غير مفهومة وقراءة أصلا ظنّيّة .
(2) كاتب وزر للمأمون والمعتصم والواثق . انظر مروج الذهب في الفهرس .

أمّا رجاءُ فأَرْجَا ما أمرتَ به   وكيف إن كنتَ لم تأمُره يأتمِرُ ؟
بادر بجودكَ إمّا كنتَ مقتدراً   فليس في كلّ حالٍ أنتَ مقتدر

وكتب إليه البحتريّ وهو في الحبس [طويل] :

يعزّ علينا أن نزورك في الحبس   ولم نستطع نفديك بالمال والنفسِ
فَقَدْنا بك الأنس الطويل وعُطِّلت   مجالس كانت منك تأوي إلى أنس
فإنْ حجبَتك الجدر عنّا فربّما   رأينا جلابيب السحابِ على الشمسِ(1)

ومِن كلام الحسن بن مخلد : من المروءة أن يُلبِسَ المرءُ خدمَه وحشمَه مثلَ ما يلبس ، ليكون قد امتثَلَ أمر الله تعالى في قوله :﴿ وَأَما بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى ، 11) ، وأرغَمَ أنفَ حاسده واستمال قلوبَ حاشيته .

1217 ـ الحسن بن مهاجر [ـ بعد 250]

الحسن بن مهاجر بن أبي المهاجر موسى بن محمد بن أبي المهاجر أيّوب بن إسماعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد [...] .

ولد بالرقّة ، وكان أبوه متوكّلاً للحسين الخادم المعروف بـ«عرق الموت» في ضياعه . فلمّا تقلّد الحسين البريدَ بمصر اجتاز به في مسيره ليطالع ما يجري على يديه . فرأى الحسن وهو يكتب ، فمال إليه وقال لأبيه : خرجتُ من الحضرة ولم أصحب معي كاتباً ، لما أعلمُه منهم من الجرأة ولطف الحيلة ، وأنّهم للعامل الخائن أوْفَقُ منهم للنّاصح ، وأحبُّ أن يصحبَني ولدُك هٰذا وتؤثرَني به ، فإنّي أقنعُ به وأرجو أن يحسُنَ تأدِيبي له .

(1) قراءة البيت عسيرة ، ففي المخطوط : فإن حجت بالجدر ... ولم نجد الأبيات في ديوان البحتريّ ، نشر الصيرفيّ .

دخوله مصر في خدمة حسين عرق الموت

فلم يمكنه مخالفتُه وأسلمه إليه ، وقدم به إلى مصر . وألزم نفسَه تأديب الحسن وتقويمَه كما يتولّى الوالدُ من وَلدِه . ثمّ سلّم إليه ديوان البريد ووصّاه وصيّةً حسنةً قد ذكرت في ترجمة حسين الخادم[1] وأعطاه أربعة آلاف دينار . ثمّ لم يخدم بعده أحداً ، واتّجر في ماله ، إلى أن نبذت[2] نفس أحمد بن طولون الكتّاب بمَا وقف عليه من حال أحمد بن مفضّل وجرأتِه على اليمين الكاذبة ، واحتاجَ مَن يقوم مقامَه .

فَسَنَحَ ذكر حسن بن مهاجر هذا . فأحضَرَه وسأله عن مبدإ أمره ، وسبب تعلّقِه بحسين الخادم . فأخبره بمَا كان من أمره وما وصّاه به حسين . فقال : ما أحبُّ مِن كاتبي إلّا ما وصّاك به صاحبُك ، لا زيادة عليه ولا نقصان منه .

ثمّ قال له : وكم أعطاك صاحبُك ؟

قال : أعطاني أربعة آلاف دينار . / [377ب]

فقال أحمد : قد أمرتُ لك بمائة ألف دينار . وإذا جريتَ على ما وصّاك به صاحبُك فهذا المال قليلٌ لك من كثيرٍ من عندي يصير إليك .

انتقاله إلى خدمة أحمد بن طولون

وخلع عليه وألزمَه خدمتَه . وكانت المائة ألف التي أخذَها ابنُ مهاجر هي التي أخذها أحمد بن طولون من مال أحمد بن مفضّل عند نكبَتِه إيّاه . فباشر ابن مهاجر ، ولم ينكر أحمد بن طولون منه إلّا تحامُلَه على الناس . فحظي عنده بذلك . فقال له يوماً : قد صحّت نصيحتُك عندي ، وأنت غير محتاج أن

---

(1) هي الترجمة رقم 1267 . وقد استغرقتها الوصية .

(2) قراءة ظنّيّة .

تتحامل على أحدٍ لتزداد منزلة عندي . وأنت تجني على نفسك من الآثام بذلك . واستيحاشِ الناس منّي أكثرَ ممّا تُحرزُه من الحظّ . وأعلَمْ أنّك تزرَعُ في قلوب الناس بمَا تأتيه حقد[اً] لا تُفنيه الأيّام بل تتوارثُه الأعقاب . فأطلبِ الشكرَ من الناس ، فليس يكرهُه إلّا ناقص المعرفة ، جاهِلٌ بمَا توجبُه السياسة ، غير عالمٍ بمَا توجبُه النصيحَةُ . فميِّز الناسَ تمييزَ عادلٍ فألقَ شرارَهم بالغلظةِ وخيارَهم بالرأفَة .

وجرى في مجلس ابن عبدكان ذكرُ محبوب بن رجاءٍ وحسن بن مهاجر ، فطعن عليهما أكثر الحاضرين . فقال ابن عبدكان : الصدقُ أجملُ مأثور : في كلّ منهما فضلٌ بيّنٌ ، وإنّهُمَا لعلى أفضل طريقة . أمّا محبوب فسريع الجواب حسن الانتزاع حلو المكاتبة . وأمّا ابن مهاجر فوقور مستصغر لنصيحة من ينصحه ، بعيد الغَور . لا يؤثر ، على توفّر مالصاحبِه ولا ما يزيّن حاله عنده ، شيئاً من أعراض الدنيا . ولقد أجتمعا وقت المناظرة وكلّ واحدٍ منهما حنق على صاحبه . فقال حسن لِمَحْبوب : أمرني الأمير أن أجلس في حلقك حتّى يفصل ما أثبتَّه من الحساب الذي رفعتَه .

فقال له محبوب في وقته : إذا جلستَ في حلقي قذفتك في المخرج !

فأضحكَ جميعَ من حضر وأنقطع ابن مهاجر ساعةً . ثم تناظرا فقال محبوب لحسن : أنت شابٌ غرّ حدَث ، والصواب لك أن تستشعر خوفَ الأمير .

فقال حسن : والله ما أخافه !

فقام بها محبوب وقعد . ورفعها صاحبُ الخبر إلى أحمد بن طولون ، فدعا بهما وقال : ما هٰذا الكلام الذي جرى بينَكُما ؟

فقال محبوب : ذكر الحسن أنّه لا يخاف الأمير .

فقال له أحمد : هوذا تسمع يا حسن ؟

فقال : كذا قلت أيّها الأمير ، لأنّي قد استفرغت وسعي في طاعتك ،

وجهدي في خدمتك . وقوّتي في مناصحتِك . فقد أمِنتُ جَوْرَك وليس عندي شيءٌ يُخيفُني منك .

قال : صدقتَ . الأمْر كما وصفتَ . بارك الله عليك وفيك .

1218 – القلندريّ [– 722][1]

[حسن العجميّ الجواليقي القلندريّ] .

... قدم مصر وبنى الزاوية المعروفة بزاوية القلندريّة خارج باب النصر من القاهرة . وتقدّم في الدولة العادليّة كتبغا . وكان فيه لطف وظرف وكَرَم .

وترك قبل موته حلقَ لحيتِه وتزيّى بزيّ الصوفيّة . وسكَن دمشق . وبها مات يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الأولى سنة آثنتين وعشرين وسبعمائة .

وكان كثيراً ما يُنشد [طويل][2] :

سلام على ربع به نَعِمَ البالُ ... وعيشٍ مضى ما فيه قيلٌ و[لا] قالُ
لقد كان طِيبُ العَيش فيه مجرّداً ... من الهمّ . والقوم اللوائمُ غُفّالُ
ملاعبُ ما حلّت بها آفةُ النوى ... ولا كان فيها للمحبّينَ أشغال
فلا عيشَ إلّا والشبيبةُ غضّةٌ ... ولا وصلَ إلّا والمحبّونَ أطفالُ
وهمْ زعمُوا أنَّ الجنونَ أخو الصِّبا ... فليت جنوني دام والناسُ عُقّالُ !
على مثلها تستفرِغُ العينُ دمعَها ... بكاءً وإلّا ما البَنُونَ وما المالُ ؟

---

(1) السلوك 2 / 239 – النجوم 9 / 256 هامش 3 ، 4 و257 هامش 1 – الخطط 2 / 432 و4 / 301 . الدليل الشافي 1 / 271 (934) . دائرة المعارف الإسلاميّة 4 / 493 فصل « قلندريّة » . المنهل الصافي 5/ 145 (936) .

(2) في الدليل الشافي وفي المنهل ، نسبت الأبيات إلى الملك الكامل ابن العادل الايوبي .

1219 - رضيّ الدين الأرمنتيّ [- 670][1]

الحسن بن يحيى بن أحمد بن منصور بن جعفر . رضيّ الدين ، القرشيّ . الأرمنتيّ ، الشافعيّ .

فقيه فاضل له معرفة بالفقه . وسمع الحديث . وناب [في] الحكم بإسنا ، وفي قوص . ومات في حدود السبعين وستّمائة .

1220 - بدر الدين الأسعرديّ المحتسب [- 710][2]

الحسن بن أحمد بن الحسن بن جبريل ، الأنصاريّ . الكاتب ، بدر الدين . ابن نبيه الدين . الأسعرديّ .

[378 أ] كان ناظر الدواوين بالقاهرة / . وولي الحسبة . ومات في جمادى الآخرة سنة عشر وسبعمائة .

1221 - حسن الطويل الزاهد [- نحو 618]

حسن الطويل . أحد الفقراء المعتقدين بمصر .

كان الغالب عليه الخوف . وأخذ الفقه على مذهب مالك في بدايته عن الفقيه كمال الدين أبي المنصور حسين . وكان أكثر إقامته بجامع عمرو في مقصورة الصلاة . وشهرت له كرامات كثيرة . قام مرّة في إظهار مسجد قد خفي في

(1) الطالع السعيد ، 218 (142) .

(2) في السلوك 2/ 95 : القاضي بدر الدين حسن بن نصر الأسعردي المحتسب مات في مستهلّ جمادى الآخرة سنة 710 .

كنيـ[ـسـ]ـة ، وتعصّب النصارى في منعه ، ومال معهم الملك الكامل[1] محمد ابن العادل ، وثارت العامّة مع الشيخ حسن . فاتّفق أنّ السلطان ركب إلى البحر ، وكان إذ ذاك بين الروضة ومصر ينكشف الماء في الصيف . فبينا هو هناك إذ وقف الناس له وصاحوا به : المسجد ! المسجد ! – فدخل صناعة الشواني وبعث صدر الدين [...] ابن شيخ الشيوخ ، والوزير الأعزّ مقدام بن شكر ، فمضيا في عالم كثير من العامّة وقد امتلأت السقيفة والأسطحة بالناس . فلمّا وصلا إلى الكنيسة فرش صدر الدين سجّادتَه وصلّى . فلم يخرج حتّى هدمَها العامّة . فشقّ ذلك على السلطان . [فسمع] قائلاً يقول له في منامه : لئن لم تزر الشيخ حسن وإلّا أهلكناك . – فبعث خلفَه الصاحب صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شكر[2] حتى استرضاه وردّه .

ومات بدمياط في محاصرة الفرنج[3] لها أيّام الكامل ، وكان الكامل قد أراد الاجتماع به ، فقال : لا سبيل إلى ذلك ! – ولم يجتمع به .

1222 – الحسن الرسّيّ [– 379]

الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسّيّ ، ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، أبو عبد الله .

استقرَّ في نقابة الطالبيّين بعد موت أبيه إلى أن مات في يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، فصلَّى عليه العزيز بالله نزار

---

(1) وليّ الكامل الأيّوبي من سنة 615 إلى 635 (السلوك 1 / 194) .

(2) توفّي هذا الوزير سنة 623 (السلوك 1 / 219) ويبدو أنّه غير المقدام ابن شكر المذكور آنفاً .

(3) فكّ الحصار على دمياط سنة 618 بمصالحة مع الكامل (السلوك 1 / 208) .

ابن المعزّ لدين الله .

وضمن خراج الأشمونين وحربها لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة أربع وستّين وثلاثمائة شركة مع أبي طاهر سهل بن قمامة . فخلع عليهما المعزّ لدين الله وحملهما وسارا بالطبول والبنود .

وحضر لاثني عشرة بقيت من ذي القعدة بمَالٍ وهديّة وخيل فخلع عليه وحمل .

ولثمانٍ بقينَ منه حمل عشرة أحمال مال ، وقاد خمسة أفراس بمراكبها واثني عشر فرساً بأجلّة ، وخمس نجب بأكوارها[1] .

1223 - أبو زنبور الماذرّائيّ [232 - 317][2]

الحسين بن أحمد بن الحسين بن عيسى بن رستم ، أبو عليّ . الماذرّائيّ ، المعروف بأبي زنبور ، الكاتب ، البغداديّ .

تولّيه خراج الشام لأبن طولون

ولد في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بمَاذاريا من أعمال بغداد . وكتب الحديث عن عمر بن أحمد بن شبّة وغيره . وقدم إلى مصر وتصرّف في الكتابة مع أخيه علي بن أحمد الماذرّائيّ ، وتقلّد خراج الشام في أيّام أحمد بن طولون ، وخدم الأمير أبا الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، وضبط الأمورَ ، وبان أثرُه وتوفيرُه .

---

(1) هذا النقيب الحسنيّ تقلّد وظائف في الدولة الفاطميّة بمصر على ما يبدو . والمعزّ ومن بعده العزيز لم يكن لهما تفضيل للحسينيّين على بني الحسن . وقد ذكر القاضي النعمان في المجالس والمسايرات شواهد من إغضاء المعزّ عن حسنّيي المغرب وحسن معاملته لهم . وانظر الاتّعاظ ، 1/ 217 .

(2) الوافي 12 / 321 (300) - الكندي (انظر الفهرس) - الأعلام 2 / 248 - النجوم 3 / 215 . الوزراء للصابي نشر عبد الستار أحمد فرّاج ، القاهرة 1958 .

وكان حليمًا عاقلاً صاحب دهاءٍ ورأي صائب . وهو الذي كان يسدّد أمرَ ابن أخيه أبي بكر محمد بن عليّ . وكانت له فعال جميلة وكرمٌ جمٌّ . وما زال مع أبي الجيش إلى أن قُتل بدمشق .

واتّفق لأبي زنبور مع أبي الجيش أنّه قال له وهو بدمشق : لا بدّ في هٰذا اليوم وفي هٰذه الليلة من مائة ألف دينار . فإن أصبحتُ ولم يحصل لي هٰذا القدر ، والله قتلتك !

فاجتهد أبو زنبور يومَه وليلتَه فلم يقدر منها سوى على أربعين ألف دينار ، وبات وقد يئس من الحياة . وبكّر إلى دار أبي الجيش فوجدَ ابنَ أخيه أبا بكر محمد بن عليّ جالساً مع جماعةٍ القوّاد والوجوه والغلمان ، وهم قد أطرقوا رؤوسهم ، فلم يقم إليه أحد . فقال في نفسه : قد يئس القوم منّي — وجلس مطرقاً متعجّباً . فسارّه بعضُ مَن حضر وقال : قد ذُبح الأمير أبو الجيش البارحة .

فذهب ما يجده من الغمّ ويترقّبه من الموت ، وقام حتّى رآهَ مذبوحاً . فلطم على وجهه وأخذ خاتمه من يده ، وقام ببيعة أبي العسَاكر جيش بن خمارويه . وكفّنه ، وصلّى عليه القاضي أبو زرعة[1] . وحمله في صندوق إلى مصر ومعه العساكر .

تولّيه خراج مصر

فملك وزادت أحواله . وقدم إلى مصر فعقد بها بيعة أبي العسَاكر . واستقرّ أخوه أبو الحسن علي بن أحمد الماذرّائيّ على وزارته . وعاد أبو زنبور إلى دمشق لتدبير أمر الشام ، فلم يزل إلى سنة خمس وثمانين ومائتين . فنظر في خراج مصر ، والأمير / يومئذ هارون بن خمارويه ، والقائم بتدبير الدولة أبو جعفر محمد [378ب] ابن أبّى ، إلى أن قتل هارون ، وقدم محمد بن سليمان الكاتب وأزال دولة بني طولون وحمل رجالهم — وفيهم أبو زنبور — إلى العراق .

(1) أبو زرعة الدمشقي محمد بن عثمان له ترجمة في المقفّى رقم 2649 .

فقدم مع عيسى النوشريّ أمير مصر ونظر في الخراج على عادته . فلمّا قدم محمد بن علي الخليج[1] إلى مصر فرّ منه النوشريّ ومعه أبو زنبور إلى الإسكندريّة . فقاتلهُما أصحاب ابن الخليج وانهزموا . وسار النوشريّ وأبو زنبور إلى الصعيد . فلمّا قدم فاتك المعتضديّ من العراق بالعساكر وغلب ابن الخليج وأسره قدم النوشريّ وأبو زنبور في رجب سنة ثلاث وتسعين ، ونظر في الخراج على عادته . ولم يبقَ بمصر من الماذرّائيّين أحدٌ غيره إلى سنة إحدى وثلاثمائة . فورد أبو بكر محمد بن علي الماذرّائيّ من العراق صحبة مؤنس لقتال حباسة . وقدم مع أبي بكر أهلُه وولدُه . وصار أبو زنبور يلي الخراج مرّةً وأبو بكر يليه مرّة ، وأبو الطيّب أحمد بن عليّ [بن أحمد الماذرّائيّ] أخرى . فولي أبو زنبور الخراجَ بمصر خمس مرّات ولاية أمانة على أن يقوم بنفقات البلد وعمارات الضياع وأرزاق الجند وأرزاق الكتّاب والمتصرّفين ، ويحمل في كلّ سنة من مال مصر إلى بيت المال ببغداد ستّمائة ألف دينار . وعليه في كلّ سنة الحساب بالارتفاع والخراج والباقي من المنكسر وغيره والحمل الذي ذكرناه . وكذلك كانت ولاية ٱبن أخيه أبي بكر .

ولاياته الخَمسُ لخراج مصر

فكانت ولاية أبي زنبور الأولى في سنة خمس وثمانين ومائتين من قِبل المعتضد ، والوزير عبد الله بن سليمَان بنِ وهب ، بعد قتل خمارويه . ولم يزل إلى سنة ٱثنتين وتسعين .

ثمّ ولي ثانية في خلافة المكتفي ، ولّاه محمدبن سليمَان الكاتب وأقام معه أبا العبّاس أحمد بن محمد بن بسطام مشرفاً عليه . فأقام إلى سنة خمس وتسعين . وصرف بأحمد بن بسطام .

---

(1) الكندي ، 258 هامش 2 – الخطط 2 / 124 .

ثمّ أعيد ثالثاً بعد أبي بكر محمد بن عليّ في آخر سنة أربع وثلاثمائة من قِبل المقتدر وفي إمارة ذكا على مصر ، ثمّ صرف في سنة خمس وثلاثمائة بعليّ بن أحمد بن محمد بن بسطام .

ثمّ أعيد مرّة رابعة في سنة ستٍّ وثلاثمائة ، فلم يزل إلى سنة عشر ، فصُرف بكاتبه محمد بن الحسين بن عبد الوهّاب .

ثمّ أعيد مرّة خامسة في إمارة تكين من سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة بعد أبي أحمد الحسين بن محمد الكرخيّ ، وصُرف بمحمّد بن جعفر القرطيّ . ولم يزل متعطّلاً إلى أن مات بغتة من أكل بطّيخ في يوم الجمعة النصف من جمادى الأولى سنة سبع عشرة وثلاثمائة . فحضر الأمير تكين جنازته بغير سيف ولا منطقة حزناً عليه .

بعض أخباره

وله أخبار كثيرة . منها أنّه دخل حمام ابن حمدويه بمصر ، فلمّا خرج ليلبس ثيابه فتحت خوخة من الحمّام وخرج غلمانٌ معهم مدخنة وماء ورد وغالية ومشط ومرآة . فتبخرّ وٱنصرف ، فإذا ابن حمدويه قد وقف على باب الحمّام ومعه بغلة مسرجة ملجمة وهو آخذ بركابها ، فقال : يا سيّدي ، أجللتك عن دخول الدار فجمّلني[1] بركوبها .

فتبسّم وركبها إلى داره . ثمّ ٱستدعى بجنس كاتبِه بعد أيّام وقال له : كم بقي على ابن حمدويه من الخراج ؟

فقال : ثلاثة آلاف وستّمائة دينار .

فقال : اكتب له براءة وأنفذها إليه .

ففعل ذلك .

---

(1) قراءة عسيرة .

إملاك ابنته بآبن القاضي أبي زرعة

ولمّا أراد أن يملك ابنتَه بالحسين بن أبي زرعة [1] وأراد عمل مجتمع ، شاور أصحابه كيف يصنع في الإملاك فآختلفوا عليه . فقال : دعوني الليلة ! - ثمّ أصبح فقال : أرسل إلى هؤلاء المائة - وعيّنهم في درج كتبَه - وقولوا لهم حتّى يكونوا عندنا قبل صلاة الصبح .

فلمّا حضروا عنده خرج إليهم مائة غلام بمائة مدخنة ، ومائة غلام بمائة نضّاح ماء ورد ، ومائة غلام بمائة قدَح غالية ، ومائة غلام بمائة مرآة ، ومائة غلام بمائة مشط . فتبخّر الجماعة ، وقرىء الكتاب وعُقد العَقد . وخرج مائة غلام بمائة إبريق ومائة طشت ومائة منديل فغسلوا أيديهم . وخرجت عشر موائد جلس كلّ عشرة على مائدة فأكلوا . وخرج مائة غلام بمائة طشت ومائة إبريق غير تلك ومعهم مائة منديل ومائة مَجْمَع [2] في دقّاقات وأشانين مطيّبة فغسلوا أيديَهم . وخرج مائة غلام بمائة مدخنة ومائة درج ومائة نضّاح ماء ورد ومائة [379أ] منديل ، فتبخّروا / وخرجت مائة صينيّة فيها الدنانيروالدراهم والتّماثيل[3] فألقيـ[ـت] صينيّة في كمّ [كلّ] واحد .

وأخذ العروس وأبوه وأدخلا إلى حجرة وخلع عليهـ[ـما] وبُخّرا وحملا على دابّتين شاكريّتين [4] . وكان العُرس أعظمَ من الإملاك .

محاسبة وزراء بغداد له ولأبن أخيه

وكان مع كثرة كرمه من أحسن الناس عشرةً مع كتّابه وعمّاله ، وبودّه أن

(1) الكندي ، 521 .

(2) المجمع : صندوق ذو أقسام مفصولة بحواجر . والدقاقات والأشانين أنواع من الطيب المطحون (دوزي) .

(3) التماثيل : إمّا نقود ، وإمّا صنائع من النّد والعنبر « ألقِيت في أكمام الناس » (الكندي ، 522) .

(4) الدابّة الشاكريّة : فرس أو ناقة للبريد .

يكونوا أجلّ الناس وأغنى الناس .

ولمّا ولي علي بن عيسى بن الجرّاح الوزارة [1] في أيّام المقتد[ر] بالله طالب أبا زنبور بحساب مصر لأربع سنين عنها ثمانية [عشر] [2] ألف دينار ، فبعث إليه بحسابها مع أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن قلا الكاتب فدفع إليه ثلاثة [آلاف] دينار ، وكتب له على دمشق بخمسة آلاف دينار ، وأحاله على رجل في بغداد بعشرة آلاف ، فأصلح أمره وعاد ، فعمل معه أضعاف ذلك . فلمّا ولي [أبو] الحسن علي بن محمد [بن موسى] [1] بن الفرات الوزارة ، أشخص أبا زنبور وابنَ أخيه محمد بن عليّ إلى بغداد وجمع لهما الكتّاب لمناظرتهما : فلمّا خوطب بالحساب وبقّوا عليه بقيّة قال أبو زنبور : أيّها الوزير ، على مَن أعود ؟ إن كنْتُ عاملَ أمانة فأقبلوا قولي فيمَا أقوله . وإن كنت عامل ضمانٍ فاحسبوا بالرفق ! اللهمّ إلّا أن يكونَ الذي قلّدني خان في تقليده ؟

فكان يقول : غلطت ببغداد غلطتَين نجّى الله منهُما ، وذلك أنّي كنت في دعوة فقلت : مصر ليس مثلُها : أوّل ما يلي الوالي خراجَها يدخل إليه من النواحي خمسمائة ماروت [3] عليهم جباب الصوف والمناديل المعلّمة – وهو زيُّهم – في جَيب كلّ واحدٍ منهم كيس فيه ألف دينار هديّة – فحفظ هٰذا بعضُ الحاضرين وحكاه ، فكان أحد ما خوطبتُ عليه ، وقيل لي : نريد هٰذا لولاية واحدة : خمسمائة ألف دينار .

فضحكت وقلت : هٰذا يحكى قديمًا في أيّام الفراعنة ، في الوقت الذي كانت مصر تعقد أربعة وعشرين ألفَ ألفِ دينار والناس ينصفون ، والمعاملون

---

(1) في ترجمة ابن الجرّاح وابن الفرات ، انظر دائرة المعارف الإسلاميّة 1/ 397 ، و 3/ 790 .

(2) الكلمة مطموسة ، وإنّما أكملنا بعد الجمع .

(3) ماروت وهاروت ساحران معروفان . ولعلّها مصطلح مصريّ .

يوفّى لهم ، والتقوية[1] غير محتسب بها على الزارعين . فأمّا اليوم أو من مائتَي سنة فلم يدخل ماروت بدرهم واحدٍ .

وأمّا الغلط الثاني ، فإنّ عليّ بنَ محمد بن الفرات لمّا قبض عليه وتقلّد علي آبن عيسى بن الجرّاح قال لي : بحقّي عليك ، هل لآبن الفرات عليك آستثناء ؟

فقلت : لا .

فقال : بحياتي ، بحياة رأسي .

فقلت : نعم ، مائة وخمسون ألفَ دينار في كلّ سنة[2] .

فلمّا جلس علي بن عيسى لمناظرة ابن الفرات قال له : ومن جهة الحسين آبن أحمد عامل مصر : مائة وخمسون ألف دينار في كلّ سنة !

فقال ابن الفرات : مَن ذكر هٰذا ؟

قالوا : الحسين بن أحمد .

فقال : حتّى أسمع كلامَه .

فأُحضرت . وآحتشمت من علي بن عيسى . فقلت : نعم ، مائة وخمسون ألفَ دينار كنت أحملُها إليه أيّدَه الله .

فقال ابن الفرات : أحضروا دفاتر النفقات .

فأحضرت ، فرآها وقال : صدق فيمَا قال ، وهٰذه نفقتها والاحتساب بها وإلى ما نظرت سنين[3] . فإن كان حملها إلى أبي الحسن فيجيب عن هٰذا . وإن لم يكن حملها إليه فليطالَب بها .

فآنعكس الكلام على أبي زنبور ، ولولا أنّ علي بن عيسى عمل هٰذا ، لكان ألزم بالمبلغ . إلّا أنّ الوزير آحتاج إلى نصرة أبي زنبور حتى يخلص .

---

(1) في ترجمة ابن الجرّاح ، انظر دائرة المعارف الإسلاميّة 1/ 397 .

(2) انظر مسكويه : تجارب الأمَم 1/ 62 .

(3) هذه المحاسبة لا تخلو من غموض .

خلاصه من الوزير ابن الفرات

ثمّ إنّ أبا زنبور أشخص بحضرة أمير المؤمنين المقتدر بالله . فلمّا مثل بين يديه ومعه ابن أخيه أبو بكر محمد بن علي ، قبّلا الأرض ، وكان قد أعيد أبو الحسن علي [بن محمد] بن الفرات إلى الوزارة ، وهو واقف ، فقال لهما : إنّ أميرَ المؤمنين أيّده الله تقدّم[1] بالعناية بكما ، وأن تكونا في موضع تأمنان فيه على أنفسكما . فأين تختاران ؟

فقال أبو زنبور : عند أبي أحمد .

فقال : مَن أبو أحمد ؟

فقال : محسّن – يعني ابنَ الوزير .

فقال : بارك الله عليكما ، إنّما من محسّن صَانَكُما أمير المؤمنين .

فقال أبو زنبور : عنده نكون .

فسُلّما إليه .

وكان أبو زنبور لمّا حُمل إلى العراق خاف من الوزير علي [بن محمد] بن الفرات فكتب رقعة إلى المقتدر يذكر خوفَه على نفسه وعلى آبن أخيه وسأل العنايةَ بهما ، ودفع الرقعةَ إلى خادم وبذل له مالاً كثيراً . فلمّا مثل بين يديه وسلّمه إلى محسن أقام هو وآبن أخيه عنده ثلاثاً ، ثمّ طلبَهُما وقال لأبي زنبور : أريد منك أنت ألفَ ألفِ دينار ، وأريد من آبن أخيك ألفَ ألفَ دينار – وكان محسّن قد أكثر من / القتل في الناس حتّى قال لأبيه : يا أبتي ما بقّيت لك ببغداد عدوًّا .[379ب]

فقال له : يا بنيّ ، ولا صديقاً !

فلمّا قال ذلك لأبي زنبور خاف منه خوفاً عظيمًا ، وقال له : السمع والطاعة !

---

(1) قراءة ظنّيّة .

فأخذ خطَّهُا بذلك . ثمّ قال له أبو زنبور : سيّدُنا ، أيّده الله ، يعلم أنّنا ببغداد ، وما نملكه بمصر ، وإنّما نجمع هٰذا المال من عَينٍ حاضر وحليٍ وثياب وعروض وضياع وأملاك ، ويحتاج هٰذا إلى مدّة حتّى يجتمع ، وليس لنا مَن ينوب عنّا . ولكن تختار رجلاً تنفذه معنا وتوصيه بنا ، ونخرج – وأراد أبو زنبور بذلك كيدَ محسّن .

فٱختار لهما أشرَّ مَن يعرف : رجلاً له منزلة وحجّاب ومنعة . فٱحتاج أبو زنبور أن ٱقترض من بغداد جملة وافرة من المال ، وأنفذها للرجل حتى يتجمّل بها . وسارا معه في ضنك وشدّة إلى أن بلغا عانة . وإذا برسول قد قدم إليهما على رجليه ومعه كتاب فيه أنّ الوزير علي بن محمد بن الفرات ذُبح هو وابنُه محسّن في يوم كذا . فسجدا شكراً لله تعالى وكتما الخبر . وبعثا إلى الرجل الموكّل بهما أن : صر إلينا ! – ولم يكن لهما عادة بذلك ، وهما كانا يمشيان إليه في مضربه ، فإذا دخلا عليه لا يلتفت إليهما ولا يفكّر فيهمَا ويعنت عليهما . فعندما أتاه رسولُهما أقبل إليهما ووقف بين أيديهما على قدمَيْه فأجلساه وأعلماه الخبر . فبكى وقال : قد علمتُ منذ جاءتني الرسالة بالركوب إليكما أنّه قد حدث حادث .

ثمّ خيّره أبو زنبور بين أن يمضيَ معهما إلى مصر أو يعود فٱختار العود . وجدّا في المسير إلى مصر فدخلا آمنَين .

خلاصه من محاسبة أخرى بمعونة ابن مقلة

وأشخص مرّة إلى بغداد لِيُناظر على مبلغ تسعمائة ألف دينار وكسر . فلمّا قدم بغداد أقام بها . وصار في يوم من الأيّام إلى جعفر بن بسطام ليتحدّث عنده ، فرأى خلفه باباً عليه زوج ستائر لم يُرَ مثلُها ، وبين يديه رَيحانٌ في إجّانتين صينيّ غاية في الحسن . فجعل يحدّث ابن بسطام ويطيل النظر في السترين والإجّانتين . فلمّا انصرف بعث إليه ابنُ بسطام رقعة ، فيها : رأيتك يا سيّدي تنظر إلى السترَين والإجّانتَين . وقد أنفذت إليك بعِدلين ستور[اً] من صنفها

وعشرين إجّانة . فتطوّل بقبول ذلك .

فكتب إليه : أحلف ألّا أقبل ذلك ولا شيئاً منه – وشكره على فعله .

فكتب إليه ابن بسطام يحلف أنّه إن لم يقبل ذلك وردّهُ ليُضرمَنَّ النار فيه . فقبل الجميع . وأخرج سترين نَصَبَهُما كما رأى وأخذ إجّانتَين جعلها بين يديه . فبينا هو جالس إذ دخل عليه أبو علي محمد بن علي [بن الحسن][1] بن مقلة – وكان يُرجف له بالوزارة – فنظر إلى السّترين والإجّانتين وقال : يا أبا عليّ ، ما أَحتملُ لك هٰذا كلّه ! أرسلْ إليَّ فَرْدَ سِتر وإجّانة !

فضحك ، وأنقضى المجلس . فلمّا قام أبو علي ابن مقلة بعث إليه بالعِدلين والعشرين إجّانة . فبعث إليه رقعة يشكره فيها . ولم تمضِ غير أيّام قلائل حتى تقلّد ابن مقلة الوزارة ، فبعث إلى أبي زنبور يقول : يا أبا عليّ ، إنّي لم أتقلّد الأمرَ إلّا من جهة البقايا[2] . وأنت في الأوّل . تقوم الساعةَ فأعمل للنفقة وجوهاً ، وتُبَقّي آثنين وستّين ألفاً وستّمائة وآثنين وخمسين ديناراً وكذا . وآئتني العشيّة بالعمل !

ففعل أبو زنبور ذلك ومشى به إلى الوزير وأنصرف عنه . فلمّا كان من السحر أتاه رسول الوزير . فصار إليه . فقال له : عندك خبر ؟ دخلت البارحة على أمير المؤمنين بعد ذهابك فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتعبت وزيرَك بالبقايا وشغلتَه بها عن الأصول وعن التدبير ، وأكثر هٰذه البقايا محال : هٰذا عبدُك الحسين بن أحمد عامل مصر ، عليه بقايا ، وقد أخرج لها وجوهاً . وبقّى على نفسه شيئاً مبلغُه نيف وستّون ألف دينار وكسر . ولولا أنّ حسابه صحيح ، ما كان يبقّي على نفسه شيئاً .

فقال : هو كذلك .

(1) الزيادة من الوافي ، 4/ 109 (1098) وقال : صاحب الخطّ المنسوب . وانظر ما كتِب في دائرة المعارف الإسلاميّة عن ابن مقلة 3/ 911 وابن البوّاب ، 3/ 759 بخصوص هٰذا النوع من الخطّ .

(2) أي بقيّة الدّين للدولة .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، تترك حسابه على ما هو عليه .

فقال : أفعل .

فقلت : ويُسمح له بمَا بقّاه من منكسر وتَالف .

فقال : أفعل .

فقلت : قد طال مُقامه ، فيُرَدُّ غيرَ والٍ ؟

قال : يردّ إلى عمله .

فقلت : فأين موضع عنايتي به ؟

فقال : زده الشام .

[قال] وهٰذه كتبك . سر في غدٍ ولا تتأخر ولا تتجهّز[1] بالرقّة وحلب .

فودّعه وسار حتى قدم مصر .

براعته في حساب الخراج

ودفع مرّة ستمائة ألف دينار إلى أبي الحسين محمد بن [الحسين] بن عبد الوهاب [2] ، ومع المال دفتر ، وقال له : ٱصرف هٰذا المال / أنت ، وإسحاق [380 أ] ابن نُصير[3] ، ومحمد بن زيد ، على ما في هٰذا الدفتر .

فٱختزلوا من المال ثلاثين ألف دينار وصرفوا ما بقي ، وتركوا الدنانير عند إسحاق بن نصير ، ورفعوا الحساب . فأقام شهراً وأنفذوا على قسمة ما ٱختزلوه . فعندما ٱجتمعوا في منزل إسحاق أتاهم رسول أبي زنبور بحضور أبي الحسين . فقام ودخل عليه وأكل معه . وأخرج إليه الحساب فأراه فصوله ، وسأله عنه

(1) في المخطوط : ولا تتجهز أنت تجهّز ، والكلام مضطرب .
(2) هو كاتبه (الصولي : وزراء ، 51) .
(3) ابن نصير النصرانيّ (النجوم 3 / 150) .

فصلاً فصلاً . فسكت [أبو] الحسين عن فصول . فقال له أبو زنبور : لعلّكم ٱخترلتم شيئاً ؟

قال : نعم . ثلاثين ألف دينار ، وهيَ بحالها .

فعبّس أبو زنبور وجهه وقال : أتظنّ أنّه بخل عليكم ؟ ولكن كان سبيل هٰذا أن يكتب كذا ، وهٰذا أن يكتب كذا – حتى أتى على الفصول . وقال : أصلحوها هكذا .

ثمّ قال له : عندما جاءتك رسالتي ، أين كنت ؟

قال : عند أبي يعقوب إسحاق بن نصير ، وكنّا على قسمتها .

فقال : ٱمضِ للقسمة .

فعاد وقد بقي من النهار ستّ ساعات . فجلسوا إلى أن مضى من الليل أربع ساعات ، جاءتهم فيها من أبي زنبور ثماني عشرة تحفة ، وٱقتسموا المال عن طيب نفسٍ منه .

فضله على مصر

وكان أبو زنبور مع إنعامه وإفضاله له رأيٌ سديد وتدبير جيِّد . وقد ضبط أمور مصر أربع مرَّات :

أوَّلها يوم ذُبِحَ خُمَارويه بدمشق فعقد البيعة لابنه جيش بن خُمَارَوَيْه وتختَّم بخاتَم أبي الجيش وسار بالعساكر إلى مصر حتى دخل بها سالمة .

والثانية لمَّا دخل محمد بن سليمَان الكاتب إلى مصر لزوال دولة ابن طولون ، لم يزل يعمل الحيلة ويكتب إلى العراق حتى جاء الكاتب وهزم ابن الخَليج وأسره .

والثالثة في وقعة حبّاسة : قام بالأمر مع مؤنس وأحسن إلى المستأمنة وأنفق أموالاً جمَّة .

والرابعة في نوبة الجيزة لمَّا مات ذكا الأعور أمير مصر : فإنَّه خاف على مصر من قدوم عساكر الغرب ، فكتب إلى ابن المهديّ – وهو بالإسكندريّة – يعده بأن يسلّم إليه مصر ، وكتب إلى دمشق يحثُّ تكين على المسير بالعساكر إلى مصر ، وكتب إلى العراق يحثُّ مؤنس الخادم على القدوم إلى مصر بالعساكر ويخوِّفه استيلاء المغاربة . فتمَّ له ما أراد وتكاملت عنده العساكر بمصر .

تلطّفه ومدارته

وثارت به رجّالة مصر مرّةً وأخذوه إلى جامع أحمد بن طولون وحبسوه في الغرار[1] وأحاطوا به . فجاءه في الليل هلال بن بدر أمير مصر ليخلّصه من أيديهم . فبعث إلى الرجّالة يقول لهم : إنّما يريد هلال قتلي ويتلف الأموال التي أريد أن أعطيها لكم . – فمشى عليهم ذلك وشتموا هلالاً وردّوه ، و[أ]ركبوا أبا زنبور في أوّل النهار وحفّوا بركابه وأوصلوه إلى داره ، فوضع العطاء وأعطاهم ، فشكروه وٱنصرفوا عنه .

وكان مع ذلك قويّ القلب واسع الحيلة . ولمّا قدم مؤنس من العراق إلى مصر ٱستدعى أبو زنبور الحسن الدقّاق وقال : إنّ الأستاذ مؤنس قد وافى . ولي بمشتول ستّون ألف إردبّ قمحاً ، فإذا وافى فقم له بالوظيفة – يعني الدقيق والخبز – ففعل ذلك مدّة شهر . فلمّا مضى الشهر قال له علوان كاتب مؤنس : كم لك حتى ندفعه إليك ؟

فقال : إنّما هو لأبي علي – وأعلمه الخبَر . فقال : أحسب الأستاذ لا يرضى أن يكون في ضيافة أبي علي .

وأَعلم مؤنساً بذلك . فقال : أنا آكل خبزَ حسين ؟ لا يبرح الرجلُ حتّى يأخذَ مالَه .

---

(1) الكلمة مطموسة ، فغرار قراءة ظنيّة .

فبلغ ذلك أبا زنبور ، فقام من فوره إلى مؤنس وأكبّ على رجليه يقبّلهما . وٱحتشم منه وقال : والله يا أبا عليّ لا أجيبك إلّا [لـ]ـهٰذا الشهر الذي مضى ، ولا تعاود .

فرجع وقال للدقّاق : قم لهم بالوظيفة .

فقال : ما بقي عندي قمح .

فصار يكتب له بالقمح . فلمّا فرغ أتاه الدقّاق بالحساب ، ومعه أربعمائة دينار فضلت من ثمن القمح ، فقال له : ٱعفني منها .

فقام الدقّاق بها . فلمّا خرج ٱعترضه عبد الله بن أبي زنبور وأخذ الأربعمائة منه لنفسه .

جوده على العلماء والفقراء

وقدم عليه مرّة الفقيه أبو بكر عبد الرحمان بن سلمويه الرازيّ بكتاب من مكّة ، وكان ألحى . فقرأ الكتاب وتبسّم ثمّ قال : هٰذه لحية ما تحتاج إلى كتاب .

فقال له أبو بكر : إيش هٰذا ؟ شيخ وسخيف ؟

فضحك وأمر له بماشتي دينار .

وكان يرسل إلى منصور الفقيه في كلّ شهر مائة دينار . وكانت له جراية على جماعة من أهل العلم والأدب ، وكان يكرمهم . وحبّس على آل البيت عليهم السلام / وعلى أبناء الصحابة رضوان الله عليهم أملاكاً ثمنُها مائة ألف دينار تعقد مالاً كثيراً . [380ب]

وٱعتقله أبو القاسم علي بن أحمد بن بسطام متولّي خراج مصر ومعه ٱبن أخيه أبو بكر محمد بن علي في سنة سبع وثلاثمائة وطالبهما بحساب ومال . فٱتّفق موت أخيه أبي بكر الأعور . فخرج في جنازته هو وابن أخيه موكّلاً بهما بسفارة

الأمير ذكا . فلمّا مشيا في الجنازة ثارت الرعيّة ومرّت معهما حتى ٱنتهت إلى دار أبي زنبور . فجلس من الرعيّة آلاف على بابه حتى العتمة . فبعث إليهم يشكرهم ، وسألهم الانصراف فٱنصرفوا . ومضى بٱبن أخيه إلى ابن بسطام . فٱحتشم وقال : ٱنصرفوا – وشكر مجيئَهُما إليه .

علوّ منزلة عند خلفاء بغداد

ولمّا ولي محمد بن جعفر القرطيّ الخراج ، جاءه أبو زنبور ومعه ٱبن أخيه أبو بكر . فقام لهما وتلقّاهما وجثا بين أيديهما فقال له أبو زنبور : ربّيتنا وحملتنا وحملت العمل – والقرطي يقبّل الأرض استعظاماً لما يخاطبه به . ثمّ قال : قد جئنا مع التهنئة في حاجة : أحبّ أن ترسل مَن ترضاه ليصون ضياعَنا ويحميها .

فقال : أنا أخرج بنفسي وأخدم فيها ، وهل أنا إلّا عبدُكما ؟

ثمّ نهضا . وكان أبو بكر قد ضاق صدره من ولاية القرطيّ . فقال له : لا يضيق صدرك ، هٰذا أمر يزول عن قريب . فٱقبل ما أقول لك وقم بنا نهنّئه .

فقاما بعد ٱمتناع من أبي بكر .

ثمّ إنّ أبا زنبور سار بٱبن أخيه أبي بكر إلى العراق . وقدما إلى مصر لصرف القرطيّ . وكان مع جودة رأيه وقوّة نفسِهِ يُمشّي الأمور باللطف والحيلة . وكان تكين أمير مصر يتّقيه ، حتّى إنّه تنازع معه مرّة في مجلس مؤنس . فقال له تكين : الساعة ألكمك [و]أطرح أضراسك !

فقال له : تقول لي هٰذا وفي ملكي ستّةَ عشر غلاماً ، اسم كلّ واحد منهم تكين ؟ – وقام مغضباً .

ومدحه البحتري[1] والمريمي بمدائح كثيرة . وأجاز البحتريّ مرّة على مديحه

(1) لا توجد مدائح مباشرة له في الديوان ، وإنّما يذكر أبو زنبور عرضا في مدائح غيره (ص 817 ، 947 ، 2206 من طبعة الصيرفيّ) . والمريمي إن صحّت القراءة غير معروف .

بألف دينار .

ورأى آزدحام الناس على بابه بخيولهم ، فقال : هٰذا يؤذي السابلة — وٱشترى داراً تجاه داره وهدمها وجعل موضعَها براحاً يقف الناسُ فيه بدوابّهم .

وزار بعضَ وكلائه في مرضةٍ مرضَها . فقال له الوكيل : حاللني ممّا أخذتُ منك .

فقال : أنت في حلّ من عشرة آلاف دينار . قد أخذت مالي كلّه — وقام ولم يحالِلْه . فمات الوكيل من ليلته . فلمّا بلغه موته ٱسترجع وقال : أنا قتلتُه بقولي الذي قلتُه . اللهمّ اشهد أنّه في حلّ من كلّ شيءٍ أخذه من مالي . — وبعث إلى أهله خمسمائة دينار ، وأجرى لعياله رزقاً كان لأبيهم ، عفا الله عنه ورحمه .

وأبو زنبور هٰذا هو الذي هدم ميدان أحمد بن طولون وقصرَه فهدم ذلك كلّه في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وباع أنقاضه ، فدثر كأن لم يكن ، وقيل فيه أشعار كثيرة . ذكر [القاضي] أبو عمرو عثمان النابلسيّ في كتاب « حسن السريرة في اتّخاذ الحصن بالجزيرة » أنّه رأى كتاباً يشتمل على ثنتي عشرة كرّاسة مضمومة في فهرست شعراء ميدان أحمد بن طولون . فإذا كان ٱسم الشعراء [في ٱثنتَي عشرة كرّاسة ، فكم يكون شعرهم !] [1] .

---

(1) سقوط في المخطوط ضاع به نهاية ترجمة أبي زنبور وبداية ترجمة أبي عبد الله الشيعيّ . والإكمال من النجوم 3/ 140 ومن الخطط ، 2/ 124 وقد نقل المقريزيّ جملة كبيرة من الشعر الذي قيل في نكبة الطولونيّين (الخطط ، 2/ 118 — 124) .

[illegible]

[illegible]

[illegible] وقال [illegible] الاسود فخرج في جنازته هو وابن اخيه في الجنازه

[illegible] الامير [illegible] في الجنازه [illegible] ومر معها حتى انتهت الى الدار الى

[illegible] الاف على بابه الى الله فبعث اليهم ليسلم وسالهم الانصراف فانصرفوا

ثم مضى هو وابن اخيه الى ابن بسطام فاحلفهم وقال انصرفوا واشكر مجيئكما اليه ولما ولي محمد بن جعفر القرطي

الخراج جاءه ابو زنبور ومعه ابن اخيه ابو بكر فقام لهما وتلقاهما وحاباهما فقال له ابو زنبور

[illegible] وحملت العمل والقرطي يقبل الارض استعظاما لما يخاطبه به ثم قال قد جينا مع التهنئة

في حاجة احب ان يتوسل من [illegible] ليصون ضياعنا ويحميها فقال انا اخرج بنفسي واحتم فيها وهل

انا الا عبد كما تم نهضا وكان ابو بكر قد ضاق صدره من ولاية القرطي فقال له لا يضيق صدرك هذا امر

يزول عن قريب فاقبل ما اقول لك وقم بما تضمنه [illegible] من ابي بكر ثم ان ابا زنبور سار

وابن اخيه ابي بكر الى العراق وقدما الى مصر بصرف القرطي وكان مع جودة رايه وقوة نفسه يمشي الامور

باللطف والحيلة وكان تكين امير مصر يهابه حتى انه تنازع معه مرة في مجلس موسى فقال له تكين [illegible]

الكلام اطرح اضراسك فقال له تقول لي هذا وفي ملكي سبعة عشر غلاما اسم كل واحد منهم تكين وقام

مغضبا ومدحه البحتري والمريمي بمدايح كثيرة واجاز البحتري على مدحه بالف دينار وراى ازدحام

الناس على بابه فحولهم فقال هذا يوذي السابلة واشترى دارا اتجاه داره وهدمها وجعل موضعها

براحا يقف الناس فيه بدوابهم وزار بعض وكلايه في مرضه [illegible] فقال له الوكيل حاللني مما احدث

منك فقال انت في حل من عشرة الاف دينار قد اخذت مالي كله وقام ولم يحالله فمات الوكيل من

ليلته فلما بلغه موته استرجع وقال انا قتلته بقولي الذي قلته اللهم اشهد انه في حل من كل شي اخذ من

مالي وبعث الى اهله خمسمائة دينار واجرى لعياله رزقا كان لابيهم عليه رحمه الله وابو زنبور هذا

هو الذي تولى هدم ميدان احمد بن طولون وقصره فهدم ذلك كله في شهر رمضان سنة ثلث وتسعين

ومايتين وباع النقاضة [illegible] لم يكن [illegible] فيه [illegible] ذكر ابو عمر وعثمان النابلسي في كتاب حسن

السريرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة انه راى كتابا يشتمل على نيف عشر كراسة مضمومة في فهرست شعرا مدحا

احمد بن طولون [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الصفحة 380ب من مخطوط السليمية ، وهي مشتركة بين الترجمتين 1224 و 1225 (أبو زنبور الماذرّائيّ وأبو عبد الله الشيعيّ) مع سقط أدّى الى الخلط بين الترجمتين (انظر السطر الثامن قبل الأخير) .

1224 – أبو عبد الله الشيعيّ [– 298] [1]

[أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعيّ : من أهل صنعاء . وقد صار إلى ابن حوشب [2] النجّار ، وصحبه بعدَن ، وصار من كبار أصحابه ، وكان له علم وفهمٌ ، ودهاءٌ ومكرٌ . فلمّا أتاه خبرُ وفاة الحلوانيّ وأبي سفيان قال لأبي عبد الله الشيعيّ : إنَّ أرضَ كتامة من المغرب قد حرثها الحلوانيّ وأبو سفيان ، وماتا ، وليس لها غيرك ، فبادِرْ ! فإنّها مُوَطَّأةٌ مُمَهَّدَةٌ لك .

اتّصاله بالحجيج الكتاميّين

فخرج أبو عبد الله ، وأعطاه ابن حوشب مالاً ، وسيَّر معَه عبد الله بن أبي ملاحف . فلمّا قدم أبو عبد الله مكّة سأل عن حجّاج كتامة فأُرشد إليهم ، فاجتمع بهم ولم يعرِّفهُم قصدَه . وجلس قريباً منهم فسمِعهم يتحدّثون بفضائل] أهل البيت ، فأظهَرَ استحسانَ ذلك وحدَّثَهُم بمَا لَمْ يعلمُوه ، ففرِحُوا به .

وكان رأسَ الشيعة من كتامة رجلان هما الحرث الجيملي [3] وموسى بن مكاد ، وهما اللذان جلس أبو عبد الله إلى جانِبِهما وتحدَّثَ معهما في فضائل آل البيت . فلمّا أراد القيام سألوه أن يأذن لهم في زيارته والانبساط معه ، فأذن لهم في ذلك . وسألوه عن مقصده في سفره وقالوا له : أين تريد ؟

---

(1) وفيات ، 2/ 192 (199) – افتتاح الدعوة للقاضي النعمان – اتّعاظ الحنفاء – عيون الأخبار للداعي إدريس . وعوّضنا النقص برواية الكامل ، 6/ 127 .

(2) ابن حوشب هو منصور اليمن الحسن بن فرح بن حوشب . وفي خصوص هٰذين الداعيَين لدى كتامة ، انظر : الإمارة الأغلبيّة ، 574 .

(3) حريث الجيملي في عيون الأخبار ، 84 .

فقال : مصر .

ففرحوا بصحبتِه ، وسرَّهم ذلك منه وقالوا : الطريق واحدة .

فرحلوا ، وهو لا يخبرهم بغرضِه . وأظهر لهم العبادةَ والزهدَ ، فازدادُوا فيه رغبةً وخدمُوه . وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم ، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية ، فقالوا : ما له علينا طاعة أكثر من أن نقول إنَّه سلطان ، وبيننا وبينه عشرة أيّام .

قال : أتحملون السلاح ؟

قالوا : هو شغلنا .

قال : فأقرب المدن إليكم ؟

قالوا : ميلة .

[381 أ] فلم يزل يتعرَّف أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر . فقال لهم : أستودعكم / الله .

قالوا : أيّ شيءٍ تطلب بمصر ؟

قال : أطلب التعليم بها .

قالوا : إذا كنت تطلب هٰذا فبلادنا أنفعُ لك ونَحن أعرف بحقِّك .

قال : بلادكم بعيدة .

قالوا : وما عليك من بُعدها ، ونحن نسير في عمران وبلاد ؟ فإذا وصلتَ بلادنا نرفع قدرك عن التعليم وتكون لنا سيِّداً .

وصوله معهم إلى بلاد كتامة

فلم يُطمِعْهم وعلّق الأمر معهم على الاستخارة . وكان جلداً محتالاً قد علم

الحيل . ثمَّ أظهر لهم الإجابة بعد المسألة . وسار معهم حتى انتهوا إلى سوجمار [1] حيث تلقَّاهم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبر أبي عبد الله الشيعيّ . فنظروا إلى تعظيم الكتاميّين إيّاه فرغبوا في نزوله عندهم حتى رموا عليه القرعة [في] مَن يُضَيِّفه .

ثم رحلوا حتى دخلوا حدَّ كتامة يوم الخميس النصفَ من ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين ومائتين [2] . فسأله قوم من خيارهم أن ينزل عندهم فقال : أين يكون فجّ الأخيار ؟

فنظر بعضهم إلى بعض تعجُّباً ، وكانوا لم يذكروه في طريقهم ولا سمَّوه له – وإنَّما أخذه من كلام صبيانهم .

فقالوا له : عند بني سكتان .

فقال : إليه نقصد ! ثمَّ نأتي كلَّ قوم منكم في موضعهم ونَزُورهم في بيوتهم فأُرضي بذلك قلوب الجميع .

وسار إلى جبل يقال له « إيكجان » وفيه فجّ الأخيار . فقال : هٰذا فجّ الأخيار . وما سُمِّيَ إلّا بكُم ، لقد جاء في بعض الروايات أنَّ للمهديّ هجرةً تنبو [به] عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان : قومٌ مشتقٌّ اسمُهم من الكتمان . فأنتم هم كتامة ، وبخروجكم من هٰذا الفجّ يسمَّى فجّ الأخيار .

وتسامعت به القبائل وتحدَّث[ـت] بفضله وعلمه [3] في المحافل . وأتته البرابر من كلِّ فجّ فأظهر ما أذهل عقولَهم . وعظم أمرُه إلى أن تقاتلت كتامة عليه مع

---

(1) سوجمار : هي قرية سجرمة الحاليّة بالجزائر (محمد الطالبي ، 600) .

(2) النصف من ربيع الأوّل سنة 288 كان يوم أحد . وفي عيون الأخبار ، 88 : الخميس نصف ربيع الأوّل 280 . وهو يوم اثنين في الواقع .

(3) في الأصل : وعمله .

قبائل البربر ، وسلم من القتل مراراً ، وهو مع ذلك لا يذكر لهم المهديّ . واجتمع أهل العلم على مناظرته يريدون قتله . فمنعته كتامة من مناظرتهم . وكان اسمُه عند الناس « أبو عبد الله المشرقيّ » (1) .

تحرّك الأغلبي لقمع ثورة الداعي

وبلغ خبره إلى إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية ، فأرسل إلى عامله على مدينة ميلة يسأله عن أمره . فصغَّره ، وذكر له أنَّه يلبس الخشن ويأمر بالخير والعبادة . فلم يعرض له وسكت عنه .

ثمَّ إنَّه قال للكتاميِّين : أنا صاحب البذر الذي ذكر[ه] لكم أبو سفيان والحلوانيّ .

فقالوا : صدقت .

وازدادت محبَّتُهُم له وإعظامُه وقويَ أمره وأطاعـ[ـتـ]ـه قبائل البربر . هٰذا وابن حوشب يواصله (2) ويسأله فيعرّفُه ضعف بني العبَّاس ببغداد .

فاتّفق أنّ البربر وكتامة اختلفوا بسبب أبي عبد الله وهمّ بعضُهم بقتله، فاختفى . ووقع بين الفريقين قتال شديد . فأخذ الحسن بن هارون ، أحد كبراء كتامة ، أبا عبد الله إليه ، ودافع عنه ، ومضى به إلى مدينة تازروت (3) فأتته القبائل من كلّ مكان ، وعظم شأنه . وصارت الرئاسةُ للحسن بن هارون ، وسلَّم إليه أبو عبد الله أعنّة الخيل ، وظهر من الاستتار وشهد الحروب وكان الظفر له فيها وغنم الأموال .

وانتقل إلى مدينة تازروت وخندق عليها . فزحفت قبائل الغرب إليها وقاتلوا

---

(1) وستصبح عبارة « المشارقة » تسمية تهجين للعبيديّين عند جمهور السنَّة بإفريقية .

(2) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : يُراسلُه .

(3) تاصروت في المخطوط ، والتصويب من عيون الأخبار وغيره .

أهلها عدَّة وقائع كبِيرة ظفر بهم فيها أبو عبد الله ، وصارت إليه[1] أموالهم فاستقام له أمر البربر عامَّة .

وزحف إلى مدينة ميلة وقاتل أهلها قتالاً شديداً حتى طلبوا الأمان ، فأمَّنهم ودخلَها . فبعث إليه إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير إفريقيّة ابنَه الأحول[2] في اثني عشر ألفاً وتبعِه مثلُهم فقاتلهم أبو عبد الله فهزموه وكثر القتل في أصحابه وتبعه الأحول ، فسقط ثلج عظيم حال بينهم وبينَه ، وسار إلى جبل إيكجان ، وأحرق الأحول مدينة تازروت ومدينة ميلة .

وبنى أبو عبد الله بإيكجان دار هجرة فقصده أصحابه . وعاد الأحول إلى إفريقيّة فسار أبو عبد الله بعد رحيله .

واتّفق موت إبراهيم بن الأغلب وقتل ولده أبي العبَّاس وولاية زيادة الله[3] واشتغاله باللهو . فخرج الأحول بجيش كبير يريد أبا عبد الله فهزمه . وعاد فقتله زيادة الله . فقوي شأن أبي عبد الله وانتشرت جيوشه في البلاد وقال : المهديّ يخرج في هٰذه الأيّام ويملك / الأرض . فطوبى لمن هاجر إليَّ وأطاعني ! [381ب]

وجعل يغري الناس بزيادة الله ويعيبُه . وكان مع ذلك وزراء زيادة الله شيعةً لا يسُوءُهم ظفرُ أبي عبد الله ، بل كانوا قد تشوَّفوا إلى ظهور المهديّ ، وأبو عبد الله يرسل إليهم ويعدهم .

وبعث برجال من كتامة يثق بهم إلى عبيد الله المهدي وهو بسلميّة من بلاد الشام ليخبروه بمَا فتح الله وأنَّهم ينتظرونه . فساروا إليه وأخبروه بمَا كان من أمر

---

(1) في المخطوط : إليهم .

(2) هو أبو حوال محمد أبو عبد الله « ولم يكن أحوَلَ » (افتتاح الدعوة ، 138 . وانظر عيون الأخبار ، 91 هامش 20 ، و ص 110 هامش 53) . وهنا التباس في اسم أمير إفريقية : إبراهيم بن أحمد أم ابنه عبد الله بن إبراهيم ؟

(3) جمع المقريزي أحداثاً دارت في سنتين ، بين 289 و290 (انظر ابن الأثير ، الكامل 6 / 103) .

أبي عبد الله . [فهرب هو وولده أبو القاسم ، وخرج معه خاصّته] [1] وأمواله ومواليه . ومرَّ بمصر في زيّ التجَّار حتى انتهى إلى سجلماسة فقبض عليه صاحبها اليسع بن مدرار وحبسه .

أنتصار الداعي

وخرج أبو عبد الله في العساكر ففتح ميلة وغيرها من المدائن فجهَّز زيادة الله العساكر لقتال أبي عبد الله ، وقدَّم عليها إبراهيم بن حبشي [2] أحد أقربائه ، فتوجَّه إليه في نحو من ثمانين ألفاً ، وأبو عبد الله متحصِّن في الجبال لا يخرج إليه . فطمع فيه إبراهيم وزحف إليه بالعساكر . فأخرج أبو عبد الله خيلاً انتقاها فعاجلها إبراهيم بالحرب ، ولم يصحبه أحدٌ من أصحابه ، وكانت أثقال عسكره كما هي على ظهور الدوابّ والجمال . ونشبت الحرب فزحف أبو عبد الله بالعساكر على إبراهيم فوقعت الهزيمة [عليه] وعلى أصحابه ، وجرح إبراهيم وعقر فرسُه ولم ينجُ إلَّا بعد الجهد . واستمرَّت الهزيمة عليه فأسلموا الأثقال والأموال والعدد والسلاح ، وأبو عبد الله في طلبهم يومَه ذلك وإلى الغد ، فَقَتَلَ منهم خلقاً كثيراً . وكانت هٰذه الواقعة قاصِمةَ الظهر ، وبها تمَّ لأبي عبد الله أخذ المغرب واستقرارُ دولته .

وكتب إلى المهديّ [وهو] بسجنه في سجلماسه يبشِّره بالفتح ، وأنفذ الكتاب مع أبي الحسين جدّ [3] بني الحسين ولاة صقلية ، وبعث معه نفقةً .

(1) الزيادة من الكامل ، 6 / 129 (سنة 296) .
(2) ابن حبيش في المخطوط . والإصلاح من الإمارة الأغلبيّة وعيون الأخبار .
(3) في الكامل ، 6 / 130 : مع أحد ثقاته ، وأبو الحسين الكلبي مؤسس الأسرة الحاكمة بصقلية لا ذكر له عادةً ، وإنّما يذكر ابنه علي وحفيداه الحسن وعمّار (انظر ترجمة ماريوس كانار لسيرة جوذر ، ص 103) .
وفي ترجمة الحسن بن عمّار الكلبيّ التي مرّت بنا رقم 1204) أُلحِق اسم محمد بن الفضل ابن يعقوب بكنية أبي الحسين . فلعلّه اسم رأس الأسرة الكلبيّة الصقلّية .

ودخل أبو الحسين السجن في زيّ لحّام وعلى رأسه لحمٌ يبيعه للمحبـ[ـو]سين وثياب دهنة[1] ، فاجتمع به وعرَّفه ذلك .

ثمَّ سار أبو عبد الله وأخذ عدَّة مدائن بالسيف . فحشد زيادة الله وبعث العساكر لقتال أبي عبد الله ، فلقيـ[ـتـ]ـهم خيل لأبي عبد الله وأوقعوا بهم حتى أتوا على معظمهم قتلاً . فاشتدَّ ذلك على زيادة الله وخرج بنفسه في سنة خمس وتسعين [ومائتين][2] . ثمَّ عاد ، وبعث إبراهيم – مِن بني عمِّه – فواقعه أبو عبد الله وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ومضى كلّ منهما . فجمع أبو عبد الله عساكره فبلغت مائتي ألف فارس وراجل . وجمع زيادة الله مع آبن عمِّه إبراهيم ما لا يحصى ، وسار أبو عبد الله في أوّل جمادى الآخرة سنة ستٍّ وتسعين فلقيه إبراهيم واقتتلوا قتالاً عظيماً طال زمانُه وَجَرَتْ فيه أمورٌ آلت إلى هزيمة زيادة الله إلى مصر ، ونهبت قصور بني الأغلب .

ووصل إبراهيم إلى القيروان ، وجمع الناس عليه فلم يستقم له أمرٌ وخرج . ونزل أبو عبد الله برقّادة وأمَّن الناس ولم يتعرَّض لأحدٍ . وخرج إليه الفقهاء ووجوه البلد فلقُوه وسلَّموا عليه وهنَّؤوه بالفتح . فردَّ عليهم رَدًّا حسناً وحدَّثهم وأمَّنهم ، فأعجبهم ذلك وسرَّهم . وأخذوا في ذمِّ زيادة الله وذكر مساوئه ، فقال لهم : ما كان إلّا قويًّا[3] وله منَعة ودولة شامخة ، وما قصَّر في دفاعه ، ولكنَّ أمرَ الله لا يعانَد ولا يُدافَعُ .

فأمسكوا عن الكلام ورجعوا إلى القيروان .

إعلان الحكم الشيعيّ

وكان دخول أبي عبد الله رقَّادة يوم السبت مستهلّ شهر رجب . وعندما

---

(1) هكذا في المخطوط ولعلّها تعني : وسخة بالزيوت .

(2) في عيون الأخبار ، 122 : في أوّل سنة 295 .

(3) هكذا في الكامل : 6 / 132 وفي مخطوطنا .

نزل بالقصر فرّقَ دُورَها على كتامة . وكان قد خرج منها الناس فنادى بالأمان ، فرجع الناس إلى أوطانهم . وبعث العمَّال إلى البلاد ، وتتبّع أهل الشرِّ والفساد فقتلهم . وجمع ما كان لزيادة الله من الأموال والسلاح وغيره ، فاجتمَع كثيرٌ من ذلك . وكان فيمَا وُجد عدَّة جوارٍ لهنَّ حظّ من الجمال فسأل عمَّن يكفلهنَّ فَدُلَّ على امرأة صالحةٍ كانت لزيادة الله ، فأحضرها وأحسن إليها وسلَّم الجواري إليها ، وأمرها بالقيام عليهنّ ، وأمر لهنَّ بمَا يصلحهنَّ [ولم ينظر إلى واحدةٍ منهنَّ][1] .

وأمر بضرب السكَّة وأن لا ينقش عليها اسم ، ونقش عليها من وجه :

بلغت حجَّة الله

ومن الوجه الآخر :

تفرَّقت أعداء الله

ونقش على السلاح :

عُدّة في سبيل الله

ووسم على أفخاذ الخيل :

الملك لله

وأقام على ما كان عليه من لبس الدون الخشِن وتناول القليل من الطعام الغليظ .

وقدم عليه أخوه أبو العبَّاس برقّادة فسرَّ به . وخرج في شهر رمضان من [382 أ] رقّادة واستخلف على إفريقيّة أخاه / أبا العبَّاس وأبا زاكي . وسار في جيوش عظيمة فاهتزّ الغرب لخروجه وخافَتْهُ زناتة وتنحَّت القبائل عن طريقه وأتته رسلهم بالطاعة له .

---

(1) في المخطوط : ولم يذكروا أحداً ، والإصلاح من الكامل 6/ 132 (سنة 296) .

فلمّا قارب سجلماسة بعث إلى اليسع صاحبها يتلطّف به ويقول : « لم أقصد حربك ، ولكنَّ لي حاجةً مهمَّةً عندك » . وَوَعَدَهُ بالجميل . فلمّا أتته كتبُه رمى بها وقتلَ الرسل . فعاودَه بالملاطفة خوفاً على عبيد الله المهدي – ولم يذكره له – فقتل الرسول أيضاً ، وخرج فقاتل أبا عبد الله يومَه على ظاهر سجلماسة ، فلمّا جنَّهُمُ الليل افترقوا ، وهرب اليسع وأصحابه . وبات أبو عبد الله في غمّ عظيم لا يدري ما صُنع بالمهديّ وولده . فلمّا أصبح خرج إليه أهل سجلماسة وأعلموه بهرب اليسع ، فدخل أبو عبد الله بأصحابه المدينة ، وقصد المكان الذي فيه عبيد الله المهدي ، وأخرجه وولدَه وأركبَهُما ، ومشى هو ورُؤساء القبائل بين أيديهما ، وأبو عبد الله يقول للناس : « هٰذا مولاكم » وهو يبكي من شدَّة الفرح ، حتى وصل إلى الفسطاط الذي ضرب له ، فنزل فيه . وحصل في الناس من المسرَّة ما كاد يذهب بعقولهم . وأمر أبو عبد الله بطلب اليسع فأخِذ وضرب بالسياط ثم قُتل[1] .

وسار بالمهديّ إلى رقّادة . فلمّا قاربها مشى أبو عبد الله وجمعُ القبائل في ركاب المهدي حتّى نزل القصر وسلّمه الأمرَ كلَّه . فتصرَّف فيه على ما اقتضاه رأيُه .

تمرّد الداعي على المهديّ

فحسده أبو العبَّاس أخو أبي عبد الله ، وأخذ يزري عليه في مجلس أخيه . وما زال بأخيه أبي عبد الله حتى غيَّره ، وكان المهديّ لم يترك لأبي عبد الله ولا لأخيه أمراً . فواجه أبو عبد الله المهديّ بمَا في نفسه وقال له : يا مولانا ، لو كنتَ تجلسُ في قصرك ، وتتركني مع كتامة آمُرهم وأنهاهم على حسَب ما عوَّدتُهم ، لأنِّي عارفٌ بأخلاقهم ، لكان ذلك أهيبَ لك في أعين الناس .

(1) هذه رواية الكامل ، 6 / 133 . وفي عيون الأخبار ، 162 أنَّه ماتَ بِمشيتته لأنَّه امتنع عن الأكل والشرب ، وقد صفح عنه المهديّ .

وكان المهدي قد بلغه ما كان من مفاوضة أبي العبَّاس مع أخيه أبي عبد الله ، فعندما واجهَه أبو عبد الله بهٰذا ، تحقَّق صدقَ ما نُقل إليه ، غير أنَّه ردَّ ردًّا لطيفاً ، ولم يُظهر له شيئاً .

وكثر القول من أبي عبد الله وأخيه . وأخذ أبو العبَّاس يغري بالمهدي سرًّا [1] فيصل ذلك إلى المهديّ ويتغافل . وزاد الأمر حتى اجتمعوا على قتل المهديّ غدراً . وكان غزويه بن يوسف [2] يدخل معهم ويخبر المهديّ بمَا جرى ، فاتّفق أنّهم اجتمعوا في دار أبي زاكي ومعهم أبو عبد الله . فلمَّا كان الصبح خرج أبو عبد الله على عادته ، وقد لبس ثوبه مقلوباً ، فدخل على المهديّ فسلَّم عليه وخرج . فلم يذكر له المهديّ شيئاً . ثمَّ دخل عليه في اليوم الثاني والثالث وثوبه مقلوب على حاله . فقال له المهديّ : ما هٰذا الأمر الذي أذهلك وشغلك عن أمر نفسك يا أبا عبد الله ؟

قال : يا مولانا ، وما هو ؟

قال : أرى ثوبك مقلوباً عليك منذ ثلاثة أيّام فعلمتُ أنّك ما نزعتَه عن بَدَنِك .

فنظر أبو عبد الله إلى ثوبه فرآه مقلوباً فقال : والله ما علمتُ بذلك إلَّا ساعتي هٰذه .

فقال المهديّ : إنّ هٰذا لشغل عظيم ، فأين كنتَ البارحة بائتاً والليالي التي قبلَها ؟

فسكت أبو عبد الله . فقال المهديّ : أليس بتَّ هٰذه الليالي في دار أبي زاكي ؟

---

(1) قراءة ظنّيّة .

(2) في المخطوط : أبو يوسف . ولم يُسَمَّ هذا الجاسوس في الكامل ولا في عيون الأخبار . وسيتضامن هذا الزعيم الملوسي مع أخيه حباسة فيقتله المهديّ .

قال : بلى .

قال : وما الذي أحوجك أن تبيتَ في غير دارك ؟

فقال : يا مولانا ، خِفتُ .

قال : وهل يخاف الإنسانُ إلّا من عدوّه ؟

قال : أعوذ بالله !

قال المهديّ : إنَّ المؤمنَ لا يخافُ وليَّه .

فسكت أبو عبد الله وعلِم أنَّ عورتَه قد ظهرت للمهدي . ثمَّ انصرف وأخبر أصحابه بالقصَّة ، فخافوا على أنفسهم من المهديّ . فما زال بهم المهديّ حتى فرَّقهم في البلاد .

قتل الأخوَين

وخرج أبو عبد الله وأخوه أبو العبَّاس يوماً يريدان القصر . وكان المهدي أمر غزويه ورجالاً معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه . فلمَّا وصلا إلى قرب القصر حمل غزويه على أبي عبد الله وحمل آخر على أخيه فقال أبو عبد الله : لا تفعل يا بنيّ !

قال : الذي أمرتَنا بطاعتِه أمرني بقتلك .

فقتلاهما يوم الاثنين النصف من جمادى الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين . فخرج المهديّ وصلَّى عليهما وقال : رحمك الله يا أبا عبد الله وجزاك خيراً بجميل سعيك ! ولا رحمك يا أبا العبَّاس فإنَّك صرفته عن الحقّ[1] .

---

(1) في عيون الأخبار ، 187 تعليق طويل على ترحّم المهديّ على صاحبه بعد قتله .
وقد أفادنا المقريزي هنا بأمور ، منها :
1ـأن غزويه بن يوسف الكتاميّ هو الذي كان يحمل خبر المؤامرة إلى المهديّ .
2 – أنَّ اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة قُتل صبراً بعد الظفر به . =

1225 – شمس الدين ابن الأثير الواعظ [– 735] [1]

[382ب] الحسين بن أسد بن مبارك بن الأثير ، شمس الدين / ، الواعظ .

سمع من الحافظ عبد العظيم ، وعبد المحسن بن عبد العزيز المخزوميّ ، والنجيب . وكان حسن المُذاكَرة فاضلاً .

توفّي بمصر عن أربع وثمانين سنة في يوم [الخمِيس سادس جمادى الآخرة] سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

1226 – أبو عليّ ابن الخشّاب

الحسن بن بقاء بن محمد بن أحمد الخشّاب ، أبو عليّ ، زوج بنت عبد الغنيّ الحافظ [2] .

روى عن أبي هريرة بن أبي العصام وغيره . روى عنه أبو الحسن الحبّال الحافظ . وقد حدّث عنه صهره عبد الغنيّ بن سعيد الحافظ فيقول : حدّثني صهرنا أبو عليّ .

= 3 – أنَّ جدّ الكلبيّين أمراء صقلّيّة – أبا الحسين – كان من أصحاب أبي عبد الله الأوّلين .

هٰذا وقد خصَّص المقريزي ترجمة لأبي العبّاس المخطوم محمد بن أحمد بن محمد شقيق أبي عبد الله (رقم 1828) .

(1) السلوك 2 / 387 والزيادة منه .

(2) الحافظ عبد الغنيّ توفّي سنة 409 (وفيات 3 / 223) . وذكر ابن خلّكان كاتباً له يدعى أبا الحسن عليّ بن بقا . وفي الشذرات 3 / 285 : أبو الحسين علي بن بقا المصري الورّاق الناسخ محدّث ديار مصر ، توفّي سنة 450 .

1227 - ٱبن خدّاع الأرقطيّ [310 -]

الحسين بن جعفر بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد الأرقط بن عبد الله بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، أبو القاسم ، ابن أبي عبد الله ، المعروف بٱبن خدّاع ، الحسينيّ ، الأرقطيّ .

مولده لعشر خلون من ذي القعدة سنة عشر وثلاثمائة . وأخذ النسب عن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد الجواني النسّابة البغدادي في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة . وكان نسّابة مصر في أيّام كافور الإخشيديّ . وله كتاب « نسب ولد الحسن والحسين » في مجلّدين .

وكان أبوه جعفر بن أحمد أسنّ ولد أبي طالب في وقته ، وهو الذي يعرف بٱبن خداع : كانت له دايَة تسمّى خداع ، وكان إذا خرج بين الصبيان بالحجاز يتجنّبونه بسبب خصومتها لهم من أجله فعُرف بها .

ثمّ انتقل إلى مصر ، وأكرمه السلطان .

وولي أبو القاسم خطابة الجامع (1) .

1228 - قائد القوّاد حسين بن جوهر [- 401]

أبو عبد الله ابن القائد أبي الحسن، الروميّ .

[. . .] فلمّا ولي الحاكم بأمر الله خلع عليه في خامس شوّال سنة ستٍّ وثمانين وثلاثمائة ، وردَّ إليه البريد والإنشاء ، وقاد بين يديه عدَّة من الخيل وكثيراً من الثِّياب ، وحُمل على فرس بمركب ذهب فصار يخلفه [أبو منصور بشر بن عبيد الله] ٱبن سورين (2) .

(1) يعني خطابة جامع عمرو . انظر الخطط 4/ 9 ، وزاد المقريزي أنّ أخاه ولي خطابة الأزهر . ولم يذكر ابن خدّاع فيمن مضى من الجعافرة .

(2) الزيادة من الاتّعاظ ، 2/ 5 ومن الخطط ، 3/ 22 ، وزاد : الكاتب النصرانيّ .

واستكتب أمينُ الدولة [الحسن بن عمّار] [1] أبا عبد الله الموصليّ ، وجعل إليه أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم .

فلمّا قُتل الأستاذ برجوان[2] استدعيَ في يوم الأربعاء ثالث جمادى الأولى سنة تسعين وثلاثمائة إلى القصر ، وخُلع عليه ثوب ديباج أحمر ومنديل أزرق مذهّب ، وقُلِّد بسيف محلًّى بذهب ، وحمل على فرس بسرج ولجام ذهب ، وقيد بين [يديه] ثلاثة أفراس بمراكبها ، وحُمل أمامه خمسون ثوباً صحاحاً من كلّ نوع ، وردَّ إليه الحاكم بأمر الله التوقيعات عنه ، والنظرَ في أمور الناس ، وتدبير المملكة ، وإنصافَ المظلوم . ونزل من القصر وخلفَه فهد بن إبراهيم[3] ، وقد خلع عليه أيضاً ، وسائر الناس مَعَه حتّى دخل إلى داره .

وتقدَّم إلى فهد بن إبراهيم بالتوقيع في رقاع الرافعين ، على ما جرى رسمُه به من أيّام الأستاذ برجوان ، وأن يعاضدَ القائد حسين بن جوهر في النظر ، ويساعدَه ، ويخلفَه إذا غاب . وكان القائد يبكّرُ إلى القصر ومعه الرئيس فهد فينظران في أمور الناس ويُنْهيان جميع ذلك إلى الحاكم ، والقائد مقدّم وفهد تبع [له] ويكون رسم القائد إلى الكافّة بأن لا يلقاه واحدٌ من الناس على طريق ولا يركب إلى داره في قضاء حقّ ولا سؤال حاجة ، وأن يكون موضع النظر في سائر الأمور بالقصر . وتقدَّم أيضاً أن لا يخاطبه أحدٌ بسيِّدنا في رقعة تكتب إليه[4] ، وأن يكون خطابه والكتابة إليه بالقائد فقط ، وأن لا يخاطب فهد [بن] إبراهيم ولا يكاتب إلّا بالرئيس لا غير .

واتّفق أنّه رأى جماعة من قوّاد الأتراك قياماً على الطريق ، وهم في انتظاره ، فوقف لهم وقال : كلّنا عبيد مولانا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ،

---

(1) الزيادة من الاتّعاظ ، 2/ 6 ، وقد مرّت ترجمة الحسن بن عمّار الكلبي برقم 1204 .
(2) قتل برجوان في ربيع الأوّل 390 قتله ريدان الصقلبي بأمر من الحاكم .
(3) فهد بن إبراهيم النصرانيّ ، أبو الغلاء ، وكان كاتب برجوان .
(4) زاد في الخطط ، 3/ 22 : . . . لخوفه من غيرة الحاكم .

ومماليكُه ، وليس والله أبرح من موضعي أو تَنْصرفوا عنّي ، ولا يلقاني أحدٌ إلّا في القصر .

فتركوه وانصرفوا . وأقام خدماً من الصقالبة الطرادين [1] نوباً على الطريق ، يمنعون الناس من المصير إليه ومن لقائه إلّا في القصر . وصار يجلس بالقصر في الموضع الذي رُسِم له الجلوس فيه ولا يتعدّاه . وأمر أبا الفتح [2] مسعوداً الصقلبيّ صاحب السِّتر أن يوصل الناس بأسرهم إلى الحاكم ، ولا يمنع أحداً من الوصول إليه ، وأن يعرف رسمَ كلّ من حضَر ومن يجلس للتوقيع إذا وقّع له ، ففعل ذلك ، ودخل الناس على الحاكم برقاعهم وقصصهم ، فوقّع فيها .

وفي سابع / عشر جمادى الآخرة قرىء سجلّ على منابر المساجد الجامعة [383 أ] بالقاهرة ومصر يتضمَّن تلقيب حسين بن جوهر بقائد القوّاد [3] .

1229 – أبو علي الحليليّ [555 –]

حسين بن حسن بن إبراهيم بن سنان بن موسى بن حسن بن بشر بن إبراهيم ، أبو علي ، ابن أبي عليّ ، الغراريّ ، الحليليّ ، التاجر .

ولد ببلبيس سنةَ خمس وخمسين وخمسمائة .

---

(1) الطرّادون ج طرّاد وهو فارس الطراد ، أي المبارزة والملاحقة .

(2) في الاتّعاظ ، 2 / 30 : أبو الفتوح .

(3) الترجمة مبتورة من آخرها . فالمراجع القديمة تردّد أخبار تنكّر الحاكم لوزرائه وقوّاده ، وهرب قائد القوّاد من القاهرة خوفاً على حياته ، ثمّ رجوعه بأمان من الحاكم ، وأخيراً وقوعه ضحيّةً مع صهره عبد العزيز بن محمد بن النعمان يوم 12 جمادى الثاني سنة 401 . انظر : اتّعاظ الحنفاء 2/ 86 ، والكامل ، 9/ 122 ، والخطط ، 3/ 22 – 24 . وابن خلّكان (في ذيل ترجمة أبيه جوهر ، رقم 145) ، وكتاب الولاة والقضاة ، 603 .

ولا يظهر من الترجمة سبب لغضب الحاكم عليه ، ولا بوادر هذا التنكّر . ونجد في المصادر الأخرى تحليلاً أوسع لنفسيّة هذا القائد ، وتفاصيل أخرى عن سلوكه وسياسته ، مثل خبر تواطئه مع أبي ركوة الثائر على الحاكم ببرقة (الكامل ، حوادث سنة 397) .

1230 – الحسين الحمدانيّ [– بعد 388][1]

الحسين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان بن حمدون ، الأمير ناصر الدولة ، أبو عبد الله ، ابن الأمير ناصر الدولة وأمير الأمراء أبي محمد ، ابن الأمير أبي الهيجاء ، التغلبيّ .

هو أخو الأمير فضل الله الغضنفر ، وجدّ الأمير ناصر الدولة أبي عليّ الحسين[2]، ابن ناصر الدولة أبي محمد الحسن ، ابن ناصر الدولة أبي عبد الله الحسين ، ابن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ، الثائرُ على المستنصر بمصر.

ولد في [. . .] وولّاه أبوه الحديثةَ . فلمّا قدم عضد الدولة فنّاخسرو إلى العراق في سنة أربع وستّين وثلاثمائة ، قبض عليه وٱعتقله هو وأخاه أبا طاهر إبراهيم مدّةَ خمسَ عشرةَ سنة . ثمّ أطلقَهُما بهاء الدولة أبو نصر فيروز ابن عضد الدولة ، فخرجا إلى الموصل في سنة تسع وسبعين وثلاثمائة بإذن بهاء الدولة لهُما . فلمّا سارا إلى الموصل علم القوّادُ الغلَطَ في مسيرهما . فكتب بهاء الدولة إلى متولّي الموصل يأمُره بدفعهما عنها . فبعث يأمرهُما بالعود عن الموصل . فردّا جواباً جميلاً وجدّا في السير حتّى نزلا بظاهر الموصل . فثار أهل الموصل بالديلم والأتراك ونهبوهم ، وخرجوا إلى بني حمدان . فخرج الديلم إلى قتالهم فهزمهم بنو حمدان والمَواصِلة وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وٱعتصم الباقون بدار الإمارة . وعزم المواصلةُ على قتلهم ، فمَنَعهم بنو حمدان وبعثوا بهم إلى بغداد .

وأقام بنو حمدان بالموصل ، وكثر جمع العرب من عقيل معهم . فطمع باد الكرديّ[3] صاحب ديار بكر في بني حمدان ، وجمع الأكراد وٱستمال أهل

(1) أنظر الترجمة 1179 وخصوصاً الهامش 1 الذي ضبطنا فيه شجرة الأسرة الحمدانيّة .
(2) هو صاحب الترجمة الآتية رقم 1231 .
(3) في الاتّعاظ ، 1/ 260 ، 270 هو المتغلّب على ميّافارقين .

الموصل ، فمال إليه منهم جماعة وسار . فخرج الحسين بن حمدان وترك أخاه أبا طاهر بالموصل ، يريد لقاء أبي الذوّاد محمد بن المسيّب أمير بني عقيل مستنصراً به على باد . فأجابه وسار معه وعَبَرَا دجلة . فٱضطرب باد ، وقام ليركب ، فٱندقّ عنقُه ولم يقدر على الركوب . فتركه ابن أخته أبو علي ابن مروان وٱنصرف بالناس . فقُتل باد في سنة ثمانين وثلاثمائة وحمل رأسه إلى بني حمدان . ومضى أبو علي ابن مروان إلى حصن كيفا وكان به زوجةُ خاله باد . فمكّنته منه[1] ومن غيره ، وسار إلى ميافارفين . فخرج الحسين وإبراهيم ابنا حمدان فقاتلَهُما ، وأسر الحسين . ثمّ أكرمَه وأطلقَه . فصار إلى أخيه إبراهيم بآمد وهو على حصارها . فأشار عليه بمصالحة ابن مروان ، فأبى . وسار إليها ابن مروان وقاتلها وأسر الحسينَ ثانياً ، وٱنهزم إبراهيم . فضيّق ابن مروان على الحسين وأساء إليه . وخرج إلى إبراهيم وهو بنصيبين فقاتله وأسره هو وابنه عليًّا وقتلَهُما صبراً .

ولم يزل الحسين في سجنه إلى أن كاتبه[2] العزيز بالله نزار ابنِ المعزّ لدين الله معدّ الفاطميّ من مصر ، وشفع فيه . فأطلقه . ومضى إلى مصر فوليَ صور بعد موت العزيز في أيّام الحاكم عندما عصى أهل صور وأمّروا عليهم رجلاً ملّاحاً يعرف بالعلّاقة في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . فخرج إليها بتعيين برجوان في عسكر كثير وقد غلبَ عليها الروم مع العلّاقة . فٱستنفرَ الناسَ من دمشق وأعمالها ، وقاتل الرومَ والعلّاقةَ قتالاً شديداً وأتته النجدات في المراكب البحريّة من مصر . فبادر الروم إلى مراكبهم وأقلعوا في البحر عن صور . وأقبلت النجدات التي قدمت من مصر فٱشتدّوا على صور ورمَوا مَن كان فوقَ الأسوار حتّى تفرّقُوا ، وملكوا البلد . فٱلتجأ العلّاقة إلى برج ثمّ نزل بأمان الحسين له . وملك صور في يوم السبت الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة . وكان هٰذا أوّل فتح على يد الأستاذ برجوان . ولم يزل والياً على صور حتى مات

(1) من الحصن .

(2) كاتب العزيزُ ٱبنَ مروان .

بها في [. . .] فقام مقامه ابنه أبو محمد الحسن[1].

[383ب] ومن شعر أبي عبد الله الحسين ، وكتب / إلى أخيه وجيه الدولة ذي القرنَين أبي المطاع[2]، وهو بديار بكر [بسيط] :

لو كنتُ أملك طَرفي ما نظرتُ به   من بعد فُرقَتِكم يوماً إلى أحدِ
ولستُ أعتدّه من بعدكم نظراً   لأنّه نظرٌ من ناظرٍ رمِدِ

فأجابه أبو المطاع :

قد كان في نزهةٍ طرفي برؤيتكم   ينوبُ شاهدُها عن ذلِّ مفتقِدِ
فالآن أشغلُه من بعد فقدكمُ   حفظاً لعهدكمُ بالدمع والسّهَدِ

1231 – سلطان الجيوش الحمدانيّ [– 465][3]

الحسين بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن الرشيد بن المثنّى بن رافع بن الحارث [بن غطيف] بن مجربة بن حارثة بن مالك بن جشم – أحد الأراقم – بن بكر بن خُبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معدّ بن عدنان ، الأمير ناصر الدولة ، أبو عليّ ، ابن الأمير ناصر الدولة أبي محمّد ، ابن الأمير ناصر الدولة أبي عبد الله ، ابن أمير الأمراء أبي محمد ناصر الدولة ، ابن الأمير أبي الهيجاء ، التغلبيّ ، الحمدانيّ ، الملقّب سلطان الجيوش[4] .

... ولمّا كانت سنة تسع وخمسين [وأربعمائة] ، واشتدّت الفتنة بين

---

(1) مرّت ترجمته برقم 1179 .
(2) أورد المسبّحي طائفة من شعر أبي المطاع في كتابه أخبار مصر في سنتين ، نشر ميلورد ، القاهرة ، 1960 ص 100 .
(3) الوافي 12 / 357 (340) . وانظر الترجمتين 1179 و1232 .
(4) في الوافي : لقّب نفسه بهذا اللقب .

العبيد والسودان والغلمان والأتراك ، وتحيّز العبيد إلى شبرا دمنهور ، وقويَت الأتراك وطلبوا من المستنصر الزيادةَ في واجباتهم ، وحضر العبيد إلى الجيزة ، قدّم الأتراكُ عليهم ابن حمدان هٰذا وخرجوا لقتال العبيد فكسروهم . وعاد ابن حمدان بنفس قويّة وتحكّمَ حُكماً جائراً . وصار العبيدُ إلى الصعيد . فٱجتمع أكابر الأتراك عند المستنصر فشكَوا من العبيد . فأمرت أمّ المستنصر جماعة من العبيد والخدم فهجموا عليهم وقتلوهم . فبلغ ذلك [ابن] حمدان ، ففرّ مِن داره إلى ظاهر البلد ، وٱجتمع إليه الأتراك وٱقتتلوا مع العبيد المقيمين بالقاهرة ومصر مدّة أيّام . وحلف ابن حمدان أنّه لا ينزل عن فرسه إلّا بٱنفصال الأمر ، إمّا له وإمّا عليه . وثبت ، فانهزم العبيد بعدما قتل معظمُهم . فٱشتدّ بأسُه ، وكلّف المستنصر مالاً عظيمًا ، وأنفق على مَن معه ألفَ ألف دينار عيناً . وخرج في شهر رمضان من هٰذه السنة إلى محاربة العبيد ببلاد الصعيد ، فواقعَهم ، وقوُوا عليه . فٱنهزم منهم وصار إلى الجيزة ، وتلاحق به أصحابُه .

فشغب على المستنصر[1] وٱتّهمَه بالنفقة على العبيد في السرّ ، فحلف على ذلك ، وشرع ابن حمدان يستدعي الأموال من المستنصر فبعث إليه بشيءٍ عظيم أنفق منه في أصحابه ، بدلَ ما تلفَ لهم في الوقعة ونهَبَهُ لهم السودان ، مبلغ ألف ألف دينار أخرى . فسار وأوقع بالعبيد وقعةً عظيمة أبادَهم فيها ولم ينجُ منهم إلّا اليسير ، فزالت دولتُهم .

وعاد ابن حمدان في سنة ستّين وقد عظم أمرُه وتفرّد بالأمر دونَ الأتراك . فلم يحتملوه وصاروا إلى الوزير الخطير[2] وقالوا له : كلّما خرج مالٌ من الخليفة يأخذ ابنُ حمدان أكثره يفرّقه في حاشيتِه ولا يصل لنا منه شيء ، إلّا القليل .

فقال : إنّما وصل إلى هٰذا وغيره بكم . ولو فارقتموه لم يتمّ له أمرٌ .

---

(1) اتّعاظ 2/ 276 ثم 278 .

(2) خطير الملك هو ابن اليازوري المقتول سنة 450 (ترجمة رقم 1188) وابنه خطير الملك اسمُه محمّد بن الحسن ، وتولّى الوزارة في صفر 461 (اتّعاظ ، 2/ 300 ، وابن ميسّر ، 19 .

فٱتّفقوا على محاربته وإخراجه من مصر ، وتحدّثوا مع الخليفة في ذلك . فبعث إليه يأمره بالخروج عن مصر ويهدّدُه إن لم يخرج . فخرج من داره إلى الجيزة . ونُهِبت دورُه ودورُ حاشيته وأصحابه في صفر سنة إحدى وستّين . فلمّا كان في الليل عاد من الجيزة سرًّا إلى بيت القائد تاج الملوك شادي ، وقبّل رجلَه وقال : ٱصطنِعني وانصرني على ألدَكز وعلى الوزير الخطير .

فقال : كيف لي بذلك ؟

قال : أن تركب في سائر أصحابك وتسير بين القصرَين ، فإذا أمكنتك فرصة فٱنتهزها وٱقتُلْهُما .

[384 أ] فأجابه . وعاد ابن حمدان إلى / الجيزة . فلمّا أصبح شادي شرع فيمَا تقرّر ، ففطن به ألدَكز ، فٱلتجأ إلى القصر وٱستجار بالمستنصر . وأقبل الوزير في موكبه ولم يشعر [فقتله تاج الملوك] [1]. فبعث شادي إلى ٱبن حمدان أن يحضر فعدّى من الجيزة . وحسّن ألدَكز للمستنصر أن يركب ، فلبس سلاحَه ، وٱجتمع إليه عالَم كثير من العامّة والأجناد والأتراك . وقاتل ابن حمدان فٱنهزم بعدما قُتل كثيرٌ من أصحابه ، وسار إلى البحيرة في نفر قليل . فنزل على بني سنبس وأقام عندهم وتزوّج منهم وأخذ في إبطال الخطبة للمستنصر وتغيير الدولة الفاطميّة .

وسيّر الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد البخاري قاضي حلب إلى السلطان ألب أرسلان [ملك العراق] يسأله أن يجهّز إليه عسكراً ليقيم الدعوةَ العبّاسيّةَ بمصر . فتجهّز ألب أرسلان وبعث إلى محمود بن نصر [2] بن صالح بن مرداس ، فقطع خطبة المستنصر من حلب في شوّال سنة ٱثنتين وستّين ودعا للخليفة القائم بأمر الله العبّاسيّ وللسلطان ألب أرسلان .

---

(1) ٱتّعاظ 2/ 279 ، وخطط ، 2/ 139 وابن ميسّر ، 19 . ومن هٰذه المصادر أخذنا قتل الوزير الخطير ، ولا يخلو الأمر من ريبة إذ أنّ المقريزي لم يذكر قتل ابن اليازوري في ترجمته رقم 2069 .

(2) في الاتّعاظ 2 / 302 (سنة 402) : محمود بن ثمال .

وسار ألب أرسلان إلى الشام وقطع الفرات في ربيع الآخر سنة ثلاثٍ وستّين ، ونزل على حلب . ثمّ عاد لِمَا دهَمَه من خبر ملك الروم ، وترك عدّةً من الترك ملكوا بلاد الشام ، فخرجت من أيدي المصريّين من حينئذ .

وندب المستنصر عسكراً لقتال [ابن] حمدان عندما بلغه مكاتبة أهل العراق . فتقدّم أحدُ مقدّمي العسكر ، وكانوا ثلاث فرق ، وواقع ابن حمدان ، فقتل من أصحابه عدّةً وأسر . وقدم العسكرُ الثاني ولم يعلم بمَا جرى على الأوّل ، فمرّ عليه مثلُ ما جرى على مَن تقدّمه ، وقدم الثالث فصار إلى ما صار إليه العسكران من القتل والأسر . وقويَ ابن حمدان بمَا غنِمه من هٰذه العساكر ، ومنع الميرة عن القاهرة ونهب أكثر [الوجه][1] البحريّ وأبطل الخطبة للمستنصر من الإسكندريّة ودمياط وسائر الوجه البحريّ ، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العبّاسيّ .

فٱشتدّ الأمرُ وعظُم الخطب بالقاهرة ومصر لكثرة الجوع والموت في الناس ، وألجأت ضرورةُ الحال الأتراك إلى مصالحة ابن حمدان [لـ]ـما حلّ بالناس من البلاء والشدّة . وتقرّر الحال على أنّه يقيم بمكانه من البحيرة ويُحمَل إليه مالٌ مُقرّر ، ويكون تاج الملوك شادي نائباً عنه . فرضي بذلك ، وسيّر الغلال إلى القاهرة فتنفّس خناق الناس قليلاً .

ثمّ ٱنتقض ما تقرّر بعد أشهر ، وٱختلف الأتراك على ٱبن حمدان ومنعوه المال . فسار من البحيرة في عساكر كثيرة ونزل على الجيزة ، وٱستدعى تاج الملوك . فخرج إليه ومعه عدّة من المقدّمين فقبض عليهم وعدّى حتّى وافى مدينة مصر في ذي القعدة سنة ثلاث وستّين [وأربعمائة] ونهبها أصحابُه وحرقوا دور الساحل . فبعث إليه المستنصر عسكراً كبيراً حاربوه وهزموه ، فعاد إلى البحيرة .

وسار في سنة أربع وستّين إلى مصر وقد ٱضمحلّ أمرُ المستنصر وبطل ذكره

(1) اتّعاظ 2 / 303 .

وعظمت الشدّة في الناس . فقدم في شعبان وحكم في مصر وبعث يستدعي المال من المستنصر ، فوجده الرسولُ على حصير ، وقد زالت أبّهةُ الملك . فرقّ له وقرّر بٱسمه راتباً في كلّ شهر مائة دينار . وفرّق أهلَ الدولة عن المستنصر وٱجتهد في إقامة الدعوة العبّاسيّة بالقاهرة ومصر ، فلم يتمكّن من ذلك لكثرة أتباع المستنصر . وفطن له ألدَكز ويَلدكوش ، وهما من أكبر الأمراء ، وٱجتمعوا بالأتراك وخوّفوهم عاقبة ٱستبداد ابن حمدان وقطعه الدعوة العلويّة . فٱنقادوا إليهما وتواعَدُوا على قتله . وكان ألدكز قد زوّج ابنتَه من ٱبن حمدان هٰذا وتحالفا وأمن كلّ منهما إلى الآخر . فركب ابن حمدان يوماً ليرتّب العساكر ، فركب ألدَكز في خمسين فارساً ، ورتّب مع غلامه حسام الدولة كمشتكين قتلَ ٱبن حمدان ، وذكَّره بمَا هو عليه من سفك الدماء ، وما وقع بسببه من الغلاء والجَلاء ، فٱتّفقا على إِرَاحةِ المسلمين منه . ثمّ / قصداه وهو يتمشّى في داره ، [384ب] فمشى معه ألدَكز ، ثمّ تأخّر عنه وضربه في خاصرته ، وضربه كمشتكين فقطع رجليه ، فصاح : فعلتموها ! – ثمّ حزّوا رأسه ، وذلك في ليلةٍ من رجب سنة خمس وستّين وأربعمائة .

وكان يسكن بمنازل العزّ[1] في مدينة مصر . وقيل : بل هجموا عليه من غير ٱستئذان ، فتلقّاهم في صحن الدار ، وعليه رداءٌ ، فأخذته السيوف وقطع ألدَكز رأسَه . وكان محمود بن ذُبيَان أمير بني سنبس في خزانة الشراب فدخلوا فقتلوه ، ومضوا إلى أخيهِ تاج المعالي [ابن حمدان] وإلى ٱبنه فخر العرب عليّ وجماعة من أهل بيته فقتلوهم[2] ، وٱنقطع من حينئذ أثرُ بني حمدان من ديار مصر ولم يبقَ لهم ذكر . ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود ، 102) .

---

(1) منازل العزّ منتزهات وقصور « بنتها السيّدة تغريد أمّ العزيز . . . وكانت مطلّة على النيل . . . وبموضعها الآن المدرسة التقويّة » . الخطط ، 2/ 376 .

(2) النجوم 5/ 21 .

واتّفق أنّ ناصر الدولة هٰذا نظر إلى أخيه المهذّب وقد وفّر له وفرة من شعره فقال: يا مهذّب نحن قوم خوارج عرب. أين أنت وهٰذا الشعر الذي قد تركتَه ؟

فقال له المهذّب : يا مولانا نحن قوم خوارج ، وقلّما مات الخارجيّ إلّا مقتولاً ، فيكون حملُ المقتول بشعره المظفور خير[اً] من أن يخرق شدقه ويُحمل به وبلحيّته .

فقال ناصر الدولة : ذخيرة سوء ليوم مشؤوم .

فأراد الله أنّه لمّا قُتل ناصر الدولة والمهذّب حمل رأس المهذّب بدبّوقته[1] المظفورة ، وناصر الدولة ثُقب شدقه وحمل به .

وفي ناصر الدولة هٰذا يقول ابن حيّوس [كامل] :

مَحْضُ الإباءِ وسُؤدَدِ الآباءِ جعلاك منفرداً عن الأكفاءِ[2]
ولقد جمعتَ جميَّةً وتقيَّةً تَثني إليك عِنانَ كلّ ثناءِ
الدهر في أيّام عزّك ، لا أنقضت ، متعوِّضٌ عن ظلمة بضياءِ
حُطتَ الرعايا بالرعاية رأفةً فاضت على القُرَباءِ والبُعَدَاءِ

1232 – الحسين بن حمدان [– 306][3]

الحسين بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد – وقيل : الرشيد – بن المثنّى بن رافع بن الحارث بن بُطَيف بن مَجْرَبة بن حارثة بن مالك بن جشم – أحد الأراقم – بن بكر بن خبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن

---

(1) الدبّوقة : الظفيرة من الشعر .
(2) ديوان أبن حيّوس 1 / 12 . وفي المخطوط : جعلوك .
(3) الوافي 12 / 360 (344) – تهذيب ابن عساكر 4 / 294 دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 639 . وأنظر فيما سبق التراجم 1179 ، 1230 ، 1231 .

هنب بن أقصى بن دعمى بن جدِيلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معدّ بن عدنان ، الأمير أبو عبد الله ، وأبو علي ، التغلبيّ ، عمّ سيف الدولة أبي الحسن عليّ بن عبد الله بن حمدان .

فبنو حمدان جرثومة نسبهم تغلب ، وشعبهم في ربيعة . وحمدان أوّلُ من ٱشتهر منهم ذكرُه . وكان يقال له : مكايد المحل . وقام مع هارون بن عبد الله الصفريّ الشاري ببلاد الموصل بعد سنة ستّين ومائتين وغلظ أمرُه حتّى أخذ قلعة ماردين وغيرَها ، وخرج إلى المعتضد بالله فٱستخلف ابنه حسيناً على قلعة ماردين وفرّ في المحرّم سنة ٱثنتين [وثمانين] ومائتين . فسلّم الحسينُ القلعةَ بأمانٍ . وأخذ المعتضد حمدان في طلبه ومعه جماعة من الفرسان والرجّالة في سنة ثلاث وثمانين ، فانتخب ثلاثَمِائة فارس ، ومعهم وصيف الخادم . فقال الحسين : يا أمير المؤمنين ، إن أنا جئت به فلي ثلاث حوائج إلى أمير المؤمنين ، أوّلها إطلاقُ أبي . وحاجتان أذكرُهما بعد مجيئي به .

فقال المعتضد : لك ذلك .

قال الحسين : يا أمير المؤمنين ، تأمر وصيفاً بطاعتي .

فأمره بطاعته . فسار ولقيه فأوقع به وقتل بينهم قتلى كثيرة وانهزم هارون فتبعه حتّى أخذه أسيراً وجاء به إلى المعتضد . وانصرف المعتضد من الموصل وكان قد قدمها بسبب هارون وصار إلى بغداد في ربيع الأوّل منها ، وخلع على الحسين وطوّقه وخلع على إخوته وأمر بحلّ قيود حمدان بن حمدون والتوسعة عليه ووعد الحسينَ بإطلاقه .

ولم يزل الحسين ببغداد إلى أن مات أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو العبّاس أحمد وٱستخلف من بعده ٱبنه المكتفي بالله[1] . وقام [القرمطيّ] بأرض الشام / [385أ]
وتلقّب بالمهديّ أمير المؤمنين . وخُطب له على منابر أطراف حمص ، وعهد لٱبن عمّه عبد الله بن أحمد الملقّب بالمدّثر ، ثمّ غلب على حمص وحماه وبعلبك

---

١ في 22 ربيع الآخر سنة 289 .

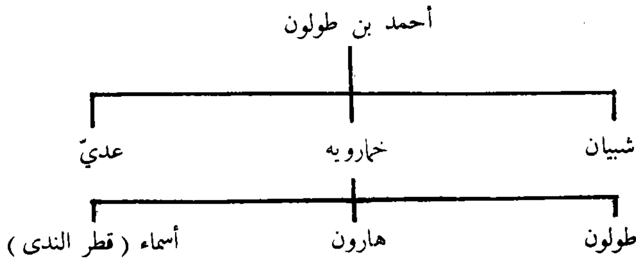
وسلميّة ، وأفسد وخرّب ، وحصر حلب . فخرج المكتفي من بغداد في سنة تسعين ومائتين ونزل الرقّة . وبعث محمد بن سليمَان الكاتب على الجيوش لقتال القرمطيّ ، ثمّ بعث في إثره الحسين بن حمدان وغيره من القوّاد ، فاجتمعت الجيوش وواقفت القرمطيّ حتى فرّق وقتلت أصحابه وأسرت . وكان أكثرَ الناس أثراً في الحرب الحسينُ بنُ حمدان .

فلما عادوا إلى بغداد خلع على القوّاد وأُمروا بالمسير إلى مصر والشام مع محمد ابن سليمَان الكاتب لأخذ الأعمال من هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون . فساروا – وفيهم الحسين بن حمدان – في رجب سنة إحدى وتسعين [ومائتين] حتى نزلوا الرملة . فلمّا ثار شيبان وعديّ ابنا أحمد بن طولون[1] وقتلا هارون بن خمارويه بالعبّاسة ، وقام بأمر مصر شيبان ، لم يرضِ ذلك الأمير طغج بن جفّ ، وفائق مولى خمارويه ، وعدّة من قوّاد مصر ، وأنكروه وخالفوا على شيبان وكاتبوا الحسين بن حمدان بمقتل هارون وسألوه أخذ الأمان لهم ، وحرّكوه على الفسطاط وكان قد تربّص بالرملة لمّا نزل هارون بالعبّاسة . فتوسّط الحسين للقوّاد عند محمد بن سليمَان حتى أمّنهم . وسار حتى قدم الفسطاط ومعه الحسين . فأقام بمصر حتّى تسلّمها من بني طولون وعاد إلى العراق بالقوّاد .

فأقام الحسين ببغداد إلى أن خرج محمد بن عبد الله بن سعيد العلم ، ويكنّى

---

(1) يظهر أنّ شجرة الطولونيّين تتفرّع كما يلي :



وانظر ترجمة أحمد بن طولون رقم 458 وخمارويه رقم 1401 .

بأبي غانم ويعرَف بنصر في سنة ثلاث وتسعين بأرض الشام ، وأخَذَ بصرى وأذرعات والبثنيّة ، وقصدَ دمشق ، وقتل صالح بن الفضل عاملَها من قِبل ابن كيغلغ . ثمّ سار إلى طبريّة ونهبها وقتل أهلها . فبعث المكتفي بالله الحسينَ بنَ حمدان في جماعة من القوّاد لمحاربته . فقدم دمشق والقرمطيّ بطبريّة . فلمّا علم بالحسين سار نحو السماوة فتبعه الحسين ، وصار القرمطيّ يغوّر المياه التي يرحل عنها . فعاد الحسين عنه على الرحبة ، ووافى القرمطيّ هيت لتسع بقين من شعبان فنهب وقتل . فبعث المكتفي إليه محمّدَ بن إسحاق بن كنداج على جيش كثيف . ثم أتبعه بمؤنس . وكتب إلى الحسين بن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحبة . فلمّا أحسّ أصحاب القرمطيّ بذلك أٱتمرُوا به ، وقتله شخص من أتباعه يقال له الذئب بن القائم ، وشخص إلى بغداد متقرّباً بذلك ، فأكرم وأجيز ، وكُفَّ عن طلب قومه .

فٱختلف رأي القرامطة بعد ذلك وتقاتلوا وٱفترقُوا . ولم يزل الحُسين يُبعث في طلب الثوّار إلى أن كانت خلافة المقتدر ، وٱجتمع القوّاد في سنة ستّ وتسعين ومائتين على خلعه وولاية عبد الله بن المعتزّ ، وكان القائم في ذلك الوزير العبّاس بن الحسن ومحمد بن الجرّاح [1] وغيره ، ومن القوّاد الحسين بن حمدان في آخرين . ثمّ إنّ الوزير بدا له ، فوثبوا وقتلوه ، وتولّى قتله الحسين وبدر [الأعجمي] ووصيف [بن صوارتكين] وقتلوا معه فاتكاً [2] [المعتضدي] . وخُلع المقتدر في الحادي والعشرين من ربيع الأوّل ، وبويع ابن المعتزّ . وركض الحسين إلى المقتدر ليقتله ففاته ، وعاد ولمّا أصبح بكّر إلى دار الخلافة فقاتله الخدمُ والغلمانُ والرجّالة من وراء السور

(1) الوزير العبّاس بن الحسن بن داود الجرجرائيّ ، ومحمد بن داود بن الجرّاح تحالفا مع الحسين بن حمدان على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتزّ ، أنظر رسالة ماريوس كانار عن الأسرة الحمدانيّة ص 324 . والكامل تحت سنة 296 .

(2) ٱفتخر أبو فراس الحمدانيّ بهذه الفعلة في قصيدته الرائيّة المعروفة فقال [طويل] :

وعمّي الذي أردى الوزير وفاتكا ... وما الفارس الفتّاك إلّا المجاهِدُ

... وسار إلى دار الخلافة عَنوةً ... فحرّقها ، والجيشُ بالدار دائر

عامّة النهار . فأنصرف عنهم آخر النهار . فلمّا جنّه الليل سار عن بغداد بأهله وماله وأتباعه إلى الموصل ، لا يدرى لِمَ فعل ذلك ؟ فأصبح الناس وقد فرّق المقتدر السلاحَ على مَن معه ، وخرجوا ، فهرب أصحاب ابن المعتزّ من قبل أن يصلوا إليهم . وقال بعضهم لبعض : إنّ الحسين بنَ حمدان عرف ما يجري[1] فلهٰذا هرب من الليل ، وهٰذه مواطأة بينه وبين المقتدر ، وهٰذا كان سبب هربه . وأنحلّ أمر أبن المعتزّ ، وعاد المقتدر إلى الخلافة وبعث العساكر من بغداد في طلب الحسين بن حمدان فتبعوه إلى الموصل فلم يظفروا به . فكتب المقتدر إلى أبي الهيجاء عبد الله بن / حمدان أمير الموصل يأمره بطلب أخيه الحسين ، فسار [385ب] هو والقاسم بن سيمَا ، فألتقَوا عند تكريت ، فأنهزم الحسين وبعث أخاه إبراهيم يطلب له الأمان ، فأجيب إلى ذلك . ودخل بغداد وخلع عليه وعُقد له على قم وقاشان ، فسار إليها[2] .

ثمّ خرج عن طاعة المقتدر في سنة ثلاث وثلاثمائة وجمع نحو عشرة آلاف . وسبب ذلك أنّ الوزير عليّ بن عيسى [بن الجرّاح] طالبه بمَال عليه من ديار ربيعة ، وهو يتولّاها . فدافَعَه فأمره بتسليم البلاد إلى عمّال السلطان فأمتنع . فجهّز إليه رائقاً الكبير المعروف بالحجريّ في جيش ، وكتب إلى مؤنس ، وهو في قتال أهل المغرب ، يأمره بالمسير إلى قتال الحسين بعد فراغه . فسار رائق وواقع الحسين ، فأنهزم رائق وغنم الحسينُ سواده ، وسار رائق إلى مؤنس فأمره أن يقيم بالموصل . وجدّ مؤنس في السير نحو الحسين ومعه أحمد بن كيغلغ . فلمّا قرب منه راسلَه الحسين يعتذر . ثمّ رحل نحو أرمينية بثقله وأولاده فتفرّق عسكرُه عنه[3] . وتبعه يلبق في عدّة من القوّاد[4] وأدركوه وقاتلوه ، فأنهزم مَن بقيَ

(1) في المخطوط : ما يريد يجري .
(2) كانار : الأسرة الحمدانيّة ، 334 .
(3) العيون والحدائق ، 180 .
(4) يلبق غلام مؤنس ، وكان معه من القوّاد سيما الخزريّ وجنيّ الصفوانيّ (الكامل . حوادث 302 وماريوس كانار 337) .

معه ، وأُسر هو وآبنه عبد الوهّاب وجميع أهله وأكثرُ مَن صحبه . وأُحضر إلى مؤنس فسار به إلى بغداد ، وأُركب هو وابنه على جمل وعليهما البرانس اللبود الطوال ، وقمصان من شعَر أحمر . ثمّ حُبس ومعه آبنه ، وقبض على أملاكه ، وعلى أخيه أبي الهيجاء وجميع إخوته وحبسوا . وأدرك بعض أولاد الحسين وقد جمع نحوَ آمد جمعاً فأوقع به وأنفذ رأسُه إلى بغداد .

فأقام الحسين في الحبس إلى أن بلغ المقتدر أنّ الوزير أبا الحسن عليّ بن الفرات يريد إرسال الحسين بن حمدان [إلى] يوسف بن أبي الساج ليحاربه ، فإذا صار عنده آتّفقا عليك . ثمّ إنّ ابن الفرات قال للمقتدر في إرسال الحسين إلى ابن أبي الساج . فأمر بقتل الحسين(1) وقبض على آبن الفرات .

وكان قتل الحسين بن حمدان يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ستّ وثلاثمائة في الحبس ببغداد .

وكان سفّاكاً شجاعاً ، اجتمع عنده نيف وعشرون طوقاً من خلع الخلفاء ، كلّ طوق منها لقتله خارجيّ[اً] . وقيل إنّ المقتدر عزم على إطلاقه وتوليته الجيش لمحاربة يوسف بن أبي الساج ، فلم يفعل وقال : الساعة كما آحتاجوا (2) لي — فأمر المقتدر بقتله فقُتل وحمل رأسُه إلى الخليفة ورُميت جثّته في دِجْلة .

1233 — سماء الملك بن الأفضل بن بدر الجمالي [— بعد 515] (3)

حسين بن شاهنشاه بن بدر الجمالي ، الملقّب سمَاء الملك ، ابن الأفضل ،

(1) في الشذرات 2 / 249 : وذبح في حبس المقتدر بأمره .
وفي صلة الطبريّ لعريب ، 71 أنّ علي بن محمد (بن الفرات) تكفّل بفدائه فرفض الخليفة قائلاً : إنّما يريد الحيلة ، فقُتل في الحبس .

(2) التعبير ملتبس ، والعبارة في المخطوط : آحتجبوا . ونفهم منه أنّ الخليفة عرض على الحسين أن يولّيه قتال آبن أبي السّاج ، فرفض الحسين وقال ... وجوابه غير مفهوم ، ولا نجده عند غير المقريزي .

(3) آتّعاظ 3 / 40 ، 54 ، 62 — آبن القلانسيّ ، 142 .

ابن أميرِ الجيوش .

كان أبوه الأفضل يؤثره ويميل إليه . وآستنابه في الجلوس عنه على سماط شهر رمضان ، وقرّر له على هٰذه النيابة في هٰذا الشهر خمسمائة دينار ، وبَدلةً مذهّبة بخمسمائة دينار ، ورزمة كسوة فيها شقق حرير وغيرها . فكان يحضر في كلّ يوم من أيّام شهر رمضان من القاهرة فيتلقّاه والي مصر عند المجنونة على الخليج ويسير بين يديه إلى دار الملك بمصر . فإذا آنقضى حكم السماطين عاد إلى القاهرة بعد ما يدخل إلى مجلس إليه فيشيّعه والي مصر إلى المجنونة[1] ويسلّمه إلى والي القاهرة وقد وقف في انتظاره حتى يوصله إلى داره بالقاهرة ، التي عُرفت بدار الوزارة ، قريباً من رحبة باب العيد .

وبعَثَه على العساكر لقتال الفرنج في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ومعه عدّة من الأمراء ، منهم جمال الملك [صنيع الإسلام] النائب بعسقلان ، في كثير من الأجناد . وبعث إليه طغدكين أتابك دمشق ألفاً وثلاثمائة فارس . فقصدهم بغدوين ملك الفرنج بالقدس وواقعهم بين عسقلان ويافا . فقُتل مَن المسلمين ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم ، ولم يتعيّن الظفرُ لإحدى الطائفتين على الأخرى بل تكافأتا . وعاد المسلمون إلى عسقلان وقد قتل جمال الملك فيمن قُتل . وعاد عسكر دمشق أيضاً ، فقدم سماء الملك إلى القاهرة .

فلمّا قُتل الأفضلُ في سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وصل إلى الخليفة الآمر بأحكام الله رقعتان في ليلة عيد الفطر – وهو حينئذ بدار الملك من مصر ليستولي على أموال الأفضل – فيهما أنَّ أولاد / الأفضل قد جمعوا عدّة وشعّثت [386 أ] حاشيتُهم يستنصرون بالبساطيّة[2] لأنّهم بالقرب من دارهم ، ثمّ بالأرمن ، ليثوروا في طلب الوزارة لسماء الملك . فأمر في الحال بأخذ أولاد الأفضل ، فوجدت حاشيتُهم قد آجتمعَت مع غيرها ، والخيل قد شدّت . فأحِيط بهم وأودِعوا خزانة البنود[3] .

(1) المجنونة موضع كان يحدّ القاهرة قبل أن تتسع بناءاتها ، انظر الخطط 2/ 177 .
(2) في الاتّعاظ ، 3/ 62 زاد : . . . أنّ في بكرة هٰذه الليلة يستنصرون . . .ولم نعرف البساطيّة .
(3) خزانة البنود انقلبت إلى سجنٍ بعد الظاهر الفاطميّ – الخطط ، 2/ 278 .

1234 - أبن الأنجب المقرىء [544 - 623][1]

الحسين بن صادق بن عبد الله بن عبد الله بن نصر بن عليّ بن مجمد ، أبو عبد الله ، ابن أبي الوفاء ، ابن أبي محمد ، المَقْدِسيّ الأصل ، المقرىء .

ولد في ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالقاهرة ، وتوفّي بها ليلة الثلاثاء السادس من رمضان سنة ثلاث وعشرين وستّمائة .

1235 - أبن عبد الجبّار المصريّ

الحسين بن عبد الجبّار المصريّ ، صاحب كتاب رفعة الأصفياء .

ومن شعره [رجز] :

ما حثّت الكؤوسُ بالأوتار كحثّها بالمُلح القِصار[2]

إنّ الأحاديثَ من السمّار أجلبُ للّهو من العُقارِ

1236 - أبو عليّ الرائض [- بعد 386][3]

حسين بن عبد الرحمان ، أبو عليّ ، الرائض .

كان على خيل العزيز بالله . ولمّا عزم على المسير إلى حرب هفتكين قال : يا حسين ، كم تحت يدك من الدوابّ ؟

---

(1) التكملة لوفيات النقلة 3 / 186(2119) وفيها : المعروف بأبن الأنجب .

(2) في المخطوط : بالادثار ، ولم نفهمها .

(3) اتّعاظ 1 / 245 .

فقال : عشرة آلاف رأس .

ومات العزيز[1] وهو على ذلك . فلمّا ولي الحاكم بأمر الله الخلافةَ بعد أبيه العزيز بالله ، وخرج في يوم عيد الفطر من القصر إلى الإيوان[2] ، وهو راكب ، كان حسين في ركابه الأيمن ، وبرجوان في ركابه الأيسر .

1237 – ابن أبي الرّدّاد [540 – 620] [3]

حسين بن عبد الرحمان بن إسماعيل بن داود ، أبو عبد الله ، ابن أبي الفخر ، ابن أبي الردّاد ، البصريّ الأصل ، المصريّ المولد والدار ، الكاتب – ويسمّى محمّداً .

ولد سنة أربعين وخمسمائة . وتوفّي بمصر ليلة الجمعة الرابع من ذي القعدة سنة عشرين وستّمائة . وهو آخر مَن حدّث بفسطاط مصر عن [عبد الله] بن رفاعة [بن غدير السعديّ] .

1238 – القاضي تقيّ الدين ابن شأس [– 685] [4]

حسين بن عبد الرحيم بن عبد الله بن [...] ، قاضي القضاة ، حاكم الحكّام ، حجّة الإسلام ، مفتي الأنام ، ناصر الحقّ ، بقيّة السلف الكرام ، تقيّ الدين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو عليّ ، ابن شرف الدين أبي الفضل ، ابن جلال الدين أبي محمد ، ابن شأس ، السعديّ ، المالكي .

---

(1) مات العزيز في رمضان 386 .

(2) الإيوان أو دار العدل : مبنى فخم لجلوس السلاطين الخطط ، 3/ 335 .

(3) التكملة 3 / 108 (1948) وهو فيها : الحسين– ومحمّد– بن يحيى بن حسين بن إسماعيل . والزيادات من التكملة . وكذلك في أعلام النبلاء ، 22/ 174 (114) .

(4) الوافي 12 / 418 (374) وهو فيه ابن عبد الرحمان .

ولي قضاء القضاة المالكيّة بالقاهرة ومصر بعد وفاة نفيس الدين محمد بن شكر في حادي عشر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين ، بعدما خلا منصب قضاء المالكيّة أربعةَ أشهر وعشرة أيّام . فلمّا فرغت المدرسة المنصوريّة بين القصرين فوّض إليه تدريس المالكيّة بها ، وكان أوّل من درّس فيها من المالكيّة ، وذلك في نصف رمضان سنة أربع وثمانين . فلم يزل على ذلك حتّى مات في يوم [...] ذي القعدة سنة خمس وثمانين وستّمائة .

1239 - الشاعر الجمل [قبل 170 - 258][1]

الحسين بن عبد السلام ، الشاعر ، المعروف بالجمل ، يكنّى أبا عبد الله .

ولد قبلَ سنة سبعين ومائة . وكان شاعراً مفلقاً . مدح عبد الله بن طاهر لمّا قدم إلى مصر ، ومدح المأمون أيضاً حين قدم إلى مصر . وكان هجّاءً شرهاً على الطعام ، دنيءَ الملبس ، وسخ الثوب ، من أهل الأدب .

توفّي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين . واتّفق أنّ النجوم تساقطت بمصر على زمان الأمير أحمد بن طولون ، فراعه ذلك ، وأحضَرَ مَن عندَه من المنجّمين والعلماء وسألهم ما عندهم في ذلك ، فما أجابوا بشيء . ودخل الجمل الشاعر وهم في الحديث ، وكان صاحب بديهة فأنشده [كامل] :

قالوا تساقطت النجو م لحادث فظٍّ عسير
فأجبت عن [تـ]ـسآلهم بجوابِ محتنكٍ خبير
هٰذي النجوم الساقطا ت نجوم أعداء الأمير

---

(1) الوافي 12 / 419 (376) - اليتيمة 1 / 424 - ياقوت ، إرشاد 10 / 121 . تهذيب ابن عساكر 4 / 306 - الكندي 452 .

فسرّ منه وأمر له بصلة وخلعة ، وقال للجماعة : أفٍّ لكم ، ما كان فيكم من يحسن يقول مثل هٰذا .

1240 – عماد الدين الفوّيّ [564 – 636][1]

/ الحسين بن عبد الله بن الحسين بن حسنون بن موسى ، الخطيب ، [386ب] الحاكم ، أبو عبد الله ، عماد الدين ، القرشيّ ، الفُوّيّ ، الفقيه ، الشافعيّ ، الخطيب .

مولده بمدينة سخا في المحرّم سنة أربع وستّين وخمسمائة . وسمع من أبي الحسن علي بن نصر بن العطّار بمصر . ومن الفقيه أبي القاسم عبد الرحمان بن سلامة .

وتولّى الخطابة بفوّة وتولّى الحكم ببعض النواحي . وتوفّي ليلة السادس من صفر سنة ستّ وثلاثين وستّمائة .

وفُوَّة بلدة بالقرب من الإسكندريّة . وفوّة أيضاً في نواحي البصرة . والعماد هٰذا ينسبها إلى الأولى ، وهي بضمّ الفاء وتشديد الواو ثمّ هاء .

ومن شعره ، وقد سقط عصفور في مجلس بعض الرؤساء ، ولم ينفر [خفيف] :

أيّهٰذا العصفور أوصى سليمَا ... نُ إليكم بخدمة الرؤساءِ
قال لي وهو مستقرّ على الأر ... ض ، وقد كان في عِنان السماء
يسقط الطيرُ حيث يلتقط الحـ ... ـبّ ، ويغشى مجالس الكرماء

---

(1) الوافي 12 / 416 (371) – التكملة 3 / 498 (2849) .

1241 - ٱبن بشرى الجوهريّ الواعظ [- 527][1]

الحسين بن عبد الله [بن حسين] بن بشرى ، الشيخ الواعظ ، أبو عبد الله ، ابن الشيخ الواعظ أبي الفضل ، ابن الشيخ الواعظ أبي عبد الله ، الزاهد ، الناطق بالحُكم[2]، المعروف بٱبن الجوهريّ .

ولد [...] .

وكان الخليفة الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور ، لمّا مات[3] ، ترك جاريةً حاملاً فأقيم مِن بعده الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن محمد ، على أن يكون كفيلاً للحمل حتّى يكبر . فلمّا ولدت الجارية خافت على ٱبنها من الحافظ فأخرجته من القصر في قفّة من خوص وجعلت فوقه بصلاً وكرّاثاً وجزراً حتّى لا يفطن به ، وبعثته في قماطه تحت الحوائج المذكورة في القفّة إلى القرافة . وأدخل به إلى مسجد يعرف بأبي تراب الصوّاف ، و[أ]رضعته ٱمرأة . فخفي أمرُه عن الحافظ إلى أن كبر. وكان يعرف بـ« قُفَيفة » ويدعوه بذلك صبيان القرافة. فلمّا حان نفعه نمّ عليه أبو عبد الله هٰذا عند الحافظ فأخذه ففصدَه فمات . وخلع على أبي عبد الله ثمّ نفاه إلى دمياط فمات بها في [جمادى الأولى] .

---

(1) اتّعاظ 3 / 151 ، ومنه علمنا تاريخ الوفاة . وفي الخطط 4 / 325 : مات في جمادى 528 . وفيها : الحسين بن أبي الفضل بن الحسين المعروف بٱبن بشرى الجوهريّ . وقد عرض المقريزي قبله إلى أبيه أبي الفضل عبد الله بن حسين بن بشرى : اتّعاظ : 2 / 325 .

(2) هكذا بالضمّ في المخطوط

(3) قتل الآمر في ذي القعدة 524 .

1242 ـ الحسين ابن رواحة الحمويّ [515 ـ 585] [1]

الحسين بن عبد الله بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة ، أبو عليّ ، الأنصاريّ ، الحمويّ ، الشافعيّ ، الفقيه ، الأديب ، الشاعر البارع .

تفقّه بدمشق ، وسمع بها من الحافظ أبي القاسم علي ، وأبي الحسين هبة الله ، ابني الحسن [بن عساكر] [2] ، الدمشقيَّيْن ، وأبي الحسن علي بن سليمَان المراديّ [3] . وسمع أيضاً بها من الوزير أبي المظفّر سعيد بن سهل الفلكيّ [4] .

وقدم مصر في زمان الصالح طلائع بن رزّيك ومدح بها جماعة من الملوك . وسمع بالإسكندريّة من الحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد السلفيّ .

وسافر إلى المغرب فأسره فرنج صقلّيّة ، وأقام في الأسر طويلاً ، ثمّ أطلق ، وعاد إلى حماه .

وحدّث بمصر وغيرها ، روى عنه أبو الفرج عبد السلام بن يوسف الدمشقيّ وغيره . وخُتِم له بالشهادة مع ما كان من الخير ، فتوفّي شهيداً بظاهر عكّا في شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، ومولده بحماه في الثامن من صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وقال فيه العماد الكاتب : شعر ابن رواحة روح الشعر وروح السرّ وريحان أهل الأدب ، وراحة ذي النغب ، معنى لائق ، ولفظ رائق ، ورويّ شائق ،

---

(1) الوافي 12/ 413 (370) - تهذيب ابن عساكر 4/ 305 - الخريدة (شعراء الشام 1/ 481) - ياقوت 10/ 46 - النجوم لأبن سعيد ، 160 . ولقّبه جمال الدين .

(2) زيادة من العبر 4 / 184 : وفاة الصائن هبة الله بن عساكر سنة 563 . وأخوه أبو القاسم هو الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق - أعلام النبلاء . 20/ 495 (314) و 554 (354) .

(3) أبو الحسن القرطبيّ الشقوري (ت 544) - أعلام النبلاء ، 20/ 187 (122) .

(4) سعيد بن سهل النيسابوري (ت 560) - أعلام النبلاء ، 20/ 422 (280) .

وكلام فائق ، وأسلوب موافق . سمح الغريزة ، سهل النحيزة ، مغسول الكلم ، معسول الحكم ، لا يركب إلّا الذلول ، الذي يسلب العقول ، إن أقصد بلغ المقصد ، وإن أقطع أحسن المطلع والمقطع ، وإن نسب أهبّ نسم النسيب متارح الربى ، وإن تغزّل شبّه بالغزالة والغزال الحبيب .

ومن شعره يمدح رسول الله ﷺ [طويل] :

دع العيس في طيّ الفلا تبلغ المدى ... فقد أُلْهِمَت أنّ المسيرَ على هدى
أُنصُّ لها في سيرها بأناملي ... يَداً كُلَّما نَصَّتْ إلى يثرب يَدَا [1]
[387أ] / لقد غَنِيَتْ بالوجد عن جاذب البرا ... كما شُغِلت بالشَّوْقِ عن شائق الحُدا
ولم أَرَ في الأيّام يَوماً مُباركاً ... عليَّ كيومٍ زُرتُ فيه محمّدا [1]

وقال [هزج] :

حبيب جار وآستعدى ... على عاشقه عمدا
وأبدى ضدَّ ما أخفى ... وأخفى ضدَّ ما أبدى
أما والله لا أسلو ... ولو أوسعني بعدا
وهل يرضى أخو الإسلا ... م أن يصبحَ مُرْتَدًّا ؟

وقال [كامل] :

ما لي على السلوان عنك مُعَوَّلُ ... فإلامَ يتعب في هواك العُذَّلُ ؟
يزداد حبُّك كلَّ يوم جِدّة ... فكأنَّ آخرَه لقلبيَ أوّلُ

وقال الحافظ أبو محمد عبد العظيم المنذريّ : قال أبو الفتح عبد السلام بن ثقيف بن محمد بن مقلّد الدمشقيّ : لقيتُه – يعني ابن رواحة – بحماه ، فرأيتُ منه بحراً يقذف من ألفاظه جواهر تروق الأسماع ، وتشوق الطباع ، إن نثر جاء بُدّر السخاب [2] ، أو نظم جاء بدَرّ السحابْ ، خلائق صافية النطاف ، وشمائل

(1) هذا البيت عسير التقويم .
(2) السخاب بالكسر : القلادة .

مائسة الأعطاف .

ومن أبدع شعره قوله من قصيدة يمدح بها الصالح ابن رزيك ويتشوّق فيها حماة ، وكانت قد توالت عليها الزلازل فهدمت لمعظمها فعرّض بذلك في شعره فأجاد ، وأغرب في المعنى فقال [طويل] :

كأنّ النواعير التي يُعْتَنَى بها حكت نَوح طيرِ الدوح لمّا ترنّما
تغنّت فهزّت رَبْعها مثل هزّها غصوناً فلم أعجب لها أن تَهَدَّمَا

وممّا لم يسبق إليه ، قولُه من قصيدة [وافر] :

يجود لمَن يموتُ به شهيداً ويهجُر دائمًا أهلَ البقاء
ليعلم أنَّهُ من حُور عَدْنٍ مَنَالُ وِصاله بعد الفَنَاءِ

وأتته آمرأة وأعطته فردة سوارها وقالت : ذُمَّ الهوى ! – فأنشدها [سريع] :

يا قلب دع عنك الهوى قسراً ما أنت فيه حامِدٌ أمرا
أضعت دنياك بهجرانهم إن نلت وصلاً ضاعت الأخرى

ثمّ جاءته في اليوم الثاني ودفعت له فَردة السوار الأخرى وقالت : آمدح الهوى ! – فأنشدها [كامل] :

لاموا عليك وما دَرَوا أنّ الهوى سببُ السعادة
إن نلتَ وصلاً ، فالمُنى أو نلتَ هجراً فالشهادة

وقال في واعظ بمصر كان فاسقاً [سريع] :

إذا سمعتَ الوعظ من واعظ فآقبَلْ وإن خالف ما قالا
فالقَوس ترمي السهمَ مُعْوجَّةً وقد يصيب السهمُ آجالا

ومرّ به صبيّ جميل الوجه فغمّض عينيه حتّى مضى ، وكان مع القاضي

الفاضل ، فقال له الفاضل : لمَ فَعلتَ ذلك ؟

فقال [سريع] :

إذا بدا ينغَضُّ طَرْفي لَهُ لخَوْفِهِ من آفة الآفاتِ
كـأنّما تَـقْـرَأُ أَبصـارُنـا مِن وجهِهِ آياتِ سَجْدات

فجعل القاضي الفاضل يكرّر قوله : آيات سجدات ، إعجاباً بها .

1243 – ابن الجصّاص الجوهريّ [– 315] [1]

[387ب] حسين بن عبد الله بن حسين / بن منصور ، أبو عبد الله ، الجوهريّ ، المعروف بآبن الجصّاص .

كان من أعيان التجّار ذوي الثروة الواسعة واليسار .

فلمّا بويع عبد الله بن المعتزّ بالخلافة ثمّ آنحلّ أمرُه ، آستتر عند ابن الجصّاص ، فوشى به خادم صغير . فصادره المقتدر على ستّة آلاف ألف . فأخذوا منه ما مقداره ستّة عشر ألف ألف دينار عيناً وورقاً وقماشاً وخيلاً . وبقي له بعد المصادرة شيء كثير إلى الغاية من دور وقماش وأموال وضياع .

بداية جَدّه

وكان بدء أمره أنّه كان في دهليز حرم خمارويه [بن أحمد] بن طولون ، وكان يتوكّل له ولهم في آبتياع الجوهر وغيره ، ممّا يحتاجون إليه ، فلم يكن يفارق الدهليز لآختصاصه بهم . فخرجت إليه قهرمانة في بعض الأيّام بعقد جوهر فيه

(1) الوافي 12 / 386 (367) – شذرات 2 / 238 – نشوار المحاضرة 1 / 25 و2 / 312 – فوات 1 / 372 (135) . البصائر والذخائر (وداد القاضي) 1 / 15 هامش 19 و4 / 105 – شرح نهج البلاغة 5 / 329 .

مائتا حبّة ، لم يرَ قبله أفخر ولا أحسن منه ، تساوي كلّ حبّة منه ألف دينار . وقالت : نحتاج أن تخرط هٰذه [حتّى] تصغر فتجعل لأربع لعب .

فأخذها وقال : السمع والطاعة ! – وخرج في الحال وهو مسرور ، فجمع التجّار ، ولم يزل يشتري ما قدر عليه إلى أن حصل مائة حبّة أشكالاً في النوع الذي قدر عليه . وجاء بها عشيًّا وقال : إنّ خرطَ هٰذا يحتاج إلى زمان وانتظار . وقد خرطنا اليوم ما قدرنا عليه ، وهو هٰذا – ودفع إليها المجتمع – وقال : الباقي يخرط في أيّام .

فقنعت بذلك ورضيَتْه . فما زال في طلب الباقي حتّى ٱجتمع فحمله إليهم حتى كملت المائتا حبّة – وقد قامت عليه بدون مائة ألف درهم ، وحصل له جوهر بمائتَي ألف دينار . فلزم دهليزهم وأخذ غرفة فيه فسكنها . (قال :) وكان لحقني من هٰذا أكثر من أن يحصى حتّى كثرت النعمة وانتهيتُ إلى ما ٱستفاض خبره .

وقد نسبهُ جماعة إلى الحمق والنوكة والغفلة ، وحكوا عنه في ذلك حكايات كثيرةً . وذهب آخرون إلى أنّه إنّما كان يتظاهر بذلك ليرى الوزراء هٰذا [التغفيل] منه فيأمنوه [على أنفسهم] إذا خلا بالخلفاء .

تولّيه الوكالة والسفارة لخمارويه

ولمّا ولي أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون أخرجه من الاعتقال ، وما يملك درهماً واحداً . فجعله وكيلاً له يتولّى جميع ما يُشترى في داره من حاجة بدرهم فما فوقه . ثمّ بعثه إلى العراق بهديّة إلى أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العبّاس أحمد ٱبن الموفّق . فخلع عليه المعتضد لمّا قدم عليه بالهديّة ، في شوّال سنة تسع وسبعين ومائتين ، وعلى سبعةٍ معه . وعاد إلى الفسطاط بأجوبة الكتب وتجديد العَهدِ لأبي الجيش . وقدّم إلى أبي الجيش عقداً أوهمه أنّه ولّاه[1] إيّاه

(1) هٰكذا في المخطوط ولعلّها تعني : جعله تلوه أي أعطاه إيّاه .

برأس ماله فباعه منه بثمانين ألفَ دينار ، وكان شراؤه عليه خمسة وعشرين ألفَ دينار . واتّسع حاله وكثرت أمواله حتى قال أبو بكر محمد بن علي المادرّائيّ : عرضت لي حاجة إلى ابن الجصّاص ، فسألت عنه ، فقيل : هو في البستان . فأتيت بستانه فٱستؤذن لي عليه فدخلت . وجلسنا نتحادث ، إذ قيل : رسول الأمير بالباب . فقال : يدخل . فدخل خادم ومعه رقعة فيها : ٱحتجنا يا أبا عبد الله أعزّك الله ، إلى ألف دينار سنديّ للطلي ، فتوَجِّهُ بذلك إلينا إن شاء الله .

فقال : يا جارية ، بدرة سندي !

فجاءت ببدرة . فقال لها : ليس هٰذه ، هاتي غيرَها !

فجاءت بأخرى فردّها أيضاً حتى جاءت في الكرّة الرابعة ببدرة ، فقال : ٱفتحيها وزِني منها ألفَ دينار !

ففتحت البدرة ووزنت ألف مثقال وشدّتها في صرّة ، وختمها ودفعها للخادم . وشدّت البدرة وختمت وردّت .

فما ظنّك برجل يطلب منه ألف دينار سنديّ ، وهو في البستان ، فيستدعي بدرة ، فترِدُ عليه ثلاث بدر ، والرابعة ، على أنّها كلّها من هٰذا النقد ؟ فما بال غيره من نقد سواه ، الذي حقّه أن يكون أضعافَ هٰذا مرّات ؟ وما بال داره التي فيها خزائنه وذخائرُه ؟

توسّطهُ في زواج المعتضد بقطر الندى

فلمّا تزوّج المعتضد بالله بقطر الندى أسماء ابنة خمارويه ، تولّى ابن الجصّاص العَقد وكالة عن أبي الجيش ، / ثمّ سار بها من مصر إلى العراق فدخل بها في [388أ]
غرّة المحرّم سنة ٱثنتين وثمانين ومائتين .

ومات [ابن الجصّاص] في سنة خمس عشرة وثلاثمائة .

وحكى القاضي أبو علي المحسّن بن علي بن محمد التنوخيّ في كتاب الفرج بعد الشدّة[1] قال : حدّثني أبو علي ، ابن أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بٱبن الجصّاص ، قال : سمعت أبي يحدّث قال : لمّا نكبني المقتدر وأخذ منّي تلك الأموال العظيمة ، أصبحت يوماً في الحبس آيسَ ما كنت من الفرَج . فجاءني خادم فقال : البشرى !

فقلت : ما الخبر ؟

قال : قم ، فقد أطلقت .

فقمت معه ، وٱجتاز بي في بعض طرق دار الخليفة ، يريد إخراجي إلى دار السيّدة لتكون هي التي تطلقني لأنّها شفعَت فيّ . فوقعت عيني في ٱجتيازي على أعدال خيش لي ، أعرفها ، وكان مبلغها مائة عدل ، فقلت للخادم : أليس هٰذا من الخيش الذي حمل من داري ؟

فقال : بلى .

قصّة الكنز المخفيّ في الأخياش

فتأمّلتُه فإذا هو بشَدِّه وعلاماته . وكانت هٰذه الأعدال قد حملت إليّ من مصر ، وفي كلّ عِدل منها ألف دينار ، من مال كان لي هناك . وكتبتُ بحمله مالاً ، فخافوا عليه من الطريق ، فجعلوه في أعدال الخيش لأنّها ممَّا لا يكاد يحمله اللصوص إن وقعوا عليه ، ولا يفطنون لما فيه . فوصلت سالـ[ـمة] ، ولٱستغنائي عن المال لم أخرجه من الأعدال . فتركتُه في بيت من داري وأقفلت عليه . وتوخّيت بذلك ستر حديثه ، فتركته شهوراً على حاله لأنقله كما أرى في أيّ وقت أرى . وكُبست فأخذ الخيش في جملة ما أخذ من داري ، ولخسّته عندهم تهاونوا به ولم يعرف أحدٌ ما فيه ، فطُرح في تلك الدار .

فلمّا رأيته بشدّه طمعت في خلاصه والحيلة في ٱرتجاعه ، فسكتّ . فلمّا

(1) الفرج بعد الشدّة ، 118 .

كان بعد أيّام من خروجي راسلت السيّدة وشكوت حالي إليها ، وسألتُها أن تدفع إليّ ذلك الخيش لأنّه لا قدر له عندهم ، وأنا أنتفع بثمنه . فآستحمقَتْني وقالت : وأيّ شيءٍ قدر الخيش ؟ ردّوه عليه . - فسُلّم إليّ بأسره ففتحتُه وأخذتُ منه المائة ألف الدينار فما ضاع منها دينار واحدٌ . وأخذتُ من الخيش ما آحتجت إليه لمؤونتي[1] وبعت باقيه بجملة وافرة . فقلت في نفسي : إنّه قد بقِيَت لي بقيّة إقبال جيّدة .

الجواهر دواءٌ لضيق صدره ...

(قال) وحدّثني أبو عليّ أيضاً قال : سمعت أبي يقول : إنّي كنتُ يومَ قبض المقتدر عليّ جالساً في داري ، وأنا ضيّق الصدر ضيقاً شديداً لا أعرف سببه . وكانت عادتي إذا لحقني مثل ذلك أن أُخرِج جوهراً عندي في درج معدّة لهٰذا ، من ياقوت أحمر وأزرق وأصفر ، وحبًّا كبيراً فاخراً تكون قيمته خمسين ألف دينار وأكثر ، وأستدعي صينيّة ذهب لطيفة ، فأجعله فيها وألعب به وأقلبّه ، فيزول ضيق صدري . فآستدعيت ذلك الدرج فجاؤوني به بلا صينيّة فأنكرت ذلك وأمرت بإحضارها ، وفتحت الدرج ففرّغت ما فيه في حجري ورددتُه على الخادم وأنفذتُه يجيئني بالصينيّة ، وأنا جالس على بستان في صحن داري في يوم بارد طيّب الشمس ، وهو مزهر بصنوف الشقائق والمناثير[2] . و[بينا] أنا ألعب بتلك الجواهر إذ دخل الناس إليّ بالصياح والزعقات بالمكروه والكبس ، وقربوا منّي . فدهشت ، ولم أحبّ أن يظهروا على ما في حجري ، فنفضتُ جميعه بين تلك الأزهار في البستان ، ولم ينتبهوا إليه . وأُخذت فحُملت وجرى عليّ من المصادرات ما جرى ، وبقيتُ في الحبس المدّة الطويلة التي حُبستها ،

---

(1) في المخطوط : لمروتي .

(2) ج المنثورة : زهرة ذكية الرائحة .

وانقلبت الفصول على البستان فجفّ ما فيه ، ولم يفكّر أحدٌ في قلعه أو زراعته وإثارته . وأغلقت الدار ، فما قربها أحدٌ من أسبابي ولا أعدائي بعد الذي أخذ منها ، وفُرّغت ووقع الإياس من وجود شيءٍ فيها .

ثمّ سهّل الله تعالى إطلاقي ، فأطلقت . فحين جئت إلى داري ورأيتُ الموضعَ الذي كنت جالساً فيه ذلك اليوم ، ذكرتُ ذلك الجوهر الذي كان في حجري ، ونفضي إيّاه في البستان . فقلت : ترى بقي منه شيء ؟ ثمّ قلت : هيهات ! - وأمسكت .

... وكنزٌ عند الشدائد

فلمّا كان من غدٍ أخليت الدار ، وقمت بنفسي ، ومعي غلام يثير البستان بين يديّ ، وأنا أفتّش شيئاً شيئاً / ما يثيره ، وأجد فيه الواحدة بعد الواحدة من [388ب] ذلك الجوهر ، وكلّما وجدتُ شيئاً منه حرصتُ على الإثارة وطلبتُ الباقي إلى أن أثرتُ جميع البستان . فوجدتُ جميع ذلك الجوهر ما ضاع منه واحدة . فأخذته وطابت نفسي بذلك وعلمت أنّه قد بقيت بقيّة من الإقبال صالحة .

وقال في كتاب نشوار المحاضرة : سمعت الأمير أبا محمد جعفر بن ورقاء يحدّث ، قال : اجتزت بابن الجصّاص بعد إطلاقه ، فرأيته كالمجنون فلمّا رآني استحيى . فقلت : ويحك ، ما الذي أصابك ؟

فقال : أَوَلا يحِقُّ لي أن يذهب عقلي وقد خرج عن يدي كذا وكذا - وجعل يردّد أمراً عظيمًا ممّا خرج عنه .

فقلت له : يا هٰذا ، إنّ نهايات الأمور غير مدركة ، وإنّما يجب أن تعلمَ أنّ النفوسَ لا عِوَضَ لها ، والعقولَ والأديانَ لا خَلَف منها ، وهي قد سلِمَت لك . وإنّما يعلق هٰذا العلق مَن يخاف الفقر أو الحاجة إلى الناس ، أو فقدَ العادات من مأكول ومشروب وملبوس وما جرى هٰذا المجرى ، أو النقصان في الجاه . وليس

في بغداد اليوم ، بعد ما خرج عنك ، أيسرُ منك من أصحاب الطيالسة . أليس دارك هٰذه لك ، وفيها من الفرش والأثاث ما فيه جمال لك ، وإن لم يكن ذلك الكثير المفرط ؟

قال : بلى .

قلت : ودار كذا ، وقيمتها عشرة آلاف دينار ؟

قال : بلى .

قلت : وعقارك بباب الطاق ، وقيمتُه ثلاثون ألف دينار ؟

قال : بلى .

قلت : وبستانك الفلانيّ ، وضيعتُك الفلانيّة ، وقيمتُهُمَا كذا وكذا ؟ وما لك بالبصرة ، وقيمتُه مائة ألف دينار ؟

قال : بلى .

فجعلت أعدّد عليه ما بقي من عقاراته وضياعه ، إلى أن بلغَت القيمةُ سبعمائة ألف دينار . ثمّ قلت : وأصدقني عمّا سلم لك من الجوهر والأثاث ، والقماش ، والطيب ، والجواري ، والعبيد ، والدوابّ ، وقيمة دارك ؟

إحصاء ثروته بعد المصادرة

فأخذ يقوّم ، إلى أن بلغت ثلاثمائة ألف دينار . فقلت له : يا هٰذا ، مَن ببغداد اليوم يحتوي ملكه على ألف ألف دينار ، وجاهك عند الناس الجاه الأوّل ، وهم يظنّون أنّ الذي بقي لك ضعف هٰذا ، فلِمَ تغتمّ ؟

فسجد وحمد الله وبكى . ثمّ قال : والله لقد غلبني الفكر حتى نسيتُ جميعَ هٰذا ، وإنّه لي . وقلّ في عيني لإضافته إلى ما أخذ منّي . ولو لم تجئْني الساعة لزاد فكري عليّ حتى يبطل عقلي . ولكنّ الله أنقذني بك ، وما عزّاني أحدٌ بأنفعَ من تعزيتك . وما أكلت منذ ثلاثة أيّام شيئاً .

النوادر في غفلته

(قال) وكنت أنا اجتمعتُ ببغداد مع أبي علي ابن أبي عبد الله بن الجصّاص فسألتُه عن الحكايات التي تنسب إلى أبيه مثل قوله خلف الإمام [وقد قرأ :] ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ . فقال : أي لعمري ! - بدل : آمين .

ومثل قوله للخاقانيّ - وهو أبو علي محمد بنُ عبيد الله بن يحيى بن خاقان - الوزير : أسهرني البارحة صوت كلاب على بابي . - [فقال الوزير : لعلّها أَجْراءِ ؟ فقال : أيّها الوزير ، لا تظنّ ذلك .] كلّ كلب مثلي ومثلك .

ومثل قوله : قمت البارحة في الظلمة إلى الخلاء ، فما زلت أتلمّظ المقعدة حتى وقعتُ عليها .

ومثل قوله ، وقد وصف مصحف بالقدم : كسُروي .

إنكار ابنه لهٰذه الأقاويل ...

[فقال : أمّا « أي والله » ونحو هٰذا ، فكَذِب . وما كان فيه بلاهة] تخرجه إلى هٰذا . وما كان إلّا من أدهى الناس . ولكنّه كان يطلق بحضرة الوزراء قريباً ممّا يحكى لسلامة طبع فيه ، ولأنّه كان يحبّ أن يصوّر نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء ، لكثرة خلواته بالخلفاء ، حتّى يسلم منهم[1] .

وأنا أحدّثك بحديث تعلم معه أنّه كان في غاية الحزم : حدّثنا أبي قال : إنّ أبا الحسن على بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، لمّا ولي بعض وزاراته ، قصدني قصداً قبيحاً لِمَا كان في نفسه من الحقد عليّ . فأنفذ العمّال إلى ضياعي ، وأمر بقبض معاملاتي ، وبسط لسانه بشتمي وتَنَقُّصَني في

---

(1) انظر أخبار الحمقى لأبن الجوزي ، 53 .

مجالسه ، وأدام الغضّ منّي ، إلى أن دخلت عليه ووسَّلتُ بيني وبينه جماعة ، وبذلتُ له أشياء توجب صلاح ما بيننا . فأقام على قصدي بالسوء ، وأنا أتحمّل ذلك كلّه ، طامعاً في رجوعه لي . فدخلت يوماً داره فسمعت حاجبه يقول وقد / ولّيت عنه : أيَّ بيت مال يمشي على وجه الأرض ليس لها مَن يأخذها [389 أ]

ويسوق شاهداً على حزمه ودهائه

فعلمت أنّ هٰذا من كلام صاحبه ، وأنّي منكوب . وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف دينار ، عيناً [وجواهر] سوى غيرها . فضاقت عليّ الدنيا ، وسهرت ليلتي بأسرها أفكّر في أمري معه . فوقع لي الرأي في الثلث الآخر من الليل . فركبتُ في الحال إلى داره ، فوجدتُ الأبواب مغلقة . فطرقتها ، فقال البوّابون : مَن هٰذا ؟

فقلت : ابن الجصّاص .

فقالوا : ليس هٰذا وقت وصول ، والوزير نائم .

فقلت : عرّفوا الحجّاب أنّي حضرتُ في مهمّ .

فعرّفوهم ، فخرج إليّ أحدُهم فقال : إنّه إلى ساعة ينتبه ، فاجلس .

فقلت : الأمر أهمّ من ذلك ، فأَنْبِهْهُ وعرّفه عنّي هٰذا !

فدخل وأبطأ ساعةً ، ثمّ خرج وأدخلني حتى انتهيت إلى مرقده على سرير ، وحوله نحو خمسين فرّاشاً وغلماناً كأنّهم حفظة ، وقد قاموا وبعض الفُرُش تنقل ، وهو جالس في فَرشه مرتاعاً ، قد ظنّ أنّ حادثة قد حدثت ، أو أنّي جئتُه برسالة الخليفة ، وهو متوقّع لما أورده . فرفعني وقال : ما الذي جاء بك في هٰذا الوقت ؟

فقلت : خير ! ما حدثت حادثة ، ولا معي رسالة ، ولا جئت إلّا في أمر يخصّني ويخصّ الوزير ، ولم تصلح مفاوضة فيه إلّا على خلوة شديدة .

فسكت ، ثمّ قال لمَن حوله : آنصرفوا . — فمضوا . وقال : هات !

فقلت : أيّها الوزير ، قد قصَدْتَني أقبحَ قصد ، وشرعت في هلاكي وإزالة نعمتي . وفي إزالتها خروج نفسي ، وليس من النعمة والنفس عوض . ولعمري إنّي أسأتُ في خدمتك ، وقد كان في بعض هٰذا التقويم بلاغ عندي ، وقد آجتهدت في إصلاحك بكلّ ما قدرت عليه ووسّطتُ بيني وبينك فلاناً وبذلت كذا . فأبيتَ إلّا الإقامة على أذاي .

مَثل السنّور والبقّال الذي يريد خنقَه...

وليس شيء أضعف من السنّور . فإذا عاثت في دكّان البقّال فظفر بها ولزّها إلى الزاوية ليخنقها ، وثبت عليه فخدشت وجهه وبدنَه ومزّقت ثيابه وطلبَتْ الحياةَ بكلّ ما يمكنها . وقد وجدت نفسي معك في هٰذه الصورة ، ولست أضعف بطشاً من السنّور . وقد جعلت هٰذا الكلامَ عُذراً بيننا : فإن نزلتَ تحت حكمي في الصلح ، وإلّا فعليَّ وعليَّ ! — وحلفت له بأيمَانٍ غليظة — لأقصدنّ الخليفةَ الساعةِ ولأحوّلنّ إليه من خزانتي ألفَي دينار عيناً وورقاً ، ولا أصبح إلّا وهي عنده — وأنت تعلم قدرتي عليها — وأقول له : خذ هٰذا المال ، وسلّم آبن الفرات إلى فلان وآستوزره — وأذكر له أقربَ مَن يقع في نفسي أنّه يجيب إلى تقليده ، ممّن له وجهٌ مقبول ولسان عذب وخطٌّ حسن ، ومخرقة[1] حادّة . ولا أعتمد إلّا على بعض كتّابك ، فإنّه لا يفرّق بينك وبينهم إذا رأى المال حاضراً . فيُسْلمك في الحال ، ويراني المقلَّدُ بعَين مَن أخذْتُه وهو صغير فجعلْتُهُ وزيراً ، وغرم عنه هٰذا المال الكثير . ويراني وليَّ نعمتِه فيخدمُني ويتدبّرُ برأيي وتدبيري في جميع أمره . فأسلمك إليه فيُفرغ عليك العذابَ حتّى يأخذ الألفي ألفِ دينار منك بأسرها . وأنت تعلم أنّ حالك تفي بها ، ولكنّك تفتقر بعدها ، ويرجع المال إليّ

---

(1) المخرقة : الشّعبذة والسحر .

ولا يذهب منه دانق . وأكون قد أهلكتُ عدوّي وشفيت غيظي وٱسترجعتُ مالي وصنت نعمتي ، وزاد محلّي عظماً بصرفي وزير[اً] وتقليدي وزير[اً] .

... يضربه للوزير ابن الفرات ليسلم من سعايته

فلمّا سمع هٰذا منّي أسقط في يديه ، وقال : عدوّ الله ، أو تستحلّ هٰذا ؟

فقلت : لست عدوّ الله ، [بل عدوّ الله] مَن ٱستحلّ منّي هٰذا الذي أحوجني إلى الفكر في مثل هٰذا . ولمَ لا أستحلُّ مكروهَ مَن يريدُ هلاكي وزوال نعمتي ؟

فقال : أو إيش ؟

فقلت : أو أن تحلف الساعة بمَا أستحلفُك به من الأيمَان المغلّظة أنّك تكون لي ، لا عليّ ، في صغير أمري وفي كبيره ، ولا تَنقص لي رسماً ، ولا تغيّر لي معاملة ، ولا تضع منّي ، وتزيد رفعتي وذكري بالجميل ، ولا تبغـ[ـي] لي الغوائل ، ولا تدسِّس عليّ المكاره ، ولا تشرع لي في سوء ولا نكبة أبداً ، ظاهراً ولا باطناً ، وتفعل – واشترطت عليه – الأمانَ ممّا كنت أخافه .

فقال : وتحلف أنت أيضاً لي بمثل هٰذه اليمين على جميل النيّة وحسن الطاعة والمؤازرة ؟

[389ب] فقلت / : أفعل .

فقال : لعنك الله ، فما أنت إلّا إبليس ، والله لقد سحرتني .

وٱستدعى دواة ، وعملنا نسخة يمين ، وأحلفتُه بها أوّلاً ، ثمّ حلفت له . فلمّا أردت القيام قال : يا أبا عبد الله ، لقد عظمتَ في نفسي ، وخفّفت ثقلاً عنّي . والله ما كان المقتدر يفرّق بين كفايتي وموقعي وبين أَخْسَإ كتّابي ، مع ما ذكرت من المال الحاضر . فليكُن ما جرى مكتوماً .

فقلت : سبحان الله .

فقال : إذا كان غداً ، فصر إليّ لترى ما أعاملك به .

فنهضت . فقال : يا غلمان ، بأسركم بين يدي أبي عبد الله !

فخرج بين يديّ نحو مائتي غلام .

وعدت إلى داري وما طلع الفجر . فٱسترحتُ . وجئتُه في وقت جلوسه . فعرّفني الذين كانوا بحضرته ما جرى من التقريظ التامّ في حقّي ، وعاملني بمَا شاهده الحاضرون ، وأمر بإنشاء الكتب إلى عمّال النواحي بإعزازي وإعزاز وكلائي ، وصيانة أسْبابي وضياعي . وتقدّم إلى كتّاب الدواوين بإخراج كلّ ما كانوا أدخلوه الديوان من رسومي ، والزيادة فيها ، وأن أُجرى على الرسوم القديمة .

فشكرته وقمت . فقال : يا غلمان ، بين يديه ! – فخرج الحجّاب يجرون بين يديّ ، والناس يشاهدون ذلك ويعجبون منه . وقد رجع جاهي ولم يعلم أحدٌ سبب صلاح ما بيننا ، وما حدّثتُ بذلك إلّا بعد القبض عليه .

(ثمّ قال لي أبو علي :) أهٰذا رأي وفعل مَن يليق به ما يحكى عنه من الحكايات ؟

قلت : لا .

شاهد آخر من تيقّظه

قال التنّوخيّ : حدّثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن مكرّم : حدّثني بعض شيوخنا قال : كنت بحضرة أبي عمر القاضي ، فجرى ذكرُ ٱبن الجصّاص وغفلتِه ، فقال : معاذ الله ! ما هو كذلك . ولقد كنت عندَه منذ أيّام مسلّماً ، وفي صحنه سرادق مضروب . فجلسنا بالقرب منه نتحدّث ، فإذا بصرير نعل من خلف السرادق . فقال : يا غلام ، جئني بصاحب هٰذا النعل !

فأخرِجَت إليه جارية سوداء . فقال : ما كنتِ تعملين هٰهنا ؟

قالت : جئت إلى الخادم أعرّفه أنّي قد فرغتُ من الطبخ فأستأذن في تقديمه .

فقال : انصرفي لِشَأنك .

فعلمت أنّه أراد تعريفي أنّ ذلك الوطء وطءُ سوداءَ مُبتَذلة وأنّها ليسَت من حرمه ولا من مصونة ، فيُزيل عنّي أنْ أظنّ مثل ذلك في حرمه . فهل يكون هٰذا من فعل مغفّل ؟

ويقال إنّ المقتدر لمّا قبض عليه ، أنفذ إلى داره من يحصي ما فيها ويحمله ، فوجد في جملة قماشه سبعمائة مزمّلة خيازر فما ظنّك بمروة [1] وقماش يكون هٰذا في جملته ؟

نوادر أخرى في حمقه المزعوم

وممّا يحكى من حمقه أنّه كان يقول في دعائه : اللهمّ ، آغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم .

وقال يوماً للوزير علي آبن الفرات : يا سيّدي ، عندنا في الحويرة كلاب لا يتركوننا ننام من الصياح والقتال .

فقال : أحسبهم جراءً ؟

فقال : لا تظنّ أيّها الوزير ذلك ، كلّ كلب مثلي ومثلك .

ونظر في المرآة مرّة فقال لرجل : انظر ذقني هل كبرت أو صغرت ؟

فقال : إنّ المرآة بيدك !

قال : صدقت ، ولكنّ الحاضرَ يرى ما لا يرى الغائب .

ورؤيَ وهو يبكي وينتحب . فقيل له : ما لك ؟

(1) : لم نفهم هاتين الكلمتين .

قال : أكلت اليوم مع الجواري المخيض بالبصل فآذاني . فلمّا قرأتُ في المصحف : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ ، قُلْ : هُوَ أَذًى . فَٱعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾ (البقرة ، 222) قلت : ما أعظمَ قدرة الله ! قد بيّن كلّ شيء ، حتّى أكلَ اللبن مع الجواري .

وأراد مرّة أن يدنو من بعض جواريه فٱمتنعت عليه فقال : أعطي الله عهداً : لا قربتُك إلى سنةٍ ، لا أنا ولا أحدٌ من جهتي !

وقال يوماً : قد جَرِبَتْ يديّ : لو غسلتها ألفَ مرّة لم تنظُفْ حتّى أغسلَها مرّتَين .

وماتت أمّ أبي إسحاق الزجّاج ، فٱجتمع الناس عنده للعزاء . فأقبل ابن الجصّاص وهو يضحك ويقول : يا أبا إسحاق ، والله سرّني هٰذا !

فدهش الزجّاج والناس ، فقال بعضُهم : يا هٰذا ، كيف سرّك ما غمّه وغمّنا ؟

قال : ويحك ! بلغني أنّه هو الذي مات ، فلمّا صحّ عندي أنّها أمّه سرّني ذلك .

فضحك الناس .

وكان يكسر يوماً لوزاً ، فطفرت لوزة وأبعدت ، فقال : لا إلاه إلّا الله ، كلّ الحيوان يهرب من الموت ، حتى اللوز !

وقال مرّة في دعائه : اللهمّ ، إنّك تجد مَن تعذّبه غيري ، وأنا لا أجد غيرك يغفر لي / فٱغفر لي . [390 أ]

وقال : اللهمّ ، ٱمسخني جويريّةً وزوّجني بعمر بن الخطّاب .

فقيل له : سل الله أن يزوّجك من النبيّ ﷺ إن كان لا بدّ لك من أن تبقى جويريّة .

فقال : ما أحبّ أن أصيرَ ضرّةً لعائشة (رضي الله عنها) .

وأتاه يوماً غلام بفرخ وقال : انظر هٰذا الفرخ ، ما أشبهَه بأمّه !

فقال : أمّه ذكر أو أنثى ؟

وبنى ٱبنه داراً وأتقنَها ، ثمّ أدخله إليها ليراها وقال : انظر يا أبه هل ترى فيها عيباً ؟

فطاف بها ، ودخل المستراح فٱستحسنه ثمّ قال : فيه عيب : وهو أنّ بابه ضيّق لا تدخل منه المائدة .

وكتب إلى وكيله أن يحمل له مائة منّ قطناً . فحملها إليه فلمّا حَلَجَها ٱستقلّها وكتب إليه : إنّ هٰذا لم يجِىء منه إلّا الربُع . فلا تزرع بعدَها قطناً إلّا بغير حبّ ، ويكون محلوجاً أيضاً .

وقال يوماً لصديقه : وحياتك الذي لا إلاه إلّا هو !

وتردّد إلى بعض النحاة ليصلح لسانه ، فقال له بعد مدّة : الفرس بالسين أو بالصين ؟

وقال : قمت البارحة إلى المستراح وقد طفىء القنديل ، فما زلت أتلمّظ المقعدة حتى وجدتُها .

وٱنشقّ له كنيف فقال لغلامه : بادر أَحضِرْ مَن يصلحه لنتغدّى به قبل أن يتعشّى بنا .

وطلب يوماً من البستانيّ الذي له ، بصَلاً بخلٍّ ، فأحضر إليه بصلاً ، فقال له : لأيّ شيء ما تزرعُه بخلّ ؟

1244 ـ أبو القاسم بن بشر الكاتب [- بعد 357]

الحسين بن عليّ بن بشر ، أبو القاسم ، الكاتب [...] .

... ومن شعره ، وقد سمع قوماً يذمّون كافور الإخشيديّ بعد موته ، وكان يحسن إلى جميعهم ، فقال ، وعرّض ببخل الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل آبن الفرات [وافر] :

لقد كُفِرَت صنائعُك اللواتي ... عَمَمْنَ فما خَصَصْتَ بها شكورا
وما خلّفتَ يا كافورُ منهم ... لما أوليتَه إلّا كَفورا
ألا قلْ للّذين رمَوك ظُلماً ... ببُخلٍ : قلتمُ كذِباً وزُورا
يسيرُ البِرّ كان كما ذكرتم ... فهاتُوا غيرَه يُعطي اليسيرا
سيذكرُ فعلَه العافي فيبكي ... إذا آستجدى أبا الفضل الوزيرا

1245 ـ القاضي سديد الدين المهلّبيّ [- 618] [1]

حسين بن عبد الوهّاب بن حسن بن بركات بن علي بن المهلَّب ، البهنسِيّ ، القاضي سديد الدين ، أبو عليّ ، ابن السديد أبي القاسم ، الحلبيّ .

سمع من أبي الحسين [محمد بن أحمد] بن خيْر [البلنسيّ] ، وتفقّه ، ودرّس ، وناب في الحكم عن العماد ابن السكريّ [2] ، ثمّ ترك . وكان وقوراً ورعاً نزهاً فاضلاً صالحاً له شهرة .

ومات في أوّل شعبان سنة ثماني عشرة وستّمائة .

(1) التكملة 3 / 53 (1825) والزيادات منها .
(2) في التكملة : ابن السكّري هو عبد الرحمان بن عليّ العسقلانيّ (ت 629) .

الوزير المغربي 1246

1246 – الوزير المغربيّ [370 – 418][1]

الحسين بن علي بن الحسين بن عليّ بن محمد ، المغربيّ ، ابن يوسف ، ابن بحر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن باذام بن ساسان بن الحرون بن بلاش آبن جَاماس بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد ، الملك المعروف بالأيثم ، ابن بهرام بن سابور بن سابور ذي الأكتاف بن هرمز بن هرمز بن مرسي ابن بهرام آبن بهرام بن هرمز بن سابور الجنود ، آبن أزدشير [بن] بابك ، قاتل الطوائف وجامع ملك فارس [بعد] تفرّقها ، أبو القاسم ، آبن أبي الحسن ، الوزير .

تحصيله ومصنّفاته

ولد أوّل وقت طلوع الفجر من ليلةٍ صباحُها يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجّة سنة سبعين وثلاثمائة بمصر . وآستظهر القرآن الكريم وعدّة كتب في النحو واللغة ، ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم . ونظم الشعر وتصرّف في النثر وفي حساب النجوم والجبر والمقابلة ، وبلغ من ذلك كلِّه حظًّا وافرًا قبل آستكماله أربع عشرة سنة . وآختصر كتاب إصلاح المنطق في اللغة ، وآبتدأ في نظم ما آختصره قبل آستكماله سبعَ عشرَةَ سنةً[2] . وصنّف كتاب الإيناس ، وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ، يدلّ على كثرة آطّلاعه ، وكتاب الإلحاق بالآشتقاق ، وكتاب أدب الخواصّ ، وكتاب الشاهد

---

(1) وفيات 2 / 172 (193) – الوافي 12 / 440 (389) – الإشارة ، 47 ، 66 – لسان الميزان 2 / 301 (1245) – طبقات المفسّرين للداوديّ 1 / 152 (149) النجوم 4 / 266 – المنتظم 8 / 32 – العبر 3 / 130 – ياقوت ، إرشاد 10 / 79 – شذرات 3 / 210 – رجال النجاشيّ 55 – الأعلام 2 / 266 أعلام النبلاء ، 17/ 394 (257) .

(2) هذه الشهادة من أبيه علي بن الحسين حسب ما نقله ابن خلّكان 2 / 173 .

والغائب ، بيّن فيه أوضاع كلام العرب والمنقول منه وأقسامه تبييناً يكاد / أن [390ب] يكون أصلاً لكلّ ما يسأل عنه من الألفاظ المنقولة عن أصولها إلى استعمال محدث . وكتاب فضائل القبائل ، وكتاب أخبار بني حمدان وأشعارهم [وإملاءات عدّة في تفسير القرآن الكريم وتأويله][1] .

وروى صحيح البخاريّ عن أبي ذرّ عبد بن أحمد الهروي[2] بسماعه منه . وروى موطّأ مالك وصحيح مسلم وجامع سفيان . وروى كتاب المزنيّ بسماعه من أبي جعفر الطحاويّ . وروى عن محمد بن الحسين التنوخيّ ومحمد بن إبراهيم ، وأحمد بن فارس . وحدّث عن الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات وغيره .

روى عنه آبنه أبو يحيى عبد الحميد بن الحسين ، وأبو الحسن بن الطيّب الفارقي .

مراسلاته مع المعريّ وغيره

وقارض أبا العلاء أحمد بن سليمَان المعريّ بمكاتبات أدبيّة كثيرة الغريب . وقال الشعر الجيّد ، وبرع في الترسّل ، وصار إماماً في كتابة الإنشاء وكتابة الحساب . وتصرّف في فنون من علم العربيّة واللغة ، ومهر في أكثر الفنون العلميّة .

وكان إذا دخل عليه الفقيه سأله عن النحو ، والنحويّ سأله عن الفرائض ، والشاعر سأله عن القرآن ، قصداً لتبكيتهم ولأتّساع نطاقه ، وقوّة سَبحِه في العلوم الدنيويّة والأدبيّة والنجوميّة ، وإفراط ذكائه وفطنته وسرعة خاطره وجودة بديهته .

---

(1) ز يادة من طبقات الداوديّ 1 / 153 .

(2) الحافظ الهرويّ ابن السماك صاحب المستدرك على الصحيحين (انظر الأعلام 4 / 41) . توفّي سنة 434 .

وكان مؤدّبه أبو الحسن علي بن القارح دوخلة . فقال له يوماً علي بن الحسين المغربيّ : أنا أخاف همّة ٱبني أبي القاسم أن تنزو به إلى أن يوردَنا ورداً لا صَدَرَ عنه . فإن كانت الأنفاس ممّا يُحفظ ويُكتب فٱكتُبْها وٱحفظها وطالعني بها .

فلمّا كان في بعض الأيّام قال أبو القاسم لمؤدّبه دوخلة : ترضى بالخمول الذي نحن فيه ؟

فقال : وأيّ خمول هنا ؟ تأخذون من مولانا الحاكم بأمر الله في كلّ سنة ستّة آلاف دينار ، وأبوك[1] من شيوخ الدولة وهو معظّم مكرّم .

فقال : أريد أن تصير إلى أبوابنا الكتائب والكواكب والمكاتب ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان .

فأعاد دوخلة ذلك على أبيه ، فقال : ما أخوفني أن يخضب أبو القاسم هٰذه من هٰذه – وقبض على لحيته وهامته – وصدقَت فراستُه وقَتَل الحاكم بأمر الله أبو علي منصور ابن العزيز بالله ، أبا الحسن علي بن الحسين المغربيّ والدَ الوزير أبي القاسم ، وقتلَ أخاه أبا عبد الله محمد عمّ الوزير أبي القاسم ، وقتل محسناً ومحمّداً ، أخوَي الوزير أبي القاسم ، لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربعمائة .

التجاؤه إلى بني الجرّاح بعد نكبة أسرته

ففرّ الوزير أبو القاسم من مصر في هيئة جمّال ، للثاني من ذي القعدة المذكور ، وتوجّه إلى الشام مع بعض العربان ، ونزل محلّة حسّان بن المفرّج بن دغفل بن الجرّاح الطائيّ ، وٱستجار به من الحاكم فأجاره . وأنشد عندما دخل عليه [كامل] :

---

(1) في المخطوط : أبو بكر ، وكنية والده أبو الحسن .

أمّا وقد خيّمتُ وسط الغاب فلْيقسُوَنَّ على الزمانِ عتابي
يترنّم الفُولَاذُ دون مخيّمي وتزعزَعُ الخرصان حولَ قبابي
وإذا بنيتُ على الثنيّة خَيْمَةً شُدّت على كسر القنا أطنابي
وتقوم دوني فِتيةٌ من طيِّيء لم تلتبس أثوابُهم بالعابِ
يتناثرون على الصريخ كأنّما يُدْعَوْن نحو غنائم ونهاب
من كلّ أهرت يرتمي حملاقُه بالجمر يوم تسايُفٍ وضِراب[1]
يهديهمُ حسّان يحمل بزّةً جرداء تُعليهِ جَناحُ عقابِ
يجري الحياءُ على أسرّة وجهه جري الفرندِ بِصارِمٍ قِرضاب
كرم يشقّ على التّلاد وعَزمةٌ تغتال بادرة الهزبر الضابي[2]
ولقد نظرتُ إليك يا ابن مفرّج في منظر مِلْءَ الزمان عجاب
والليل ملتفّ الذوائب بالقنا والحرب سافرة بغير نقاب
فرأيت وجهك مثل سيفك ضاحكاً والذُّعرُ يُلبِسُ أَوْجُهاً بتراب
/ ورأيت بيتك للضيوف ممهّداً فسِح الظلال مرفّع الأبواب [391 أ]
[يا طيّيءَ الخيراتِ بين خلالكُم أمْنُ الشريدِ وهمّةُ الطلّاب][3]
سمكت خيامكمُ بأسنِمةِ الرُّبَى مرفوعةً للطارق المنتاب
ويدلّ ضيفكُمُ عليكمْ أنورٌ شبّت بأجذال قُهِرن صعابِ[4]
متبرّجات باليفاع وبعضهم بالجزع يكفُر ضوءَه بحجاب[5]
كَلَأَتْكُمُ ممّن يعادي هيبةٌ أغنتكمُ عن رقبةٍ وجناب
فيسير جيشكمُ بغير طليعة ويبيتُ حيُّكمُ بغير كلاب
متهيَّبون ، وليس فيكمُ هائب تتوثّبون على الردى الوثّاب

(1) الأهرتُ من صفات الأسد ، والحملاق بالكسر والضمّ : باطنُ العين .
(2) الضابي (من ضبا) : المُشرف على القوم المترصّد لهم .
(3) بيت ساقط من مخطوطنا . وهو في ذيل تاريخ دمشق ، 62 .
(4) الأجذال ج جِذل وهو أصل الشجرة أو جذعُها .
(5) الجِزع : بطن الوادي . وكفَر ضَوْءَهُ : ستره وأخفاه .

ولكم إذا ٱختصم الوشيج لباقة ... بالطعن فوق لباقة الكتّاب
فالرمحُ ما لم ترسلوه أخطلٌ ... والسيف ما لم تُعملوه نابي
يا مَعْنُ ، قد أقررتمُ عينَ العُلَى ... بي مُذْ وصلتُ بحبلكم أسبابي
جاورتُكم فملأتمُ عينـ[ـي] الكرى ... وجوانحي بغرائب الإطراب
من بعد ذعرٍ كان أحفَزَ أضلعي ... حتى لضاق به عليَّ إهابي
ووجدت جار أبي الندى مُتحكِّماً ... حكمَ العزيز على الذليل الكابي
فليهْنَهُ مِننٌ على متنزِّهٍ ... لسِوى مواهب ذي المعارج آبٍ[1]
قد كان عن خطم الصنائع شامساً ... فٱقتـاده بصنيعه برغاب
فلأنظمنَّ له . عقودَ محامدٍ ... تبقى جواهرُها على الأحقاب
لا جاد غيرَكمُ الربيعُ ولا سَرتْ ... غُرَرُ اللِقاحِ لغيركم بحلاب
أنا ذاكمُ الرجل المندَّد ذكرُه ... كالطَّوْد حُلِّي جيدُه بشهابِ
ولقد رجوتُ ولليالي دولة ... أنّي أجازيكمْ بخير ثوابِ

فلمّا سمع حسّان هٰذه الأبيات أعجب بها وهشّ له وجدّد قوله بمَا سكّن به جأشه وأزال عنه ٱستيحاشه . وأقام عنده محترماً مكرّماً .

فلمّا قدّم الحاكم يارختكين العزيزيّ على العساكر وسيّره إلى الشام ومشى في خدمته ، وهو راكب ، القوّاد والأعيان ، كان فيهم عليّ ومحمود ابنا مفرّج ٱبن دغفل . فشقّ ذلك عليهما وكتبا إلى أبيهما مفرّج يعرّفانه بذلك ويشكوان ما لقِيا من المشقّة ، وأنّ نفوسَهما تأبى الصبرَ على هٰذه الذلّة . وحذّراه من يارختكين وقالا : إنّك لا تأمَن من أن ينتهز فيك فرصة ويستفحل أمره فينبو بك وبنا المقام في هٰذه الديار ، فدبِّر أمرَك ما دمت في فسحة من رأيك ، وعاجله في الجفار قبل وصوله إلى الرملة وٱعتضاده بعساكرها .

---

(1) آبٍ : ٱسم فاعل من أبى .

تحريضه أمير العرب على التصدّي للجيش الفاطميّ

وكان يارختكين قد سار في عدّة قليلة ، على أن يجمع عساكر الشام ويسير بها إلى حلب . وأخذ معه أهله وماله ، وصحِبَه كثير من التجّار . فلمّا توسّط الجفار ، أشار أبو القاسم ابن المغربيّ على حسّان بن مفرّج بلقائه وٱنتهاز الفرصة فيه . فسار حسّان إلى أبيه مفرّج وسهّل عليه الأمر في لقاء يارختكين ، فجمعا العرب . وقدِم يارختكين إلى غزّة وقد بلغه ما همّ به حسّان وأبوه ، فكتب إلى ابن سرحان أحد قوّاد الرملة أن يلقاه في ألف مقاتل بعسقلان . وقدّرَ وصولَ ابن سرحان ثلاثة أيّام . فأُخذ الرسول في طريقه . وسار يارختكين بعد يومين على طريق الساحل وقد بثّ حسّان الخيل ، فوقعت عليه وقابلته وأسرته . وغنم حسّان / [391ب] جميعَ ما كان معه ، ونُهِبت رساتيق الرملة . فخرج من كان فيها من العساكر وقاتلوا العرب قتالاً شديداً حتّى همّ العرب بالانصراف . فقال لهم أبو القاسم ابن المغربيّ : إن رحلتم على هٰذه الصورة وقع الطمع فيكم ، وإن صبرتم حتّى تفتحوا البلد خافكم الحاكمُ وملكتمُ الشام . والرأي أن تنادوا في السواد وأطراف البلاد والجبال بإباحة النهب والغنيمة .

فقبلوا منه وجسروا ونادَوا في الناس ، فٱجتمع لهم خلق كثير . وزحفوا على الرملة فملكوها وبالغوا في القتل والفتك . فلمّا بلغ الحاكم هٰذا ٱنزعج ، وكتب إلى مفرّج بن دغفل بن الجرّاح يعتبه ويحذّره سوء العاقبة ويأمره بإرسال يارختكين إليه ، ووعده على ذلك بخمسين ألفَ دينار . فبادر أبو القاسم ابن المغربيّ لمّا بلغه ذلك وقال لحسّان بن مفرّج : إنّ والدَك سيركب إليك ويثقل عليك في أمر يارختكين ولا يبرح من عندك إلّا به . ومتى أفرجتُم عنه وعاد إلى الحاكم ردّه إليكم في العساكر التي لا قبَل لكم بها .

فقبل قوله وقتل يارختكين صبراً بعدما أهانه ، وسمع غناءَ جواريه وحظاياه وهو مقيّد معه في مجلسه ، وارتكب منه قبائح شنيعة ، ثمّ أنفذ برأسه إلى أبيه

مفرّج . فساءه ذلك .

إغراؤه أمير مكّة الحسنيّ بآدّعاء الخلافة

ثمّ إنّ أبا القاسم آجتمع بمفرّج وبآبنه حسّان وقال لهما : إنّكم قد كشفتُم القناعَ في مباينة الحاكم ، ولم يبقَ للصلح موضع . – وأشار عليهما بمراسلة أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد[1] بن الحسين بن محمد الأكبر بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي أبي طالب الحسنيّ ، أمير مكّة ، ومبايعتِه بالإمامة ، فإنَّهُ لا مغمَز في نسبه . وسهّل عليهما الخطب في ذلك حتّى انقاد إليه جماعتُهم . وسار هو في الرسالة إليه بنفسه حتّى قدم عليه مكّة ، وأطمعه في الأمر . وجمع بني حسن فأجابوه إلى ذلك ، وبايعوا أبا الفتوح ولقّبوه بالراشد بالله ، وصعد منبر مكّة وخطب لنفسه . وكان قد مات بعض أرباب اليسار بجدّة ، فأشار أبو القاسم بأخذ تركتِه كلّها ، فأخذت بأجمعها ، وأخذ أيضاً عدّة من المحاريب الذهب والفضّة المنصوبة بالكعبة وضربها دراهم ودنانير وفرّقها فيمن آجتمع إليه من العرب . وخرج أبو القاسم من مكّة وسار برسالة أبي الفتوح إلى بطون العرب من سليم وعوف بن عامر وغيرهم . فدعاهم حتى آستوسق له الأمر ، وسار بمن أجابه من العرب ، ومعه أبو الفتوح ، يريد لقاء حسّان بن جرّاح الطائيّ حتى قدم الرملة . فخرج مفرّج بن دغفل بن الجرّاح وبنوه حسّان ومحمود وعليّ بمن معهم إلى لقاء أبي الفتوح ، وقبّلوا الأرض وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ، وأنزلوه في دار الإمارة . فنادى في الناس بأمان الخائفين ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر . وركب يوم الجمعة ، ومفرّج وأولادُه وجميع أمراء طيّىء مشاة في ركابه وبين يديه ، حتى دخل المسجد وصعد المنبر وخطب فحمِد الله وأثنى عليه وقرأ : ﴿بآسم الله الرحمان الرحيم . طسّم ، تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ ، نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى

---

١ مرّت ترجمة هٰذا الدعيّ الحسنيّ برقم 1176 ، وهو فيها : ابن جعفر بن الحسن بن محمّد .

وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ ... ﴾ إلى قوله : ﴿... يَحْذَرُونَ﴾ (القصص ، 1 ـ 6) . ثمّ أتمّ الخطبة وصلّى بالناس وعاد إلى دار الإمارة .

فبلغ ذلك الحاكم ، فلم يزل ببني الجرّاح يستميلهم حتّى تقرّر الحال أن يدفع إلى كلّ من حسّان وإخوته خمسين ألفَ دينار ، سوى الهدايا والخطايا[1] . فمالوا إليه حتّى انحلّ أمر أبي الفتوح ورجع إلى مكّة كما قد ذكر في ترجمته . فكتب أبو القاسم ابن المغربيّ إلى الحاكم كتاباً يعتذر فيه ويسأل العفو عن جريرته ، وصدّر الكتاب بقوله [طويل] :

وأنت ، وحسبي أنت ، تعلمُ أنّ لي ... لساناً إمام المجدِ يبني ويهدم
وليس حليمًا من تُباسُ يمينُه ... فيرضى ، ولكن مَن تُعَضُّ فيحلُم

حصوله على أمان من الحاكم

فصيّر إليه الحاكم أماناً بخطّه ، نسختُه : بآسم الله الرحمان الرحيم ، هٰذا الكتابُ كتبه المنصور أبو علي ، الإمام الحاكم بأمر الله ، أميرُ المؤمنين ، لحسين آبن علي بن حسين المغربيّ : إنّك آمنٌ بأمان الله ، ورسوله جدِّنا محمد المصطفى ، وأبينا / عليّ المرتضى ، والأئمّة من آلهما ، مصابيح الهدى ، صلّى [392 أ] الله عليهم وسلّم ، وأمانِ أبينا الأقرب نزار أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين ، قدّس الله روحه وصلّى عليه ، على النفس والجسم وجميع الجوارح والحواسّ ، والمال والخال[2] ، والأهل والأقارب والأسباب ، أماناً ماضياً لا يُتعقَّبُ بتأويل ولا يُتبَع بفسخ ولا تبديل . وإنّ الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين أمّن حسين آبن علي بهٰذا الأمان بعد أن تحقّق له ذنوباً وأجراماً عظيمة ، فصفح عن علم ،

(1) شرحنا هٰذه الكلمة في ص 352 ، والمقريزي يُعيد هنا ما كتبه هناك .
(2) هكذا في المخطوط بالخاء المعجمة ، ولعلّها تعني الخَوَل ، أي الخدم والعبيد والإماء ، وإن كانت المعاجم لا تقرّ هذا المعنى .

وتجاوز عن معرفة وحلم ، وجعل هٰذا الأمانَ كالإسلام الذي يمحو ما قبلَه ويمهّد الخيرَ لمَا بعدَه . وكلّ سعاية ووشاية وذنب وجريمة تنسب إلى حسين بن عليّ قد تحقّق أمير المؤمنين أكثرَ منها وصفح عنه ، فلا يد له عليه إلّا الإحسان إليه . وإنّ لحسين بن علي هٰذا اختيارَه عند وقوفه على هٰذا الكتاب ، في انكفائه إلى الباب العزيز والتعرّض للخدمة ، أو التوفّر على العبادة ، لا يُكره على خدمة يُستعفَى منها ، ولا تُقبل عليه الأقاويل في خدمة يتعلّق بها . وأقسم أميرُ المؤمنين الحاكم بأمر الله على ذلك ، وبأيمَان الله وغليظ مواثيقه وبيته الحرام ومشاعره العظام وآياته الكرام ، وحقوق جميع آبائه عليهم السلام . فمتى غيّر أو بدّل ، أو أمر أو أملى ، أو أسرّ أو أعلن ، أو دسّ أو اغتال ، فجميع المسلمين في شرق الأرض وغربها ، وفي الموقان[1] ، والريّ وأذربيجان ، والدينور وهمذان ، والسهل والجبل ، والقريب والبعيد ، والعراق والشام ، وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر ، وحلب ومصر والحجاز والمغرب ، في حِلٍّ وسَعةٍ من بيعته وقد فسح الله لهم وفسح لهم أمير المؤمنين في النكث بها وبرّأ نفسَه ممّا أوجبه عليهم والتزموه في أعناقهم منها ، وقد برىء من الله تعالى ورسوله ﷺ ، والله تعالى ورسوله منه بريئان ، وبرىء إليه من حوله وقوّته ، والتجأ إلى حول نفسه وقوّتها . وأشهد الله تعالى وملائكتَه وصالح خلقه على نفسه بذلك كلّه ، أمَانًا مؤكّداً وذماماً مؤبّداً ، وعهداً مسؤولاً ، وميثاقاً محفوظاً مرعيًّا ، وكفى بالله شهيداً . وكتب المنصور بيده .

توجّهه إلى الخلافة العبّاسيّة

فتوجّه أبو القاسم ابن المغربيّ من الرملة قبل وصول هٰذا الأمان إليه ، وسار نحو العراق ، وقصد فخر الملك أبا غالب الحسن بنَ منصور بن غالب السيرافيّ وزير مشرّف الدولة أبي علي الحسين ابن بهاء الدولة أبي نصر خسره فيروز بن عضد الدولة أبي شجاع فناخسره ابن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه ،

(1) مُوقان وموغان : ولاية من أذربيجان بين أردبيل وتبريز (يافوت) .

علي المرتضى في الامة من ائمة مصابيح الهدى صلى الله عليه وعليهم وسلم وامان ابينا الامام ... نزار ابي
المنصور العزيز بالله امير المؤمنين قدس الله روحه وصلى عليه على النفس والجسم وجميع الجوارح والحواس
والمال والحال والاهل والاقارب والاسباب امانا تاما صحيحا لا يتعقبه تأويل ولا يتبعه نسخ ولا تبديل وان
الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين امن الحسين بن علي بهذا الامان بعد ان تحقق له ذنوبا واجراما عظيمة
تصح عن علم وعيان وعن معرفة وحلم وجعل هذا الامان كالاسلام الذي يجب ما قبله ويهدم ما حل بالنفس من كل
تبعاته وتشابه وذنب وجريمة نسبها الى الحسين بن علي فتحقق امير المؤمنين كثيرا منها وصح عنده ولا يدله
عليها الا الاحسان اليه وان الحسين بن علي هذا اختاره عبدا وتوفيه على هذا الكتاب في انكفائه الى الباب
العزيز والتعرض لخدمته او التوفر على العبادة لا يكره على خدمة يستعفي منها ولا ينقل عليه الا ما دل
في خدمة يتعلق بها واقسم امير المؤمنين الحاكم بامر الله على ذلك وبايمان الله وغليظ مواثيقه وبيته
الحرام ومشاعره العظام وآبائه الكرام وحقوق جميع آبائه عليهم السلام فمتى غير او بدل او امر او اشار
او اغلى او دس او اعان لجميع المسلمين في شرق الارض وغربها وفي المؤمنين والرأي وأذربيجان والديلم
وهمدان والسهل والجبل والقرب والبعيد والعراق والشام وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وحلب
ومصر والحجاز والمغرب في حل وسعة من بيعته وقد برئ الله لهم وفسح لهم امير المؤمنين في النكث لها ونبذ
نقضه ما اوجبه عليهم والزموه في اعناقهم منها وقد برئ من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورسوله
منه براءة لا يجري اليه من حوله وقوته والتجأ الى حول نفسه وقوتها واشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه
على نفسه بذلك كله امانا مؤكدا وذماما مؤبدا وعهدا مسؤولا وميثاقا محفوظا مرعيا وكفى بالله شهيدا
وكتب المنصور بيده فتوجه ابو القسم بن المغربي من الرملة بعد وصول هذا الامان اليه وسار نحو العراق وصحب
وقصد فخر الملك ابا غالب الحسن بن منصور بن غالب السيرافي وزير مشرف الدولة ابي علي الحسن بن بهاء الدولة
ابي نصر فيروز بن عضد الدولة الى [illegible] فاحسنه بن ركن الدولة ابي علي الحسن بن بويه والتجأ
اليه فبلغ امير المؤمنين القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق بن المقتدر حضور ابي القسم بن المغربي فاتهمه في
فساد الدولة العباسية وتردد بينه وبين فخر الملك في بابه ما اوجب خروجه معه الى واسط وكتب
فخر الملك عن نفسه [illegible] ومعرفته حقه فاقام مدة على هذه الحال من امن [illegible] فخر الملك في سنة ثنتي
عشرة واربعمائة شرع في اصلاح امير المؤمنين القادر بالله واستعطاف رأيه وابرأ ساحته عما قذف فيما
ظن به وقدر فيه وعاد الى بغداد واقام بها اياما ثم مضى الى المنيع قرواش بن المقلد امير العرب ووزر
لقرواش مدة وامور دولته [illegible] اليه مالا كثيرا وتقدم له بالرحيل وسار عن الموصل الى ديار بكر فاقام
عند اميرها نصير الدولة ابي نصر احمد بن مروان الكردي مدة على سبيل الضيافة ثم خوطب في التصرف ففعله
بعد [illegible] وامتناع كثير وكانت [illegible] اذ ذاك المرتفع والصوف فلم يمض الا مدة يسيرة حتى [illegible]
الناس [illegible] خالد [illegible] ما قال وقد [illegible] علاما [illegible]
[illegible] مولاه [illegible] من مرقعه [illegible] انواع [illegible] والتصوف

و[illegible] هواه ولا رضا [illegible] بلبس صوف
[illegible] كذا الدهر مختلف الصروف

الصفحة 392 أ من مخطوطة السليمية (ترجمة الوزير المغربيّ)

وٱلتجأ إليه . فبلغ أمير المؤمنين القادر بالله أبا العبّاس أحمد بن إسحاق بن المقتدر خبرُ أبي القاسم ابن المغربيّ فٱتّهمه في فساد الدولة العبّاسيّة . وتردّد بينه وبين فخر الملك في بابه ما أوجب خروجه معه إلى واسط . وكتب فخر الملك بحراسته هناك ومعرفة حقّه . فأقام مدّة على هٰذه الحال من أمره .

فلمّا مات فخر الملك في سنة ثنتَي عشرة وأربعمائة ، شرع في إصلاح أمير المؤمنين القادر بالله وٱستعطاف رأيه وإبراء ساحته عنده فيمَا ظُنَّ به وقدّر فيه . وعاد إلى بغداد وأقام بها أيّاماً . ثمّ مضى إلى أبي المنيع قرواش بن المقلّد أمير العرب [ولقي الكافي] وزيرَ قرواش ومدبّرَ أمور دولته . فحمل إليه مالاً كثيراً وتقدّم إليه بالرحيل . فسار عن الموصل إلى ديار بكر ، فأقام عند أميرها نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان الكرديّ مدّة على سبيل الضيافة . ثمّ خوطب في التصرّف ففعله بعد إباءٍ شديد وٱمتناع كثير . وكانت لبسته إذ ذاك المرقّعة والصوف ، فلم تمضِ إلّا مدّة يسيرة حتّى غيّر ذلك اللباس ، وانكشف حاله لجميع الناس وجرت حاله على ما قال ، وقد ٱبتاع غلاماً تركيًّا كان يهواه قبل أن يبيعه منه مولاه [وافر] :

تبدّل من مُرَقَّعةٍ ونُسكٍ   بأنواع المُمَسَّك والصُّنُوف
وعنّ له غزال ليس يُحوى   هواه ولا رضاهُ بلُبس صوف
[392ب] فعاد أشدَّ ما كان انهتاكاً   كذاك الدهرُ ، مختلفُ الصروف /

فأقام عنده مدّة طويلةً في أعلى حال وأجلّ رتبة وأعظم منزلة .

تهديده للحاكم بثورات أخرى

وكتب إلى الحاكم بأمر الله يهدّده ويتوعّده بأنّ رجلاً من أولاد أبي بكر الصدّيق قد ظهر بديار بكر ، وأنّه إن لم يكن يوافقه على ما رام فإنّه لا يخذله ، ونصّه : وقد علم أنّ أصول الأمور العظام إنّما تأتي من وجدان الرجال . قال أبو

علي محمد بن مقلة : إنّي أزلتُ دولةَ بني العبّاس وأسلمتُها إلى الديلم لأنّي كاتبتُ الديلم وقت إنفاذي إلى أصبهان وأطمَعْتُهم في سرير الملك ببغداد . فإن آجتنيتُ ثمرةَ ذلك في حياتي ، وإلّا فهي تُجنى بعد مَوتي – وبعلم الله لقد بلغنا أنّه حصل الآن فيمَا بين ديار بكر وبغداد رجل من ولد أبي بكر الصدّيق ، وهو كما قيل :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر [و]النسب المعروف غير المنكر

وقد صبغ نفسَه بالعلم والأدب ، وراضها بالدُّؤُوب والنصَب ، وسما للمعالي من الرتب ، وجعل القرآن جعاره[1] ، والفقه والسننَ نوره ونوّاره ، وأجلى آدابَه بقول الشعر الذي يفوت في معانيه دقائق إسماعيل[2] ، وفي ألفاظه عذوبةَ كثيّر وجميل . وممّا قاله ، يدعو إلى الخروج ، ويصف نفسَه وأصحابه بالمذهب الجميل [وافر] :

سأطلب للعلاء بكلّ ليث له زأرٌ بذكر الله وحدَهْ
له ممّا تصوغ الهنديّات وممّا حاكه داود لبدَه
يردّ الرمح أزرقَ في آحمرار كناظرِ أزرقٍ حَصَبَتْه رمدة[3]

وهو البيت الذي لم يدنس ذكرُه ، ولم يملك أمره ، ومَن تجتمع النِّحَلَ مع آختلافها على قبوله ، وتَطَلَّعُ الأعينُ والقلوب إلى بروز نجله وسليله .

سعيه بين أمراء العرب وأمراء الأتراك

ثمّ إنّه كوتب من الموصل بالسير إليها ، وعرض عليه صاحبُها معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلّد وزارتَه بعد موت الكافي وزيره . فسار عن ميافارقين وديار

(1) الجعار : الحبل يتمسّك به .
(2) إسماعيل في الشعراء : أبو العتاهية ، أو السيّد الحميَريّ ، أو الصاحب بن عبّاد ، وهو الأقرب .
(3) رمدة : قراءة ظنّيّة ، ولعلّها : رُبدة ، أو ربدْة ، وكلاهما تعني الوسخة .

بكر ، على أنّه يتصفّح العمّال ، ويعتبر أحوال الأعمال ، حتى قرب من الموصل فأسرى في الليل وصبح الموصل ، فٱجتمع بصاحبها . وقلّده وزارته وبعثه في الرسالة إلى بغداد ليتوسّط بين السلطان مشرّف الدولة أبي علي ، وبين معتمد الدولة أبي المنيع قرواش . فٱجتمع برؤساء الأتراك والديلم وٱستمالهم إلى نفسه لِيَليَ الوزارة ، وراسل الأثير أبا المسك عنبر واستماله . فلمّا قبض مشرّف الملك على مؤيّد الملك سيّد الوزراء أبي علي الحسين بنْ الحسن الرُّخَّجِيّ[1] في رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة ، كوتب أبو القاسم ابن المغربيّ بالورود . فورد إلى بغداد وتقلّد وزارة مشرّف الدولة في رمضان المذكور بغير خلع ولا لقب ولا مفارقة للدرّاعة . فطعن عليه بدار الخلافة في مذهبه وأُنكر ٱسمُه المغربيّ الذي عُرِف به ، وذُمَّ لخاصّة الملك السعيد مشرّف الدولة . وأنكر عليه كونه رَدَّ أمورَ وزارته إليه مع ما يُظنّ به من ٱعتقاد المصريّ[2] والتديّن به ، وكان ذلك عند تجديد البيعة على الأولياء الأتراك ببغداد . وأشير إلى أنَّ هٰذا الأمرَ مقدّمةٌ لأمر يستأنف عقدُه معهم .

رسالته إلى مشرّف الدولة في رفع التهمة عن نفسه

فكتب في هٰذا المعنى ما يكشف وجهَ الشبهة في أمره ويزيل الظّنّة : الدهر أبو العجائب وذو الغرائب ، إلّا أنّي ما ظَنَنْتُه يُبْدِعُ هٰذه البدعةَ الشنعاء ، ولا يُطرّق هٰذه الظنّة النكراء . وينبغي أن أعدل عن الاحتجاج للملك أدام الله بقاءه ، وأعزّ نصره ولواءه ، وللمؤتمن على تدبيره ، والسفير بينه وبين عسكره ، أدام الله تمكينه ، بأنّ الله يعلم ، والناس يعلمون ، خلوصَ النيّة لهما في الطاعة ، والبعدَ من هٰذه الشناعة . فإنّ تشاغلي بمَا يخصّني من هٰذه الحال التي ظننتُ أنّ العرض على الله يسبقها ، وأنّ المعتقد المقدّس قد ٱستحكم في الثقة بي استحكاماً تقصر أيدي الأيّام عن صناعة مثلها ، أَوْلى . فإن كان يظنّ أنّ ما وسمت به

(1) الوزير الرخّجيّ له ترجمة في الوافي 12/ 356 (338) – توفّي سنة 430 .
(2) أي التشيّع .

من النسب المستعار ، يحملني على الأوزار ، فإنّ الأمر بضدّه ، إذ كان أصلي من البصرة ، وانتقل سلفي عنها في فتنة الورزنينيّ [1] إلى بغداد . وكان جدُّ أبي – وهو أبو الحسن علي بن محمد – يخلف على ديوان المغرب ، فنُسِبتُ به إلى المغربيّ . وولد له جدّي / الأدنى ببغداد في سوق العطش ، ونشأ وتقلّد أعمالاً [393 أ] كثيرة ، منها تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر المملكة . وكان خال أبي ، وهو أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوراجيّ الذي مدحه المتنبيّ [2] ، متحقّقاً بصحبة أبي بكر محمد بن رائق . فلمّا لحق أبا بكر ما لحقه بالموصل سار جدّي وخال أبي إلى الشام والتقيا بالإخشيد . وأقام والدي وعمّي رحمهما الله بمدينة السلام ، وهما حدثان ، إلى أن توطّدت أقدام شيوخها بتلك البلاد . وأنفذ الإخشيد غلامَه فاتك المجنون [3] ، الممدوح المشهور ، فحملَهُما ومَن يليهما إلى الرحبة وسار بهما على طريق الشام إلى مصر . وأقامت الجماعة هناك إلى أن تجدّدت قوّة للمستولي على مصر ، فأنتقلوا بكلّيّتهم وحصلوا في حيز سيف الدولة أبي الحسن [علي] بن حمدان مدّة حياته . واستولى جدّي على أمره استيلاءً تشهد به مدائح لأبي نصر ابن نباته فيه . ثمّ غلب أبي من بعده على أمره وأمر ولده ، وتدلّ على ذلك مدائح أبي العبّاس النامي فيه . ثمّ شجر بينهما ما يتّفق مثلُه بين المتصَاحبَين في الدنيا [4] بالأنبار وحدّ العراق مضطرّاً ، وبهاء الدولة رحمه الله في أوّل أمره غالباً . وخوّف من المُقام فركب مغرّراً بنفسه قاصداً إلى الشام ليتمكّن من تعرّف أخبارنا وٱفتكاك إسارنا ، فإنّا كنّا بحلب مُعَوَّقين من بعده .

فلقي بمصر الحظوة التي عُرِفَت – وليتها ما ٱتّفقت ! – فإنّ ختامها كان سُمًّا

(1) فتنة الورزنينيّ : هي فتنة صاحب الزنج علي بن محمد العلويّ (ت270) – الأعلام ، 5 / 140 .
(2) مدحه المتنبّي بقصيدة : أَمِنَ ٱزدِيارَكِ في الدجى الرقباءُ ...
(3) هو فاتك الروميّ أبو شجاع ، مدحه أبو الطيب بقصيدة : لا خيل عندك تهديها ولا مالُ ...
(4) كأنّ في الكلام هنا نقصا .

ذُعافاً وعقباها كانت بواراً وٱحتياجاً . وانتقلت في إثره ، وكانت والدتي من أهل العراق ، ولنا أملاكٌ إلى اليوم بالنعمانيّة موروثة . فكنّا بمصر زوّاراً ، وبالعراق لمّا انتقلنا إليها قاطنين وأُلّافاً . فهٰذا أوّل حديث الأصل الذي وقع الاشتباه به وتمّ التمويه فيه .

ثمّ أرجع إلى ذكر الدين : فإنّي نشأت وغذّيت بكتب الحديث وحفظ القرآن ومنافثة الفقهاء ومجالسة العلماء . ووالله ما رأيت بتلك البلاد مأدبة ولا وليمة ، ولا كنت متشاغلاً إلّا بعلم أو درس ، ولقد سلم لي من حرازات [1] كتبي ما هو اليوم دالٌّ على تشاغل[ي] بالدين القيّم ، واستمراري على النهج الأسلم . فإنّه ليس كتابٌ من كتب السنّة إلّا وقد أَحَطتُ بِهِ رِوَايَةً ،ورضْته درايةً ، وهٰهنا اليوم نسختان من موطّإ مالك بسماعي من جهتين وعليهما خطوطُ الشيوخ ، والصحيحان لمسلم والبخاريّ ، وجامع سفيان ، ومسانيد عدّة عن التابعين ، ولي – وأحمد الله – إملاءاتٌ عدّة في تفسير القرآن وتأويله وتخريجات من الصحاح المذكورة . وسمعتُ كتابَي المزنيّ عن الطحاويّ عن المزنيّ[2] . وأمّا الأحاديث المنثورة التي كنت أباكر بكورَ الغراب لأستماعها ، وأطّرح رتبة الدنيا في مزاحمة أشياعها ، فأكثر من أن تُحصى . وكيف يُظنّ بمثلي ممّن ظهر تماسكه إن كان لم يظهر باطنُه ، تعلّق بالهباء المنثور ، وتمسّك بالضالّ والوزر ؟ أعوذ بالله !

ثمّ من بعد: فممّا يكثر تعجّبي منه أن تستمرّ هٰذه الشبْهَةُ فيعتقد أنّ أهل مصر كلّهم على المذهب الذي لا يُرتضى . فإنّ السنّة المصمتة [3] غالبة على أهل مصر

---

(1) الحرازات قراءة ظنّيّة ، ولعلّها جمع غير قياسيّ لحِرز وهو ما يحرز فيه المتاع من صندوق ومثلِه . ولعلّها : إجازات .

(2) المزنيّ (إسماعيل بن يحيى ، ت 264) : هو صاحب الشافعيّ ومصنّف المختصرين الكبير والصغير في فقه الشافعيّ (ترجمته مرّت برقم 747) وأبو جعفر الطحاوّي (أحمد بن محمد بن سلامة ت 321) روى عن خاله المزنيّ قبل أن ينتقل إلى مذهب أبي حنيفة (ترجمة 666) .

(3) المُصْمَتة : النقيّة من كلّ شائبة ، كالفرس المصمَت ، الذي لا يخالط لونَه لونٌ آخر .

حتى لا أعرف واحداً فرداً يشذّ عنها ، بل ربّما تعلّق بعضهم بمحبّة أهل البيت عليهم السلام ، وانفرد بها انفراداً يخصّ به المُحِقّين منهم ويعدل فيه عن غيرهم ، حتّى إنّه ليس هناك أحد يتشبّث بذلك المذهب إلّا حشو من العوامّ غرضُهم الانتصار به من الذلّة . والتشزّر[1] على نظرائهم من السوقة .

ثمّ إذا نُظر إلى ما مُنيت به في تلك البلاد من ذهاب السطوة الجائِدَة بدَوح لي وأغصان ، وشيوخ وشبّان ، عُلم أنّ قلبي لو كان صافياً[2] لتكدّر تكدّراً لا يرجى بقاؤه أبداً . ومن المعلوم أنّي لو أنست بتلك البلاد لكان لي إليها بعد ذهاب الشخص الأوّل طريق لَحْبُ[3] ، ومذهب سهل . إلّا أنّني علم الله ، نافرٌ منها ومن مالكها نفوراً قد صار صبغة لا حيلة في زوالها ، ولا طريق إلى انتقالها ، لأنّها ليست لي وطناً وَلا « أوّل أرض مسّ جلدي ترابها »[4] فأتأسّفَ عليها . والعجب أنّي كنت في الظواهر لا في البطاح ، بأكناف ذلك السرير المقدّس النبويّ ، لا بمرأى أيّ منه ومسمع ، وحولي من أعصي به وأطيع ، وأنفع وأضرّ ، مِن أمراء العرب حرسهم / الله في طوائف كثيرة من العجم ، فما حُلت [393ب] قطّ عن التمسّك بالولاء والتقرّب ، فكيف الآن ، لمّا صرتُ متقلّداً خدمةَ هٰذه السدّة ، زاد الله في بهاء سلطانها ، ومنتظِراً أمانتَه في تشييد عزّها ، ومتّخذاً هٰذه القصور البيض معقلاً لي ولولدي ، أعدل عن ذلك ؟ إنّ هٰذا لمن العجاب كما قد مرّ ذكره . ومن السياسة العلويّة الآن أن يكشف كلَّ ما رأى فيَّ حتى يبلغ إلى آخره ليعرف حقَّه من باطله ، وصدقَه من ماحله . فقد أحدث للقلب

---

(1) التشزّر قد تعني التعالي والتكبّر .
(2) أي : لو كان صافياً للشيعة الفاطميّين ...
(3) الطريق اللحب واللاحب : السهل الواضح .
(4) شطر بيت لرقاع بن قيس الأسديّ ، وصدره :

بلادٌ بها نِيطت عليّ تمائِمي وأوّل أرضٍ ...

الأشرف انزعاجاً ، وللسرير الأعظم ارتجاجاً ، وابتذلت الألسن من الذكر ما كان يجب أن يكون مصوناً عنها ، وكنت أنا خادِماً جارياً بشوط الجموح في الخدمة . ثمّ قد يعلمُ الله ، لئن نشأ لي طروق هٰذه التهمة الفاترة ، أحلّ الله السوء الممحق مَن كان سببَها .

وكتبت هٰذه السطور كما ينفث المصدور ، والله حسبي ونعم الوكيل .

فلم يلتفت إلى قوله ، وعزل في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وأربعمائة بأبي طاهر المحسّن بن طاهر الشيرازيّ . وكانت وزارته عشرة أشهر وخمسة أيّام .

خروجه من جديد إلى قرواش ثمّ إلى ابن مروان

واتّفق أنّه في مدّة وزارته أوحش الأثير أبا المسك عنبر من الوافي أبي مقاتل أرسلان الطويل ، فأغراه به حتى قبض عليه وقتله . وجرى في أثناء ذلك أمور دعت مشرّف الدولة أبا عليّ ، والأثير أبا المسك عنبر إلى مفارقة بغداد والخروج عنها إلى أوانا كما هو مذكور في أخبار بغداد[1] . فتأكّدت الوحشة بين أبي القاسم المغربيّ وبين الأتراك ، فخاف ، وكان قد خرج مع مشرّف الدولة . ففارقه وقصد معتمد الدّولة أبا المنيع قرواش فجرى على عادته ، وأثار ما جدّد سوء رأي القادر بالله فيه لما حدث بين الزكيّ أبي عليّ بن عمر بن محمد بن الحسن ، وأبي الحسن علي بن أبي طالب ، وبين أبي المختار بن عبد الله والهاشميّين بالكوفة ، من الفتنة التي ذهبت فيها النفوس والأموال ، [و]ما جمعت فيه الجموع وعقدت به المحاضر المشتملة على ذمّه والوقيعة فيه .

فأَوْجَبَ ذلك له قصدَ نصير الدولة أبي نصر بن مروان ، والبعد إلى بلاده . فأقام عنده على حكم الضيافة مدّة أكرمَه فيها نصير الدولة غاية الإكرام ، وأقطعه

(1) أوانا : على عشرة فراسخ من بغداد في اتّجاه تكريت . وأخبار بغداد هو تاريخ أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت 280) – الأعلام ، 1 / 138 .

ضياعاً جليلة تقوم به وبمَن وصل معه من حاشيته وأتباعه .

ولم يزل عنده إلى أن كوتب من بغداد بالعود إليها . فٱستأذن نصير الدولة في ذلك فلم يمكنه مخالفتُه . وكان له وزير يعرف بأبي الحسن محمد بن القاسم بن صقلاب من أهل الموصل . فقال له : إنّ هٰذا رجل عظيم له سياسة وتدبير ، وعظم حيلة . وقد بلغك ما فعلَه من الأمور العظام ، وأنّه دوّخ الممالك وقلَب الدولَ . وقد خبر حال هٰذه البلاد وطال مُقامه فيها وعرف غوامضَ أسرارها . وإنّك لا تأمن من مكره ، فٱحتل عليه ودبِّر لنفسك .

دسيسة من ابن صقلاب لقتله

فمال إلى قول وزيره ، ودسّ على أبي القاسم ابن المغربيّ سُمًّا في شرابه ، وكان مبرزاً بأخبيته وفسَاطيطه بظاهر ميافارقين فلمّا أحسّ بالموت ، كتب كتاباً إلى كلّ مَن يصل إليه من الأمراء والرؤساء الذين فيمَا بين ديار بكر والكوفة ، يعرّفهم فيه أنّ حظيّة له توفّيت وأنّ تابوتها يجتاز بهم إلى مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وخاطبهم في المراعاة لمَن يصحبه . وقصد بهٰذا أن لا يتعرّض أحدٌ لتابوته وأن ينطوي خبر موته ، خوفاً ممّا أثّره في أهل الكوفة من الآثار السيّئة . ثمّ تقدّم بردّه إلى المدينة ، فحمل إلى ميافارقين ، ومات بها في ثالث عشر شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائة – وقيل غير ذلك ، وليس بصحيح – فحُملت جثّته من ميّافارقين إلى الكوفة ، وبينهما مسيرة نحو شهر ، فدُفن بتربة كانت له بجوار قبر علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) .

ويقال إنّه غيّر مولدَه وأنكر أن يكون ولد بمصر . وقد رُئِيَ مولده الذي تقدّم ذكرُه بخطّ أبيه .

وقال الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابيّ في كتاب الوزراء إنّ مولده بمصر[1] ، كما تقدّم .

---

(1) لا ذكر للوزير المغربيّ في كتاب الوزراء كما نشره عبد الستّار فرّاج .

صفاته وشيءٌ من شعره

وكان أبو القاسم أسمرَ شديد السمرة سُناطاً[1] يرمى بحبّ الشباب ، من الدهاة العارفين ، لولا هوج فيه . ذكره مؤدّبه أبو الحسن علي بن القارح فقال : [394 أ] كان جنونُه مجنوناً ، وأصحّ منه مجنون ، وأجنُّ / منه لا يكون . و[قد] أنشد [طويل] :

جنونك مجنون ، ولست بواجدٍ طبيباً يداوي من جنون جنون [2]

وله فيه هجو كثير .

وله ديوان شعر . ومن شعره قوله [خفيف] :

كنت في سفرة الغوايةِ والجهـ ـل زمَاناً ، فحان منّي القدوم
تبتُ من كلّ مأثمٍ فعسى يُمـ ـحى بهٰذا الحديث ذاك القديمُ
ابن خمسٍ وأربعين ، لقد ما طلتُ ، إلّا أنّ الغريمَ كريمُ [3]

وقوله ، وقد لجأ إلى مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام [طويل] :

تحصّنت من كيد العدوّ وأيده بمُجنِبة من حبّ آل محمّد
ودون يد الجبّار من أن تنالني جواشن أَمنٍ صُغتُها بالتهجّد
ألحّ على مولى كريم ، كأنّما يباكر منّي بالغريم اليلنددِ
أيُسلِمني من بعد أن أنا جاره وقد علِقَتْ إحدى حبائله يدي ؟[4]

وقال [طويل] :

(1) رجل سُناط : لا لحية له .
(2) رسالة الغفران ، 59 .
(3) ياقوت : إرشاد 10 / 82 .
(4) طبقات الداودي 1 / 154 .

أقول لها والعِيسُ تُحْدَجُ للسَّرى   أعِدّي لفَقدِي ما استطعتِ من الصبرِ[1]
سأُنفِقُ ريعانَ الشبيبة آنفاً   على طلب العلياء أو طلب الأجرِ
أليس من الخسران أنّ لياليًا   تمرُّ بلا نفع ، وتُحسبُ من عمري

وقال [طويل] :

أرى الناسَ في الدنيا كراع تنكّرت   مراعيه حتى ليس فيهنّ مرتَعُ
فماءٌ بلا مَرعى ، ومرعى بغير ما   وحيث ترى ماءً ومرعًى فمسْبَعُ

وقال في غلام مليح قد حلق شَعره [خفيف] :

حلقوا شعره ليكسوه قبحاً   غيرةً منهمُ عليه وشُحَّا
كان قبل الحلاق ليلاً وصبحاً   فمحَوا ليله وأبقَوه صُبحا

أنموذج من تزلّفه للخليفة الشيعيّ

وخطب في يوم الأربعاء الثالث من جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بين يديّ الحاكم بأمر الله خطبة قال في آخرها : وإنّي والله لأصدق الناس قولاً حيث أقول فيك يا أمير المؤمنين [خفيف] :

أنت أعطيتني كتاباً إلى رضـ   ـوانَ حتّى أُجزى بخير الجزاء
وسقتني يد[ا]ك من علل الكو   ثر سُقْيَى شفَت غليلَ ظماءِ
أتمنّى لو راسلتك الأعادي   ببليغ يوفي على البلغاء
في فنون الأقوال هزلاً وجدًّا   وآرتجالاً للخطبة الغرّاء
لترى موقعي هناك وسهلٌ   دُونَ شأوي وواصلُ بن عطاء[2]
كيف لي لو قدِ آحتضرت عكاظ   ـيًّا وغبّرتُ أَوْجُهَ البلغاءِ ؟

(1) حدج الناقة : شدّ عليها الحمل .
(2) سهل بن هارون .

وحسب مؤمن أنت بعد الله ، لدينه ودنياه ، ونعم الوكيل .

ومن شعره [طويل] :

فيا دمع قل لي كيف حالك غدوة　　إذا بان جيرانٌ وخفّ قطينُ
وقد وعدونا بالإياب وما درَوْا　　بأنّ النوى مثلَ الحديث شجونُ

ولمّا كان مختفياً بالقاهرة ، والحاكم بأمر الله يطلب دمَه ، بلغه عن صبيّ [394ب] أمرد أنّه آنتهى الحسن إليه في / زمانه ، فآشتَهى أن يراه . وخُبّر أنّه يعوم بالخليج ، فخرج وغرّر بنفسه حتّى نظر إليه وقال فيه [كامل] :

عُلّمتُ منطقَ حاجبَيْهِ　　والبينُ ينشرُ رايَتَيه
وعرفت آثار النّعيـ　　ـم بقُبلة في عارضَيه
ها قد رضيتُ من الحيا　　ةِ بأسرها نظري إلَيهِ
ولقد أراه في الخليـ　　ـجِ ، يشقُّه من جانبَيه
والموجُ مثل السيف وَهْـ　　ـوَ فِرِندُهُ في صفحتَيه
لا تشربوا من مائه　　أبداً ولا تردُوا عليه
قد ذاب منه السحرُ في　　حركاته من وجنَتَيْه
فكأنّه في الموج قلـ　　ـبي بين أشواقي إليه [1]

حكم آبن القارح معلّمه عليه

وقد ذكره أبو الحسن علي بن منصور بن طالب ، المعروف بآبن القارح وبـ « دوخلة » الحلبيّ في رسالته إلى أبي العلاء أحمد بن سليمَان المعرّيّ ، ومنها نقلتُ ، فقال : ثمّ سافرتُ إلى مصر ولقيت أبا الحسن المغربيّ ، فألزمني أن

(1) الأبيات في دمية القصر 1 / 116 .

لزمته[1] لزوم الظلّ ، وكنت منه مكان المثل في كثرة الإنصاف ، والحنوّ والالتحاف[2] . فقال لي سرًّا : أنا أخاف همّة أبي القاسم أن تنزو به إلى أن يوردنا ورداً لا صَدَر عنه . فإن كانت الأنفاسُ ممّا يُحفَظُ ويكتَبُ ، فاكتُبها واحفِظْها وطالِعْني بها .

فقال لي يوماً : ما نرضى بالخمول الذي نحن فيه !

فقلت له : وأيّ خمولٍ هنا ؟ تأخذون من مولانا – خلّد الله ملكَه – في كلّ سنة ستّة آلاف دينار . وأبوك من شيوخ الدولة ، وهو معظّم مكرّم .

فقال : أريد أن يصار إلى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ! ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان .

فأعدت ذلك [على] أبيه فقال : ما أخوفَني أن يخضب أبو القاسم هٰذه من هٰذه – وقبض على لحيتِه وهامته[3] . وعلم بذلك أبو القاسم فصارت بيني وبينه وقفة .

(ثمّ ذكر دوخلة خروجه من مصر إلى أن قال :) ورد عليّ كتاب أبي القاسم فسرت إلى ميّافارقين ، فكان يسرّ حسواً في ارتغاء . قال لي يوماً : لي أيّام ما رأيتُك ؟

قلت : أعَرَضَتْ حاجة ؟

قال : لا . أردتُ أن ألعنك .

---

(1) ألزمني الوالد أبو الحسن أن ألزم الابنَ ، أي صاحب الترجمة . وانظر رسالة الغفران ص 53 من طبعة بنت الشاطىء وقد صدرتها برسالة ابن القارح .

(2) قرأت بنت الشاطىء : التحافّ بالتضعيف من تحاف الرجلان . وشرحتها بمادّة تحف . وفي مخطوطنا : والالتحاف بألفين ولامين ، فأبقيناها على الافتعال من لحف بمعنى شمل وغطّى.

(3) هذا الجواب تضمين لكلمة مشهورة للإمام عليّ بخصوص عبد الرحمان بن ملجم . انظرها في ترجمة ابن ملجم رقم 1440 .

قلت : فالعنّي غائباً .

قال : لا . في وجهك أشفى .

قلت : ولم ؟

قال : لمخالفتك إيّايَ فيمَا تعلم .

وقلت له ، ونحن على أنس بيني وبينه : لي حُرُمَاتٌ ثلاثٌ : البلديّةُ ، وتربية أبيه [لي] ، وتربيتي لإخوته .

قال : هٰذه حرم مهتّكة : البلد[يّـ]ـة نسب بين الجدْران ، وتربية أبي لك مِنّة لنَا عليك ، وتربيتُك لإخوتي بالخلع والدنانير .

[و]أردتُ أن أقول له : استرحتَ من حيث تعب الكرامُ ، فخشيتُ جنونه ، لأنّه كان جنونُه مجنوناً ، وأصحّ منه مجنون ، وأجنّ منه لا يكون ، و[قد] أُنْشِد [طويل] :

جنونك مجنون ، ولستَ بواجدٍ　　طبيباً يداوي مِن جنون جُنونِ

بل جُنَّ جنانه ، ورقص شيطانُه [طويل] :

به جنّة مجنونة ، غير أنّها　　[إذا] حُصّلت ، منه ألبُّ وأَعقَلُ

وقال لي ليلة : أريد أن أجمع أوصاف الشمعةِ السَّبعةَ في بيت واحد ، وليس يسنح لي ما أرضاه .

فقلت : أنا أفعل هٰذا الساعةَ .

قال : أنت جُذَيلها المحكّك وعُذَيْقُها المُرَجّبُ .

فأخذت القلم من دواته وكتبتُ بحضرته [طويل] :

لقد أشبهَتني شمعةٌ في صبابَتي　　وفي هول ما ألقى وما أتوقَّعُ

نحولٌ ، وحَرَقٌ في فناءٍ ووحدةٍ　　وتسهيد عين واَصْفِرارٌ وأدمعُ

فقال : كنتَ قد عمِلتَ هٰذا قبل هٰذا الوقت !

قلت : تمنعُني سرعةَ الخاطرِ وتُعطيني علمَ الغيب ؟

وقلت / : أنت ذاكر قول أبيك لي ولك وللبتّيّ الشاعر والمحسن [395 أ] الدمشقيّ ، ونحن في الطارمة[1] : آعملوا قطعة قطعةً فمَن جوّدَ جعلتُ جائزتَه كَتْبَها فيها – فقلتُ [كامل] :

بلغ السماءَ سمُوُّ بَيْـ ـتٍ شيدَ في أعلى مكان
بيتٌ علا حتّى تغوّ رَ في ذُراه الفرقدان
فآنعم به ، لا زلت مِن رَيبِ الحوادثِ في أمانِ

فآستجاد سرعتها وخلع عليَّ وكتَبَها في الطارمة .

[قال] وكان أبو القاسم مَلولاً ، والمَلول ربّمَا مَلَّ الملالي[2] ، وكان لا يَمَلُّ أن يملَّ ، ويحقد حِقدَ مَن لا تلين كبدُه ، ولا تنحَلُّ عُقَدُه . وقال لي بعض الرؤساء معاتباً : أنت حقود ، ولم يكن حقوداً .

فقلت له : أنت لا تعرفه . والله ما كان يُحْنَى عُودُه ولا يُرجى عَودُه . وله رأيٌ يزيّن له العقوقَ ، ويُمقّت إليه رعايةَ الحقوق ، بعيد من الطبع الذي هو للصدّ صَدود ، وللتأليف أَلوفٌ وَدود ، كأنّه من كبْرِه قد ركب الفُلُك ، وآستوى على ذات الحُبُك[3] . ولستُ مِمَّن يرغب في راغبٍ عن وصلته ، أو ينزع إلى نازع عن خُلّتِه ، ويؤثّل حالاً عند مَن يحبُّ ثِلّتَه[4] ، أو يقبل بوجهه على مَن لا

---

(1) الطارمة : البهو أو الأريكة أو الخزانة الواسعة (دوزي) . وفي خصوص البتّي والمحسن الدمشقيّ انظر ما قالته بنت الشاطىء ص 56 . وفي مخطوطنا : آلبيتيّ .

(2) الملالي : لعلّها جمع المُلّى ، وهي الخبز الناضج الطيّب

(3) الفلك بضمّتين جمع الفَلَكة وهي ما آرتفع من تلول الأرض . والحبك إشارة إلى الآية ﴿ والسماءِ ذَاتِ الحُبُكِ ﴾ (الذاريات ، 7)

(4) الثلّة بالكسر : الهلكة والتأثيل التثبيت والإقرار . وقد سقطت هاتان الجملتان من طبعة بنت الشاطىء .

يجعله قِبلته . فلمّا رأيتُه سادراً جارياً في قلّة إنصافي على غلوائه ، محوتُ ذكرَه عن صفحة فؤادي ، وٱعتددتُ ودّه فيمَا سال به الوادي [طويل] :

فني الناس إن رثّت حبالك واصِلٌ   وفي الأرض عن دار القلى متحَوَّلُ

وأنشدت الرجلَ أبياتاً أعتذر بِها في قطعي له [طويل] :

فلو كان منه الخيرُ إذ كان شرّه   عتيداً ، لقلنا : إنَّ خيراً مع الشرِّ
ولو كان ، إذ لا خيرَ ، لا شرَّ عنده   صبَرنا ، وقلنا : لا يريش ولا يبري
ولكنّه شرٌّ ولا خيْرَ عنده   وليس على شرٍّ إذا دام مِن صبرِ

وبغضي له - شهد الله - حيًّا وميتاً ، أوجَبَه أخذُه محاريب الكعبة الذهبَ والفضّة ، وضربُها دنانير ودراهم - وسمّاها الكعبيّة - وأنهب العربَ الرملةَ وخرّب بغداد . وكم دمٍ سفك ، وحريم انتهك ، وحرّة أرمل ، وصبيّ أيتم !

قال كاتبه وجامعه [1] : قد صرّح - عفا الله عنه - أنّه عدوّ غضبان ، وقلّ أن تكون مع هٰذين سلامة من عدوان . فلا تلتفت إلى تحامُله في كلامه ، وتعدّيه في عتبه وملامه ، لا سيّمَا وهو مرميّ بالكذب والمين .

1247 - ابن دوّاس الكتاميّ [- 411] [2]

حسين بن عليّ بن دوّاس ، الكتاميّ ، يلقّب سيف الدين .

كان أحد شيوخ كتامة . فتنكَّر له الحاكم بأمر الله أبو عليّ منصور ابن العزيز ، وتحرَّز منه ٱبن دوّاس وامتنع من دخول القصر أو لقاءِ الحاكم إلّا في الموكب وعلى ظهر الطريق . فإذا استدعاه تأخَّر عنه واعتذر إذا لقيه . فلمّا طال

---

(1) أي المقريزيّ . وتدخّله في المقفّى نادرٌ .

(2) النجوم 4/ 186 - ٱتّعاظ 2/ 115 - الخطط 4/ 74 .

ذلك أنكر عليه الحاكم تأخُّره فقال له : قد خدمتُك يا مولايَ وخدمتُ آباءَك ، ولي عليكم حقوق كبيرة مثلها ما رُعِي و[لا] روعِيَ ، وقد قام في نفسي أنّك تريد قتلِي ، فأنا مجتهد في دفعك بغاية ما يمكنني ، وما بك حاجة إلى حضوري قصرك . فإن كان باطن رأيك مثل ظاهره فدعني على جملتي فإنّه لا ضَرَرَ عليك من تأخُّري . وإن كنت تريدُ بي سُوءاً فَلأَن تقتلَني في داري ، وأنا بين أهلي وأولادي ، أولى من أن تقتلني في قصرك وتطرحني للكلاب تأكل لحمي .

فضحك الحاكم وأمسك عنه . واتّفق أنَّ الحاكم توحّش ما بينه وبين أخته السِّيِّدة العزيزة سيّدة الملك[1] . فراسلَته حتّى اجتمعت به واتّفقا على قتل الحاكم ، وإقامة ابنه في الخلافة موضعَه ، وأن يكون ابن / دوّاس صاحب [395ب] الجيش وشيخ الدولة القائم بها . ووقّعت له بولاية السيارتين[2] وهي حماية مصر ، وبخمسين ألف دينار إقطاعاً ، وعشرة آلاف دينار صلة ، وعشرة أفراس بمراكب ذهب ، ومائة قطعة ثياباً فاخرة ، وسيف محلّى بذهب مرصَّع بجوهر .

(1) السيّدة العزيزة : مرّ في ترجمة جعفر الكلبي الصقلّي رقم 1081 هذا اللقب ، ولكن بياء النسبة : السيّدة العزيزيّة ، وقلنا ، نقلا عن ابن ميسّر (ماسي) ، 49 : هي أخت كاتب العزيز ، زوّجها من بكتكين التركيّ والي دمشق فحملت منه ومات عليها بعد خمسة أشهر . وماتت في خلافة العزيز سنة 385 .

وخبرها لا يخلو من اضطراب : فإن كانت حظيّة العزيز وجاريتَه كما يقول المقريزيّ هناك ، فكيف يزفّها إلى هذا الوالي ، خصوصاً إذا كانت أمّ أولاده ، أيّ أمّ الحاكم وأمّ أخته ؟

فلذلك ، اعتماداً على خلوّ اللقب هنا من ياء النسبة ، نقول : إنّ السيّدة العزيزة قد يكون أحد لقبَي بنت العزيز أخت الحاكم ، واللقب الآخر هو ستّ الملك أو سيّدة الملك كما يقول بعد قليل وكما قال في الاتّعاظ 1 / 292 وزاد : ولدت بالمغرب في ذي القعدة سنة 359 . فهذه التي تتواطأُ مع ابن دوّاس على قتل الخليفة المجنون هي أخته .
وفي الاتّعاظ 2 / 115 سمّاها : ستّ الكلّ سلطانة .

(2) السيارتان : قال أيمن فؤاد السيّد في تحقيقه للقانون في ديوان الرسائل لابن الصيرفيّ ، بيروت ، 1990 ، ص 35 هـ . 3 إنّهما تعنيان حماية الصعيد وحماية أسفل الأرض ، ويسمّى صاحبُهُمَا متولّي الحرب .

وأحضرها عبدين فندبَتهُما لقتل الحاكم فقتلاه كما قد ذكر في ترجمتها[1] ، وأحضراه إليه فحمله إلى سيِّدة الملك فكتمت أمره . وبعثت إلى ابن دوّاس ثياباً كثيرة وبدرتين عيناً ، وقادت إليه خمسة أفراس بمراكب الذهب . ثمَّ استدعَته بعد فقد الحاكم بخمسة أيّام ، وأمرته أن يركب في اليوم السابع من فقده ومعه كتامة إلى باب القصر . فركب في اليوم السابع ووقف بكتامة حتَّى تعالى النهار . فاستدعَته إلى مجلسها وقد أخرجت أبا الحسن علي بن الحاكم وقالت له : المعوّل في القيام بهٰذه الدولة عليك ، وتدبيرُها موكول إليك . وهٰذا الصبيّ ولدُهُ ، وينبغي أن تنتهي في الخدمة إلى غاية وسعك وتبذل فيها كلَّ ما عندك .

فقبَّل الأرض وشكر ودعا ووعد بالإخلاص في الطاعة ، وبلوغ ما في القدرة والاستطاعة . وخرج بالصبيّ إلى الناس وقد لقّب « الظاهر لإعزاز دين الله » . فكان أوَّل من قبّل له الأرض ابن دوّاس ، ومرَّغ خدَّيه على الأرض بين يديه . وفعل الناس كذلك بعدَه .

فزادت السيِّدة ابن دوّاس في منزلته وجعلت مصادر التدبير على يده . فلمّا أحكمت ما أحكمَته وأكَّدَتْ ما أكّدتْه ، أحضرتْه وقالت له : قد علمتَ ما بيني وبينك من المواثيق والعهود . وأنا امرأة ، وإنَّما أريد الملك لهٰذا الصبيّ ، وقد وفَّقَ الله وأحسنَ المعونة ، وأنت زعيمُ الدولة والمقدّم فيها . وقد رأيتُ أن أنجز وعدَك وأردّ إليك أمر السيارتين مضافاً إلى الشرطتين[2] ، وأجعلَ رأيَك في الأموال والخزائن نافذاً ، ورأيَك في التدبيرات معتمَداً .

فقبَّل الأرض . وشاع هٰذا الحديث ، وركب الناس إليه ، وكُتب له العهد بولاية السيارتَين في ثوب مصمّت ، وعلّم عليه الظاهر . وجمع الناس لحضور الخلع وسمَّاه « العهد » . وأحضر ابن دوّاس وبنو عمّه إلى القصر ، فخرج

(1) ترجمة أخت الحاكم مفقودة ، ونحن بعد لا نعرف اسمها .
واختفاء الحاكم كان لليلتين بقيتا من شوال سنة 411 (الاتعاظ ، 2/ 115) .

(2) طتان العليا والسفلى : شرطتا القاهرة ومدينة مصر .

معضاد الخادم وأجلسه في صفّةٍ على باب الستر ، ووجوه الدولة بين يديه . فلمّا تعالى النهار خرج نسيم الصقلبيّ صاحب الستر والسيف ، ومعه مائة رجل من السعيديَّة أصحاب الركاب ، وقال لابن دوّاس : مولانا يسلّم عليك ويقول : قد جعل هؤلاء القوم أصحاب السيوف برسمك .

فقبّل الأرض ووقف القوم قياماً بين يديه . وعاد نسيم فقالت له السيِّدة : اُخرج وقِفْ بين يدَي ابن دوّاس وقل : يا عبيدَ مولانا ، مولانا يقول لكم : هٰذا قاتلُ مولانا الحاكم[1] ، واعلُه بالسيف ، ومُر السعيديّة بأن يقتلوه !

فخرج نسيم في عدَّة من الصقالبة وفعل ما أمرتْه به وأخذ رأس ابن دوّاس ودخل به إلى السيِّدة فوضَعته بين يديها وأمرَت بإخراج جُثَّتِه فرمِيت على باب القصر . ولم يعترض فيه معترض ، وتفرَّق الناس[2] .

1248 – النجم الأسوانيّ [646 – 739][3]

الحسين بن علي بن سيّد الأهل بن أبي الحسن بن قاسم بن عمّار ، الأسديّ ، نجم الدين ، الأسوانيّ ، الأصفونيّ ، المعروف بابن أبي شيخة ، الفقيه الشافعيّ .

سمع من أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طرخان ، ومحمد بن إبراهيم ابن عبد الواحد المقدسي ، وأبي عبد الله محمد بن عبد القويّ ، وأبي الحسين علي ابن أحمد الغرّافيّ ، والحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطيّ .

---

(1) في النجوم 4/ 190 : خرج الحاكم إلى المقطّم ليلة 27 شوّال 411 ولم يُعرف مصيره .
(2) هٰذه الرواية في قتل الحاكم ثمّ قتل ابن دوّاس تقصِد إلى بيان دهاء ستّ الملك .
(3) شذرات 6/ 120 طبقات ابن قاضي شهبة ، 2/ 339 (539) ، السبكيّ ، 9/ 409 (1350) وهو عنده ابن سيّد الأهل . وهو فيهما ابن سيّد الكلّ ، ومولده سنة 646 .

وحدّث بالقاهرة ، وأخذ الفقه عن أبي الفضل جعفر التزمنتي وغيره . وبرع في الفقه ودرس بالملكيّة[1] وأشغل الطلبة في غالب العلوم ، وأفتى . وله تجرّد وسياحة.

وكان قويّ النفس حَادّ الخلق مقداماً في الكلام . وبيته معروف أهله بالعلم والصلاح .

توفّي في صفر سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

وله أخبار، منها أنّه كان من جملة فقهاء المدرسة الشريفيّة[2] فحضر درس [396 أ] قاضي القضاة ابن بنت الأعزّ فأنشد المقول[3] قصيداً في / مدح رسول الله ﷺ . فصرخ هو وحصلت له حالة . فأنكر القاضي وقال : إيش هٰذا ؟

فقام منزعجاً وقال : هٰذا شيءٌ ما تذوقه أنت — وترك الفقاهة . وكان يُقرىءُ في كلّ شيءٍ من أيّ كتابٍ كان ، وانتفع به جماعة .

ورأيت بخطّ قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهّاب ٱبن السبكيّ : وحكى لي من أثق به قال : سمعته يقول ، وهو ثقة : أوّل صحبتي لأبي العبّاس الشاطر[4] خرجت معه من القاهرة إلى ناحية دمنهور . فلمّا طلعنا [من] المركب ، وكان فيها تاجر له في المركب فراش ونطع ، فطلعنا بحوائج الشيخ أبي العبّاس . فلمّا ٱنتهيتُ قال : انزل هات الفراش والنطع . — فنزلت ، فقال لي صاحبُها : هما لي .

فعدت إليه فقال : عُد إليه وقل له : هاتهما !

فعدت فأعاد الجواب ، فأعادني ثالثاً فأبى . فقال لي رابعاً : عد إليه وقل

---

(1) مدرسة الحاج أل ملك الجوكندار برحبة قصر الشوك — الخطط ، 4/ 237 .

(2) المدرسة الشريفيّة بحيّ الجوذريّة أنشأها الشريف أبو نصر الجعفريّ سنة 612 — الخطط ، 4/ 208 .

(3) كلمة عسيرة الفهم . وعند السبكيّ : بعض الناس .

(4) أبو العبّاس الشاطر . قال في جامع كرامات الأولياء 1 / 278 : الصوفيّ الكبير الوليّ الشهير ، أخذ عن المرسيّ . وعنه النجم ، ونقل حكاية المركب . وفي طبقات الأولياء ، 490 (172) : مات قبل 690 ، وٱسمه شبيب .

له : غرق الساعة في البحر [لك] مركب ، وكلّ ما لك فيها لم يسلم إلّا عبدٌ ومعه ثمانية عشرَ ديناراً .

وكان الأمرُ كذلك .

1249 – الصفيّ ابن أبي المنصور [595 – 682][1]

حسين بن علي بن ظافر ، الشيخ صفيّ الدين ، أبو عبد الله ، ابن الوزير جمال الدين أبي الحسين ، ابن جمال الدين أبي المنصور ، الأزديّ ، الأنصاريّ ، الخزرجيّ ، الحرّانيّ ، المالكيّ ، المعروف بأبن أبي المنصور .

ولد في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة بحرّان . وقدم دمشق وعمره خمس عشرة سنة بعد وزارة أبيه بحرّان للأشرف موسى ، وصحب بها الشيخ المُوَلّه علي الكرديّ ، وأبا القاسم [...] الصقلّيّ ، ونجم الدين [...] ابن اللهيب .

وقدم مصر ، وصحب أبا العبّاس أحمد بن أبي بكر التجيبيّ الحرّار[2] في مدّة غيبة أبيه الوزير جمال الدين في رسالته عن الملك العادل الكبير إلى أبي عزيز بمكّة ، وتجرّد وغيّر هيأته وترك لبس الثياب الجميلة وركوب البغلة الرائقة ، وهجر أهله ، ولزم الشيخ ، إلى أن قدم أبوه وخرج الناس إلى لقائه . [فـ]أشار إليه الشيخ أبو العبّاس أن يخرج إلى لقائه ، فقال له : يا سيّدي ، ما بقي لي والد غيرَك ، وأنا ما أركب لهم شيئاً من دوابّهم ولا آكل معهم .

فقال : تخرج على كلّ حال .

[فخرج] على [...][3] تحته خرج أعطاه إيّاه أبو العبّاس ، فيه خبز وجبن

(1) طبقات الأولياء ، 540 (193) . الكواكب السيّارة ، 182 – الخطط 4 / 295 .
(2) أبو العبّاس الحرّار له ترجمة في المقفّى : رقم 640 (ت 616) .
(3) كلمة غير مقروءة .

وخيار ، وسطل ، وأهله يبْكون على حاله ، وكان لأبيه بغال على الربيع أخرجوها له مجنوبة[1] .

(قال) فلمّا وصلنا إلى بركة الحجّاج ، قعدت وحدي تحت السماء ، وكان الصيف الشديد ، إلى أن جاء ، فلقيته وحدي فلم يعرفني ، هو ولا مَن حوله . وكان حوله عسكر وأجناد ومماليك وخدّام ، إلى أن رآني [فـ]ـقال : حسين ؟

قلت : حسين .

ثمّ وقف وٱصفرّ وجهُه وبهت . ثمّ مشى ؛ وبقوا متعجّبين . وإذا بأهلي وإخوتي ، وكلّ من خرج وصلوا وٱجتمعوا وأنا بناحية وحدي . فلمّا نزل البركة قدّمت التقادم وجمع على سماطه كلَّ من جاء ، إلّا أنا لم أحضر ، وبقيت في جهة أبكي بكاءَ أسير قد أُخِذ من أهله وحيل بينه وبين مَن يحبّه ، فما بكيت عمري ألذَّ من ذلك البكاء .

ثمّ إنّ أباه هدّده بالقيد والحبس إن لم يَعُد لما كان عليه . فأخبر أبا العبّاس بذلك ، فقال : رح لأبيك ولا ترجع إليّ .

فبكى زماناً ومضى إلى دار أبيه وحبس نفسَه في خزانة ، وآلى لا يأكل ولا يشرب ولا يخرج ولا ينام ، أو يعود إلى الشيخ أبي العبّاس . فمكث كذلك ثلاثاً ، وقد بلغ أباه خبرُه ، فأجاز له أن يعود إلى الشيخ ، فلم يفعل حتى خرج به ماشياً إلى مسجد الشيخ ، وقبّل يده وقال له : يا سيّدي ، هٰذا ولدُك ، تصرَّفْ فيه كيف شئتَ ، وأودُّ لو كنتُ مكانه .

فقال له : أرجو أن ينفعك الله به .

فأقام عند الشيخ شهراً ، يحمل على كتفه كلَّ يوم جرّتَين ماء من بولاق إلى زاوية الشيخ حافياً . وإذا سمع أبوه بذلك يقول : ببركة الله تعالى .

---

(1) هذه الفقرة مضطربة ولم نتوصّل إلى تقو يمها .

فلمّا مات أبوه ، زوّجه أبو العبّاس بآبنته ، وكانت من الأولياء ، لها مكاشفات . فولدت له أولاداً وماتت ، وهو يقول : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ (الفجر ، 27) . ثمّ مات بعدها أبوها . وأقام الصفيُّ خليفتَه من بعده .

وقال له مرّة : أنت وارثي ، وكلّ ما نلتُه من الله ، لا بدّ لك أن تبلُغَه . وكان ولده طفلاً صغيراً يمشي بين يديه . فقال / لآبن أبي المنصور : كما أنّ هٰذا [396ب] ولدي في الظاهر ، أنت ولدي في الباطن .

وقال : أشهدت عالم النسب ، وكان ظهوره لي صوراً لطيفة نورانيّة ظهرت لي دفعة واحدة مثل ظهور الشرار إذا خرج من الكور بنفخ النافخ . فكانت كلّ صورة نورانيّتُها في ظهورها ، كمثل الشرارة الناريّة في ظهورها ، فحننتُ إلى واحدة منها وحنّت إليّ ، وهو الصفيّ .

وتوفّي الصفيّ بالقرافة في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة سنة آثنتين وثمانين وستّمائة ، ودُفن برباطه .

وكانت له جماعات يعتقدون بركتَه ويذكرون له كرامات . وكان يشارك في الفقه . وله كتاب « الرسالة » يتضمّن ذكرَ جماعةٍ ممّن أدركهم من أهل طريق الله ، وفيه فوائد كثيرة ، وكتاب « المفاوضات العرفانيّة مع الصورة المسمّاة بالشيطانيّة » ، وكتاب « العطايا الوهبيّة في المواهب القطبيّة » .

1250 – الحسين بن علي السبط [4 – 61] [1]

الحسين بن علي بن أبي طالب – وآسم أبي طالب عبد مناف ، وقيل :

(1) تاريخ الطبريّ ج 5 ، العقد الفريد 4 / 376 ، مروج الذهب 3 / 248 ، أنساب الأشراف 3/ 142 ، الأغاني 16 / 88 ، تاريخ بغداد 1 / 141 ، تاريخ دمشق (آختصار ابن منظور) 7/ 120 وما يليها ، ابن كثير : البداية والنهاية 8 / 205 ، تهذيب

اسمه كتينة ! – بن عبد المطّلب – ويقال له : شيبة الحمد – بن هاشم – واسمه عمرو – بن عبد مناف – واسمه المغيرة – بن قصيّ – واسمه زيد – بن كلاب ابن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، أبو عبد الله ، ابن أبي الحسن ابن أبي طالب ، الهاشميّ ، القرشيّ ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا ، [هو] وأخو[ه] السيّد الحسن سيّدا شباب أهل الجنّة .

ولادته

أمّه أمّ أبيها فاطمة سيّدة نساء العالمين ، ابنة سيّد المرسلين محمد ﷺ . علقت به لخمس ليال خلون من ذي القعدة سنة ثلاث من الهجرة ، فكان بين ذلك وبين ولادة الحسن خمسون ليلة . وولد الحسين لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة بالمدينة النبويّة . وقال الواقديّ : ولد سنة ثلاث . وعن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال : لم يكن بين الحسن والحسين إلّا طُهر واحدٌ .

وعن قتادة : ولد الحسين بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر لخمس سنين وستّة أشهر من التأريخ . وعقّ عنه رسول الله ﷺ كما عقّ عن أخيه يوم سابعه بكبش ، وحلق رأسه ، وأمر أن يتصدّق بزنة [شعره][1] فضّة .

وخرّج قاسم بن أصبغ من حديث هانىء بن هانىء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : لمّا ولد الحسن ، جاء رسول الله ﷺ فقال : أروني

التهذيب 2/ 345 (615) ، أسد الغابة 2/ 18 (1173) . الإصابة رقم 1724 ، دائرة المعارف الإسلاميّة ، 3/ 628 .

هٰذا ويوجد قسم من الترجمة (حديث ريّا الحاضنة) في مخطوط ليدن ، بين المحمّدين .

(1) زيادة من أسد الغابة ، 2/ 10 (ترجمة الحسن) .

آبني ! ما سَمَّيْتُمُوه ؟

قلت : سمّيتُه حرباً .

قال : بل هو حسن .

فلمّا ولد الحسين ، قال : أروني آبني ، ما سمّيتموه ؟

قلت : حربا .

قال : بل هو حسين .

وعن علي رضي الله عنه ، قال : كان الحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس . والحسين أشبه الناس بالنبيّ ﷺ ما كان أسفل من ذاك .[1]

/ ونشأ [الحسين] بالمدينة . ومات رسول الله ﷺ وله من العمر ستّ سنين [397ب] وسَبعة أشهر وأيّام . وكان فاضلاً ديّناً كثير الصوم والصلاة والحجّ . قال مصعب الزبيريّ : حجّ الحسين خمساً وعشرين حجّة ماشياً ، وجنائبُه تُقاد . وشهد مع أبيه علي بن أبي طالب صفّين ، وكان أميراً على القلب يومئذ ، وهم هَمْدان وغزا القسطنطينيّة في الجيش الذي كان يزيد بن معاوية أميرَه

وكان أسود الرأس واللحية ، إلّا شعرات في مقدّم لحيته . وكانت فيه غنّة وكان إذا قرأ القرآن تسيلُ الدموع على خدّه .

محبّة الرسول ﷺ له

وذكر أسد عن حاتم بن إسماعيل عن معاوية بن أبي مزرّد عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : أبصرت عيناي ، وسمعت أذنايَ ، رسولَ الله ﷺ وهو

---

(1) يدخل هنا حديث ريّا الحاضنة منقولا عن تاريخ دمشق ، وهو مقحـــم في الترجمة ، ويتواصل من ص 397 ب إلى 398 ب ، وهٰذا التقطّع وقع أيضًا في أسد الغابة .

آخذٌ بكفَّي حسين وقدماه على قدم رسول الله ﷺ وهو يقول : تَرَقَّ عين بقّهْ !
(قال) وقال الغلام حتى وضع قدمَيه على صدر رسول الله ﷺ . ثمّ قال رسول الله ﷺ : أفتح فاك ! – ثمّ قبّله ثمّ قال : اللهمّ أحِبَّه فإنّي أُحِبُّه .

وخرّج الحاكم في المستدرك من حديث سعيد بن أبي راشد عن يعلى [بن مرّة] العامريّ أنّه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دُعُوا له ، فٱستقبل[1] رسول الله ﷺ أمام القوم ، وحسين مع غلمان يلعب . فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه ، فطفق الصبيّ يفرّ هٰهنا مرّة وهٰهنا مرّة ، فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتّى أخذَه . (قال) فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه يقبّله ، وقال : حسين منّي ، وأنا من حسين . أحبَّ اللهُ مَن أحبَّ حسيناً . حسين سبطٌ من الأسباط .

قال الحاكم أبو عبد الله : هٰذا حديثٌ صحيح الإسناد .

وخرّج من حديث سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال : أوحى الله إلى محمد ﷺ : إنّي قتلتُ بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، وإنّي قاتل بٱبن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً . (قال) هٰذا حديث صحيح الإسناد .

وخرّج من حديث الأوزاعيّ عن أبي عمّار شدّاد بن عبد الله عن أمّ الفضل بنت الحارث أنّها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إنّي رأيت حلماً منكراً الليلة .

قال : وما هو ؟

قالت : رأيتُ كأنَّ قطعةً من جسدك قُطعت ووضعَت في حجري .

فقال رسول الله ﷺ : رأيتِ خيراً : تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك .

---

(1) هنا أيضاً قراءة تقريبيّة .

التنبُّؤ بمقتله

فولدت فاطمة الحسين ، وَكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ . فدخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ فوضعتُه في حجره . ثمّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموع . فقلت : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأمّي ، ما لك ؟

قال : أتاني جبريل عليه السلام ، فأخبرني أنَّ أُمّتي ستقتل آبني هٰذا .

فقلت : هٰذا ؟

قال : نعم . وأتاني بتربة من تربته حمراء .

قال الحاكم : هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وعن آبن عبّاس : ما كنّا نشكّ ، وأهل البيت متوافرون ، أنّ الحسين بن علي يقتل بالطفّ .

وعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال : رأيت رسول الله ﷺ أذّنَ في أذن الحسين حين ولدته فاطمة عليها السلام . (قال الحاكم :) هٰذا حديث صحيح الإسناد .

وصحّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال : الحسنَ والحُسَين سيّدَا شباب أهل الجنّة .

وقال عبد الرحمان بن أبي نعيم : سمعتُ ابن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : هما ريحانتاي من الدنيا والآخرة .

وقال محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد [الليثيّ] عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وهو حامل حسناً وحَسيناً . فتقدّم في إحدى صلاتي العشاء فوضعه . ثمّ كبّر للصلاة فصلّى فسجد / بين [398 أ]

ظهري صلاته سجدة أطالها . (قال أبي) فرفعت رأسي ، فإذا الصبيّ على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد . فوقعت في سجودي . فلمّا قضى رسول الله ﷺ صلاته قال الناس : يا رسول الله ، إنّك سجدتَ بين ظهري الصلاة سجدة أطلتَها حتّى ظننّا أنّه قد حدث أمر أو أنّه يوحى إليك ؟

قال : كلّ ذلك لم يكن ، ولكنّ ٱبني ٱرتحلني فكرهت أن أعجله حتّى يقضي حاجته .

أخرجه النسائيّ ، وإسناده قويّ .

وقال حسين بن واقد عن أبي بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يخطبنا ، فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران . فنزل من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه . ثمّ قال : صدق الله ورسوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (التغابن ، 15) . نظرت إلى هٰذين [الصبيّين] يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتُهُما .

أخرجه أبو داود والترمذي والنسائيّ .

وقال أبو داود الطيالسيّ : حدّثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبي فاختة عن عليّ أنّ رسول الله ﷺ قال لأبنته : إنّي وإيّاك وهٰذين وهٰذا – يعني ولدَيها وعليًّا – يوم القيامة في مكان واحد .

وروى الزبير بن بكّار عن زينب بنت أبي رافع [عن أبيها] قال : أتت فاطمة بنت النبيّ ﷺ بٱبنيها إلى رسول الله ﷺ في شكوه الذي توفّاه الله فيه ، فقالت : يا رسول الله ، هٰذان ٱبناك ، فورّثهما شيئاً .

قال : أمّا حسن ، فإنَّ له هيبتي وسؤددي . وأمّا حسين فإنّ له جرأتي وَجودي .

مكانتُه بالمدينة

وقال حمّاد بن زيد : حدّثنا يحيى بن سعيد عن عبيد بن حسين [قال] : حدّثني الحسين بن عليّ قال : أتيتُ عمرَ بن الخطّاب وهو على منبر ، فصعدت إليه فقلت : انزل عن منبر أبي ، وآذهب إلى منبر أبيك .

فقال عمر : لم يكن لأبي منبر – وأخذني وأجلسني معه . فجعلت أقلّب الحصى بيدي . فلمّا نزل انطلق بي إلى منزله ، فقال لي : مَن علّمك ؟

قلت : والله ما علّمنيه أحد .

فقال : يا بنيّ ، لو جعلت تغشانا ؟

(قال :) فأتيتُه يوماً وهو خالٍ بمعاوية ، وابن عمر بالباب . فرجع ابن عمر وَرجعت معه . فلقيني بعد ذلك فقال : لم أرك ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ، جئت ، وأنت خالٍ بمعاوية ، وابن عمر بالباب ، فرجع ابن عمر فرجعتُ معه .

فقال : أنت أحقّ بالإذن من آبن عمر ، وإنّما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثمّ أنتم .

رواه أبو الربيع الزهرانيّ ، وجماعة عنه ، وهو صحيح .

وقال جعفر بن محمد الصادق عن أبيه إنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، جعل عطاء حسن وحسين مثل أبيهما .

وقال جويرية بن أسماء عن مَشَافع [بن شيبة] : حجّ معاوية بن أبي سفيان ، فلمّا كان عند الردم ، أخذ حسين بخطامه فأناخ به ، ثمّ سارّه طويلاً وانصرف . فقال [عمرو] بن عثمان لمعاوية : ينيخ بك حسين وتكفّ عنه ؟

فقال : دعني من قولك . فوالله ما فارقني حتّى خفتُ أن يقتلني ، ولو

قتلني ، ما أفلحتم ، وإنّ لكم من بني هاشم يوماً .

وعن أبي إدريس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنّه قال : ألا أحدّثكم عن خاصّة نفسي وأهل بيتي ؟

قلنا : بلى .

قال : أمّا حسن ، فصاحب جفنة وخوان ، فتًى من فتيان قريش ، ولو ٱلتقت حلقتا البطان لم يغنِ عنكم في الحرب . وأمّا عبد الله بن جعفر فصاحب لهو وباطل . ولا يغرّنّكم ابنا عبّاس .

وأمّا أنا وحسين ، فإنّا منكم وأنتم منّا .

وكان الحسن يقول للحسين : وددت لو أنّ لي بعضَ شدّة قلبك .

فيقول الحسين : وأنا ، وددتُ لو أنَّ لي بعض بسطة لسانك .

وبينا عمرو بن العاص جالس في ظلّ الكعبة إذ رأى الحسين ، فقال : هٰذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم .

وقد روى الحسين عن جدّه رسول الله ﷺ . وروى عن أبيه علي بن أبي طالب ، وأمّه فاطمة الزهراء ، وعن عمر بن الخطّاب وهند بن أبي هالة .

وروى عنه علي زين العابدين ، وٱبنتاه سكينة وفاطمة ، وعكرمة ، وأبو هريرة ، وزيد بن الحسن بن عليّ ، وكرز التيميّ ، والفرزدق ، وجماعة .

ٱمتناعه من مبايعة يزيد

ولمّا بايع الناس يزيد بن معاوية في حياة معاوية ، كان الحسين ممّن لم يبايع له . وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين يدعُونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية ، فيتأبّى . وكتب مروان بن الحكم إلى معاوية : إنّي لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة ، وأظنّ / يومكم من حسين طويلاً . [398ب]

فكتب معاوية إلى الحسين : إنَّ من أطاع الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء . وقد أنبئتُ أنّ قوماً من أهل الكوفة دعوك إلى الشقاق . وأهل العراق مَن قد خبرت : قد أفسدوا على أبيك وأخيك . فاتّقِ الله وأذكر الميثاق ، فإنّه متى تكِدْني أكِدْك .

فكتب إليه الحسين : أتاني كتابك ، وأنا بغير الذي بلغك عنّي جدير ، والحسنات لا يهدي لها إلّا الله . وما أردتُ لك محاربة ولا عليك خلافاً . وما أظنّ [لي] عند الله عذراً في ترك جهادك . وما أعلم فتنةً أعظمَ من ولايتِك أمرَ [هٰذه] الأمّة .

فقال معاوية : إن أثَرْنا بأبي عبد الله إلّا أسَداً .

وكتب معاوية إليه أيضاً : إنّي لأظنّ أنّ في رأسك نزوة ، فوددت أنّي أدركُها فأغفر لك .

ولمّا أحْتُضِر معاوية دعا أبنه يزيد فأوصاه وقال له : انظر حسين بن عليّ ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، فإنّه أحبّ الناس إلى الناس . فصِل رحمَه وأرفق به يصلح لك أمره . فإن يكُ منه شيء فإنّي أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه .

وتوفّي معاوية ليلةَ النصف من رجب سنة ستّين ، وبايع الناس ليزيد بن معاوية . فكتب [يزيد] مع عبد الله بن عمرو بن أويس بن سعد بن أبي سرح إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة أن أدعُ الناس فبايعهم فأبدأ بوجوه قريش ، وليكن أوّل من تبدأ به الحسين بن عليّ . فإنّ أمير المؤمنين رحمه الله عهد إليّ في أمره الرفق به وأستصلاحه .

فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير فأخبرَهُما بوفاة معاوية ودعاهما إلى البيعة ليزيد . فقالا : نصبح وننظر ما يصنع الناس .

ووثب الحسين فخرج ، وخرج معه ابن الزبير وهو يقول : هو يزيد الذي نعرف . والله ما حدث له حزم ولا مروءة .

وقد كان الوليد أغلظ للحسين ، فشتمه الحسين وأخذ بعمامته فنزعها عن رأسه ، فقال الوليد : إن هجنا بأبي عبد الله إلّا أسداً !

فقال له مروان : ٱقتُلْه !

قال : إنّ ذاك لدمٌ مضنون في بني عبد مناف .

تحذير الصحابة له والتابعين من الشّقاق

وخرج الحسين وعبد الله بن الزبير من ليلتهما إلى مكّة . فأخبر عبد الله بن عمر بن الخطّاب أنّ الحسين قد توجّه إلى العراق . فلحقه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة ، فقال : أين تريد ؟

قال : العراق .

فقال : لا تأتهم !

فقال : هٰذه كتبهم وبيعتهم .

فقال : إنّ الله عزّ وجلّ خيّر نبيّه بين الدنيا وبين الآخرة ، فٱختار الآخرة ولم يرد الدنيا . وإنّك بضعة من رسول الله ﷺ . والله لا يليها أحد منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلّا للّذي هو خير لكم ، فٱرجعوا !

فأبى وقال : هٰذه كتبهم وبيعتُهم .

فٱعتنقه ٱبن عمر وقال : أستودعُك الله من قتيل .

وسار[ا] إلى مكّة ، فقدماها ، فنزل الحسين دار العبّاس بن عبد المطّلب ولزم ابن الزبير الحجر ولبس المغافر [1] وجعل يحرّض الناس على بني أميّة ، ويشير على

---

(1) في المخطوط : المغافري .

الحسين أن يقدم العراق . وكان عبد الله بن عبّاس ينهاه عن ذلك ، وكذلك عبد الله بن مطيع ، وعبد الله بن عمر بن الخطّاب ، وأبو سعيد الخدريّ ، وأبو واقد الليثيّ ، وجابر بن عبد الله . وكره سعيد بن المسيّب خروجه ، وأبو سلمة آبن عبد الرحمان ، والمسوّر بن مخرمة . وكتب إليه [المسوّر :] إيّاك أن تغترّ بكتب أهل العراق !

وكذلك كتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمان تنهاه عن العراق وتقول : أشهد ، لحدّثتني عائشة أنّها سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقتل حسين بأرض بابل .

فلمّا قرأ كتابها قال : لا بدّ لي إذَن من مصرعي ! — ومضى .

وأتاه أبو بكر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام فقال : لقد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك . وأنت تريد أن تسير إليهم ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك مَن قد وعدَك أنْ ينصرَك ، ويخذلك من أنت أحبُّ إليه ممّن ينصره . فآذكر اللهَ في نفسِك !

فقال : جزاك الله يا آبن عمّ خيراً ، فقد آجتهدت رأيَك . ومهما يَقضي اللهُ من أمْر يَكُنْ .

فقال أبو بكر : إنّا لله ! عند الله نحتسب أبا عبد الله !

وكتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إليه كتاباً يحذّره أهلَ الكوفة ويناشدُه اللهَ أن [لا] يشخص إليهم . فكتب إليه الحسين : إنّي رأيت رؤيا ، ورأيت فيها النبيّ ﷺ وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له ، ولست بمخبر بها أحداً حتّى ألاقيَ عملي .

وكتب / إليه عمرو بن سعيد بن العاصي : إنّي أسأل اللهَ أن يلهمَك [399 أ] رُشدَك ، وأن يصرفَك عمّا يُرديك . بلغني أنّك آعتزمت على الشخوص إلى العراق . فإنّي أعيذك بالله من الشقاق ، فإن كنت خائفاً ، فأقبِل إليّ ، فلك عندي الأمان والبرّ والصلة .

فكتب إليه الحسين : إن كنتَ أردتَ بكتابك إليّ برّي وصِلتي ، فجُزيتَ خيراً في الدنيا والآخرة . وإنّه لم يشاقِقْ ﴿ مَنْ دَعَا إِلَىَ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ : إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ (فصّلت ، 33) ، وخيرُ الأمان أمانُ الله ، ولم يؤمن بالله مَن لم يخَفْه في الدنيا ، فنسأل الله مخافةً في الدنيا توجب لنا أمان الآخرة عنده .

وكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن عبّاس يخبره بخروج حسين إلى مكّة ، [ويقول :] وأحسبه جاءَه رجالٌ من أهل هٰذا المشرق فمنّوه الخلافة . وعندك منهم خبرة وتجربة . فإن كان فعل فقد قطع واشج القرابة . وأنت كبير أهل بيتك والمنظورُ إليه ، فاكففه عن السعي إلى العراق – وكتب بهٰذه الأبيات إليه وإلى مَن بمكّة والمدينة من قريشٍ [بسيط] :

يا أيّها الراكب الغادي لطيّته   على عُذَافِرَةٍ في سَيْرِها قُحَمُ
أبلغ قريشاً على نأيِ المزار بها   بيني وبين حسين الله والرّحِمُ
وموقف بفناء البيت أنشدُه   عهدَ الإلاه وما توفي به الذممُ
عَنّيتُمُ قومَكم فخراً بأمِّكُمُ   أمٌّ لعمري عَفَّةُ كرم
هي التي لا يداني فضلَها أحدٌ   بنتُ الرسول ، وخير الناس قد علموا
وفضلُها لكمُ فضلٌ ، وغيرُكمُ   من قومكم لهمُ في فضلها قِسَم
إنّي لأعلَمُ أو ظنًّا كعالمه   والظنّ يصدق أحياناً فينتظمُ
أن سوف يترككُم ما تدَّعون بها   قتلى ، تهاداكمُ العِقبان والرَّخَمُ
يا قومَنا لا تشبّوا الحربَ إذْ سَكَنَتْ   ومسِّكُوا بحِبالِ السِّلم واْعتصموا
قد غرّت الحربُ مَن قد كان قبلَكُمُ   من القرون ، وقد بادت بها الأُمم
فأنصفوا قومَكم لا تهلَكُوا بذخاً   فرُبَّ ذي بذَخٍ زلّت به القدم

فكتب إليه ابن عبّاس : إنّي لأرجو أن لا يكون خروج الحُسين لأمرٍ تكرهُه . ولستُ أدَعُ النصيحة له في كلّ ما يجمع الله به الألفة ويُطفىءُ به

النائرة .

ودخل عبد الله بن عبّاس على الحسين فكلّمه ليلاً طويلاً ، وقال : أنشدك الله أن تهلك غداً بحال مضيعة . لا تأتِ العراق ! وإن كنت لا بدَّ فاعلاً فأقِمْ حتى ينقضِيَ الموسم وتلقى الناسَ وتعلم ما يصدرون ، ثمّ ترى رأيك – وذلك في عشر ذي الحجّة سنة ستّين .

أعتزامه الخروج إلى العراق

فأبى الحسين إلّا أن يمضي إلى العراق . فقال له ابن عبّاس : والله إنّي لأظنّك ستُقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قُتل عثمان بين نسائه وبناته . والله إنّي لأخاف أن تكون الذي يُقاد به عثمان ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون !

فقال : يا أبا العبّاس ، إنّك شيخ قد كبرت .

فقال ابن عبّاس : لولا أن يزري ذلك بي وبك ، لنشبتُ يدي في رأسك ، ولو أعلم أنّا إذا تناصَينا أقمتَ ، لفعلتُ ، ولكن لا إخال ذلك نافعي .

فقال له الحسين : لأن أقتلَ بمكان كذا وكذا أحبُّ إليّ من أن تستحلّ بي مكّة .

فبكى ابن عبّاس وقال : أقررت عينَ ابن الزبير ، فذلك الذي يسلّي نفسي عنه .

ثمّ خرج ابن عبّاس من عنده وهو مغضب ، وابن الزبير على الباب . فلمّا رآه قال : يا آبن الزبير ، قد أتى ما أحبَبتَ . قرّت عينك : هٰذا أبو عبد الله يخرج ويتركك في الحجاز [رجز] :

يا لكِ مِن قُبَرَةٍ بمَعْمَرِ خلا لك الجوُّ فبيضي وآصفِري
ونقّري ما شئتِ أن تنقّري

ودخل محمد بن الحنفيّة على الحسين بمكّة ، وأعلمه أنّ الخروجَ ليس له
[399ب] برأيٍ . فأبى الحسين أن يقبل . فحبس محمّد / ولده فلم يبعث أحداً منهم ، حتّى وجد حسين في نفسه على أخيه محمد وقال : ترغبُ بولَدِكَ عن موضع أُصاب فيه !

فقال محمد : وما حاجتي أن تصاب ويصابوا معك ، وإن كانت مصيبتُك أعظمَ عندنا منهم ؟

وذكر الزبير بن أبي بكر عن أبي سعيد المقبري قال : والله لرأيت حسيناً ، وإنّه يمشي بين رجلَين يعتمد على هٰذا مرّة وعلى هٰذا مرّة حتّى دخل مسجد رسول الله ﷺ وهو يقول [خفيف] :

لا ذعرتُ السوامَ في غَبَشِ الصّبـ ـحِ مُغيراً ، ولا دُعيتُ يزيدا
يوم أُعطى مخافة الموت ضيْمًا والمنايا يرصدنَني أن أحيدَا

(قال) فعلمت عند ذلك أن لا يلبث إلّا قليلاً حتى يخرج . فما لبث أن خرج حتّى لحقَ بمكّة .

وفي رواية : خرج الحسين من مكّة إلى العراق ، فلمّا مرّ بباب المسجد الحرام قال ... (وذكر البيتين) .

وكتب مروان إلى عبيد الله بن زياد : أمّا بعد ، فإنّ الحسين بن عليّ قد توجّه إليك ، وهو الحسين ابن فاطمة ، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وتا الله ما أحدٌ يسلمُه اللهُ أحبُّ إلينا من الحسين ، فإيّاك أن تهيج على نفسك ما لا يسدّه شيء ولا تنساه العامّةُ ولا تدعُ ذكرَه ، والسلام .

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاصي : أمّا بعد ، فقد توجّه إليك الحسين ، وفي مثله تعتق أو تكون عبداً ، تستَرَقُّ كما يُسترقّ العبيد .

وقدّم الحسينُ مسلمَ بنَ عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة وأمره أن يكتب إليه

يخبرهم . فقدم الكوفة وعليها النعمان بن بشير ، وكتب إليه : إنّي قدمت الكوفة فبايعَني منهم إلى أن كتبتُ ثمانيةَ عشرَ ألفاً ، فعجِّلِ القدومَ ، فإنّه ليس دونها مانع .

فلمّا أتاه كتاب مسلم أغذّ السير حتّى ٱنتهى إلى زبالة[1] . فجاءت رسل أهل الكوفة إليه بديوانٍ فيه أسماء مائة ألف . وكان النعمان بن بشير الأنصاريّ على الكوفة . فخاف يزيد أن لا يقوم النعمان على الحسين ، فكتَب إلى عبيد الله بن زياد وهو على البصرة – وكان ساخطاً عليه وهمّ بعزله عن البصرة – فضمّ إليه الكوفة ، وكتب إليه بإقبال الحسين إليها ، فإن كان لك جناحان فطِرْ حتى تسبق إليها وٱقتُل مسلم بن عقيل .

استعداد زياد لقمع التحرّك الشيعيّ

فأقبل عبيد الله بن زياد على الظهر سريعاً حتى قدم الكوفة ، فأقبل متعمّماً متنكّراً حتى دخل السوق ، وهم يظنّون أنّه الحسين ، فجعلوا يقولون لعبيد الله : يا ٱبن رسول الله ، الحمد الله الذي أراناك – وجعلوا يقبّلون يده ورجله .

فقال عبيد الله : لشدّ ما فسد هؤلاء ! – ثمّ مضى حتّى دخل المسجد فصلّى ركعتين ثمّ صعد المنبر وكشف عن وجهه . فلمّا رآهُ الناسُ مال بعضهم على بعض وأقشعوا عنه[2] .

وكان قدم مع عبيد الله من أهل البصرة شريك بن الأعور الحارثيّ ، وكان شيعة لعليّ بن أبي طالب . فنزل على هانىء بن عروة . فٱشتكى شريك – وكان عبيد الله يعوده في منزل هانىء ، ومسلم بن عقيل هناك لا يعلم به – فهيّؤوا لعبيد الله ثلاثين رجلاً يقتلونهُ إذا دخل عليهم . وأقبل عبيد الله فدخل على شريك

(1) زُبالة : بطريق مكّة من الكوفة (ياقوت) .
(2) أقشعوا : تفرّقوا .

يسأل عنه . فجعل شريك يقول [بسيط] :

ما تنظرون بسلمى أن تحيّوها ؟

أسقوني ولو كانت فيها نفسي !

فقال عبيد الله : ما تقول ؟

قالوا : يهجُر[1] .

وتخشخش القوم في البيت ، وأنكر عبيد الله ما رأى منهم ، فوثب وخرج ، ودعا مولى هانىء بن عروة – وكان في الشرطة – فسأله فأخبره الخبر . فكان أوّل مَن مضى حتى دخل القصر وأرسل إلى هانىء بن عروة وهو يومئذ ابن بضع وتسعين سنة ، فقال : ما حملك على أن تجير عدوّي وتنطوي عليه ؟

فقال : يا أخي ، إنّه جاء حقٌّ هو أحقُّ من حقّك وحقّ [صاحبك] .

فوثب عبيد الله ، وفي يده عَنَزة[2] فضرب بها رأس هانىء حتى خرج الزّجّ وأغترز في الحائط ونثر دماغ الشيخ فقتله .

وبلغ الخبر مسلم بنَ عقيل فخرج في نحو أربعمائة من الشيعة ، فما بلغ القصر إلّا وهو في ستّين رجلاً . وغربت الشمس وكَثَرَهُم[3] أصحاب عبيد الله بن زياد . وجاءالليل فهرب مسلم حتى دخل على أمرأة من كندة فأستجار بها . وعلم بذلك محمد بن الأشعث بن قيس الكنديّ فأخبر به عبيد الله بن زياد . فبعث إلى مسلم فجيءَ به ، فأنّبه وأمر بقتله . فقال : دعني أوصي .

قال : نعم .

[400 أ] فنظر إلي عمر / بن سعد بن أبي وقّاص فقال : إنّ لي إليك حاجةً ،

---

(1) يهجر : يَهذي .

(2) عَنَزَة : عكّازة لها زجّ في أسفلها .

(3) كثرُهم : غلبوهم كثرةً . وفي المخطوط قبل هٰذا : فلمّا بلغ . . . إلاّ . . .

وبيني وبينك رحم .

فقال عبيد الله : أنظر في حاجة ابن عمّك .

فقام إليه ، فقال : يا هٰذا ، إنّه ليس هٰهنا رجل من قريش غيرك . وهٰذا الحسين بن عليّ قد ارتحل . فأرسل إليه رسولاً فلينصرف فإنّ القوم قد غرّوه وخدعوه وكذبوه ، وإنّه إن أتى قُتل ولم يكن لبني هاشم بعدَه نظام . وعليّ دَين أخذتُه منذ قدمنا الكوفة فاْقضِه عنّي واْطلب جثّتي مَن ابن زياد فوارِها .

فقال له ابن زياد : ما قال لك ؟

فأخبره عمر بمَا قال .

فقال : أمّا مالك فهو لك لا نمنعك منه . وأمّا حسين فإن تَركنا لم نردَّه . وأمّا جثّته فإذا قتلناه لم يبالِ ما صُنع به .

ثمّ أمر به فقُتل . وقضى عمر بن سعد دَين مسلم، وأخذ جثّتَه وكفّنه ودفنه . وأرسل إلى الحسين رجلاً فلقيه على أربع مراحل فأخبرَه .

تقاعس أنصار الحسين

وبعث عبيد الله برأس مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة إلى يزيد . وبلغ الحسين قتلُ مسلم وهانىء ، فقال له اْبنه عليّ الأكبر : يا أبه اْرجع ، فإنّهم أهل العراق وغدرُهم وقلّةُ وفائهم ، ولا يفون لك بشيء .

فقالت بنو عقيل لحسين : ليس هٰذا حين رجوع – وحرّضوه على المضيّ . فقال حسين لأصحابه : قد ترون ما يأتينا وما أرى القومَ إلّا يستخذلوننا . فَمَنْ أحبّ أن يرجع فليرجع .

فاْنصرف عنه قوم . وبقي في أصحابه الذين خرجوا معه من مكّة . وكانت خيلهم اْثنين وثلاثين فرَسا .

ووجّه عبيد الله بن زياد حصين بن تميم [الطهويّ] إلى القادسيّة وقال : أقِم بها ، فمَن أنكرتَه فخُذه .

وكان الحسين قد وجّه قيس بن مسهر بن خليد بن جندب بنَ منقذ بن حبش بن بكرة [الصيداوي] إلى مسلم بن عقيل قبلَ أن يبلغَه قتلُه ، فأخذه حصين فوجّه به إلى آبن زياد . فقال له : قد قتل الله مسلماً ، فقم في الناس فآشتم الكذّاب ابن الكذّاب .

فصعد قيس المنبر فقال : أيّها الناس ، إنّي تركت الحسين بن عليّ بالحاجر ، وأنا رسوله إليكم وهو يستنصرُكم .

فأمر به عبيد الله بن زياد فطُرح من فوق القصر فمات .

ووجّه الحصين بن تميم الحرَّ بنَ يزيد اليربوعيّ من بني رياح في ألف إلى الحسين وقال : سايِره ، ولا تدَعْه يرجع حتّى يدخلَ الكوفة ، وجَعْجعْ به .

فأخذ الحسين طريق العذيب حتى نزل الحوف مسقط النجف ممّا يلي المايتين . فنزل قصر بني مقاتل . فخفق خفقة ثمّ انتبه يسترجع وقال : إنّي رأيت في المنام آنفاً فارساً يسايرنا ويقول : القوم يسيرون ، والمنايا تسري إليهم — فعلمتُ أنّه نعى إلينا أنفُسَنا .

ثمّ سار الحسين حتى نزل كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة وتعرف أيضاً بالطفّ . فآضطرب ثمّ قال : أي منزل نحن فيه ؟

قالوا : بكربلاء .

قال : يوم كرب وبلاء .

فوجّه إليه ابن زياد عمر بن سعد بن أبي وقّاص في أربعة آلاف . وكان آستعمله قبل ذلك على الريّ وهمذان ، وقطع ذلك البعث معه . فلمّا أمره بالمسير

(1) الطهويّ في المخطوط ، التميميّ عند الطبريّ 5 / 394 . وفي اللباب : طُهَيّة بطنٌ من تميم .

إلى الحسين تأبّى ذلك وكرهه وآستعفى منه . فقال له ابنُ زياد : أعطي الله عهداً ، لئن لم تسِرِ إليه وتُقدم عليه لأعزلنّك عن عملك وأهدم دارك وأضرب عنقك .

قال : إذن أفعل .

فجاءته بنو زهره فقالوا : نَنْشُدُكَ الله أن تكون أنت الذي يلي هٰذا من حسين ، فتبقى عداوة بيننا وبين بني هاشم .

فرجع إلى ابن زياد فآستعفاه فأبى أن يعفيَه فصمّم وسار إليه . ومع الحسين يومئذ خمسون رجلاً ، وأتاه من الجيش عشرون وكان معه من أهل بيته تسعة عشر رجلاً . فلمّا رأى الحسين عمر بن سعد قد قصد له فيمن معه ، قال : يا هؤلاء ، اسمعوا يرحمكم الله ، ما لنا ولكم ؟ ما هٰذا الضَّنُّ بكم يا أهل الكوفة ؟

قالوا : خفنا طرحَ العطاء .

قال : ما عند الله من العطاء خير لكم . يا هؤلاء ، دعونا نرجع من حيث جئنا .

قالوا : لا سبيل إلى ذلك .

قال : فدعوني أمضي إلى الريّ فأجاهد الديلم .

قالوا : لا سبيل إلى ذلك .

قال : فدعوني أذهب إلى يزيد بن معاوية فأضع يده في يدي .

قالوا : لا ، لكن ضع يدَك في يد عبيد الله بن زياد .

قال : أمّا هٰذه فلا .

قالوا : ليس لك غيرها .

المفاوضة بين ابن زياد والحسين

وبلغ ذلك ابنَ زياد ، فهمّ أن يخلّي عنه ، وقال : والله ما عرض لشيءٍ من عملي ، وما أراني إلّا مخلّيَ سبيله / . [400ب]

فقال له شمر بن ذي الجوشن أوس بن الأعور – وقيل : شرحبيل[1] – الضِبابي : [أمكنَكَ اللهُ من عدوّك فتسيّره ! إلّا أن ينزل في حكمك !] .

فكتب إلى عمر بن سعد [كامل] :

الآن حين تعلّقَتْه حِبَالُنا ... يرجو النجاة ولات حين مناص

فناهِضه . – وقال لشمر بن ذي الجوشن : سر بِهَا إلى عمر بن سعد . فإن مضى لما أُمر به وقاتل حسيناً ، وإلّا فاضرب عنقَه ، وأنت على الناس .

وجعل الرجل والرجلان والثلاثة يتسلّلون إلى الحسين من الكوفة . وبلغ ذلك ابن زياد ، فخرج وعسكر بالنخيلة ، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث . وأخذ الناس بالخروج إلى النخيلة وضبط الجسر فلم يترك أحداً يجوزه . وعقد للحصين بن تميم الطهويّ على ألفين ، ووجّهه إلى عمر بن سعد مردًّا له . فقيل : خرجوا إلى الحسين على دينارين دينارين . وقدم شمر بن ذي الجوشن الضبابيّ على عمر بن سعد بمَا أمره به ابن زياد ، عشيّة الخميس لتسع خلون من المحرّم سنة إحدى وستّين بعد العصر . فنودي في العسكر فركبوا ، والحسين جالس أمام بيته محتبياً . فنظر إليهم قد أقبلوا ، فقال لأخيه العبّاس بن علي بن أبي طالب : [قم] إليهم فسلهم ما بدا لهم .

فسألهم فقالوا : أتانا كتاب الأمير يأمرُنا أن نعرض عليك أن تنزل على حكمه أو نناجزك .

---

(1) أوس بن الأعور أو شرحبيل بن الأعور هو اسم ذي الجوشن – الجمهرة لابن حزم ، 287 .

قال : انصرفوا عنّا العشيّة حتى ننظر ليلتَنا هٰذه في ما عرضتم .

فآنصرف عمر . وجمع الحسين أصحابه في ليلة عاشوراء ليلة الجمعة ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبيّ ﷺ وما أكرمه الله به من النبوّة وما أنعم به على أمّته ، وقال : إنّي لأحسبُ القومَ إلّا مقاتليكم غداً . وقد أذنت لكم جميعاً فأنتم في حلّ منّي . وهٰذا الليل قد غشيكم فمن كانت له منكم قوّة فليضمّ رجلاً من أهل بيتي ، وتفرّقوا في سوادكم حتى ﴿يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة ، 52) . فإنّ القوم إنّما يطلبونني ، فإذا رأوني لَهَوا عن طلبكم .

فقال أهل بيته : لا أبقانا الله بعدك ! لا والله لا نفارقك حتى يصيبَنَا ما أصابك ، — وكذلك قال أصحابُه . فقال : أثابكم الله على ما تنوون ، الجنّة .

وأتاه رجل من الأنصار فقال : عليّ دَين .

فقال : لا يُقاتلْ معي مَن عليه دَين !

وقيل لمحمّد بن بشر الحضرميّ : قد أسر آبنك بثغر الريّ .

قال : عند الله أحتسبه ونفسي ، ما كنتُ أُحبّ أن يؤسر ولا أن أبقى بعده .

فسمع قوله الحسين ، فقال له : رحمك الله ، أنت في حلٍّ مِن بيعتي . فآعمل في فكاك آبنك .

قال : أكلتني السّباعُ حيًّا إن فارقتُك !

قال : فأَعطِ ابنك هٰذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه — وأعطاه خمسة أثواب قيمتُها ألف دينار .

استعداد الحسين للقتال

فلمّا أصبح الحسين يومَه الذي قُتل فيه رضي الله عنه ، قال : اللهمّ ،

أنت ثقتي في كلّ كرب ، ورجائي في كلّ شدّةٍ وأنت لي في كلّ أمرٍ نزل بي ثقة وعُدّة ، وأنت وليّ كلّ نعمة وصاحب كلّ حسنة .

ثمّ قال الحسين لعمر بن سعد وأصحابه : لا تعجلوا حتّى أخبركم خبري : والله ما أتيْتكم حتى أتتني كتب منكم[1] بأنّ السنّة قد أميتت ، والنفاق قد نجم ، والحدود قد عطّلت ،فاقدِمْ لعلّ الله تبارك وتعالى يصلح بك أمّة محمد ﷺ . [فانسبوني فأنظروا مَن أنا][2] وارجعوا إلى أنفسكم فأنظروا هل يصلح لكم قتلي ويحلّ لكم دمي . ألستُ ابنَ بنت نبيّكم وابن ابن عمّه وأبن أوّل المؤمنين إيمَانًا ؟ أوليس حمزة والعبّاس وجعفر بعمومتي ؟ أولم يبلغكم قول رسول الله ﷺ فيّ وفي أخي : هٰذان سيّدا شباب أهل الجنّة ؟ فإن صدّقتموني ، وإلّا فاسألوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدْري ، وأنس بن مالك ، وزيد بن الأرقم .

فقال شمر بن ذي الجوشن : هو يعبد الله على حَرْفٍ إنْ كان يدري ما يقول .

وأقبل الحرّ بن يزيد أحد بني رياح بن يربوع على عمر بن سعد ، فقال : أمُقاتلٌ أنت هٰذا الرجل ؟

فقال : نعم .

[فقال :] أما لكم في واحدة من هٰذه الخصال التي عرض رضى / ؟ [401 أ]

قال : لو كان الأمرُ إليَّ لفعلت .

فقال : سبحان الله ! ما أعظم هٰذا ! أن يعرض ابن بنت رسول الله عليكم ما يعرض فتأبَونه .

---

(1) قراءة ظنّيّة .

(2) كلام مطموس ، والتعويض من الطبريّ ، 5 / 424 .

ثمّ مال الحرّ إلى الحسين فقاتل معه حتّى قُتل . في ذلك يقول الشاعر . المتوكّل الليثيّ [وافر] :

لنعم الحرّ حرُّ بني رياح وحرّ عند مختلف الرماح
ونعم الحرّ ناداه حسينٌ فجاد بنفسه عند الصباح

فلمّا علم الحسين أنّهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : قد نزل بنا ما ترون من الأمور . وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها وٱشمَعَلّت[1] حتّى لم يبقَ منها إلّا صُبابة كصبابة الإناء الأخنَس[2] ، عيش كالمرعى الوبيل . ألا ترون الحقّ لا يعمل به والباطل لا يُنهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله ، وإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلّا [ذلّا] ونَدَماً .

وناهض عمر بن سعد حسيناً . وكان أوّل من قاتل مولى لعبيد الله بن زياد يقال له سالم . فصل من الصفّ ، فخرج إليه عبد الله بن تميم الكلبي فقتله ، والحسين جالس ، عليه جبّة خزٍّ دكناءُ ، قد وقعت النبل عن يمينه وعن شماله ، وابن له ابن ثلاث سنين بين يديه ، فرماه عقبة بن بشر الأسديّ فقتله . ورمى عبد الله بن عقبة الغنويّ أبا بكر بن الحسين بن عليّ فقتله . فقال سليمَان [بن قتة] فيه [طويل] :

وعند غنيّ قطرة من دمائنا وفي أسدٍ أخرى تعدّ وتذكرُ

ولبس حسين لأمته وطاف به أصحابه يقاتلون دونه حتّى قُتلوا جميعاً وحمل عليّ بن الحسين الأكبر وهو يقول :

أنا عليّ بن حسين بن عليّ نحن وبيت الله أولى بالنبيّ
من شمر وعمر وابن الدعيّ

وطعنه مرّة بن منقذ بن النعمان بن عبد القيس ، فحُمل فوضع قريباً من أبيه

(1) اشمعلّت الإبل : تفرّقت

(2) الأخنس من الناس : القصير الأنف . ولم نجدها للآنية .

فقال : قتلوك يا بنيّ ! على الدنيا بعدك العفاء . – وضمّه أبوه إليه حتّى مات .
فجعل الحسين يقول : اللهمّ ، دعو[نـ]ـنا لينصرونا فخذلونا وقتلونا ، اللهمّ فاحبس عنهم قطر السماء وأمنعهم بركات الأرض ! فإن متّعتهم إلى حين ففرّقهم شيَعاً وأجعلهم طرائق قدداً ، ولا تُرض الولاة عنهم أبدًا !

قساوة أصحاب ابن زياد

وجاء صبيّ من صبيان الحسين يشدّ حتى جلس في حجره . فرماه رجل بسهم فأصاب ثغرة نحره فقتله . فقال الحسين : اللهمّ ، إن كنت حبستَ عنّا النصرَ ، فأجعل ذلك لما هو خير في العاقبة ، وانتقم لنا من القوم الظالمين .

وخرج القاسم بن الحسين بن علي وهو غلام ، فحمل عليه عمرو بن سعيد [بن نفيل] الأزديّ فضربه فسقط [الغلام لوجهه فقال : يا عمّاه ! فشدّ الحسين شدّة ليث غضب فضرب عمراً بالسيف] . وجاءت خيل الكوفيّين [ليستنقذوا عمراً من الحسين] ، فحمل عليهم الحسين ، فجالوا ووطئوه حتّى مات . ووقف الحسين على القاسم فقال : عزّ على عمّك أن تدعوَه فلا يجيبك ، أو يجيبك فلا ينفعك يومَ كثر واترُه وقلّ ناصرُه ، وبُعداً لقوم قتلوك ! – ثمّ أمر به فحمل ورجلاه تخطّ في الأرض حتّى وُضع مع علي بن الحسين .

وعطش الحسين فأستسقى ، وليس معهم ماء . فجاء رجل بمَاء فتناوله ليشرب . فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فيه فجعل يلقي الدم بيده . وحمد الله وتوجّه نحو المسنّاة يريد الفرات . فقال رجل من بني أبان بن دارم : حُولُوا بينه وبين الماء !

فعرضوا له فحالوا بينه وبين الماء وهو أمامهم . فقال الحسين : اللهمّ ، أظمِئْهُ !

ورماه الأبانيّ بسهم فأثبته في حنكه ، فنزع السهم وتلقّى الدم وملأ كفّه

وقال : اللهمّ ، إنّي أشكو إليك ما فعل هؤلاء .

فما لبث الأبانيّ إلّا قليلاً حتى رؤي وإنّه ليؤتى بالقلّة والعسّ إن كان ليَروي عدّة ، فيشربه فإذا نزعه من فيه قال : اسقوني فقد قتلني العطش ! – فما زال بذلك حتّى مات .

وجاء شمر بن ذي الجوشن فحال بين الحسين وبين ثقله . فقال الحسين : رحلي لكم عن ساعة مباح ، فآمنعوه من جُهّالكم وطغامكم ، وكونوا في دنياكم أحراراً إذ لم يكن لكم دين .

فقال شمر : ذلك لك يا آبن فاطمة .

فلمّا قتل أصحاب الحسين وأهلُه بقي عامّة النهار ، ولا يقدم عليه أحدٌ إلّا انصرف ، حتى أحاطت / به الرجّالة ، فما رؤي مكثورًا[1] أربط جأشاً منه . [401ب] فصاح بهم شمر : ثكلتكم أمّهاتُكم ، ماذا تنتظرون به ؟ أقدموا عليه ! – فكان أوّل من انتهى إليه زرعة بن شريك التميميّ ، فضرب كفّه اليسرى ، وضربه الحسين على عاتقِه فصرعه . وبرز له سنان بن أنس بن عمرو بن حيّ بن الحارث آبن غالب بن مالك بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع النخعيّ فطعنه في ترقوته ، ثمّ انتزع الرمح فطعَنه في صدره ، فخرّ صريعاً . ونزل إليه ليحزّ رأسه فنزل معه خولي بن يزيد الأصبحيّ فآحتزّ رأسه . وأتى به عبيد الله بن زياد وقال [رجز] :

أوقر ركابي فضّة وذهباً ... أنا قتلت الملك المحجّبا
قتلتُ خيرَ الناس أُمًّا وأباً ... وخيرَهم إذ ينسبون نسبا

فلم يعطه ابن زياد شيئاً .

وروى حمّاد بن سلمة : ثنا عمّار بن أبي عمّار أنّ ابن عبّاس رضي الله عنه قال : رأيت النبيّ ﷺ فيمَا يرى النائم ذات يوم نصف النهار أشعث أغبر بيده

(1) المكثور هو المغلوب .

قارورة فيها دم ، فقلت : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأمّي ، ما هٰذه ؟

قال : هٰذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم .

فأحصي ذلك الوقت ، فوجد قد قتل الحسين ذلك اليوم .

ووجد بالحسين ثالث وثلاثون جراحةً ، ووجد في ثوبه مائة وبضعة عشر خرْقاً من السهام وأثر الضرب .

مقتل الحسين

وقتل رحمة الله عليه يوم الجمعة يوم عاشوراء من المحرّم سنة إحدى وستّين من الهجرة ، وهو ابن ستّ وخمسين سنةً وخمسةِ أشهر . وكان عليه يوم قُتل جبّة خزّ دكناء ، وهو صابغ بالسواد .

وذكر الواقديّ أنّه قُتل في صفر وهو ابن خمس وخمسين سنة ، والأوّل أثبت .

وقال جعفر بن محمد الصادق : قُتل الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة .

وقُتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً وقد ٱختُلِفَ في قاتل الحسين . قال أبو عمر بن عبد البرّ : قتله سنان بن أنس النخعيّ – ويقال له أيضاً : سنان بن أبي سنان النخعيّ – وهو جدّ شريك القاضي .

ويقال : بل الذي قتله رجلٌ من مَذحِج ، وقيل : قتلَه شمر بن ذي الجوشن – وهو شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية بن الضباب بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن نضر بن نزار بن معدّ بن عدنان[1] – وكان أبرص . وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحيّ من حمير وحزّ رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وقال : أوقر ركابي ... البيتين .

(1) جاء هٰذا التعريف بشمر في الهامش حاشيةً . وكذلك في التعريف بسنان بن أنس النخعيّ .

وقال يحيى بن معين : أهل الكوفة يقولون : إنّ الذي قتل الحسين رحمة الله عليه عمر بن سعد بن أبي وقّاص . قال يحيى بن معين : وكان إبراهيم بن سعد يروي فيه حديثاً أنّه لم يقتله عمر بن سعد .

قال أبو عمر بن عبد البرّ : إنّما نُسب قتلُ الحسين إلى عمر بن سعد لأنّه كان الأميرَ على الخيل التي جهّزها عبيد الله بن زياد إلى قتل الحسين وأمّر عليهم عمر بنَ سعد ووعده أن يُولّيَهُ الريّ إن ظفِر بالحسين وقتله. وكان في تلك الخيل قوم من مضر ومن اليمن . وفي شعر سليمَان بن قتّة الخزاعيّ – وقيل إنّها لأبي الرميح الخزاعيّ – ما يدلّ على الاشتراك في دم الحسين . فمن ذلك قوله [طويل] :

مررتُ على أبيات آل محمّد ... فلم أرَ من أمثالها حيث حلّت
فلا يبعد اللهُ البيوتَ وأهلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت
وكانوا لنا غُنْماً فعادوا رزيّةً ... لقد عظمَت تلك الرزايا وجلّت
أولائك قوم لم يشيموا سيوفهم ... ولم تُنْكِ في أعدائهم حين سُلّت
وإنَّ قتيلَ الطفّ من آل هاشمٍ ... أذلّ رقاباً من قريش فذلّت
إذا ٱفتقرت [قيس] جبرنا فقيرها ... وتقتلنا قيس إذا النعلُ زلّتِ
وعند سنان قطرة من دمائنا ... سنجزيهم يوماً بها حيث حلّت
ألم ترَ أنّ الأرضَ أضحَت مريضة ... لفقد الحسين ، والبلاد ٱقشعرّت
/ وقد أعولت تبكي السماء لفقده ... وأنجمُها ناحت عليه وصلّتِ [402 أ]

وقال : حليفُه الذي وليَ قتل الحسين شمر بن ذي الجوشن ، وأميرِ الجيْش عمر بن سعد .

وقال مصعب : الذي تولّى قتلَ الحسين سنان بن أبي سنان ، ويصدّق ذلك قول الشاعر [وافر] :

وأيّ رزيّة عدلت حُسَيْنًا ... غداة شَطتْ بِه كفَّا سِنان

انتهى [قول ابن عبد البرّ] .

المقتولون معه

وقتل مع الحسين رحمه الله جماعة من أهل بيته . فقُتل من إخوته لأبيه : عبّاس ، وعبد الله ، وجعفر ، وعثمان ، وأبو بكر [ومحمّد] .

وقُتل من ولده : عبد الله ، وعلي ، وإبراهيم .

وقُتل من ولد أخيه الحسن : القاسم ، وأبو بكر ، وعبد الله .

وقتل من ولد أخيه العبّاس : محمد بن العبّاس .

ومن ولد عبد الله بن جعفر : محمد وعون .

ومن ولد عَقيل : مسلم ، وعبد الرحمان ، وجعفر ، وعبد الله ، بنو عقيل وعبد الله بن مسلم بن عقيل ، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل .

فهؤلاء أحد وعشرون رجلاً ، رحمة الله عليهم .

فالعبّاس بن عليّ بن أبي طالب قتله زيد بن وقّاد الجنبيّ وحكيم السنبسيّ[1] من طيّىء .

وقَتل أيضاً جعفر بن علي بن أبي طالب ، قتله هانىء بن ثبيت الحضرميّ .

وقُتل عبد الله بن علي بن أبي طالب ، قتله هانىء أيضاً .

وعثمان بن عليّ بن أبي طالب ، رماه خولي بن يزيد بسهم فأثبته ، وأجهز عليه رجل من أبان بن دارم .

وأبو بكر بن عليّ بن أبي طالب ، قتل في ساقية [، لا يدرى مَن قَتله] .

ومحمد بن علي بن أبي طالب الأصغر ، قتله رجل من بني أبان بن دارم .

وعلي بن الحسين بن علي ، الأكبر ، قتله مرّة بن منقذ بن النعمان العبديّ .

---

(1) عند الطبريّ ، 5/ 468 : زيد بن رقاد الجنبيّ وحكيم بن الطفيل السنبسيّ .

وعبد الله بن الحسين ، قتله هانىء بن ثبيت الحضرميّ .

وجعفر بن الحسن ،

وأبو بكر بن الحسن ، قتلهما عبد الله بن عقبة الغنويّ .

وعبد الله بن الحسن ، قتله ابن حرملة الكاهليّ[1] من بني أسد .

والقاسم بن الحسن ، قتله سعد بن عمرو [بن نفيل] الأزديّ .

وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قتله عامر بن نهشل التميميّ[2].

ومسلم بن عقيل بن أبي طالب ، قتله عبيد الله بن زياد بالكوفة صبراً .

وجعفر بن عقيل ، قتله بشر بن حوط الهمْدَاني ، ويقال : عروة بن عبد الله الخثعميّ .

وعبد الرحمان بن عقيل قتله عثمان ، بن خالد بن أسيد الجهنيّ وبشر بن حوط .

وعبد الله بن عقيل - أمّه أمّ ولد - قتله عمرو بن صبيح الصدّائيّ .

وعبد الله [بن مسلم] بن عقيل الآخر - أمّه رقيّة بنت علي بن أبي طالب ، قتله عمرو بن صبيح الصدّائي ، ويقال : قتله أسيد بن مالك الحضرميّ .

ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ، قتله لقيط [بن ياسر] الجهنيّ ورجل من آل أبي لهب لم يسمَّ .

وقتل أيضاً رجل من آل أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب يقال له : أبو الهياج . وكان شاعراً .

وقُتل سليمَان مولى الحسين بن عليّ ، قتله سليمَان بن عوف الحضرميّ .

ومنجح . مولى الحسين أيضاً .

وعبد الله بن بقطر . رضيع الحسين . قُتل بالكوفة : رُميَ به من فوق

(1) حرملة بن الكاهن عند الطبريّ . 5/ 468 .

(2) قتله عبد الله بن قطبة الطائيّ عند الطبري .

القصر فمات .

وقد كان ٱبنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لجأا إلى ٱمرأة عبد الله بن قطبة الطائيّ ثمّ النبهانيّ ، وكانا غلامين لم يبلغا الحلم . وقد كان عمر بن سعد أمر مُنادياً فنادى : مَن جاء برأسٍ فله ألف درهم . فجاء ابن قطبة إلى منزله فقالت له ٱمرأته ، إنَّ غلامَين لجَأا إلينا ، فهل لك أن تشرف بهما فتبعثَ بهما إلى أهلهما بالمدينة ؟

قال : نعم ، أرنيهما .

فلمّا رآهما ذبحهُما وجاء برؤوسهما إلى عبيد الله بن زياد فلم يعطه شيئاً . فقال عبيد الله : وددتُ أنَّه كان جاءني بهما حيَّين فمَنَنتُ بهما على أبي جعفر ، يعني عبد الله بن جعفر . وبلغ ذلك ابنَ جعفر أباهما فقال : وددت أنّه كان جاءني بهما فأعطيتُه ألفَي ألف درهم .

من نجا من القتل

ولم يُفلت من أهل الحسين الذين معه إلّا خمسة نفر ، وهم : علي بن الحسين ، الأصغر ، وهو أبو ولَد الحسين كلّهم الذين ٱنتشروا في أقطار الأرض . وكان مريضاً مع النساء .

وحسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ، وله عقِب .

وعمر بن حسن بن عليّ ، ولا عقبَ له .

والقاسم بن عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن عقيل ، الأصغر .

فإنّ هؤلاء ٱستصغروا . فقدم بهم ، وبنساء الحسين بن عليّ ، وهنّ : زينب وفاطمة ابنتا عليّ بن أبي طالب ، وفاطمة وسكينة ٱبنتا الحسين بن عليّ ، [402ب] والرباب بنت ٱمرىء القيس الكلبيّة ، ٱمرأة / الحسين . و[1] ٱمرؤ القيس بن

---

(1) في المخطوط : وأم

عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم [فـ]ـرأس هو وأبوه عديّ بن أوس ، ووفد على أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وهو نصرانيّ ، فأسلم ، وعقد له عمر على جنود قضاعة ، فما رُئيَ كافرٌ لم يصلِّ قطّ عُقد له على مسلمين غيرَه . وتزوّج بناته أميرَ المؤمنين عليّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه ، والحسن والحسين عليهما السلام : فتزوّج عليّ مُحَيّاة [فـ]ـولدت له بنتاً .

وتزوّج الحسين بنُ عليّ أختَها الرباب فولدت له عبدَ الله ، قتل معه . وولدت له سكينةَ بنتَ الحسين .

وتزوّج الحسن بن عليّ أختَها زينب .

وآمرؤ القيس هٰذا هو الذي أسر الدعّاء بن عمرو ، أخا مفروق الشيبانيّ ، وهو الذي أغار أبوه أبو حجير عديّ بن أوس على بني أسد يومَ الرحبة . وآمرؤ القيس هٰذا هو الذي لطم القعقاع بن حريث بن حكم بن سلامة بن محصن بن جابر بن كعب بن عليم فلم يعط بظنّة[1] فلحق ببني مختر من طيّىء ونزل بأنيف آبن مسعود بن قيس في الجاهليّة فنظر إلى أهله فقال - يريد آمرأ القيس [وافر] :

تبصَّرْ يا آبنَ مسعود بنِ قيس بعينك هل ترى ظعنَ القطين
خرجن من الغمار مشرّقات تميل بهنّ أزواج العهون
بذمّك يا آمرأ القيس استقلّت رعال غوارب الجبلين دوني

وهٰذا القعقاع يقال له : القعقاع بن درما . ودرما هي أمّ حصن بنت جابر ، سبيّة من بني تميم ، وعبد الله المقتول ابن الحسين .

وأمّ محمد بنت الحسن بن عليّ آمرأة علي بن الحسين .

وموالٍ لهم ومماليك وعبيد وإماء ، قُدم بهم على عبيد الله بن زياد مع رأس الحسين ورؤوس مَن قُتل معه ، رضوان الله عليهم .

---

(1) كلمة غير مفهومة .

ولمّا قُتل الحسين انتُهب رحلُه وثقلُه . فأَخذَ سيفَه القلانسُ النهشليّ .

وأخذ سيفاً له آخرَ جميع بن الخلق الأزديّ .

وأخذ سراويله بحر بن كعب التميميّ وتركه مجرّداً .

وأخذ قطيفتَه قيسُ بنُ الأشعث بن قيس الكنديّ ، فكان يقال له « قيس قطيفة » .

وأخذ نعلَيه الأسود بن خالد الأوديّ .

وأخذ عمامتَه جابر بن يزيد .

وأخذ برنسَه – وكان من خزّ – مالك بن بشير الكنديّ .

وأخذ رجلٌ من العراق حليَ فاطمة بنت الحسين ، وهو يبكي . فقالت له فاطمة : لمَ تبكي ؟

فقال : أسلب بنتَ رسول الله ولا أبكي ؟

فقالت : دعه .

قال : إنّي أخاف أن يأخذَه غيري .

وكان علي بن الحسين ، الأصغر ، مريضاً نائمًا على فراش . فقال شمر بن ذي الجوشن : اُقتلوا هٰذا !

فقال له رجل من أصحابه : سبحان الله ! نقتل فتًى حدَثاً مريضاً لم يُقاتل ؟

وجاء عمر [بن سعد] بن أبي وقّاص فقال : لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهٰذا المريض .

وقال عليّ بن الحسين : قصَدني رجلٌ منهم وأكرم نزلي واٌختصّني وجعل يبكي كلّما خرج ودخل حتى كنت أقول : إن لم يكن عند أحدٍ من الناس وفاءٌ

فعند هٰذا ! – إلى أن نادى منادي ابن زياد : ألا مَن وَجد عليّ بن الحسين فليأتِ به ، فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم .

قال عليّ : فدخل والله عليّ وهو يبكي ، وجعل يربط يديَّ إلى عنقي وهو يقول : أخاف ! – فأخرجني والله إليهم مربوطاً حتّى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليه . فأُخِذت فأُدخلتُ على ابن زياد فقال : ما آسمُكَ ؟

فقلت : علي بن حسين .

فقال : أوَ لم يقتل الله عليًّا ؟

قلت : كان لي أخ يقال له عليّ ، أكبر منّي ، قتله الناس .

قال : بل الله قتله .

قلت : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر ، 42) .

فأمر بقتله . فصاحت زينب بنت عليّ : يا آبن زياد ، حسبك من دمائنا ! أسألك اللهَ إن قتلتَه إلّا قتلْتَني معه . – فتركه .

حمل بقيّة أهله إلى الشّام

ولمّا أمر عمر بنُ سعد بثقل الحسين أن يدخل الكوفةَ ، تقدّم به إلى عبيد الله بن زياد . وبعث إليه بالرأس مع خولي بن يزيد الأصبحيّ . فلمّا حمل النساء والصبيان ومرّوا بالقتلى ، صرخت زينب بنت علي : يا محمّداه ! هٰذا حسين بالعراء ، مُرَمَّلٌ بالدماء ، مقطّع الأعضاء ! يا محمّد ، وبناتك سبابا وذرّيّتُك مقتّلة !

فما بقي / صديق ولا عدوّ إلّا أكبّ باكياً . قُدم بهم على ابن زياد . [403 أ]
فقال عبيد الله بن زياد : مَن هٰذه ؟

فقالوا : زينب بنت عليّ بن أبي طالب .

فقال لها : كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتك ؟

فقالت : كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون .

قال : الحمد لله الذي قتلكم وأكذب حديثكم .

فقالت : الحمد لله الذي أكرَمنا بمحمّد وطهّرنا تطهيراً .

(وفي رواية : الحمد لله الذي فضحَكم وأكذب أحدوثتكم) .

وقال : قد شفى الله نفسي من طاغيتك وأهلَ بيتك .

فبكت وقالت : لعمري ، لقد قتلتَ كهلي ، وأبدتَ أهلي ، وقطعتَ فَرعي ، وآجْتَثْتَ أصلي . فإن يَشفك هٰذا فقد آستشفيتَ .

فقال : هٰذه سجّاعة ، وقد كان أبوها شاعراً سجّاعاً .

فقالت : ما لي وللسجاعة ؟ إنّ لي لشغلاً ، ولكن نفثي[1] ما أقول .

فلمّا وضعت الرؤوس بين يدي ابن زياد ، جعل يضرب بقضيب معه على في الحسين وهو يقول [طويل] :

يُفلّقن هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا ، وهم كانوا أعقّ وأظلما[2]

فقال له زيد بن أرقم : لو نحّيتَ هٰذا القضيب ، فإنّ رسول الله ﷺ كان يضع فاه على موضع هٰذا القضيب .

وقالت حفصة بنت سيرين عن أنس بن مالك : جيء برأس الحسين إلى آبن زياد . فقال : ما رأيتُ مثل هٰذا حسناً .

قلت له : أما إنّه كان أشبهَهُم برسول الله ﷺ .

وقال أنس بن مالك : شهدتُ عبيد الله بن زياد حيث أتي برأس الحسين .

---

(1) كلمة أخرى غير مفهومة ، وأخذنا بقراءة الطبريّ ، 5/ 457 إلّا في الشجاعة ، فالمقصود في رأينا هو سجع الكهّان ، وإن كانت القواميس لا تقرّ السجاعة مصدراً .

(2) البيت للحصين المرّي كما سيأتي ص 602 ، وهو في المفضّليّات ص 105 من طبعة أوربّا .

فجعل ينكت بقضيب معه على أسنانه ويقول : إن كان لحسنَ الثغر .

(قال : فقلت : والله لأَسُوؤنَّك !) فقلت : أما إنّي قد رأيت رسول الله يقبّل موضع قضيبك من فيه .

فأمر ابن زياد برأس الحسين فنصب على خشبة .

قال الشعبيّ : رأس الحسين أوّل رأس حمل في الإسلام .

وأمر ابن زياد بحبس من قُدم به عليه من بقيّة أهل الحسين معه في القصر . فقال ذكوان أبو خالد : خلّ بيني وبين هٰذه الرؤوس فأدفنَها .

ففعل . فكفّنها ودفنها بالجبّانة . وركب إلى أجسادهم فكفّنهم ودفنَهم .

قال المسعوديّ : ودفن أهل الغَاضِريّة – وهم قوم من بني أسد – الحسين وأصحابَه بعد قتلهم بيوم[1] .

وأقبل عمر بنُ سعد فدخل الكوفة وقال : ما رجع رجلٌ إلى أهله بشرٍّ ممّا رجعتُ به : أطعتُ ابن زياد ، وعصيتُ الله ، وقطعت الرحم .

وقدم رسول يزيد بن معاوية يأمر ابنَ زياد أن يرسل إليه بثقل الحسين ، ومَن بقي من ولده وأهل بيته ونسائهم . فأسلفهم أبو خالد ذكوان عشرة آلاف درهم فتجهّزوا بها .

وقد كان ابن زياد لمّا قُتل الحسين بعث زحر بن قيس الجعفيّ إلى يزيد يخبره بذلك . فقدم عليه ، فقال : ما وراءك ؟

حسن معاملة يزيد بن معاوية لأهل الحسين

قال : يا أمير المؤمنين أبشر بفتحِ الله ونصره : ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته ، وفي سبعين من شيعته ، فسرنا إليهم فخيّرناهم الاستسلام والنزول على حكم عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال على

(1) مروج ، 3/ 259 .

الاستسلام . فناهضناهم عند شروق الشمس وأطفنا بهم من كلّ ناحية . ثمّ جرّدنا عليهم السيوف اليمَانيّة ، فجعلوا يهربون إلى غير وزَر ، ويلوذون منّا بالآكام والحُفَر ، لواذاً كما لاذ[ت] الحمائم من صقر ، فنصرَنا الله عليهم . فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلّا جزْرَ جزور أو نَوْمةَ قائل حتى كفى الله المؤمنين مؤونتهم ، فأتينا على آخرهم . فهاتيك أجسادهم مطرّحة مجرّدة ، وخدودُهم معفّرة ، ومناخرهم مُرَمّلة ، تسفي عليهم الريحُ ذيولَها بقيٍّ[1] سبسب تنتابهم عرج الضبّاع ، زوّارهم العقبان والرّخم .

فدمعت عينا يزيد وقال : قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين .

ثمّ قال : كذلك عاقبة البغي والعقوق – وتمثّل [سريع] :

مَن يَذقِ الحربَ يجدْ طعمَها مرًّا وتترُكْهُ بجعجاع

[403ب] وقيل : قال يزيد وقدم برأس الحسين محفّز / – هو محفّز بن ثعلبة بن مرّة ابن خالد بن عامر بن قنان بن عمرو بن قيس بن الحرث بن مالك بن عبيد بن خزيمة بن لؤي بن غالب بن فهر – وقيل له : « العائذي » من أجل أنّ الحرث ابن مالك بن عبيد أمّه عائذة بنت الخمس بن تحافة بن خثعم ، وبها يعرفون العائذي عائذة قريش – على يزيد ، فقال : أتيتُك يا أمير المؤمنين برأس أحمق الناس وألأمهم .

فقال يزيد : ما ولدت أمّ محفّز ألأمُ وأحمقُ . – ثمّ قرع بالخيزرانة بين شفتَي الحسين وأنشد بيت الحصين بن الحمام المرّيّ : يفلّقن هاماً ... إلى آخره .

فقال له رجلٌ من الأنصار : ٱرفع قضيبك ، فإنّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّل الموضعَ الذي وضعتَه عليه .

ثمّ أُتيَ يزيد بثقل الحسين ومَن بقيَ من أهله ونسائه ، فأدخلوا عليه وقد قرنوا بالحبال فوقفوا بين يديه . فقال له عليّ بن الحسين : أنشدك الله يا يزيد ،

---

(1) القيّ بالكسر : الاسم من قوِيت الدار : خلت ، وهو المكان البلقع . وهٰذا الوصف المتشفّي نقله الطبريّ ، 5/ 460 .

ما ظنّك برسول الله لو رآنا مقرّنين في الحبال ، أما كان يرقُّ لنا ؟

فأمر يزيد بالحبال فقطعت – وعُرف الانكسار فيه . وقالت له سكينة بنت الحسين : يا يزيد ، أبنات رسول الله سبايا ؟

قال : يا ٱبنةَ أخي ، هو والله عليَّ أشدُّ منه عليك – ثمّ قال : أقسمتُ بالله ، لو أنّ بين ابن زياد وبين حسين قرابة ، لما أقدم عليه ، ولكن فرّقت بينه وبينه سميّة .

وقال : قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين . فرحم اللهُ أبا عبد الله ! عجّل عليه ابنُ زياد . أما والله لو كنت صاحبَه ثمّ لم أقدر على دفع القتل عنه إلّا بنقص بعض عمري لأحببتُ أن أدفعه عنه ، ولوددت أن أُتيتُ به سالماً .

ثمّ أقبل على عليّ بن الحسين فقال : أبوك قطع رحمي ونَازَعني سلطاني فجزاه اللهُ جزاءَ القطيعة والإثم .

فقال علي بن الحسين : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ (الحديد ، 22) .

فقال يزيد لأبنه خالد بن يزيد : أجبه !

فلم يدرِ ما يردّ . فقال يزيد : ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى ، 30) .

فقام رجل من أهل الشام فقال : إنّ سبا[يا]هم لنا حلال .

فقال عليّ بن الحسين : كذبت ولـ[ـؤ]متَ ! ما ذاك لك إلّا أن تخرجَ مِن مِلّتِنا وتأتي بغير ديننا .

فأطرق يزيد مليًّا ثمّ قال للشاميّ : ٱجلس !

وفي رواية ، قام رجلٌ من الشام أحمر فقال : هب لي هٰذه الجارية – يعني

فاطمة بنت عليّ . فأرعدت ، فقالت زينب : كذبت والله ، ما ذلك لك ولا له !

فغضب يزيد وقال : إنّ ذلك لي ، لو شئت لفعلت .

فقالت : لا ، إلّا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا .

فغضب وقال : إنّما خرج من الدين أبوكِ وأخوكِ .

فقالت : بدين الله ، وبدين أبي وجدّي ٱهتديتَ أنت وأبوك وجدّك .

فقال : كذبت !

فقالت : أنت أمير [مسلّط] تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك .

فكأنّه ٱستحيى . وأعاد الشاميّ ، فقال : ٱغرب ! وهب الله لك حَتْفاً قاضياً !

إرجاع نساء الحسين إلى المدينة

ثمّ أمر بالنساء فأدخلن على نسائه . وأمر نساءَ أبي سفيان فأقمنَ المأتم على الحسين ثلاثة أيّام . فما بقيت منهنّ ٱمرأة إلّا تبكي وتنتحب على الحسين ثلاثًا . وبكت أمّ كلثوم بنت عامر بن كريز على الحسين ، وهي يومئذ عند يزيد بن معاوية . فقال يزيد : حقّ لها أن تُعوِل على كبير قريش وسيّدها .

وقالت فاطمة بنت عليّ لأمرأة يزيد : ما تُرك لنا شيء .

فأبلغت يزيد ذلك فقال يزيد : ما أتي إليهم أعظم . ثمّ ما ٱدّعَوا شيئاً ذهب لهم إلّا أضعَفَهُ لهم .

وقال : أتدرون مِن أيْن أُتي حسين ؟ لأنّه كان يقول : أبي خير من أبيه ، وأمّي خير من أمّه ، وجدّي رسول الله خير من جدّه ، وأنا خير منه . فأمّا قوله : أبي خير من أبيه ، فقد حاجّ أبي أباه إلى الله وعلم الناس أيّهما حُكم له . [وأمّا

قوله : أمّي خير من أمّه ، فلعمري فاطمة ابنة رسول الله ﷺ] خير من أميّ .
[وأمّا قوله : جدّي خيرٌ من جدّه ، فلعمري ما أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا نِدًّا . ولكنّه إنّما أُتي من قِبَل فقهه ولم يقرأ : ﴿ قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ (آل عمران ، 26) .

ثمّ دعا بعليّ بن الحسين ، وحسن بن الحسن ، وعمرو بن الحسن . فقال لعمرو بن الحسن – وهو يومئذ ابن إحدى عشرة سنة : أتصارع هٰذا ؟ – يعني خالد بنَ يزيد .

قال : لا ، ولكن أعطني سكّيناً وأعطه سكّيناً حتّى أقاتله .

فضمّه إليه يزيد وقال : شنشنة أعرفها من أخزم ! هل تلد الحيّة إلّا الحيّة ؟ .

ثمّ بعث يزيد إلى المدينة فقدم / عليه بعدّة من ذوي السنّ من موالي [404 أ] هاشم ، ثمّ من موالي عليّ رضي الله عنه ، وضمّ إليهم عدّة من موالي أبي سفيان . ثمّ بعث بثقل الحسين ومن بقي من نسائه وأهله وولده معهم ، وجهّزهم ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلّا أمر لهم بها .

وكان يزيد يدعو عليّ بن الحسين لغدائه وعشائه . وقال لعليّ بن الحسين : إن أحببتَ أن تُقيم عندنا فنصل رحمك ونعرف لك حقّك ، فعلتَ . وإن أحببت أن أردّك إلى بلادك وأهلك ؟

قال : بل تردّني إلى بلادي .

فردّه إلى المدينة ووصله .

ويقال : لمّا أدخِل ثقَل الحسين على يزيد وضع رأسه بين يديه وبكى . وقال :

يفلّقن هاماً من رجال أحبّةٍ إلينا ، وهم كانوا أعقّ وأظلما

أما والله لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك أبداً .

فقال علي بن حسين : ليس هكذا .

فقال : فكيف يا ٱبن آدم ؟

قال : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ ولا في أَنْفُسَكُمْ إِلاَّ فى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ﴾ (الحديد ،22) .

فقال عبد الرحمان بن الحكم [أخو مروان بن الحكم – طويل] :

لهام بجنب الطفّ أدنى قرابة من ابن زيادِ العبدِ ذي النسب الوغلِ
سُميّةُ أمسى نسلُها عددَ الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل

فرفع يزيد يده فضرب صدر عبد الرحمان وقال : ٱسكت !

وقيل : قال يزيد [رمل] :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهـلّوا وٱستهلّوا فـرحـاً ثمّ قالوا : يا يزيد لا تَسَلْ
لست من عتبة إن لم أثّر من بني أحمد ما كان فعل

وأمر الرسل الذين وجّههم معهم أن ينزلوا بهم حيث شاؤوا . وبعث بهم مع محرز بن حريث بن مسعود الكلبيّ ، ورجلٍ من بهراء . وكانا من أفضل أهل الشام . فلمّا مرّوا بالكوفة بكى الناس . فقالت أمّ كلثوم بنت عليّ : فمَن قتلنا إذن ؟ ابكوا ، فلا رقأت الدمعة يا فضّة على ملحودة الجص ! – والملحودة القبر ، شبّهتهُم بالقبر المجصّص الذي ظاهره أبيض وباطنه مخالف .

عداوة مروان بن الحكم لآل البيت

وبعث يزيد برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، وهو عامل له يومئذ على المدينة . فقال عمرو : وددت أنّه لم يبعث به إليّ .

فقال مروان : اسكت ! – ثمّ تناول الرأس فوضعه بين يديه وأخذ بأرنبته وقال [رجز] :

يا حبّذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدّين
كأنّما بات بمسجدَين

والله كأنّي أنظر إلى أيّام عثمان .

وسمع عمرو بن سعيد الصيحةَ من دور بني هاشم فقال متمثّلاً [كامل] :

عجّت نساء بني زبيد عجّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

(والشعر لعمرو بن معدي كرب في وقعة كانت بين زبيد وبين بني الحارث ابن كعب)[1] .

ثمّ خرج عمرو بن سعيد إلى المنبر ، فخطب الناس ، ثمّ ذكر الحسين وما كان من أمره . ثمّ قال : والله لوددتُ أنّ رأسه في جسده وروحه في بدنه ، يسبّنا ونمدحه ، ويقطعنا ونصله ، كعادتنا وعادته .

فقام ابن أبي حبيش ، أحد بني أسد بن عبد العزّى بن قصيّ فقال : أما لو كانت فاطمة حيّة لأحزنها ما ترى !

فقال عمرو : اسكت لا سكتتَ ! أتنازعني فاطمة ، وأنا من عقر ظهرها ؟ والله إنّه لأبننا وإنّ أمّه لأبنتنا . أجل والله ، لو كانت حيّة لأحزنها

(1) هذا التوضيح مُدمَج في متن المخطوط ، ولعلّه حاشية من المقريزيّ أو غيره أقحمها الناسخ . والتعليق بعد موجود عند الطبريّ ، 5 / 466 .

قتلُه ، ثمّ لم تسلم من قتله .

فقال ابن أبي حبيش : إنّه آبن فاطمة . وفاطمة ابنة [خديجة] بنت خويلد آبن أسد بن عبد العزّى .

قال ابن أبي مليكة : بينما ابن عبّاس رضي الله عنه جالس في المسجد الحرام وهو يتوقّع خبر الحسين إذ أتاه آتٍ فسارّه بشيءٍ ، فأظهر الاسترجاع . فقلنا : ما حدث يا أبا العبّاس ؟

قال : مصيبة عظيمة عند الله نحتسبُها .

ولم يبرح حتى جاء ابن الزبير فعزّاه ، ثمّ انصرف . فقام ابن عبّاس فدخل منزله ، ودخل عليه الناس يعزّونه . فقال : إنّه ليعدل عندي مصيبة حسين شماتةُ ابن الزبير . أترَوْنَ مشيَ ابن الزبيّر إليّ [لـ]يعزّيَني ؟ إن ذلك منه إلّا شماتة .

ولمّا بلغ [مقتل] الحسين محمّدَ بنَ الحنيفة قال : قد قتلوا سبعة عشر شابًّا كلّهم قد / ارتكضوا في رحم فاطمة عليها السلام . [404ب]

وعن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمان قال : لقِيني رأس الجالوت فقال : والله إنّ بيني وبين داود لسبعين أباً ، وإنّ اليهود لتلقاني فتعظّمني . وأنتم ليس بينكم وبين نبيّكم إلّا أب واحدٌ ، قتلتم ولدَه .

قال أبو الأسود : وممّن طعن في سرادق الحسين عمر بن سعد . (قال) فرأيته هو وآبنَيه ضربت أعناقهم ، ثمّ علّقوا على الخشب وألهب فيهم النيران .

ولمّا بلغ مروان بن الحكم معسكر الحسين قال [رمل] :

أوقع الروميّ فيهم وقعةً أثبتت أوتادَ ملك فاستقرّ

وفي رواية : ضربت دوسر فيهم ضربة . . . (دوسر آسم كتيبة للنعمان)[1].

---

(1) البيت للمثقّب العبديّ - اللسان (دسر) .

الخوارق التي صحبَت مقتَل الحسين

وقد كان قتل الحسين رحمه الله ، من أعلام النبوّة ، أخبر به النبيّ ﷺ وكان كما أخبر :

روى عبد الله بن وهب عن زمعة قال : أخبرتني أمّ سلمة رضي الله عنها ، أنّ رسول الله ﷺ اضطجع ذات يوم للنوم فٱستيقظ وهو خاثر . ثمّ اضطجع فرقد ثمّ استيقظ وهو خاثر دون ما رأيت منه في المرّة الأولى . ثمّ اضطجع وٱستيقظ ، وفي يده تربة حمراء يقلّبها . فقلت : ما هٰذه التربة ، يا رسول الله ؟

فقال : أخبرني جبريل عليه السلام ، أنّ ٱبني هٰذا – [وأشار] للحسين – يقتل بأرض العراق ، فقلت : يا جبريل ، أرني تربةَ الأرض التي يقتل بها – فهٰذه تربتها (وتقدّم حديث أمّ الفضل) .

وروى ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : ٱستأذن ملك المطران أن يأتي رسول الله ﷺ فأذن له . فقال لأمّ سلمة : احفظي علينا الباب لا يدخلنّ أحد . (قال) فجاء الحسين بن عليّ فوثبَ حتى دخل . فجعل يقع على منكب النبيّ ﷺ . فقال الملك : أتحبّه ؟

فقال النبيّ ﷺ : نعم .

قال : فإنّ أمّتك تقتله . وإن شئتَ أريتكَ المكانَ الذي يُقتل فيه . (قال) فضرب بيده فإذا تراب أحمر . فأخذته أمّ سلمة فصرّته في طرَف ثوبها . فكنّا نسمع أنّ الحسين يقتل بكربلاء .

وروى أبو سلمة بن عبد الرحمان قال : كان لعائشة رضي الله عنها مشربة ، فكان رسول الله ﷺ إذا أراد لقاء جبريل لقيَه فيها . فرقيَها مرّة وأمر عائشة أن لا يطلع إليهم أحدٌ – وكان رأس الدرجة في حجرة عائشة . فدخل حسين بن عليّ فرقي ولم تعلم حتى غشيَهُمَا . فقال جبريل : مَن هٰذا ؟

قال : ابني - وأخذه رسول الله ﷺ وجعله على فخذه .

قال جبريل عليه السلام : سيقتل ، تقتله أمّتك .

فقال رسول الله ﷺ : أمّتي ؟

قال : نعم ، وإن شئت أخبرتُك بالأرض التي يقتل فيها .

فأشار جبريل بيده إلى الطفّ بالعراق فأخذ تربة حمراء فأراه إيّاها .

وروى الأعمش عن أبي وائل عن أمّ سلمة رضي الله عنها ، أنّها قالت : كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي رسول الله ﷺ في بيتي . فنزل جبريل عليه السلام فقال : يا محمّد ، إنّ أمّتك تقتل ابنك هٰذا من بعدك .

فبكى رسول الله ﷺ وضمّه . ثمّ قال : وضعت عندك هٰذه التربة . فشمّها رسول الله ﷺ وقال : ريح كرب وبلاء (. وقال :) يا أمّ سلمة إذا تحوّلت هٰذه التربة دماً فاْعلمي أنّ ابني قد قُتل .

فجعلتها أمّ سلمة في قارورة ثمّ جعلت تنظر إليها كلّ يوم وتقول : إنّ يوماً تحوّلين دماً ليومٌ عظيم - وفي الباب جماعة من الصحابة .

وروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال : لَيُقتَلَنَّ الحسينُ قتلاً وإنّي لأعرفُ تربة الأرض التي يقتل بها .

ولمّا قُتل الحسين عليه السلام ، ظهرت آيات عديدة . روى أبو نعيم : نا عبد الله بن حبيب ، وروى علي بن مسهر عن جدّته قالت : كنت شابّة لمّا قتل الحسين . فمكثت السماء سبعة أيّام بلياليها غلِقة .

وروى عليّ بن مدرك عن جدّه الأسود بن قيس قال : اْحمرّت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستّة أشهر كأنّها الدم .

تلوّنُ الكون بدم الحسين

وقال عيسى بن الحارث الكنديّ : لمّا قُتل الحسين مكثنا سبعة أيّام إذا صلّينا العصر نظرنا إلى الشمس على أطراف الحيطان كأنّها الملاحف المعصفرة ، ونظرنا إلى الكواكب يَضرب بعضُها بعضاً .

وعن نصرة الأزْديّة قالت : لمّا قتل الحسين مطرت السماء / دماً [405 أ] فأصبحت وكلّ شيءٍ لنا ملآنُ دماً .

وعن ابن سيرين قال : لم ترَ هٰذه الحمرة في آفاق السماء حتى قتل الحسين ٱبن علي رحمة الله عليه .

وقد نظم هٰذا أبو العلاء أحمد بن سليمَان المعرّي فقال [خفيف] :

وعلى الأفق من دماء الشهيدَيـ ـنِ عليّ وصنوه شاهدان[1]
فهما في اواخر الليل فجرا نِ وفي أُولياتِه شفقان

وروى عبد الله بن لهيعة عن أبي قبيل قال : لمّا قتل الحسين كسفت الشمس وبدت الكواكب نصف النهار .

وروى قطن بن بشير : ثنا جعفر بن سليمَان : حدّثتني خالتي قالت : لمّا قتل الحسين مُطرنا مطراً كالدم .

وقال مهدي بن ميمون : سمعت مروان مولى ابنة المهلّب قال : حدّثني أبو [...] أنّ عبيد الله بن زياد قال لمّا جيىء برأس الحسين فوضع : رأيت حيطان دار الإمارة تسايل دماً .

وقال حمّاد بن زيد عن معمّر قال : أوّل ما عُرف الزهريّ تكلّم في مجلس

---

(1) سقط الزند ، القصيدة 13 : علّلاني فإنَّ بيضَ الأماني . . . وفي الديوان : عليّ ونجلِه .

الوليد بن عبد الملك لمّا قال الوليد : أيّكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يومَ قُتل الحسين بن عليّ ؟

فقال الزهريّ : بلغني أنّه لم يُقلَب حجرٌ إلّا وُجد تحتَه دَمٌ عبيط .

الأنتقام الإلاهيّ من قاتليه

وروى مثلَه زيد بن عمرو الكنديّ ، وقال : حدّثتني أمّ حيّان قالت : يوم قتل الحسين أظلمت [الدنيا] علينا ثلاثاً . ولم يمسّ أحَدُهم من زعفرانهم شيئاً فجعله على وجهه إلّا آحترق ، ولم يقلب حجر بيت المقدس إلّا أصبح تحته دمٌ عبيط .

وقال أبو بكر الحميدي : ثنا سفيان قال : حدّثتني جدّتي قالت : لقد رأيت الورس عاد رماداً ، ولقد رأيت اللحم كأنَّ فيه النار حين قُتل الحسين . [وأخذوا جزوراً] يوم قُتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم فما آستطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً .

وقال فروة بن خالد عن أبي رجاء العطارديّ قال : لا تسبّوا أهل هٰذا البيت . فإنّه كان لنا جار لهج بهم فقال : أما ترون إلى هٰذا الفاسق ابن الفاسق قتله الله – يعني الحسين بن عليّ عليهما السلام – فرماه الله بكوكبين[1] في عينيه فعمي .

وعن السدّيّ : أتيت كربلاء أبيع البزّ بها ، فعمل لنا شيخٌ من طيّىء طعاماً . فذكرنا قتل الحسين فقلنا : ما شرك أحدٌ في قتله إلّا مات بأسوإ ميتة .

فقال : ما أكذبَكم ! أنا ممّن آشترك في قتله .

فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو يبعد فسقط فذهب يخرج الفتيلةَ

(1) الكوكب : غشاء أبيض على إنسان العين .

بإصبعه فأخذت النار منها ، فذهب يُطفئُها بريقه فأخذت النار في لحيته ، فعدا فألقى بنفسه في الماء ، فرأيته كأنّه حمّة .[1]

وعن عطاء بن السائب أنّ رجلاً قال للحسين : آبشر بالنار !

فقال : آبشر بربٍّ رحيم ، وشفيع مطاع ! من أنت ؟

قال : أنا جويرة .

فقال : اللهمّ جرّه إلى النار !

فنفرت به الدابّة فتعلّقت رجله بالركاب فوالله ما بقي عليها منه إلّا رجلُه .

وقال ابن عيينة : حدّثتني جدّتي أمّ أبي قالت : شهد رجلان من الجعفيّين قتلَ الحسين . فأمّا أحدُهما فطال ذكَره [حتى] كان يلفّه . وأمّا الآخر فكان يستقبل الراوية بفيه حتى يأتي على آخرها . (قال سفيان :) رأيت ابن أحدهما مجنونا .

وعن سهر بن حوشب قال : إنّا لعند أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ فسمعتُ صارخةً فأقبلَتْ حتى آنتهَتْ إلى أمّ سلمة فقالت : قتل الحسين .

قالت : فعلوها ، ملأ الله بيوتَهم وقبورهم عليهم ناراً — ووقَعَت مغشيًّا عليها ، فقمنا .

وروى أبو نعيم الفضل بن دكين : ثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال : أوحى الله إلى نبيّكم : إنّي قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً . وإنّي قاتل بآبن آبنَتِك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً — خرّجه الحاكم .

وقال حمّاد بن سلمة عن عمّار بن أبي عمّار عن أمّ سلمة أنّها سمعت الجنّ تنوح على الحسين .

---

(1) أو جمّة ، مجتمع النار .

وقال عمرو بن ثابت عن حبيب بن أبي ثابت عن أمّ سلمة أنّها قالت : ما سمعت نوح الجنّ منذ قبض النبيّ ﷺ إلّا الليلة ، وما أرى [ٱبني][1] إلّا قد قُتل - تعني الحسين . فقالت لجاريتها : ٱخرجي فسلي . فأخبرت أنّه قد قتل ، وإذا جنّيّة تنوح [وافر] :

[405ب] أيا عيني ألا ٱحتفلي بجهد ومن يبكي على الشهداءِ بعدي /
على رهط تقودهمُ المنايا إلى متجبّرٍ في ملك عبد

وقال عطاء بن مسلم عن أبي حبال الكلبيّ قال : أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب بها : بلغني عنكم أنّكم تسمعون نوح الجنّ؟

فقال : ما تلقى حرًّا أو عبداً إلّا أخبرك أنّه سمع ذلك .

قلت : فأخبرني ما سمعت أنت .

فقال : سمعتهم يقولون [كامل] :

سبط الرسول حبيبُه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريـ ـشٍ ، جدّهُ خيرُ الجُدود

وقال ابن لهيعة عن أبي قبيل : لمّا قتلوا الحسين احتزّوا رأسه وقعدوا في أوّل المرحلة يشربون النبيذ . فخرج عليهم قلَم من حائط فكتب بسطر دم [وافر] :

أترجو أُمّةٌ قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب ؟

فهربوا وتركوا الرأس . ثمّ رجعوا .

مصير رأس الحسين

وقد ٱختلف الناس في رأس الحسين عليه السلام . فقيل إنّ يزيد بن معاوية

(1) الزيارة من مختصر تاريخ دمشق ، 7 / 154 .

بعث به إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو عامل له يومئذ على المدينة فكفّنه عمرو ودفنـ[ـه] بالبقيع عند قبر أمّه فاطمة عليها السلام .

وقيل : بل علّق يزيد الرأسَ بدمشق ثلاثة أيّام ، وأنّه مكث في خزائن السلاح حتى ولي سليمَان بن عبد الملك الخلافة ، فبعث فَجيىءَ به وقد بقي عظماً أبيض ، فجعله في سفط وطيّبه وكفّنه ودفنه في مقابر المسلمين . فلمّا زالت دولة بني أميّة وقدم بنو العبّاس إلى دمشق ، سألوا عن موضع الرأس ونبشوه وأخذوه ، والله أعلم ما صُنع به .

وقال قوم بأنّ الرأس صار إلى مدينة عسقلان فدُفن هناك إلى أن كانت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة [فـ]ـخرج الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجماليّ من القاهرة ودخل عسقلان وأخرج الرأس من مكان دارس وعطّره وحمله في سفط إلى دار وعمّر مشهداً ، وحمل الرأس على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أحلّه في مقرّه . ثمّ نقل الرأس من عسقلان فوصل إلى القاهرة في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، أحضره الأمير سيف المملكة تميم والي عسقلان ، والقاضي المؤتمن بن مسكين مشارِفُها ، وجعل في القصر يوم الثلاثاء عاشره . وبنى له الموضع المعروف بالمشهد الحسينيّ من القاهرة . ومن الناس مَن يثبت أنّ هٰذا هو رأس الحسين ، ومنهم من ينفي ذلك .

قال ابن عبد الظاهر : وسمعت من يحكي حكاية يستدلّ بها على بعض شرف هٰذا الرأس المبارك ، وهي أنّ السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيّوب لمّا أخذ أهل القصر وشي له بخادم له قدر في الدولة المصريّة ، وكان زمام القصر . وقيل إنّه يعرف الأموال التي بالقصر والدفاتر . فأُخذ وسُئل فلم يثب[1] بشيء وتجاهـ[ـل] فأمر نُوّابَه بتعذيبه ، فأخذه متولّي العقوبة ، وجعل على رأسه خنافس وشدّ عليها -يعني ألبسه طاسة نحاس بعدما حلق رأسَه ووضع عليها

(1) فلم يثب بـ . . . : لم نسجد لها معنى في المعاجم .

الخنافس لتنقب رأسه ، وهٰذا أشدّ العقوبات ، والإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلّا تنقب دماغه وتقتله . ففعل ذلك به مراراً وهو لا يتأوّه ، وتوجد الخنافس ميتة . فعجب من ذلك وأحضره وقال له : هٰذا سرّ فيك لا بدَّ أن تعرّفني به .

فقال : والله ما سبب هٰذا إلّا أنّي لمّا وصل رأس الإمام الحسين عليه السلام حملتُه .

قال : وأيّ سبب أعظم من هٰذا ؟

وراجع في أمره فعفا عنه .

إعفاء قبره بكربلاء

وأمّا قبر الحسين فإنَّ جثّته دُفنت بالطفّ ، وصار الناس يزورون قبرَه ويتبرّكون به إلى أن كانت سنة ستّ وثلاثين ومائتين [فـ]ـأمر الخليفة المتوكّل على الله أبو الفضل جعفر ابن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بهدمِه . فهدم القبرُ وما حولَه من المنازل والدور . وبُذر وسُقي موضع القبرِ ومنع الناس من إتيانه ، ونودي في الناحية : من وجدناه عند قبره بعد ثالثه بعثنا به إلى المطبق – فهرب الناس منه .وآمتنعوا من المصير إليه . وحُرث الموضع وزُرع ما حوله . فقال عليّ بن محمد بن هشام [كامل] :

[406 أ] / تاالله إن كانت أميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هٰذا لعمرُك قبرُه مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا في قتله فتتبّعوه رميمَا

وروى عن أبي بكر بن عيّاش عن عبد الله بن عمر قال : دخلت القصر ، فرأيتُ رأس الحسين بن عليّ على ترس .

بعض ما رُثي به

وقال أبو الأسود الدؤليّ في قتل الحسين [وافر] :

أقول وزادني جزعًا وغيظاً　　أزال الله ملكَ بني زياد
وأبعدهم كما غدروا وخانوا　　كما بعُدت ثَمودُ وقوم عادِ
ولا رجعت ركابُهُمُ إليهم　　إذا [و]قفت إلى يوم التنادي

وقال سليمَان بن قتة يرثيه [طويل] :

وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم　　أذلّ رقاباً من قريش فذلّت
فإن يتغوه عائذ البيت يصبحوا　　كعاد تعمّت عن هداها فضلّت
مررتُ على أبيات آل محمّد　　فألفيتُها أمثالها حيث حلّت
وكانوا لنا غنماً فعادوا رزيّة　　لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها　　وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت
إذا ٱفتقرت قيس جبرنا فقيرها　　وتقتلنا قيس إذا النعل زلّت
وعند غنيّ قطرة من دمائنا　　سنجزيهمُ يوماً بها حيث حلّت
ألم ترَ أنّ الأرض أضحت مريضة　　لفقد حسين ، والبلاد اقشعرّت ؟

وقال السيّد الحميريّ[(1)] ، واسمه إسماعيل بن [محمدبن يزيد] [كامل] :

ٱمرر على جدَث الحسيـ　　ـن فقل لأعظمِه الزكيّة
يا أعظماً لا زلت من　　وطفاء ساكنة رويّة
وإذا مـررت بـقبره　　فأطل به وقفَ المطيّة
وٱبكِ المطهّرَ للمطَـ　　ـهّـرِ والمطـهّـرَة التقيّة
كبـكاء معولة أتت　　يـوماً لـواحدها المنيّة

(1) الإكمال من الأعلام ، 1 / 320 ، وتوفّي هٰذا الشاعر الشيعيّ سنة 173 .

وقالت رملة بنت عقيل بن أبي طالب [بسيط] :

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم   ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي عند مفتقدي   منهم أسارى وقتلى ضرّجوا بدم
ما كان هٰذا جزائي إذ نصحتُ لكم   أن تخلفوني بشرٍّ في ذوي رحمي

1251 – جمال الدين السبكي [722 – 755][1]

الحسين بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام ، جمال الدين ، أبو الطيّب ، ابن قاضي القضاة تقيّ الدين ، السبكيّ ، الشافعيّ

ولد في رجب سنة ٱثنتين وعشرين وسبعمائة . وحضّره أبوه على جماعة من المشايخ . وحضر البخاري على الحجّار[2] لمّا ورد القاهرة . وسمع على يونس الدبابيسيّ وغيره ، وطلب العلم . وتفقّه على مجد الدين الزنكلونيّ . وأخذ النحو عن أبي حيّان – أكمل عليه التسهيل – وأخذ الأصلين عن الأصفهانيّ[3]. وأحكم العروض وأتقنه على أبي عبد الله / بن الصائغ . وتوجّه مع أبيه إلى دمشق وطلب [406ب] الحديث بنفسه ، وقرأ على المزّيّ . وقرأ الفقه على شمس الدين محمد بن بي بكر ٱبن إبراهيم بن النقيب[4].

ثمّ عاد إلى القاهرة ودرّس بالكهاريّة ، وأعاد بدرس القلعة عند بهاء الدين ابن عقيل . ومضى إلى أبيه وناب عنه في الحكم بدمشق ، ودرّس بالدماغيّة والشاميّة والعذراويّة[5].

---

(1) حسن المحاضرة ، 1/ 436 (179) – شذرات ، 6/ 177 – طبقات ابن قاضي شهبة ، 3/ 25 (590) – طبقات أخيه التاج عبد الوهاب ، 2/ 411 (1351) .

(2) مرّت ترجمة الحجّار برقم 454 .

(3) أبو بكر بن إسماعيل الزنكلونيّ (ت 740) . ومحمود بن عبد الرحمان الأصفهانيّ (ت 749) . أمّا أبو حيّان فهو الأثير محمد بن يوسف صاحب الترجمة رقم 3600 من المقفّى (ت 745) .

(4) محمود بن محمد المزّي (ت 742) ومحمد بن أبى بكر ابن النقيب (ت 745) .

(5) المدرسة الكهاريّة بحارة الجوذريّة من القاهرة – الخطط 3/ 66 . أمّا الدماغيّة والشاميّة =

وكان من الأذكياء يستحضر التسهيل والحاوي استحضاراً عجيباً[1]

وتوفّي يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبعمائة بدمشق ، [ودفن بتربتهم بقاسيون] .

ومن شعره ملغزاً في ريباس[2] [بسيط] :

لا ريبَ فيه وفيه الريبُ أجمعُه　　وفيه بأس ولين القامة النضرة

وفيه كلّ الورى لمّا تصحّفه　　في ضيعة ببلاد الشام مشتهرة

1252 – معزّ الدين ابن السديد العقيليّ [– 487][3]

الحسين بن علي بن محمد بن الحسن بن عيسى ، المنعوت بالوزير السيّد الأجلّ الكامل الأوحد العادل ، معزّ الدين ، صفيّ أمير المؤمنين وخالصته ، أبو عبد الله ، ابن أبي الحسن سديد الدولة ذي الكفايتين .

من أماثل الكتّاب وصدورهم . وله كتب مستحسنة ورسائل مدوّنة . وكان طبعه أغزر من أدبِه . وكانت إقامته بدمشق .

وخرج مع الأمير المؤيّد مصطفي الملك حيدرة بن حسين بن مفلح لمّا ولي إمرةَ دمشق من قِبل المستنصر ، ناظراً في أعمال الشام لأيّام مضت من شهر رجب سنة إحدى وأربعين وأربعمائة فأقام بها إلى أن اُستدعيَ إلى القاهرة ، وقلّد الوزارة في أيّام المستنصر بالله أبي تميم معدّ في ثاني شهر ربيع الأوّل سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وفي وزارته كانت الوقعة بين العبيد والأتراك . ثمّ صرف في ثاني شعبان [454] بأبي الفرج عبد الله بن محمد البابلي ، وعاد إلى ديوان الشام . ثمّ صار

= والعذراويّة في دمشق .

(1) التسهيل في النحو لابن مالك والحاوي الصغير في الفقه الشافعيّ لعبد الغفّار القزوينيّ (ت 665) .

(2) الريباس : نبت يشبه السلق ويصنع منه معجون حلو .

(3) اتّعاظ 2 / 264 .

إلى صور وأقام بها عدّة سنين . فلمّا فتحت كان من جملة مَن حمل إلى مصر . وتصرّف في مشارفة الإسكندريّة ثمّ صرف .

ومات في [...] سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

ومن شعره [متقارب] :

توصّل إلى ردّ كيد العدوّ توصّلَ ذي الحيلة الحازم
وصانعْ ببعض الذي حزتَه تعشْ عيشة الآمن الغانم
ودع ما تمتّ به في القديم وأعمل لذا الزمن القادم
لعلّك تسلم ممّا تخاف ولستُ إخالك بالسالم

1253 - الحسين بن علي بن النعمان [358 - 395]

الحسين بن علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون ، قاضي القضاة ، وداعي الدعاة ، أبو عبد الله ، ابن القاضي أبي الحسين ، ابن القاضي أبي حنيفة .

قدومهُ من المغرب وتولّيه القضاء

ولد ببلاد المغرب لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ثمان[1] وخمسين وثلاثمائة . وقدم مع أبيه وجدّه إلى القاهرة صغيراً في رمضان سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة ، فنشأ بها ، ونظر في فقه آل البيت الإسماعيليّة وصار من غلاة الشيعة .

وآستخلفه عمُّه قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن النعمان في الجامع للحكم بين الناس ، ثمّ صرفه عن خلافته بابنه عبد العزيز بن محمد[2] . فلمّا مات محمد

(1) في رفع الإصر لابن حجر (ذيل الولاة والقضاة ، 596) : ولد سنة 353 بالمهديّة .
(2) عوّض عبد العزيز بن محمد بن النعمان ابنَ عمّه الحسين في 10 جمادى الآخرة 377 ، (انظر الوفيات ، 5 / 421) .

ٱبن النعمان[1] استدعى الأستاذ برجوان[2] الحسين في يوم الأحد ثالث عشرين صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة إلى حضرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فولّاه القضاء وأضعف له أرزاقَ عمّه وصلاته وإقطاعاته ، وقال له : قد أزحتُ عِلّتَكَ"[3] فلا توجِدْني سبيلاً إليك بتعرّضك لدرهم من أموال المسلمين ، فقد أغنيتُك عنها .

وخلع عليه في القصر ثياباً بيضاً ، ورداءً محشًّى مُذهّباً ، وعمامةً مذهّبة ، وقلّدَه سيفاً ، وحمله على بغلة ، وقاد بين يديه بغلتين مسرجتين ملجمتين ، وحمل بين يديه ثياباً كثيرةً صحاحاً[4] .

وردّ إليه الحاكم بأمر الله الحكم بالقاهرة المعزّيّة ومصر / والإسكندريّة [407 أ] وأعمالها والحرمَين وأجناد الشام وأعمال المغرب كلّها ، و[النظر] على[5] المنابر وأئمّة المساجد الجامعة ، والقوَمة عليها ، والمؤذّنين بها ، وسائر المتصرّفين فيها وفي غيرها من المساجد ، والنظر في مصالحها جميعاً ، ومشارفة دار الضرب وعيار الذهب والفضّة .

ولم يظنّ أحد ذلك به لفقره وضعف حاله ، وكانت ظنون الناس سبقت إلى ولاية عبد العزيز بن محمد بن النعمان لما كان أبوه قرّره له في حياته وجعله إليه من خلافته .

فنزل الحسين من القصر إلى الجامع العتيق بمصر وقرىء سجّلّ ولايتِه على

---

(1) مات محمد بن النعمان في صفر 389 .

(2) أبو الفتوح الأستاذ بَرجَوان : تولّى أمر مصر في طفولة الحاكم وصارت إليه « الوساطة » أي الوزارة . وتخلّص منه الحاكم قتلاً في ربيع الثاني سنة 390 (انظر فصل « برجوان » بِدائرة المعارف الإسلاميّة) . وانظر ترجمته في المقفّى رقم 1018 .

(3) أزاح عِلّته فزاحت : أذهبها .

(4) ثياب « صحيحة » في الولاة والقضاة ، وتساءل المحقّق عن معناها كما نتساءل .

(5) كلمة غير واضحة ، والإصلاح من الكندي ، 597 .

المنبر . فنظر بين الناس ، وأوقف جماعةً من الشهود وندب منهم أربعة لكشف أحوال بقيّة الشهود . وألزم من كان ينظر في أموال الأيتام برفع حسابهم بعد أن رفع جماعة من الناس إلى الحضرة يسألون إيصالهم إلى حقوقهم وأموالهم التي كانت مودوعة عند العدول . وتولّى النظر في أمرهم فهد بن إبراهيم النصرانيّ كاتب الأستاذ برجوان .

محاسبتُه ورثة عمّه على مخلّفه

ورفع جماعة من الناس يسألون إعطاءهم أموالهم التي كانت مودوعة في مَوْدَع القاضي محمد بن النعمان . فأُحضر ابنُه عبد العزيز وكاتبُه أبو الطاهر بن السندي فسُئلا عن ذلك فذكر[ا] أنّ جميع ما كان في مودعه تصرّف فيه على سبيل القرض . فأحضر الأمناء وطولبوا أشدّ مطالبة ، ورسم عليهم فهد بن إبراهيم وٱعتقل بعضَهم ، وضيّق عليهم ، ووكّل بهم ، وطولب من في يده وديعة بحجّة ، فمنهم من أحضر حجّةً ، ومنهم من لم يحضر حجّةً فألزم بالقيام بمَا ثبت باسمه . وأمر الحسين ببَيْع ما خلّفه عمُّه محمد بن النعمان فحصل منه سبعة آلاف دينار وتسعة وثلاثون ديناراً ونصف وثلث دينار. فخرج الأمر من الحضرة بإضافة هٰذا المال إلى ما صحّ من الجهات المقبوضة من الأمناء ، فبلغ المجموع أحدَ عشرَ ألفَ دينار والكسرَ المذكورَ . وحضر القاضي الحسين مع شهوده بالقصر لقسم ذلك على الأيتام ، فكانت جملته مع ما وجَبَ لغيرهم من الغُيَّب تسعة آلاف دينار وأربعمائة وتسعة عشر ديناراً وثلث وربع دينار . فأمر القاضي باختيار موضع يكون مودعاً لأموال الأيتام ، فوقع الاختيار على مكان بزقاق القناديل حمل إليه ما قبض من أموال الأيتام ، ورسم بحضور خمسة من الشهود ليكونوا شهداء على ما يرد إليه ويخرج منه بحجج تكتب في ذلك وتثبت خطوطُهم عليه ، فكان هٰذا ممّا استحسِن من أعمال القاضي الحسين ، وهو أوّل من عمل للأيتام مودعاً توضع فيه أموالهم .

وجَعَلَ على خلافته بمصر أبا عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر[1] . وعلى خلافته بالقاهرة أبا الحسن مالك بن سعيد الفارقي[2] وعلى خلافته في الفرض والنظر بين المتحاكمين إذا غاب الحسين بن طاهر أبا العبّاس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوّام[3] . وٱستكتب أبا طاهر زيد بن أحمد بن السندي ، وأبا القاسم عليّ بن عمر الورّاق . وجعل لأخيه أبي المنذر النعمان بن علي النظرَ في العيار ودار الضرب وخلافتَه على الحكم بالإسكندريّة وأعمالها .

وٱنبسطت يد القاضي الحسين في الأحكام ، ونظر فيها بصرامة وشدّة . ثمّ قبل شهادة كلّ مَن توقّف في قبول شهادته ، وعدّل آخرين . وأقام على بابه حاجباً .

وفوّض إليه من القضاء أمرَ الدعوة وقراءة الدعوة في المجالس بالقصر وكتابتها . وشرّفه الحاكم بأمر الله أيّام الأعياد بالصعود معه إلى المنبر وقت الخطبة مع من يصعد . فعلت منزلتُه إلى الغاية .

وفي ثالث جمادى الأولى زلّ لسان رجل مخاصم[4] في مجلس القضاء . فأمر القاضي الحسين به فضرب في الشرطة ألفاً وثمانمائة سوط ودرّة . وطيف به فمات . وشهد أكثر الناس من أهل البلد جنازته وزاروا قبره بكرة وعشيًّا فندم القاضي على فعله فيه .

التنافس مع ابن عمّه على القضاء

وفي ثالث رجب سنة تسعين وثلاثمائة . فوّض الحاكم بأمر الله للقاضي أبي

(1) في رفع الإصر (الولاة والقضاة ، 595) : الحسين بن محمد بن طاهر نقيب الأشراف .

(2) مالك بن سعيد الفارقي : يخلف عبد العزيز بن محمد بن النعمان (انظر ترجمته في رفع الإصر ، الكندي ، 603) .

(3) أحمد بن أبي العوّام له أيضاً ترجمة (الولاة والقضاة ، 496) وقد خلَف مالك بن سعيد في شعبان 405 .

(4) هذا المغبون سمّاه ابن حجر (الكندي ، 597) : الحسن المغربيّ .

القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان النظر في المظالم وأذن له أن يسمع البيّنة فيها . فقبل جماعة من الشهود اختارهم بعدما راسل قوماً وٱمتنعُوا من الشهادة عنده ، رغبةً منهم في الشهادة عند قاضي القضاة الحسين . فوقع بذلك بين

[407ب] الناس / اختلاف ، وصار مَن رفع غريمَه إلى الحسين يُريدُ خصمُه عبدَ العزيز ، ومن خاصم إلى عبد العزيز طلب غريمه إلى الحسين ، ولا تزال الشرور بين الناس بهٰذا السبب . وصار عبد العزيز إذا جلس بالجامع حضر الشهود عنده ولا يحضر أحدٌ عند الحسين ولا يصير إلى داره .

وفي تاسع صفر سنة إحدى وتسعين [وثلاثمائة] ، قام رجل مغربي[1] إلى القاضي حسين وهو في صلاة العصر بالجامع فضربه بحديدة في جبهته ، وجرحه ثلاث جراحات ، فثار الناس به وضجُّوا ضجّةً عظيمةً وبطشوا بالرجل فمات لوقته وبقي مطروحاً إلى العشاءِ ثمّ صُلبَ فسرق بعد عشرة أيّام في الليل . ولزم القاضي داره لما به وعاده سائر أهل الدولة . ثمّ ركب في الخامس من ربيع الأوّل إلى القصر ، فخُلع عليه وقيد بين يديه بغلتان بسروجها ولجمها ، وحملت عدّة خلع على أيدي الخدّام إليه .

وقبض على رجل من أهل الشام سُئل عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : « لا أعرفه » . فٱعتقله القاضي وبعث إليه أربعةً من الشهود فسألوه عن عليّ رضي الله عنه ، فأقرّ بالنبيّ ﷺ وأنّه نبيٌّ مُرسل وقال : « لا أعرف علي بن أبي طالب » . فاستدعاه قائد القوّاد الحسين بن جوهر ورفق به فلم يرجع فضربَ عنقَه بأمر الحاكم وصلب[2] .

---

(1) عند ابن حجر (الكندي ، 596) : رجل مغربيّ أندلسيّ ، طعن القاضي بِمنجل .

(2) هذا الشاهد على التعسّف المذهبيّ لم يذكره أبن حجر في ترجمة قاضي القضاة .

وعلى العكس ، نجد عند ابن خلدون شيخ المقريزي كما يقول صاحب المقفّى ، نصّ رسالة من الحاكم إلى رعاياه هي مثالٌ في التسامح المذهبيّ وإقرارٌ لحرّيّة الناس في معتقدهم وطقوسهم . وجاءت الرسالة كردّ فعل من الخليفة الفاطميّ واستنكار منه لسلوك « جماعة من الروافض تعرّضوا لأهل السنّة في التراويح بالرجم ، وفي الجنائز . فكتب في ذلك سجلًّا =

قُرِىء على المنبر بِمصر ، كان فيه :

« أمّا بعد ، فإنَّ أمير المؤمنين يتلو عليكم آيةً من كتاب الله المبين : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الآية (البقرة ، 256) . مضى أمس بِما فيه ، وأتى اليوم بِما يقتضيه . معاشر المسلمين ، نحن الأئمّة وأنتم الأمّة . ألا مَن شهّد الشهادتَين أحقّ أن لا تُحَلَّ له عُروة ، ولا توهن قوّة بين اثنين تجمَعُهُما هذه الأخوّة ، عصَمَ الله بها مَن عصم ، وحرّم لها ما حرّم ، من كل محرّم ، من دم ومالٍ ومنكح . الصلاح والإصلاح بين الناس أصلح ، والفساد والإفسادُ من العباد يستقبَحُ .يُطوى ما كان فِيما مضى فلا يُنشر ، ويُعرضُ عمّا انقضى فلا يُذكَرُ ، ولا يُقبل على ما مرّ وأدْبَر ، من إجراء الأمور على ما كانت عليه في الأيّام الخالية ، أيّام آبائنا الأئمّة المهتدين ، سلام الله عليهم أجمعين ، مَهديّهم بالله ، وقائمهم بأمر الله ، ومنصورهم بالله ، ومعزّهم لدين الله ، وهم إذ ذاك بالمهديّة والمنصوريّة ، وأحوال القيروان تجري فيها ظاهرةً غير خفيّة ، ليست بِمستورةٍ عنهم ولا مطويّة .

« يصومُ الصائمون على حسابهم ويفطرون ، ولا يُعارَضُ أهلُ الرؤية فِيما هم عليه صائمون ومُفطرون .

« صلاة الخمس للّذين بها جاءهم ، فبها يصلّون ، وصلاةُ الضُحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ، ولا هم عنها يُدفَعُون .

« يخمّسُ في التكبير على الجنائز المخمّسون ، ولا يمنع من التكبير عليها المربِّعون . يؤذّن بحيّ على خير العمل المؤذّنون ، ولا يُؤذى مَن بها لا يُؤذّنون .

« لا يُسَبُّ أحدٌ من السلف ، ولا يحتسَبُ على الواصفِ فيهم بِما يصف ، والخالفُ فيهم بِما خلف .

« لكلّ مسلم مجتهدٍ في دينه اجتهادُه ، وإلى الله ربّه ميعادُه ، عنده كتابُه ، وعليه حسابُه .

« ليكُن ، عبادَ الله ، على مثلِ هذا عملُكُم منذ اليوم ، لا يستعلي مسلم على مسلم بِما اعتقدَه ، ولا يعترض معترض علىَ صاحبه فِيما اعتمَدَه من جميع ما نصّه أمير المؤمنين في سجلّه هذا . ﴿يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لا يَضُرُّكُم مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ ، إلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة ، 105) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتُهُ » .

« وكتب في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة » تاريخ ابن خلدون ، 4/ 60 .

وقد نقل الداعي إدريس أيضاً هذا السجلّ في صورة مقتضبة (عيون الأخبار ، السبع السادس ، نشر مصطفى غالب ، 293) .

وهذا المنشور لا يبرّىء الحاكم من التعصّب الحزبيّ ولا من التصرّفات القاسية ، ولكنّه يدعو الدارسَ المحايدَ النزيه إلى التلطّف في قبول الأحكام أو إصدارها .

إقراره على القضاء ثمّ صرفه

وكثر كلام الناس في أمر القضايا والأحكام والظلامات ، وما يجري بينهم من الاختلاف في الترافع إلى قاضي القضاة الحسين ، وإلى عبد العزيز . فكتب الحاكم بخطّ يده بعد البسملة : « يا حسين ، أحسنَ الله إليك ، اتّصل بنا ما جرى من شناعات العوامّ ، ومَن لا خيرَ فيه ، وإرجافهم ، فأنكرنا أن يجري مثلُه فيمَن يحلّ محلّك من خدمتنا : كنت قاضيَنا وداعيَنا وثقتَنا . ونحن نتقدّم بمَا يزيل ذلك ، ولم نجعل لأحدٍ غيرك نظراً في شيءٍ من القضايا والحكم ، ولا في شيءٍ ممّا استخدمناك فيه ، ولا مكاتبة أحدٍ من خلفائك بالحضرة وغيرها وسائر النواحي ، ولا يكاتب أحداً منهم غيرُك . ومن تسمّى غيرك بالقضاء ، فذلك على المجاز في اللفظ ولا على الحقيقة ، وقد مَنعنا غيرَك أن يُسجّل في شيءٍ فنتقدّم إلى جميع الشهود والعدول بأن لا يشهدوا في سجلّ لأحدٍ سواك . وإن تشاجر خصمان فدُعي أحدهما إليك ودعا[1] الآخر إلى غيرك، كان الداعي إلى غيرك عليه الرجوع إليك طائعاً أو مُكرهاً . فأجرِ على ما أنت عليه من تنفيذ القضايا والأحكام ، مستعيناً بالله عزّ وجلّ ، ثمّ نناولك من جميل رأينا فيك ما يسعدك في الدنيا والآخرة . وقد أذنّا لك أن تكاتب جميع من يكاتب القاضي بـ « قاضي القضاة » ، كما جعلناك ، ويُكاتبُكَ جميعُ من تكاتبه بذلك وتكتب به في سجلّاتك . فاعلم ذلك ، وأشهِر أمرنا بجميع ما يقتضيه هٰذا التوقيع ليُمتَثَل ، ولا تتجاوزْ ! وفّقك الله لرضاه ورضانا ، وأيّدك على ذلك وأعانك عليه إن شاء الله تعالى . وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم تسليمًا » .

فقرأه القاضي على سائر الشهود ، وأمر أن يكتب في سجلّاته « قاضي القضاة » وكُوتِب بذلك وكُتِب عنه . فلم يزل على ذلك إلى أن صرفَه الحاكم بأمر الله في يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة أربع وتسعين [وثلاثمائة] ،

(1) هٰكذا بالمدّ .

وهو جالس في داره يتصرّف في الأحكام على حين غفلة ، فلم يشعر إلّا وقد قيل له : ولي عبد العزيز بن محمد بن النعمان ، وقد حضر الجامع مخلوعاً عليه .

فقال : يا قوم ، هٰذا والله محال ، لا حقيقة له ، ولعلّه قُلِّد غيرَ القضاءَ .

وبعث رسله فَسَمِعوا ما في سجلّه حتى أخبروه بصرفه عن القضاء بتولية عبد العزيز ، فقال : ما هٰذه الداهية على غفلة ؟ لا حول ولا قوّة إلّا بالله !

وأغلق بابه وصرف مَن عليه ، وسأل صاحبَين له مواصلتَه ، فلزم داره وقد اشتدّ خوفه . وكانت مدّة ولايتِه القضاءَ خمسَ سنينَ وستّة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً .

ثمّ قَتَلَه في سادس المحرّم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وأحرقه بعد قتله ، وهو أوّل قاضٍ أُحرِقَ بعد قتلِه .

وكانت له سِيَر وأنباء ، منها أنّه تولّى عقد نكاح حظيّة[1] الحاكم بأمر الله فخلع عليه وحمله ، ولم يحضر في ذلك غيره ، فركب إليه رجال الدولة وهنّؤوه .

شيء من أخباره

وكان يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقْرأ على الأولياء / والدعاة [408 أ] والمتّصلة[2] من مجالس الحكمة ، فكان يفرد للأولياء مجلساً ، وللخاصّة وشيوخ الدولة ومن يختصّ بالقصور من الخدم وغيرهم مجلساً ، ولعوامّ الناس والطارئين على البلد من النواحي مجلساً ، وللنساء في جامع القاهرة مجلساً ، وللخدم وخواصّ نساء القصر مجلساً . وكان يعمل مجالس الحكمة في داره ثمّ ينفذها إلى مَنْ يختصّ بخدمة الدولة . واتّخذ لهٰذه المجالس كتّاباً يُبيِّضُونَها بعد عرضها على الحاكم بأمر الله . وكان يثبت في كلّ مجلس منها ما يتحصَّل من مال النجوى[3]

---

(1) الكلمة غامضة ، ولعلّها « خطبة » مؤخّرة عن موضعها .

(2) لعلّه يعني بالمتّصلة خاصّة البلاط والخدم المقرّبين .

(3) النجوى : تبرّع مالي يساوي ثلاثة دراهم وثلث درهم يقدّمه المريد الذي يتعلّم أصول =

من كلّ من يدفع شيئاً من ذلك عيناً وورقاً من الرجال والنساء ، وتكتب أسماء مَن يدفع شيئاً زيادة على ما يدفَعُه . وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ، ويتحصّل عن ذلك مال جليل فيحمله إلى بيت المال شيئاً بعد شيءٍ .

ثمّ شرّفه الحاكم بأمر الله بالفطر معه في ليالي شهر رمضان سنة تسعين . وأصعده معه المنبر أيّام الأعياد . وخلع عليه بعد الضربة التي ضُرِبها في الجامع . وتقدّم إلى جماعة من شيوخ الأضياف [1] بالركوب معه في كلّ مجلس يجلس فيه ، وتقدّم إلى عدّة من الرقّاصين [2] أصحاب السيوف المحلّاة بالمشي بين يديه في كلّ يوم . وكان إذا حضر إلى الجامع العتيق بمصر وقام يصلّي ، وقف خلفه الأضيافُ صفًّا يسترونَه ، ولا يصلّي أحدٌ منهم حتى يفرغ من صلاته ويعود إلى مجلسه ، فيكونون قياماً عن يمينه وشماله إذا جلس ، وهو أوّل قاضٍ فُعل معه هٰذا . وهو أيضاً أوّل من كتب في سجلّاته « قاضي القضاة » .

ثمّ علت منزلته وتخصّص بالحاكم . وكان له عند الحاكم من يسدّ غيبتَه ويذكره بالجميل ويحسّن أفعاله ، وكان أشدّ الناس في ذلك الأستاذ ريدان الصقلبيّ والأستاذ ريحان اللحياني ، والأستاذ مفلح اللحيانيّ [3] ، فلا يزالون يعظّمون قدره ، ويشدّون أزره . فانبسطت يده وعظم شأنُه ، وأخذ في تعديل من يؤثر تعديله .

وأقطعُه الحاكم عدّة دورٍ ، منها دارٌ بالقاهرة قريبة من الخليج ، فكان

= الإسماعيليّة . انظر : القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، 498 هامش 1 .

(1) الأضياف : لعلّها لقب مخصوص بسامي الخدّام مثل ألفتكين الضيف (الكامل تحت سنة 393) ، وتعني هنا الحرّاس من العبيد .

(2) الرقّاص هو الساعي بالبريد بين الخليفة ورجال دولته .

(3) ريدان الصقليّ صاحب المظلّة ، هو الذي تولّى قتلَ برجوان . ومفلح اللحياني الخادم ولّاه الحاكم دمشق بعد تموصلت بن بكّار (اتّعاظ ، 1 / 302 ، وأمراء دمشق للصفدي ، 211) .

وريحان اللحياني خادم أيضاً ولكن لا نعرفه .

يركب النيل في عُشَارِيٍّ[1] ، ويعبر الخليج إليها ، ومعه جميع الشهود على دوابّهم بحافّة الخليج يسايرونه حتى ينزل بداره . ثمّ يركب منها إلى القصر ، فإذا قضى الخدمةَ عاد إلى الدار وركب منها إلى داره بالحمراء[2] .

ولاعَن في ولايته بين رجل وامرأةٍ[3] ، وضرب جماعة وشهّرهم على التزوير .

تشدّده وقساوته

وساير الحاكم في الموكب وهو بجانبه ، وقد شغل بمحادثته دون من عداه . فتجبّر وألزم الشهودَ بحضور مجلسه في داره وبالجامع على عادته ، وكان من أبطأ عن وقت الحضور وكَّل مَن يأخذ منه جعلاً جيّداً بسبب تخلّفه . وألزم كتّابه بالجلوس في داره لتوقيعات الناس وضروراتهم . وكان في داره جماعة يكتبون مجالسَ الحكمة . وكان يتتبّع شهادات الشهود ، ويحكي في علامته بالثبوت تضمين ما يشهد به الشاهد عنده ، ويتتبّع قراءة ما سجّل به عنده ، ويقرؤه بنفسه قبل قراءته عليه وقبل أن يشهد به على نفسه .

وكان يتفضّل على أهل العلم والفضل والأدب وأرباب البيوتات ، ويجري عليهم الجرايات ، ومنهم من يحمِل إليه في كلّ شهر وفي كلّ سنة القمح وغيرَه من الصلات والملابس . وكان يتفضّل على حاشيته وخدمه .

ومن قبيح أفعاله أنّه آختصّ قوماً من الشيعة كان عمّه لا يجيز شهادتَهم فجعلَهم أمناء ، بهم يأخذ ويُعطي ، فكثرت شهادتَهم [بـ]ـالزور على المستورين وآذَوا الناس بأنواع الأذى ، وآستخفّوا بهم وشتموهم . ثمّ صاروا يَلقَون الرجل

---

(1) العشّاريّ : عن هذا النوع من السفن ، انظر تعليق المرحوم الشيّال في الاتّعاظ ، 1 / 313 هامش 1 .

(2) الحمراء أحد مواقع ثلاثة بهذا الأسم . وقيل سمّيت الحمراء لنزول الروم بها .

(3) قد سبق لعانٌ مماثل في مدّة محمد بن النعمان . انظر ترجمته رقم 3444 ج 7/ 349 .

من الناس فيلعنون الصحابة رضي الله عنهم ، وإن أنكر عليهم شهِدوا عليه بمَا شاؤوا ورفعوا أمره إلى القاضي حسين هٰذا .

[ومنها] أنّ رجلاً يُعرف بحسين القصير لعَن مَن يلعَنُ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فأمر به فأُحضر إلى الجامع وأخبره بمَا شهدوا به عليه فقال : « ما لعنتُ أحداً وما أنا من أهل اللعن » ، واستخصَم من شهِد عليه . فقال له القاضي : « فالعَن فلاناً وفلاناً » . فأبى أن يلعَنَهُما فقال له : « الآن صدقوا فيمَا نقلُوا عنك » . وأمر به فضُرب ضرباً وجيعاً ، ثمّ استدعى صاحب الشرطة فضربَه على باب الجامع وطوّفه . فأنكر الناس ذلك . وشدّد برجوان على القاضي حتّى قال له أبو العلاء / فهد بن إبراهيم النصرانيّ كاتب برجوان : وحقّ أمير [408ب] المؤمنين ، لو قال لي هٰذا – يعني برجوان – : اْلعن أصحاب المسيح ! ما خدمتُه أبداً ولو قُتلت . وأنت تُكره الناس على اللعن ، فمن أمرَك بهٰذا ؟

وكان سبب قتله أنّه رَفع رجل إلى الحاكم أنّ أباه توفّي وترك له عشرينَ ألف دينار ، وأنّها في ديوان القاضي ، وقد أخذ منها رزقَ أوقاتٍ معلومةٍ ، وعرّفه القاضي أنّ ماله نجز . فلمّا عاد الحاكم إلى القصر دعا بالقاضي ورفع إليه رقعة المتظلّم . فقال كقوله للرجل من أنّه قد اْستوفى مالَه عن آخره . فأمر بإحضار ديوان القاضي مِن ساعته وفتّش عن مال الرجل فوجد أنّ الذي وصَلَ إليه أيسَرُه . فعدّد عليه ما أقطعَهُ وأجرى له ، وما أزاح من عِلَلِه لئلّا يتعرّض إلى ما نهاه عنه من هٰذا وأمثاله . فقال : العفو والتوبة ! – فأمر به فضربت عنقه وأحرق بالنار . كذا ذكر الأمير المسبِّحي ، وهو أقعد بأخبار القوم [1] .

وقال مؤلّف كتاب الكنوز [2] : ومرّ – يعني الحاكم – يوماً في موكبه ، ومعه قاضي قضاته الحسين بن عليّ بن النعمان ، بالمكان الذي يباع فيه الحطب ،

---

(1) المسبّحي المؤرّخ (366 – 420) ، وأقعَدُ : أعلَمُ وأدرى .
(2) لا نعرف كتاب الكنوز ولا مؤلّفه .

وفيه من الحطب ما لا يُحصى كثرةً . فوقف وأمر أن يُؤَجّجَ بالنار ، ثمّ أمر بالقاضي فأنزل عن دابّتِه ، وهو غافل لا يدري ، ثمّ رمي به في تلك النار حتى هلك . ومرّ الحاكم كأنّه لم يصنع شيئاً[1] .

1254 — حسين بن طاهر الحسنيّ [بعد 570 — 653][2]

حسين بن عمر بن ظاهر ، الفارسيّ ، الحسنيّ ، نور الدين .

ولد سنة بضع وسبعين وخمسمائة ، وآشتغل بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، ونظر في الطبّ . وأمّ بالحنفيّة في المدارس الصالحيّة بين القصرين حتى مات في حادي عشر المحرّم سنة ثلاث وخمسين وستّمائة . وكان خيّراً عفيفاً .

1255 — آبن باز الموصليّ [552 — 622][3]

الحسين بن عمر بن نصر بن الحسن بن سعد بن عبد الله بن باز ، أبو عبد الله ، الموصليّ .

ولد بالموصل يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي الحجّة سنة آثنتين وخمسين وخمسمائة ، وسمع بها من أبيه وغيره . وسمع ببغداد من لاحق بن عليّ و[فخر النساء] شهدة[4] بنت [أحمد] الإِبَري وجماعة .

وقدم إلى الشام ومصر تاجراً ، وولي دار الحديث المظفّريّة بالموصل ، وحدّث بها .

---

(1) هذه الترجمة مُماثلة لِما في رفع الإصر لابن حجر . ولا شك أنّ المقريزي وابن حجر استقيا هذه المعلومات من مصادر واحدة ، مثل الرقيق القيرواني ، الذي نقل عنه ابن حجر سبب تنكّر الحاكم للقاضي النعمانيّ ، وقد أسقط المقريزي اسم الرقيق من روايته للحادث نفسه .

(2) الجواهر المضيئة ، 2/ 122 (511) ، ومولده 572 أو 575 .

(3) التكملة 3 / 143 (2077) والزيادة منها .

(4) شهدة الكاتبة مسندة العراق (ت 574) — أعلام النبلاء ، 20/ 542 (344) .

وتوفّي بها في ليلة الثاني من شهر ربيع الآخر سنة ٱثنتين وعشرين وستّمائة .

1256 _ الحافظ أبو علي النيسابوري [277 _ 349] [1]

الحسين بن علي بن يزيد بن داود بن يزيد ، أبو عليّ ، النيسابوري ، الصائغ الحافظ .

ولد سنة سبع وسبعين ومائتين ، ورحل في طلب الحديث وطوّف ، وجمع فيه وصنّف ، وسمع بهراة ، وبنسا ، وبجرجان وبغداد ، والكوفة ، والبصرة ، وواسط ، والأهواز ، وأصبهان ، والموصل ، والشام ، ومصر ، وغزّة ، ومكّة ، من جماعة منهم : إبراهيم بن أبي طالب ، وجعفر بن أحمد بن نصر الحافظ ، وعبد الله ابن شيرَوَيْه ، والفضل بن محمد الأنطاكيّ ، ومحمد بن عثمان ٱبن أبي سويد ، والحسن بن سفيان ، وأبو خليفة [الجمحيّ] ، وزكريّا الساجيّ ، وأبو يعلى [ابن المثنّى] الموصليّ ، و [أبو] الحسن ابن جوصا [2] ، وأبو عبد الرحمان النسائيّ وخلقاً سواهم .

وكتب عنه أبو الحسين بن جوصا ، وأبو محمد بن صاعد ، وأبو العبّاس بن عقدة وجماعة .

وأوّل سماعه [كان] سنة أربع وتسعين ومائتين من إبراهيم بن أبي طالب بنيسابور . ثمّ خرج إلى هراة سنة خمس وتسعين . ثمّ خرج إلى العراق سنة ثلاث وثلاثمائة فدخل الريّ وبغداد ، وٱنصرف إلى مصر ومضى إلى المقدس ، ثمّ حجّ حجّةً ثانية وأتى بيت المقدس ، وٱنصرف على طريق الشام إلى بغداد ،

---

(1) الوافي 12/ 430 (385) – تاريخ بغداد 8/ 71 (4150) – مختصر تاريخ دمشق ، 7/ 161 (135) – شذرات 2/ 380 – أعلام النبلاء ، 16/ 51 (38) .

(2) ٱبن جوصا محدّث الشام هو أبو الحسن أحمد بن عمير (ت 320) – أعلام النبلاء ، 15/ 15 (8) وتوفّي سنة 320 . أمّا أبو الحسين الآتي فلم نجده .

ثمّ ٱنصرف إلى خراسان ووصل إلى وطنه وأقام بنيسابور إلى سنة عشر وثلاثمائة يصنّف ويجمع .

ثمّ قدم بغداد فأقام بها ، ثمّ خرج إلى مكّة فحجّ وعاد إلى الرملة . وقدم دمشق وجاء على حرازة . وقدم بغداد وأقام بها حتّى نقل ما ٱستفاده . وخرج من العراق إلى سرخس وطوس ونسا .

قال الحاكم : وهو باقعة في الحفظ لا يطيف مذاكرتهِ أحدٌ من حفّاظنا .

وقال الدارقطني عنه : مهذّب إمام .

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد[1] بن إسحاق بن منده : ما رأيتُ أحفظ منه . (قال) وما رأيت في اختلاف الحديث والإتقان أحفظ منه .

وقال أبو بكر بن أبي دارم الحافظ : ما رأيت أبا العبّاس / ابن عقدة[2] [409 أ] يتواضع لأحدٍ من حفّاظ الحديث كتواضعه لأبي عليّ النيسابوريّ .

وقال أبو عبد الله الزبير بن عبد الله الحافظ : كنّا في السنّ أسنَّ من أبي عليّ ، وهو أحفظ منّا ، وكنّا نكتب بٱنتخابه ، وما رأيت لأبي عليّ زلّة قطّ ، إلّا روايتَه عن عبد الله بن وهب الدينوري وٱبن جوصا .

وقال أبو بكر محمد بن عمر بن الجعّابي الحافظ : أبو علي أستاذي في هٰذا العلم .

وقال أبو يعلى حمزة بن محمّد العلويّ : ما رأيت بخراسان أحفظ للحديث من أبي عليّ .

وقال الحاكم في حقّه : أبو علي النيسابوري الحافظ واحدُ عصره في الحفظ والإتقان والورع والرحلة . وذكرهُ بالشرق كذكره بالمغرب ، مقدّم في مذاكرة الأئمّة وكثرة التصنيف . وكان مع تقدّمه في هٰذه العلوم أحدَ المعدَّلينَ المقبولين في البلد . (قال) وعُقد له مجلس الإملاء سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهو ٱبن ستّين

(1) سمّاه الذهبيّ ، 16/ 55 : عبد الرحمان .

(2) أحمد بن محمد بن سعيد (ت 332) – أعلام النبلاء ، 15/ 340 (178) .

سنة . ثمّ لم يزل يحدّث بالمصنّفات والشيوخ مدّة عمره .

توفّي عشيّة الأربعاء الخامس عشر من جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة .

1257 - أبو عليّ ابن كهمش [- بعد 358]

الحسين بن كهمش ، أبو علي .

كان من القوّالين للحقّ[1] . حضر في يوم عند القائد جوهر بمجلسٍ عقدَه للنظر في المظالم ، قبل دخول المعزّ لدين الله إلى مصر . فجرى شيءٌ من قول قائل يتعلّق بالتظلّم من بعض أصحاب جوهر . فشدّ أزرَهُ[2] أبو علي ابن كهمش وأعانه . فقال له القائد جوهر : يا شيخ ، هٰذا الطيلسان الذي عليك لنا ، ونحن مَنَنّنَا عليك به .

فقال ابن كهمش : كيف ذاك ؟

فقال جوهر : لأنّ البلد فُتح بالسيف .

فقال : معاذ الله ! لقد حرّم الله عليك دماءنا وأموالَنا . نحن قوم مسلمون مستسلمون غير حرب لأحدٍ ، نشيّع المعزول ونستقبل الوالي .

فأطرق جوهر وأمسك عن الكلام .

1258 - الحسين بن لؤلؤ والي الشرطة [- 335][3]

الحسين بن لؤلؤ والي الشرطة بمصر . كان صارماً . ثمّ جهّز على عسكر

---

(1) الكندي ، 588 وقال : وكان كبير الشهود يومئذ .

(2) في المخطوط : فشد داود أبو علي ...

(3) الكندي ، 295 . وفي النجوم 3 / 255 أنّه ولي دمشق ثمّ حمص للإخشيد .

لقتال غلبون بن سعيد المغربيّ الذي ثار ببلاد الصعيد .

ومات [1] في شعبان سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . وٱستمرّ بعده في ولاية الشرطة عليّ بن سهل .

1259 - أبو البركات الجرجرّائيّ [- بعد 456] [2]

الحسين بن محمّد بن أحمد ، أبو البركات ، المنعوت بسيّد الوزراء ، ظهير الأئمّة ، سماء الخلصاء ، فخر الأمّة ، ابن عماد الدولة ، الجرجرّائي ، وهو ابن أخي الوزير صفيّ الدين أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرّائيّ [3] .

وليَ الوزارة للخليفة المستنصر بعد أبي نصر صدقه بن يوسف الفلاحيّ ، في أوّل المحرّم سنة أربعين وأربعمائة . فساءت سيرتُه وكثرت المصادرات في أيّامه ، وأفحش في القبض على الناس وأخذ الأموال والنفي . وصار يبطش بالناس من غير ٱستئذان ٱغتراراً بعَادة الدولة في ترك الاعتراض على الوزراء .

فلمّا زاد في كثرة البطش وسرعة الانتقام ، قبض عليه في ليلة الاثنين للنصف من شوّال سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، ونُفي إلى صور [4] ، وٱعتُقل بها مدّة ثمّ أُطلِق ، وٱستُدعي إلى القاهرة ، وأعيد إلى الوزارة في مستهلّ شهر رجب سنة ستّ وخمسين وأربعمائة ، بعد أبي غالب عبد الظاهر بن الفضل [العجميّ] [5] . فمدحه الأديب علي بن بشر بن الصقلّي الكاتب . ثمّ صُرف في آخر رمضان منها وخرج إلى دمشق وأقام بها إلى أن ملكها الغزّ [فـ]ـعاد إلى القيسريّة فمات بها .

---

(1) في المخطوط وكان في شعبان ...

(2) ٱتّعاظ 2 / 197 وزاده ألقاباً أخرى .

(3) في الاتّعاظ 2 / 183 : كان أبو القاسم يدَ السيّدة العزيزه ستّ الملك ولسانها فلمّا ماتت استقلّ بالتدبير . ومات سنة 436 .

(4) اتّعاظ 2 / 210 .

(5) اتّعاظ 2 / 270 - الإشارة (أيمن السيّد) ، 89 .

1260 ـ حسين الحلاوي

حسين بن علي بن أحمد ، أبو عبد الله ، الموصليّ ، الحلاوي .

بعثه الملك عضد الدولة تاج الملّة شاهنشاه أبو شجاع فنّاخسرو ، ابن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بوَيه إلى مصر ، وذلك أنّ أحد جواسيسه العائدين من مصر ذكر له أنّه تقدّم إلى شيخ حلاويّ في زقاق القناديل بمصر ، ودفع إليه درهماً تاجيًّا ليبتاع به شيئاً ممّا بين يديه ، فردّه إليه وتنازعا فيه ، فشتَمه وشتم الآمر بضرب الدرهم ، وأنّه سأل عن آسم الحلاويّ حتّى عرفه .

فبينا أبو عبد الله الحسين هٰذا في منزله إذ طرق بابه نقيب ، ومعه نفّاط ، فجزع وخرج إليه فقال له النقيب : الشيخ الجليل ابن محمان يستدعيك . (قال) فمضيت إليه فوجدتُ عنده فرّاشاً من دار عضد الدولة ، فقال لي : « إنّ مولانا [409ب] سأل عن صانع حاذق يعمل تماثيل الحلواء ، فوُصفتَ له ورسم إنفاذك / إليه » . فقلت : السمع والطاعة !

وأخذ الفرّاشُ يدي وأدخلني على عضد الدولة . فلمّا رأيتُه قبّلتُ الأرضَ مراراً ، فقال : لعلّك آرتعتَ وآنزعجتَ ، فلا بأسَ عليك ، وما دعوناك إلّا لخير ، وقد آحتجنا إلى آستخدامك في أمرٍ تنفذ فيه إلى الموصل ، وتقدّمنا بإطلاق نفقةٍ لك تجعلها لعيالك . فخذها من أبي الثناء شكر . فآنصرف وآنظر في أمرك ، وآدفع النفقة لأهلك ، ولا تعرض أنت لأخذِ شيءٍ منها ، فإنّك في طريقك في غير حاجة إليها .

(قال) فخرجت وخرج شكر فأعطاني عشرين ديناراً ، وآنصرفت وذكرتُ لأهلي ما رُسمَ لي ودفعتُ إليهم الدنانير ، ووصّيتُهم بمَا أريد .

ثمّ آستدعيتُ إلى حضرة الدولة . فقال : تخرج مع مَن نسلّمُك إليه وتسير

معه إلى مصر . فإذا حصلت بها فٱقصد باب الجامع وٱسأل عن منير الخادم الأبيض الذي يبيعُ الفِراخَ المسمّنة . فإذا رأيتَه فقل : « صديقك يقرئُك السلام » . فسيقوم من موضعه ويمشي ، فٱتّبعه فإذا دخل إلى منزله فٱدخُل . ولا تسأل فإنّه سيكرمُك . وإذا دخلتَ فٱنزع ثياب سفرِك التي عليك وٱلبس الثيابَ التي يسلّمها إليك وخذ منه ما تريد لنفقتك ومؤونتك ، وٱقصد بعد ذلك زقاق القناديل ، فإنّك سترى فيه شيخاً حلاويًّا ٱسمُه كذا ، ويُعرف بكذا . فٱجلس عنده ، وٱذكر له صناعتك ومعرفتك بأمر الحلواء وعمل الجيّدِ منه وتوصّلْ إلى أن تعملَ عنده ، وخفّف مؤونتك عليه ، ولا تطالبه بشيء . وإن دعاك إلى منزله فٱمضِ معه . فإذا عمِلت معه وعرفك الناس وٱشتهر عنك جودة الصنعة فٱستأجر بإزاء دكّانه وٱبتع ما تريده من آلة ومتاع ، وٱستدعِ من منير الخادم ثمنَ ذلك . فقد تقدّمنا إليه بإزاحة علّتك . فإنَّ زبون الحلاوي سيعدل إليك ويقف أمره ويسألك الشركة ، فأجبْه إليها وأقِم معه شهراً . ثمّ أظهِر شوقك إلى بغداد وعيالك ، وعظِّم الكسبَ في عينِه ، وٱبعَثْه على الخروج إليها ومشاهدتها ، وعِده المواعيدَ الكثيرةَ فيمَا يتحصّل له منها وأنّك تُنزله ببغداد في دارك وتجعلُه في دكّانك ، وأنّك قد ألفتَه ، فإن طابت بغداد له أحسنتَ إليه ، وإن آثر العودَ زوّدتَه من طُرَف العراق ما يعود به إلى أهله . وٱجتهِد في حمله معك إلى حضرتنا وٱخدم في ذلك خدمةً تعرف جلادتُك بها ، وتحظى بحسن العاقبة فيها وتناوَلْ من منير ما تحتاجه لنفسك وله ، وٱحترس من حيلة تتمّ عليك ، وٱكتُمه ما تقدّمنا به إليك .

(قال) فلمّا سمعت ذلك قلت : السمع والطاعة ، وأرجو أن يوفّقني الله لما أهّلتُ له .

وأخذ شكر بيدي ، وعدل بي إلى موضع فنزعتُ ثيابي ودفع إليّ مبطنة ومنديلاً وشمشكاً[1] وقال لي : أنعم صباحاً ، ودفع إليّ عشرين ديناراً وقال :

(1) الشمشك : من ملابس الرعاة (دوزي) .

« هٰذه نفقة طريقك » . ثمّ ٱستدعى أعرابيًّا ٱسمُه حسّان وسلّمني إليه وقال : هٰذا الرجل ، فٱحفظْه وأَوصِلْه إلى حيثُ أُمرتَ .

فخرجنا إلى رحبة الجامع ، فإذا هناك أربعة أحمال ورجلان من العرب ، فركبنا وسرنا . فوصلنا إلى مصر في سبع وعشرين ليلة . فقال لي صاحبي الأعرابيّ : « ٱمضِ في حفظ الله ! » ولا والله ما سألوني مَن أنا ، ولا في أيّ شيءٍ توجّهتُ . وقصدتُ باب الجامع ، فإذا الخادم الأبيضُ ، وبين يديه قمطرات فيها فراخ مسمّنة . فقلت له : « صديقُك يقرئك السلام » . فنهض ومشيت خلفَه ، فدخل حجرةً بالقرب من الجامع ودخلتُ معه فنزعتُ ما كان عليّ ولبستُ من عنده ثياباً نظافاً . ودفع إليّ ديناراً وقال : « ٱمضِ إلى الحمّام ! » فدخلتُ الحمّام وخرجتُ ، وأكلتُ شيئاً ، وقصدتُ زقاقَ القناديل ، ورأيت الشيخ وعرفتُه . وجرى أمري وأمرُه كما أمر عضدُ الدولة .

ولم أزل ألطفُ به إلى أن أجاب ، ودفعتُ إليه خمسة دنانير لنفقة عياله ، وعزمنا على الخروج فعدت إلى الخادم وودّعتُه . ولبستُ ثيابي التي وردتُ بها ورددتُ ما كنت لبستُ من عنده وأعطاني عشرين ديناراً لنفقتنا وقال : الخبيث خارجٌ معك ؟

قلت : وما يدريك ؟

قال : خبره عندي .

[410 أ] وتوجّهت / أنا والشيخ حتى وردنا الموصل بعد أربعة وخمسين يوماً ، وأهلي وأقاربي بها . فٱستأجرنا ركوة[1] ، ومضى الملّاح إلى صاحب الخبر ليأخذ الكتب ، وأعلمه أنّ معه الحسين الحلاويّ وشيخاً آخر ، وردَا من مصر . (قال) فٱستدعاني صاحب الخبر فسألني عن أمري فعرّفتُه أنّني كنت بمصر في أمورٍ لي . وٱنحدرنا ووصلنا إلى بغداد في سحرة اليوم الرابع . فما شعرت إلّا ونقيبٌ من

(1) الركوة بالكسر : زورق صغير .

الدار يستدعيني ومَن معي ، فعجبتُ من ذلك ، وكان صاحب الخبر قد كتب بخبرنا فبادرتُ ، ومعي الشيخ ، وعبرنا إلى الدار ، وجلسنا إلى أن خلا وجه عضد الدولة .

وأدخلت ، والشيخ معي ، وقد طار لبُّه وعظم رُعبُه ، وأنا أسكّنُ منه ، وعدل بي إلى موضع فيه شكر . فنزعت ما كان عليّ من الثياب ، وأنا أراها وقد أخذت ، وحملت إلى حضرة الملك ، وأعطيت ثيابي التي نزعتُها عند خروجي ، ومثلت بين يدي الملك عضد الدولة ، والشيخ معي . فقال : كيف جرى الأمرُ ؟

فقلت : على ما مثّله مولانا .

ودعوتُ له . فقال للشيخ : أنت فلان بن فلان الحلاوي ؟

قال : نعم .

قال : لا تخف ، وإن كنت قد أسأتَ إلى نفسك وجشّمتَها السفرَ عن منزلك بالفضول من قولك وفعلك .

فبكى الشيخ بكاءً شديداً . وتركه قليلاً ثمّ قال له : يا هٰذا ، هبك رددتَ الدرهمَ الذي ضربناه ، ولم تحبَّ أخذَه من الرجل الغريب الذي وقف بك . فما بالك شتمتَه وشتمتَ الذي أمر بضربه ؟ ولولا أنّ في تأديبك والتنكيل بك ، وأنت شيخ كبير ، ولعلّ وراءك مَن يتوقّعُك ومادّتُه منك ، بعضَ الإثم واللوم ، لأمرنا بتقويمك . لكنّنا نهَب جنايتَك لمَن خلّفتَه من عيالك ، وقد تقدّمنا بإطلاق نفقةٍ لك تزوّدُك إلى بلدك ، فلا تعاوِدْ مثلَ ما كان منك ، وتحدّثْ في بلدِك بصفحنا عن جرمك ومنّنا عليك بنفسك .

فبكى الشيخ حتى كاد يموت ، وخرجنا ، وأعطاني شكر عشرين ديناراً وقال : « اصرفها في نفقتك » . وأعطى الشيخ عشرة دنانير . وعاد إلى مصر يحدّث بحديثه وشاع ذاك هناك . فكان الغريبُ إذا جلس إلى بعض أهل مصر صاحوا : حاذوري ! فيمسك الناس عن ذكر عضد الدولة .

قال الحسين الحلاوي : وكانت في المسطبة التي ألبستها ملطكات[1] وما علمت بها إلّا بعد عودي .

1261 - أبو علي المجاور [- 586][2]

حسين بن محمد بن حسين ، أبو عليّ ، الفارسيّ ، المعروف بالمجاور ، والد الوزير أبي الفتح [يوسف بن الحسين] بن المجاور . وكان صوفيًّا .

مات بمكّة في شهر رجب سنة ستّ وثمانين وخمسمائة .

1262 - عزّ القضاة ابن الجبّاب [558 - 623][3]

حسين بن محمد بن عبد العزيز بن الحسين بن عبد الله بن الجَبَّاب ، التميميّ ، الأغلبيّ ، السعديّ ، أبو علي ، ابن أبي المعالي [، القاضي الأجلّ ، عزّ القضاة] .

ولد في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

وكان [من بيت الرئاسة والتقدّم والفضيلة ، وحدّث من بيته غير واحد] .

ومات في سادس عشر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستّمائة .

1263 حفص الفرد [- نحو 203][4]

حفص الفرد ، يكنّى أبا عمر . وقيل : كنيتُه أبو يحيى ، وهو مولى بني

---

(1) هكذا في المخطوط ، ولم نعرف المسطبة ولا الملطكات .

(2) التكملة 1 / 141 (117) ومنها الزيادة .

(3) التكملة 3 / 191 (2129) والزيادات منها .

(4) دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 66 - الفهرست ، 229 . وفي ترجمة الإمام الشافعيّ رقم 1895 خبر مناظرة له معه .

جشم . وكان أوّلاً معتزليًّا ثمّ قال بخلق الأفعال ، وصار من أكابر المجبرة نظيراً للحسين بن محمد النجّار ، وهو مصريّ قدم البصرة ، وآجتمع بأبي الهذيل محمد آبن الهذيل العلّاف أحد كبراء المعتزلة وناظره .

وله كتاب الاستطاعة ، وكتاب التوحيد ، وكتاب الردّ على أبي الهذيل ، وكتاب الردّ على النصارى ، وكتاب الردّ على المعتزلة ، وكتاب [الأبواب] في المخلوق .

1264 – آبن عبّود القرشيّ [– 722] (1)

حسين بن محمد بن إسماعيل ، السيخ نجم الدين ، أبو عبد الله ، ابن عبّود القرشيّ .

كانت له وجاهة في الدولة الحساميّة لاجين . سببُها أنَّ الملك الأشرف خليل آبن قلاوون لمّا قُتل ، فرّ الأمير حسام الدين لاجين وآختفى بجامع أحمد بن طولون ، ثمّ بزاوية ابن عبّود هٰذا ، من القرافة .

فلمّا تسلطن رفع محلَّ آبن عبّود ونوّه به . فتردّد إليه الأكابر من الأمراء وغيرهم . وأتقن عمارة زاويته ، وعمِل بها الأوقات العظيمة ، وتقرّب الناس له بكلّ ما يريد ، ونفذت أَوامرُه وقبلَت شفاعتُه ، وَقصده الناس لحوائجهم ، وعُرف بالعصبيّة والمروءة ، وأنّه إذا قام في شيءٍ لا يرجع عنه . وكان خبيراً بطرق السعي في بلوغ مقاصده ، وهو الذي قام في ولاية الشيخ / تقيّ الدين محمد بن [410ب] دقيق العيد قضاء القضاة . وما زال محترماً حتى مات يوم الجمعة الثالث والعشرين من شوّال سنة آثنتين وعشرين وسبعمائة ، وقد أناف عن السبعين .

---

(1) السلوك 2 / 238 . الخطط 3 / 131 .

1265 – ٱبن أبي زرعة القاضي [285 – 327] [1]

الحسين بن محمد بن عثمان بن زرعة ، أبو عبد الله ، ابن أبي زرعة ، الدمشقيّ ، قاضي مصر والشام وابن قاضيهما .

ولد بمصر سنة خمس وثمانين ومائتين . وبرع في معرفة الأحكام . وولي قضاء دمشق بعد عزل أبي محمد عبد الله بن أحمد بن زبر في يوم الأحد لعشر بقين من ربيع الآخر سنة ٱثنتي عشرة وثلاثمائة ، وهو يومئذ ببغداد ، فقدمها . ثمّ ولي قضاء مصر خلافة لقاضي القضاة أبي الحسن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب بكتابه إليه من بغداد .

فلبس سواده وركب وبين يديه أصحاب الشرط : جانك الإخشيديّ ، وأبو الحسين سعيد بن عثمان . وقُرىء كتابه على المنبر وقد جلس في الجامع العتيق . واستخلف الفقيه أبا بكر محمد بن أحمد ابن الحدّاد ، وذلك في سلخ ربيع الآخر سنة خمس وعشرين [وثلاثمائة] وجمع له الحكم بمصر والإسكندريّة والرملة وطبريّة ودمشق وحمص وأعمالهنّ .

وكان ينظر في المواريث ودار الضرب والأحباس . واستكتب في الأحكام أبا محمد الحسن بن عبد الرحمان بن إسحاق الجوهريّ . واستكتب بمكاتبة السلطان أبا يعقوب الخيزرانيّ وأبا القاسم الديباجيّ . وٱستقضى في الأحباس عبد الله بن حكيم ، ثمّ صرفَه بعتيق بن عقبة ومحمد بن إبراهيم بن زرقان ، وعزّ جانبه . وكان يجلس في الجامع كلّ يوم سبت ولا يسمع الشهادات ، ولا يعدّل أحداً إلّا في الجامع ، وكان حاجبه بسيف ومنطقة . فمضت له بمصر أحكام كثيرة وعدّل

---

(1) الوافي 13 / 47 (51) – الكندي ، 488 ، 542 ، 562 – السبكيّ ، 3 / 281 (180) .

جماعة كثيرة من وجوه مصر ومن الأشراف . ثمّ تنكّر له ابن الحدّاد في مراجعة في الأحكام ، فانصرف مغضباً وهو ينشد [طويل] :

تبعتُك إذ عيني عليها غشاوة   فلمّا آنجلت قطّعتُ نفسي ألومُها
وما بيَ إن أقصَيْتني من ضراعة   ولا آفتقرَت نفسي إلى مَن يضمُّها

وجلس في بيته . وانقطع عن أبي زرعة . فتطاول جماعة لخلافته بدل ابن الحدّاد . وكان يجلس بنفسه للحكم غدوة وعشيّة حفاظاً لأبن الحدّاد وليزيد غناه عنه . فتوسّط بينهما أبو محمد الحسن بن ظاهر الحسينيّ ، عمّ أبي جعفر مسلم ، وجاء بآبن الحدّاد عشيّة إلى منزل ابن أبي زرعة ، وكان في علوّ داره . فنزل ومضى إلى صفّة فجلس بها وآستدعى أبا محمد وآبن الحدّاد . فلمّا رآهما قام وتلقّاهما ، وكان قد كره أن يدخل عليهما ، فيقوم أبو محمد الحسن له ، لمكانه من رسول الله ﷺ ، فآستحسن هٰذا من فعل ابن أبي زرعة .

وأخذ أبو محمد في إصلاح ما بين ابن الحدّاد وبين ابن أبي زرعة حتّى آصطلحا . فقال ابن أبي زرعة : ما كان بدٌّ لنا[1] من نصيب - يشير بذلك إلى حدّة خلق ابن الحدّاد - والله ما أعدّه إلّا والداً .

فأنكبّ ابن الحدّاد عليه يقبّله ، وعاد إلى حاله حتّى فرّق الموت بينهُما . ولم يكن يخالف ابن الحدّاد في شيء .

ودخل عليه جماعة من الماذرّائيّين - وهم أصهاره ، فإنّه تزوّج بنت الحسين آبن أحمد بن أبي زنبور ، وأتاه منها آبنة زوّجها من أبي القاسم أحمد بن الحسين العقيقيّ - فقال له الماذرّائيّون : وعدنا القاضي بالسجلّ .

فقال : قد تقدّمت بكَتبِه .

ثمّ دخل عليه ابن الحدّاد فقال لهم : وأنا أتقدّم إلى الشيخ أبي بكر أيضاً

(1) في الولاة والقضاة 552 : ما كان لنا بدّ من نصيب .

في أمرها – وكان المجلس حفلاً . فلمّا جلس ٱبن الحدّاد ساعة قال له ابن أبي زرعة : أنت عارف بخديجة ابنة الحسين بن أحمد ؟

قال : أعرفها – وكانت أخت زوجة ابن أبي زرعة .

فقال له : قد عزمت على الحجر عليها ، فما تحوكم إليك في أمرها فلا تُمضه ، من بيع أو شراء وغير ذلك . [ٱشترت] ثياباً بثلاثمائة دينار نسيئة ما تحتاج إلى شرائها .

فقال ابن الحدّاد : إذا كان هٰذا الموجب للحجر عليها فٱحجر عليّ : فمنذ أيّام ٱشتريت ثياباً بخمسمائة دينار ، وتديّنت منها مائتي دينار ما أحتاج إليها إلى / [411 أ]
ستّين سنة .

فقال عبد الله بن أحمد طباطبا : إذا فزع[1] الشيخ – وٱنصرف الماذرّائيّون بغير حاجة .

فلمّا صرف محمد بن الحسين بن أبي الشوارب عن القضاء بأبي نصر يوسف ٱبن عمر بن أبي عمر ، وكان حدثاً عمره عشرون سنة ، ورد كتابه على ابن أبي زرعة بتقليده قضاء مصر . فقبله وقرأه على الناس ، وفيه : وهٰذا عهدي إليك بخطّ يدي .

فقال ابن الحدّاد لٱبن أبي زرعة : إنّه عهد صبيّ ، فكيف تقبل عهد صبيّ ؟ وما على القاضي أن يأخذ هٰذا كلّه رئاسة من الأصل[2] .

فقال : لو أردت أن آخذ قضاء القضاة[3] لفعلتُ . وقد كتبت في أمر قضاء الحرمين .

وكان ورُود كتابِ أبي نصر سنة سبع وعشرين . ولم تطل أيّام ٱبن

(1) إذا فزع أو إذا فرغ .

(2) في الولاة والقضاة ، 563 : وما عليك أن تأخذَ أنت هذا الأمرَ .

(3) الكندي 563 : قضاء بغداد .

أبي زرعة في القضاء ، حتى مات يوم الجمعة ، وهو يوم النحر ، سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وعمره اثنتان وأربعون سنة . فكانت ولايتُه ثلاث سنين .

وكان عارفاً بالأحكام منفّذاً فقيهاً على مذهب الشافعيّ مثل أبيه[1] . وكان يغتسل في وقت كلّ صلاة أو في كلّ يوم . وينفق على مائدته في كلّ شهر أربعمائة دينار .

واتّسعت ولايتُه وكثر خلفاؤه . وكان كثير الحباء سمْحاً مفضلاً : بلغه أنّ ابن الحدّاد بنى داراً ، فأرسل إليه ثلاثمائة دينار وقال : اشترِ بها ستوراً .

ودخل عليه يوماً وبيده قطعة عنبر ، فناوله إيّاها . فشمّها ابن الحدّاد وردّها إليه . فلم يقبلها ووهبها له وكان ثمنها مائتَي دينار . وكان ترفاً متعاظماً كثير التطيّب .

1266 ـ أبو جعفر الخولانيّ المقرىء [- نحو 340][2]

حمدان بن عون [بن حكيم] ، أبو جعفر ، الخولانيّ ، المصريّ ، المقرىء ، أحد الحذّاق .

قرأ على إسماعيل بن عبد الله النحّاس .

قرأ عليه عمر بن محمد بن عراك ، وقال : قال لي حمدان بن عون بن حكيم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة : قرأتُ على أحمد بن هلال ثلاثمائة ختمة . ثمّ أتى بي إلى إسماعيل النحّاس فقال : إنّ هٰذا تلميذي ، وقد قرأ عليّ وجوّد . فخذ عليه ! - فأخذ عليّ ختمتَين .

توفّي حول سنة أربعين وثلاثمائة .

---

(1) أبوه هو أبو زرعة محمد بن عثمان بن إبراهيم (ت 302) - الإسنويّ ، 1/ 519 (472) .

(2) غاية النهاية 1/ 260(1178) .

1267 – عرق الموت [– بعد 256] (1)

حسين الخادم ، المعروف بـ«عرق الموت» .

قدم من بغداد إلى مصر متقلّداً للبَرِيد بعد سنة خمسين ومائتين . وكان جيّد العقل ، راجح الوزن . وهو الذي قدِم [بـ]ـحسن بن مهاجر (2) وأحضر[ه] معه من الرقّة إلى مصر وسلّمه ديوان البريد وقال له : يا بنيّ احفظ ما أوصيك به : احذرْ أن أراكَ في دار غير داري ، ولا تسكن إلى أحد سكونَك إليّ ، فإنّ تقويمي لك يوجب لي ذلك عليك . وليكن إيثارُك لحسن الذكر أكثر منه لكسب المال وطلبك للصواب وإن شقّ عليك تحمّله فإنّه أحمد عاقبة فيمَا تأتيه من غيره ، ممّا لا مشقّة عليك فيه . ولا تسرعن إلى إنفاق ما تكسبه بابتياع الأعراض النفيسة والملابس الرائعة ، فإنّك لا تزيد بذلك إلّا في عين ناقص الفهم والحال ، لأنّ من قوي تمييزُه إنّما يطالع ما صدر عنك من فضل ، وآستعرضه منك من طبع . وإذا غلب عليك إيثار شيءٍ يحسّن ظاهرَك فطالعْ ثمنه في حاصلك تعلم أنّه في يدك متى شئت من غير أن تغرى بكلّ عدوّ وحاسدٍ وباغٍ . ولا تذكر لأحدٍ من أمر خدمتي ما يسهل عليّ إذاعته فتجرأ بذلك إلى إذاعة ما تقف عليه من سرّي . وآطوِ ما تستعرضُه منّي طيَّ الصحيفة ، وآحذر أن يسبقك أحد إلى ما أَتَوَكَّفُه (3) من الأخبار دون مطالعتك إيّاي به . وقد أمرت لك بكذا وكذا دينار لتتأمّل بها زيادة عطيّتي على عطيّة حاشيتي (4) . واشتمل على أمري .

---

(1) الكندي 208 ، 462 وهو عنده : حسن الخادم . وعند الطبري ، 9/ 475 حسين الخادم المعروف بعرق الموت ، تحت سنة 256 .

(2) هذا وقد سبقت ترجمة حسن بن مهاجر ، رقم 1217 .

(3) توكّفَ الخبر : انتظَرَ ظهورَه .

(4) حاشيتي : قراءة تخمينيّة .

وقابل ما ٱبتدأتُك به بمَا يحرز لك حميد الذكر والعاقبة ، وفّقك الله وسدّدك .

وكان الذي أعطاه أربعةَ آلاف دينار .

1268 – أبو علي الفرميّ [– 334][1]

حسين بن محمد بن هارون بن يحيى بن هارون [بن] يحيى بن يزيد الفَرَميّ ، أبو عليّ ، من موالي شرحبيل بن حسنة .

حدّث عن أحمد بن داود المكّي ، ويحيى بن أيّوب العلّاف ، والحسن ابن غليب ، وغيرهم ، وكان موثّقاً نِعمَ الرجل .

توفّي في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

والفرمي نسبة إلى الفرما أوّل مدن مصر من جهة الشمال ، وقد خربت .

1269 – رأس الحمار الشاعر [– 339]

حسين بن محمد بن هارون ، أبو عليّ ، الملقّب برأس الحمار ، الشاعر المطبوع .

كان يطعن عليه في دينه بالإلحاد . / توفّي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . [411ب]

ومن شعره [كامل] :

ما لي بهجرك طاقة فصليني　　لا تُفسدي دنيايَ فيكِ وديني
قطع الطريقَ عليَّ طرفُك عَنوةً　　والعدل في زمن الأمير تكين

---

(1) ياقوت : بلدان (الفرما) .

1270 ـ جلال الدين ابن نصير المقرىء [- بعد 690][1]

حسين بن نصير بن مرتضى ، الكناني ، الشافعيّ ، المقرىء ، الأديب ، أبو عليّ ، جلال الدين .

قرأ القرآن بالقراءات على الرشيد عبد الظاهر بن نشوان السعديّ . وسمع الحديث من يوسف الساوي وغيره . وصحب الحافظ أبا محمد المنذريّ وسمع منه . وحدّث وأقرأ القرآن تلقيناً .

وهو جدّ تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم الحنفيّ لأمّه . وكان صالحاً متورّعاً قليل المخالطة للناس ، كثير العبادة مقبلاً على شأنه ناظماً ناثراً ، يحترف بصناعة السيوف وبيعها .

وقُتل ببعض بلاد الحوف بعد سنة تسعين وستّمائة .

1271 ـ أبو البركات ابن أبي عرابة [- 438]

الحسين بن يحيى بن أبي عرابة ، أبو البركات .

مات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

1272 ـ الحسين بن يوسف الناسخ [561 - 637][2]

الحسين بن يوسف بن الحسن بن عبد الحقّ ، الصنهاجيّ ، الشاطبيّ ، الإسكندرانيّ ، الناسخ ، السلميّ .

---

(1) غاية النهاية 1 / 253 (1152) .

(2) الوافي 13 / 85 (80) - التكملة 3 / 546 (2956) .

ولد بالإسكندريّة في المحرّم سنة إحدى وستّين وخمسمائة . وسمع من السلفيّ وغيره . وحدّث .

ومات في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستّمائة .

1273 – أمير حسين الروميّ [– 729] [1]

حسين بن أبي بكر بن [إسماعيل بن] جندر بك ، الأمير شرف الدين ، المعروف بأمير حسين الروميّ .

نشأ بدمشق . كان أبوه أمير جاندار صاحب الروم . وقدم إلى مصر في الأيّام الظاهريّة سنة خمس وسبعين وستّمائة فيمن قدم من الروميّين ، ومعه ٱبنه حسين . وخدم الأمير حسام الدين لاجين أيّام كان نائب دمشق في الأيّام المنصوريّة قلاوون قبل سلطنته ، ونادمه في خلواته ، وخرج معه للصيد غيرَ مرّة . فلمّا ولي السلطنة ٱستدعاه إلى مصر وخلع عليه ، ثمّ أعاده إلى دمشق . وٱستدعاه مرّة ثانية وأنعم عليه بإمرة عشرة .

فلمّا قُتل لاجين وعاد الملك الناصر محمد بن قلاوون بعده إلى السلطنة مرّة ثانية ، استمرّ على إمرته . وسار مع الأمير آقوش الأفرم إلى دمشق صحبة الطلب . وأقام بدمشق على إمرة طبلخاناه . وأعجب به الأفرم ونادمه إلى أن فرّ من دمشق عند قدوم الملك الناصر محمد طالباً لأخذ السلطنة من الملك المظفّر بيبرس . فلحق بالسلطان ودخل معه ومع خواصّه . فجهّزه إلى الكرك ومعه الأمير تنكز حتى أحضر الخزانة . وقدم معه إلى مصر ، فكان في طريقه إليها إذا مرّ مع السلطان بصيد ، أخذ الصقر وقال له : يا خوند ، إن كنّا نملك مصر فهٰذا الطير يأخذ هٰذه الرمية – ويتحيّل فيرميه لا يخطىء ، ويقول : هٰذا بسعادة السلطان .

---

(1) السلوك 2 / 313 – النجوم ، 9 / 276 . وجدّه إسماعيل في السلوك وأسعد في النجوم .

فحلّ من قلبه محلاًّ كريمًا : فإنّه كان محظوظاً في الصيد لا يكاد يفوته شيءٌ منه بسائر أنواعه . فلمّا ملك مصر [بعد] فرار المظفّر ، أنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف ، وأفرد له زاوية من طيور الجوارح ، فكان أمير شكار مع الأمير كوجري .

وسافر مع السلطان إلى دمشق سنة ثنتي عشرة [وسبعمائة] وأقام بها حتى عاد السلطان من الحجاز ، لما أصابه من كسر رجله . فكان الأمير تنكز نائب الشام يحضر لزيارته وعيادته كلّ قليل . وقدم مع السلطان إلى مصر وحظي عنده ، وتوفّرت حرمتُه . وكان من خواصّ الأمير طغاي الكبير فحلا بقلوب الخاصكيّة ، ولذلك سلم عند القبض على طغاي ، إلى أن كانت سنة إحدى وعشرين ، [فـ]أخرج من مصر . وسبب ذلك أنّه أنشأ جامعاً بجوار بيته خارج القاهرة على ضفّة الخليج من غربيّه بحكر جوهر النوبيّ ، وأنشأ على الخليج قنطرة تتّصل به من خطّ بين السورَين ، وقصد فتح خوخة في السور ما بين باب سعادة وباب القنطرة يتوصّل منها إلى حارة الوزيريّة . فلم يمكّنه الأمير علم الدين سنجر المسروريّ متولّي القاهرة من ذلك ، حتى ٱستأذن السلطان في فتحها وأذن له . ففتح باباً كبيراً ، وعمل عليه رُنْكَهُ وقال للمسروريّ : قد فتحتُ الخوخة على
[412أ] رغم أنفك ! – فامتعض / لذلك ، وقال للسلطان : إنّ أمير حسين قد خرق في سور القاهرة باباً نحو باب زويلة وعمل رنكه عليه وعمل سلطاناً على البارد . وما جرت عادة قطّ بفتح باب في سور المدينة [1] .

فغضب من ذلك وأخرجه من يومه إلى دمشق على إقطاع الأمير حوبان وإمرته . ونقل حوبان إلى مصر .

ثمّ أعاده إلى مصر ، فقدم يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى سنة سبع وعشرين [وسبعمائة] وخلع عليه أطلس بِطرز زركش وكلفتاه زركش وحياصه

---

(1) السلوك 2/ 215 .

مجوهرة[1] ، وأنعم عليه بتقدمة الأمير بهاء الدين أصلم . فٱستمرّ حتى مات يوم [...] سادس المحرّم سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، ودفن بجامعه . وكان فيه برّ وله معروف وصدقات .

1274 - الحصين بن نمير [- 67][2]

الحُصَيْن بن نمير [بن فاتك ، أبو عبد الرحمان ، الكنديّ ، ثمّ السكونيّ] .

قدم مع الأمداد في زمن عمر بن الخطّاب [. . .] .

فلمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية وجهّز إليهم يزيد مسلم بن عقبة المرّيّ قال له : إن حدث بك حادث فٱستخلف الحصين بن نمير السكونيّ . - وسيّره معه . فشهد الحصين وقعة الحرّة . وتوجّه مع مسلم من المدينة بعد قتل أهلها ونهبها يريد قتالَ عبد الله بن الزبير بمكّة . فلمّا كان بالمشلّل - وقيل : بثنيّة هرشي - حضر مسلمـ[ـاً] الموتُ . فٱستدعى الحصين إليه وقال له : يا بردعة الحمار ، لو كان الأمرُ إليّ ما ولّيتُك هٰذا الجند ، ولكنّ أمير المؤمنين ولّاك . خذ عنّي أربعاً : أسرع السير ، وعجّل المناجزة ، ولا تمكّن قريشاً من أذنك[3]! - ثمّ قال : اللهمّ ، إنّي لم أعمل قطّ بعد شهادة أن لا إلاه إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله عملاً أحبّ إليّ من قتلي [أهل] المدينة ، ولا أرجى عندي في الآخرة .

فلمّا مات سار الحصين بالناس . فقدم مكّة لأربع بقين من المحرّم سنة أربع وستّين ، وقد بايع أهلُها وأهلُ الحجاز عبدَ الله بن الزبير . فقاتله وحصره حتى ٱشتدّ الأمر بٱبن الزبير وبمن معه ، واحترقت الكعبة . فبعث ابن الزبير إليه يدعوه إلى البراز ، فقال الحصين : لا يمنعني من لقائك جُبْنٌ ، لكن لستُ أدري لمن

---

(1) الكلمتان غامضتان ، والتصويب من السلوك 2 / 282 .

(2) الأعلام 2/ 288 - الوافي 13/ 88 (82) - الطبريّ 5/ 483 وما يليها - دائرة المعارف الإسلاميّة ، 3/ 641 .

(3) هٰذه ثلاث . وعند الطبريّ ، 5 / 497 : ولا تُردَّنَّ أهل الشام عن عدوّهم .

يكون الظفَر : فإن كان لك كنت قد ضيّعْتُ مَن ورائي . وإن كان لي كنت قد أخطأت .

فبينا هم في ذلك إذ جاءهم الخبر بموت يزيد . قدم به ثابت بن قيس – وهو المنقع[1] بن الحرث بن كليب بن ربيعة بن خزيمة بن سعد بن مالك بن النخع – فبعث الحصين إلى ابن الزبير فأتاه بالأبطح ، فتحدّثا . فراث فَرَس الحصين ، فجاء حمام الحرَم يلتقط روثَ الفرس . فكفّ الحصين فرَسه عن الحَمام وقال : أخاف أن يقتل فرسي حمامَ الحرم .

فقال ابن الزبير : تتنزّهون عن هٰذا وأنتم تقتلون المسلمين في الحرم !

ثمّ عرض على ابن الزبير أن يبايعه ويسير به إلى الشام على أن يهدر الدماء . فلم يرضَ . فترَكه ورحل بأصحابه نحو المدينة . فٱجترأ أهلها على أهل الشام وأخذوا دوابَّ مَن ٱنفرد منهم . فلم يتفرّقوا وخرج معهم بنو أميّة من المدينة إلى الشام . فوصلوا دمشق وقد بويع معاوية بن يزيد بن معاوية بالخلافة ، ومات . وقد همّ مروان بن الحكم أن يسير إلى ابن الزبير ويبايعه . فأخبره الحصين ، ومعه بنو أميّة ، بمَا كان بينه وبين ابن الزبير . وقال لمروان ولبني أميّة : نراكم في ٱختلاط . فأقيموا أمرَكم قبل أن يدخل عليكم في شأنكم فتكون فتنة عمياء صمّاء .

فساروا وكان من اجتماعهم بالجابية ما كان ، ليتشاوروا فيمن يولّو[نـ]ـه من بني أميّة . وكان الحصين يهوى مروان ، ومالك بن هبيرة السكونيّ يهوى خالد بن يزيد بن معاوية . فلم يزل الحصين حتّى صرف مالكاً عن خالد ، وقام هو ورَوح ٱبن زنباع في أمر مروان إلى أن بويع كما ذكرتُه في ترجمة مروان[2] . وكان الحصين يومئذ سيّدَ أهل الشام وشيخَهم . فلمّا تمّت بيعة مروان وكانت وقعة مرج راهط شهدها معه الحصين .

---

(1) الطبريّ ، 5/ 501 : ثابت بن قيس بن المنقَع النخعيّ .

(2) ترجمة مروان بن الحكم مفقودة .

وقدم معه أيضاً إلى مصر . ثمّ سار منها مع عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة . فمات مروان وبويع بعده ابنُه عبد الملك بن مروان ، وهم بالجزيرة . فأقرّ ابنَ زياد على ما هو عليه ، وحثّه على المسير إلى العراق . فسرّح الحصين مسرعاً في اثني عشر ألفاً ، فلقيه أصحابُ/ سليمان ابن صُرَد [الخزاعيّ] [1] الثائر بدم الحسين عليه السلام ، وقد هزموا شرحبيل بن ذي الكلاع أحد أمراء عسكر ابن زياد . [412ب]

وتوافى الفريقان لأربع بقين من جمادى الأولى سنة خمس وستّين . فدعاهم الحصين إلى عبد الملك بن مروان ودعاه أصحاب سليمَان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد إليهم ، وأنّهم يُخرجون مَن بالعراق من أصحاب عبد الله بن الزبير ، ثمّ يردّ الأمر إلى أهل بيت النبي ﷺ ، فأبى كلّ منهم .

وحملت ميمنة سليمَان ، وعليها عبد الله بن سعد بن نُفيل ، على ميسرة الحصين ، وعليها ربيعة بن المخارق الغنويّ . وحملت ميسرة ابن صُرَد – وعليها المسيّب بن نجبة الفزاريّ – على ميمنة الحصين ، وعليها جبلة بن عبد الله . وحمل سليمَان بن صرد في القلب على جماعتهم ، فانهزم الحصين بمن معه إلى عسكرهم . وما زال الظفر لأصحاب ابن صرد إلى أن حجز بينهم الليل .

فلمّا كان الغد صبح [2] الحصين ثمانية آلاف أمدّه بهم ابن زياد ، فقاتل بهم أصحاب ابن صرد قتالاً لم يكن أشدُّ منه جميعَ النهار . فلمّا أمسَوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح في الفريقين . فأتى في الصباح مددٌ ثانٍ إلى الحصين مع أدهم بن محرز الباهليّ ، عدّتهم عشرة آلاف ، من عند ابن زياد . فاقتتلوا يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضّحى . ثمّ إنّ أهل الشام كثروهم وتعطّفوا عليهم من كلّ جانب . فنزل سليمَان بن صرد ونادى : مَن أراد البكور إلى ربّه ، والتوبة من ذنبه ، فإليّ ! – ثمّ كسر جفن سيفه . فنزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ، ومشَوا معه فاقتتلوا قتالاً كثيراً ، وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة

(1) هم التوّابون النادمون على خذلانهم الحسين ، فكانوا يقولون : أقِلنا ربَّنا تفريطَنا ، فقد تُبنا . المروج ، 3/ 295 .

(2) الطبريّ ، 5/ 598 : صبّحهم ابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف . . .

وخرجوا فيهم وأكثروا الجراح . فبعث الحصين الرجّالة ترميهم [بالنبل] واكتنفتهم الخيل والرجّالة . فقتل سليمَان بن صُرد رحمه الله . فأخذ الراية المسيّب بن نجبة ، وترحّم على سليمَان ثمّ تقدّم وقاتل بها ساعةً ، ثمّ رجع ثمّ حمل ، فعل ذلك مراراً ، ثمّ قُتل رحمَه الله بعدما قتل رجالاً . فأخذ الراية عبدُ الله بن سعد ابن نفيل وترحّم على صاحبيه وقرأ : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (الأحزاب ، 23) وقاتل حتّى قُتل . وبقيت الراية ليس معها أحد . ثمّ أخذها عبد الله بن وال [التيميّ][1] وقاتل مليًّا ثمّ قال لأصحابه : مَن أراد الحياة التي ليس بعدها موت ، والراحةَ التي ليس بعدَها نصَب ، والسرورَ الذي ليس بعده حزن ، فليتقرّب إلى الله بقتال هؤلاء المحلّين ! الرواح إلى الجنّة ! – وذلك عند العصر ، فحمل في أصحابه حملة واحدة فقتلوا رجالاً ، وكشفوهم . وكاثَرهم أهلُ الشام من كلّ جانب وقاتلهم أدهم بن محرز الباهليّ ، فقتل ابنَ والٍ ، فأخذ الراية رفاعة بن شدّاد البجليّ وقاتل قتالاً شديداً حتى غشيهم الليل ، وقد قُتل رجال كثير . فعاد الحصين بأهل الشام إلى معسكرهم ، وسار رفاعة بمَن معه يريد الكوفة ، فلم يتبعه الحصين ، وعاد إلى ابن زياد فأقام معه حتّى بعث المختار بن أبي عبيد الثقفيّ إبراهيم بن الأشتر النخعيّ لقتال ابن زياد .

فلمّا التقى الجمعان[2] كان الحصين على ميمنة ابن زياد، فحمل على ميسرة ابن الأشتر فهزمها . ثمّ حمل ابن الأشتر على القلب فقتل ابن زياد . وحمل شريك ابن جدير التغلبي على الحصين ، فاعتنق كلّ منهما صاحبه فنادى التغلبي : أقتلوني وابن الزانية ! – فقتلوا الحصين ، وذلك في سنة سبع وستّين بأرض الموصل . وبعث المختار برأس عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير ، ومعهما رأس ابن ذي الكلاع إلى محمد بن الحنفيّة بمكّة ، فنصبت الرؤوس الثلاث على باب المسجد .

(1) الزيادة من الطبريّ ، 5/ 602 .
(2) بالخازر . انظر مروج الذهب ، 3/ 298 .

1275 – حفص بن الوليد الحضرميّ أمير مصر [– 128][1]

حفص بن الوليد بن سيف بن عبد الله بن الحارث بن جَبل بن كليب بن عوف بن معاهد بن عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن الحارث بن عمرو بن حجر بن قيس بن كعب بن سهل بن زيد بن حضرموت ، الحضرميّ ، أبو [بكر ، أمير مصر] .

كان أشرفَ حضرميّ بمصر في أيّامه ، ولم يكن خليفة من بعد الوليد بن عبد الملك إلّا وقد آستعمله . وحدّث عنه يزيد بن أبي حبيب ، وعمرو بن الحارث ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، وغيرهم . وشرّفه / هشام بن عبد الملك [413أ] آبن مروان [فجعله] على شرط الحرّ بن يوسف [ابن يحيى بن الحكم بن أبي العاص] . وخلفه على الفسطاط مرّتين . فلمّا صرف هشام الحرَّ عن مصر ، ولّى حفصاً بعدَه في ذي القعدة سنة ثمانٍ ومائة . فكتب عبيد الله بن الحبحاب متولّي خراج مصر إلى هشام : إنّك لم تعزل الحرّ إذ ولّيتَ حفصاً .

فردّ ولاية مصر إلى آختياره فآختار عبد الملك بنَ رفاعة بن خالد [الفهميّ] ، وصرف حفصاً يوم النحر بعد جُمُعَتَين – وقيل : بل صرفه سلخ ذي الحجّة . فوجد على هشام . فأخرجه إلى الترك فولّاه الصائفة . فغَزا ثمّ رجع فولي بحر مصر من سنة تسع عشرة إلى سنة ثنتي وعشرين : أربع سنين .

ثمّ آستخلفه حنظلة بن صفوان لمّا سار إلى إفريقيّة والياً عليها . فأقرّه هشام آبن عبد الملك على جند مصر [وأرضها] من يوم الأثنين لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان منها .

---

(1) الوافي 13/ 97 (96) – الكنديّ ، 74 – النجوم 1/ 263 ، 292 ، 302 = مختصر ابن عساكر ، 7/ 211 (202) .

فجمع له الصلاة والخراج جميعاً . فجعل على شرطه عقبة بن نعيم الرعينيّ ، وعلى الديوان يحيى بن عمرو ، وعلى الزمام عيسى بنَ عمرو . وكانت أرزاق المسلمين لكلّ رجل آثني عشر إردبًّا فصارت إلى عشرة لكلّ رجل . فصيّرها حفص آثني عشر كما كانت .

واستسقى بالناس . فلمّا رقي المنبر استقبل بوجهه الناس فخطب ودعا ، ثمّ حوّل ظهره إلى الناس [واستقبل القبلة يدعو] ثمّ استقبل الناس بوجهه فخطب ودعا ثمّ حوّل إلى الناس ظهرَه وآستقبل القبلةَ يدعو ، وحوّل رداءه ودعا الله ، ثمّ حوّل وجهه إلى الناس ، ثمّ نزل فصلّى ركعتين .

فلمّا مات هشام بن عبد الملك بن مروان في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ، واستخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، أقرّ حفصاً على الصلاة والخراج ، وأمره بإخراج أهل الشام الذين بمصر إلى أجنادهم . فأمرهم بالخروج فآمتنعوا وحصروا حفصاً في داره . فقاتلهم يومَ الثلاثاء للنّصف من رجب سنة خمس وعشرين ، فظفر بربيعة كبيرهم فقتله . وأخرجهم إلى أجنادهم .

وقدم عيسى بن أبي عطاء على خراج مصر لسبع بقين من شوّال فصُرف حفص عن الخراج وبقي على الصلاة . فخرج من مصر وافداً على الوليد ، وآستخلف عقبة بن نعيم . فقُتل الوليد لآنسلاخ جمادى الآخرة سنة ستّ وعشرين وحفص بالشام . فلمّا بويع يزيد بن الوليد ، الناقص ، أمر حفصاً أن يلحق بمصر وأن يفرض لثلاثين ألفاً . فقدم وفرض الفروض . وبعث ببيعة يزيد عقبةَ بن نعيم في طائفة ، وجعل على فروضه قوّاداً .

ومات يزيد الناقص لهلال ذي الحجّة سنة ستّ وعشرين . وبويع إبراهيم آبن الوليد فولي ذا الحجّة ، والمحرّم من سنة سبع وعشرين . وخلعه مروان بن محمد فبويع فآستقبل بخلافته صفر . فكتب إليه حفص يستعفيه فأعفاه . فكانت ولايتهُ هٰذه الثانية سنتَين إلّا شهراً .

وقدم إلى مصر [والياً] حسّان بن عتاهية فقطع فروض حفص ، فوثبُوا به وقالوا : لا نرضى إلّا بحفص – وحصروه . ففرّ منهم . وأعادوا حفصاً بعد ستّةَ عشر يوماً كرهاً . فأقام عليها رجب وشعبان .

وجرت أمور من خلع مروان ، ومروان ساكت عن أهل مصر . ثمّ عزل حفصاً مستهلّ سنة ثمانٍ وعشرين بالحوثرة بن سُهيل [الباهليّ] .

وقال الغطريف الحميريّ لمّا بعث حفص لقتال ثابت بن نعيم الجذامي ومنعه من مصر ، يهجوه [طويل] :

ومن زامل لا قدّس الله زاملاً ... ومن أعبد أبناء تلك المراغل
ومن شيخ سوء حرّق الله عظمه ... حفيص وأشياع له غير طائل

فلمّا قدم حوثرة إلى مصر ونزل ظاهر الفسطاط بعث إلى الناس : إن كنتم في طاعتي فألقَوني في الأردية .

فقال رجاء بن الأشيم لحفص : أطعني أيّها الأمير وآمنعهُم .

قال : أكره الدماء .

قال : فدعني أقف في خيل ، فإن رأينا ما نحبّ تفرّقنا . وإن كان غير ذلك استنقذناك منهم .

قال : قد أعطاني من العهود ما ترى ، ولن أستظهر بغير الله .

فقال رجاء : والله لا رغبت بنفسي عن نفسك .

فخرج إليه حفص ووجوهُ الجند . فلمّا دخلوا عليه فسطاطه قال لحفص ورجاء : مَن أنتُما ؟

قالا : حفص ورجاء .

قال : قيّدوهما ! – فقُيِّدا ، وآنهزم أهل مصر . ثمّ قتله يوم الثلاثاء لليلتين

خلتا من شوّال سنة ثمان وعشرين ومائة . وقيل : قُتل رجاء بن أشيم وعِدّة من [413ب] أعيان / الجند . وكان زبان بن عبد العزيز بن مروان شديد التحريض عليه حتى قتل . فقال مسوّر الخولانيّ [طويل][1] :

فإيّاك لا تجني من الشرّ غبطة   فتودي كحفص أو رجاء بن أشيم
فلا خير في الدنيا ولا العيش بعدهم   وكيف وقد أضحَوا بسفح المقطّم ؟

وقال آخر [يبكي حفصاً وأصحابه – كامل][2] :

يا عينُ لا تُبقي من العبراتِ   جودي على الأحياءِ والأمواتِ
بكّي الذين مَضوا فهم ساداتُنا   قتلوا فلم نطلب لهم بترات
يا حفص يا كهف العشيرة كلّها   يا ذا النوال وساترَ العوراتِ
إمّا قُتلتَ فأنتَ كنت عميدهم   والكهفَ للأيتام والجارات
5 أودى رجاءٌ لا كمثل رجائنا   رجلٌ ، وعقبةُ فارج الكربات
وشبابُنا عمرو وفهد ذو الندى   وآبن السليط وعامر الغاراتِ
قُتلوا ولم أسمَع بمثل مصابهم   سروات أقوام بنو سرواتِ
طُلّت دماؤهمُ فلم تفرغ لهم   محنٌ ولم يُطلب لهم بجُناةِ

1276 – أبو الثناء الفضيليّ [511 – 598][3]

حمّاد بن هبة الله بن حمّاد بن الفضيل ، أبو الثناء ، الفضيليّ ،

(1) في النجوم 1 / 293 بيت قبل هذين :
وإنّ أميرَ المؤمنين مسلّطٌ   على قتل أشراف البلاد فأعلم

(2) الكندي ، 91 : وقال مرسل بن حمير . والزيادة منه .

(3) الوافي 13 / 150 (169) – شذرات 4 / 335 – العبر 4 / 302 – النجوم 6 / 81 – التكملة 1 / 438 (690) .

الحرّانيّ ، التاجر ، من أهل حرّان .

رحل في طلب الحديث ، وسمع الكثير بالشام والعراق ومصر وخراسان . وكتب بخطّه ، وحصّل النسخ . وكان فيه فضل وأدب ، ويقول الشعر .

سمع ببغداد أبا القاسم ابن السمرقنديّ ، وأبا بكر ابن الزاغونيّ ، وغيرهما . وبالإسكندريّة الحافظ السلفيّ . وكان صدوقاً حسن الطريقة . ومن شعره فيمن [تزوّجها] عمياء قوله [بسيط] :

قالوا : تزوّجتَ عمياء فقلت لهم ما في تزوّجيَ العمياءَ من عَيْبِ
أقلّ ما في عماء العُميِ فائدةً أن لا يطالِعْنَ منّي مطلع الشَّيْبِ

وقوله [بسيط] :

تنقّل المرء في الآفاق يكسبه محاسناً لم تكن فيه ببلدته
أما ترى بيدقَ الشطرنجِ أكسبَه حسنُ التنقّلِ فيمَا فوقَ رتبتِهِ ؟

ومولده بعد ستّينَ يوماً من سنة إحدى عشرة وخمسمائة . وتوفّي بحرّان يوم الأربعاء الثاني من ذي الحجّة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

وجمع تاريخاً لحرّان [وجمع من اسمُه حمّاد][1] .

1277 ـ حمزة ابن اللبّاد « هادي المستجيبين » [ـ 410][2]

حمزة بن أحمد اللبّاد ، الملقّب « هادي المستجيبين » ، الزوزنيّ ، العجميّ .

ظهر في أوّل سنة عشر وأربعمائة ، وأظهر الدعاء إلى الحاكم بأمر الله أبي

(1) الزيادة من التكملة .

(2) الأعلام 2 / 310 – دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 157 – اتّعاظ 2 / 113 – النجوم 4 / 249 .

علي منصور ، وصرّح بحلول الإلاه سبحانه فيه ، ولازم الجلوس في المسجد الذي كان عند سقاية ريدان بظاهر القاهرة خارج باب النصر ، وتلقّب بهادي المستجيبين . فٱجتمع إليه جماعة من غلاة الإسماعيليّة . وصار الحاكم إذا ركب إلى تلك الجهة خرج إليه من المسجد وٱنفرد به ، ووقف الحاكم له راكباً فيحادثه طويلاً .

واستمرّ الأمرُ على ذلك إلى اليوم الثاني عشر من صفر سنة عشر وأربعمائة : فاجتمع جماعة من أصحاب حمزة على خيول وبغال ، ودخلوا الجامع العتيق بمصر ، وهم يعلنون مذهبهم . فثار العوامّ وقتلوهم شرّ قتل . فحنِق الحاكم على أهل مصر وسلّط العبيد فأحرقوا مصر .

وذكر بعضهم أنّ محمد بن إسماعيل الدَرَزيّ العجمي الداعي – وبعضهم يسمّيه آنوش تكين – قدم إلى مصر في سنة ثمانٍ وأربعمائة ، وٱتّصل بالحاكم . فدعا الناس إلى القول بإلاهيّة الحاكم وأعلن بذلك . فثار به رجلٌ من الأتراك وقتله . وثارت بسببه فتنة مدّةَ ثلاثة أيّام قُتل فيها جماعة من الدرزيّة . فظهر / [414أ]
بعد ذلك حمزة بن أحمد العجميّ الداعي وتلقّب بالهادي وسكن مسجد تبر ودعا الناس إلى مقالة الدرزيّ المقدّم ذكره ، وبثّ عدّة دعاة بأرض مصر والشام ، ودعا إلى الرخصة والإباحة ، وفسح في نكاح المحارم من الأمّهات والبنات والأخوات ، وأسقط التكاليف الشرعيّة من الصلاة والصوم والحجّ ، فٱستجاب لدعاته خلق كثير .

وعُني الحاكم بحمزة هٰذا . فخاف حمزة على نفسه وٱستدعى من الحاكم بسلاح كثير علّقه على باب المسجد ، فارتفع قدره ، وٱتّخذ له خاصّة لقّبهم بألقاب عديدة . فلقّب أحدَهم بـ « سفير القدرة » وجعلَه رسوله في أخذ البيعة على الأعيان . فلم يقدر أحدٌ على مخالفته .

ومن حمزة هٰذا ظهر مذهب الدرزيّة واشتهر بوادي التيم وشرق صيدا وجبل

بيروت وما جاوره من بلاد الشام .

وقال الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتّانيّ في كتاب الوفيات : قال شيخنا هبة الله[1]: بن أحمد بن محمد بن الأكفانيّ الدمشقيّ [ثنا] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغداديّ الحافظ إجازة ونقلتُه من خطّه ، قال : ظهر في آخر أيّام الحاكم رجل سمّى نفسَه « هادي المستجيبين » وكان يدعو إلى عبادة الحاكم . وحكي عنه أنّه سبّ رسول الله ﷺ وبصق على المصحف ، وسار في البوادي يدعوهم ، إلى أن قتله الله بمكّة : فكتب رجل من الصوفيّة كان يُكنّى أبا الوفاء من مكّة إلى أبي الفتح بن أبي الفوارس البغداديّ الحافظ يشرح له قصّة قتله ، وذلك في سنة عشر وأربعمائة . فذكر أبو الوفاء في كتابه أنّ المسمّى بهادي المستجيبين وصل إلى مكّة وآجتمع مع أبي الفتوح أميرها فنزل عليه . فرآه المجاورون يطوف بالكعبة . فمضَوا إلى أبي الفتوح وذكروا له شأنه فقال : هٰذا [الرجل] قد نزل عليّ ، وأعطيتُه الذّمامَ .

فقالوا : إنّه سبّ النبيّ ﷺ وبصق على المصحف .

فسأله عن ذلك ، فأقرّ به وقال : قد تُبْتُ .

فقال المجاورون : إنّ توبة هٰذا لا تصحّ ، وقد أمر النبيّ ﷺ بقتل ابن خطرة وهو متعلّق بأستار الكعبة . وهٰذا لا يصحّ أن يعطى الذمام ولا يسع إلّا قتله .

فدافعهم أبو الفتوح عنه . فآجتمع الناس عند الكعبة وضجّوا إلى الله سبحانه وبكَوا . وكان من فضل الله تعالى أن أرسل ريحاً سوداء حتى أظلمت الدنيا . ثم تجلّت الظلمة وصار على الكعبة فوق أستارها كهيئة الترس له نور كنور الشمس دون سقف الكعبة بنحو القامة . فلم يزل كذلك يرى ليلاً ونهاراً . (قال

(1) في المخطوط : هبة الله الله حدّثنا مرّ بن أحمد . وهبة الله أحمد بن محمد الأكفانيّ له ترجمة في أعلام النبلاء ، 19 / 576 (330) ت 524 .

كاتب الكتاب إلى أبي الفوارس :) وكتبتُ هٰذا الكتاب وذلك النور على حاله منذ سبعة عشر يوماً . فلمّا رأى أبو الفتوح ذلك أمر بالمسمّى بهادي المستجيبين وغلام له كان يصحبه إلى باب العمرة فضربت أعناقها وصلبا . ثمّ لم يزل المجاورون يرجمونَهُما بالحجارة حتّى سقطا إلى الأرض . فجمعوا لها الحطب والعظام وأحرقوهما .

وكان كتاب أبي الوفاء الوارد بهٰذا يُقرأ في حلقة الحديث بحضرة ابن أبي الفوارس يوم الجمعة في جامع المهديّ .

1278 – الصاحب عزّ الدين ابن القلانسيّ [649 – 739][1]

حمزة بن أسعد بن المظفّر بن أسعد بن حمزة ، الصاحب عزّ الدين ، أبو يعلى ، ابن مؤيّد الدين ، ابن مظفّر الدين ، ابن الوزير مؤيّد الدين ، القلانسيّ ، الدمشقيّ .

ولد سنة تسع وأربعين وستّمائة . سمع من ابن عبد الدائم ، والرضيّ ابن البرهان ، وابن أبي اليسر . وحدّث بمصر والحجاز . وقدم مصر غير مرّة .

ولمّا ولي الأمير حسام الدين لاجين نيابة دمشق في الأيّام المنصوريّة قلاوون ، صحبَه . فعندما استقرّ نائب السلطنة بديار مصر أيام سلطنة الملك العادل كتبغا ، قدم عليه بمصر فيمن قدِم من أعيان دمشق لأيّام بقيت من المحرّم سنة أربع وتسعين وستّمائة . فأخذ هديّته وأكرمه وأعاده إلى دمشق . وقدم أيضاً في سنة ستٍّ وسبعمائة ، وعاد إلى دمشق في شهر رمضان بعدما خلع عليه بطرحة[2] .

(1) الدليل الشافي 1 / 279 (963) – الأعلام 2 / 308 وهو غير صاحب ذيل تاريخ دمشق الذي يسمّى حمزة بن أسد (أو أسعد) والذي توفّي سنة الأخماس – الوافي 13 / 190 (217) .

(2) الطرحة : منديل للرقبة .

فلمّا كان في [...] ذي القعدة لبس خلعة وزارة دمشق / وكتب في [414ب] تقليده : « الجناب العالي » ، كما يكتب للنائب ، تعظيمًا له . فأستمرّ إلى أن أوقع الأمير كراي نائب الشام ، الحوطة عليه وعلى غيره في يوم الأحد سابع شهر رجب سنة إحدى عشرة . واستمرّ نحو شهرين هو وحواشيه في الترسيم[1] . وآدّعي عليه بربع[2] ملكه . وقاسى شدّة ، إلى أن قبض السلطان على كراي [فـ]ـأفرج عنه من الاعتقال ، ثمّ أعيد إلى الاعتقال من غد ، فأقام زيادة على عشرين يوماً .

فلمّا ولي الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرَك دمشق ، وصل إليه مرسوم بإعفائه من الوزارة وآستقراره في وكالة السلطان . فسار إلى القاهرة . وعاد منها بعد شهر إلى دمشق ، ومعه كتاب السلطان بأنّه باقٍ على وكالته ، وأنّ القضاة يحترمونه ويسمعون كلامه ، والإنكار لما ثبت عليه في أيّام آعتقاله . ثمّ خلع عليه في سابع عشرين ذي الحجّة سنة أربع عشرة وسبعمائة باستقراره على نظر الخاص بدمشق .

وتوفّي يوم [...] سادس ذي الحجّة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

وكان رئيس الشام وعلَم أعيانِهَا وعينَ أعلامها ، ذا رأي وبصيرة ومكارم وتجارب قد عركته الحوادث ، وقالَبَ[3] الدول وعرف ترتيبَها مع الحزم والهمّة والخبرة والذكاء والمعرفة ورصانة العقل وتحرّي الصواب وكثرة المهابة والحرمة والوجاهة بمصر والشام ، بحيث لا تردّ شفاعتُه ولا مراسمُه ، ولا يتخطّاه أحدٌ في مجلس فيجلس فوقه .

وكانت سعادتُه عظيمة وأموالُه جمّة ، ما بين صامتٍ وناطق وعقار . وأنشأ ناساً كثيراً وقدّمهم في الخدم وغيرها .

---

(1) السلوك 2/ 100 .

(2) أو بربع .

(3) هكذا في المخطوط ، ولعلّها تعني : مارس الوظائف وتغلّب فيها .

1279 – ابن أبي الجنّ الحسينيّ [369 – 434][1]

حمزة بن الحسن بن العبّاس بن الحسن بن أبي الجنّ بن عليّ بن محمد بن علي بن محمد بن عليّ بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، الشريف ، القاضي أبو يعلى ، فخر الدولة ، ابن أبي محمد ، الحسينيّ ، المعروف بآبن أبي الجنّ .

ولد في المحرّم سنة تسع وستّين وثلاثمائة . وسمع أبا عبد الله الحسين بن عبد الله بن أبي كامل في سنة سبع وأربعمائة . وولي النقابة بمصر . وولي قضاء دمشق بعد أبي الحسن سلمان بن علي بن النعمان من قبل أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله في [...] وأربعمائة ، فجدّد بدمشق مساجد ومنابر وقنًى . وأجرى الفوّارةَ التي في جيرون ، وأنشأ قيساريّةً عُرِفت بالفخريّة . ووُجدت تذكرة صدقته في كلّ سنة سبعة آلاف دينار .

وفي ولايته نزل سنان بن علوان بالعرب على مدينة دمشق وحصرها حتّى ضيّق على أهلها في سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ثمّ ألزمهم بثلاثين ألف دينار يقومون له بها . فمنعهم [القاضي أبو يعلى] من ذلك ، وجمع المال المذكور وأنفقه في قتال سنان ، وحلّف الناسَ على القيام معه . وهدم دروب البلد وحملها إلى الجامع خشيةَ آمتناع الناس بدروبهم وتركهم القتال . ثمّ زحف بالناس وقاتل العرب قتالاً شديداً قُتل فيه منهم نحو المائتَين ، وأصيب سنان بسهم . فطلب الصلح على ترك الحرب أربعين يوماً . فخرج إليه الشريف ومعه شيوخ دمشق ووجوه الجند ، وحلّفه وحلّف أعيانَ مَن معه من العرب ، وعاد .

فبعث حسّان بن الجرّاح يوبّخ سناناً على مصالحته ويحثّه على محاربة أهل

---

(1) الوافي 13 / 184 (214) – الكندي ، 500 – اتّعاظ 2 / 156 – شذرات 4 / 8 .

دمشق . فعاد إلى القتال بعدما كان ٱنصرف عن المدينة . فهادنه الشريف على ترك الحرب مدّة أشهر[1] .

ولم يزل بدمشق حتى مات بها يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .

وولي بعده نقابة الطالبيّين وقضاء دمشق أخوه لأمّه الشريف أبو تراب محسن ٱبن محمد بن العبّاس بن أبي الجنّ . وذكر الشريف أبو الغنائم عبد الله بن الحسن ٱبن محمد ، النسّابة الحسينيّ قال : أردتُ المسير إلى دمشق فودّعت الشريف فخر الدولة ، وكان إذ ذاك بمصر ، وقلت وقت توديعي له [بسيط] :

أستودع اللهَ مولايَ الشريفَ وما يحويه من نعم تبقى ويوليها
فإنّني عند توديعي لحضرته ودّعتُ من أجله الدنيا وما فيها / [415 أ]

فلمّا سمع البيتين أقسمَ عليّ أن أقيم ، فأقمتُ ، وأنعم عليّ ، وأنشدني أبياتاً لقسّ بن ساعدة الإيادي [كامل] :

علمُ النجوم على العقول وبال وطِلابُ شيءٍ لا يُنالُ ضلَالُ
ماذا طلابُك علمَ شيءٍ أغلقت من دونه الأبوابُ والأقفال
ٱفهم : فما أحدٌ بغامص فطنة يدري متى الأرزاقُ والآجالُ
إلّا الذي مِن فوق سبع عرشُه فلوجهه الإكرامُ والإجلالُ

1280 – الأجلّ الأشرف الكاتب [547 – 615][2]

حمزة بن علي بن عثمان بن يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن يعقوب بن مسلم ابن منبّه ، القرشيّ ، المخزوميّ ، أبو القاسم ، الكاتب ، من ولد عبد الله ابن

---

(1) في الاتّعاظ 2 / 160 : ... إلى آخر الكوانين .
(2) الوافي 13 / 180 (208) – التكملة 2 / 450 (1642) .

أبي ربيعة المخزوميّ – ويلقّب بالأجلّ الأشرف ، ابن القاضي أبي الحسن ، ابن أبي عمرو .

كان أبوه صاحب ديوان مصر في أيّام الخلفاء الفاطميّين . وولي هو الديوان في أيّام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب . وولي الأحباس بالقاهرة وديار مصر . وكان كاتباً سديداً حاذقاً بليغاً ، له الإنشاء الحسن ، والنظمُ والنثرُ الجيّدانِ . وكان يُنشيءُ الكتاب من أسفله إلى رأسه على أحسن قانون من غير توقّف .

وٱشتغل بالحديث فسمع منه الكثير على أبي طاهر السلفيّ ومَن دونه . وحصل الأصول الملاح وفهم منه طرفاً صالحاً .

ولمّا ولي الصاحب صفيّ الدين عبد الله بن علي الدميريّ المعروف بٱبن شكر[1] الوزارة في أيّام الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيّوب خاف منه أن يقصده بمكروه . فإنّه كان مُغرًى بقلع البيوت الأصيلة في التَقدّم . فهرب من القاهرة إلى الشام وٱتّصل بخدمة الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ، فأكرمه وأحسن إليه وبعثه عنه رسولاً إلى الأطراف وأرسله إلى بغداد مرّتين ، إحداهما في سنة ٱثنتين وستّمائة ، وحدّث بها .

ومن شعره [بسيط] :

زيادة الطول نقص ظاهر الأثر ‏ وقد سرى ذاك حتّى كان في الشجرِ
انظر إلى الجوز لمّا عاد معتلياً ‏ كيف ٱغتدى وهو خالي الغصن من ثمر

ومولد بمصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة سبع وأربعين وخمسمائة . وتوفّي بالقاهرة فجأة يوم الاثنين سلخ ذي الحجّة سنة خمس عشرة وستّمائة . ودفن بالقرب من الشافعيّ .

---

(1) الوزير ابن شكر (ت 622) له ترجمة في المقفّى رقم1545 .

1281 ـ أبو القاسم الغلبونيّ الورّاق [ـ بعد 399][1]

حمزة بن علي بن يعقوب ، أبو القاسم ، الغلبونيّ ، الورّاق .

كان صديقاً لأبي الحسن مالك بن سعيد الفارقيّ . فلمّا ولي قضاء القضاة ٱستخلفه على قضاء القاهرة وجعله واسطةً بينه وبين الشهود كلّهم ، يمضي ما أمضاه ويوقف ما أوقفه ، وخلع عليه وحمله على بغلة مسرجة ملجمة[2] . فعلت منزلته وتردّد إليه وجوه الناس لقضاء أشغالهم . فكثرت دالّته على القاضي وزاد في سؤاله قضاء الأشغال ونحوها .

فحسده الجماعة وألّبوا عليه وشنّعوا بذكر قبائح نسبوها إليه . ورفعوا ذلك للقاضي غير مرّة ، وهو يغضي عنه . فلمّا طال ذلك منعه من حضور مجلسه . فلم يمتنع وحضر ، فانتهره وصرفه . فٱستتر في داره من طلب الناس له ، فلم يوجد . فكتب عليه محضر بٱستتاره ، شهد فيه جماعة من الشهود ، وأطلقوا فيه القول بالعظائم . وكان القاضي قد رضي بأن غيّب شخصه ، فلم يُرضِ ذلك غُرَماءه وأبَوا إلّا سفكَ دمه . ونصّ المحضر المكتتب بعد البسملة[3] : هٰذا ما شهد به الشهود المسمَّون في هٰذا الكتاب : شهدوا جميعاً أنّهم يعرفون حمزة بن علي بن يعقوب الغلبونيّ الورّاق معرفةً صحيحةً يقينيّة بٱسمه ونسَبه . ويشهدون أنّهم ٱنكشف لهم من حاله من قلّة الأمانة ، وظهور الخيانة ، ورقّة الدين ، وٱغتصاب مال مَن قدر على اغتصاب مالِه من المسلمين ، وأخذ الرِّشى على الأحكام الشرعيّة ، والتسوّر على المستورين بمقربة من القضاة حتى ظهرت / [415ب]

(1) الكندي ، 608 ـ 609 .

(2) زاد في كتاب الولاة والقضاة ، 604 : وهو ـ أي القاضي مالك بن سعيد أوّل مَن فعل ذلك من القضاة لأنّ الخلع لم تكن إلّا من قبل الخليفة أو الأمير .

(3) هذا المحضر منقول في كتاب الكندي ص 609 .

أفعاله وبانت أعماله ، وكثر الخوض فيه بمَا يعلمه ويصحّ عندهم من ذلك أجمع . وعلموا أنّ في بعده عن باب الحكم طهارة له وصلاحاً للمسلمين وصوناً لحرمهم وأموالهم . وفي قربة منه فساد كبير وضرر عظيم ، مع مخالفته لمذهب الأئمّة عليهم السلام ، وتظاهره بخلافهم في هٰذا الوقت ، واختلائِهِ مع المرجفين وسعيه مع الأمور العظائم ، والأحوال الجسائم ، التي لا يكاد ينطق بها اللسان . وأنّ قاضي القضاة لم يزل ، كلّما اتّصلت به هٰذه البلاغات ، يزجره ، وينهاه ، ويحذّره ، فيعلمه أنّه قد رجع عن ذلك وأناب لوقته ، ويعاود بعد إظهار توبته ، إلى ارتكاب مثل ذلك لا يرتدع عمّا يأتيه ، ولا يخاف الله باريه . وأنّه غير موضع للقضاء ولا لقبول الشهادة ، ولا يرضون فعله ، ولا يثقون بقوله ، لا لهم ولا لأحدٍ من سائر الناس كافّةً ، ولا عليهم ولا على أحدٍ من سائر الناس أجمعين . وأنّ من أسقطه ونزع عنه قميصَ الأمانة مُثَابٌ من الله تعالى في خلقه . يعلمون ذلك كلّه من حاله ويقفون عليه من أمره . وسألهم من جاز له سؤالهم إثبات شهاداتهم بمَا علموه من حاله وانكشف لهم من أمره ، فأجابوه إلى ما سأل . وكتبوا خطوطَهم على علم منهم بذلك في ذي الحجّة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

ثمّ إنّهم زادوا في القبيح عليه ، وجدّوا في إحضاره وأشاعوا أنّه قد اختفى عند أبي القاسم الحسين بن علي ابن المغربيّ ليشفع فيه . وظفروا بأخيه وأهانوه . ففرّ منهم وهم في الطلب ، إلى أن ظفروا به وبأخيه معاً في ثاني عشرين المحرّم سنة تسع وتسعين . فاعتقِلا في قصر الإمارة إلى خامس صفر منها . فأُخرِجا ومعهما رجل آخر في ليلة الثلاثاء تاسعة إلى ناحية المقس وحملوا في مركب ليتوجّهوا إلى الصعيد . فقدِمت رؤوسهم من بعض النواحي بعد أن أقاموا في المطبق ينزل إليهم في كلّ يوم بالطعام مدّة [. . .] .

1282 – أبو القاسم الكنّانيّ الحافظ [275 – 357][1]

حمزة بن محمد بن علي بن العبّاس ، أبو القاسم ، الكنانيّ ، الحافظ ، المصريّ .

ولد سنة خمس وسبعين ومائتين في شعبان . وسمع الحديث أوّل ما سمع سنة خمس وتسعين . ودخل إلى العراق سنة خمس وثلاثمائة . وسمع بدمشق . ثمّ قدمها مرّة أخرى وحدّث بها .

حدّث عن جماعة من أهل مصر ، ومن الغرباء ، منهم الحسن بن أحمد بن سليمان ، وعمران بن موسى بن حميد الطبيب ، ومحمد بن إسماعيل المعدل ، ومحمد بن سعيد بن عثمان بن عبد السلام السرّاج ، وسعيد بن عثمان الحرّانيّ ، وعبدان [بن أحمد] الأهوازيّ ، وأبو عبد الله محمد بن داود بن عثمان بن سعيد ابن أسلم الصدفي ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن نافع ، وأبو يعلى الموصليّ ، وعبد السلام بن سهل السكريّ ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد العريني ، ومحمد ابن عون الكوفيّ ، وأبو الحسن محمد بن عون الوحيديّ ، وأبو سعيد محمد بن أحمد ابن عبيد بن فيّاض ، وجماهر بن [محمد بن] أحمد الزملكانيّ ، وأبو الوليد عبد الملك بن محمود بن سميع ، وأبو عبد الله محمد المعافى الصيداويّ .

روى عنه تمام بن محمد ، وعبد الرحمان بن عمر بن نصر ، وأبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال بن معمّر بن حبيب الجوهريّ ، وأبو الحسن الدارقطنيّ ، وأبو عبد الله بن مندة ، وعلي بن عمر بن محمد بن حِمّصة[2] ، الحرّانيّ ، وهو آخر مَن حدّث عنه .

---

(1) الأعلام 2/ 312 – الكندي 555 – الوافي 13/ 174 (198) – النجوم 2/ 20 . أعلام النبلاء ، 16/ 179 (128) .

(2) قراءة تقريبيّة ، والإصلاح من أعلام النبلاء ومن الشذرات 3/ 23 .

وكان حافظ مصر بعد أبي سعيد بن يُونس وجمع وصنّف . وكان ثقة مأموناً . قال عبد الغنيّ بن سعيد الحافظ : لمّا قدم أبو الحسن الدارقطنيّ مصر أدرك حمزة بن محمّد الكنانيّ الحافظ في آخر عمره . فٱجتمع معه وأخذا يتذاكران . فلم يزالا كذلك حتّى ذكر حمزة عن أبي العبّاس بن عقدَة[1] حديثاً . فقال له أبو الحسن : أنت هٰهنا . – ثمّ فتح ديوان أبي العبّاس ولم يزل يذكر من حديثه ما أبهر حمزة وحيَّره .

وقال البيهقيّ : نا محمد بن عبد الله الحافظ قال : أبو القاسم حمزة بن محمد بن عليّ بن محمد بن العبّاس الكنانيّ المصريّ : هو على تقدّمه في معرفة الآثار أحدُ مَن يذكر بالزهد والورع وكثرة العبادة . سمع أبا عبد الرحمان النسائيّ ، وأبا خليفة القاضي ، وأبا يعلى الموصليّ ، وأقرانَهم ، بالحجاز والعراقَين . توفّي بعد الخمسين وثلاثمائة بمصر .

وقال أبو الـ[ـو]ليد سليمَان بن خلف الباجي : أبو القاسم حمزة بن محمّد : أحد الحفّاظ المتقنين .

وقال الحافظ عبد الغنيّ بن سعيد : كان حافظاً ثقة ثبتاً .

[416أ] ويُحكى أنّه لمّا بلغه قدومُ عساكر / المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ إلى الإسكندريّة ، قال : اللهمّ لا تُحيِني حتى تُريَني الرايات الصفرَ !

فمات ، ودخل عسكره بعد موته بثلاثة أيّام[2] ، وذلك في يوم الأربعاء

---

(1) أحمد بن محمد بن عقدة الحافظ توفّي سنة 332 (الأعلام 1 / 198) .

(2) دخول عسكر جوهر إلى مصر كان في رمضان 358 . ٱنظر الأتّعاظ 1 / 97 وأوّل لقاء بينه وبين وفد التفاوض كان في رجب منها . انظر تاريخ الخلفاء الفاطميّين (من عيون الأخبار للداعي إدريس) ص 673 .

ويقول المقريزي في ترجمة جوهر (رقم 1105) : وأتت الأخبار إلى مصر في جمادى الآخرة سنة 358 بِمسير جوهر إليها . فلعلّ دعاء هذا الحافظ كان عند سماعه بتأهّب المعز لغزو مصر .

[...] من ذي الحجّة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

وذكر[ه] الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي الكتّانيّ في [. . .][1] وقا[ل] إنّه توفّي سلخ شهر ربيع الأوّل سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

1283 – الصاحب ابن الأسفونيّ [– 682][2]

حمزة بن محمّد بن هبة الله بن عبد المنعم ، من بني جميلة ، إحدى بطون هلال بن عامر بن صعصعة ، الصاحب ، الوزير ، نجم الدين ، ابن الأسفوني .

تقلّب في الخدم الديوانيّة بقوص من صعيد مصر ، فخدَم مُشارفاً ثمّ صاحب ديوان ثمّ ناظراً . وبنى بها مدرسة . ثمّ ولي نظر الأعمال الإخميميّة ، وتنقّل في الخدم إلى أن ولي نظر النظّار بالديار المصريّة . ثمّ فوّض إليه الملك المنصور قلاوون الوزارة في حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وستّمائة ، فصلحت الدولة بوزارته ، فإنّه كان خبيراً بأوضاع الحساب ، عارفاً ، سيوساً . فغصّ الأمير علم الدين سنجر الشجاعيّ– وكان مشدًّا معه فلم تمتدّ له بمرافقته يدٌ . ويقال إنّه كان أعطى عبداً له مائةَ دينار حتّى دسّ عليه سُمًّا في كعكة ليطعمها له بكرة يكون فطره عليها وأوهمَه أنّها عملت للتأليف بينهما ، فأطعمها ذلك العبدُ الجاهل سيّدَه فمات في يوم [. . .] ربيع الأوّل سنة اثنتين وثمانين وستّمائة . وتولّى دفنه الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم . واحتاط الشجاعي على تركته ، وامسك العبد وقتلَه وأخذ ما كان بملكه فوجد الدنانير بصرّتها فأخذها .

وكان الأصفوني[3] فقيهاً شافعيًّا كاتباً ، عارفاً بأمور الديوان ضابطاً للأموال .

---

(1) نقص في الكلام ولعلّه عنوان تاريخه المذكور في سير أعلام النبلاء ، 18/ 249 . وانظر مختصر تاريخ دمشق ، 15/ 130 (109) .

(2) الوافي 13 / 180 (209) – السلوك 1 / 713– الطالع السعيد ، 232 (158) .

(3) هٰكذا بالصاد هٰذه المرّة .

الكريم في رَبعة[1] وهو بقوص .

وللكمال محمد بن بشائر الإخميميّ فيه ، وقد وقع بينه وبين أبي طالب ابن النابلسيّ وهو يلي نظر الدواوين [طويل] :

أبا طالب ما أنت قرن لحمزة   لأنّكُما في الدين مختلفان
دعاك النبيّ الهاشميّ فلم تجب   وحمزة لبّاه بكلّ لسان

ولمّا مات طلب الشجاعيّ أصحابه بكلّ مكان ونادى عليهم بالمشاعليّة ، ففرّ شرف الدين محمد النصيبي وآختفى مدّة . ثمّ كتب إلى الشجاعيّ بهٰذه الأبيات [كامل] :

دَعْ عنك عذلِي يا عَذولُ فإنَّ بي   من فرقة الأحباب ما يكفيني
لا تَلْحَ في حُرَقي وفيض مدامعي   القلبُ قلبي والجفونُ جفوني
أنكرتَ منّي غيَر وقفةِ ساعةٍ   والركب مرتحل أبُثّ شجوني
هي وقفة قصرت وطال بلاؤها   فكأنّها هي دولة الأسفوني
يا حمزةُ بنَ محمد ألقَيتَنا   في ذلّ أحزان وضيق سجون
لم تمشِ هوناً في الأمور فكلُّنا   من شؤم رأيك في عذاب الهونِ
ما بين مطرودٍ عنِ الأوطان لا   يأوي بها خوفاً وبين رهين
تجني ونؤخذ بالجناية هكذا الـ   ـعُقَلاء مأخوذون بالمجنون

ومن شعر الأسفونيّ [كامل] :

ولقد أحِنُّ إلى العقيق ويثرب   وقُبا ، وهُنَّ منازل الورّاد
وأحبّهُنَّ وليس هُنَّ منازلي   وأودُّهُنَّ وليس هُنَّ بلادي

---

(1) الرَّبعة صندوق تُحفظ فيه المصاحف .

1284 – حميد بن أحمد الزهري

من ولد عبد الرحمان بن عوف . حدّث .

1285 – حميد بن الجون/ الإسكندرانيّ [416ب]

يروي حديثاً منكراً عن ابن وهب عن مالك لم يُتابع عليه .

1286 – حميد بن أبي حفصة

روى عن منصور بن وردان الحضرميّ مولى قريش .

1287 – حميد بن أبي حميد

حدّث عن رجل من أهل حمص عن عوف بن مالك . حدّث عنه منصور ابن وردان .

1288 – حميد بن أبي الصعبة

روى عنه عبيد الله بن أبي جعفر المصريّ .

1289 – حميد بن أفلح الخولانيّ

يحدّث عن عبد الرحمان بن مريح الخولانيّ . حدّث عنه حرملة بن عمران .

1290 - حميد بن ثوابة

حميد بن ثوابة ، أبو القاسم ، الجذاميّ ، الأندلسيّ ، الدمشقيّ .

قدم مصر وسمع بها أبا جعفر الطحاويّ وأبا [. . .] . وسمع بدمشق أبا الجهم بن طلاب وأبا الحسن بن جوصا . وببغداد أبا بكر بن أبي داود ، وأبا بكر أحمد بن محمد بن أبي شيبة .

وكانت له عناية بالعلم ورحلة . سمع الكثير ، وكان عالماً بالحديث بصيراً به .

سمع منه أحمد بن سعيد ، وأحمد بن محمد بن معروف وغيرهما .

1291 - حميد بن زَنْجُويه [180 - 251][1]

حميد بن زَنجويه - وآسمُه مخلد - بن قتيبة بن عبد الله - وزنجويه لقب مخلد ، أبو أحمد ، الأزديّ ، النسائيّ ، الحافظ ، صاحب كتاب الأموال وكتاب الترغيب [والترهيب وكتاب] الآداب [النبويّة] .

محدّث مشهور . سمع بدمشق أبا مسهر ، وهشام بن عمّار وزيد بن عبد الرحمان ، ودحيمًا .

وبمصر عبد الله بن صالح ، وأبا الأسود النضر بن عبد الجبّار ، وعثمان بن صالح ، وعبد الله بن يوسف ، وسعيد بن عفير ، وسعيد بن أبي مريم . وبحمص يحيى بن صالح ، وأحمد بن خالد **الوهبيّ** .

وبقيساريّة محمد بن يوسف الفريابي .

---

(1) الأعلام 2 / 319 - الوافي 13 / 200 (233) - تاريخ بغداد 8 / 160 (4266) - تذكرة الحفّاظ 2/ 118 - سير أعلام النبلاء ، 12/ 19 (3) ومنها الولادة .

وبالعراق يزيد بن هارون ، ومحمد بن عبيد وأخاه يعلى ، وعبيد الله بن موسى ، وبشر بن عمر الزهرانيّ ، وهاشم بن القاسم ، وجعفر بن عون ، والنضر ابن شميل ، وسعيد بن عامر ، وعثمان بن عمر بن فارس ، وأبا نعيم ، وأبا عاصم النبيل .

وبمكّة أبا عبد الرحمان المقرىء .

روى عنه البخاريّ ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائيّ ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، الرازيّان ، وعبد الله بن عتّاب ، وأبو زرعة النصريّ ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وجماعة .

قال البيهقيّ : ثنا عبد الله الحافظ قال : حميد بن زنجويه النسويّ ، أبو أحمد : محدّث كثير الحديث ، قديم الرحلة في طلبه إلى الحجاز ومصر والشام والعراقين – فذكر تسواحه ثمّ قال : روى عنه جماعة من أئمّة الحديث : بالعراق ، إماما الحديث : إبراهيم بن إسحاق الحربيّ ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل . وبخراسان محمد بن إسماعيل البخاريّ ، ومسلم بن الحجّاج . حدّث بنيسابور .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب : وكان ثقة ثبتاً حجّة .

وقال النسائيّ : حميد بن مخلد : نسائيّ ثقة .

وقال أحمد بن سيّار : كان لا يخضب . وكان حسن الفقه قد كتب الحديث . وقد رحل إلى الشامات . وكان رأساً في العلم حسن الموقع عند أهل بلده .

وقال القاسم بن سلّام : ما قدم علينا من فتيان خراسان مثل [أحمد] بن شبّويه وحميد بن زنجويه .

وذكر ابن مندة عن ابن يونس أنّه قال عنه : قدم إلى مصر وكتب بها . وكتب عنه عن عبد الرحمان وعن أبي عبيد القاسم بن سلّام كتبَه المصنّفة ،

وحدّث بها . وخرج عن مصر . توفّي سنة إحدى وخمسين ومائتين .

وقال ابن حيّان : كان من سادات أهل بلده فقهاً وعلماً ، وهو الذي أظهر السنّة بنسا . ومات سنة تسع وأربعين ومائتين .

1292 – حميد بن زياد الأصبحيّ

وفد على عمر بن عبد العزيز من مصر ببشارة فزاده في عطائه عشرة دنانير .

روى عنه ضمّام بن إسماعيل .

1293 – حميد بن سعيد المغربيّ (الشاعر) [– نحو 501] [1]

حميد بن سعيد [بن يحيى] الخزرجيّ المغربيّ .

قال أبو عبد الله محمد بن حبيب المهدويّ [القلانسيّ] : حضرتُ ليلةً مجلس تميم ابن المعزّ [بن باديس بالمهديّة] ، فألتفت حميد بن سعيد إلى غلامَين من المماليك متناجيَين قد ضمّا خدًّا إلى خدٍّ ، فقال [منسرح] :

انظر إلى لمّتين قد حكتا

فقلت :

جُنحي ظلام على صباحَين

فقال حميد :

واعجب لغصنَين كلّما ٱنعطفا

فقلت :

(1) الوافي 13 / 201 (236) – الخريدة (المغرب) 1 / 160 .

ماسا من اللين في وشاحَيْن

فقال حميد :

ظبيان يحمي حماهما أسدٌ

فقلت :

لولاه كانا لنا مُباحَين

فقالت حميد :

فلو تدانيتُ منهما لدنَت

فقلت :

مِنّيَ في الحين أسهُمُ الحَين / [417أ]

1294 – حميد بن مسروق الجيشانيّ [– 208]

حميد بن سلامة بن عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله بن مسروق، الجيشانيّ .

حدّث عنه سعيد بن عفير ، ويونس بن عبد الأعلى .

توفّي يوم الأحد لثلاث خلون من شوّال سنة ثمانٍ ومائتين .

1295 – حميد بن صهيب مولى مراد [70 – نحو 105]

كان معلّماً لبعض ولد بني أميّة بمصر . حدّث عنه عبد الله بن لهيعة أنّه قال : إنّ ملحمة دمياط قبل ملحمة الإسكندريّة .

وولد سنة سبعين ومات في ولاية ابن الحبحاب خراج مصر.

1296 - حميد بن عبد الله العدويّ

حميد بن عبد الله بن أبي جهم بن حذيفة، العَدَويّ.

يحدّث عن عبد الله بن أبي حذيفة العدويّ عن رويفع بن ثابت. وعنه إسحاق بن عبد الله. وفيه نظر.

1297 - حميد بن عبد الله بن وهب [- 218]

حميد بن عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو عمر.

يحدّث عن أبيه. حدّث عنه يحيى بن سليمَان الجعفيّ، ومحمّد بن إسماعيل البخاريّ.

توفّي عشيّة الجمعة مستهلّ شهر ربيع الآخر سنة ثماني عشرة ومائتين.

1298 - ابن عرابيّ الحضرميّ

حميد بن عرابيّ بن نعيم الحضرميّ، أحد شهود ابن لهيعة، له ذكر في الأخبار.

1299 - حميد بن علي البجليّ

روى عن ابن لهيعة. وعنه أحمد بن محمد بن رشدين.

1300 _ ابن فضالة الأنصاريّ

حميد بن فضالة بن عبيد الأنصاريّ . أمّه أمّ صفوان بنت خداش بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي .

كان بمصر والشام . والرواية عنه شاميّة .

1301 _ حميد بن قحطبة الطائيّ [- 159] [1]

حميد بن قحطبة - واسمه زياد - بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلب بن سعد بن عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان آبن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيّء ، أبو [. . .] الطائيّ ، أحد قوّاد بني العبّاس وأحد أمراء مصر .

كان أبوه قحطبة من جملة دعاة بني العبّاس ، وأحد النقباء الاثنَي عشر الذين آختارهم محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس من الشيعة الذين استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ثلاث - أو أربع - ومائة ، وشهد مع أبي مسلم الخراسانيّ حروبَه ، وكان في مقدّمته وإليه العدلُ والاستعمال ، وكانت له أخبار كثيرة حتى هلك في المحرّم سنة آثنتين وثلاثين ومائة في وقعة مع حوثرة بن سهيل بجانب الفرات .

فبايع حميد بن قحطبة لأخيه الحسن ، فقام الحسن بأمر الحرب بعد أبيه . وتوجّه حميد إلى المدائن في عدّة قوّاد مِن قِبل وزير آل محمد ، أبي سلمة حفص آبن سليمَان الخلّال .

---

(1) الوافي 13 / 199 (230) - الكامل (سنة 142 إلى سنة 159) . أنساب الأشراف 3/ 105 ، 109 _ المعارف 378 - الكندي 110 - النجوم 1 / 349 .

فلمّا بويع السفّاح أبو العبّاس عبد الله بن محمّد ، سار حميد بن قحطبة مع عبد الله بن عليّ لحرب مروان بن محمد ، وشهد وقعة الزاب ، ثمّ حصر دمشق فيمن حصرها ، ونزل على باب توما – وقيل : على باب الفراديس .

ثمّ ولّاه أبو جعفر المنصور الجزيرة . ثمّ ولّاه مصر صلاتَها وخراجَها ، فدخلها في عشرين ألفاً من الجند يوم الجمعة لخمس خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة . فجعل على شرطه محمد بن معاوية [بن بجير] ، ثمّ صرفه بمحمّد بن بجير .

فقدم إلى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب داعية لأبيه وعمّه ، فذكر ذلك صاحب السكّة لحميد وقال : ابعث إليه فخذه !

فقال : هٰذا كذب – ودسّ إليه أن يغيب ، فتغيّب . ثمّ بعث إليه من الغد فلم يجِده . فقال لصاحب السكّة : ألم أعلمك أنّه كذب ؟

فكتب صاحب السكّة بذلك إلى المنصور فعزل حميداً وسخط عليه . فخرج من مصر يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين .

ثمّ ولّاه خراسان بعد خازم بن خزيمة ، فقدم مرو يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان سنة إحدى وخمسين ومائة ، فبقي عليها إلى أن مات يوم الأحد مستهلّ شعبان سنة تسع وخمسين ومائة . فبعث المهديّ محمد بن أبي جعفر إلى عبد الله ابن حميد ، فعمل بعد أبيه ستّةَ أشهر ، ثمّ صرفه بأبي عون عبد الملك بن يزيد .

1302 – حميد بن مخراق ، مولى الأنصار [1]

رأى أنس بن مالك . حدّث عنه عمرو بن الحارث ، وسعيد بن أبي

(1) تاريخ البخاري 2 / 358 (2741) .

أيّوب ، وابن لهيعة مدنيًّا[1] . قدم مصر .

1303 – حميد بن مسلم القرشيّ[2]

حميد بن مسلم ، أبو عبد الله / ، القرشيّ . ويقال : أبو عبيد الله . [417ب]

رأى واثلة بن الأسقع[3] . وروى عن مكحول ، وبلال بن أبي الدرْداء .

حدّث عنه سعيد بن أبي أيّوب .

قال البخاري : هو من أهل دمشق .

وقال ابن يونس : أراه ناقلة من الشام إلى مصر فسكنها .

1304 – حميد بن نجيح المعافريّ

حدّث عن سعيد بن المسيّب ، ومحمد بن شهاب . وعنه العطّاف بن جندل ، ويحيى بن أيّوب ، وابن لهيعة .

1305 – حميد بن هانىء الخولانيّ [– 142][4]

حميد بن هانىء ، الخولانيّ ، أبو هانىء .

أدرك سليم بن عتر . حدّث عن أبي قبيل ، وعبد الله بن يزيد الجبليّ ،

(1) قراءة ظنّيّة وابن لهيعة مات بمصر سنة 174 (المعارف 505) .

(2) لسان الميزان 2 / 367 (1502) – ميزان الاعتدال 1 / 616 (2343) . البخاري 2/ 358 (2742) .

(3) واثلة بن الأسقع الصحابيّ ، توفّي سنة 85 (المعارف 341) .

(4) الوافي 13 / 196 (226) – شذرات 1 / 211 – العبر 1 / 193 – تاريخ البخاري 2 / 353 (2720) – تهذيب التهذيب 3 / 50 (86) .

وشني[1] بن ماتع الأصبحيّ ، وجماعة .

حدّث عنه حيوة بن شريح ، وخالد بن حميد ، ونافع بن يزيد ، وسعيد آبن أبي أيّوب ، والليث بن سعد ، وابن لهيعة ، ورشدين بن سعد ، وآبن وهب ، وإسحاق بن الفرات ، وغيرهم .

قال النسائيّ : ليس به بأس .

توفّي سنة آثنتين وأربعين ومائة .

خرّج له مسلم .

1306 ــ أبو خليفة الرعينيّ العَبَليّ [ــ 249][2]

حميد بن هشام بن حميد بن خليفة بن زرعة بن قرّة بن الينجر بن رقيّ بن زيد بن ذي العابل بن رحيب بن يَنحض بن تزايد بن العبَل بن عمرو بن مالك آبن زيد بن رعين ، الرعينيّ ، ثمّ العَبَلي – بفتح الباء – أبو خليفة .

شهد جدّه زرعة بن قرّة فتح مصر ، ومعه أخوه عمران بن قرّة [أبو خليفة] .

حدّث عن الليث وابن لهيعة ، وعمّر طويلاً ومات في شوّال سنة تسع وأربعين ومائتين . وحضر الليث جنازته فقال لأبنه حميد بن هشام : لا يصلّي على أبيك غيرك .

وكان مستجاب الدعوة : لقي مرّة عبد الله بن الحكم ، وكان على مسائل عيسى بن المنكدر القاضي ، فعدّل أقواماً ليسوا من أهل العدالة : فلان

---

(1) شني بالفاء في التهذيب 4 / 360 (606) .
(2) الكندي 436 – وهو فيه : ابن هاشم – الأنساب 8 / 373 (العَبَليّ) والزيادة منه .

الحائك ، وفلان البيّاع ، وفلان المُسْلِمانيّ[1] ، فقال له : يا آبنَ عبد الحكم ، كان هٰذا الأمر مستوراً فهتكتَه وأدخلت في الشهادة من ليس لها بأهل .

فقال له ابن عبد الحكم : إنّما هٰذا دِين ، وإنّما فعلتُ ما يجب عليّ .

فقال له أبو خليفة : أسأل الله ألّا يرفعك بالشهادة لا أنت ولا أحداً من ولدك .

قال ابن قديد[2] : فلقد أجيبت دعوتُه : بلغ هو [و]ولدُه في مصر ما لم يبلغه أحدٌ، ما قبلت لأحد منهم شهادة قطّ .

قال ابن يونس : ولا أراها تقبل أبداً لأحدٍ منهم .

1307 – حميد بن هشام القنائيّ

حميد بن هشام القنائيّ ، الإسكندرانيّ ، أبو المنذر .

حدّث عن سليمَان بن القاسم الزاهد . وعنه العبّاس بن الوليد الزوفي ، وعن العبّاس سعيد بن عفير .

1308 – حميد بن يحيى الغافقيّ [– 255]

حميد بن يحيى بن يوسف بن يحيى بن مالك ، مولى غافق .

يروي عن هارون بن عبد الله الزهريّ وغيره . وآخر مَن حدّث عنه بمصر محمد بن الربيع بن سليمَان الجيزيّ .

وكان فقيهاً يغلب عليه الفقه .

توفّي يوم الجمعة لخمس خلون من شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين .

---

(1) المسلمانيّ : الذي آعتنق الإسلامَ حديثاً (دوزي) .

(2) ابن قديد علي بن الحسن بن خلف (ت 312) – أعلام النبلاء 14/ 435 (241) .

1309 ـ حميد بن مكّيّ القصّار [ـ 517][1]

حميد بن مكي، الإطفيحيّ ، القصّار .

كان رفيقاً لبركات[2] الذي ٱستغوى الناس بمصر في أيّام الأفضل ابن أمير الجيوش . فلمّا مات بركات وقتل أصحابه بعد غلق دار العلم[3]، فرّ حميد .

فلمّا مات الأفضل عاد حميد وسكن مصر ، يدقّ الثياب . وصار يتردّد إلى دار العلم بعدما فتحها الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحيّ ، ويفسد عقول الناس . وٱدّعى الربوبيّة فٱتّبعه أستاذ وخيّاط وجماعة . فقام في أمره داعي الدعاة وليّ الدولة أبو البركات ابن عبد الحقيق وصار إلى الوزير المأمون وعرّفه عن حميد بأنّه قد عرف طرفاً من علم الكلام على مذهب الأشعريّ ، ثمّ إنّه ٱنسلخ من الإسلام وسلك طريق الحلّاج في التمويه ، وٱستهوى من ضعف عقله وقلّت بصيرته .

فقبض على حميد وعلى جميع أصحابه ، ما خلا الخيّاط ، فإنّه فرّ . فنودي عليه وبُذل لمن يُحضِره المال فلم يقدر عليه . وأودع حميد وأصحابه السجن ، وقُرّروا فلم يعترفوا بشيءٍ . فلمّا كان بعد أيّام تماوتَ فأمر بدفنه ، فإذا به حيّ . فترك في السجن . وعرضت البراءة منه على أصحابه ، فمن تبرّأ منهم ، خُلّي عنه ، ومن أصرّ ترك في السجن . وعُرضت البراءة على الأستاذ فقال : إنّ القتلَ لا يصل إليه .

فأمر بقطع لسانه فقطع ورمي قدّامه . فلم يرجع . وأخرج بحميد والخصيّ في

(1) ابن ميسّر (ماسي) ـ 64 ـ ابن المأمون : أخبار مصر ، 44 .
(2) بركات له ترجمة رقم 1014 .
(3) دار العلم خصّص لها المقريزيّ فصلاً في الخطط 2/ 334 ـ 337 ثمّ ذكر نوبة بركات وصاحبه القصّار هذا .

مَن بقي من أصحابه فصلبوا وضربوا بالنشّاب حتى ماتوا ، وذلك في شهر ربيع الأوّل سنة سبع عشرة وخمسمائة . ثمّ ظُفر بالخيّاط فلم يتبرّأ من حميد ، فصلب بجانبه . وصار أصحابه / يأتون بالكافور ويلقونه قريباً من خشبته سرًّا ، حتّى إنَّ [418أ] مَن هناك يشمُّ ريحَ الكافور ، فيُشيع أصحابُه أنّ هٰذا من كراماته التي ظهرت بعد صلبه . فلمّا آشتهر هٰذا أمر المأمون بحطّ رممهم عن الخشب ودفنهم [متفرّقين] ، بحيث لم يعرف قبر حميد [من قبور أصحابه] .

وكان حميد قصيراً دميم الخلقة ، يَتَنَمَّسُ[1] بالدين ويواصل طلوع الجبل في عدّة من أصحابه ، ويصلّي ركعتين ثمّ يحضر إليهم المأكل من الجبل ، فيرى أصحابه أنّه أحضر إليهم ذلك من الغيب . وكانوا يبالغون في تعظيمه حتى إنّهم يخافون الإثم في تَأمُّلِ صورته فلا يزالون مطرقين بين يديه . وهم مع ذلك يسألونه الحوائج ، فما منهم أحد إلّا ويستدعي منه بالجبل شيئاً على سبيل الامتحان فيحضره إليه لوقته .

وكانت معه سكّين لا تقطع إلّا بيده . فإذا أمسك طائراً أو قبضة أحدٌ ممّن عنده ، يدفع السكّين التي معه إليه ويقول : آذبحه ! — فلا تمشي في يده حتى يأخذها هو ويذبحه بها ، فيجري دم الطائر . ثمّ يعود فيمسكه بيده ويسرّحُه فيطير .

وكان أصحابه يزعُمون فيه أنّ الحديد لا يؤثّر في جسمه .

1310 ـ حميدان بن حوّاس العقيليّ [— 368][2]

ويقال فيه حمدان ، والأوّل أشهر . ولي دمشق من قِبل العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعزّ لدين الله سنة ثمان وستّين وثلاثمائة ، بعد ظفره بهفتكين الشرابي . بعثه إليها في نحو مائتي رجل . وكان قسّام[3] إذ ذاك متغلّباً على

(1) تنمَّس : تظاهَرَ بالتقوى والدين (دوزي) .
(2) ابن القلانسيّ : ذيل تاريخ دمشق ، 21 — أمراء دمشق ، 28 : ابن جوّاسب
(3) قسّام الترّاب أو الحارثيّ : أمراء دمشق ، 215 .

دمشق ، فلم يكن لحميدان مع قسّام أمر . ولم تطل مدّته حتى وقع بينه وبين قسّام ، فأطرده العيّارون من أصحاب قسّام ، وخرج هارباً من البلد ، فنهبوا داره .

وقوي أمر قسّام . فجاءت القرامطة ، جعفر وإخوته ، فنزلوا على دمشق فمنعهم قسّام من البلد وعمل على قتالهم فساروا إلى الرملة .

فولي دمشق بعد حميدان أبو محمود[1] .

ويقال إنّه ولي دمشق في سنة واحدة ، وهي سنة ثمانٍ وستّين هٰذه ، ظالم ابن مرهوب العقيلي ، والقرمطي ، ووشّاح[2] وحميدان وأبو محمود .

1311 – حميضة ابن أبي نمي [– 720][3]

حميضة بن محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليم بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى ابن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، الشريف الأمير عزّ الدين ، أبو [...] ابن الشريف الأمير أبي مهدي وأبي نمي ، ابن أبي سعد ، الحسنيّ .

ولي إمارة مكّة شرّفها الله ، هو وأخوه أسد الدين رميثة ، قبل موت أبيهما أبي نمي ، في ثاني صفر سنة إحدى وسبعمائة . فانتظر إلى الموسم – وكان قد حجّ من مصر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير . فلمّا رجع من منى ليطوفَ طواف الوداع ، وقف له أبو الغيث وعطيفة ، ابنا أبي نمي ، وشكيا من أخويهما حميضة ورميثة شكوى طويلة ، منها أنّهما منعاهما إرثَ أبيهما وسجناهما مدّة حتى

---

(1) أبو محمود هو إبراهيم بن جعفر بن فلاح . انظر ترجمته رقم 98 .

(2) وشّاح السلميّ من قِبَل الأعصم القرمطيّ .

(3) الوافي 13 / 203 (238) – الدرر 2 / 167 (1637) – السلوك 1 / 948 – البدر الطالع 1 / 238 (159) .

فرّا منهما . فقال بيبرس لحميضة : ألا تسمع ما يقول أخواك ؟

فقال : يا أمير المؤمنين[1] ، نحن نتصرّف في إخوتنا ، وأنتم قد قضيتم حجّكم ، فلا تدخلوا بيننا .

فغضب بيبرس ، وأشار إلى الأمير سيف الدين طاش تمر الجمقدار . فلكم حميضة [و]ألقاه إلى الأرض ، وللحال كتفت يداه ويدا أخيه رميثة وجعل في أعناقهما الحديد . فطار الخبر بمكّة ، فركب الأشراف والعبيد ، وصاح النساء من أعلى البيوت ، ورموا بالحجارة . فثار أمراء مصر وأتباعهم مستعدّين للحرب . فجُرِح ثلاثة عشر رجلاً – وقيل ستّة – وثمانية أفراس . وخرجوا بحميضة ورميثة في الحديد إلى ظاهر مكّة . وأقيم في إمارة مكّة عوضَهُما أخواهما أبو الغيث وعطيفة . وساروا بحميضة ورميثة إلى مصر ، وصعدوا بهما في الحديد إلى قلعة الجبل أوّلَ يوم من المحرّم سنة آثنتين وسبعمائة . فسجنا إلى صفر سنة ثلاث وسبعمائة . [ثمّ] أفرج عنهما وأحضرا بين يديّ الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأعيد حميضة إلى إمرة مكّة ، ومعه أخوه رميثة ، على عادتهما ، وخلع عليهما . وأريد حميضة أن يلبس كلفتاه زركش فآمتنع من ذلك . فهدّد بعوده إلى السجن إن لم يفعل ، فلبسها ، وأجلس هو ورميثة فوق الأمراء .

وانصرفا . فبعث إليهما / الأميران بيبرس وسلّار وسائر الأمراء الهدايا ، [418ب] وأجريت عليهما الرواتب السنيّة . وصارا يركبان بالميدان مع السلطان . ولعب حميضة بالكرة مع الأمراء والسلطان ، وبالغ الجميع في تعظيمه وإكرامه ، إلى أن سافر بأخيه ، ومعهما عزّ الدين أيدمر الكوندكي ليسلّمها مكّة . فأقام بمكّة إلى أن خرج بالركب من مصر الأمير سيف الدين نوغاي القبجاقي في سنة سبع وسبعمائة ، وقدم به إلى مكّة . فبلغه أنّ عبيد حميضة تتخطّف من التجّار أموالها وتتعرّض للحجّاج وتأخذ منهم ما أرادت غصباً . فأرسل جماعة لتقبض على واحدٍ منهم . ففرّ مَن كان معه من رفاقه وأخذ . فثارت العبيد وأركبوا حميضة ومعه

(1) هٰكذا في المخطوط ، وهو لقب غريب .

الأشراف بالسلاح يريد الحرب ، وكان شجاعاً مقداماً متهوّراً لا يحسب أنَّ أحداً يقف له .

فركب نوغاي أيضاً بأصحابه وثبت موضعه ونادى بالأمان وأن لا يخرج أحدٌ من موضعه ، ومن عُدم له شيءٌ كان على أمير الركب ، ثمّ ساق بمن معه . فإذا طائفة من أهل الستر والحجّاج قد تعلّقوا بالجبل خوفاً من الشرّ أن يدركهم . فوضع السيف فيهم وقتل منهم خلقاً كثيراً على أنّهم من العبيد . وأُعلِم بهم فلم يكفّ عنهم .

وأقبل يريد حميضة بمكّة ، فانهزم عنه لكثرة من معه . وخرج شيوخ الحرم والمجاورين إلى نوغاي ، وما زالوا به حتّى رجع . وأستمرّ حميضة فكثر ظلمه . وبلغ ذلك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فجرّد إليه الأمير سيف الدين طقصبا الناصريّ على جماعة من أمراء مصر ، وجرّد من دمشق الأمير بلبان البدريّ ، ووصلوا جميعاً مع ركبَي مصر ودمشق في موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة . ففرّ حميضة إلى جهة اليمن ونزل حيّ بني يعقوب .

فرتّب طقصبا عوضَه أخاه أبا الغيث بن أبي نمي ، وأقام العسكر معه بعد الموسم شهرين ، وعادوا .

فجمع حميضة وقدم مكّةَ بعدما أستمال بني حسن ، فتركوا أبا الغيث وأنهزم إلى وادي نخلة ، وأستقرّ حميضة بمكّة . فبعث إلى السلطان بأثني عشر فرساً قَوَداً وسأل العفوَ . فلم يعفُ عنه وحبس رسوله . فقطع حميضة أسمَ السلطان من الخطبة ودعا لصاحب اليمن ، وأخرج أخاه رميثة . فقدم مصر في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة ، فجرّد السلطان معه عسكراً .

ثمّ أخرج حميضة أخاه أبا الغيث من مكّة أيضاً ، فنزل وادي نخلة . فخرج إليه وقاتله فقُتل أبو الغيث . وعُقيب قتله قدم العسكر مع رميثة ، ففرّ منهم مختفياً في زيّ أمرأة وسار إلى العراق ولحق بخربندا ، فأحتفل به وتلقّاه وبالغ في إكرامه

وأجرى له الرواتب ، ووعدَه أن يردّه إلى إمارة مكّة بجيش يبعثه معه ليقيم له الخطبة بالحجاز . وندب معه أربعة آلاف فارس ليوصلوه إلى مكّة ، ويقيم بها معه ألف فارس ويعود بقيّتهم .

فسار في رجب سنة ستّ عشرة وسبعمائة يريد مكّة . فبلغ خبره محمد بن عيسى أخا مهنّا بن عيسى - وقد بلغه موت خربندا - وبيّت عسكر حميضة فقتل كثيراً من المغل . وفرّ حميضة ، وأسر محمدٌ منهم أربعمائة وغنِم سائرَ ما معهم ، وكان شيئاً كثيراً ، وبعث يبشّر السلطان بذلك .

فنجا حميضة ومعه أميران من أمراء المغل في نحو خمسين من التتر ، ومضى إلى مكّة . فلمّا قاربها بعث يرغّب أخاه رميثة في إقامته معه شريكاً له . فأبى عليه وبعث يستأذن السلطان في ذلك . فأجابه بأن لا يُمَكَّنَ من مكّة حتى يحضر إلى مصر ، ويقيم بها تحت ظلّ السلطان وله الأمان . فأستمال حميضة إلى مكّة عنوة وقطع اسم الملك الناصر من الخطبة ، ودعا لأبي سعيد بن خربندا صاحب العراق ، ومدّ يده فأخذ أموال التجّار ومياسير الناس . فلمّا قدم رميثة إلى مصر وأعلم السلطان بذلك ، جرّد معه الأمير صارم الدين أزبك الجرمكي وبهادر الإبراهيمي على ثلاثمائة فارس . فساروا به مع الركب في شوّال سنة سبع عشرة . فأنهزم حميضة بين أيديهم من غير قتال حتى أنقضى الموسم وعاد العسكر من مكّة .

[فـ]ـقدم إليها وأقام خارجها / ، وأخوه رميثة بها ، وبعث يسأل أن يُعفى [419أ] عنه . فبعث السلطان في سنة ثماني عشرة الأمير أيتمش المحمّديّ ، ومعه بهادر السعيديّ الكركي ، أمير علم ، على خمسين جنديًّا ، وكتب أماناً لحميضة . فلمّا نزلوا بطن مرّ تلقّاهم رميثة ، ووقف على أمان أخيه [فـ]ـسرّ به وأعلمهم أنّه نازل عند بني شعبة . فبعث إليه أيتمش يخبره بأنّه حضر بالأمان حسب سؤاله ، ودعاه إلى الحضور . فتعلّل بأنّه لا يجد ما يتركه عند أهله إذا فارقهم ، وأنّه مقيم بهم في جوار بني شعبة . فبعث إليه أيتمش حملين بشماط[1] وحملين دقيقاً وحملَ سكّر

(1) البشماط : كعك غير محشوّ (دوزي) .

وألفَ درهم فضّة . فقبل ذلك وٱمتنع بقلعة منيعة على مسافة ثلاثة أيّام من مرّ تعرف بريمة . فشقّ ذلك على أيتمش ، وركب إليه . ومرّ على وادي نخلة وعبر الوادي حتى نزل تحتها في اليوم الثاني ، فإذا هي فوق جبل عالٍ ، وبها حميضة في ألفَي رجل ، وتحته فرس . فتلقّوا أصحاب أيتمش بالحجارة حتّى كادوا أن يهلكوا ، وأحجمت خيلُهم عن ٱقتحام الأوعار . فترجّل أيتمش بمن معه ، ووالَوا رشقهم بالسهام وقتلوا منهم خمسين وجرحوا مائتين . فٱنهزم حميضة ، وصعد القوم الجبل فلم يقفوا له على خبر . وأسروا كثيراً من رجاله ثمّ أفرجوا عنهم ، وعادوا . وكتب أيتمش بذلك إلى السلطان .

فجرّد الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركمانيّ [. . .][1] على رميثة وحمل ألى مصر ، وولّى السلطان عوضَه عطيفة بن أبي نمي . فسار حميضة إلى البرّ وأقام به ، يتنقّل فيه إلى عدّة مواضع .

فلمّا حجّ السلطان في سنة تسع عشرة وعاد ، هرب منه ثلاثةُ مماليك وقصدوا اللحاق بالسلطان أبي سعيد بن خربندا ملك التتار ، وأعطوا بدويًّا مائتَي دينار ، فسلك بهم من بطن مرّ على وادي نخلة ، فصدفهم حميضة وهو يتصيّد . فسلّم عليهم وسألهم عن خبرهم ومال بهم إلى بيوتِهِ وأضافهم . فأعلموه بأنّهم يريدون العراق ، فوعدهم أن يسير بهم إلى أبي سعيد ويجعلهم من جملة أمرائه ، فأقاموا عنده . وكان أحدهم شابًّا جميلاً ، فٱختصّ به حميضة وصار يركب معه للصيد ويبيت عنده . فشقّ ذلك على صاحبَيه . وأقاما على مضض ، إلى أن بلغهما أنّ السلطان بعث إلى مكّة الأمير بيبرس الحاجب بدلاً من آق سنقر شادّ العمائر ، ليقيمَ عند الشريف عطيفة ، حماية له من هجوم حميضة عليه . [فـ]ـأخذا في تعنيف الشابّ وحسّنا له قتلَ حميضة . فمال إلى قولهما وترصّد حميضة حتّى نام ، وجلس يغمز رجليه . فلمّا تمكّن منه النوم أشار

(1) نقص في الكلام ، ولعلّها : فتغلّب ...

لصاحبيه ، فدخل أسندمر منهما وضربه بسيفه فقدّه نصفين وحزّ رأسه . وركب فرسه « جمعة » – وكانت من عتاق الخيل – وسار برفيقيه إلى مكّة . فسرّ الشريف عطيفة والأمير بيبرس بقتل حميضة . وبعث بأسندمر ورفيقَيه مع ولده ناصر الدين محمد بن بيبرس إلى السلطان . فأنكر قتل حميضة وقال : كنت أُريدُ حضورَه حيًّا ، وما أحبّ أن يقال إنّي عجزتُ عنه حتّى قتله غيري .

وأمر بقتل الثلاثة فما زال الأمراء به حتى عفا عن الاثنين وضرب عنق أسندمر قاتل حميضة . وكان قتل حميضة [. . .] سنة عشرين وسبعمائة .

وكان كريماً شجاعاً وافر الحرمة لا يتجاسر أحدٌ في أيّامه أن يتعدّى طوره ، حتّى إنّه قتل إنساناً لكونه أخذ رطباً من نخل وجده مطروحاً بالبريّة . فكان الناس بعد ذلك يمرّون بالذهب فلا يتعرّضون له خوفاً من سطوته .

1312 – حمير بن سبإٍ[1]

حمير – ويقال له : العرنجج – بن سبإٍ الأكب – وهو عامر عبد شمس – آبن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود – نبيّ الله – [و]أخو عاد بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح .

عهد إليْه أبوه عبد شمس بالملك ، وجعل لأخيه كهلان بن عبد شمس المشورة كما قد ذكرته في ترجمة سبأ[2] . فكان حمير أوّل مَن لبس التاج الذهب . ورثى أباه بأبيات طويلة – وهي أوّل مرثية قيلت في العرب وأوّلها [متقارب] :

عجبت ليومك ماذا فعل وسلطان عزّك كيف انتقل / [419ب]

(1) جواد علي : 1 / 17 – الإكليل 8 / 179 – كتاب التيجان في ملوك حمير حيدر أباد 1347 ص 51 – الطبريّ ، 1 / 211 – جمهرة أبن حزم ، 432 .

(2) ترجمة سبأ مفقودة .

ثمّ جمع الجيوش ، وسار من اليمن يطأ الأمم ويدوس الأرضين وهو يوغل في المشرق حتى أبْعَدَ يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس . ثمّ قفل نحو المغرب ، فأتته قبائل من اليمن من بني هود النبي عليه السلام ، يشكون إليه ثمود بن غاثر ٱبن إرم بن سام بن نوح ، وما نزل بهم من ظلمهم وعسفهم . ووافاه رسول أخيه بابليون بن سبإ يستدعيه لنصرته على بني حام ، فإنّهم لمّا أتاهم موت سبإ عتَوا على مدينة مصر وٱستعانوا بإخوتهم بني ماريع بن كنعان بن حام ، فأتوهم من الشام – وبها كانت منازلهم – وبعثوا إلى إخوتهم الحبشة أولاد كوش بن حام ، وهم نزول على النيل ، إلى بلاد النوبة ، فصاروا يداً واحدةً يريدون خراب مصر . فبعث حمير بنقل ثمود وإنزالهم بأيلة فنزلوها وٱمتدّوا من أيلة إلى ذات الإصاد إلى أطراف جبل نجد ، فقطعوا الصخور ونحتوا من الجبال بيوتاً .

ونزل حمير بدمشق ونصب لحرب بني ماريع بن كنعان حتّى أثخن فيهم ، وأجرى على من بقي منهم الخراج وفرض عليهم الإتاوة في كلّ سنة يحملونها إليه . ففرّت الحبشة من أرض مصر حتى نزلت حيث هي الآن .

وسار حمير في بلاد المغرب يوقع بالأمم حتى بلغ البحر المحيط . وأجرى على القبط وهم بقمونية الخراج ، ورجع إلى مصر بعدما أقام في بلاد المغرب مائة عام يبني المدن ويتّخذ المصانع . فمات أخوه بابليون بمصر فولي بعده ٱبنُه ٱمرؤ القيس ٱبن بابليون على مصر . وفي أثناء ذلك تكبّرت ثمود وطغت على بني كنعان وغيرهم من الأمم المجاورة لها . فبعث الله إليهم صالح بن عرم بن شاهد بن هميسع بن هرير بن عميل بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح رسولاً ، فعصوه وعقروا الناقة التي سألوه أن يخرجها لهم من الصخرة ، فأهلكهم الله بالصيحة .

وكانت كتابة حمير بالمسند . وسمّي بذلك لأنّه أُسْنِد[1] إلى نبيّ الله هود

(1) في المخطوط : أستند . وفي كتاب التيجان ، 54 تفصيل لرؤيا حمير ،وثبت بالحروف التي أوحيَ بها إليه (ولكنّ اللوحة مفقودة من النسخة المصوّرة التي ٱطّلعنا عليها) . ويمكن مقارنة

عليه السلام ، فأمره في منامه بأن ينزّه الكتاب المسند عن أن يرقم على الحديد والأعلام التي ينصبها على الأقاليم بالحجارة وعلم في منامه الخطّ الحميريّ : وصورته :

فلمّا ملك الأرض بأسرها وطال عمره حتّى بلغ أربعمائة وخمساً وأربعين سنة ، مات . وقد أقام في الملك أربعمائة سنة . وقام مَن بعده آبنه وائل بن حمير ، واستمرّ الملك في عقِبه .

وكان حمير إذا قعد في مجلس الملك [و] قعد أخوه كهلان لطعام ، قعد إلى جانبه ، ثمّ أتي بطشتين وإبريقَين فصُبّ عليهما معاً ، ثمّ أدني للأيمن يمنة وللأيسر يسرة حتّى يعمّ الغسل جميع الجلساء . فكانا أوّل مَن أحدث في غسل الأيدي طشتَين لليمين والشمال .

وآقتصر كهلان على ما حكم له به أبوه سبأ ، وتسلّم الأعنّة وملك الأطراف والثغور ، فقام به أحسن قيام ، ورتّب الولاة . وسأل أخاه حمير في إعَانتِه ، فأمر له بالأموال والخيول والإبل والطعام والأسلحة والروايا ونحو ذلك . وتقدّم إلى أهل المملكة بآمتثال ما يأمر به كهلان .

فندب كهلان إلى أرض الحجاز جرهم ولفيفها وولّى عليهم سيّدَهم هيّ بن بيّ بن جرهم بن الغوث بن يشدد بن سعد بن جرهم بن قحطان بن غابر ، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعُوا أمرهٔ ، وقسم عليهم الخيل والعدد والسلاح والزاد والروايا ، وأعطاهم . وكتب هيّ بن بيّ كتاباً إلى ساكني الحجاز من العمالقة ، وهب وسعد بن هزّان الأولى وبني مطر وبني الأزرق وغفار ، بالسمع والطاعةِ

= الحروف التي نقلها المقريزيّ هنا بالجدول الذي أثبته ناشر كتاب «فرجة الهموم والأحزان» ص 20 .

ودَفْعِ الإتاوة ، فكان كتاب عهده الذي كتبه هي بن بيّ [طويل] :

أَلَائِكُ من كهلان عن أمر حمير لعامله هيّ بن بيّ بن جرهم[1]
[420 أ] إلى مَن بأعراض الحجاز محلّهُ من الناس طرًّا من فصيح وأعجم /
على أنّ هيًّا ليس يُعصى وأنّه لديهم لذو أمرٍ أثيرٍ مقدّم
وإلّا فلا يلحون إلّا نفوسَهم إذا ما منوا بالقيروان العرمرم

فخرج هي بن بيّ إلى الحجاز بمَن معه ، ووليَها وتمكّن بها ، حتّى غلبت جرهم العماليق الأولى على الحجاز .

ثمّ جهّز كهلان إلى أرض نجد ممّا تياسر من الطائف إلى حضن فإلى ضربة فإلى حدود اليمَامة ، وندب الهميم بن عاصم بن جلهمة الجديسي في قومه جديس الذين تخلّفوا باليمن وولّاه على ساكني هٰذه البلاد من أهل الوبر ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، وكتب إليهم وإلى ساكني نجد من ظاهرة العمالقة وعبد الأولى وعبد بن ضخم كتاباً وهو : بآسمك اللهمّ [الطويل] :

من آبن سبأ كهلان عن أمر حمير إلى أهل نجد للهميم بن عاصم
على أنّ لا يعصى الهميم وأنّه يطاع ويُعطى الخرج خرج المواسم
وإلّا فلا يلحون إلّا نفوسهم إذا ما مُنُوا بالخيل تحت الضراغم

فسار الهميم في جديس حتّى توسّط بلاد نجد ما بين اليمَامة وجبلَي طيّىء والطائف وملكها وأخذ من أهلها الإتاوة وأنفذها إلى كهلان .

ثمّ دعا كهلان لعمرو بن جحدر ، أحد مَن تخلّف باليمن من ثمود بن غابر ، فجرّده إلى تيمَاء فالوادي فخيبر إلى ما قارب أيلة ، وعقد له الولاية على ساكني تلك البلاد من ثمود وزهرة بن عمليق ، وكان كتابه [طويل] :

من ابن سبأ كهلان عن أمر حمير إلى ساكني الوادي لعمرو بن جحدر

(1) ألائك ج ألوكة : رسالة .

على طاعة منهم لعمرو بن جحدر | وللقيل كهلان وللملك حمير
ودفع الإتاوات التي يسألونها | إلى عاملي عمرو الهمام الغضنفر
وإلّا فلا يلحون إلّا نفوسَهم | إذا زارهم بالبيض والسمر عسكري

فسار عمرو وقطن تيمَاء .

ويقال إنّ حمير توفّي لسبع مائة وأثنتين وأربعين سنة قمريّة من الطوفان . ويُذكر أنّه لمّا أحتُضر قال لأبنه وائل بن حمير وقد أقامه في الملك بعده وأنزل قصر غمدان : يا بنيّ ، إنّي لا أحبّ ثقلَ الثرى وغمّ الضريح ، ولكن أجعلوا لي نفقاً في هٰذا الجبل ، جبل عبقر ، ثم أَقعِدوني فيه . — ففعل به أبنه وائل ذلك . فكان حمير أوّلَ مَن جُعل في مغارة ، ووضع ابنه وائل معه جميع لأمته غيرة وأنفة أن يلبسها أحدٌ من بعده . وكتب في لوح من رخام ، وعلّقه عند رأسه ، هٰذه الأبيات [كامل] :

غبر العرنجج مدّة من دهره | بعد الإقامة والأسى لم تغبر[1]
وأراش دهراً لا تطيش سهامه | ورمى فأثبت في العلى من حميَر
قُبِر الندى والجودُ عند محلّه | والشخص بادٍ فيهمُ لم يُقبر
ماتَت لميتتِه المعالي جمّة | والعزّ أصبح ثاوياً في عبقر

ويقال إنّ أولاد حِمير هم : وائل ، والعدد في بنيه ، ومنهم عامّة التبابعة — ومالك ، وعامر ، وعوف ، وسعد ، وعمرو . فولد وائل بن حمير : السكسك ، ورُعين الأكبر ، وأوزاع ، وذا الكلاع .

وولد مالك بن حمير : قضاعة بن مالك بن حمير ، وهوازن ، والعفو ، والأسطور ، ويغفر .

وولد عامر بن حمير : دهمان . وولد دهمان يحصب .

(1) التيجان ، 56 .

وولد سعد بن حمير : السُّلف وأنعام .

وولد عمرو بن حمير : الحرث . وولد الحرث [...] .

وولد السكسك بن وائل بن حمير : زهران بن سكسك ، ولهم كانت اليمَامة .

وولد يعفر بن مالك بن حمير : العافر ، وشرعت ، ووهب ، وصوّان .

وولد شعبان أقهوب ، وولد أقهوب قهبان .

وولد مالك بن حمير : قضاعة بن مالك . فولد قضاعة عشرة ، وهم : [420ب] كلب ، / وخولان ، ومرّة ، وعمرو ، وتنوخ ، وبليّ ، وراسب ، ونهداء ، وعذرة ، وجهينة .

ويقال : إنّ حمير لمّا جوّز مائة سنة من عمره قال [كامل] :

مُلِّكْتُ من عدد السنين هُنَيدة ... ذا الملك عمرك زينة الأيّام[1]
وأرى الشباب يميل في لهو الصبا ... ومع الشباب غواية الآثام

فلمّا بلغ من عمره مائتي سنة قال [كامل] :

ساميّتُ عن مائتين ملكاً باذخاً ... والعمر لا يبقى مع الأعوام
قالوا : لحِمْيَرَ مدّةٌ محجوبة ... والغيب لا يخفى عن العلّام

فلمّا بلغ ثلاثمائة سنة قال [كامل] :

لمّا بلغت من المئين ثلاثة ... كان الذي أمضيتُ كالأحلام
والعُمرُ يدأب ، والمشيبُ ، كلاهما ... يتسابقان إلى محلّ حِمام

فلمّا بلغ أربعمائة سنة قال [كامل] :

---

(1) في المخطوط : والملك عمر ذريعة الأيّام . والإصلاح من التيجان ، 55 .

وبُدّلت من ذي أربع ملكتها   عوضاً من الأيّام بالأسقام[1]
هيهات من حكم الخلود فقد أبى   من أن أُخلّدَ حاكمُ الحكّام

فلمّا بلغ أربعمائة وخمساً وأربعين سنة قال ، وقد جمع بنيه : يا بنَيَّ ، إنّكم لم تصحبوني على أن لا أموتَ ، بل كنتم تنتظرونه فيّ صباحاً وأنتظره فيكم مساءً . وقد حلّ ما كنتم تنتظرونه ، وأتى الوقت وأمري لك يَا وائِل ، وأنشد [كامل] :

يا مَن رأى صرفَ الزمان مصوّراً   يغدو على الآباء والأعمام
غدَر الزمان بعهد ملكك فانقضَى   وبعبد شمس قبل ذاك وسام
وأمنت دهرك بالمنى ، وخطوبه   بالغدر دانية إليك روام
هجم المنون على زمانك بغتةً   فغدوت مرتحلاً بغير ذمام
يبكون إن مرّوا عليك ، وقلّما   يغني البكاءُ على مدى الأيّام
ولانت بعد حلوله مستيقظ   من ضَنْكِ فاقرة لفصل مقام

1313 – حنظلة بن صفوان [– بعد 127][2]

(والي إفريقية)

حنظلة بن صفوان بن نوفل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن عزيز بن أبي جابر بن زهير بن جنّاب بن هبل بن عبد الله بن كناتة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، الكلبيّ . أبو حفص ، الدمشقيّ ، أمير مصر وإفريقيّة .

---

(1) في المخطوط : وبلغت ، والإصلاح من التيجان ، 55 .

(2) ابن عذاري 1 / 58 – تهذيب ابن عساكر 5 / 12 – الكندي ، 71 ، 80 . الأعلام 2 / 323 .

ولايته مصر

قدم مصر مع أخيه بشر بن صفوان الكلبيّ[1]. وٱستخلفه عليها عندما سار إلى إفريقيّة . فأقرّه يزيد بن عبد الملك بن مروان على الصلاة بمصر ، فجعل على شرطه محمد بن أبي مطير البلويّ . ثمّ صرفَه في سنة ثلاث ومائة بالقاسم بن أبي القاسم السبائي . وخرج إلى الإسكندريّة وٱستخلف على الفسطاط عقبة بن مسلم التجَيبيّ . وكتب إليه يزيد بن عبد الملك في سنة أربع ومائة بكسر الأصنام والتماثيل فكُسرت الأصنامُ كلُّها ومُحيَت التماثيل .

وقدم عليه أخوه بشر من إفريقيّة يريد الشام ، فبلغه موت يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومائة واستخلاف هشام بن عبد الملك بعده . فصرف هشام حنظلة عن مصر في شوّال منها فكانت ولايتُه عليها ثلاث سنين . وولّى عوضه أخاه محمد بن عبد الملك بن مروان .

ثمّ أعاد هشام حنظلة إلى ولاية مصر بعد عزل عبد الرحمان بن خالد بن مسافر / فقدمها يوم الرهان وهو يوم الجمعة لخمس خلون من المحرّم سنة تسع [421 أ] عشرة . وقد فرش منبر الخيل لأبن مسافر . فجلس حنظلة في مجلس ابن مسافر . وأقبل ابن مسافر حتى بلغ جبل يشكر . فقيل له ذلك ، فقال : لا إلاه إلّا الله ! هكذا تقوم الساعة .

ومضى كما هو إلى المنبر . فٱعتذر إليه حنظلة وقال : لو علمتُ أنّك هو ، ما وليت عليك .

ونزل حنظلة دار الإمارة . وجعل على شرطه عياض بن حريبة[2] بن سعد الكلبيّ . فٱنتقض أهل الصعيد . وحارب القبطُ عُمّالَهم في سنة إحدى وعشرين ومائة . فبعث حنظلة أهل الديوان فقتلوا منهم أناساً كثيراً وعادوا

---

(1) مرّت ترجمة بشر برقم 926 .

(2) ضبطنا الاسم عن الكندي ، 81 .

ظافرين .

وقدم إلى مصر رأس زيد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب في سنة ٱثنتين وعشرين . وصرف عياض بن حُريبة عن الشرط بقيس بن الأشعث التجيبيّ . فمات قيس في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ، فجعل بعده عقبة بن نعيم بن صائد الرعينيّ .

وكان لحنظلة ريطة يلبسها ويصلّي فيها فإذا كان يوم الجمعة ٱحتزم بها على قبا أبيض وتقلّد السيف ، ثمّ صعد المنبر فخطب ثمّ صلّى بالناس الجمعة .

ولايته على إفريقيّة (سنة 124)

وبينا هو إذ قدم عليه كتاب هشام بأن يستخلف على مصر ويسير إلى إفريقيّة والياً عليها عوضاً عن كلثوم وقد قُتل . فٱستخلف حفص بن الوليد وسار إلى إفريقيّة يوم الاثنين لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة ، وكانت ولايتُه الثانية خمس سنين وثلاثة أشهر .

فلمّا قدم إفريقيّة للنصف من جمادى الأولى كتب إليه أهل الأندلس وأهل الشام وغيرهم يسألونه أن يبعث إليهم والياً . فبعث أبا الخطّار حسامَ بنَ ضرار الكلبيّ ، فدانُوا له .

قتاله للصفريّة

وأخرج عبدَ الرحمان بنَ عتبة إلى عكاشة بن أيّوب الفزاريّ ، وقد جمع جمعاً وافراً . فلقيَه وهزمه وقَتل عامّةَ أصحابه . فجمع جمعاً آخر فلقِيه عبد الرحمان وهزمه . فجمع جمعاً ثالثاً ، وأتاه عبد الواحد بن يزيد الهواري ثمّ المدغميّ[1] — وكان صفريًّا — عوناً له على حنظلة ، فقاتلَهُما عبد الرحمان فقُتل

(1) ضبطنا هذه النسبة من الكامل 5 / 193 (حوادث سنة 117) .

وأصحابه . ومضى عبد الواحد فأخذ تونس ، وسُلّم عليه بالخلافة ، وخرج يريد القيروان . ومضى الفزاري إليها أيضاً ، كلّ منهما يبادر أن يسبق صاحبه . فلمّا رأى حنظلة ما غشيه من جموع البربر ٱحتفر على القيروان خندقاً . وزحف عبد الواحد وكتب إلى حنظلة يأمره أن يُخلِّيَ له القيروان ومن فيه . فأسقط في يده ، وظنّ أهل القيروان أنّهم سيُسبَوْن . وصار حنظلة إذا بعث الرسولَ ليأتيَه بالخبر لا يخرُجُ إلى مسيرة ثلاثة أيّام إلّا بخمسين ديناراً .

وقعة القرن والأصنام(سنة 125)

فلمّا غشيه عبد الواحد نزل من القيروان على نحو مرحلة بمكان يقال له : الأصنام . ونزل الفزاريّ على ستّة أميال . فكتب حنظلة إلى الفزاريّ كتاباً يثبّطه ويمنّيه ، رجاء أن لا يجتمعا عليه فلا يطيقها . وكان عكاشة أقرب إلى حنظلة . فصبح عبد الواحد الأصنام بجموعه ، وزحف حنظلة إلى الفزاريّ لقربه منه ، ومعه أهل القيروان وقد أيسوا من الحياة لما كانوا يتخوّفونه من الذراريّ وذهاب النساء والأموال . فلقِيهم بالأصنام فهزم اللهُ عبدَ الواحد وجمعَه ، وقُتل من معه قتلاً لا يدرى ما هو ، وهرب مَن بقي منهم وعجز عن إحصاء مَن قُتل فعدّهم بالقصب فبلغت عدّتُهم مائة ألف وثمانين ألف قتيل . وعاجل عكاشةَ الفزاريّ من ليلته فقاتله بالقرن وهو على غرّة لم يبلغه ما أصاب عبدَ الواحد ، فهزمه الله ومَن معه وأُخذ أسيرًا فقتله حنظلة .

وكانوا كلّهم صفريّة يستحلّون سبيَ النساء . وكان ذلك في سنة خمس وعشرين [ومائة] . فلمّا بلغ الليثَ بنَ سعد خبرُ هٰذه الوقعة قال : ما غزوةٌ أحبُّ إليّ أن أشهدها بعد غزوة بدر من غزوة العرب بالأصنام !

[421ب] وكان حنظلة كتب إلى معاوية بن صفوان / عامله على أطرابلس يأمره أن

يخرج إليه بمَن معه ، فسار إلى قابس ، فبلغه خبر الوقعة . فكتب إليه حنظلة في برير خرجوا بنفزاوة وسبَوا أهل الذمّة أن يسير إليهم ، فمضى بمَن معه وقاتلهم فقُتل بعد ما قتل الصفريّة وٱستنقذ ما كانوا أصابوا من أهل الذمّة . فبعث حنظلة زيدَ بنَ عمرو الكلبيّ إلى جيش معاوية فعاد بهم إلى إطرابلس .

ثورَة عبد الرحمان بن حبيب

فلمّا قدم خبر قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، خرج من إفريقيّة عامّة القوّاد ، وفيهم ثعلبة بن سلامة ، إلى الشرق . فثار عبد الرحمان بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهريّ بتونس وجمع لقتال حنظلة وإخراجه من إفريقيّة . فأرسل إليه حنظلة لمّا بلغه ذلك وجوه إفريقيّة يدعوه إلى الدّعَة والكفّ عن الفتنة . فأتاهم في طريقهم [خبر] ولاية مروان بن محمد الخلافةَ فهمّوا بالانصراف . فبعث إليهم عبد الرحمان خيلاً صرفهم إليه . وكانوا قد كاتبوه سرًّا ، فبعث بهم في الحديد إلى تونس ، حنَقاً من خروجهم إليه . وكتب إلى حنظلة أن يخلّي له القيروان ، وأجّلَه ثلاثاً وكتب إلى صاحب بيت المال [أن] لا يعطيه ديناراً ولا درهماً إلّا ما حلّ له من أرزاقه . فهمّ حنظلة بقتاله ، ثمّ حجزه عنه الورع ، فإنّه كان ورعاً لا يرى القتال إلّا لكافر أو خارجيّ .

رجوع حنظلة إلى الشام (سنة 127)

وخرج بمن خفّ معه من أهل الشام في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومائة ، ودخل عبد الرحمان القيروان . فدعا حنظلة على أهل إفريقيّة وعلى عبد الرحمان فٱستُجيبَ له فيهم : فوقع الطاعونُ سبعَ سنين لم يفارقهم إلّا في أوقات متفرّقة ، وقُتل عبد الرحمان .

وكان حنظلة لمّا مضى من إفريقيّة قدم مصر ونزل بالجيزة وقد ٱمتنع أهلُ مصر من ولاية حسّان بن عتاهية عليهم . فكتب مروان بن محمد إليهم : أمّا إذ

أبيتم ولايةَ حسّان فقد أمّرت عليكم حنظلة بن صفوان . — فلم يرضَوْا به وخلعوا مروان . وجاء رجاء بن الأشيم في عدّة إلى حنظلة وأخرجه إلى الحوف الشرقيّ ومنعه المقامَ بالفسطاط . فلحق بالشام وأقام بها حتى شهد حصار دمشق مع عبد الله بن عليّ .

وذكر البلاذريّ أنّه مات بالقيروان وهو والٍ عليها .

وقد روى عنه أبو قبيل ، وحكى عنه محمد بن شعيب بن شابور [الدمشقيّ المحدّث] . وكان حسن السيرة في سلطانه .

1314 — حُنين البدويّ

كان ينوب في ناحيتي مليج وشطنوف وهما في إقطاع الأمير سيف [الدين] قلاوون الألفيّ . فلمّا تسلطن[1] قدم عليه ، ومعه هديّة الريف . بدا له أنّه له عليه خدم بتقدمة ومعرفة قديمة . ووقف له بالإصطبل وباس الأرضَ . فبشّ له وقال له : إيش حسك ؟

قال : يا خوند . والله طيّب ، لكن يا خوند ، عليه الطلاق : إنّ آمرأتي بصرت مناماً للسلطان وكذبتُها . فلمّا سمعت بالسّلطان بقيت تهارِتْني[2] وتقول : كذبتنِي !

فقال له : والك ! وإيش رأت امرأتك ؟

قال : رأت كأنّك قاعد على كرسيّ السلطنة وأنّي قد حضرت إليك . فقلتَ لي : والك يا حنين ، اذني[3] قد صرت سلطاناً فتمَنَّ عليَّ ! — فقلت :

(1) تسلطن المنصور قلاوون سنة 678 (النجوم 7 / 292) .
(2) هرته : طعنه ، ولعلّ المقصود هنا : تخاصمني .
(3) لعلّها كلمة عاميّة : بمعنى : ها أنانا .

يا خوند ، أتمنّى أن تولّيني الغربيّةَ . — فخلعتَ عليَّ وولّيتَني . فعندما رأتني آمرأتي بالخلعة أخذتها وقال : هٰذه حقّ منامي .

فتبسّم السلطان وقال : لتروح إلى الشجاعيّ يخلع عليك ويولّيك .

فذهبب إلى الشجاعيّ وحكى له ما جرى . فنهره وطرده عنه . فعاد إلى السلطان وعرّفه . فطلب الشجاعيّ وقال له : لم لا خلعتَ على حنين ما حكى لك منام آمرأته ؟

فقال : يا خوند ، وبمنام يتولّى حنين الغربيّة ، وقد كان يتولّاها الأمير شهاب الدين بن يغمور ، تبقى بعده بيد بدويّ فلّاح ؟

فصمّم على ولايته . فما وسعه إلّا أنّه ولّاه . فباشر الولاية بحرمة عظيمة وسطوة زائدة ، وسفكَ دماءَ كثير من المفسدين لمعرفته بهم وبمظانّهم . ولم يُغيّر زِيَّه . وشُغف باللهو والطرب .

ومن نوادره أنّه سمع بجماعة من كتّاب المحلّة وأعيانها قد آجتمعوا على لهو . وعندهم مغنّيَتان مشهورتان . فمشى في الليل وحدَه ومعه خرج صغير وطرقهم على غفلة وقال : جئناكم حرفاءَ — ثمّ جلس معهم على شرابهم وغنائهم . فقام الجماعة يرقصون واحداً بعد واحدٍ حتّى رقص جميعهم . فقام حنين ووضع الخرج في عنقه / وقال ، وهو يرقص ، والمغنّيتان تزفّ[ـان]ـه : [422 أ]

قد جئتكم ، وأنا حنين ، في بيتكم
أملأ خرجي من أين ؟ من عندكم !

وصار يكرّر ذلك حتّى فهموا قصده ، فما منهم إلّا من وضع في الخرج مبلغاً من ذهب أو فضّة ، وألق[ـت] المغنّيّتان ما عليهما من الحلي والتفاصيل[1] وألقتاه في الخرج . وكمّل ليلته عندهم ثمّ خرج عنهم .

---

(1) التفصيلة : القطعة من القماش .

ولم يزل في ولايته حتّى مات ودُفن في موضع بناحية مليح يقال له « بولة » فقال فيه [طويل] :

لقد دفنوا ذاك الخراء ببولة   يحقّ لتلك الميتة ذاك الخرا[1]

1315 - حوثرة بن سهيل الباهليّ [- 132][2]

حوثرة بن سهَيل بن العجلان بن سهيل بن كعب بن عامر بن عمير بن رباح بن عبد الله بن عبد بن فرّاض بن باهلة ، أبو المثنّى ، الباهليّ ، أخو عجلان بن سهيل ، من أهل قنسرين .

كان مع مروان بن محمّد يوم غلب على دمشق ، في جنده . ثمّ ولّاه مصر فسار إليها ، ومعه عمرو بن الوضّاح في الوضّاحيّة ، وهم سبعة آلاف ، وعلى أهل حمص نمير بن يزيد بن حسين بن نمير الكندي ، وعلى أهل الجزيرة موسى ٱبن عبد الله التغلبيّ ، وعلى أهل قنسرين أبو حمل بن عمرو بن قيس الكنديّ . وقدّم أبا الجرّاح بشر بن أوس الحرشيّ إلى مصر فقدمها يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرّم سنة ثمان وعشرين ومائة . فٱجتمع الجند إلى حفص بن الوليد وسألوه أن يمانع حوثرة فلم يوافقهم . وسلّم لأبي الجرّاح وٱعتزل .

فخاف أهل مصر حوثرة فبعثوا إليه يزيد بن مسروق الحضرميّ فلقيه بالعريش وسأله الأمانَ لأهل مصر على ما أحدثوه من خلع مروان . فأجابه وكتب لهم كتاباً بعهد وأمان قدم به إليهم . فٱطمأنّوا .

ثمّ بعث حوثرة إليهم يستأذنهم في المسير إليهم والدخول إلى مصر . فأذنوا

---

(1) البيت غير موزون ، وقد مرّ في ترجمة أخرى .

(2) الأعلام 2 / 326 - الوافي 13 / 218 (258) - الكندي ، 88 - النجوم 1 / 305 - الأخبار الطوال 374 - أنساب الأشراف 3 / 137 - تاريخ خليفة بن خيّاط 2 / 426 . الكامل 5 / 442 (سنة 132) .

له . فسار إليها ونزل خارج المدينة ، وبعث إليهم : إن كنتم في طاعتي فألقَوني في الأردية ! – فخرج إليه حفص بن الوليد ورجاء بن الأشيم في وجوه الجند . فلمّا دخلا عليه فسطاطَهُ قيّدَهُما ، فآنهزم الناس .

ودخل حوثرة الفسطاط على الصلاة والحرب ، ومعه عيسى بن أبي عطاء على الخراج في يوم الأربعاء لثنتَي عشرة خلت من المحرّم سنة ثمان وعشرين . فجعل على شرطه حسّان بن عتاهية . وقدم كتاب مروان إلى أهل مصر : إنّي قد بعثت إليكم رجلاً أعرابيًّا بدويًّا فصيح اللسان ، من حاله ومن حاله . فآجمعوا له مَن فيه مثل خصاله ، يسدّده في القضاء ويصونُه في المنطق ويسدّده .

فأجمع رأيهم على الليث بن سعد . وجمع حوثرة الجند إلى المسجد وخطبهم بشعر بلعاء[1] بن قيس [طويل] :

دعوت أبا ليلى إلى الصلح كي يَبُو ... برأي أصيل أو يردّ إلى حِلم[2]
دعاني لشبّ الحرب بيني وبينه ... فقلت له : مهلاً ، هلمّ إلى السلم

وبعث الخيل في طلب رؤساء الفتنة ووجوههم . فجمع عامّتهم وضرب عنق رجاء بن الأشيم [الحميريّ][3] في عدّة ، لثنتَي عشرة بقيت من المحرّم . وعزل خير بن نعيم عن القضاء ، وفرض لشِيعة مروان ومن كان يكاتبه ، وصافي الخاصّة ، وفرض لزيان بن عبد العزيز في بني أميّة ألفاً ، وفي قيس ألفاً ، وفرض لجماعة ، وعقد لمحمّد بن زيان بن عبد العزيز على الجند وأنفذ معه أهل الديوان إلى العريش ، فطلبوا ثابت بنَ نعيم الجذاميّ حتى أسروه وبعثوا به إلى مروان [بن محمّد] . ثمّ قتل حفص بنَ الوليد ، ويزيد بن موسى بن وردان لليلتين من شوّال .

(1) بلعاء بن قيس الكنانيّ . انظر الحيوان 3 / 60 هامش 5 . والمؤتلف والمختلف (في أسماء الشعراء) للآمدي ، نشر عبد الستّار فرّاج القاهرة 1961 ص 150 .
(2) يبو : يَبُوءُ ، أي يرجع ويقرّ . والبيتان نقلها الكندي ، 90 .
(3) زيادة من النجوم 1 / 305 .

وقدم داعية عبد الله بن يحيى طالب الحقّ أحد الخوارج إلى مصر ودعا إليه فبايعه أناس من تجيب وغيرهم . فٱستخرجهم حسّان بن عتاهية ، فقتلهم حوثرة .

ثمّ صُرف حوثرة عن مصر في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وبعث به مروان مدداً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق . فٱستخلف على مصر [422ب] حسّان بن عتاهية – وقيل : بل / ٱستخلف أبا الجرّاح بشر بن أوس – وخرج من مصر لعشر خلونَ من رجب سنة إحدى وثلاثين . وكانت ولايته على مصر ثلاثَ سنين وستّة أشهر . ولحق حوثرة بٱبن هبيرة فسار معه يريد محاربة قحطبة ٱبن شبيب أحد دعاة بني العبّاس ، وقد ٱستولى على عامّة أنعامه ونزل جلولاء . فأقبل إليه قحطبة وعبر دجلة ونزل دون الأنبار . فقدّم ابن هبيرة حوثرة في خمسة عشر ألفاً إلى الكوفة فارتحل في أثره – وقيل : إنّ حوثرة لم يفارق ابنَ هبيرة .

وقيل : إنّ مروان لمّا استبطأ ابن هبيرة في مناجزتهِ قحطبة كتب إليه : كأنّك لا تراني ان راسل بن عمرو قتلى ، فوالله ما أعلم مكان عزّنيّ على وجه الأرض لو كانت الخلافة تصلح له أولى بها منه [1] .

فقال ابن هبيرة : يرحم الله أمير المؤمنين : ما يدع المحسن حتّى يسيء !

فبعث مروان الحوثرة على العراق وقال له : لا تظهر عهدَك حتى تقدم على يزيد ، فإنّي أخاف أن يمتنع عليك . فخرج وهو لا يشكّ في العراق أنّه قد وليها فكان إذا كتب إلى يزيد بن هبيرة يبدأ بنفسه . فبلغ ذلك مروان فكتب إليه : بلغني كتابُك إلى يزيد وأنّك بدأت بنفسك . فإذا جاءك كتابي هٰذا فٱلحقْ بأميرك يزيد بن عمر بن هبيرة .

فقدم على يزيد فلم يذكر له شيئاً ولا عاتبه على ما كان . ومضى معه يريد

---

(1) رددت الجملة هكذا في المخطوط ، ولم نفهمها ، ولم نجدها عند الطبريّ في أحداث سنة 131 .

الكوفة . فقال حوثرة لأبن هبيرة : إنّ قحطبة قد مضى يريد الكوفة ، فأقصد أنت خراسان ، ودعه ومروان ، فإنّك تكسره وبالحريّ أن يتبعك .

فقال : الرأي أن أبادره إلى الكوفة[1] .

وعَبَر دجلة ، وعلى مقدّمته حوثرة يريد الكوفة ، والفريقان يسيرون على جانبي الفرات . ثمّ عبر قحطبة من مخاضة وقاتل حوثرة فهزم أهل الشام . وفُقد قحطبة فقام من بعده حميد بن قحطبة وبايع لأخيه الحسن بن قحطبة ، وكان غائباً على سريّة . ولحق حوثرة بأبن هبيرة ، فأنهزم ابن هبيرة بهزيمة حوثرة إلى واسط وتركوا عسكرهم بمَا فيه من سلاح ومال وغيره . فأحتوى عليه الحسن بن قحطبة .

وقيل إنّ الحوثرة كان بالكوفة فبلغه هزيمة ابن هبيرة فسار إليه بمَن معه .

ويروى أنّ ابن هبيرة كتب إلى مروان يخبره بقتل عامر بن ضبارة بنهاوند . فوجّه إليه الحوثرة في عشرة آلاف من قيس خاصّة . فاجتمعت الجيوش بنهاوند . وكتب ابن هبيرة بعهد مالك بن أدهم عليها كلّها . فحاصر قحطبة أهل نهاوند نحواً من أربعة أشهر حتّى أكلوا دوابّهم وأصابهم جوع وجهد شديد . ثمّ صالح مالك بن أدهم قحطبة وفتحت المدينة في شوّال سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وقتل قحطبة أهلَ خراسان الذين خرجوا مع نصر بن سيّار وقال : إنّي لم أصالح على أهل خراسان إنّما صالحتُ على أهل الشام – وأدّعى مالك أنّه صالح على أهل خراسان وأهل الشام .

فلمّا كان يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة سنة أثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، بعث أبو جعفر المنصور خازم بن خزيمة ، فقتل ابن هبيرة وأخذ بشر آبن عبد الملك بن بشر بن مروان ، وأبان بن عبد الملك بن بشر بن مروان ، وآبنَين لأبان ابن عبد الملك بن بشر ، والحوثرة بن سهيل هذا ، ومحمد بن نباتة .

---

(1) الطبريّ ، 7/ 413 .

وقعد الحسن بن قحطبة في مسجد حسّان القبطي على الدجلة ممّا يلي المدائن ، فحُملوا إليه فضرب أعناقهم .

قال ابن يونس عنه : كان رجل سوء سفّاكاً للدماء ، تحكى عنه حكايات في خطبه .

وذكر المدائنيّ أنّ عثمان بن نهيك تولّى قتلَه بأن أدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه وقال : يا عدوَّ الله كنت الكاتب إلى مروان : إنّ الله مخزيهم ، ثمّ لم يرضك إلّا شتمُنا .

1316 ـ حُوَيّ بن حُوَيّ بن معاذ [ـ 200] (1)

حُوَيّ بن حُوَيّ بن معاذ بن عبد الله بن قيس بن عبد هلال بن العلمّس بن مدلج بن ميزن بن ضنّة بن عبد بن كبير بن عذرةِ بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، أبو [...] ، العذريّ ، من أهل وادي القرى .

ترقّت حاله إلى أن ولي الخراج بمصر خلافة لعبيد الله بن محمد المهدي أمير مصر للرّشيد في سنة إحدى وثمانين ومائة .

ومات بمصر سنة مائتين .

وكان له أولاد ولوا الولايات بمصر .

1317 ـ القاضي النفيس السراج القوصيّ [ـ 584] (2)

[423 أ] حيدرة بن الحسين بن حيدرة بن عليّ / بن أحمد بن الغمر ، أبو

(1) الكنديّ ، 398 .

(2) الوافي ، 13 / 228 (277) – الطالع السعيد ، 235 (160) – وفي عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر وعبد المنعم داود (بغداد ، 1977) ، 12 / 351 : =

المناقب ، القاضي النفيس ، ثقة الخلافة ، عمدة الإمام ، شرف الأحكام ، أمين الملك ، عزّ القضاة ، سراج الدين ، وَليّ أمير المؤمنين .

توفّي في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

ومن شعره يرثي بحريًّا [خفيف] :

مَن لجرِّ اللبَانِ في النعلين   ولإلقا المرسى على الأنبطين ؟[1]
وٱعتقال المدرى وقد سكن الريـ   ـحُ برغم السفَّار في تشرين[2]
والمجاديف مَن بها يستقلّ   بعدما قد أتاك ريبُ المنون ؟
من يرصّ البِروقَ في الجنب رصًّا   ويسدّ المأواتِ بالسَّرِقينِ ؟[3]
من تراه من بعد فقدك أضحى   حاملَ العِبءِ ماسكَ النقرون ؟[4]
مَن يُلالي لصحبه كلّ وقت   بنشيد جذلٍ وصوتِ حنين ؟[5]
يطربُ الأروعَ الحليمَ فيلهو   ويُسلّي بالحسنِ قلبَ الحزين
وإذا ما صعِدتَ فوق القرايا   قلتَ : مُدُّوا إليَّ حبل القوتين[6]
وأمسِكوا الراجعَ القويّ وشُدّوا   طرَفيه بالجدِّ والعمكين[7]

= حيدرة بن الحسن . . . يعرف بٱبن الغمر ، توفّي سنة 534 .

(1) اللبان : الحبل الغليظ يربط المركب إلى الرصيف . والمرسى : لعلّها جمع مرساة وهي الأنكر ، أو المَرَس والمرسة وهو الحبل . وفي عيون التواريخ : على الإبطين .

(2) المدرى : المشط . وهي أيضاً « عصا البحّار » (دوزي ، 2 / 439) .

(3) البُروق ج بَرَق : قال دوزي : لفظ تركيّ يعني « الأسلحة » . وترجمَه كاترومير بالزاد والمؤونة والعدّة في نصّ لأبن إياس . والمأوات ج مأوة : الحُفرة . والسرقين والسرجين بمعنى : الأسمدة من الزبل ، ولا علاقة لها بالملاحة .

(4) النقرون : من مادّة نقر ، والناقور هو الصور ، والنّقَيْرة : طبل صغير (دوزي) . ولعلّ هذا هو المقصود بالنقرون في لغة البحّارة .

(5) يُلالي مضارع لالى : يغنّي .

(6) القرايا ج قريّة : العُود الذي يحمل الشراع عرضاً من أعلاه . ولم نهتد إلى حبل القوتين .

(7) الراجع : لولب ترفع به الأشرعة وتعلّق (دوزي) .

فتنادي بالهال والهين صوتاً منه تنهدُّ شاهقاتُ الحصون [1]
وإذا ما الرياحُ هبّت شمالا صحتَ فيهم : أرخُوا حِبال القرون !
وإذا ما الرياحُ هبّت جنوباً واستمرَّتْ أقلعتَ بالدلُّونِ [2]
وتُرى في البحار ليلاً وصُبحاً طافياً راسياً كمثل النون
كنتَ في الصيف في نعيم مقيم والشتا أنت في العذاب الهونِ
كم لعمري سريتَ من تحت بوشٍ في الدياجي أصبحتَ في الطلموني [3]
تهتدِي في الظلام بالقُطب والجدْ يِ ، وفي الصبح بالضياءِ المبينِ
فتشقّ البحارَ في الليل شقًّا حركاتٌ تولّدتْ من سكون
لك في الخنِّ حين تنزلُ فيه نفثاتٌ شبيهةٌ بالجنون [4]
وكأنّ القمتر في يدك اليمـ ـنى بليلٍ عُكازُ أعمى مَهينِ [5]
تحرث الأرض بالمنابل حرثاً وتدقّ الأوتاد دقّ القُيون [6]
بسواري سَنط غِلاظ جُفاةٍ قطّعت من حراج سفط رشين [7]

---

(1) الهال والهين : الهال : زجر الخيل ، والهولة : الضجّة . والهين : الساكن المتّئد . فالهال والهين قد يعنيان الصوت العالي والصوت المنخفض .

(2) الدلّون : شراع مخصوص (دوزي) .

(3) البوش : الإبحار تحت الريح (دوزي) وهي محرّفة عن « بوجي » . وهي أيضاً آلة ضخمة تشدّ بها الأثقال في السفن والمرافئ . وهو المعنى المتداول عند بحّارة تونس . والطلموني قريبة معنى من « طَيْلمان » وهو صدر السفينة ، أو الخشبة التي توضع بالصدر لتشقّ الماء ، وتسمّى في الملاحة التونسيّة « تَلْمار » : تحريف Taillemer الفرنسيّة . ولعلّ الطلموني هنا نقيض البوش في معنى الهدوء والطمأنينة في قبالة العاصفة .

(4) الخنّ : قعر السفينة الذي تودع فيه البضائع (دوزي) .

(5) القمتر أو الغمتر : لم نهتد إلى معناها .

(6) المنابل : ترجمَها دوزي بالأوتاد أيضاً .

(7) السواري ج سارية وهي الصاري : عمود المركبة المنتصب وسطها ، وتعلّق به الأشرعة . والسَّنطُ بالفتح هو شجر القرَظ ذو الشوك . والسَّفطُ هو الوعاء كالقفّة . والرشين صمغ الصنوبر (دوزي) وقد يكون المائع الذي تسدّ به شقوق السفُن .

تحمل القمحَ للرّحا في قفاف ... عُمِلت في رشيدَ أو سنديون[1]

فإذا ما آنتهى وصار دقيقاً ... صرت للفُرن في محلّ العجين

فتهيّي خبزاً غليظ الحواشي ... فيه طعم الكمّون والأنسون[2]

كم لعمري حملت حملاً ثقيلاً ... لم تقل عند ذاك : هل من معين ؟

فالجواعيص والدواميس تشكو ... شجوها دائمًا إلى القطقون[3]

والأروبات والطوانس تبكي ... بدموع تزري بدمع العيون[4]

كانت المركب التي كنتَ فيها ... حَرَماً آمناً كحِصنٍ حصين

وهيَ اليومَ بعدَ فقدِك عُطلٌ ... بل حُطامٌ مُلْقَى ليومِ الدين

وقال يرثي قزّازاً آسمُه ياسين [طويل] :

بكى فقدَك المكّوكُ والمقبِض السِّنطُ ... وناح عليك النيرُ والتختُ والمُشْطُ

وتنتحب المِطْوَى عليك ، وطالما ... توسَّدْتَها ، والزور يدفعه القطّ[5]

وأعولت الألطاخ والمغزل الذي ... تدوّره فيها أناملُك السّبط[6]

أنامل لم تُخلَق لشيءٍ سوى السّدَى ... ولِلَّقطِ والتخليص ، يا حبّذا اللقطُ !

وصائحة ولهى عليك حزينة ... مدلّهَة والحقّ أحكمه الخرط[7]

---

(1) رشيد مرفأ مصريّ معروف . وسنديون ذكرها الوطواط ، 1 / 49 في الأعمال القليوبيّة .

(2) الكمّون في الأبزار والتوابل معروف . والأنسون نبات طيّب الرائحة .

(3) الدواميس ج داموس : الغار المظلم . أمّا الجواعيص والقطقون فلا ندري ما هي .

(4) الأروبات : الأربة هي العُقدة . والطوانس ج طَوْنس : حبل السفينة وعند دوزي : الحبل الخشِن ، وأصل الكلمة يُونانيّ .

(5) المِطوى : قضيب خشبيّ يلفّ عليه النسيج . والزور والقطّ لم نعرفها .

(6) الألطاخ : ج لطخ ، وهي في العاميّة القصبة التي يُدير عليها الحائك غزلَه ، وتوافق في الدراجة التونسيّة « لقّاطة » . وقال هٰذا الشاعر في قصيدة أخرى : كأنّما مغزل الألطاخ في يده . . . ويجمعها على اللطوخ في البيت السادس .

(7) الحُقّ بالضمّ : الوعاء . والخرط هو التدوير والعقد . والحُرْتة في تونس : العقدة المحكمة المدوّرة .

وتحسَب أصواتَ اللطوخ لدى السّدى حمائمَ بُرجٍ طِرنَ نفّرها القِطُّ
وقاعدة ، والعود منها مجدّد كشمعة صبحٍ لم يشـ[ـن] رأسَها القَطُّ
وناصح ما ينفكّ يرنو كأنّه إذا ما بدا في أذنِ غانيةٍ قُرطُ [1]
بكتك المواسير الصغارُ صبابةً وحُقَّ لكلّ منهمُ النّوح والغطّ [2]
تفرّق شملُ الكلّ منهم فأصبحوا لفقدِك كالأيتام وافقهُمْ قَحْطُ
لئن صرتَ في لحدٍ من الأرض ضيّقٍ فإنّك في الحانوت مقتدرٌ سَلطُ
ويندبك المتّيتُ والبكرُ التي إذا ما المجرّاتُ انعصَرْنَ لها لغطُ [3]
ويسمع للوقيق صوت ورنّةٌ وترجيع لحنٍ ما ترجّعُهُ القُبْطُ [4]
ترى الزعجلَ المنصوبَ يهتزّ خيفةً وفي جيدِه حَبلٌ ، بِهِ أحكمَ الرَّبطُ [5]
كأنّك فوق النول عمرو بن هندة وعمرو بن كلثوم إذا ما غدا يسطو [6]
تدلّي بها رجلَيك في قاع حفرة ترى الزَرْزَرَايَا فيه تعلو وتنحطُّ [7]
وتختلف الأنيارُ ، والصّفقُ واحِدٌ فتأتي برفع لم يُرَ مثلُه قَطُّ [8]
إذا ما آستقام الشغلُ غنّيتَ دائباً وإن ينقطع خيطٌ بدا الكُفرُ والسخط

---

(1) وناصح : لا يستقيم بها الوزن ، ولا يظهر لها معنى .
(2) الماسورة وجمعها المواسير : الأنابيب . وفي منجد الأب معلوف : ماسورة آلة الخياطة . والغطّ عصر الشيء ، لأستخراج مائه ، ولعلّه يعني عصر العينين بالبكاء .
(3) المتّيت لم نجدها . وذكرها الشاعر في قصيدة أخرى : والمشط يندب ، والمتّيت يسعده . . . (الوافي ، 13 / 229) . والمجرّة هي العارضة في الطاحونة أو الناعورة تشدّ إليها الدابّة التي تديرها (دوزي) . والبكر ج بَكْرة وهي خشبة مستديرة يلفّ عليها الخيط .
(4) الوقيق أو الونيق أو الوتيق : لم نعرفه .
(5) الزعجل كذلك لم نعرفه .
(6) في المخطوط : عمرو بن منة ، ووفّقناه مع عمرو بن كلثوم خصمِه .
(7) الزرزرايا وردت في قصيدته الرائيّة أيضاً : رجلاه في الزرزرايا ، وهو متّزر . ولم نعرفها .
(8) الصَّفْقُ تكثيف النسج . برفع لعلّها : بِوَقْعٍ . ورَفُع الثوب رقَّ ودقّ إلاّ أنّ مصدره : رفاعة لا رفع .

ومن حسن أخلاق له فوق نوله ... إذا سمع التكبير قال له : آزط ! [1]
كأنّك في ترجيع صوتك بالغنا ... فتًى مسَّه طيفٌ وهاج به خلطُ
تميل مع المكّوك زهواً كأنّما ... سُقيتَ سُلَافاً مُرَّة الطعم إسفنطُ
تظلُّ مدى الأيّام عُريانَ واقفاً ... ولا مئزرٌ فردٌ عليك ولا مِرطُ
كأنّك قد نُوديتَ للبعثِ والقضا ... وأسلمك الجيرانُ والأهلُ والرهطُ
كأنّك سبّاحٌ مُقيمٌ بلجّةٍ ... وليس لها قاعٌ وليس لها شطُّ
تصول على الصبيان صَولةَ مغضبٍ ... ألا دوّروا أو حوّلوا الغزلَ يا زُطُّ !
فمَن ذا بسيف الشمع بعدك ضاربٌ ... إذا أقبلت خيلُ الطوارد تمتطُّ ؟ [2]
ومَن طاعنٌ بالقرق [في] حلبة العدى ... صدورَ ثياب القطن ، لا الدرقُ اللمط ؟[3]
وأرملة جاءتك في نقص غزلها ... فبادرتَ للأيمَان مستعجلاً تخطو
وجمّعتَ ما في النول من زيبر السدى ... ومن طرف أسقـ[ـا]ط وقلت : كذا الشرط[4]
سقى وابلُ الوسميّ قبرَك دائمًا ... فما كنتَ ذا حيفٍ وما كنتَ تشتطُّ
فما تُنتجُ الأيّامُ مثلك آخراً ... إلى أن يبيض الذئبُ أو ينبح البَطُّ !

1318 – الأمير المؤيّد [– بعد 455] [5]

حيدرة بن حسين بن مفلح ، الأمير المؤيّد ، مصطفى الملك ، معزّ الدولة ، ذو الرئاستين ، ابن الأمير عضب الدولة .

ولّاه المستنصر بالله إمرة دمشق ، فخرج من القاهرة في مستهلّ شهر رجب

(1) آزط : لعلّها لفظة عاميّة بمعنى : اسكت !
(2) سيف الشّمع : لعلّها أيضاً من مصطلح الحاكة .
(3) القُرقُ بقافَين : نعلٌ من الخفّاق أو الجلد غير المدبوغ الحامل لشعره أو صوفه . واللمط : حيوان من جنس الظباء . والدرقة : الترس الملساء . واللمطيّة الدرقة المتّخذة من جلد هذا الغزال . ونسبها الفيروزابادي إلى مدينة لمطة ببلاد البربر .
(4) الزيبر : ما تجمّع من خيوط الصوف ووبَر النسيج على النول .
(5) الأعلام 2 / 330 – تهذيب ابن عساكر 5 / 21 . ومختصر ابن منظور 7/ 295 (294) .

سنة إحدى وأربعين وأربعمائة . وصُرف بناصر الدولة أبي عبد الله الحسن ، ابن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان في نصف رجب سنة خمسين وأربعمائة[1].

1319 – حيدرة بن محمود [545 – 620]

حيدرة بن محمود بن عليّ ، أبو تراب ، الأنصاريّ .

ولد في نصف رجب سنة خمس وأربعين وخمسمائة . وتوفّي بالقاهرة ليلة الجمعة السادس عشر من شهر رمضان سنة عشرين وستّمائة ، ودُفن بسفح المقطّم .

1320 – ابن الضيف [(– 520)][2]

حيدرة بن عبد الظاهر بن الحسن بن علي ، الربعي ، المعروف بابن الضيف ، أحد دعاة الخلفاء الفاطميّين .

ومن شعره [كامل] :

يا ليلة عمر الزما ... ن بطولها مثل العلامة
يُثني عليَّ ظلامُها ... وغرامُها ثنيَ العمامة
حتّى كأنَّ نهارَها ... يبدو به فجر القيامة

وقال [كامل] :

طال النهار على المحبّ كأنّه ... يوم الحساب بآخر الدهر
وكأنّ ليلتَه وقد طلعت [له] ... عَقَدَ العشاءُ بها مع الفجر

(1) لا يخلو هذا الترتيب من خلط : فالأمير الجديد بعد المؤيّد هو أبو محمد ناصر الدولة الحسن ابن ناصر الدولة أبي عبد الله الحسين بن الحسن بن عبد الله أبي الهيجاء بن حمدان ، وهو صاحب الترجمة رقم 1179 (انظر ص 359) .

(2) الأعلام 2 / 330 – ابن سعيد : النجوم 337 – الخريدة (مصر) 1 / 285 .

1321 – المؤتمن ابن البطائحيّ[1]

حيدرة بن فاتك بن مختار بن حسن بن تمّام ، المؤتمن ، سلطان الملوك ، نظام الدين ، أبو تراب ، ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع ، ابن الأمير منجد الدولة أبي الحسن ، ابن الأمير أمين الدولة أبي عليّ ، أخي الوزير المأمون ابن البطائحيّ .

نشأ بالقاهرة . فلمّا اتّصل أخوه أبو عبد الله محمد بن فاتك بالأفضل ابن أمير الجيوش ، استعان به وبأخيهما أبي الفضل جعفر . فاستصوب الأفضل فعلَه ، ورتّب لهما الرواتبَ الدارّةَ في اليوم والشهر والسنة .

فلمّا استقرّ أبو عبد الله بعد قتل الأفضل في الوزارة ، صار إليه تقدمة العساكر وزمّ الأزمّة . ثمّ ولّاه الخليفة الآمرُ بأحكام الله الإسكندريّةَ والأعمال البحريّة والغربيّة والبحيرة والجزيرتين والدقهليّة والمرتاحيّة في سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وخلع عليه بدلة مذهّبة من خاصّ لباسه وطوق ذهب ، وقلّد بسيف قرابه وسقطه[2] ذهب بغير منطقة . وشرّف بتقبيل يد الخليفة في مجلسه ، وسلّم إليه تقليده في لفافة مذهّبة . وشدّت الأعلام والقُضب الفضّة والعماريّات ، وحمل على يديه أكياس المال برسم التفرقة ، وحَجَبه الأمراءُ المطوّقون والأساتذة المحنّكون . وقبّل أبواب القصور ومضى إلى داره . وأطلق له من ارتفاع الإسكندريّة على الولايتين في الشهر خمسمائة دينار .

فورد الخبر بأنّ رزين الدولة علي بنَ تراب والي الصعيد الأدنى وضامنَه قتلته لواته وعاثت في البلاد . فخرج المؤتمن ومعه طائفة من المأمونيّة ، وتاج الدولة

(1) ابن ميسّر (ماسي) ، 63 – اتّعاظ 3 / 97 .

(2) هكذا في المخطوط ، ولم ندر ما سقط السيف .

بهرام زمام الأرمن وجميع طائفته ، وجرّد معه مائة فارس من خيرة[1] الأجناد ومن أغنيائهم ، وأضاف إليه أمثالهم مثل علي بن السلّار ، وتاج الملوك قايماز ، وسيف الملك الجمل ، ودرّيّ الحرون ، وحسام الملك بسيل ، وكلّ واحد من هؤلاء له جيش بمفرده .

وسارت لواتة إلى الفيّوم ونهبوها وأحرقوها ومضوا مغرّبين . فأخذ مواشيَهم ، وتبعهم إلى الموضع الذي يقال له الحمام وأخذ أموالهم وعزم على ٱستئصالهم .

فبلغه أنّه قد وصل إلى الإسكندريّة من مراكب الروم والبنادقة نيف وعشرون مركباً . فبادر إلى الثغر ودخله ، فرأى الروم من عسكره ما هالهم فأقلعوا عن الثغر .

وأتاه مشايخ لواته ومقدّموهم وسألوه الوساطة بينهم وبين أخيه الوزير المأمون في الصفح عنهم ، على أن يقوموا عن جناياتهم بثلاثين ألف دينار عيناً ، أحضروها مع رهائنهم . فقرّر أمرهم على ذلك وقبض المال .

ولمّا ٱتّصل بأهل الإسكندريّة قدومه خرج إليه الفقهاء والقاضي والشهود والتجّار / وكافّة الناس ، حتى النساء ، ومعهم المصاحف والشموع ، وسلّموا [424ب]
عليه . فخيّم بظاهر المدينة وخرج إليه الإمام أبو بكر الطرطوشيّ للسلام عليه . فلم يقبل من أحد شيئاً سوى من القاضي مكين الدولة أبي طالب أحمد بن حديد قاضي الإسكندريّة وناظرها ، فإنّه قبل ما حمل إليه على حكم الضيافة ثلاثة أيّام . ثمّ أمره بأن لا يعود إلى حمل شيء . وأخرج كتابين من الوزير المأمون ، أحدهما يتضمّن أنَّ الغلال بالثغر وأعمال البحيرة كثيرة ، وكذلك الأغنام مع قطيعة العربان . فمها دعت الحاجة إليه برسم أسمطة العساكر يحمل ويساق وتُكتب به الوصول على ما جرت به العادة ، ويأمره فيه أن لا يقبل من أحدٍ من التجّارِ

---

(1) في المخطوط : من شره .

ضيافة ولا هديّةً .

والكتاب الآخر إلى مكين الدولة بأن يطلق في كلّ يوم من آرتفاع الثغر ما يحتاج إليه من الأصناف برسم الأسمطة للعساكر ، وأن يستخدم عليها مَن يراه من الشهود . وكان التجّار قد جمعوا من بينهم ثلاثة آلاف دينار ضيافة للمؤتمن وحملوها إلى مكين الدولة . فلمّا أحضرها إلى المؤتمن أنكر عليه وأمره بردّها إلى أربابها . فأخذ مكين الدولة يتلطّف به ويقول : نجعل عوضها طيباً وطرفاً ممّا عند التجّار فإنّه لا كلفةَ عليهم في ذلك . فأقسم أن لا يقبل منهم شيئاً ، فأعادها إلى أربابها . واستمرّت الأسمطة في كلّ يوم تُعمل من مال الارتفاع .

وشرع المؤتمن في ترتيب أحوال الثغر وعمارة ما تشعّث منه ، ولم يقبل لأحدٍ هديّةً . ثمّ خلع على مكين الدولة وسار لتمهيد ما آختلّ من البلاد فسدّد الأمر في ذلك ، وعاد إلى القاهرة . فمدحَه عدّة من الشعراء ، منهم أبو الفتح محمد بن قادوس ، وأبو القاسم عليّ بن الصيرفيّ .

وكان سبب عَوده أنّ[1] الخليفة الآمر لمّا تغيّر على الوزير المأمون ، بعث أستاذاً من ثقاته في أمر ندبه إليه ، وأسرّ له أن يجتمع بعليّ بن السلّار في خفية ، ويبلّغه سلام الخليفة ويقول له : إنّنا ما زلنا نلتفت إليك وندّخرك لمهمّاتنا ونتحقّق فيك الموافاة لنا . وإنّا بحمد الله قادرون على المكافأة بالخير أكثرَ من غيرنا . وقد تلوّنت أحوال المأمون ، وبالغ في عقوقنا بأشياء لا يتّسع لنا ذكرها . ومقصودُنا أن تكتم ما نقول لك .

فلمّا بلّغه الأستاذ ذلك عن الآمر قال : السمع والطاعة لمولانا وأنا مملوكه وباذل نفسي في خدمته .

فقال له الأستاذ : هكذا والله قال عنك .

قال : فما يأمر به ؟

(1) في المخطوط : عوده إلى .

قال : تحدّث رفقتَك بأجمعهم في الانفصال عن المؤتمن .

ثمّ تركه . ففارق ابن السلّار المؤتمن ، ومعه قايماز ، ودرّيّ الحرون .

فتبعهم بقيّة الأمراء ، وصار المؤتمن مستوحشاً ، وكتب إلى أخيه المأمون بذلك ، وكان يشعر بتغيّر الخليفة عليه فلم يحرّك ساكناً . وتقدّم إلى الخليفة عند حضوره على العادة وقال : يا مولانا ، صلوات الله عليك . وصل كتاب عبدك أخي وهو يشكو من طول مقامه خارج القاهرة ، وأسفه على ما يفوته من خدمة مولانا بالمباشرة ، ويسأل الفسحة له في العود إلى الباب الكريم .

فقال : مرحباً وأهلاً ! وهٰذا كان رأينا ، ونحن مشتاقون إليه ، وإنّما قصَدنا رضاك فيمَا رتّبتَه له ، يقدم على بركة الله .

فكوتب عن الخليفة بالعود وأن يرتّب في ولاياته مَن يختار . فلمّا دخل جلس له الخليفة في غير وقت الجلوس تشريفاً له وخلع عليه .

فلمّا دخل شهر رمضان سنة [تسع] عشرة وخمسمائة ، حضر المأمون والمؤتمن السماط بقاعة الذهب من القصر في أوّل ليلة . فأكرمَهُما الخليفة بمَا أخرج إليهما ممّا كانت يدُه فيه . وبعث يستأنس بالمؤتمن لحضوره السماط مع أخيه . فعاد في الليلة الثانية فزاد الخليفة في إكرامها ، وأذن للمأمون أن يدخل إليه ليؤاكِلَه ، ولم يتقدّمه أحدٌ من الوزراء لذلك ، فدخل . وهنّأه الناس بهٰذه المنزلة وخلع عليه وعلى أخيه المؤتمن من داخلِ الدار ثياباً داريّة . فلمّا حضرا في الليلة
[425 أ] الثالثة السماط بالقاعة استدعي / المأمون ليؤاكل الخليفة كما آكله البارحة . فعندما جلس على المائدة قال له : قد جفونا المؤتمن . — وٱستدعاه فدخل وصارا في القبضة . وكان قد رتّب لهما مَن يأخذهما . فلمّا فرغ الأكل وخرجا قبض عليهما وٱعتُقلا في خزانة وأحيط بدورهما . ثمّ قُتل مع أخيه في ليلة العشرين من رجب سنة ٱثنتين وعشرين وخمسمائة .

آخر الجزء الثالث

حرف الخاء المعجمة

1322 – خارجة بن حذافة [– 40][1]

خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عديّ بن كعب ، القرشيّ ، أحد أصحاب النبيّ ﷺ .

أمّه فاطمة بنت عمرو بن بجرة العدويّة . كان أحد فرسان قريش . يقال إنّه كان يعدل بألف فارس .

ولمّا حصر عمرو بن العاص القصر ، وأبطأ عليه الفتح وهويقاتلهم قتالاً شديداً يصبحهم ويمسيهم ، كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يستمدّه ويعلمه ذلك فأمدّه عمر بأربعة آلاف رجل ، على كلّ ألف رجلٍ منهم رجلٌ مقام الألف ، وهم : الزبّير بن العوّام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، وخارجة بن حذافة هٰذا في قول . وقيل : الرابع مسلمة بن مخلد .

وشهد خارجة فتح مصر مع عمرو بن العاص . وقيل إنّه كان قاضياً لعمرو بمصر . وذكر أبو عمر الكنديّ[2] أنّه كان على شرطة عمرو في مدّة ولايته الأولى كلّها ، وهي أربع سنين وأشهر . ونقل عن سعيد بن عفير أنّ عمرو بن العاص دخل مصر وعلى شرطه زكريا بن جهم بن قيس بن عبد بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار[3] ، ثمّ عزله بخارجة .

---

(1) الأعلام 2 / 332 – الوافي 13 / 239 (288) – أسد الغابة 2 / 83 (1327) .
(2) كتاب الولاة ، 10 .
(3) في المخطوط : عبد الدائم ، والإصلاح من الكنديّ .

فلمّا ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر بعد عزل عمرو بن العاص عنها ، جعل على شرطه هشام بن كنانة . فلمّا عاد عمرو إلى مصر في أيّام معاوية جعل خارجة على شرطه وٱستخلفه على مصر لمّا خرج منها للحكومة . وقيل : بل ٱستخلف ابنه عبد الله بن عمرو .

ولم يزل خارجة بمصر إلى أن قُتل بها . وذلك أنّ بني ملجم : عبد الرحمان ، وقيساً ويزيد ، تعاقدوا على قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وتواعدوا ليلةً من شهر رمضان سنة أربعين . فمضى كلّ واحدٍ منهم إلى صاحبه ، وكان يزيد هو صاحب عمرو . فعرضت لعمرو تلك الليلة علّة منعته من حضور المسجد ، فصلّى خارجة بالناس ، فشدّ عليه يزيد فضربه حتّى قتله . فدُخل به على عمرو ، فقال : أما والله ما أردت غيرَك يا عمرو !

فقال عمرو : ولكنّ الله أراد خارجة .

هٰذا قول الكندي . وذكر أبو عمر يوسف بن عبد البرّ أنّ الذي قتل خارجة رجلٌ من بني العنبر يقال له زاذويه . وقيل : إنّه مولى لبني العنبر .

وقيل : إنّ خارجة الذي قتله الخارجيّ بمصر على أنّه عمرو بن العاص رجل ٱسمه خارجة ، من بني سهم . وليس بشيء .

ولأهل مصر عن خارجة بن حذافة حديث واحد مرفوع وهو حديث الليث ٱبن سعد عن يزيد بن حبيب عن عبد الله بن راشد الزونيّ عن عبد الله بن أبي مرّة الزونيّ عن خارجة بن حذافة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : إنّ الله قد أمركم بصلاة هي خير لكم من حُمُر النَّعم : الوِتر جعله لكم فيمَا بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر .

ولهم عنه حكايات في نفسه[1] ، وإيّاه عنى أبوه حذافة بن غانم في قوله

---

(1) قراءة ظنّيّة .

يمدح عبد المطّلب بن هاشم وآبنه أبا لهب [طويل] :

أبو عتبة الملقي إليّ حبالَه أغرّ هجان اللون من نفرٍ زهر
أبوهم قصيٌّ كان يُدعى مُجمِّعاً به جمَعَ اللهُ القبائلَ من فِهر
أخارجَ إمّا أهلكنَّ فلا تزَل لهم شاكراً حتّى تُغيَّبَ في القبر

وكان سبب هٰذا المدح أنّ نفراً من جذام خرجوا من مكّة قد قضوا نسكهم في ابيات ففقدوا صاحِباً لهم / فلقوا حذافة بن غانم فأخذوه فآنطلقوا به [425ب] معهم . فلقي عبد المطّلب بعدما كفّ بصر عبد المطّلب ، ومعه ابنه أبو لهب ، فصاح به حذافة بن غانم ، فقال لأبي لهب : آرجع إليه فأتني به .

فآنطلق أبو لهب فكلّم الجذاميّين وقال : قد عرفتُم مالي وتجارتي ، وأنا ضامن لصاحبكم ، فأطلقوا هٰذا الرجل .

فأطلقوه ، فأقبل به إلى عبد المطّلب ، فقال له : هٰذا حذافة بن غانم .

فقال عبد المطّلب : أسمعني صوتك يا أبا المثلّم .

فكلّمه فآنطلق به معه .

قال الزبير بن بكّار : وقد آنقرض ولد حذافة بن غانم فلم يبقَ منهم أحد . كان آخرهم آمرأة يقال لها قُديسة بنت عون بن خارجة بن عون بن خارجة بن حذافة ، هلكت بمصر وتركت مالاً عظيمًا وموالي ، وورثها ابنُها عبد الرحمان بن إبراهيم بن الزبير بن سهيل بن عبد الرحمان بن عوف .

1323 ـ خاصّ ترك السفياني [ـ 593]

لقبه همام الدين . كان والي القاهرة ومات في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

1324 _ خالد بن أيّوب الوشقيّ

خالد بن أيّوب ، أبو عبد السلام ، الأندلسيّ ، الوشقيّ .

1325 _ خالد بن ثابت الفهميّ [– بعد 51]

خالد بن ثابت بن ظاعن بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن صبح بن والبة بن نصر بن صعصعة بن ثَعلبة بن كنانة بن عمرو بن القين بن فهم بن عمرو ٱبن سعد بن قيس بن عيلان ، الفهميّ ، تابعيّ من أهل الشام .

شهد الجابية مع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وبعث به إلى بيت المقدس لفتحها .

حدّث عن عمرو بن العاص ، وكعب الأحبار . روى عنه أبو إبراهيم المعافريّ . قال الليث عن يزيد بن أبي حبيب : إنّ عمر رضي الله عنه بعث خالدَ ٱبن ثابت الفهميّ إلى بيت المقدس في جيش ، وعمر بالجابية ، فقاتلهم ، فأعطوه أن يكون لهم ما أحاط به حصنها على كلّ شيء يؤدّونه ويكون للمسلمين ما كان خارجاً منها . فقال خالد : بايعناكم على هٰذا إن رضي به أمير المؤمنين .

وكتب إلى عمر يخبره بالذي صنع الله له . فكتب إليه أن قِف على حالك حتى أقدم عليك .

فوقف خالد على قتالهم وقدم عمر ، ففتحوا له بيت المقدس على ما بايعهم عليه خالد بن ثابت . (قال) فبيت المقدس يسمّى فتح عمر .

وقال الليث : وفي سنة أربع وخمسين غزوة خالد بن ثابت إفريقيّة .

وقال خليفة بن خيّاط : وفيها – يعني سنة أربع وخمسين – أغزى مسلمةُ

ٱبن مخلد [الأنصاريّ خالدَ] بن ثابت الفهميّ بلاد المغرب ، وأمره أن يستخلف أبا المهاجر دينار مولى الأنصار ، فٱنصرف وخلّف أبا المهاجر .

وعن الليث قال : كان ٱبن أبي الكنود الأزديّ يسمع قراءة خالد بن ثابت الفهميّ من الليل إذا صلّى على ظهر بيته ، وكان بين منزليهما دور في البعد .

وعن أبي إبراهيم المعافريّ أنّ خالد بنَ ثابت أخبره أنّ كعب الأحبار أوصاه وتقدّم إليه عند خروجه مع عمرو بن العاص إلى مصر : ألاّ يقرب المكس، ونهاه عن ذلك .

وقال ابن يونس : خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي : ولي بعض السرايا بالشام لعمر بن الخطّاب ، وشهد فتح مصر . يروي عن عمرو بن العاص ، وعن كعب بن مانع الحميريّ . وله حديث في كتاب الزكاة من موطإ ابن وهب الكبير . وهو جدّ عبد الرحمان بن خالد بن مسافر بن خالد بن ثابت ، وجدّ عبد الملك والوليد ابنَي رفاعة بن خالد بن ثابت أمراء مصر . وولي بحر مصر سنة إحدى وخمسين .

1326 ـ خالد بن جبير ، مولى غفار

يروي عن ٱبن عمر . وعنه جعفر بن ربيعة .

1327 ـ خالد بن حميد المهريّ [ـ 169][1]

خالد بن حميد بن خالد ، المهريّ ، أبو حميد ، الإسكندرانيّ .

يروي عن أبي هانىء حميد بن هانىء ، وبكر بن عمرو المعافريّ ، وأبي عقيل زهرة، وقيس بن الحجّاج .

(1) حسن المحاضرة ، 1/ 279 (173) .

وعنه بقية بن الوليد ، ومحمد بن حميد ، وعبد الله بن صالح ، وإدريس آبن يحيى ، وروح بن صلاح المراد [يّ] ، وآبن وهب ، وعبد الملك بن أبي كريمة ، وسعيد بن أبي سعيد الزبيديّ[1] ، ومسكين بن عبد الرحمان .

توفّي بالإسكندريّة سنة تسع وستّين ومائة .

قال أبو حاتم : لا بأس به .

وقال محمد بن عبادة بن زياد المعافريّ : كنّا عند أبي سريح فكدّت[2] المسائل . فقال أبو سريح : قد درنت قلوبكم . فقوموا إلى / أبي حميد خالد [426 أ] آبن حميد اصقلوا قلوبكم وتعلّموا هٰذه الرغائب ، فإنّها تجوّد العبادة ، وتورّث الزهادة ، وتجرّ الصداقة ، وأقلّوا المسائل ، إلّا ما نزل ، فإنّها تقسّي القلب ، وتورّث العداوة .

1328 ـ خالد بن حيّان الحضرميّ

خالد بن حيّان بن الأعين ، الحضرميّ ، من وجوه مصر .

يروي عن أبيه . وعنه يحيى بن أيّوب ، وعبد الله بن لهيعة ، وعبد الرحمان آبن ميسرة . وخرج به صالح بن عليّ إلى دمشق .

1329 ـ أبو أيّوب الأنصاريّ [ـ 52][3]

خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجّار ، أبو أيّوب ، الأنصاريّ ، أحد أصحاب رسول الله ﷺ .

---

(1) الزبيدي أو الزبيري أو الزنبريّ .

(2) قراءة ظنّيّة . وكدّت لعلّها بمعنى : كثُرتْ فأجهَدَت .

(3) أسد الغابة 2 / 94 (1361) : خالد و6 / 25 (5707) : أبو أيّوب – الوافي 13 / 251 (307) – شذرات 1 / 57 – العبر 1 / 56 .

أمّه هند بنت سعد بن قيس بن عمرو بن امرىء القيس بن ثعلبة بن كعب آبن الخزرج بن الحرث بن الخزرج الأكبر.

عقَبيّ ، شهد المشاهد كلّها . قدم مصر غازياً ، وشهد مع رسول الله ﷺ العقبة ، وشهد بدراً ، وأُحُداً ، والخندق ، وسائر المشاهد . وعليه نزل رسول الله ﷺ في خروجه من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجراً من مكّة . وآحتمل أبو أيّوب رحله ﷺ فوضعه في بيته ، فنزل عليه ﷺ شهراً حتى بنى مسجده ومساكنه . ثمّ آنتقل عليه السلام إلى مساكنه من بيت أبي أيّوب .

روى يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليَزَنيّ عن أبي رُهْم السَّماعي[1] قال : حدّثني أبو أيّوب قال : لمّا نزل عليّ رسول الله ﷺ نزل في السّفل ، وأنا وأمّ أيّوب في العُلوّ . فقلت له : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأمّي ! إنّي أكره وأُعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فآظهر أنت فكن في العلوّ ، وننزل نحن فنكون في السفل .

فقال : يا أبا أيّوب ، إنّ[ـه] أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت .

(قال) فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنّا فوقه في المسكن . فلقد انكسر حبّ لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأمّ أيّوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرَها ، ننشّف بها الماء خوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيءٌ فيؤذيه . (قال) وكنّا نصنع له العشاء فنبعث به ، فإذا ردّ علينا فضلةً تيمّمت أنا وأمّ أيّوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتّى بعثنا إليه ليلة بعشائه ، وقد جعلنا له فيه بصَلاً أو ثوماً . فردّه ، ولم أرَ ليدِه فيه أثراً . فجئته فزِعاً فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنتَ وأمّي ، رددتَ عَشاءك ولم أرَ فيه موضع يدك ، وكنتُ إذا رددتَه علينا

---

(1) له ترجمة في أسد الغابة 6/ 116 (5890) .

تيمّمت أنا وأمّ أيّوب موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة .

قال : إنّي وجدتُ فيه ريحَ هٰذه الشجرة ، وإنّي رجلٌ أناجي – وفي روايَة : أناجي مَن لا يناجون – أمّا أنتم فكلوه . (قال) فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

وآخى رسول الله ﷺ بين أبي أيّوب ومصعب بن عمير . ولم يزل مع رسول الله ﷺ بالمدينة . فلمّا توفّي النبيّ ﷺ لم يخرج منها حتّى كانت خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . فسار معه من المدينة وشهد معه الجمل وصفّين والنهروان . وذكر أبو سليمَان بن زبر أنّه سكن دمشق وشهد فتح مصر . وقال شعبة : سألت الحكم : أشهد أبو أيّوب صفّين ؟

قال : لا ، ولكنّه شهد النهروان .

وقال الكلبي وٱبن إسحاق ، وغيره : شهد أبو أيّوب مع عليّ الجمل وصفّين ، وكان على مقدّمته يوم النهروان .

ومات بالقسطنطينيّة في زمن معاوية بن أبي سفيان سنة خمسين – وقيل : إحدى وخمسين ، وقيل : ٱثنتين وخمسين – تحت راية يزيد بن معاوية .

وله عن رسول الله ﷺ عدّة أحاديث ، لأهل مصر عنه سبعة أحاديث أغربوا بها ، إلّا حديثاً واحداً رواه الناس معهم ، وهو حديث البصل . وحدّث عن أبيّ بن كعب ، وأبي هريرة . وحدّث عنه البراء بن عازب ، وأبو أمامة ، وأسلم التجيبيّ ، وأفلح مولاه ، وجبير بن نفير ، وعبد الله بن حنين ، وعبد الله ٱبن يزيد الخطميّ ، وعبد الرحمان بن أبي ليلى ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن يزيد الليثيّ ، وأبو سلمة بن عبد الرحمان .

[426ب] وحدّث عنه / من أهل مصر أبو رُهم السماعيّ ، وجبريل بن هاغان الناشريّ ، ومرثد بن عبد الله اليزنيّ ، وعبد الرحمان بن جبريل بن ناشرة الكنعيّ ، وزياد بن أنعم الشعبانيّ ، وأسلم مولى تجيب . وحدّث عنه سوى مَن

ذكرنا خلق .

وأخباره كثيرة . قال مرثد بن عبد الله اليزنيّ : قدم علينا أبو أيّوب مصرَ غازياً ، وعلينا عقبة بن عامر ، فحبس عقبة المغرب . فلمّا صلّى قام إليه أبو أيّوب : يا عقبة ، [أ]هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصلّي المغرب ؟ أما سمعته يقول : لا تزال أمّتي بخير – أو : على الفطرة – ما لم يؤخّروا المغرب حتّى تشتبك النجوم ؟

قال : بلى .

قال : فما حملك على ما صنعت ؟

قال : شغلت .

فقال أبو أيّوب : أما والله ، ما بي إلّا أن يظنَّ الناسُ أنّك رأيت النبيّ ﷺ فعل هٰذا .

وقال الليث عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ : قال أبو أيّوب : مَن أراد أن يكثر علمُه ، ويعظمَ حِلمُه ، فليجالِسْ غيرَ عشيرته .

وقال حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن عبد الله بن عبّاس : إنّ أبا أيّوب غزا الروم ، فمرّ على معاوية فجفاه . فلمّا مرّ من غزوته جفاه ولم يرفع به رأساً . فقال : إنّ رسول الله ﷺ أنبأني أنّا سنرى بعده أثَرَه .

فقال معاوية : فبِمَ أمركم ؟

فقال : أن نصبر .

قال : فاْصبروا إذن !

فأتى ابنَ عبّاس بالبصرة وقد ولِيَها لعليّ رضي الله عنه ، فقال : يا أبا أيّوب ، إنّي أخرجُ [لك] عن مسكني كما خرجتَ عن مسكنك لرسول الله ﷺ – فأمر أهله فخرجوا وأعطاه كلّ شيءٍ أغلَق عليه الدار . فلمّا كان انطلاقه

قال : حاجتك ؟

قال : حاجتي عطائي ، وثمانية أعبدٍ يعملون في أرضي - وكان عطاؤه أربعة آلاف فأضعفَها له مرّاتٍ : فأعطاه عشرين ألفاً وأربعين عبداً .

وقال ابن سيرين : قدم أبو أيّوب على معاوية فأجلسه معه على السرير . فجعل معاوية يقول : فعلنا وفعلنا - وأهل الشام حوله . فقال : يا أبا أيّوب ، مَن قتل صاحب الفرس أنذيا يوم كذا ؟

قال أبو أيّوب : أنا قتلتُه إذ أنت وأبوك على الجمل الأحمر ، معكما لواءُ الكفر !

فنكس معاوية رأسه . وتنمّر أهل الشام ، فرفع معاوية رأسَه وقال : مه ! مه ! وإلّا فلعمري ما عن هٰذا سألناك ، ولا هٰذا أردنا منك .

وقال الأعمش عن أبي ظبيان : غزا أبو أيّوبَ الروم فمرض . فلمّا ٱحتُضر قال : إذا متّ فٱحملوني ، فإذا أصففتُم للعدوّ فارموني تحت أقدامكم .

وقال سعيد بن عبد العزيز : أغزى معاوية بٱبنه يزيد في سنة خمسين في البرّ والبحر حتى أجاز بهم الخليج ، وقاتلوا أهل القسطنطينيّة على بابها ، ثمّ قفل .

وعن أبي بليان : أتيت مصر فرأيتُهم قد قفلوا من غزوتهم ، فأخبروني أنّه لمّا كان عند انقضاء مغزاهم بحيث يراهم العدوّ وٱحتضر أبو أيّوب قال : إن قبضت فأركبوا الخيل ثمّ ٱلقَوا العدوّ فيردّونكم حتّى لا تجدوا مقدماً ، فٱحفروا لي حينئذ قبراً ثمّ ٱدفنوني ثمّ سوُّوه ، ولتطإ الرجال والخيل عليه حتى لا يُعرفَ . - وقيل إنّ يزيد أمر بالخيل فجعلت تقبل وتدبر حتّى عفا أثره .

وقد قيل : إنّ الروم قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيّوب : لقد كان لكم الليلةَ شأن ؟

فقالوا : هٰذا رجل من أكابر أصحاب نبيّنا ﷺ وأقدمهم إسلاماً . وقد

دفنّاه حيث رأيتُم . والله لئن نُبش لَا ضُرِب لكم بناقوس في أرض العرب ما كانت لنا مملكة – قال مجاهد : فكانوا إذا أَمْحَلوا كَشفوا عن قبرِه فمُطروا .

وقال مالك : بلغني عن قبر أبي أيّوب أنّ الروم يستفلحون به ويستسقون .

وقال الواقديّ : توفّي سنة ثنتين وخمسين ، وصلّى عليه يزيد بن معاوية . وقبر[ه] بأصل حصن القسطنطينيّة . ولقد بلغني أنّ الرومَ يتعاهدون قبرَه ويستسقون به .

وقال أبو عبد الله الحسين بن نصر بن مزاحم المنقريّ في كتاب صفّين : وكتب معاوية إلى أبي أيّوب : حاجيتك : ما تنسى شيباء أبا عذرتها ولا قاتلَ بكرِها .

فلم يدرِ ما هو ، فأتى عليًّا رضي الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ معاوية كتب إليّ بكتاب لا أدري / ما هو ! [427 أ]

فقال عليّ : أرنيـ[ـه] .

فأتاه به . فقال : هٰذا مثل ضربه . يقول : لا تنسى شيباء – والشيباء العروسُ أوّل ما يدخل بها زوجُها الذي أخذ عذرتها : كذلك لا أنسى قتَلة عثمان .

وكتب معاوية في أسفل كتاب أبي أيّوب [بسيط] :

أَبلغْ لديك أبا أيّوبَ مألكةً ... أنّا وقومَك مثلُ الذئبِ والنَّقَد[1]
إمّا قتلتُمْ أميرَ المؤمنين فلا ... ترجُوا الهَوادةَ عندي آخرَ الأبدِ
إنّ الذي نلتمُوه ظالمينَ له ... أبقت حزازتُه صدعاً على كبدي
إنّي حلفتُ يميناً غيرَ كاذبةٍ ... لقد قتلتُم إماماً غيرَ ذي أودِ
لا تحسَبوا أنّني أنسى مَصَابتَه ... وفي البلاد من الأنصار من أحدِ

(1) وقعة صفّين ، 417 . والنقد : ضرب من الغَنَم .

أعزِزْ عليَّ بأمرٍ لستَ نائلَهُ ... وٱجهَدْ علينا فلسنا بيضةَ البلدِ
قد أبدلَ اللهُ منكم خيرَ ذي كلَعٍ ... واليَحْصُبيّينَ أهلَ الحَوف والجنَد
إنّ العراقَ لنا فقعا بقرقرة ... أو شحمة بزّها شاق ولم يكَد
والشام ينزلها الأبرارُ ، بَلْدتُها ... أمنٌ ، وحَوْمتُها عِرّيسَةُ الأسد

فلمّا قرأ أبو أيّوب الكتاب على عليّ رضي الله عنه ، قال : لشدّ ما شحذكم به معاوية يا معشر الأنصار ! أجيبوا الرجل !

فقال أبو أيّوب : يا أميرَ المؤمنين ، ما أشاء أن أقول من الشعر ما يعيى الرجل به إلّا قلتُه .

فقال : أنت إذن أنت !

فكتب أبو أيّوب إلى معاوية : لا تنسى الشيباء الشمطاءُ ثكلَ ولدِها ولا أبا عذرتها فضربتها مثل[ـاً بقتل] عثمان . وما نحن وقتل عثمان ؟ إنّ الذي تربّص بعثمان وثبّط يزيد بن أسد وأهل الشام عن نصرته لأنتَ ، وإنّ الذين قتلوه لغيرُ الأنصار – وكتب في آخره :

لا توعِدَنّا ابنَ حربٍ ، إنّنا بشَرٌ ... لا نبتغي وُدَّ ذي البغضاءِ من أحدِ
فٱسعَوا جميعاً بني الأحزاب كلّكمُ ... لسنا نريدُ وَلَاكُم آخرَ الأبد
نحن الذين ضربنا الناس كلّهُمُ ... حتّى ٱستقاموا وكانت عرضة الأوَدِ
والعام قسرك منّا إن أقمتَ لنا ... ضرباً يُزيِّل بين الروح والجسَد
أمّا عليّ فإنّا لن نفارقَه ... ما رقرقَ الآلَ في الداويَّةِ الجُرَدِ
وما تبدّلتَ منّا بعدَ نصرتنا ... دينَ الرسول أُناساً ساكني الجنَدِ
لا يعرفون – أضلّ الله سعيَهمُ ... إلّا ٱتّباعَكمُ يا راعيَ النقَد
فقد برى الحيّ ولاقيا وذي كلع ... واليحصبيّين طرًّا بيضة البلدِ[1]

(1) في المخطوط : فقد برى الحيّ ولاقيا ولى كلغ . فأخذنا بقراءة وقعة صفّين ، 419 . والبيت يبقى غامضاً .

ألّا نُدافع كفًّا دون صاحبها   حدّ الشقاق ولا أمّ على وَلَدِ

فلمّا أتى معاويةَ كتابُ أبي أيّوب كتمه .

1330 – ابن حبيش الصدفيّ [– بعد 160][1]

خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش ، الصدفيّ ، أحد وجوه مصر .

كان جدّه ربيعة من خاصّة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وشيعتِه ، وحضر الدار .

ونشأ خالد بن سعيد بمصر ، وقام بأمر دعوة بني حسن ، وقد قدم عليّ ابن محمد بن عبد الله بن حسن بن عليّ بن أبي طالب إلى مصر ، وبايعه كثير من أهلها . فأستشار خالد أصحابَه الذين بايعوا عليًّا ، وفيهم دِحْيَة بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، ومنصور بن الاصبغ ، وزيد بن الأصبغ . ابنا عبد العزيز . فأشار دحية أن يُبيّت يزيد بن حاتم الأمير في العسكر فيضرمه عليه ناراً .

وقال أهل الديوان : نرى أن / نحرز بيت المال وأن يكون قيامنا في الجامع . [427ب]

فوشي بهم إلى عبد الله بن عبد الرحمان بن معاوية بن حديج ، وهو يومئذ يخلف يزيد بن حاتم على الفسطاط . فمضى إلى يزيد بالعسكر ليخبره ، وذلك لعشر خلون من شوّال سنة خمس وأربعين ومائة . وسار خالد بمَن معه ، وعليه قباء أصفر وعمامةُ خزّ أصفر وقد سوّم فرسَه بعمامة ، وقصد المسجدَ نصفَ الليل . فأنتهبوا بيت المال ثمّ تضاربوا عليه بسيوفهم فلم يصل إليهم منه إلّا اليسير . وبعث يزيد مع ابن حديج بطائفة ليكشف الخبر . فصار إلى يزيد نفر من أهل

(1) الكندي ، 104 ، 111 – 115 .

مصر . وجمع قوّادَه وأصحابه وسيّرهم في طلب خالد . ففرّ منهم وقد أصابه سهمٌ . فٱختفى عند أبي كنانة يحيى بن جابر الحضرميّ سبعين ليلة . وكان من القوم ما ذكر في موضعه ، فلم يزل خالد مستخفياً زمناً طويلاً .

ثمّ مات في زمن المهديّ بعد الستّين ومائة بالإسكندريّة .

1331 - خالد بن ضِماد الصدفي

شهد فتح مصر .

1332 - خالد بن عائذ الزوفيّ [- 231]

خالد بن عائذ بن يحيى بن صالح ، الزوفيّ .

حدّث عنه يحيى بن عثمان بن صالح . يروي عن رشد بن سعد وابن وهب .

توفّي يوم الخميس لتسع خلون من رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

1333 - خالد بن عامر الزياديّ الإفريقيّ

حدّث عنه عيّاش بن عيّاش القتبانيّ . وحدّث عن خالد بن يزيد بن معاوية .

1334 - خالد بن عبد الرحمان البصريّ [- 212]

خالد بن عبد الرحمان بن خالد بن سلمة ، المخزوميّ ، البصريّ . قدم مصر

وحدّث بها ، وتوفّي بها سنة أثنتَي عشرة ومائتين .

1335 _ أبو الدرّيّ المعافريّ

خالد بن عبد الرحمان بن زياد بن أنعم ، أبو الدرّيّ ، المعافريّ .
روى عنه عبد الله بن يوسف التنيسيّ .

1336 _ أبو الهيثم العبديّ

خالد بن عبد الرحمان العبديّ ، البصريّ ، أبو الهيثم .
قدم مصر . يروي عن سماك بن حرب ، وعنه إسحاق بن الفرات .

1337 _ خالد بن عبد السلام الصدفيّ [_ 244]

خالد بن عبد السلام بن خالد بن يزيد بن أسد بن هدبة ، أبو يحيى ، الصدفيّ .

ثقة . رأى عبد الله بن لهيعة ، وجالس الليث بن سعد . آخرُ مَن حدّث عنه بمصر محمد بن محمد بن الأشعث الكوفيّ .

توفّي في المحرّم سنة أربع وأربعين ومائتين ، وكان يتشيّع .

1338 _ خالد بن عبد الله بن باقل الحضرميّ

حدّث عنه زياد بن يونس الحضرميّ . وكان يرابط ببرقة وكان رجلاً صالحاً .

1339 – خالد بن عبد الله الزياديّ

يحدّث عن أبي عثمان الأصبحيّ وغيره . حدّث عنه عيّاش القتباني وعمرو ٱبن الحرث .

1340 – خالد بن عبد [...] المعافريّ

يروي عن شعيب بن زرعة المعافريّ ومسرّح بن ماعان . وعنه حيوة بن شريح .

1341 – خالد بن عثمان المعافريّ الإفريقيّ

[حدّث] عن عبد الرحمان بن زياد بن أنعم . وعنه ، جماعة .

1342 – خالد بن عقبة الأمويّ[1]

خالد بن عقبة بن أبي معيط – وٱسم أبي معيط أبان – بن أبي عمرو – وٱسمه ذكوان – بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشيّ ، الأمويّ .

أسلم هو وأخواه الوليد وعمارة يوم فتح مكّة . ولا تحفظ له عن رسول الله ﷺ رواية . وشهد الدار مع عثمان رضي الله عنه . وقال لأزهر بن سيحان

(1) الوافي 13 / 261 (319) – أسد الغابة 2 / 104 (1380) – الاستيعاب 2 / 432 (609) – وفي نسب قريش للزبيريّ ، 141 أنّ المساجلة كانت بين خالد وعبد الرحمان – لا الأزهر – المحاربيّ ، وأنّ التعريض بفرار خالد في البيت الرابع هو الذي حمل خالداً على الردّ . وفي الإصابة 1 / 410 (2183) القائل هو الأزهر كما في المخطوط .

المحاربيّ ، وكان من أصحاب عثمان يومَ الدار فأنفلت يومئذ [طويل] :

لعمرك ما نادى ولكن رأيته بعينيك إنّ مسعاك في الدار واسع

فأجابه أزهر بن سيحان :

يقول رجال : قد دعاك فلم تُجب وذاك دعاء من خليليّ رائِع[1]
فإن كان نادى دعوة فسمعتُها فشُلّت يدي وآستكَّ مِنّي المسامعُ[2]
وإلّا فكانت بالذي هو قالها ودارت عليه الدائرات القوارع
يلومونني أن جلت في الدار حاسراً وقد فرّ عنه خالدٌ وهو دارع

وكان خالد أيضاً في جيش مروان بن الحكم الذي سار به إلى مصر . فلمّا جزع مروان من مسير الأكدر بن حمام على مراكب مصر ليخالف أهل الشام إلى بلادهم وعيالاتهم – وكان قد نزل عريش مصر – قال خالد يخاطبه / [428 أ] [بسيط] :

أوردتَ قومَك يا مروانُ صاخبةً فهل لقومك إذ أوردتهُمْ صدَرُ ؟
صبراً أُميَّ على ما كان من حدث إنَّ الكرامَ على ما نابهم صُبُر

1343 ـ خالد بن عفري المعافريّ

يحدّث عن عبد الله بن الزبير . حدّث عنه عبد الله بن شرّاح المعافريّ .

---

(1) في نسب قريش ، 111 و141 ، جاء العجز على هذا النحو : وذلك من تلقاء مثلك رائع .
(2) في المخطوط : وآصطكّت المسامع .

1344 ـ خالد بن عقيل الليثيّ

روى عن أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه . [وعنه] ٱبنُه عقيل بن خالد .

1345 ـ خالد بن [أبي] عمران قاضي إفريقيّة [– 129][1]

خالد بن [أبي] عمران ، التجيبيّ ، مولى عمرو بن حارثة ، من تجيب ، أبو عمر[2] التونسيّ ، قاضي إفريقيّة .

سمع من عبد الله بن حمزة الزبيديّ . وروى عن ٱبن عمر ولم يسمع منه ، وعن حنش الصنعانيّ ، وعروة ، والقاسم ، وعكرمة ، ونافع ، وجماعة . وعنه أبو شجاع سعيد بن يزيد القتبانيّ ، وعبد الله بن زحر ، وعمرو بن الحرث ، وخلّاد بن سليمان ، ويحيى بن سعيد الأنصاريّ ، وليث بن سعد ، وٱبن لهيعة .

خرّج له مسلم وأبو داود والترمذيّ والنسائيّ . قال أبو حاتم : لا بأس به . وقال ابن يونس : كان فقيه أهل المغرب ، ومفتي أهل مصر والمغرب . وكان يقال إنّه مستجاب الدعاء .

توفّي بإفريقيّة سنة تسع وعشرين – وقيل : خمس وعشرين – ومائة .

---

(1) الوافي 13 / 274 (331) – تهذيب التهذيب 3 / 110 (205) – رياض النفوس 1 / 162 (رقم 68)

(2) في الرياض : أبو محمّد .

1346 _ خالد بن العنبس بن ثعلبة البلويّ[1]

له صحبة . شهد فتحَ مصر . قال ابن يونس : لا أعلم له روايةً .

1347 _ خالد بن قيس ، سيّد بني حيّ[2]

خالد بن قيس ، سيّد بني حيّ . خرج بهم من اليمن إلى مصر . قال الحسن ابن أحمد بن يعقوب الهمدانيّ[3] : فأولد خولان بن عمرو بن الحافي بن قضاعة سبعة نفر : حيّ ، وهو الأكبر ، وفيهم البيت والرئاسة . وسعد ، وهو الذي ملك قصر واح سبعين عاماً . ورشوان ، وهانىء ، ورازح ، والأزمع ، وصحار .

فأولد حيّ بن خولان سعد عديّ ، وزيد ، وشعب ، ومزيد ، وغنم ، والمقدام ، ونوف ، بطون كلّها ، وصار أكثر بني حيّ بصعيد مصر .

وكان سبب خروجهم من اليمن إلى مصر أنّ رجلاً من بني سعد بن سعد بن خولان خطب إليهم بعض كرائمهم فأكبروا نفوسهم عليه فدافعوه . فلمّا ألحّ خصَوْهُ . فغضبت بنو سعد بن خولان وحاربوهم مدّة حتّى أخرجوهم من صعدة فلحقوا بمصر . وفي ذلك يقول عمرو بن زيد بن مالك بن أسامة [كامل] :

أبلغ بني زيد وأسرةَ راسب   إخواننا في كلّ يوم حابس

---

(1) حسن المحاضرة ، 1/ 194 (82) .

(2) في نهاية الأرب للقلقشندي ، 241 : بنو حيّ : بطن من العرب ولم يَزد . وفي معجم قبائل العرب لكحّالة 1/ 319 : حيّ بن خولان ، من كهلان ، كانوا يسكنون عقار . وفي اللسان (حيا) : بنو حيّ وبنو حَيّ : بطنان من العرب .

(3) لم نجد النصّ المنقول في صفة جزيرة العرب للحسن الهمداني .

إنّ الغواةَ مِنَ آل حيٍّ قلّدوا　　إخوانَهم عاراً بفعل بائس
مثلوا بأمثلنا وجاؤوا سبّة　　لم يأتها يوماً جبابرُ فارسِ
يا ٱبنَيْ قضاعة فٱغضبا : لا خير في　　ركنٍ ذليلٍ [...] واهس

وقال يعلى بن سعد بن عمرو [بن زيد بن مالك بن زيد بن أسامة][1] المالكي فيهم ، من أبيات [كامل] :

وصدعن مَتنَ صفاةِ حيّ بالقنا　　والمشرفيّة في رفيع المنْظر
من حيّ سعد يومَ سار خميسُهم　　وأتى أسامة في زهاء العسكر
ما زال يصدعهم بها عمرو الندى　　فرقاً كأسراب القطا المتبكّر
حتى أتوا مصراً وقد ذبلت بهم　　هودات عِيس كالحنايا ضمّر

وقال عمرو بن الحرث بن عديّ ، أحد شعراء بني عديّ بن حيّ [كامل] :

برك الزمان على ابن هاتك عرشه　　وٱبنَيْ أُذينة غُدْوةً ورَواحا
[428ب] وأزال عزّ ملوك ناعظ صرفُه　　لمّا سقوا كأس المنون ذباحا /
ورمى بني حيّ ففرّق شملَهم　　وٱجتثّ من عرقاتهم وأجاحا
حلّوا بمصرٍ فٱستعادوا ملكهم　　عرشاً وأصبح ذكره قد طاحا

(قال) وأولد نشوان بن خولان حقًّا ، وملحفاً ، وخليفة ، وسعداً ، ومنبّهاً ، وحرصاً ، وخوليًّا . فمن خوليّ البيت ، وأكثر هٰذه البطون بمصر ، خرجوا مع بني حيّ مغاضبين لبني سعد بن خولان . وذلك أنّ مالك بن عمرو سيّدَهم لمّا هاجت الحرب بين بني حيّ وبني سعد ٱعتزل . فلمّا وقعت الدائرة على بني حيّ قال : لا سكنت بلد خولان بعد خالي خالد بن قيس ! – وكانت ابنة خالد تحته . وقال مالك يعاتب الربيعة في قيامها مع بني سعد بن سعد على

(1) الإكمال من صفة جزيرة العرب 194 .

بني حيّ [طويل] :

يراسلني سعد بن عمرو مُعدّداً ... ولستُ لأفعال العشير بحامد
فخالدُ باع الذلّ بالعزّ وٱنثوَى ... إلى أرضٍ خيرٍ غادٍ ورائِدِ
حميتهم على سعد وسعد مصرّة ... على حسَدٍ ما منهمُ غيرُ حاسد
وليست بنو سعد بشاكرة لكم ... وما كلٌّ من أَوْلَيْتَ عُرفاً بحامد

(قال) وأمّا عقرب والجابر وكني وخفاجي فإنّهم من ولد كامل بن ربيعة ابن سعد بن خولان، وأكثرهم خرج مع خالد بن قيس سيّد بني حيّ إلى مصر .

1348 – خالد بن كليب العكّي

خالد بن كليب بن إبراهيم بن محمد ، العكّي .

روى عن أبيه عن جدّه عن أبي قبيل . روىَ عنه ابنُه محمد بن خالد .

1349 – خالد بن لقيط

خالد بن لقيط بن مريح بن حجية بن شرحبيل بن الحرث بن مالك بن سلمة بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار .

شهد فتح مصر ، وبها مات . له أخبار .

1350 – ابن عين الغزال الدمياطيّ [– بعد 330]

خالد بن محمد بن عبيد بن خالد ، الدمياطيّ ، عرف بٱبن عين الغزال ، التجيبيّ . من أنفسهم .

كان يتفقّه على مذهب مالك . وكانت له حلقة بدمياط في مسجدها . حدّث عن عبيد الله بن أبي جعفر الدمياطيّ . وعبيد بن خنيس . وبكر بن سهل . ومحمد بن إسحاق بن يزيد الأنطاكيّ ، قدم عليهم . وكان موثّقاً .

توفّي بدمياط بعد سنة ثلاثين وثلاثمائة .

1351 – ابن القيسرانيّ الكاتب [– 588][1]

خالد بن محمد بن نصر بن صغير بن خالد ، موفّق الدين ، أبو البقاء ، ابن عدّة الدين شرف المعالي أبي عبد الله ، المخزوميّ ، الخالديّ ، الحلبيّ ، المعروف بٱبن القيسرانيّ ، الكاتب البارع ، وزير السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي .

كان أبوه شاعراً مجيداً[2] . ولد بعكّا ونشأ بقيساريّة من سواحل الشام فنُسب إليها . وسكن دمشق ، وتولّى إدارة الساعات التي على باب الجامع أيّام تاج الدولة تتش . ثمّ تحوّل إلى حلب وولي بها خزانة الكتب . وتردّد إلى دمشق وبها مات سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

وولد الموفّق في [...] وعمل له أبوه مولداً رصديًّا فدلّه على سعادة جليلة حتى إنّه كان يقول : أبطأت عليّ سعادة خالد . – ومات ولم يرها .

فٱتّفق أنّ نور الدين الشهيد أراد كتابة رَبْعَةٍ محقّقة . فوُصف له خالد وكان قد برع في الكتابة وٱنفرد بعلم المحقّق في زمانه . فأحضره وٱستكتبَه . فأعجب له . فٱستدعى له بالورق والحبر والأقلام . وأفرد له مكاناً يكتب فيه فأقام عنده

---

(1) الوافي 13 / 282 (342) – الأعلام 2 / 340 – البداية والنهاية 14 / 31 (في ترجمة حفيده عبد الله بن محمد) .

(2) أبو عبد الله القيسرانيّ أبوه : له ترجمة في الخريدة (الشام) 1 / 96 .

سنة إلى أن فرغت كتابة الربعة ، ولم يقل للسلطان [بسيط] :

يوماً من الدهر لا أهلي ولا ولدي

ثمّ آنصرف بعد السنة إلى داره ، فوجد الخدم على بابها ، فدخلها فإذا البيت [فيه] كلّ ما يحتاج إليه ، وعلى أهله كسوة وبزّة فاخرة ، فسألهم عن ذلك فقالوا : يومَ طُلبتَ إلى السلطان جاءتنا هٰذه الخدم والجواري والقماش ، ورتّب لنا ما يكفينا من اللحم والخبز والإدام وغير ذلك .

فلازم السلطان مدّة حتى جعله مستوفياً . ثمّ رتّبه في كتابة الإنشاء وآختصّ به . وتقدّم عنده تقدّماً زائداً . وبعث به إلى مصر / في سنة تسع وستّين [429 أ] وخمسمائة ليطالب صلاح الدين يوسف بن أيّوب بحساب مصر عن جميع ما أخذ من القصور وحصل من الارتفاع . فلمّا وصل إلى القاهرة أقبل عليه صلاح الدين إقبالاً زائداً وتلقّاه أكرمَ تلقٍّ وبالغ في تعظيمه ، إلى أن طلب منه الحساب . [فـ]ـشقّ عليه [ذلك] وقال : إلى هٰذا الحدّ وصلنا ؟ – وأوقفه على ما تحصّل له وعرض عليه الأجناد وعرّفه مبالغ إقطاعاتهم وجامكيّاتهم ورواتب نفقاتهم ، ثمّ قال له : وما يضبط هٰذا الإقليم العظيم إلّا بالمال الكثير . وأنت تعرف أكابر الدولة ، وعظماءها ، وأنّهم معتادون بالنّعمة والسعة ، وقد تصرّفوا في أماكن لا يمكن انتزاعُها منهم ، ولا يسمحون بأن ينقص من آرتفاعها .

وأخذ يجمع المال . وتقدّم إلى الموفّق بالتوجّه إلى الإسكندريّة ليسترفع حسابها وخراجها حتى يتهيّأ ما يحمل للسلطان . فمضى إلى الإسكندريّة وعاد . فجهّز صلاح الدين صحبته هديّة جليلة – وهي : خمس ربعات شريفة ، منها ربعة في ثلاثين جزءًا بغشاء أطلس أزرق مضبّب بينها بصفائح ذهب وأقفال ذهب وجلّها جميعه بالذهب .

وربعة في عشرة أجزاء بغشاء ديباج فستقيّ .

وربعة في سفر بخطّ ابن التوّاب عليها قفل من ذهب وثلاثة أحجار بلخس

زنة أحدها آثنان وعشرون مثقالاً . وزنة الآخر آثنا عشر مثقالاً ، وزنة الآخر عشرة مثاقيل ونصف . وستّ قصبات زمرّد زنة الواحدة ثلاثة مثاقيل . وحجر ياقوت أحمر زنتُه سبعة مثاقيل . وحجر ياقوت أزرق زنته ستّة مثاقيل . ومائة عقد جوهر زنتها ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالاً . وخمسون قارورة ذهب بلسان . وعشرون قطعة بلّور ، وأربع عشرة قطعة جزع ما بين زيادي وسكارج . وإبريق بشم ، وطشت بشم ، وسقرق منياً مذهّب بعروة فيها حبّتا لؤلؤ ، وفي الوسط فصّ ياقوت أزرق . وأربعون قطعة صينيّ ما بين زيادي وسكارج وصحون . وقطعتان عود كبيرتان جدًّا . وعنبر كثير ، من جملته قطعة زنتُها ثلاثون رطلاً ، وقطعة زنتُها عشرون رطلاً .

ومائة ثوب أطلس ، وأربعة وعشرون بقيار مذهب . وأربعة وعشرون ثوب وشي حريريّة بيض . وحلّة فلفلي مذهبة ، وحلّة مرايش أصفر مذهّبة ، وحلّة مرايش أزرق مذهّبة ، وحلّة مرايش بقصب أحمر وأبيض ، وحلّة فستقيّ بقصب مذهّبة ، وقماش كثير - بلغت قيمتُها مائتي ألف دينار .

ومن العين خمسة وعشرون ألف دينار .

وسار بذلك . فقدم الخبر بموت نور الدين في حادي عشر شوّال ، فأمر بالهديّة فأعيدت .

ويقال إنّ خبر موت نور الدين قدم والموفّق بالإسكندريّة . فلمّا قدم على صلاح الدين ، لم يرَ منه ذلك الاحتفال . فقال له : يا خوند ، أحسنَ الله عزاءك في مخدوم المملوك !

فقال : مَن أعلمك بذلك ؟

قال : أنت ، لأنّك عاملتني تلك المرّة بآحتفال لم أره الآن .

فسأله صلاح الدين الإقامة عنده ، فأبى وقال : ما أخرج عن أولاد أستاذي - ومضى إلى دمشق . ثمّ صار إلى حلب ، وبها مات في يوم

[. . .] جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

وكان صدراً نبيلاً وافر الجلالة . سمع من عبد الله بن رفاعة ، وأبي الطاهر السلفيّ ، وابن عساكر . وحدّث بحلب . روى عنه الموفّق ابن يعيش وغيره .

وكتب إليه القاضي الفاضل الرسالة الذهبيّة ، وقد وقف له على خطّ بسطور ذهب وهي[1] : وقف الخادم على ما دبّجَتْه أنامل الحضرة التي إذا صاب سحابها روّض لساعته ، وإذا عدمت حقيقة السحر فهي التيْ نَفَثَها بيانه في رْوع يراعته ، فأنتقل من الاستحسان إلى التسبيح لأنّ حروفه شذورُ السبح ، وخلص للتفضيل من الترجيع بأوّل ما صافح الطرفَ من الطُرَف ، واللمحَ من المُلَح ، فتناول منها جَنّةً قد زُخرفت بنار ، وليلة قد وُشّمت بنهار ، وروضة قد سقيت بأنها[ر] عُقار ، وعارض ذهب / قد أذيب ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ[429ب] بِالأَبْصَارِ﴾ (النور ، 43) ، فتعالى مَن ألان لداود الحديد ، ولها[2] الذهب . وأيقظ به جدّ هٰذه الصناعة بعد أن نام بين الأنام ، فهبّ ، وأعلم الناس أنّ القلم في يد ابن التوّاب للضرب لا للطرب ، وأنّ قيمة كلّ منها ومنه ما بِهِ في هٰذه الصناعة كتَب ، وجلاها بتمام البدور ، وأعطاه ما أعطى أباه من المحاق ، وأخرّ زمانها وقدّم زمانه ورزقها السبق وحرمة اللحاق : فمن ألِفاتٍ ألِفت همزاتِ غصونها حمائمُ ، ومن لامات بعدها يحسدها المحبّ على عِنَاق قدودها النواعم ، ومن صادات نقعت غللَ القلوب الصوادي والعيون الحوائم ، ومن واوات ذكرت ما في حيّة الأصداغ من العطفات ، ومن ميمات دنت الأفواه من ثغورها لتنال جنى الرشفات ، ومن سينات كأنّها التباشير في تلك الثغور ، ومن دالات على الطاعة لكاتبها بأنحـ[ـنـ]ـاء الظهور ، ومن جيمَات كالمناسِرِ تَصيد

---

(1) لم ينقل النويري (نهاية الأرب 8/ 1 – 51) نصّ الرسالة الذهبيّة فيمَا نقله من ترسّل القاضي الفاضل ، فصعب علينا تحقيقها هنا ، لا سيّمَا وأنّ صاحبها شحنها بأنواع الزخرف وضُروب البديع ، وتلاعب كَمَا شاء بلفظ الذهب ومستتبعاته .

(2) ولها : أي لرسالة ابن القيسرانيّ : ألان الله لها الذهب كَمَا الآن الحديد لداود .

القلوب التي تخفق لروعات الاستحسان كالطيور . ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ (الزخرف ، 71) . وخالد فيها خالد[1] ، وتُحْيِيه فيها المحامد . ويده تضرب في ذهب ذائب والحلق تُضرب في حديد بارد . فهي اليد التي تنظم تيجان الملوك بِدُرّها ، وتُظهر آيةَ الكرم على قراطيسها لما تظهره من تِبرها . وما كنت قبل يدها أحسب أنّ سحاباً يمطر نُضَاراً ، ولا أنّ ماء يستمدّ[2] ناراً ، ولا أنّ أقلامها سفكت دم المال فأجرته أنهاراً ، ولا قبل لحظها أنّ الشفق لا يشفق من طلوع الفجر ، ولا أنّ لون الوصل ينقضّ على لون الهَجر ، ولا أنّ الليل يتشبّث بعِطف البرق فلا يريم ، ولا أنّ ذهب الأصيل يجري به سواد الليل البهيم ، ولا أنّ يداً كريمة تدعى من آيات قلمها وكرمها أنّ الجلمود بها يقارن الجمود ، وأنّ البراعة تسترفد محلها[3] على الظمأ فتشافه منهل النضارة المورود . وما كانت خطوط الفضلاء إلّا تجربة بين يدَي تحريرها الآن ، ولا أقلامها إلّا حطباً أوقدته على الذهب فذاب لها ولان . ولا تحسب[4] الخطّ إلّا بجبسها فغيّرت له أثواب الحداد ، وجلت عرائس حروفه مضمّخة الأجساد بالجساد ، وأطلعت إنسانَ عين الإحْسان بدليل كونه لم يلمح إلّا في سواد ، وسجد له والسجود فرضُه لأنّه ثوب التيجان ، وقبّله والتَقْبيل حقُّه لأنّ الجفان تجاور منه حور الجنان . كيف لا يفضّل جوهرها بأن يفضّل ، وتقابل حروفها بأن تُقبَّل ، وقد كتب الناس باليد وكتب بالعين ، وحصل الناس من هٰذه الصناعة بعد حرب حُنَين على خُفّي حنين ، وفازت بمَا أظهرت من ثروتها للنطارس[5] النضار ، وصحّت لها الكيمياء لأنّه كتب بشطر دينار سطراً بألف دينار ، وإنّ له في

---

(1) خالد هو المترجم ، الذي وجّهت إليه هذه الرسالة .
(2) استمدّ : طلب المداد ، أي الحبر .
(3) قراءة ظنّيّة .
(4) قراءة ظنّيّة .
(5) النطارس : لم نفهمها .

نهارها . بل في أنهارها « سَبْحاً طَوِيلاً »[1] ، وإنّها على خفّة وزنها وقلّة أسطرها لتكلّف من الشكر ثقيلاً . وكيف لا يخفّ ميزان الثناء على أنهارٍ رَجَّحَتْه بذائب ذهب ، وكيف يضلّ وَفدُ الشكر وقد هدَتْهُ بذوائب لهَب ، وقد نَشره وطواه حتى كادَ أن يخلقَه . وأسام فيه ناظراً لا يَسْأَمُه ، فكان آخر ما يأمله أوّلَ ما رمَقَه . أمسى لأفتتانه يعبُد مُذهبَةً على حرف أو على ورقة ، وورده إذ وردَه فأزداد عطَشاً على كثرة العلّ والنهَل ، وأغشاه إذ أغشاه ، وكثرة النور تُغشي ناظِرَ المُقَل .

1352 ــ خالد بن مهاجر المهلّبي

خالد بن مهاجر بن عبد الرحمان ، المهلّبيّ ، من أهل المهلّب ، مولى بني الأعجم ، من تجيب .

يروي عن القاسم بن محمد . وعنه عبد الرحمان بن شريح ، ونافع بن يزيد ، وطلحة بن أبي سعيد .

1353 ــ خالد بن ميمون الخولانيّ

يحدّث عن عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكنانيّ . وعنه ٱبن لهيعة .

1354 ــ خالد بن نجيح [ــ 254][2]

خالد بن نجيح ، مولى بني كعب بن عديّ بن كعب ، ثمّ لآل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

(1) اقتباس من سورة المزمّل ، 7 .

(2) لسان الميزان 2 / 388 (1593) ، ومنه ضبطنا الوفاة .

يكنّى أبا يحيى . منكر الحديث . روى عن حيوة بن شريح ، وموسى بن علي ، والليث بن سعد ، ومالك بن أنس ، ومعاوية بن صالح .

توفّي في شوّال سنة أربع [وخمسين] ومائتين .

1355 – أبو يزيد الأيلي [– 222][1]

[430أ] خالد بن نزار بن المغيرة بن سليم / ، أبو يزيد ، الغسّانيّ ، مولاهم ، الأيليّ .

يروي عن إبراهيم بن طهمان وغيره .

توفّي سنة ٱثنتين وعشرين ومائتـ[ـين] .

1356 – خالد بن نعيم الحبشيّ

خالد بن نعيم المعافري الحبشيّ ، ينسب إلى حبش ، بطن من حمير .

حدّث عنه أبو فسل ، وكان فارس الناس يوم قاتل مروان بن الحكم أهل مصر . فشدّ على رجل وقتله ولبس لأمته ووقف ناحية ، وإذا برجلين من أصحاب مروان قد ٱكتنفا رجلاً من أهل مصر وهو يلوذ منهما . فشدّ عليهما فصرعهما . وقال للمصريّ : اركب أحدَ فرسَيهما ، فإذا انتهيتَ إلى البيوت فٱقتحم أدنى جدار وجدته وَخَلِّهِ . – ففعل .

---

(1) الوافي 13 / 276 (334) – تهذيب التهذيب 3 / 123 (226) وعنهما ضبطنا تاريخ الوفاة .

1357 – خالد بن نعيمَان الأنصاريّ

خالد بن نعيمَان بن عمرو بن رفاعة بن الحرث بن سواد بن مالك بن غنم ابن مالك ابن النجّار ، الأنصاريّ .

أبوه نعيمَان من قدماء الصحابة . وسأل ابنه خالد عمرَ رضي الله عنه أن يحمله على بعير .

روى عنه أبو قبيل .

1358 – خالد بن وهب بن صغير الأندلسيّ

مولى بني تيم . حدّث .

1359 – خالد بن يزيد الصدفي

خالد بن يزيد بن أسيد بن هدبة بن الحرث ، الصدفيّ .

يحدّث عن أبيه . وعنه حيوة بن شريح ، وخالد بن حميد .

1360 – خالد بن يزيد بن دينار

أبو الهيثم . كوفيّ قدم مصر . روى عنه الهيثم بن عديّ . وعنه سعيد بن كثير بن عفير .

1361 – خالد بن يزيد بن سهيل التجيبيّ [– 168]

حكى عنه ابن وهب ، ومسكين بن عبد الرحمان .

توفّي في شوّال سنة ثمان وستّين ومائة .

1362 - خالد بن يزيد الأيلي

خالد بن يزيد بن عبد الله ، أبو يزيد ، الأيلي ، مولى قريش .

حدّث عنه موسى بن الحسن الكوفيّ .

1363 - أبو الوليد الأيلي

خالد بن يزيد بن محمد الأيلي ، أبو الوليد . حدّث .

1364 - الملك المسعود [- 708][1]

خضر بن بيبرس ، الملك المسعود ، نجم الدين ، ابن الملك الظاهر ركن الدين البندقداريّ .

وخرج مع أخيه الملك السعيد محمد بركة خان إلى الكرك . فلمّا [ما]ت السعيد ٱتّفق نائبه بالكرك ، الأمير علاء الدين أيدغدي الحرّانيّ الظاهريّ ومَن معه على إقامة الملك المسعود خضر مكان أخيه . فشرع مَن حوله في سوء التدبير ، وحسّنوا له القيام . ففرّق الأموال ، وٱنضمّ إليه كلّ مَن قُطع رزقُه . وٱستولى على الصلت[2] ، وبعث طائفة إلى صرخد فعجزوا عنها . وأتته العربانُ

---

(1) في المخطوط : خالد بن بيبرس ، وهو خضر كمَا في الوافي 13 / 339 (418) والنجوم 8 / 112 والسلوك 1 / 608 . ثمّ أنّ الترجمة الموالية مخصّصة لخضر . فلعلّ خالد سهو من الناسخ . ثمّ أنّ بقيّة الترجمة تسمّيه خضر .

(2) قال ناشر السلوك 1 / 109 هامش 2 : بلد بالأردن على يوم من عجلون .

والطمّاعة من أطراف البلاد ، فأخذوا منه شيئاً كثيراً .

وكاتب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب دمشق . فجرّد إليه الملك المنصور قلاوون الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم على عسكر . فلمّا بلغ المنصور قيام سنقر الأشقر بدمشق اشتغل به عن الملك المسعود ، إلى أن تمّ الصلح بينَه وبين سنقر . فبعث الملك المسعود رسله إلى المنصور وهو بدمشق في طلب الصلح والزيادة على الكرك ، وأن يكون له ما كان للملك الناصر صلاح الدين داود الأيّوبيّ . فلم يجب المنصور إلى شيءٍ من ذلك ، وأبى إلّا أن يخرج من الكرك . فتردّدت الرسُل بينهما إلى أن تقرّر الصلح بينهما على أن يقرّ بيده الكرك وأعمالها من حدّ المُوجِب إلى الحَسَا[1] ، وأن يجهّز إليه إخوتَه الذكورَ والإناث وتردّ عليهم الأملاك والأوقاف الظاهريّة . وحلف المنصور على ذلك . وتوجّه إليه الأمير بدر الدين بيليك المحسنيّ السلاح دار والقاضي تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد ابن الأثير وحلّفاه . وكوتب من ديوان الإنشاء كما يكاتب صاحب حماه ، وتمّ الصلح ونُودي بذلك في دمشق .

فلم يزل الحال جميلاً إلى أن دخلت سنة اثنتين وثمانين [وستّمائة] فبلغ الملك المنصور أنّ الأمراء بالكرك نقضوا ما تقرّر من الصلح . وقدم الأمير علاء الدين أيدغدي الحرّانيّ نائب الملك المسعود ، وبلّغ السلطان ما غيّره . فكتب إلى المسعود ينهاه فلم ينتهِ . فجرّد إليه الأمير بدرَ الدين بكتاش الفخريّ على عسكر في المحرّم سنة ثلاث وثمانين ، ونزل على الكرَك ورعى زرعَها ثمّ عاد عنها .

فلمّا كان في المحرّم سنة خمس وثمانين وستّمائة خرج عسكر من القاهرة عليه الأمير حسام [الدين] طرنطاي نائب السلطنة بمصر والتقى مع الأمير بدر الصَوابيّ بجيش دمشق فنازلها وقطع / الميرة عنها ، وأرسل [إلى] أهل الكرك [430ب]
حتّى استمالهم إليه . فلم يجد المسعود بدًّا من طلب الأمان ، فبعث السلطان إليه

(1) في السلوك 1 / 688 هامش 3 و4 : الموجب بين القدس والبلقاء.
والحسا : واد قرب الكرك .

أماناً . فنزل إلى الأمير طرنطاي ومعه أخوه سلامش في يوم الثلاثاء خامس صفر وسلّمه الكرك . فرحل بهما إلى القاهرة وبجميع عيالها ، وخرج السلطان إلى لقائهم في ثاني عشر ربيع الأوّل ، وأكرم المسعودَ وسلامش وأعطى كلاًّ منهما إمرةَ مائة فارس ، وصارا يركبان معه في الموكب والميدان بمنزلة أولاده .

ثمّ بلغه عنهما تَنَكُّرٌ لهُ فقبضهما وٱعتقلهما . فأقاما في الاعتقال إلى أن أخرجهما الملك الأشرف خليل بن قلاوون في أوّل سنة تسعين وستّمائة [فأرسلهما] ومعهما أمُّهما إلى الإسكندريّة مع الأمير عزّ الدين أيبك الموصليّ الأستادار ، فسفّرهم من الإسكندريّة في البحر الملح إلى مدينة القسطنطينيّة فأحسن إليهم الأشكريّ[1] ملك الروم بها وأجرى لهم ما يقوم بحالهم ، إلى أن تسلطن الملك المنصور لاجين فبعث في طلبهم فحملهم الأشكري في البحر إلى الإسكندريّة ، وقد مات الملك العادل سلامش[2] وحمل مصبّراً [في تابوت] ودخل خضِر إلى القاهرة في أوائل سنة سبع وتسعين وستّمائة . فأكرمه الملك المنصور ودفن أخاه بالقرافة ، ثمّ جهّزه إلى مكّة بجميع ما يحتاج إليه . فقضى حجَّهُ وعاد في سنة ثمان وتسعين فسكن القاهرة .

فلمّا قتل لاجين قبض عليه وأسكن في برج بالقلعة إلى أن أفرج عنه في ربيع الأوّل سنة ثمان وسبعمائة ، فسكن بدار الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم بمدينة مصر قليلاً ومات خامس شهر رجب منها .

1365 – الخضِر المهرانيّ شيخ الظاهر بيبرس [– 676][3]

الخضر بن أبي بكر بن موسى ، أبو العبّاس ، المهرانيّ ، العدويّ ، شيخ

(1) مرّ بنا أنّ الأشكري صورة معرّبة من ٱسم Lascaris .

(2) مات سلامش بالقسطنطينيّة سنة 690 (العبر 5 / 367) .

(3) الوافي 13 / 333 (413) – حسن المحاضرة 1 / 521 (48) – طبقات الشعرانيّ 2 / 2 (302) مسالك الأبصار المخطوط ، 8/ 167 ، والزيادات منه .

الملك الظاهر بيبرس البندقداريّ .

قدم من جبال الأكراد ، وأصله من قرية يقال لها المحمّديّة من أعمال جزيرة ابن عمر . ونزل بجبل المزّة خارج دمشق ، فعرفه الأمير سيف الدين قشتمر العجميّ وتردّد إليه . فقال له : لا بدّ أن يتسلطن الأمير بيبرس البندقداريّ — فأخبر البندقداريّ بذلك ، فٱعتقده وتردّد إليه .

فلمّا تسلطن بعد قتل المظفّر قطز ، صار له فيه عقيدة عظيمة ، وقرّبه وأدناه وبنى له زاوية بجبل المزّة ، وزاوية بظاهر بعلبك ، وزاوية بحماه ، وزاوية بحمص ، وزاوية خارج القاهرة بخطّ زقاق الكحل ، ووقف عليها أحكاراً [يجيء منها] في السنة ثلاثون ألف درهم ، وجعل لجميع هٰذه الزوايا أوقافاً دارّة . وكان ينزل إليه ويزوره في الأسبوع مرّة ومرّتين وثلاثاً على قدر ما يتّفق ، ويطلعه على غوامض أسراره ويستشيره في أموره ولا يخرج عن رأيه ويستصحبه في سائر أسفاره وغزواته . وفي ذلك يقول الشريف شرف الدين [محمد] بن رضوان الناسخ [كامل] :

ما الظاهر السلطان إلّا مالك الـ ـدنيا : بذاك لنا الملاحم تُخبِرُ
ولنا دليل واضح كالشمس في وسَط السماء لكلّ عين تنظر :
لمّا رأينا الخضْرَ يَقدُم جيشَه أبداً ، علِمْنا أنّه الإسكندرُ

وكان يخبر الملك الظاهر بأمور قبل وقوعها ، فتقع على ما يُخبر به . فلمّا حاصر الملك الظاهر أرسوف — وهي من أوائل فتوحاته — سأله متى تؤخذ ؟ — فعيّن له اليومَ الذي تؤخذ فيه فوافقَ . وكذلك في قيساريّة وصفَد .

ولمّا عاد الظاهر من دمشق إلى جهة الكرك سنة خمس وستّين وستّمائة ، ٱستشاره في قصده . فأشار عليه أن لا يقصده وأن يتوجّه إلى الديار المصريّة . فلم يوافق قولُه غرضَه ، فخالفه وقصده . فلمّا كان ببركة زيزاء[1] تقطّر فٱنكسرت فخذُه

(1) انظر السلوك ، 1/ 555 ، ولم يعرّف بهٰذه البركة ، ونفهم أنّها بين الفوّار والكرك .

وأقام مكانه أيّاماً كثيرة . ثمّ حُمل في محفّة إلى غزّة ، ثمّ إلى الديار المصريّة على أعناق الرجال .

ولمّا قصد الظاهر منازلة حصن الأكراد ومحاصرته اجتاز الشيخ خضر ببعلبك ونزل / بالزاوية التي عمّرت له بظاهرها . وخرج نوّاب السلطنة وبعض أهل [431أ]
البلد إلى خدمته . قال [ابن] اليونيني : وكنت فيمن خرج . فسمعتُ كمال الدين إبراهيم ابن شيت يسأله عن أخذ حصن الأكراد فقال ما معناه : تؤخذ في مدّة أربعين يوماً – أو قال : قلت لأبني – يشير إلى الملك الظاهر – إنّك تأخذه في أربعين يوماً . فوافق ذلك وأخذه في مدّة أربعين يوماً .

ولمّا توجّه الملك الظاهر إلى الروم ، سألَ الشيخَ خضر بعضُ أصحابه عمّا يتمّ للملك الظاهر فأخبر بأنّه يظفر ثمّ يعود إلى دمشق ويموت بها بعد أن أموتَ أنا بعشرين يوماً – فاتّفق ذلك .

فلهٰذا وأشباهه تمكّن من السلطان حتّى أطلق يده وصرّفه في مملكته ، يحكُم ولا يُحكم عليه ولا يخالَفُ أمرُه في جليل ولا حقير . فاتّقى جانبَه الخاصُّ والعامُّ ، حتّى الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نائب السلطنة ، والصاحب بهاء الدين عليّ بن حنّا ، وملوك الأطراف ، وملوك الفرنج وغيرهم . وكان يكتب إلى صاحب حماه وجميع الأمراء إذا طلب حاجة : الشيخ خضر نيّاك الحمارة .

وهدم بدمشق كنيسة اليهود ونهبها . وكان فيها من الآلات والفرش ما لا يعبّر عنه . وصيّرها مسجداً ، وبنى بها المحاريب ، وعملها سماعاً ، ومدّ بها سماطاً .

ودخل كنيسة الإسكندريّة ، وهي معظّمة عند النصارى ويعدّونها كرسيًّا من كراسيّهم ويعتقدون فيها البرَكة ويزعمون أنّ رأس يحيى بن زكريا فيها وهم يسمّونه يحيى المعمداني ، فنهَبها وصيّرها مسجداً وسمّاها المدرسة الخضراء وأنفق في تعميرها من بيت المال مالاً كثيراً .

وهدم بالقدس كنيسة النصارى المعروفة بالمصلّبة . وهي جليلة عندهم ،

وقتل قسّيسها بيده وعملها زاوية .

وكان ربع القامة كثّ اللحية يتعمّم عشراوي [1]، وفي لسانه عجمة . وكان واسع الصدر كريم الشمائل يعطي ويفرّق الدراهم والذهب ويعمل الأطعمة الفاخرة في قدور مفرطة في الكبر بحيث يحمل القدر الواحدة الجماعة من الحمّالين .

وكانت أحواله عجيبة لا تكيّف ولا تنتظم والأقوال فيه مختلفة : فمن الناس من أثبتَ صلاحَه ، ومنهم من رماه بالعظائم [والله أعلمُ بحقيقة حاله] .

وما برح على ذلك إلى ثاني عشر شوّال سنة إحدى وسبعين وستّمائة . فبعث إليه الملك الظاهر الأمير قشتمر العجميّ لإحضاره . فلمّا طلبه للحضور إلى القلعة أنكر ذلك لأنّه لم يكن له به عادة . فعرّفه مَا هُم فيه فحضر معه . فلمّا دخل لم يجد ما يعهده ، وكان السلطان قد تغيّر عليه ، وأحضر من دمشق من أصحابه من يحاققه على أمور نُقلت إليه ويقابله عليها . وقد قعد وعنده من أكابر الأمراء فارس الدين الأتابك ، وبدر الدين بيسريّ ، وسيف الدين قلاوون . فقعد الشيخ خضر منتبذاً منهم . فأحضر السلطان الذين أحضرهم من أصحابه من دمشق . فشرعوا في القول ونسبوه إلى قبائح من الزنا واللواط ، ورموه بأمور عظيمة لا تكاد تصدر من مسلم . فقال : ما أعرف ما تقولونه . ومع هٰذا فأنا ما قلت لكم إنّي رجل صالح . فأنتم قلتم هٰذا . فإن كان ما يقول هؤلاء صحيحاً فأنتم كذبتم .

فقام السلطان ومَن معه عن عنده وقالوا : قوموا بنا لا نَحترق بمجاورته ! — وتحوّلوا إلى طرف الإيوان بعيداً منه . فقال السلطان : إيش رأيكم في أمره ؟

فقال الأتابك : هٰذا مُطّلع على أسرار الدولة وبواطن أحوالها وما ينبغي إبقاؤه في الوجود ، فإنّه لا يؤمَن أن يصدر منه ما لا يمكن تلافيه .

---

(1) عشراويّ : نسبة إلى عشائر العربان .

فوافقه الحاضرون على ذلك . وقالوا : ببعضِ ما قد قيل عنه يُباحُ دمُه .

ففهم ما هم فيه . فقال للسلطان : آسمع ما أقول لك : أنا أجَلي قريب من أجلِك ، وبيني وبينك مدّة أيّام يسيرة ، من مات لحِقَه صاحبه عن قريب .

فوجم السلطان لذلك وقال للأمراء : ما ترون في هٰذا ؟

فلم يقل أحدٌ منهم شيئاً . فقال : هٰذا يحبس في موضع لا يسمع له فيه

[431ب] حديث فيكون / مثل مَن قد قُبر وهو حيّ .

فقالوا : الذي رآه مولانا السلطان .

فحبسه في مكان مفرد بقلعة الجبل . ولم يُمكِّن أحداً من الدخول إليه إلّا مَن يَثِقُ به السلطان غاية الوثوق . ويُدخل إليه بالأطعمة الفاخرة والأشربة والفواكه ، والملابس تغيّر عليه كلَّ وقت . وكان حبسه في ثاني عشر شوّال المذكور [سنة إحدى وسبعين وستّمائة] .

فلم يزل في سجنه على ذلك إلى أن خرج السلطان لأخذ بلاد الروم في العشرين من شهر رمضان سنة خمس وسبعين وتركه محبوساً . فمات يوم الخميس سادس المحرّم سنة ستّ وسبعين وستّمائة . وأخرج يوم الجمعة من سجنه بقلعة الجبل ميّتاً ، فسلّم إلى أهله فحملوه إلى زاويته خارج باب الفتوح بخطّ زقاق الكحل قريباً من الجامع الظاهريّ . فغسّل بها ، وقد نيّف على خمسين سنة .

وٱتّفق أنّ السلطان لمّا عاد من بلاد الروم كتب بالإفراج عنه وجهّزه على البريد ، فوصل البريد بعد موته . ولم يعِش السلطان بعده سوى عشرين يوماً ومات في سابع عشرين محرّم المذكور ، فكان كما قال الشيخ خضر .

ويقال إنّ سبب تغيّر السلطان عليه مع ما تقدّم ذكرُه أنّه أعطاه من تحف قدمت عليه من اليمن كرًّا[1] يمانيًّا مليحاً إلى الغاية فدفعه الشيخ خضر لشاب

(1) الكرّ بالفتح والضمّ : فصلة من قماش تصْنع منها العمائم (دوزي) .

أمرد ، فبلغ ذلك الأمير بدر الدين بيليك النائب ، وكان قد ثقل عليه أمر الشيخ خضر لكثرة تسلّطه حتى لقد قال له مرّة بحضرة السلطان : كأنّك تشفق على السلطان وعلى أولاده مثلما فعل قطز بأولاد المعزّ أيبك ؟ – فأسرّها النائب في نفسه ، وعرّف السلطان خبر الكُرّ .

وقال الشهاب أحمد بن يحيى بن فضل الله كاتب السرّ : حكى لي والدي قال : كان الشيخ خضر عظيم المكانة عند الملك الظاهر لا يخالفه في شيء . وكان جريئًا باللسان واليد إلى غاية ، فضاق منه الوزير بهاء الدين علي بن حنّا ضِيقاً عظيمًا ولم يجد له سبيلاً إلى إبعاده . فشرع في التحيّل عليه . وكانت بدمشق آمرأة تعرف ببنت ابن نظيف بارعة في الحسن خالية من الزوج محبّة لأهل الخير . فأتى الشيخ خضر دمشق في بعض أسفاره ، فسمعت به وبعثت إليه بأنواع من المآكل ، ثمّ دعته إلى دار لها لضيافة عملتها له . فجاءها وأقام عندها أيّاماً في مآكل وأوقات طيّبة لا ريبة فيها . فبلغ ذلك ابن حنّا فجعله سلّماً إلى ما يريد ، تسلّق منه على الشيخ خضر . وذلك أنّه خلّى ابنَ آبنه تاج الدين تزوّج بالمرأة وأبقاها في عصمته مدّة طويلة وحملها بالرغبة والرهبة على ما تقوله في الشيخ خضر ، ثمّ طلّقها سرًّا . وتحيّل جدُّه على الملك الظاهر حتّى ألقى في أذنه أنّ الشيخ خضر يشرب الخمر ويزني ، وأنّه كان قد أحبّ آمرأة من بنات ابن نظيف وأفسَدَها ، وأنّ تاج الدين تزوّجها ثمّ لم ينتهِ عنها الشيخ خضر وبقي يأتيها ، فطلّقها ، وأنّها لو سئلت لأخبرت بالخبر .

فبعث الظاهر إلى نائبه بدمشق في ذلك فأحضر المرأة وسألها وهي لا تعلم بتطليق تاج الدين لها ، فقالت ما قرّر معها أن تقوله . فكتب بذلك إلى الظاهر . ثمّ أضيف إلى الشيخ خضر أقوال أُخَر ورتّبت له ذنوب لم تكن ، وكان منه ما كان .

وقد رأيت أنا في أوراق عمّي رحمه الله – يعني شرف الدين عبد الوهّاب[1]

(1) هٰذا التوضيح من المقريزيّ ، أمّا بقيّة الكلام فنقول عن المسالك .

ابن فضل الله كاتبَ السرّ – نسخة المطالعة التي كتبت في ذلك ، وفيها عظائم . ومما قيل فيها : وهٰذه المرأة بَاقية في عصمة الصاحب تاج الدين – لأنّهم لم يكونوا علمُوا بإيقاع الطلاق عليها – .

وقال فيه الشهاب ابن فضل الله : قدم من جبال الأكراد ، وورد الحياض وراد ، فأستخصب المرعى واستنجب المسعى ، وتأكّدت له بالملك الظاهر صحبة نفعته لديه ، ورفعَته عند إفضاء الملك إليه ، وحمد به زمانه النضر ، وكان[ـا] الملكَ الإسكندر والشيخَ الخضِر ، ووسائله مقبولة ، ورسائله للمصائد أحبولة ، والأيّام معه ، والأنام لدعوته مستمعة ، حتى هبّت له بنكباء البأساء ، ودبّت إليه دبيبَ ظلماء المساء ، وأنبتت له من الوزراء الظاهريّة
[432أ] أصلالا أراقم ، وأسقاماً / داؤها متفاقم ، وكان قد ثقلت عليهم شفاعاته ، ونقلت إليهم شناعاته ، وما زالوا به حتى أخرجوا خَبْأَه ، وأسمعوا منه أيّ نَبْأة ، وأحضرت امرأة تعرف ببنت ابن نظيف فقالت فيه كلاماً ، وقادت إليه ملاماً ، فحمل إلى قلعة الجبل[1]، وأعتقل حتى هُيِّيء له بيتُه في المقابر ونقل ، إلّا أنّه مات غير مخترم [وتاب و] لم يرَ غير مبجّل محترم . وكان موته بدنّو أجل الملك الظاهر منذراً ، وكان قد أنذره به وكان منه حذراً .

1366 – قاضي القضاة برهان الدين السنجاريّ [610 – 686][2]

خضِر بن الحسن بن علي بن خضر [...] ، الوزير الصاحب ، قاضي القضاة ، برهان الدين ، السنجاريّ ، الزرزاريّ ، الشافعيّ .

ولد في سنة عشر وستّمائة .

---

(1) في المسالك : فَحمل إلى القلعة واعتقل .

(2) في طبقات الشافعيّة 5 / 55 ترجمة مقتضبة جداً وفيها : مات في رجب 618 . وفي رفع الإصر 1 / 223 ، مات سنة 686 في صفر بعد عشرين يوماً من تقلّده القضاء .

فلمّا مات الصاحب بهاء الدين علي بن حنّا ، فوّض إليه الملك السعيد بركة ابن الظاهر الوزارة في [...] سنة سبع وسبعين وستّمائة . وكانت بينه وبين [ابن] حنّا عداوة ظاهرة وأحقاد باطنة . فبلغ من التمكّن في أولاده وأحواله ما كان يؤمّله .

ولم يزل في الوزارة إلى أن عزله الملك المنصور قلاوون في يوم الجمعة آخر شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وستّمائة ، وقبض عليه وعلى ولده شمس الدين عيسى ، وأخذت خيولُها وتسلّمها الأمير سنجر الشجاعيّ . وتتبّع أسبابَهما وحواشِيَهُما وألزمهُما بمَال . فحمل مائتي ألف وستّة وثلاثين ألف درهم . ثمّ أفرج عنه فلزم مدرسة أخيه قاضي القضاة بدر الدين بالقرافة ، إلى أن أعيد في أوّل شهر رجب إلى الوزارة بعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان .

فباشر الوزارة مرّة ثانية . وقبض عليه وعلى ولده في ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين فاْعتُقلا بالقلعة على مال ، ثمّ خلّي عنهما . ولزم داره إلى عاشر ربيع الأوّل سنة اْثنتين وثمانين . [فـ]ـفوّض إليه النظر والتدريس بالمدرسة الناصريّة من القرافة بجوار قُبّة الإمام الشافعيّ رحمة الله عليه . ورسم له بالمعلوم والجراية على ما في كتاب الوقف الصلاحيّ وهو : عن معلوم التدريس في كلّ شهر مبلغ أربعين ديناراً معاملة ، صرفُ كلّ دينار ثلاثة عشر درهماً وثلث درهم . وعن النظر عشرة دنانير ، والجراية والمرسوم في كلّ يوم من الخبز ستّون رطلاً مصريًّا وراويتان من ماء النيل . وكانت هٰذه المدرسة قد خلت من مدرّس مدّة ثلاثين سنة واْكتفي فيها بالمعيدين وهم عشرة . واْستمرّ الحال على هٰذا إلى سنة ثمان وسبعين وستّمائة ، فولي تدريسَها الشيخ تقيّ الدين محمد بن رزين بعد عزله عن القضاء وقرّر له نصف المعلوم . ثمّ وليَها بعدَه تقيّ الدين محمد بن دقيق العيد بربع المعلوم . فباشرها إلى أن اْستقرّ الصاحب برهان الدين السنجاريّ . فلمّا مات بهاء الدين يوسف بن يحيى بن الرقي ، قاضي القضاة الشافعيّ بدمشق ، رسم الملك المنصور قلاوون بتعيين قاضٍ عوضَه ، فعيَّن قاضي القضاة شهابُ الدين أحمد الخويّيّ

قاضي القاهرة نائبَه بالشرقيّة شرفَ الدين محمد بن عتيق ، وأحضره . فسعى قاضي القضاة تقيّ الدين عبد الرحمان ابن بنت الأعزّ قاضي مصر أن ينتقل شهاب الدين الخوييّ من قضاء القاهرة إلى قضاء دمشق ، وأن يضاف إليه موضعُه من قضاء القاهرة ليجتمع له قضاء القضاة بديار مصر كلّها .

فلمّا حضر الخوييّ بقلعة الجبل ومعه ابن عتيق ليليَ قضاء دمشق ، وقد حضر ابن بنت الأعزّ ، وفي ظنّه أنّه يستقرّ في قضاء القاهرة وينتقل الخوييّ إلى قضاء دمشق ، ٱستدعى السلطان البرهان السنجاريّ وخلع عليه وفوّض إليه قضاء القاهرة عوضاً عن الخوييّ . وخلع على الخوييّ وٱستقرّ به في قضاء دمشق ، وذلك في يوم الأحد خامس عشر المحرّم سنة ستّ وثمانين وستّمائة . ورسم له أن يجلس بدار العدل فوق ابن بنت الأعزّ . فباشر الحكم وسكن بالمدرسة المنصوريّة بين القصرَين . فلم تطل أيّامه ومات بعد أربعة وعشرين يوماً في تاسع صفر سنة ستّ وثمانين وستّمائة . فٱستقرّ في قضاء القاهرة بعده ٱبن بنت الأعزّ ، وحضر جنازته بالخلعة وصلّى عليه ، ودُفن بمدرسة أخيه من القرافة .

1367 – الزّين خضر كاتب الدست [710 – 756] [1]

[433أ] خضر بن محمد بن خضر بن عبد الرحمان بن سليمان بن عليّ / . زين الدين ، ابن تاج الدين ، ابن زين الدين ، ابن جمال الدين ، ابن علم الدين ، ابن نور الدين ، عرف بالزين خضِر ، المصريّ ، كاتب الدست .

ولد ليلة الأحد رابع ذي الحجّة سنة عشر وسبعمائة . ختم القرآن وهو صغير . وسمع صحيح البخاريّ على الحجّار ، وستِّ الوزراء . وأخذ النحو عن ابن المرحّل ، وحفظ ألفيّتي ابن مالك وابن معط . وبحث مقرّبَ ابن عصفور وصناعة الكتاب لٱبن النحّاس ، وحفظ عروض ابن الحاجب وقصيدة ابن مالك

(1) الدرر 2 / 173 (1647) – السلوك 3 / 25 وفيه : المعروف بٱبن الزين خضر .

في الفرق بين الظاء والضاد ، وشدا شيئاً من الفقه على مذهب الشافعيّ . ودخل دار العدل في سنة ستّ وثلاثين وسبعمائة عِوضاً عن أبيه بحكم أنتقاله لكتابة السرّ بحلب . وكتب الإنشاءَ فأبان عن أقتدار وسرعة بحيث إنّه كان يكتب من رأس قلمه التواقيع والمناشير بَديهاً من غير رويّة . فأعتمد عليه القاضي علاء الدين علي آبن يحيى بن فضل الله كاتب السرّ وأجلسه بين يديه ينفّذ المهمّات السلطانيّة ، فقلّ ما رؤيَ مثلُه في الصبر على كتابة الأشغال الديوانيّة . ولم يزل على ذلك حتّى مات في ربيع الآخر[1] سنة ستّ وخمسين [وسبعمائة] .

1368 – أبو المغيرة القرمونيّ [294 – 372][2]

خطّاب بن سلمة بن محمد بن سعيد بن تستّري بن إسماعيل بن سليمَان بن منتقم بن إسماعيل بن عبد الله ، أبو المغيرة ، الإياديّ ، القرمونيّ ، من أهلها .

سكن قرطبة وسمع من محمد بن عمر بن لبانة ، وأسلم بن عبد العزيز ، وأحمد بن خالد ، وعثمان بن عبد الرحمان ، وعبد الله بن يونس ، ومحمد بن قاسم ، وقاسم بن أصبغ . ورحل فحجّ سنة أثنتين وثلاثين [وثلاثمائة] هو ومحمد آبن إسحاق بن السليم . فسمع بمكّة من آبن الأعرابيّ ، وبمصر من أحمد بن مسعود الزبيريّ ، وأحمد بن بهزاد الفارسيّ ، وأبي جعفر أحمد بن محمد بن النحّاس ، وعبد الله بن جعفر بن الورد البغداديّ ، ومحمد بن أيّوب الصموت ، وغيرهم . وكان من الأبدال .

وكان حافظاً للرأي ، بصيراً بالنحو الغريب ، نبيلاً . سمعتُ[3] منه أكثرَ

---

(1) في السلوك : في آخر ربيع الأوّل . وقال : « وكان ينطق بالجيم كافاً » .

(2) الوافي ، 13/ 344 (423) .

(3) لعلّ المقريزي نقل هذه الترجمة من بعض كتب التراجم الأندلسيّة وسقط اسم المنقول عنه عند النسخ .

روايته ، وسمع منه الناس كثيراً .

ولد سنة أربع وتسعين ومائتين . وتوفّي يوم الجمعة لأثنتي عشرة ليلةً بقيت من شوّال سنة أثنتين وسبعين وثلاثمائة بقرطبة . وشهدت جنازته .

1369 ـ خلصة بن موسى بن عمران الربّيّ الزاهد [– 376]

أصله من الربّة من كور الأندلس ، وسكن قرطبة . وكان مشهوراً بالخير . وحجّ مرّة . ورجع إلى قرطبة فمات بها في رجب سنة ستّ وسبعين وثلاثمائة . وكانت جنازته حافلةً جدًّا .

1370 – أبن الحصّار القرطبيّ المقرىء [427 – 511](1)

خلف بن إبراهيم بن سعيد ، العلّامة أبو القاسم ابن النحّاس ، القرطبيّ ، الحصّار ، المقرىء ، خطيب قرطبة .

رحل وحجّ فقرأ بمكّة على أبي معشر عبد الكريم الطبريّ . وبمصر على نصر أبن عبد العزيز الشيرازيّ .

وروى عن أبي القاسم بن عبد الوهّاب المقرىء ، ومحمد بن عابد ، وحاتم ابن محمد ، وكريمة المروزيّة ، وعدّة . وعاد إلى قرطبة . وطال عمره وبعد صيتُه . وكان مدار الإقراء عليه بقرطبة . قرأ عليه أبو عبد المنعم يحيى بن الحلوانيّ الغرناطيّ ، ويحيى بن سعدون القرطبيّ وجماعة . قال ابن بشكوال(2) : كان ثقة صدوقاً بليغ الموعظة فصيح اللسان حسن البيان جميل المنظر والملبس فكه المجلس .

---

(1) غاية النهاية 1 / 271 (1227) –

(2) الصلة ، 171 (396) .

ولد سنة سبع وعشرين وأربعمائة ومات في صفر سنة إحدى عشرة وخمسمائة .

1371 ـ أبو القاسم ابن خاقان المقرىء [ـ 402][1]

خلف بن إبراهيم بن محمد بن خضر بن خاقان ، أبو القاسم ، المصريّ ، المقرىء ، أحد الحذّاق في قراءة ورش .

قرأ على أحمد بن أسامة التجيبيّ ، وأحمد بن محمد بن أبي الرجاء ، ومحمد بن عبد الله المعافريّ ، وأبي سلمة الحمزاويّ . وسمع من عبد الله بن جعفر ابن الورد ، وأحمد بن الحسن الرازيّ ، وابن أبي الموت ، وجماعة .

قال أبو عمرو الدانيّ : كان ضابطاً لقراءة ورش ، متقناً لها ، مجوّداً ، مشهوراً بالفضل والنسك ، واسع الرواية ، صادق اللهجة . كتبنا عند الكثير من القراءات والحديث والفقه . سمعته يقول : «كتبتُ العلمَ ثلاثين سنة» . وذهب بصره ثمّ عاد إليه . وكان يؤمّ بمسجدٍ .

مات بمصر سنة اثنتين وأربعمائة ، وهو في عشر الثمانين .

1372 ـ أبو القاسم الحوفيّ [ـ 455]

خلف / بن أحمد بن الفضل بن جعفر بن يعقوب بن إبراهيم ، أبو [433أ] القاسم ، التميميّ ، الحوفيّ .

سمع من عبد الغنيّ بن سعيد وغيره . مات سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

---

(1) غاية النهاية 1 / 271 (1228) .

1373 - خلف بن جبر [- 364][1]

أحد ثوّار المغرب . صعد في بني هراش[2] إلى قلعة منيعة واجتمع إليه خلق كثير من قبائل البربر . فزحف إليه أبو الفتوح يوسف بن زيري بن مناد خليفة المعزّ على إفريقيّة وبلاد المغرب في عساكر عظيمة ونزل عليه فقاتله أربعة أيّام فمات من الطرفين خلق عظيم حتى أخذ القلعة في يوم الأربعاء عاشر شعبان سنة أربع وستّين وثلاثمائة ودخلت إليه خيلُه وقد فرّ خلق . فقتل فيها من الخلق ما لا يحصى عددهم وبعث منها سبعة آلاف رأس طيف بها في القيروان .

ثمّ حمل منها إلى مصر عدد كبير طيف به في القاهرة وغنم أصحاب أبي الفتوح ما كان بالقلعة .

ووصل خلق إلى بلاد كتامة فقبضوا عليه وعلى ابنه وأخيه وخمسة من بني عمّه وحملوهم إلى أبي الفتوح فبعث بهم إلى مدينة القيروان فشهّروا بالمنصوريّة يوم الاثنين لخمس خلون من شهر رمضان ثمّ قتلُوا وصلبوا وحملت رؤوسهم إلى مصر فطيف بها في القاهرة في شوّال ، فلذلك ذكرت خلفاً هٰذا ، وهو من شرط هٰذا الكتاب[3] .

1374 - أبو الغنائم القبتوريّ الكاتب [615 - 704][4]

خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف بن عبد العزيز بن محمد ، أبو

---

(1) في رسالة هـ. ر. إدريس عن بني زيري : خلف بن خير .

(2) بنو هراش : قوم من أهل الأوراس في جهة سوق أهراس الحاليّة . انظر عيون الأخبار ، 128 هامش 92 .

(3) شرط الكتاب أن يكون المترجَم دخل مصرَ ، ولو برأسه فقط كالحسين السبط ومحمّد بن خزر الزناتيّ ، أو في تابوت كإسماعيل المنصور .

(4) الوافي ، 13/ 371 (465) . نفح ، 2/ 595 (220) . بغية الوعاة ، 1/ 595 (1166) . واتّفقت المصادر الثلاثة على القبتوريّ بالباء التحتيّة ، مع أنّ النفح نسب علماً أندلسيّاً آخر إلى عين قنت أورية (2/ 218) فقال : القنتوريّ (بالنون الفوقيّة) .

الغنائم ، الغافقيّ ، القبتوري ، الإشبيليّ ، الكاتب .

ولد بإشبيلية سنة خمس عشرة وستّمائة ، ونشأ بها . وقرأ كتاب سيبويه على الأستاذ أبي الحسن الدبّاج ، وتلا عليه أيضاً الروايات السبع . وقرأ كتاب الشفاء على عبد الله بن القاسم بمدينة سبتة . وروى الحديث . وكتب لأمراء سبتة وخلف بتونس عن القرافيّ ، وحجّ مرّتين ، وجاور بمكّة زماناً .

ومات بالمدينة النبويّة في أوائل أربع وسبعمائة . وكان كاتباً مترسّلاً ، ينثر وينظم ، مع دين وتقوى .

ومن شعره قوله [طويل] :

رجوتُك يا رحمانُ إنّك خيرُ مَن ... رجاهُ لغُفرانِ الجرائم مُرتجِي
فرحمتَك العظمى التي ليس بابُها ... وحاشاك ! في وجه المسيء بمُرتجِ

وقوله [وافر] :

أسيلي الدمع يا عيني ولكن ... دَماً . ويقلّ ذلك لي ، أسيلي
فكم في الترب من طرفٍ كحيلٍ ... لتربٍ لي ومن خدٍّ أسيلِ

وقوله [بسيط] :

ماذا جنيتُ على نفسي بمَا كتَبَتْ ... كفّي ، فيا ويحَ نفسي مِن أذى كفّي
ولو يشاء الذي أجرى عليّ بِذَا ... قضَاءَه الكَفَّ عنه كنتُ ذا كفِّ [1]

1375 – خلف بن ملاعب الأشهبيّ [– 499][2]

خلف بن ملاعب ، الأشهبيّ ، الكلابيّ ، الأمير أبو منصور ، سيف

---

(1) نفح الطيب ، 2/ 595 (220) .
(2) اتّعاظ ، 3/ 18 والهامش 2 ، ثمّ ص 36 وهامش 2 .

الدولة . أصله من قبيلة من بني كلاب يقال لها الأشهب .

آستولى على مدينة حمص في ولاية مغلي بن حيدرة على دمشق من قبل المستنصر بالله أبي تميم معدّ ابن الظاهر ، في صفر سنة ستّ وستّين وأربعمائة . فلمّا صار نصير الدولة [. . .] بعساكر أمير الجيوش من مصر ، وفتح صور وصيدا . ونزل بعلبك ، قدم عليه خلف بن ملاعب ودخل في الطاعة ووجّه بآبن عمّه إلى أمير الجيوش ، فقبله ، وبعث إلى خلف بالخلع والطوق . فأقام بحمص ، وكان الضررُ به عظيمًا ، ورجاله يقطعُون الطريق في جميع النواحي . وكان في صحبته جماعة من اللصوص ، فشمل الناسَ في أيّامه مضرّة شديدة . فلمّا سار تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان من دمشق ، ومعه الأمير آق سنقر صاحب حلب ، والأمير بوزان صاحب حرّان ، وعوّلوا على قصد مصر ، مضوا إلى حمص وقبضوا على خلف هٰذا وعلى ولدَيْه ، وحصل في حيّز الأمير آق سنقر [433ب] فبعث به إلى تركان خاتون[1] / الجلاليّة زوجة السلطان ملك شاه ، فآعتقله بأصبهان ، ثمّ أفرج عنه بعد موت ملك شاه . فورد بغداد على أسوإ حال . فآجتمع عليه التجّار وآدّعَوا عليه أموالاً أخذها منهم فوكّل به من دار الخلافة ، فتوصّل القائد علي بن كتاش في إطلاقه وأدّى عنه من ماله ثلاثمائة وخمسين دينارا . ثمّ دبّر له في الخروج من بغداد فتمّ له ذلك ، ولم يكاف[ـئـ]ـه عنه ، وذهب ما أدّى عنه ضياعاً . ومضى إلى مصر فلم يلتفت إليه ، وأقام بها ومعه أهله وأولاده سنتين .

فكتب القائم بفامية من جهة الملك رضوان بن تتش إلى المستنصر ، وكان يميل إلى مذهب المصريّين . يستدعي من يتسلّم أفامية منه ، وكانت على غاية الحصانة . فواصل ابن ملاعب السعي في ذلك . ووعد أنّه يحارب الفرنج رجاء المثوبة من الله تعالى . وكانت البلادُ يومئذٍ أكثرُها معهم . فأُجيبَ بأنّه رجلٌ كافر النعمة مخفر الأمانة لا يملك عنان فرسه فيرى لأحد عليه طاعة . فقال : أنا أعطي

(1) في المخطوط : داتون .

أولادي رهينةً وأنصرفُ على السمع والطاعة لكم .

فوقع الاتّفاق عليه وقُلّد أفامية في سنة تسع وثمانين وأربعمائة . فلمّا وصل وتمكّن منها خلع الطاعةَ . فكتبوا إليه يعرّفو[نـ]ـه حال رهينته وما يحلّ بولده عند معصيته . فأجاب بأنّي متمسّك بمكاني مدافع عن تسليمه وإنّني أؤثر أن تطبخوا أولادي وتنفذوا إليّ بعض أعضائِهم حتى آكُلَه .

فيئسوا منه وأعرضوا عنه ، وأقام بأفاميَة على حالته من التخليط ، ومال إليه المفسدون ، وعظم قطع الطريق من جهته . فاتّفق أن آستولى الفرنج على سرمين فتفرّق مَن كان بها ، وكانوا غلاةً في التشيّع ، وصار أكثرُهم إلى رضوان متملّك حلب ، وفيهم شجاعة وقوّة ، والغالب عليهم حملُ السلاح . ومضى قاضيهم أبو الفتح السرمينيّ إلى ابن ملاعب في فريق منهم وأقام عنده وحَظِي لديه وتقدّم تقدّماً زائداً . فصار يطلعه على سرّه ويشاوره في أموره ، والقاضي يدبّر عليه ويكاتب أبا طاهر الصانع بحلب ، وهو من خواصّ الملك رضوان ومن وجوه الباطنيّة ودعاتهم ، ووافقه على إعمال الحيلة للفتك بآبن ملاعب ، وأن يستولي على أفامية ويسلّمها إلى الملك رضوان ليستخدمَه في تدبيرها ويردّ إليه النظر في أمورها . فآتّفق أنّ أولاد ابن ملاعب تسلّلوا من مصر خفية ووصلوا إليه . فأخبروه بأنّ القاضي أبا الفتح السرميني المقيمَ عنده قد آشتهر عندهم أنّه يعمل عليه ويروم الفتكَ به ، وأشاروا بإبعاده . فآستدعاه ابن ملاعب فحضر وقد أيقن بالفتك به ، ومعه مصحف . فلمّا جلس آعترف بمَا أولاه ابن ملاعب من الجميل ، وأنكر ما قيل في حقّه وحلَف بالمصحف على صحّة ما يعتقده من جميل ولائه . وسأله أن يُطلقه عُرياناً إن كان قد داخله فيه شكّ . فقبل قولَه وآنخدع له وتركه على حالته .

فأخذ القاضي من تلك الساعة في الجدّ ، وكاتب الصانع بأن يوافق الملك رضوان على تسيير ثلاثمائة رجل من أهل سرمين وصحبتَهم شيءٌ من خيل الفرنج وبغالهم وسلاح من أسلحتهم . وعرّفه مكيدةً يُفهّمها لهم ليقولوها عند

حضورهم . ففعل ذلك الصانعُ ، وحضر أولائك الخيّالة وقالوا : كنّا نخدم رضوان وفارقناه على حالة غير مرضيّة من قلّة إنصافه ، وتوجّهنا نحو الفرنج فأخذنا منها براءة للأمير إن رضِينا له خدماً – وقدّموا له ما كان معهم من الخيل الفرنجيّة والبغال والسلاح . فتمّ ذلك عليه وظنّه صحيحًا ، وٱستخدمهم وقرّبهم و[أ]سكنهم ربض القلعة . فٱجتمعوا مع القاضي أبي الفتح على التدبير ، فواعدهم . فلمّا كانت تلك الليلة طاف العسس كجاري العادة ومضوا وناموا . [فـ]ـثار مَن بالحصن من أهل سرمين ودلّوا الحِبال إلى الواصلين فرفعوهم . وقام
[434أ] السيف / فقُتل ابن ملاعب وأولادُه ، لأربع بقين من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، ومُلكت القلعة . وأفلت صبح ونصر ولدا خلف بن ملاعب ، فتوجّه صبح إلى شيزر وأقام عند ابن منقذ .

وبعث القاضي أبو الفتح [إلى] أبي طاهر[1] سعيد الصانع ، [فسار] إلى أفامية لا يشكّ أنّها له ، فأكرمه القاضي وٱمتنع من تسليمها إليه وقال : هٰذا الموضع نحن محترمون ما دام لنا وإذا خرج إلى غيرنا ٱمتُهِنّا . – فيئس منه .

وكان لخلف ابنٌ يُقال له مصبح في خدمة طغدكين بدمشق قد أعطاه حصناً بالبيرة[2] يحفظه فعُرف بعده بقبّة ابن ملاعب فأفسد هناك فهدّده طغدكين . فلحق بالفرنج وأوى إلى طنكري متملّك أنطاكية ، وحسّن لهم قصد أفامية . فساروا معه ونازلوها . فسيّر إليهم القاضي أبو الفتح عشرة آلاف دينار ، فرحلوا . فلامهم ٱبنُ خلف ، وما زال بهم حتّى أقاموا عليها إلى أن مات مَن بها من الجوع ، فملكها الفرنج وقتلوا القاضي وأسروا الصانع وحملوه إلى أنطاكية معهم وقتلوه بها . فأخذ رضوان مالَه وأولاده بحلب .

---

(1) في المخطوط : أبو طاهر . وفي الكلام نقص ، والزيادة منّا .

(2) في المخطوط : بالبيرية . والبيرة رَتّبها ياقوت في الباء وقال : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الروميّة .

1376 - ناصر الدين ابن خواجا التوريزيّ [- 749][1]

خليفة بن خواجا علي شاه، ابن أبي بكر، التوريزي، الأمير ناصر الدين.

كان أبوه علي شاه وزيرَ أبي سعيد بن خربنده ملك العراق. قدم بعد أبيه إلى دمشق رفيقاً للوزير نجم محمود بن شروين [وزير بغداد]، وقدّم هديّة جليلة للأمير تنكز. فأكرمه وطالع السلطان بقدومه. فأكّد في الوصيّة به وتجهيزه بعد حجّه والقيام بجميع ما يحتاج إليه في حجّه ومسيره إلى مصر. فٱعتمد الأمير تنكز ما رسمه، وبعث به بعد حجّه.

فقدم إلى مصر في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة. فأنعم عليه السلطان [الناصر محمد بن قلاوون] وخيّره فٱختار دمشق. فكتب له براتب يكفيه وأطلق له إنعاماً جليلاً، وأنعم عليه بتقدمة برسبغا[2] العادليّ بدمشق، وأنعم على برسبغا بإمرة آقول الحاجب بعد موته. ونال الدول وتنقّلت به الأحوال حتى مات بدمشق في سادس عشرين جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبعمائة[3].

1377 - الصفديّ صاحب الوافي [690 - 764][4]

خليل بن أيبك، صلاح الدين، الصفديّ، [أبو الصفاء].

ولد سنة تسعين وستّمائة. وقرأ الفقه على مذهب الشافعيّ. وشارك في الأصول، وعرف النحو، وبرع في الأدب نظماً ونثراً، وكتابة وجمعاً. وعُني

(1) الدرر 2 / 184 (1674)، والزيادات منها. الوافي، 13 / 383 (486).
(2) في المخطوط: شربغا، والإصلاح من السلوك، 2 / 446 هامش 4.
(3) في الدرر: سبع وفي السلوك، 2 / 794 : تسع أيضاً.
(4) الدرر 2 / 176 (1754) - النجوم 11 / 19.

بالحديث فسمع بأخرة من جماعة . ولازم أبا الفتح محمد ابنَ سيّد الناس . وبه تميّز في الأدب . وصنّف في التاريخ والأدب ما يزيد على ستّمائة مجلّد .

وكتب الإنشاء بقلعة الجبل وبدمشق عدّة سنين . ثمّ ولي كتابة السرّ بحلب في [...] وعزل [...] فقدم دمشق على وكالة بيت المال وتوقيع الدست . وأستمرّ بهما حتّى مات ليلة العاشر من شوّال سنة أربع وستّين وسبعمائة في الطاعون .

وكان إماماً أديباً له همّة عالية في التحصيل ، إذا صنّف كتاباً راجع أهلَ العلم فيمَا يحتاج إليه فيه من موادّ العلم . كالحديث والفقه والأصول .

وله من المصنّفات : كتابُه الوافي بالوفيات جمع فيه عدّة رجال على الحروف ، وهو كبير في ثلاثين مجلّدة لطيفة . وكتاب التذكرة جمع فيه فأوعى . وكتاب قطر الغيث الذي انسجَم في شرح لاميّة العجم . يشتمل على علم جمّ في أربع مجلّدات كبيرة . وكتاب أعوان النصر في ذكر أعيان العصر : أربع مجلّدات كبار ، مفيد إلى الغاية في معناه . وكتاب رشف الزلال في وصف الهلال . وكتاب كشف الحال في وصف الخال . وكتاب نكت الهميان في نُكت العميان .

مات ليلة عاشوراء بالطاعون سنة أربع وستّين وسبعمائة[1]

1378 - خليل بن دلغادر التركمانيّ [- بعد 746][2]

تحرّك لمحاربة خليل الطرفيّ ، وكان قد قدّم سبعمائة فرس وسأل على لسان
[434ب] الأمير تنكز نائب الشام أن يقيم بأرض أبلستين[3] ، ويقيم ألف فارس / وعشرة

(1) هذه الوفاة مكرّرة ، مِمّا يدلّ على أنّ الناسخ ينقل عن مسوّدة بخطّ المقريزيّ . وهي بعد مضطربة في تعيين الشهر : شوّال هناك ومحرّم هنا (عاشوراء) .

(2) الدرر 2/ 178 (1658) . السلوك ، 2/ 430 . دائرة المعارف الإسلاميّة ، 2/ 246 (ذو القدر) وهو خليل بن قراجا بن دلغادر .

(3) أَبُلُسْتَيْن أو أبِلِسْتين هي اليوم ألبستان في جنوب تركيا الحالية – انظر دائرة المعارف الإسلاميّة ، 2/ 710 .

أمراء . فرسم له السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بذلك ، وكتب له المناشير بالإمريات والإقطاعات وبعثها إليه في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . فقام بحربه خليل بن دلغادر وهزمه وقتل كثيراً من جماعته . وبادر بإرسال ولده وعدّة من ثقاته إلى الأمير تنكز وكتب إليه بأنّه يقدّم ألفي إكديش[1] ويؤمّر ثلاثين أمير طبلخاناه ويلتزم بدرك البلاد .

فقام تنكز في نصرته وكتب إلى السلطان في أمره . فأجيب إلى سؤاله ورسم بحضور خليل بن دلغادر والطرفيّ . فقدما في سنة ثمان وثلاثين . فأقبل السلطان على ابن دلغادر وكتب له ثلاثين منشوراً بأسماءِ أمراءَ عيّنهم ، وخلع عليه وعلى جميع من حضر معه .

وسار فنزل أبلستين ، وكثر جمعه وواقع الروم والمغل مراراً وقتل منهم كثيراً وغنم أموالهم . وكانت له هناك أخبار عديدة . ثمّ قدم إلى مصر في الأيّام الناصريّة أحمد سنة اثنتين وأربعين ، فأنعم عليه بإنعامات جليلة ، وأعيد إلى الأبلستين على عادته[2] .

1379 - نجم الدين الحمويّ قاضي العسكر [- 641][3]

خليل بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين ، الحمويّ ، نجم الدين ، أبو عليّ ، [الحنفيّ] ، قاضي العسكر العادليّ[4] .

كان فاضلاً أديباً .

---

(1) إكديش : ضرب من الخيول الصغيرة (دوزي) .

(2) في السلوك ، 2/ 691 : سنة 746 ، وكنّه ذُكر في وفيات سنة 788 - السلوك 3/ 556 .

(3) الوافي ، 13/ 397 (500) - الجواهر المضيئة 2/ 180 (570) ومنها تاريخ الوفاة .

(4) الملك العادل أبو بكر بن أيّوب .

1380 ـ الصفيّ المراغيّ المقرىء [بعد 590 ـ 685] [1]

خليل بن أبي بكر بن محمد بن صديق ، الإمام صفيّ الدين ، أبو الصفاء ، المراغيّ ، المقرىء ، الحنبليّ ، المعدّل .

ولد بالمراغة سنة بضع وتسعين وخمسمائة . وقرأ للعشرة على التقيّ ابن ماسويه . وسمع من القاضي أبي القاسم عبد الصمد ابن الحرستانيّ ، وأبي الفتوح البكريّ ، وداود بن ملاعب ، وجماعة . وتفقّه على الشيخ موفّق الدين المقدسيّ .

وكان مجموع الفضائل ، كثير المناقب ، متين الديانة ، عارفاً بالقراءات بصيراً بالمذهب ، عالماً بالخلاف والطبّ [وغير ذلك] .

قرأ عليه بالروايات بدر الدين محمد بن الجوهريّ ، والشيخ أبو بكر الجعبريّ ، وجماعة . وسمع منه ابن الظاهريّ وابنه أبو عمرو والقاضي سعد الدين مسعود الحارثيّ ، والحافظ أبو الحجّاج يوسف المزّيّ ، والشيخ أثير الدين أبو حيّان ، وخلق كثير .

وناب في القضاء بالقاهرة فحمدت طريقتُه وشكرت خلائقُه .

وتوفّي في سابع عشر ذي القعدة سنة خمس وثمانين وستّمائة ، وقد جاوز التسعين . وهو آخر مَن قرأ القراءات على ابن ماسويه .

1381 ـ أبو الطيّب خشترين الكرديّ [578 ـ 619] [2]

خشترين بن تليل بن أبي الهيجاء بن أفشين بن خشترين بن كردي بن

---

(1) الوافي 13 / 396 (498) ـ غاية النهاية 1 / 275 (1243) .

(2) الوافي 13 / 318 (394) وهو فيه : جمال الدين الهكاري ، ولا ذكر لشعره .

جندي . الأمير الأديب ، جمال الدين ، أبو الطيّب ، الكرديّ . يقال إنّه مولى مروان بن الحكم ، وأصله من أعمال إربل ومن الأكراد .

ومولده بمصر سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . وكان جنديًّا كرديًّا ، وتخرّج على ابن سعادة الحمصيّ ، وكان يقول إنّه شيخه . وتوفّي بإربل ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع عشرة وستّمائة .

ومن شعره في رئيس افتصد [بسيط] :

لله درّ جواد عندما نفدت خزائن المال من إفراط أنعمِه
أبدى الفصاد بلا داء يخامره إلّا ليروي عطاش الأرض من دمه

وقال [رجز] :

حدّثت عن علياك ما استعظمته لمّا التقينَا صغّر الخُبْرُ الخَبَرْ
وكان طرفي يحسد السمع فمُذ حان التلاقي حسَد السمعُ البصَرْ

وقال عفيف الدين أبو المظفّر منصور بن محمد بن فارس الحمصيّ الشاعر : اجتمعنا بحلب في دولة الملك الظاهر غازي الشرف : راجح الحلّي ، وابن سعادة الحمصيّ ، وابن وهب الحمصيّ ، وأنا ، وغير هؤلاء . فقالوا : قد قدم هذا الكرديّ – يعنون أبا الطيّب خشترين – وهو يأتي في كلّ واقعة بأشعار في غاية الجودة وما عنده مادّة .

فقال راجح الحلّي : أنا أعمل لكم دعوة وندعوه ونمتحنه – فعمل دعوة ودعاه . فلمّا حضرنا وأكلنا وشربنا قال الحلّي : يَا أصحابَنا ، أنتم شعراء المصر ، وأشتهي أن تعملوا في هذا المملوك الذي لي – وكان على جفنه جرح قد حُشي / كحلاً وبقي أخضر . [435 أ]

فقال خشترين : ما أنا صاحب بديهة .

فقالوا له : لا بدّ أن تعمل .

فأخذ كلّ واحدٍ يفكّر . فسبق الجماعة وقال : قد تهيّأ لي شيءٌ فإن أذنتم في إيراده ؟

قالوا : هات !

فأنشد [طويل] :

ألا أبلغا عنّي الغزالَ الذي غدا يَصيد أُسُودَ الغيلِ من آل عامرِ
أما زلت في أكبادنا نونَ حاجر تصول بسيف من خلال المحاجر ؟ (1)
إلى أن غدا ذاك الحسامُ وقد علا على جفنه آثَارُ بَعض المرائر

فأقرّ الجماعة ، ولم يعمل واحدٌ منهم شيئاً جيّداً .

وله من قصيدة [كامل] :

ضحكت ثغور البيض لمّا أن بدت حدق السوابغ بالنجيع القاني
أبداً تُريك من الأسنّة ألْسُناً تتلو عليك مقاتِلَ الفرسان
وتكلّمت في وجه كلّ مُتَوَّج خرس الرماح بألسن الخرسان (2)

وقال [رجز] :

كذلك البرق اليمَاني إذ برق سُحب دموع فيضها من الحرق
فمن لقلب كلّما لاح له خُفوقُ برق دون تيمَاء خفقْ

وقال [متقارب] :

سقى ليلنا بالغوير وقد أط لَعَ الكأس فينا قلق
وفي أفق مجلسنا أنجم بأيدي أهلّة تحت الغسَق (3)

(1) النون : السيف ، وسيف مخصوص ، ولم نفهم : نون الحاجر في هٰذا البيت ولا الحاجر فيما يأتي من المختارات .
(2) في المخطوط : بالسنة .
(3) الوزن مختلّ في البيتين .

تغيب البدورُ بها في الشموس   وتُطلع في الوجَنات الشفَقْ

وقال وقد حمل إليه طبق فيه أقداح في مجلس الشراب ، وكان الحامل يلقّب شمس وآسمه أبو بكر [وافر] :

أبا بكر متى حملت شموسٌ   على رغم البُدورِ لنا الثريّا
فلا شلّت أناملك اللواتي   حملْتَ بها إلى نحْري الحميّا

ولمّا سمع الشعراء بإربل شعره أنكروا أن يكونَ له لجودته وعرّضوا له بذلك ، وطلبوا منه أن يعمل أبياتاً على وزن أبيات أوّلها [كامل] :

هل من حناه إليك طول حنينه   وجنى هواك عليه طول جُنُونه

وكان قد آمتحن بهذا الوزن والتزام التجنيس جماعة قبل خشترين ، فقال :

طلل يرى جسمي طلاً فيريقه   لمّا تشفّى الحزنُ من محزونه[1]
صبّ تقاصر صبره لمّا غدا   أبداً إلى الجنّان طول حنينه
فلعلَّ حَاجِرَ إنْ سفحت مدامعاً   بالسَّفح يُخبرُ عن محاجر عَيْنِه
ولقد عهدت هناك دون طويلعٍ   بدراً تطلّع من خلال دجونه
بدر يُضِلُّ بغيهب من شَعره   أبداً ويَهْدِينا بضوء جبينه

وقال [بسيط] :

ما كنت أعلم أنّ الشمسَ قد غَرَبَتْ   حتى رأيتُ الدجى مُلقًى على القمر

وقال [منسرح] :

تسكُتُ ألحاظُه إذا سُئِلَت   عن قتلنا ، والسكوت إقرارُ

(1) بريقة : قراءة ظنّيّة .

1382 ـ خالد بن يزيد حكيم آل مروان [ـ 90] [1]

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، الأمويّ ، القرشيّ ، أبو هاشم .

الاضطرابات بعد وفاة معاوية

أمّه فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . وجدّه معاويةُ بن أبي سفيان أقام أميراً على دمشق في خلافة عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان رضي الله عنهما نحواً من عشرين سنة ، وأقام في الخلافة بعد قتل علي بن أبي طالب ومبايعة الحسن بن عليّ رضي الله عنهما نحواً من / عشرين [435ب] سنة . ومات فقام بعده في الخلافة ابنُه يزيد بن معاوية بن [أبي سفيان] ثمّ مات بعد ثلاث سنين وستّة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر ، فخلفه ابنه معاوية بن يزيد مدّة ثلاثة أشهر وقيل : مدّة أربعين يوماً ، ومات وقد بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة في مكّة والمدينة والكوفة ومصر ، وبايع الناس بدمشق الضحّاك ابن قيس على أن يصلّي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس ، وكان يدعو في السرّ لأبن الزبير .

وكان زفر بن الحارث الكلابيّ بقنسرين ، والنعمان بن بشير بحمص يدعوان لأبن الزبير ، ومروان قد جمع بني أميّة وغيرَهم بالجابية ليختاروا رجلاً ، وحسّان آبن مالك بن بجدل الكلبيّ قد سار من فلسطين إلى الأردنّ يدعو إلى بني أميّة . فغلب ناتل بن قيس على فلسطين ودعا لأبن الزبير . فبعث حسّان إلى الضحّاك

(1) الوافي 13/ 270 (328) ـ وفيات 2/ 224 (212) ـ أسد الغابة 2/ 113 (1405) . مختصر ابن منظور 8/ 33 (9) .

يدعوه إلى نصرة بني أميّة . فرقي المنبر يوم الجمعة وقرأ كتاب حسّان . فٱختلف الناس : منهم من يريد بني أميّة وهم الأكثر . وفيهم من يريد ابن الزبير . فكانت فتنة وقام خالد بن يزيد فصعد مرقاتين من المنبر ، فسكن الناس . ونزل الضحّاك فصلّى الجمعة ودخل القصر . فجاءت كلب وجاءت غسّان وجاء خالد ٱبن يزيد وأخوه عبد الله ، معهما أخوالهما من كلب ، فكانت فتنة أخرى ٱقتتل الناس فيها . ودعت قيس لأبن الزبير ، ودعت كلب لخالدِ بن يزيد لأنّه ابنُ أختِهم . فكانت أمورٌ آلت إلى الاجتماع بالجابية ومخالفة الضحّاك عليهم ونزوله مرجَ راهط وقيام الحصين بن نمير ، وروح بن زنباع ، مع مروان بن الحكم حتّى بويع بالخلافة على أن يكون خالد خليفة بعده وله إمرة حمص .

فلمّا تمّ ذلك دعا حسّان [بن مالك] بن بجدل خالداً ، فقال : يا ٱبن أختي إنّ الناسَ قد أبوك لحداثة سنّك ، وإنّي والله ما أريد الأمر إلّا لك ولأهل بيتك ، وما أبايع مروان إلّا نظراً لكم .

فقال خالد : بل عجزت عنّا .

فقال : والله ما أنا عجزت ، ولكن الرأي لك ما رأيت .

تخلّي خالد عن طلب الخلافة

ثمّ إنّ مروان تزوّج بفاختة أمّ خالد ليسقطه من أعين الناس ، وقام على المنبر بعدما بايعه الناس فقال : إنّا آمرون لكم بالعطاء ، وبانون بأمّ خالد ، وسائرون إلى مصر إن شاء الله . — فقدم معه خالد إلى مصر وقال ، وهو بها : مضت الخمس والعشر . وبقيت العشرون يعمّ شرّها مشرقها ومغربها ، لا ينجو منها إلّا أهل أنطابلس .

فتقدّم إليه رجل فقال : أصلحك الله ، ما هٰذه الخمس والعشر والعشرون ؟

قال : الفتنة الأولى كانت خمساً . والثانية عشراً ، فتنة ابن الزبير ، ثمّ تكون الثالثة عشرين سنة يعمّ شرُّها مشرقَها ومغربها ، لا ينجو منها إلّا أهل أنطابلس[1] .

ثمّ سار مع مروان إلى دمشق . وخرج مع عبد الملك بن مروان لمّا بويع بعد أبيه بالخلافة ، ونزل معه على قرقيسيا ، وبها زفرُ بن الحارث الكلابيّ يدعو إلى عبد الله بن الزبير . فجدّ خالد في قتاله وأبلى بلاء كثيراً ، فقال بعض أصحاب زفر : لأقولنّ لخالد كلاماً لا يعود [بعده] إلى ما يصنع .

فلمّا خرج خالد للمحاربة قال له الرجل ، وكان من بني كلاب [رجز] :

ماذا ابتغاءُ خالدٍ وهمُّه   إذ سُلب الملكَ ونيكَت أُمُّه ؟

فٱستحيى خالد ومضى من موقفه ولم يعد لقتالهم .

إشارته بإنشاء سكّة إسلاميّة

وخالد هو الذي أشار على عبد الملك بن مروان أن يترك دنانير الروم ويضرب للناس سكّة فيها ذكرُ الله . فضرب عبد الملك حينئذ الدنانير والدراهم . وقيل إنّ خالداً قال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ العلماء من أهل الكتاب يذكرون أنّهم يجدون في كتبهم أطولَ الخلفاء عمراً مَن قدّس الله في الدرهم . — فعزم عند ذلك عبد الملك وضرب السكّة الإسلاميّة .

وكان خالد يسمّى حكيم آل مروان ، فإنّه كان فاضلاً في نفسه ، وله همّة ومحبّة للعلوم وشغَف بصنعة الكيمياء . فأحضر عنده من حكماء مصر الذين أتقنوا الفلسفة وعرفوا لغة العَرَب مع اللغّات القديمة [لا] سيّما لغة اليونان وأمرهم [بنقل] كتب النجوم والطبّ والكيمياء من اللسان اليونانيّ والقبطيّ إلى العربيّة ، فعرّبوا له ذلك ، وهو أوّل نقل وقع في الإسلام / من لغة إلى لغة . [436أ]

(1) أنطابلس (= خمس مدن) بين الإسكندريّة وبرقة (ياقوت) .

وكان من خطباء قريش ، وكان شاعراً فصيحاً معاً ، جيّد الرأي كثير الأدب . ويروى أنّ عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدَ بن يزيد فقال : يا أخي ، لقد هممتُ اليومَ أن أفتِك بالوليد بن عبد الملك .

فقال له خالد : بئس والله ما هممتَ به في ٱبن أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين !

فقال : إنّ خيلي مرّت به فعبث بها يريد حذف آذانها ، وأصغرني .

مناظرة بين خالد وعبد الملك بن مروان

فقال له خالد : أنا أكفيك . – فدخل خالد على عبد الملك بن مروان ، وٱبنُه الوليد عنده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الوليد ابن أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين مرّت به خيل ابن عمّه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره – وعبد الملك مطرق . فرفع رأسه فقال : ﴿ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل ، 34) .

فقال خالد : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (الإسراء ، 16) .

فقال عبد الملك : أفي عبد الله تكلّمني ؟ والله لقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحناً .

فقال له خالد : فعلى الوليد تقول في اللحن ؟

فقال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن ، فإنّ أخاه سليمَانُ !

فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن ، فإنّ أخاه خالدٌ !

فقال الوليد : ٱسكت يا خالد ، فوالله ما تعدّ في العِير ولا في النفير !

فقال خالد : ٱسمع يا أميرَ المؤمنين ! – ثمّ أقبل عليه فقال : ويحك ! فمَن

للعير والنفير غيري ؟ جدّي أبو سفيان صاحبُ العِير ، وجدّي عتبة بن ربيعة صاحبُ النفير . ولكن لو قلت : غنيمَات وجبيلات والطائف ، ورحم الله عثمان ! ، قلنا : صدقتَ[1] .

شعره في نِسائه

وتزوّج خالد بن يزيد نساء ذوات شرف ، منهنّ أمّ كلثوم[2] بنت عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ، وفيها يقول حين زفّت إليه [طويل] :

[فـ]ـجاءت بها دُهمُ البغال وشُهبُها معتّقة في جوف قزّ مخدّر
مقابلة بين النبيّ محمّد وبين عليّ والحواريّ جعفر
مَنافيّة جاءت بخالص ودّها لعبد منافيٍّ أغزَّ مشهّر

ومنهنّ : آمنة – وقيل أمة – بنت سعيد بن العاص بن أميّة . ثمّ طلّقها فتزوّجها الوليد بن عبد الملك . في ذلك يقول خالد [طويل] :

---

(1) بعد هذا يأتي لشرح لهذا الكلام ، كحاشية وتعليق ولكنه مقحم في المتن ، وهو هذا : (أمّا قوله : في العير ، فهي عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان صخر بن حرب من الشام فنهد إليها رسول الله (صلعم) وندب إليها المسلمين وقال : لعلّ الله ينفلكُمُوها – فكانت وقعة بدر ، وساحَلَ أبو سفيان بالعير – أي أخذ على الساحل ، فكانت الغنيمة ببدر كمَا قال الله عزّ وجلّ : « وَإِذْ يَعِدُكُمُ الله إِحْدَى الطائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ »(الأنفال ، 7) ، أي غير الحرب . فلمّا ظفر رسول الله ﷺ بأهل بدر قال المسلمون : أنهدتّنا يا رسول الله إلى العير ؟

فقال العبّاس : إنّها وعدكم الله إحدى الطائفتين .

وأمّا النفير ، فمَن نفر مِن قريش ليدفع عن العير ، فجاؤوا فكانت وقعة بدر ، وكان شيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وهو جدّ خالد بن يزيد من قِبل جدّته هند أمّ معاوية ، بنت عتبة .

ومن أمثال العرب : لست في العير يوم يجدُّون بالعير ولا في النفير . ثمّ اتّسع هذا المثل حتى صار يقال لمَن لا يصلح لخير ولا لشرّ ولا يحفل به : لست في العير ولا في النفير) .

(2) في المخطوط : أمّ كلثوم زينب .

كعابٌ أبوها ذو العصابة وٱبنُه   وعثمان ما أكفاؤُها بكثير
فإن تَقْبَلَنْها والخلافةَ تنقلبْ   بأكرم علقَي مِنبر وسرير

وفي آمنة يقول خالد حين طلّقها [كامل] :

أعطيت آمنة الطلاقَ كريمَةً   عندي ولم يكثر عليّ طلاقُها
ولَأَضْرِبَنَّ بحبل أخرى فوقها   يوماً إذا لم تستقم أخلاقُها / [436ب]

ومنهنّ رملة بنت الزبير بن العوّام أخت مصعب بن الزبير ، أمّها رباب الكلبيّة ، وفي ذلك يقول شديد بن شدّاد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وهب ٱبن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي ، يحرّض عليه عبد الملك بن مروان [طويل] :

[و]لا يستوي الحبْلان : حبلٌ تلبّست   قواه ، وحبلٌ قد أُمرَّ شديدُ
عليك أميرَ المؤمنين بخالدٍ   ففي خالدٍ عمّا تحبّ صدودُ
إذا ما نظرنا في مناكح خالدٍ   عرفنا الذي ينوي وأين يريد

فطلّقها عند ذلك . وفي رملة بنت الزبير يقول خالد [طويل] :

تجول خلاخيلُ النساءِ ولا أرى   لرملةَ خلخالاً يجولُ ولا قُلبا
أحبّ بني العوّام طرًّا بحبِّها   ومن أجلها أحبَبْتُ أخوالها كلبا
فلا تكثروا فيها الملامَ فإنّني   تخيّرتُها منهم زبيريّةً قلبا
وما ذكرت عندي لها من سميّة   فتملك عيني من مشاربها غربا
فإن تُسلِمي نُسلِمْ وإن تتنصَّري   يعلّقْ رجالٌ بين أعينهم صُلبا

فيروى أنّ عبد الملك بن مروان ذكر له هٰذا البيت فقال : يا خالد ، أتروي هٰذا البيت ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، على قائله لعْنةُ الله !

وذكر العتبيّ أنّ الحجّاج لمّا أكرهَ عبدَ الله بنَ جعفر على أن زوّجه ٱبنتَهِ[1]، ٱستأجله في نقلها سنة . ففكّر عبد الله في الانفكاك وألقي في روعه خالد بنُ يزيد ، فكتب إليه يعلمه ذلك – وكان الحجّاج تزوّجها بإذنِ عبد الملك – فورد على خالد كتابه ليلاً فٱستأذن من ساعته على عبد الملك فقيل له : أفي هٰذا الوقت ؟

فقال : إنّه أمرٌ لا يُؤَخَّرُ .

فأعلم عبد الملك بذلك فأذن له . فلمّا دخل عليه قال له عبد الملك : فيمَ السّرى يا أبا هاشم ؟

فقال : أمر جليل لم آمن أن أؤخّرَه ، فتحدث عليّ حادثة فلا أكون قضيت حقَّ بيعتك .

فقال : وما هو ؟

فقال : أتعلم أنّه ما كان بين حيَّيْن من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سفيان ؟

قا[ل] : لا .

[قال :] فإنّ تزوّجي إلى آل الزبير قد حلّل لهم ما كانَ لهم في قلبي ، فما أهل بيتي أحبُّ إليَّ منهم .

قال : فإنّ ذلك ليكون .

قال : كيف أذنت للحجّاج أن يتزوّج في بني هاشم وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم ، والحجّاج من سلطانك بحيث علمت ؟

فجزاه عبد الملك خيراً ، وكتب إلى الحجّاج يعزمه أن يطلّقها ، فطلّقها .

(1) في العقد ، 2/ 71 هي أمّ كلثوم ، وفي 6/ 130 هي زينب . فلعلّ هٰذا هو سبب ذكر المقريزي للاسمين معاً في ص 778 . وليس في الحكاية ما يدلّ أنّ خالد بن يزيد تزوّج بهٰذه التي تزوّجها الحجّاج . وفي جمهرة ابن حزم ، 68 ، 140 ، ذكرت أمّ كلثوم لا غير ، ولم تذكر زينب بنت عبد الله أصلاً .

فعدل الناس عليه يعزّونه عنها ، فكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان . فأوقع الحجّاج بخالد فقال : كان الأمرُ لآبائه فعجز عنه حتى ٱنتزع منه .

فقال له عمرو بن عتبة : لا تقل ذا أيّها الأمير ، فإنّ لخالد قديمًا [ما] سبق إليه وحديثاً لم يغلب عليه[1] ، ولو طلب الأمر لطلبه بحَدّ وجِدّ ، ولكنّه علم علماً فسلّم الأمرَ إلى أهله .

فقال الحجّاج : يا آل أبي سفيان ، أنتم تحبّون أن تحلموا ، ولا يكون الحلم إلّا مِن غضب ، فنحن نغضبُكم في العاجل ٱبتغاءَ مرضاتكم في الآجل .

ثمّ قال الحجّاج : والله لأتزوّجَنّ مَن هي أمسّ منها به رحماً ، لم يمكنه فيه شيء[2] .

فتزوّج أمّ الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسعد .

ٱشتغاله بالكيمياء

ويذكر أنّ من جود خالد أنّه قيل له : لقد جمعتَ أكبر شغلك في طلب الصنعة ؟

فقال : ما أطلب بذاك إلّا أن أغنِي أصحابي وإخواني . إنّي طمعتُ في الخلافة فاختزلت دوني ، فلم أجد منها عوضاً إلّا أن أبلغَ آخرَ هٰذه الصنعة ، فلا أحوج أحداً عرفني يوماً أو عرفتُه إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة .

ويقال إنّه صحّ له عمل الكيمياء ، وله في ذلك عدّة رسائل وكتب . وله شعر كثير في هٰذا المعنى يبلغ نحو خمسمائة ورقة . ومن كتبه فيها[3] : كتاب

---

(1) في العقد 6 / 122 العبارة أوضح : لو طُلبَ بقديم لم يُغلب عليه ، أو بِحَديث لم يُسبَق إليه .

(2) في المخطوط : من هو – وفي النصّ نقص .

(3) هنا حاشية بِخطّ مغاير تقول : نصّ على خلاف المشهور من أنّ أوّلَ مصنّف في الإسلام جابر بن حيّان الصوفيّ الكوفيّ (وجابر توفّي سنة 200 هـ) .

الخرزات . كتاب الصحيفة الكبير . كتاب الصحيفة الصغير . كتاب وصيّته إلى ابنه في الصنعة/ . [437أ]

ويقال إنّ ملك الصين كتب إلى معاوية بن أبي سفيان : أمّا بعد ، فإنّي قد أرسلتُ إليك هديّة وليست بهديّة ، ولكنّها تحفة . فابعث إليّ بمَا جاء [به] نبيُّكم من حلال وحرام[1] ، وابعث مَن يُبيّنه لي والسلام . – وكانت الهديّة كتاباً من سرائر علومهم ، فصار إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان يعمل منه الأعمال العظيمةَ من الكيمياء وغيرها .

ويقال إنّه هو الذي وضع ذكرَ السفيانيّ وكثّره . وأراد أن يكون للناس فيهم مطمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك .

وذكر الزبير قال : حجّ خالد بن يزيد بن معاوية سنة قتَل الحجّاجُ بن يوسف عبد الله بنَ الزبير . فخطب رملة بنت الزبير ، فبلغ ذلك الحجّاج فأرسل إليه حاجبه وقال له : قل لخالد : ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني ، ولا كنت أراك تخطب إليهم وليسوا لك بأكفاء . وقد قارعوا أباك على الخلافة ورمَوه بكلّ قبيح .

فأبلغه الرسالة . فنظر إليه خالد طويلاً ثمّ قال : لو كانت الرسل تعاقب لقطّعتك آراباً ثمّ طرحتُك على باب صاحبك . قل له : ما كنتُ أظنّ أنّ الأمور بلغت بك أن أشاورك في مناكحة قريش . وأمّا قولك أن ليسوا لك بأكفاء ، فقاتلك الله يا حجّاج : يكون العوّام كُفُؤًا لعبد المطّلب يزوّجه صفيّة ، ويتزوّج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ، ولا تراهم أكفاءً لآل أبي سفيان ؟ وأمّا قولك : قارعوا أباك على الخلافة ورموه بكلّ قبيح : فهي قريش . يقارع بعضُها بعضاً حتّى إذا أقرّ الله الحقّ مقرَّهُ عادت إلى أحلامها وفضلها .

فرجع إليه وأعلمه ذلك .

(1) في المخطوط : بِمَا جاء بينكم من حرام وحرام .

وكان خالد بن يزيد يتعصّب لأخوال أبيه من كلب ، ويعينهم على قيس في حرب كانت بين قيس عيلان وكلب ، فقال شاعر قيس [بسيط] :

يا خالدُ بنَ أبي سفيان قد قرحت   منّا القلوب وضاقَ السهلُ والجبلُ
أأنتَ تأمرُ كلباً أن تُقتّلَنا   جهلاً ، وتمنعهم منّا إذا قتلوا؟
ها إنّ ذا لا يُقِرُّ الطيرَ ساكنةً   ولا تُبَرَّك من نكرائه الإبل

وقال الحرمازي عن العتبيّ عن أبيه قال : وقَفَ عليّ بن عبد الله بن عبّاس وخالد بن يزيد بن معاوية على باب عبد الملك بن مروان فجرى بينهما قولٌ تغالظا فيه . فقال له عليّ : ما الظالم بسالم ، ولا السيف عنه بسائم.

وخرج آذنُ عبد الملك فدعا بخالد ، فقال له عبد الملك : ما لي أراك كالغضبان ؟

قال : لست بغضبان ، ولكنّي محجوج .

قال : ومن يحجّك وبيانك بيانُك ولسانك لسانك ؟

قال : ابن عبد الله : متّ بحرمة أعرفُها ، وذكر القرابة التي لا أدفعُها ، وأعلمَني أنّ عليه دَيناً وأنّ له عِيالاً . وما للصنيعة عند مثله مترك .

فأمر له عبد الملك بمائة ألف درهم . فخرج إليه خالد وهو يضحك ويقول : تخطّينا ما نكره إلى ما نحبّ : قد أمر لك أمير المؤمنين بمائة ألف درهم .

فقال له خيراً .

1383 ـ خالد بن يزيد الخولانيّ

خالد بن يزيد بن أبي الهذيل ، الخولانيّ ، أبو يزيد .

يروي عن عبد الملك بن أيّوب الصدفيّ . حدّث عنه يحيى بن عثمان بن صالح .

1384– خالد بن يزيد الجمحيّ [– 139][1]

خالد بن يزيد أبي الصّبيغ ، مولى عمير بن وهب الجمحيّ ، يكنّى أبا عبد الرحيم .

كان أبوه بربريًّا . وكان فقيهاً مفتياً . آخر مَن حدّث عنه بمصر المفضّل بن فضالة .

توفّي سنة تسع وثلاثين ومائة .

ومن كلامه : إنّ الله لا يعذّب قوماً بسببِ أعمالهم حتى يكون رأيهم على أنّه صواب .

1385 – خالد بن يزيد الفارسيّ الإفريقيّ [– 228]

أبو القاسم . توفّي سنة ثمان وعشرين ومائتين . حدّث .

1386 – خالد بن يزيد المهلّبي

أبو الهيثم . بصريّ قدم مصر وحدّث .

---

(1) الوافي 13 / 276 (336) – سير أعلام النبلاء 9 / 414 (142) – الجرح والتعديل 3 / 358 (1619) – تهذيب التهذيب 3 / 129 (235) .

1387 – خالد بن يزيد اللؤلؤيّ [– 228]

أبو الهيثم ، من أهل فارس . قدم مصر وكُتب عنه بها . وخرج إلى المغرب . توفّي بإفريقيّة سنة ثمان وعشرين ومائتين .

1388 – خالد بن يعفر السبائيّ

خالد بن يعفر بن اسميفع بن وعلة ، السبائيّ . كان شريفاً / بمصر . [437ب] حدّث عنه سعيد بن عفير .

1389 – ابن الزرّاد المقدّم [– 745] [1]

خالد بن الزرّاد المقدّم . كان رقّاصاً بدار الولاية ، ثمّ قدّمه الأمير علم الدين سنجر الخازن فصار مقدّم دارِ الوالي زماناً ، إلى أن نقله الأمير علاء الدين هلال الدولة من تقدمة الولاية إلى تقدمة الخاصّ .

ثمّ ولي تقدمة الدولة وخلاص المعاملات من الضمان ونحوهم . فكثرت أمواله ومتاجرُه ، وتزايد لهُوه وانهماكه في الترف والفساد ، إلى أن قُبض على ابن هلال الدولة فقُبِض عليه أيضاً وضُرب بالمقارع . فالتزم أن يحمل كلّ يوم عشرة آلاف درهم . فحمل في مدّة شهر ثلاثمائة ألف درهم ، وبعدها خمسة وثلاثين ألفاً ، سوى ما غرمه من برطيل وغيره .

وأفرج عنه وألزم أن يعود إلى تقدمة دار الوالي ، فباشرها أنحس مباشرة . فصودر وأُخذ منه نحو عشرين ألفَ درهم . وتعطّل حتّى قُبض على جمال

(1) السلوك ، 2/ 670 – 676 .

الكفاة ، فكتب قصّة والتزم أن يخلّص من حواشيه مالاً كثيراً[1]. فأعيد لتقدمة الدولة فاشتدّ ظلمه وعتوّه ، إلى أن سلّط الله عليه أغرلو شادّ الدواوين فعاقبه حتى هلك يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وأخرج على لوح .

1390 - أبو المجد خزعل الشنائيّ [- 623][2]

خزعل بن عسكر بن خليل ، الشيخ الفاضل ، أبو المجد ، الشنائيّ ، المقرىء ، النحويّ ، اللغويّ .

سمع من الحافظ السّلفي . ودخل بغداد ، وقرأ على الكمال أبي البركات عبد الرحمان بن محمد الأنباريّ[3] أكثر مصنّفاته. وعند عوده من بغداد قطع عليه الطريق ، وأخذ ما كان معه من الكتب . وأقرأ القرآن مدّةً ببيت المقدس . ثمّ تحوّل إلى دمشق ، فسكنها إلى أن مات في الثالث أو الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستّمائة .

1391 - خسروان الأستاذ [- بعد 541]

خسروان الأستاذ ، شقيق الملك ، صاحب بيت المال .

كان فيه كرم وسموّ همّة ، وعنده وقار . وكان لمساجد القرافة والجبل عنده روزنامج بأسماء أربابها ينفذ إليهم في أيّام العنب والتين ، لكلّ مسجد قفصَ تين وقفصَ عنب ، وأيّامَ الرطب رُطباً ، وفي ليالي الوقودات لكلّ مسجد خَروفَ

---

(1) السلوك ، 2/ 664 .
(2) التكملة 3/ 184 (2114) . الوافي 13/ 309 (379) - أعلام النبلاء ، 22/ 181 (121) .
(3) الكمال الأنباري (ت 577) له ترجمة في أعلام النبلاء ، 21/ 113 (56) .

شواء وسطلَ جوذاب[1] ، وجامَ حلواءَ ، لا سيّمَا إذا كان يعمل جفان القطائف المحشوّة باللوز والسكّر والكافور والمسك ، وفيها شيء بالفستق . ويستدعي من لا يقدر على ذلك من أهل الجبل والقرافة وذوي البيوتات والمنقطعين . ويأمر بسكب الخلّ والشيرج [2] عليها ويأمرهم بالقُعُود عليها والأكل والحمل منها . وكان يلتذّ بمَن يأكل طعامَه ويستدعي بِرَّه .

وأنشأ مسجداً[3] بالجبل الذي يقال له سطح الجرف حيث قلعة الجبل الآن . وحَلَفَ على الخليفة الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد فيه في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وعمل له فيه ضيافةً للعسكر وسماطاً للأمراء وكافّة الرؤساء ، وكان شيئاً عظيمًا أنفق فيه جملاً مستكثرة .

وتوفّي [...] .

1392 ـ الخضِر عليه السلام[4]

الخضر ، صاحب موسى عليه السلام .

آختلف في اسمه وفي اسم أبيه فقيل : خضر بن آدم عليه السلام لصلبه . وقيل : آسمُه مُعَمَّر بنُ مالك بن عبد الله بن نصر بن الأزد . وقيل : الخضر من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان صلوات الله عليه . وقيل : آسمه بليا[5] . وقيل : إيليا بن ملكان بن فالغ بن عابَر بن شالح بن أرفخشد بن سام آبن نوح . وقيل : اسمه إرميا بن طيغا . وقيل : بل هو من الفرس .

(1) في المخطوط : صطل بالصاد . والجوذاب : ضرب من الأطعمة بالأرز والحلوى (دوزي) .
(2) دهن الشيرج ، وهو حب الجلجلان ، من الأبْزار المفوّحة .
(3) مسجد شقيق الملك موصوف في الخطط ، 4/ 321 بنفس الكلام .
(4) دائرة المعارف الإسلاميّة 4 / 934 ـ مختصر ابن منظور 8 / 57 (23) ـ مروج الذهب 1 / 92 .
(5) في المختصر : إيليا .

وقيل : هو الخضِر بن ملكاني بن فالغ . وقيل : اسم الخضر بَلْيَا بن ملكان آبن فالغ . وقيل : هو خضرون بن عَمَائِيل بن الغزّ[1] بن العِيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال : الخضر ابن آدم لصلبه ، ونُسىء له في أجَله حتى يكذّبَ الدجّال .

وقيل : إنّما سُمّي الخضر لأنّه إذا صلّى في مكان آخضرّ ما حولَه .

وقيل : سمّي الخضِر خضِراً لحُسنه وإشراق وجهه . وقيل : آسمُه خضرون آبن قابيل بن آدم .

وذكر ابن إسحاق أنّ آدم عليه السلام لمّا حضره الموت جمع بنيهِ فقال : يا بنيّ ، إنّ الله منزل على أهل الأرض عذاباً ، فليكن جسَدي معكم في المغارة حتّى إذا هبطتم فآبعثوا بي وادفنوني بأرض الشام – فكان جسده معهم . فلمّا بعث الله نوحاً ضمّ ذلك الجسدَ . وأرسل الله الطوفان على أهل الأرض / [438 أ] فغرقت الأرض زماناً . فجاء نوح حتى نزل ببابل وأوصى بنيه الثلاثة – وهم سام وحام ويافث – أن يذهبوا بجسد آدم إلى الغار الذي أمرهم أن يدفنوه فيه . فقالوا : الأرض وحشة لا أنيس بها ولا نهتدي الطريق ، ولكن نكفّ حتى يأمن الناس ويكثروا وتأنس البلاد وتجفّ .

فقال لهم نوح : إنّ آدم قد دعا اللهَ أن يطيل عُمُرَ الذي يدفنُه إلى يوم القيامة .

فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي تولّى دفنَه . وأنجز الله ما وعده : فهو يحيى إلى ما شاء الله له أن يحيى .

وعن سعيد بن المسيّب أنّه قال : الخضِر أمّه روميّة وأبوه فارسيّ .

---

(1) في المختصر : ابن البقر . وفي هوامشه : ابن النون وابن النور .

وقال عبد الرزّاق بن همّام : ثنا معمّر عن همّام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لم يسمّ خضِراً إلّا لأنّه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتزّ خضراء – قال عبد الرزّاق : الفروة الحشيشُ الأبيضُ وما أشبهَه .

وقال عبد الرحمان السلميّ : سمعتُ محمّد بنَ عبد الله الرازيّ يقول : سمعت بلال الخوّاص يقول : كنتُ في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يمشي ، فتعجّبت . ثمّ أُلهمتُ أنّه الخضر عليه السلام فقلت له : بحقّ الحقّ ، مَن أنتَ ؟

فقال : أنا أخوك الخضر .

قلت : أريد أن أسألك .

قال : سل .

قلت : ما تقول في محمد بن إدريس الشافعيّ ؟

فقال لي : هو من الأوتاد .

قلت : فما تقول في أحمد بن حنبل ؟

قال : رجل صدّيق .

قلت : فما تقول في بشر بن الحارث ؟

فقال : رجل لم يخلُف بعدَه مثلُه .

فقلت له : بأيّ وسيلة رأيتُك ؟

قال : ببرك[ـة] أيّامك .

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال : سأل موسى عليه السلام ربَّه تعالى : أيّ عبادك أعلم ؟

قال : الذي يبتغي علمَ الناسِ إلى علمِه عسى أن يُصيبَ كلمةً تهديه إلى هُدًى ، أو تردُّه عن ردًى .

قال : ربّي ، فمَن هو ؟

قال : الخضر .

قال : وأين أطلبُه ؟

قال : على ساحل البحر ، عند الخضرة التي يتقلّب عندها الحوت .

فخرج موسى يطلبه حتّى كان ما ذكر الله ، وأنتهى موسى إليه عند الصخرة ، فسلّم كلّ واحدٍ منهما على صاحبه .

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال : ما رآني رجل من بني فزارة في الرحل [. . .][1] .

1393 – « شلّحوه » الحلبيّ [– 707][2]

خضر بن إبراهيم ، الأمير شمس الدين ، الحلبيّ ، المعروف بشلّحوه .

كان أبوه أمير جاندار الملك الناصر يوسف صاحب حلب . وقدم القاهرة وهو بعمامة مدوّرة بلا كلفتاه ، وهي هيئة الدولة الأيّوبيّة . فترقّى في الخدم وأستقرّ في ولاية القاهرة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الصوابيّ ، بعد عزله ، في أوّل شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وتسعين وستّمائة . فسمّاه عامّة مصر : عرُّوه شلّحوه ! – يعني : أنزعوا ثيابَه – فأشتهر بهٰذا وعُرف به . وباشر بأمانة وحرمة . وأضيفت له أيضاً ولاية مصر مع القاهرة ، يحكم في المدينتين ، إلى أن صرفه الملك المنصور لاجين أوّل ذي الحجّة بناصر الدين ذبيان الشيخيّ ، وولّاه شدّ الدواوين عوضاً عن الشيخي . وتسلّم حاشية الأمير قراسنقر نائب السلطنة ليستخرج منهم المال ، وذلك في وزارة فخر الدين عمر بن الخليلي .

وتوفّي [. . .] سنة سبع وسبعمائة .

(1) هنا تقف الترجمة فجأة . والجملة الأخيرة تبدو خارجة عن الترجمة .

(2) الدرر 2/ 172 (1643) .

1394 ـ أبو المعالي ابن الرفّاء [ـ 739][1]

خضر بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن يحيى ، أبو المعالي ، ابن الرفّاء ، الخفاجيّ ، الأديب .

توفّي في يوم [...] سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

1395 ـ كمال الدين الكرديّ ، قاضي المقس [. ـ 659][2]

خضر بن أبي بكر بن أحمد ، كمال الدين ، الكرديّ ، قاضي المقس .

شدا شيئاً من الفقه ، ودرّس بالمدرسة المسرو[ر]يّة[3] من القاهرة. وناب عن القضاة في المقس ظاهر القاهرة . واتّصل بالسلطان المعزّ عزّ الدين أيبك ، فقرّبه وأدناه ونوّه بذكره ولازم مجلسَه . فكان يحترمه إلى أن انقضت أيّامه ، وقام السلطان الملك المظفّر سيف الدين قطز ، واستقرّ في قضاء القضاة تاج الدين عبد الوهّاب ابن بنت الأعزّ . [فـ]ـصرفه عن الحكم بالمقس . فشقّ عليه العزلُ ، وقصد مكايدَة القاضي ، وكتب في ورق الطير : المُودَعُ عند فلان كذا ـ وسمّى عدّة أناس ، منهم ابن بنت الأعزّ . وجعل الورقةُ تحت فَصّ خاتَم وأوصلَه إلى السلطان ، وزعم أنّه وجد هٰذا الخاتَم عند بعض خدّام شجر الدرّ ، وأقام شخصاً يعرف / بابن الطرائقي في إيصال ذلك إلى السلطان . فلم تتمّ له [438ب] مكيدتُه ، وأخذ بعض أكابر الأمراء يتلطّف بابن الطرائقيّ ويخوّفه عاقبة ذلك ويمنّيه حتّى اعترف أنّ الكمال خضراً أمره بذلك ، وأنّه بعثه إلى صفيّ الدين

(1) الدرر 2/ 172 (1644) .

(2) الوافي 13/ 331 (411) ـ الدليل الشافي ، 287 (986) . المنهل الصافي ، 5/ 216 (989) وفيه أنّه شُنِقَ سنة 660 .

(3) المدرسة المسروريّة بناها مسرور أحد خدّام صلاح الدين (الخطط ، 4/ 216) .

إبراهيم بن مرزوق حتّى أخَذَ له ورقَ الطيرِ وأتاه به فكتب فيه ما كتب ، وأنّه مضى إلى فلان الصائغ فصاغ له هٰذا الخاتم ، وحَمَلَ إليه ورقة الطير المكتوبة حتّى عمِلها تحت فصّ الخاتَم .

فأوصل الأميرُ خبرَه إلى السلطان . فرسم بعقد مجلس بحضرة القضاة والمشايخ والفقهاء مع الوزير والأمراء عند نائب السلطان ، وأن يحكم في هٰذه الواقعة شيخ الإسلام[1] بقلعة الجبل . وأُحضرَ الصائغُ فذكر كما ذكر ابن الطوائفيّ . وأخذ الشيخ عزّ الدين في استيفاء الكشف عن هٰذه القضيّة ، حتّى ظهر له وللجميع مَن حضر افتراء الكمال خضِر . فطولع السلطان بذلك ، فرسَمَ أن يُعتَمَد في أمر الكمال ما يقتضيه رأي ابن عبد السلام : فأمر بتعزيره وعزله عن التدريس وصرفه عن القضاء وإسقاط عدالتِه . فأقيم من المجلس وعُزّر وصُفع وأُخرج عنه التدريس وأسقط وحبس فقال فيه [بعض شعراء عصره] [رجز] :

ما وُفِّق الكمال في أفعاله   كلّا ، ولا سُدِّد في أقواله
يقول من أبصرَهُ يُصَكّ تأْ   دِيباً على ما كان من مُحالِهِ
قد كان مكتوباً على جبينه   فقلت : لا بل كان في قذاله

فَلَم يَنْتَهِ . وقال – وقد قيل له : ما لك والتعرّض لهٰذا القاضي وقد جرى ما جرى ؟ فارجع عن التعرّض له – : والله لا تركتهُ حتى أموتَ وأشنقَ من هٰذه الرقبة – وأشار إلى عنقه . فما كان غير أيّام حتى عمل أَذِيّةً[2] أخرى : وهو أنّه كان في الحبس شخص يزعم أنّه من أولاد الخلفاء فمات وترك ولداً . فلمّا خرج الكمال من الحبس شرع في السعي لهٰذا الولد ، وتحدّث مع جماعة من الأعيان في إقامته خليفةً ، وأنّه ولدُ الخليفة الناصر العبّاسيّ ، وحلّف له كثيراً من الطائفة

(1) شيخ الإسلام : هذه أوّل مرّة نعثر فيها على هذه التسمية ، وكنّا نظنّها متأخرة إلى عهد العثمانيّين .
(2) في المخطوط : أيدة .

الشهرزوريّة ، وكتب مناشير وتواقيع بولاياتٍ وإقطاعات ، وعمل بنوداً وصناجقَ سوداً ، وواعدَ أصحابه على التوجّه إلى ناحية الواح بهٰذا الصبيّ وإظهار خلافته هناك . ودعا الناس لطاعته والقيام بنصرته . فعُثِرَ عليه ووُشيَ به إلى السلطان فقبض عليه . وشُنق في رقبته كما قال . وعُمِلت نسخ الأيمَان في عنقه والصناجق على رأسه ، وذلك في سنة تسع وخمسين وستّمائة .

1396 ـ خضر بن بدران الشاعر التركيّ [543 ـ 631] [1]

خضر بن بدران بن بغرا بن حِطّان بن كمشتكين بن عبد الله ، الأديب الأجلّ ، أبو العبّاس ، التركيّ .

مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وتوفّي في شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وثلاثين وستّمائة بمصر .

ومن شعره [رجز] :

عرّج بسكّان الغضا وقل لهم معرّضا :
متى ترقّوا في الهوى لعاشقٍ لن يغمضا
هجرانُكم ما ينقضِي ووصلُكم لا يُقتَضَى
يا قاتلي بهجره دون الورى ، متى الرّضا ؟
متى أرى لسوء حـ ـظّي الوصلَ منكم أبيضا ؟

1397 ـ الأشرف خليل بن قلاوون [670 ـ 693] [2]

خليل بن قلاوون ، السلطان الملك الأشرف ، صلاح الدين ، ابن الملك

(1) التكملة 3 / 364 (2523) .
(2) الوافي 13 / 399 (504) – تشريف الأيّام والعصور ، 272 – النجوم 8 / 3 – السلوك 1 / 756 .

المنصور سيف الدين الألفيّ الصالحيّ النجميّ .

ولد [. . .] سنة سبعين وستّمائة . وأحبّه[. . .] وفوّض إليه ولاية العهد وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل في يوم الجمعة حادي عشر شعبان سنة سبع وثمانين وستّمائة فسار إلى باب النصر من خارج السور ، وشقّ القاهرة وصعد القلعة من باب زويلة ، وسائر الأمراء في خدمته ، ودقّت البشائر وخلع على أهل الدولة ، وخُطب له بعد أبيه على منابر مصر والشام ، وكتب بتقليده فتوقّف السلطان عن الكتابة عليه وقال لدغديْ الدوادار لمّا قدم معه ليكتب عليه : طيّبه عندك حتّى أطلبه .

[439أ] فلمّا سافر السلطان في المحرّم سنة ثمان وثمانين وستّمائة لأخذ طرابلس / من الفرنج ، اَستخلفه على مصر وجعل معه الأمير الوزير بدر الدين بيدرا إلى أن عاد .

تولّيه السلطنة بعد قلاوون (سنة 689)

فلمّا مات أبوه الملك المنصور جلس بعده على تخت الملك بقلعة الجبل في يوم الأحد سابع شوّال سنة تسع وثمانين وستّمائة ، ولم يختلف أحدٌ عليه . وحلف له الأمراءُ وأهل الدولة في يوم الاثنين ثامنِه ، وخطب له على منابر مصر في يوم الجمعة ثاني عشرة . فطلب من القاضي فتح الدين اَبن عبد الظاهر كاتب السرّ تقليده بولاية العهد . فأحضره إليه مكتوباً وليسَتْ عليه علامة السلطان . وكان قد طلبه الأشرفُ في حياة أبيه مراراً ، وابن عبد الظاهر يقدّمه إليه ، ويأبى أن يكتب عليه علامته . فلمّا تكرّر تقديمُه للعلامة ردّه وقال : يا فتح الدين ، أنا [ما][1] أولّي خليلاً على المسلمين !

وبلغ ذلك الأشرف . فلمّا أحضر إليه ابن عبد الظاهر تقليد العهد ورآه بغير

(1) الزيادة من السلوك 1 / 756 .

علامة ، قال : يا فتح الدين ، إنّ السلطان ٱمتنع من أن يعطيني ، فقد أعطاني الله وألقى إليّ التقليد !

ثمّ خلع على سائر الأمراء وجميع أهل الدولة . وركب من قلعة الجبل بشعار السلطنة في يوم الجمعة المذكور ،وسيَّر بالميدان الأَسْوَدِ[1] تحت القلعة على العادة وعاد سريعاً : فقد بلغه أنّ طرنطاي[2] النائب يريد الفتك به . فعندما ٱستقرّ بالقلعة استدعى طرنطاي وقبض عليه . ثمّ قبض على سنقر الأشقر وجرمك الناصريّ ، وكانا أكبرَ أمراءِ دولةِ أبيه .

فتح عكّا (جمادى 690)

وتجرّد للغزو فندب العساكر من البلاد الشاميّة للجهاد وكتب إليهم بتجهيز الزردخاناه وأعواد المجانيق والحجّارين . وخرج الأمير أيبك الأفرم لذلك فجهّز أعواد المجانيق من دمشق حتى كمل في ثاني عشر ربيع الأوّل وسيّرها مع الأمير علم الدين سنجر الدواداريّ . وخرج الأمير لاجين نائب دمشق بعساكرها ، وقدم صاحب حماه ونوّاب الممالك . وبرز السلطان من قلعة الجبل في يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأوّل سنة تسعين وستّمائة ، وسار بعساكر مصر ، وقدَّم حريمَه إلى دمشق . فوصل إلى عكّا في يوم الخميس ثالث ربيع الآخر . وقدمت عليه المجانيق يوم الجمعة وعدّتها ٱثنان وتسعون منجنيقاً ، فتكامل نصبُها وأقيمت الستائر في أربعة أيّام .

وكان الفرنج قد ٱستنصروا بأهل الجزائر فقدمت إليهم جموع كثيرة ، وأغلقوا أبواب عكّا . فوقع الحصار وعُملت النقوب إلى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى . فركب السلطان ورتّب الكوسات على ثلاثمائة جمل وأمر أن تضرب جملة واحدة . وزحف بعساكر المسلمين عند طلوع الشمس ودقّت الكوسات

(1) قال في الخطط ، 4/ 348 : ما بين قلعة الجبل إلى قبّة النصر تحت الجبل الأحمر ، وقال 3/ 236 ، وكان يعرف بميدان القبق .

(2) تبسّط المقريزيّ في ترجمة طرنطاي في الخطط ، 4/ 228 .

فارتجّت الأرض وهال الفرنج ما سمعوه من ضرب الكوسات ومشاهدة الكماة . وأنزل الله نصره على المؤمنين ، فلم ترتفع الشمسُ حتى علت الصناجق السلطانيّة على أسوار عكّا ، وانهزم الفرنج إلى المراكب بالبحر ، فهلك منهم في الزحام خلق كثير ، والمسلمون تقتل وتأسر وتنهب وتسبي النساء والأولاد ، فقُتل وأسر وسُبي ما لا يُحصى كثرةً . وأمر السلطان بتخريب عكّا ، فابتدأ هدمها وإحراقها في يوم السبت ثامن عشره . فكانت مدّة حصارها أربعة وأربعين يوماً[1].

وأكرم الله بالشهادة من الأمراء كشْتغدي الشمسيّ ، وأيبك العزيّ نقيب الجيوش ، وأقوش الغتَميّ[2]، وبيليك المسعوديّ ، وقيران السكّريّ ، وأربعة من مقدّمي الحلقة ، وجماعة يسيرة من الأجناد .

وفتح الله تعالى أيضاً صور في تاسع عشره ، وصيدا في عشرينه ، وحيفا وعثليث[3]، كلّ ذلك بغير قتال . فأمر بهدم صور وحيفا وعثليث فهدمت كلّها .

وقبض على الأمير لاجين نائب دمشق وبعثه إلى قلعة الجبل . ثمّ رحل عن عكّا إلى دمشق فدخلها يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة وقد زُيّنت زينةً عظيمةً وكان يوماً مشهوداً . وفيه ولّى الأمير سنجر الشجاعيّ نيابة دمشق .

وخرج السلطان من دمشق في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب ، وسار إلى القاهرة ، فوصلها يوم الاثنين تاسع شعبان ودخل من باب النصر وخرج من باب زويلة / إلى القلعة ، وقد زيّنت القاهرة زينة عظيمة لم يُرَ قبلَها مثلُها ، [439ب]
وكان من الأيّام المذكورة .

تطهير الساحل من الصليبيّين (سنة 691)

وخرج الشجاعيّ من عكّا فأخذ بيروت من الفرنج في شعبان ، ولم يبقَ في

---

(1) انظر وصف الموقعة في الملحق رقم 10 بالسلوك 1 / 1002 ، وهو من زبدة الفكر لبيبرس المنصوريّ .

(2) آقوش الغتمي : مرّت ترجمته برقم 813 .

(3) عثليث أو الحصن الأحمر بسواحل الشام (ياقوت) .

جميع الساحل أحد من الفرنج .

وفي يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر سار السلطان من قلعة الجبل إلى الشام بعساكر مصر ، ومعه الأمير لاجين بعدما أفرج عنه وأعاد إليه الأمر بمصر . فدخل دمشق يوم السبت سادس جمادى الأولى ، وأنفق في العساكر يوم الاثنين ثامنه . وخرج في سادس عشره إلى حلب فدخلها في ثامن عشرينه . وسار منها يريد أخذ قلعة الروم في يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة . فنزل عليها يوم الثلاثاء ثامنه وحاصرها ونصب عليها عشرين منجنيقاً ، وعملت النقوب وتَحَيَّلَ الأمير سنجر الشجاعيّ نائب دمشق في عمل سلسلةٍ شَبَكَ طرَفها بالغرب من شراريف القلعة وطرفها الآخر بالأرض ، وطلع فيها المقاتلة وقاتلوا أهل القلعة قتالاً شديداً . ففتحها الله في يوم السبت حادي عشر رجب عنوة ، فقُتلت المقاتلة وسُبيت النساء والذراريّ ، وأسر بطرك الأرمن . فكانت مدّة الحصار ثلاثاً وثلاثين يوماً . وسمّى السّلطان هٰذه القلعة قلعة المسلمين فعرفت بذلك إلى اليوم . وكثرت الأسرى في أيدي العسكر ، فكانت حصّة الزردخاناه السلطانيّة من الأسرى ألفاً ومائتي أسير . وآستشهد من الأمراء شرف الدين الخطير وآبن أميرجاندار . وكتب بالفتح إلى البلاد ، فزيّنت دمشق ودقّت البشائر .

ورحل السلطان عنها يوم السبت ثامن عشره ، وأقام نائب دمشق لعمارة ما تهدّم منها بالمجانيق والنقوب ، وتخريب ربضها وإعادته قريباً منها . فأقام بحلب إلى نصف شعبان وعزل قراسنقر نائبها وولّى عِوضه بلبان الطباخي .

وخرج من حلب إلى دمشق فقدمها في العشرين منه ، وبين يديه البطرك والأسارى ، فكان يوماً عظيمًا . ونزل القلعة ، وجرّد الأمير بيدرا النائب بديار مصر على عسكر كبير إلى جبال كسروان فرجع بغير طائل . ووقع في جمال العسكر وباء كثير فسار أكثر العسكر من دمشق إلى القاهرة في العشرين من رمضان .

فلمّا كانت ليلة عيد الفطر هرب الأمير لاجين الصغير [من داره بدمشق] خوفاً من القبض عليه . فنودي بدمشق : من أحضر لاجين فله ألف دينار ،

ومَن أخفاه شُنق – وركب السلطان في خاصّكيّته وجماعة من الأمراء ، وترك سماط العيد وساق في طلبه وبعث الأمراء يميناً وشمالاً فلم يظفر به ، وعاد آخر النهار وقد بلغ من التعب مبلغاً مشقًّا ، فزاد قلقُه . وأتّفق أنّ لاجين نزل عند العرب فأخذوه برمّته وحملوه إلى دمشق . فقبض السلطان على الأمير بيبرس طقصو حمي لاجين ، وبعثهما إلى قلعة الجبل . وعزل سنجر الشجاعيّ عن نيابة دمشق وولّى أيبك الحموي .

[وفي الثلث الآخر من ليلة الثلاثاء تاسعه] خرج من دمشق [عائداً إلى مصر ، بعدما رسم لجميع أهل الأسواق][1] أن يقفوا من باب النصر إلى جامع القدم[2] وبيد كلّ منهم شمعة . فلمّا ركب أشعلوا الشموع كلّها وسار السلطان بين صَفّين من شموع مشعلة من باب النصر إلى مسجد القدم ، ونزل مخيّمَه . ثمّ سار فدخل القاهرة من باب النصر ، وخرج من باب زويلة وصعد قلعة الجبل في يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة ، وقد عمل من الزينة والقلاع والتهاني ، وأوقد من الشموع ما يجلّ وصفه .

ثمّ خرج إلى بلاد الصعيد في المحرّم سنة اثنتين وتسعين فأنتهى إلى مدينة قوص ونادى بها في العسكر أن يتجهّزوا لغزو اليمن ، وعاد إلى قلعة الجبل .

أخذه لقلاع الأرمن (جمادى 692)

ثمّ خرج إلى بلاد الشام مُخفًّا على الهُجن في خواصّه ، وسيّر العساكر والخزائن صحبة الأمير بيدرا نائب السلطنة والوزير شمس الدين محمد بن السلعوس ، فدخل السلطان إلى مدينة الكرَك وسلك البرّيّة إليها ، فأقام بها حتى رتّب أحوالها . وخرج إلى دمشق فقدمها في تاسع جمادى الآخرة ، وقد وصل النائب والوزير قبله بثلاثة أيّام . وأمر بالتجهيز لأخذ بهَسْنا[3] ومرعش وتلّ حمدون

(1) زيادات من السلوك 1 / 780 .

(2) جامع القدم لم يذكره المقريزيّ في الخطط ، وذكر جامع قِرِم دون تعريف في السلوك 1/ 780 .

(3) بَهَسْنا : من أعمال حلب وهي قلعة حصينة بقرب سميساط ومرعش (ياقوت) .

من الأرمن / . فقدم عليه رسل سيس فسألوا العفوَ عنهم و[أتّفق الحال معهم] [440 أ] أن يسلّموا البلاد المذكورة ، فأجيبُوا إلى سؤالهم وسافروا ومعهم الأمير طوغان والي برّ دمشق ليتسلّم ذلك . فقدم البريد بأنّه تسلّمها في أوائل رجب ، ودقّت البشائر بقلعة دمشق . وبعث إليها[1] النوّاب والقضاة والرجال ، ثمّ قدم طوغان بالرسل ومعهم تقادم سيس والحمل في ثامن عشرينه بعدما توجّه السلطان من دمشق في ثاني رجب إلى حمص فأدركوه . وسار من حمص إلى سلميّة مخفًّا ونزل بغتة على الأمير مهنّا بن عيسى وقبض عليه وعلى إخوته وبعث بهم إلى دمشق في سابعه . وبعث الأمير أيبك الأفرم فهدم قلعة الشوبك . وخرج الأمير بيدرا والوزير ابن السلعوس من دمشق بالعسكر والخزانة في حادي عشره . وخرج السلطان يومَ السبت ثالث عشره في عدّة من خواصّه فدخل غزّة في سابع عشره ، وقدم إلى القاهرة في ثامن عشرينه .

تدبير بيدرا لقتله

ثمّ خرج من قلعة الجبل في ثالث المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستّمائة وعدّى النيل إلى برّ الجيزة وصحبته الأمير بيدرا النائب وغيره من الأمراء . وسار إلى الطرّانة . فقَدَّمَ منها الوزيرَ شمسَ الدين محمد بن السلعوس إلى الإسكندريّة لتحصيل الأموال وتجهيز تعابي الثياب ، فوجد نوّابَ بيدرا قد أستولَوا على المتاجر والاستعمالات وغيرها ، فكتب يعرّف السلطان أنّه لم يجد بالثغر ما يكفي الإطلاقات الجاري بها العادة ، وأنّ الصنف كلّه قد أستولى عليه نوّاب الأمير بيدرا نائب السلطنة . فأشتدّ غضَبُ [السلطان] وطلب بيدرا وشتمه وأخرق به بحضور الأمراء . فدارى أمره حتّى خرج من بين يديه ، وجمع الأمراءَ أَصحابه وشاورهم ، فأشاروا عليه بقتل السلطان .

وكان السلطان قد نزل بأرض الحمّامات للصيد ، وأقام إلى يوم السبت ثاني

---

(1) أي : إلى بهسنا .

عشر المحرّم . واتّفق أنّ السلطان كان قد أذن لأمرائه الخاصّكيّة أن يتوجّهوا إلى إقطاعاتهم ، وانفرد بمماليكه . وركب من تروجة ليتصيَّدَ . وبعث إلى بيدرا أن يسير تحت الصناجق بالأمراء الذين تأخّرُوا وبقيّة العسكر . وحملت الزردخاناه وسار بها أمير جاندار .

وسار السلطان في وقت العصر وليس معه غير الأمير شهاب الدين أحمد بن الأشل أمير شكار فقط ، يريد طيراً سمع به في ناحية تروجة . وساق ليسبقَ خاصّكيّته إلى أن رأى طيراً كثيراً فصرع منه بالبندق ما شاء الله ، والتفت إلى أمير شكار وقال : أنا جيعان ، فهل معك ما آكل ؟

فقال : والله ما معي سوى رغيف واحدٍ وفرّوج في صولقي[1] ادّخرتُه لنفسي .

فقال : ناولنيه !

فتناوله وأكله جميعَه . ثمّ قال لأمير شكار : امسك فرَسي حتى أنزل أبول – وكان أمير شكار كثيرَ التبسّط مع السلطان ، فقال : ما فيها حيلة : السلطان على حصان ، وأنا على حجرة وما يتّفقان !

فقال السلطان : انزل أنت واركب خلفي حتّى أنزل أنا .

فنزل أمير شكار وناول السلطان عنان فرسه وأمسكه ، ثمّ ركب خلف السلطان ونزل [السلطان] فقضى حاجتَه . ثمّ قام وركب حصانه ومسك فرس أمير شكار حتّى ركب ، وإذا بغبار عظيم قد ثار إلى جهته فقال لأمير شكار : امضِ اكشف الخبر !

قتله بيد بيدرا (محرّم 693)

فساق يريده وإذا هو بالأمير بيدرا في طائفة من الأمراء . فسألهم عن سبب

(1) الصولق : الكيس أو الجراب يعلّق على الحزام من الجانب الأيمن (دوزي) .

مجيئهم فلم يجيبوه ، ومرّوا كما هم إلى السلطان ، وبدره بيدرا بالسّيف فقطع يده وثنّى في ضربه فألقى كتفه . فتقدّم الأمير حسام الدين لاجين وقال : يا بيدرا ، من يريد ملك مصر والشام تكون هٰذه ضربته ! - وضرب السلطان على كتفه فحلّه ، فسقط إلى الأرض . وجاء بهادر رأس نوبة فوضع السيف في دبره وأخرجه من حلقهِ . وتناوبه قراسنقر ، وأقسنقر الحساميّ ، ونوغاي ، ومحمد خواجا ، وطرنطاي الساقي ، وألطنبغا رأس نوبة حتّى شفَوا أنفسَهم ، وذلك يوم السبت المذكور ، وتركوه وانصرفوا[1]. فبقي مطروحاً في موضعه يومين حتى جاء الأمير أيدمر العجميّ متولّي تروجة وحمله في تابوت إلى تروجة وغسّله في الحمّام وكفّنه وخلّاه في بيت المال بدار الولاية / إلى أن حضر الأمير سعد الدين كوجبا [440ب] الناصريّ وحمله في تابوته إلى المدرسة الأشرفيّة بجوار المشهد النفيسيّ خارج مدينة مصر ، ودفنه بها سحر يوم الجمعة ثاني عشرين صفر سنة ثلاث وتسعين وستّمائة ، وكانت مدّة سلطنته ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيّام . ومات عن ابنتين من زوجته خاتون أردكين فورثه معهنّ أخُوهُ الملك الناصر محمد بن قلاوون .

بعض صفاته

وكان كريمًا شجاعاً مقداماً خفيف الركاب مظفّراً في حروبه . نظّف الساحل الشاميّ من الفرنج ، وفتح عكّا وصور وبيروت وصيدا وبهسنا وقلعة الروم وجميع الساحل في أقرب مدّة . وكان حسن النادرة يطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط . واتّفق له أنّه جلس في أيّام أبيه بالميدان والقرّاء يقرؤون القرآن ، وكان أبوه يحاصر طرابلس ، فقال الأشرف : في هٰذه الساعة أخذت طرابلس ! - فضبط ذلك فكان كما قال .

وقال محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر : ما رأيت وما سمعت أسبق من ذهن الملك الأشرف إلى فهم ، ولا أدرك منه إلى ما يريد الوهم . لقد كتبت عنه واستكتبت فما علّم على مكتوب قطّ إلّا وقرأه جميعه ، وفهم أصول المكتوب

(1) بعض هؤلاء القتلة لهم ترجمة في المقفّى : ألطنبغا 835 وبهادر 976 وبيدرا 1009 .

وفروعه ، لا بل آستدرك عليّ وعلى الكتّاب ، وخرّج أشياء كثيرة معه فيها الصواب ، وذلك بحسن تعطّف وكثير تلطّف .

وعظم الأشرف في نفسه حتّى صار في آخر أيّامه يكتب موضعَ العلامة « خ » ، إشارة إلى الحرف الأوّل من حروف آسمه . ومَنَعَ كُتّاب الإنشاء أن يكتبوا لأحدٍ من الأمراء والنوّاب « الزعيميّ » وقال : من زعيمُ الجيوش غيري ؟

وكان يؤخذ في باب الجابية أحد أبواب مدينة دمشقٍ على كلّ حمل من القمح خمسة دراهم ، فأمر بإبطال ذلك ، وكتب مرسوم المسامحة بهٰذا المكس ، فكتب بخطّه بين الأسطر بقَلَم العلامة : ولنكشف عن رعايانا هٰذه الظلامة ، ونستجلب لنا الدعاء من الخاصّة والعامّة ! [بسيط] :

وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه وأوّلُ الغيثِ قطرٌ ثمّ ينسكِب

إلّا أنّه رُمي بأنّه يشرب الخمرَ في رمضان ، وأنّه يفسق بالمردان ، ولا يصلّي . فآستفتى بيدرا الفقهاء في قتله فأفتَوا بإراقة دمه . وذكر أنّ بيدرا جلس معه على الأكل . فلمّا فرغ من أكله لعق أصابعه فأنكر عليه الأشرف ذلك ، فقال : يا خوند ، السنّة لعق الأصابع بعد الأكل – وذكر له قول رسول الله ﷺ : إذا أكل أحدكم فلا يغسل يده – أو قال : أصابعه – حتى يَلعقَها !

فلمّا قال بيدرا الحديث قال الأشرف بالتركيّة : هَيْ طاط – فسأل بيدرا الفقهاء ممّن ذكر له حديث رسول الله ﷺ فقال : كذا ، وهٰذا معناه بالعربيّة : فلّاح – يعني أنّ قائل هٰذا فلّاح – فقالوا : هٰذا تنقيص ، ويُقتل قائله لفساد طويّته وخبث نيّته .

فراسته

ومن غريب ما وقع له أنّه كان مرّة راكباً للصيد ، ولاجين يومئذ من جملة السلاح داريّة ، وهو نوبتُه في حمل السلاح . فلمّا أقام السلطان الحلقة دفع

لاجين السلاح السلطانيّ إلى بدر الدين بكتوت أحد السلاح داريّة ومضى في شُغل ندب إليه . فوقف بكتوت بالسلاح على العادة ، وأطرق السلطان ساعةً كالمفكّر ثمّ قال لبكتوت : يا بكتوت ، والله لقد ٱلتفتّ ورائي فرأيت لاجين خلفي وهو حامل سلاحي والسيفُ في يده ، فخُيّل لي أنّه يريد أن يضربني به . فنظرت إليه وقلت له : يا شقير أعطِ السلاح لبكتوت يحمله ، وتوجَّه أنت مكانه !

قال بكتوت : فقلت للسلطان : أعيذ مولانا بالله أن يخطر هٰذا بباله ! ولاجين أقلّ من هٰذا وأضعف نفساً أن يخطر هٰذا بباله ، فضلاً أن يقدم عليه ، وهو مملوك مولانا السلطان ومملوك الشهيد وتربية بيته الشريف .

فقال : ما عرّفتك إلّا ما خطر لي .

ثمّ إنّي ٱجتمعت بلاجين في خلوة وقلت له : بالله ، تجنّب السلطان ولا تكثر من حمل السلاح ! – وأخبرته بمَا قال . فضحك وقال : والله لمّا نظر إليّ وقال لي : «يا شقير» ، كنت قد عزمت على تجريد سيفه وقتله به .

فعدّ هٰذا من أعجب العجب / ، وصدق حدس السلطان وتولّى لاجين قتلَه . [441 أ]

تحدّيه لأبن هولاكو

ومن شجاعته أنّ كيختوا بن هولاكو ملك التتار بعث في سنة ٱثنتين وتسعين وستّمائة رسله بكتابه وقالوا له مشافهة : القان يقصد دخول حلب والإقامة بها ، فإنّها ممّا فتحه أبوه هولاكو بسيفه ، وهي في ملكه . وإن لم يسمح بها ، عبر إلى الشام .

فأجابهم في الحال من غير توقّف ، وهو يبتسم وقال : الحمد لله قد وافق أخي القان ما كان في نفسي وتحدّثتُ به مع ُأمراء دولتي : أنّي أسير أطلب من أخي بغداد . فإن لم يسمح بها ركبت وأخذتها بعسكري وخربت بلاده وقتلت

رجاله وفتحتُها قهراً وأقمتُ بها نائباً عنّي . فإنّ بغداد هي دار الإسلام ، وأرجو أن أعيدها للإسلام كما كانت . ولكن عرفوه : سننظر من يسبق إلى بلاد صاحبه ويدخل إليها !

وأخرجهم إلى حيث أنزلهم ، وكتب في الحال إلى نوّاب الشام بتجهيز الإقامات وأخذ العساكر الأهبةَ لعبور الفرات وغزو بغداد . وتقدّم إلى أمراء مصر وعساكرها بلبس آلة الحرب والحضور إلى الميدان . وأنزل بالرسل لمشاهدة العسكر . فخرج معظم أهل القاهرة ومصر ليروا عرض العساكر وكان يوماً مشهوداً ، ركب فيه السلطان بعد أذانِ الظهر وعليه قرقل[1] وفوق رأسه كوفيّة وبيده شطفة . ودخل الميدان ، وبعده الأمراء واحداً بعد واحدٍ وعليهم أفخر آلات الحرب ، وكلّ منهم يحمل شطفة فيها رُنكه . فكرّوا وفرّوا وأظهروا أعمالهم الحربيّة ، إلى أن أذّن العصر . فدهش الرسل لما رأوا .

وكان هٰذا ثالث عرض عرضه في مدّة سلطنته . فلمّا انقضى أمرهم نزل وخلع وأنعم ، وٱستدعى الرسل وقال لهم : أَعلموا أخي كيختوا أنّ مَن يكون معه مثل هٰذا العسكر [لا] يتوقّف في دخول بلادك أو بلاد غيرك . والله ، وتربة أبي ، لأدخلنّ إليه وأخرّب بيوت جميع المغل وأجعلها بلاد إسلام إلى يوم القيامة ، إلّا أن يدركني أجلي !

ثمّ خلع عليهم وردّهم ، وكتب يستحثّ النوّاب فعاجلته منيّته قبل بلوغ أمله عقيب ذلك .

تأهّب مماليكه للثأر من قاتليه

وكان عزاؤه من الأمور المذكورة : فإنّ زوجته الخاتون أردكين بنت نوكاي استأذنت في عمل العزاء ، فمرّت في القاهرة ومعها مائة جارية وثلاثون خادماً

(1) القرقل : صفيحة الحديد المغشّاة بالديباج .

وعدّة بابيّة[1] ومماليك صغار ، وقد حسر الجواري عن وجوههنّ وأرسلن شعورهنّ من ورائهنّ محلولة وعليهنّ جلال سود وعُنّى مخرّقة في أعناقهنّ ، ومعهنّ عدّة جوق من النوائح المحزنة أصواتهنّ وقد أشعلت معهنّ ستّين شمعة ، وعدّة كبيرةٌ من الفوانيس يحملها الخدم والبابيّة[1] والنوائح يندبن ، والجواري يصحن ، وكان من قول النوائح بالأصوات الشجيّة :

جـدّدوا همّي وأحزاني … وافرحة الأعدا بسلطاني !
يا ضاربه بالسيف شلّت يداك … قد بلغت يمناك منه مناك
لا ماتني ربّي حتى أراك … قد سمّروا عينيك وهٰذا جزاك

إلى غير هٰذا . فأقمن على هٰذا ستّ ليال ، كلّ ليلة من العشاء إلى السحر حتى قلق الناس وكثر توجّعهم وبكاؤهم . فهاجت حفائظ المماليك الأشرفيّة وٱجتمعوا إلى الأمير سنجر الشجاعيّ وبكوا عنده فهيّجه بكاؤهم ، وٱجتمع بكتبغا النائب وغيره من الأمراء حتى كان من قتل الأمراء ما ذكر في موضعه .

صفاته الجسميّة

وكان بطلاً شجاعاً مهاباً عاليَ الهمّة ، يملأ العين ويرجف القلب . وكان ضخماً سميناً كبير الوجه بديع الجمال مستدير اللحية على وجهه رونق الحسن وهيبة السلطنة .

وكان إلى جوده وبذله الأموال في أغراضه المنتهى ، تخافه الملوك في أقطارها ، [و]أباد جماعة من كبار الدولة .

وكان منهمكاً على اللذّات لا يعبأ بالتحرّز على نفسه لفرط شجاعته . وكان كرمه زائداً وإطلاقاته عظيمة .

---

(1) قراءة ظنّيّة ، والبابا والبابي هو الخادم (دوزي) .

[441ب] وكانت واقعتُه تُسمَّى وقعة الأيدي والأكتاف لأنّ جميع من وافق على / قتله قطعت أيديهم أوّلاً ، وفيهم من سمّر ، وفيهم من أحرق ، وفيهم من قتل .

نماذج من توقيعاته

ولم يجدّد في زمانه مظلمة ولا آستجدّ ضمانَ مكس . وكان يحبّ الشام وأهله . وكان عندما أقيم سلطاناً ، منع أن يكتب إلى أحدٍ بدعاء في أوّل المكاتبة مثل : حرس الله نعمة المجلس ، وما أشبه ذلك ، وقال : من هو الذي آفتتح خطابه بالدعاء له ؟

ولمّا توفّي فتح الدين ابن عبد الظاهر[1] ، وأقام بعدَه عمادَ الدين ابنَ الأثير في كتابة السرّ بعث إليه ورقة بخطّه فيها : يا عماد ، آكتب كيت وكيت ! – ثمّ بعد مدّة جاءت إليه منه ورقة فيها بخطّه : يا عماد الدين ، آكتب بكذا وكذا ! – ثمّ بعد مدّة جاءته ورقة فيها : يا عماد الدين كاتب سرّنا ، آكتب بكذا وكذا !

وكان الموقّعون يكتبون في الطرّة إشارة إلى ما يعلّمه السلطان ، على قدر المكاتبة ، إمّا أن يكتب : « آمره » ، أو يقولون « بيبرس » أو « قلاوون » أو « خليل » بحسب آسم السلطان . فأبطل ذلك ابن عبد الظاهر في أيّام الأشرف – أعني كتابة « خليل » – وكتب : « الاسم الشريف » . فأعجب السلطانَ ذلك وأمر له لكلّ حرف بألف درهم . ووجدت أوراق كثيرة عند شرف الدين فضل الله كاتب السرّ بخطّ الأشرف إليه فيها مقاصد ما يكتبه عنه بعبارة مسدّدة ، ومقاصد مستوفاة للغرض المقصود ، وفي بعضها بخطّ يده : عجباً عجباً لذهنك الوقّاد وفكرك النقّاد ، كيف فاتك هذا ؟ – وكان فيها ما يكتب إلى أبي نميّ ، ومن جملته : فرَكَنتَ إلى الظاهر وهو أخبث الطير ، وأنت أحذر الوحش .

---

(1) عبدالله ابن عبد الظاهر (ت 692) رئيس ديوان الإنشاء ، وهو صاحب كتاب « تشريف الأيّام والعصور في سيرة الملك المنصور » وكتاب « الألطاف الخفيّة من السيرة الأشرفيّة » .

ماقيل فيه من شعر :

وفيه يقول شمس الدين محمد بن سليمان بن غانم [متقارب] :

مَليكانِ قد لُقِّبا بالصَّلاحِ   فهٰذا خليلٌ وذا يوسُفُ
فيوسفُ لا شَكَّ في فضلِهِ   ولكنْ خَليلٌ هوَ الأشرفُ

وذكر ابن عبد الظاهر أنّ شرف الدين البوصيريّ رأى في منامه قبل الحركة إلى عكّا في شوّال سنة تسعٍ وثمانين وستّمائة – وقال ذلك لجماعة شهدوا بصحّة ذلك – وكأنّ قائلاً ينشد : [من مخلّع البسيط]

قد أخذَ المسلمونَ عَكّا   وأشبَعوا الكافرينَ صَكّا
وساقَ سُلطانُنا إليهم   خَيلاً تَدُكُّ الجبالَ دَكّا
وأقسمَ التُّركُ منذُ سارت   لا تَركوا للفرَنج مُلكا

وقال فيه ابن دانيال لمّا فتح عكّا : [من الخفيف]

ما رأى الناسُ مثلَ مُلكِكَ مُلكاً   ملأ الخافقَينِ للحربِ تُرْكا
وجُيوشاً لو صادمَت جبلَ الشِّرْ   كِ لدَكَّتهُ بالسَّنابكِ دَكّا

منها :

قد رأينا وأنت صَلاحُ الـ   ـدينِ ما كان عن سَميِّك يُحكَى
صِدت صيدا قنصاً وصورَ وعَثْليـ   ـثَ وبيروتَ بعد فتحِ[ك] عَكّا

وله فيه أمداح كثيرة ، من ذلك من قصيدةٍ مدحه بها لمّا عمّر الإيوان الذي بالقلعة وقد زخرفه وعلّى قُبّته : [من البسيط]

وقُبّة هي للأفلاكِ عاشِرةٌ   ودُونَها في علوِّ الشأنِ كِيوانُ
كأنّها العالمُ العُلْويُّ تحرسُها   الأملاكُ لم يدنُ منها ثَمَّ شيطانُ

عَلَتْ فأفلاكُها الأفلاكُ في شَرَفٍ … وتبرُها الشُّهْبُ والأركان أركانُ
وأنتَ يا أشرفَ الأملاكِ شمسُ عُلاً … سمائها وعلى ظنّي سُليمَانُ
وتحت دِهليزِك الزاهي بزركشِهِ … مِن كُلِّ ما تتمنَّى النفسُ أَلوانُ
والجيشُ بالقَبَقِ المنصور قد ولِعُوا … بكلِّ طائشةٍ والقوسُ مِرنانُ / [442أ]
كأنّما العرضُ يومَ العرضِ إذ عُرِضوا … عليه صَفًّا وللإعطاءِ ميزانُ

وكان مُغرًى بالهدم ، لأنّه هدم أماكن ، وفيه يقول علاء الدين الوَداعيّ لمّا أمر بهدم الأماكن التي تجاور الميدان بدمشق ، ووزّع عمارته على الأمراء . ومن خطّه نقلت [من السريع]:

إنْ أمَرَ السلطانُ في جِلَّقٍ … بهدمِ ما ضايقَ ميدانَه
فإنّه قد غارَ لمّا رأى … غيرَ بيوتِ اللهِ جيرانَهُ

وقال أيضاً [من الوافر]:

جُزِيتُم أيّها الأمراءُ خيراً … على إتقانكم هٰذي البنيّهْ
فلا تخشَوا على الميدانِ شيئاً … سوى سَيلِ العطايا الأشرفيّهْ

فاتّفق أنّ السلطان حضر بعد ذلك ، وأنفق في العساكر .

وقال الشهاب محمود ، لمّا فتح السلطان عكّا ، قصيدته البائيّة المشهورة ، يمدحـ[ـه] بها وهي [بسيط] :

الحمدُ للّهِ زالت دولةُ الصُّلُبِ … وعزَّ بالتُّرْكِ دينُ المصطفَى العَربي
هٰذا الذي كانت الآمالُ لو طَلَبَت … رؤياهُ في النومِ لاستحيَت من الطلبِ
ما بعدَ عكّا وقد هُدَّتْ قواعدُها … في البحرِ للشِّركِ عندَ البرِّ من أرَبِ
عَقيلةٌ ذهَبَت أيدي الخُطوبِ بها … دهراً وشَدَّتْ عليها كَفُّ مُغتصِبِ
لم يبقَ من بعدها للكُفرِ مُذْ خَرِبت … في البرِّ والبحرِ ما يُنجي سوَى الهَربِ
كانت تُخيِّلُنا آمالُنا فنرَى … أنّ التفكُّرَ فيها غايةُ العَجبِ

أُمُّ الحُروبِ فكم قد أنشأت فِتَناً   شابَ الوليدُ بها هَوْلاً ولم تَشِبِ
سُورانِ ، بَرًّا وبحراً حولَ ساحتِها   دارا وأدناهُما أنأى من القُطُبِ
خَرْقاءُ أمنعَ سُورَيها وأحصنَها   غُلْبُ الرجالِ وأقواها على النُّوَبِ
مُصفَّحٌ بصِفاحٍ حولَها أكَمٌ   من الرِّماحِ وأبرَاجٌ من اليَلَبِ
مِثلُ الغمائمِ تهدي من صَواعِقِها   بالنَّبْلِ أضعافَ ما تهدي من السُّحُبِ
كأنّما كلُّ بُرْجٍ حولَه فَلَكٌ   من المجانيقِ يَرمي الأرضَ بالشُّهُبِ
فَفاجأتْها جُنودُ اللّهِ يقدُمُها   غَضبانُ لِلّهِ لا للمُلكِ والنَّشَبِ
لَيثٌ أبَى أن يردَّ الوجهَ عن أُمَمٍ   يدعونَ رَبَّ العُلَى سُبحانه بأبِ
كم رامَها ورماها قبله مَلِكٌ   جَمُّ الجيوشِ فَلَم يظفرْ ولم يُجبِ
لم يُلهِهِ مُلكُه بل في أوائلِه   نالَ الذي لم ينلْهُ الناسُ في الحِقَبِ
لم تَرضَ هِمَّتُه إلّا الذي قَعَدت   للعجز عنه مُلوكُ العُجْمِ والعَربِ
فأصبحَت وهي في بَحرَيْنِ ماثلةٌ   ما بينَ مُضطَرِمٍ ناراً ومضْطَرِبِ
جيشٌ من التُّركِ تَرْكُ الحربِ عندهُمُ   عارٌ وراحتُهم ضَربٌ من الضَّرَبِ
خاضُوا إليها الرَّدى والبحرَ فاشتَبَهَ الـ   أمرانِ واختلفا في الحالِ والسَّبَبِ
تَسنَّموها فلم يترُكْ تسنُّمهم   في ذلك الأُفْقِ بُرجاً غيرَ مُنقلِبِ
تسلَّموها فلم تَخلُ الرقابُ بها   من فتكِ منتقمٍ أو كفِّ منتَهِبِ
/ أتوا حِماها فلم يمنعْ وقد وثَبوا   عنها مجانيقَهم شيئاً ولم تَثِبِ [442ب]
يا يومَ عكّا لقد أنسَيتَ ما سَبقت   به الفتوحُ وما قد خُطَّ في الكُتُبِ
لم يَبلُغ النُّطْقُ حدَّ الشكرِ منك فما   عسَى يقومُ به ذو الشعر والخُطَبِ
كانت تُمنِّي بكَ الأيّامُ مبعِدةً   فالحمدُ لله نِلنا ذاك عن كثَبِ
أغضَبْتَ عُبّادَ عيسَى إذْ أبَدتَهُمُ   لِلّهِ أيُّ رضًى في ذلك الغضَبِ
وأطلعَ اللهُ جيشَ النصر فابتدرت   طلائعُ الفتح بين السُّمْرِ والقُضُبِ
وأشرفَ المصطفَى الهادي البشيرُ على   ما أسلفَ الأشرفُ السلطانُ من قُرَبِ
فقَرَّ عيناً بهٰذا الفتح وابتهجَت   بفتحه الكعبةُ الغَرّاءُ في الحجُبِ

وسارَ في الأرض سيرَ الريح سُمعتهُ … فالبرُّ في طَربٍ والبحرُ في حَرَبِ
وخاضَت البيضُ في بحر الدماءِ وما … أبدَتْ من البيض إلّا ساقَ مُختضبِ
وغاصَ زُرقُ القَنا في زُرق أعينِهم … كأنّها شَطَنٌ تهوي إلى قُلُبِ
تَوقَّدت وهي غرقَى في دمائهمُ … فزادَها الطَّفحُ منها شِدَّةَ اللهبِ
أجرتْ إلى البحرِ بحراً من دمائهمُ … فراحَ كالراحِ إذ غرقاه كالحَبَبِ
وذابَ من حرِّها عنهم حديدُهمُ … فقيَّدتهم به ذُعراً يد الرَّهَبِ
تحكَّمت وسَطَت فيهم قَواضبُها … قتلاً وعفَّت لحاويها عن السَّلَبِ
كم أبرزَت بطَلاً كالطَّودِ قد بَطَلَت … حواسُّه فغَدا كالمنزلِ الخَرِبِ
كأنّه وَسِنانُ الرمحِ يطلبُه … بُرجٌ هَوَى ووراه كوكبُ الذَّنبِ
بُشراكَ يا ملكَ الدنيا لقد شَرُفَتْ … بكَ الممالكُ واستعلَت على الرُّتَبِ
ما بعد عَكّا وقد لانت عريكتُها … لديكَ شيءٌ تُلاقيه على تَعَبِ
فانهضْ إلى الأرضِ فالدّنيا بأجمعِها … مُدَّتْ إليكَ فواصِلْها بلا نَصَبِ
كم قد دَعَت وهيَ في أسرِ العِدَى زمناً … صِيدَ الملوكِ فلم تُسْمَعْ ولم تُجَبِ
أتيتَها يا صلاحَ الدينِ معتقداً … بأنَّ داعي صلاح الدين لم يَخِبِ
أسَلْتَ فيها كما سالت دماؤهُمُ … من قبلِ إحرازِها بحراً من الذهَبِ
أدركتَ ثأرَ صلاح الدين إذ غُصِبَتْ … منه لسِرٍّ طواهُ اللهُ في اللَّقَبِ
وجئتَها بجيوشٍ كالسيولِ على … أمثالِها بين آجامٍ من القُضُبِ
وحُطْتَها بالمجانيقِ التي وقفت … إزاءَ جدرانِها في جَحفلٍ لَجِبِ
مرفوعةً نصبُوا أضعافَها فغدا … للكسر والحَطْم منها كلُّ منتصِبِ
ورُضتَها بنقُوبٍ ذَلَّلت شَمَماً … منها وأبدَت مُحيّاها بلا تعَبِ
وغنَّت البيضُ في الأعناقِ فارتقصَت … أبراجُها لعِباً منهنّ باللُّعَبِ
وخلَّقت بالدمِ الأسوار فانفغمت … طِيباً ولولا دماءُ الخبثِ لم تَطِبِ
[443 أ] وأبرزت كلَّ خَوْدٍ كاعِبٍ نثَرت … رؤوسَهم حين زفّوها بلا طَرَبِ /
باتت وقد جاورتنا ناشِزاً وغدَت … طَوْعَ الهَوى في يَدي جيرانها الجُنُبِ

بل أحرزتْهم ولكن للسيوفِ لكيْ ... لا يلتجي أحدٌ منهم إلى الهَرَبِ
وجالت النارُ في أرجائها وعلَت ... فأطفأت ما بصدرِ الدينِ من كَرَبِ
أضحَتْ أبا لَهبٍ تلك البروجُ وقد ... كانت بتعليقِها ﴿ حمَّالةَ الحطَبِ ﴾
وأفلتَ البحرُ منهم من يُخبِّرُ مَنْ ... يلقاه من قومه بالوَيْلِ والحَرَبِ
وتمَّت النعمةُ العُظمى وقد كَمُلَت ... بفتحِ صورَ بلا حصرٍ ولا نَصَبِ
أُختانِ في أنّ كلاًّ منهما جمعَتْ ... صَليبةَ الكفرِ لا أُختانِ في النسَبِ
«لمّا رأت أُختَها بالأمس قد خَرِبت ... كان الخرابُ لها أعدَى من الجَرَبِ»[1]
اللهُ أعطاكَ مُلكَ البحر إذ جَمعت ... لك السعادةُ ملكَ البرِّ والعَربِ
من كان مبدؤه عكّا وصورَ معاً ... فالصينُ أدنى إلى كفَّيهِ من حلَبِ
علا بكَ الملكُ حتى إنّ قُبَّتَه ... على البرايا غَدت ممدودةَ الطُّنُبِ
فلا برِحْتَ قريرَ العينِ مبتهجاً ... بكلِّ فتحٍ مبينِ المَنْحِ مُرتَقَبِ

1398 – بهاء الدين الحنفيّ [713 – 769][2]

خليل بن محمد بن أحمد، الحنفيّ [الدمشقيّ الأصل، بهاء الدين، المصريّ] .

ولد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة . وسمع الكثير، وكتب بخطّه وتفقّه حتّى أفتى ودرّس، و[ناب في] الحكم إلى أن مات في حادي عشر شعبان سنة تسع وستّين وسبعمائة .

1399 – أبو الجيش خُمَارَويه [250 – 282][3]

خمارويه بن أحمد بن طولون، الأمير أبو الجيش، ابن الأمير أبي العبّاس .

(1) هٰذا البيت هو البيت 22 من بائيّة أبي تمّام في فتح عمّوريّة .
(2) الدرر 2 / 182 (1667) . الجواهر المضيئة، 2 / 181 (571) وهو ابن أخت مؤلّفها .
(3) الخطط 2 / 108 الوافي 13 / 416 (506) – النجوم 3 / 49 – الوفيات 2 / 249 – =

أمّه ميّاس [أمّ ولد] وهبها أمير المؤمنين المستعين بالله أبو العبّاس أحمد لأحمد بن طولون ، فولدته للنصف من المحرّم سنة خمس[ين] ومائتين بسرّ من رأى ، وسمّاه خُمَار .

وقدم إلى مصر في أوّل سنة سبع وخمسين فأقام في كنفِ أبيه إلى أنْ خرج إلى الشام في صفر سنة تسع وخمسين ، فٱستخلفه على الفسطاط إلى أن عاد ، وهو مريض ، في جمادى الآخرة سنة سبعين ومائتين .

مبايعة الخدم الطولونيّة له

فلمّا مات أبوه ٱجتمع الأولياء والغلمان وقبضوا على العبّاس بن أحمد بن طولون وبايعوا أبا الجيش بعهد أبيه إليهم بذلك قبل موته بأيّام . فلم يرحل نهار الأحد العاشر من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين حتّى ٱتّسقت بَيعتُه ، وطاف خاصّة الغلمان لردع الرجّالة وأهل الدعارة وهم يعجّون بالبكاء في الطرقات ، والرعايا يبكون معهم . وأخرج أحمد بن طولون مع العصر ، وخرج الأولياء والغلمان وأحمد بينهم على سرير مدرج في ثوب وشي ، وأبو الجيش وحده راكب خلفه . فصلّى عليه وواراه . وصار يروح إلى قبر أبيه ومعه الأولياء، بسوادهم وسيوفهم ومناطقهم فيقولون : السلام على الأمير ورحمة الله وبركاته ! – ويقفون كما كانوا وهو حيّ ، لا يجلس عند القبر إلّا مَن كان رسمُه أن يجلس في مجلسه وهو حيّ . فلم يزل على ذلك سنة ثمّ تُرِك .

وكان ما بدأ به أبو الجيش إخراج القاضي بكّار بن قتيبة من الحبس ، وكلّ مَن كان في الحبس من أهل الجرائم والتهم . وكاتب أبا أحمد الموفّق في الصلح حتّى تمّ بينهما . وكتب كتاباً قُرِىء على عامّة أوليائه ورعيّته عزّاهم فيه بأبيه ووعدهم الإحسان وذكّرهم أيّام الماضي .

= الكندي ، 233 – تهذيب ابن عساكر 5 / 176 – دائرة المعارف الإسلاميّة 5 / 50 .

دفاعه عن أعماله الشاميّة

فلمّا بلغ ذا السيفين إسحاقَ بن كنداج ، ومحمّد بنَ ديوداد أبي الساج موتُ أحمد بن طولون طمعا في مملكته ومدّا أيديهما إلى ما قرب منهما من أعماله ، وساعدهما على قصدهما [. . .] ابن بدغياش المستخلف على دمشق . فخافت غلمان ابن طولون ، ومضى أحمد بن صعوبة عن أنطاكية ، وأبو جعفر محمد آبن إسماعيل العجمي عن حمص وسار إلى مصر / . [443ب]

وكان أمر الشام أهمَّ شيءٍ عند أبي الجيش . وعقد لأبي عبد الله أحمد بن محمد الواسطيّ على جيش يسير به إلى الشام يوم الخميس سادس ذي الحجّة . ثمّ عقد لسعد الأيسر على جيش آخر في سلخ ذي الحجّة . وبعث بمراكب كثيرة في البحر فأقامت بسواحل الشام . فنزل الواسطيّ فلسطين وهو خائف من أبي الجيش أن يوقع به لأنّه كان أشار بقتل [أخيه] العبّاس بن [أحمد] بن طولون . فكتب إلى أبي العبّاس أحمد بن أبي أحمد الموفّق يصغّر أمر آبي الجيش ويحرّضه على المسير إليه .

وآختلف سعد مع الواسطيّ فتأخّر الواسطيّ بطبريّة ، وعبر سعد إلى دمشق وقد آنهزم عنها ابن بدغياش . وبعث أبو الجيش بعسكرين آخرين ، على أحدهما أبو جعفر أحمد بن أبّا ، وقلّده دمشق . فلمّا قدم آبن أبا طبريّة وبها الواسطيّ دافعه حتى أيس منه وسار إلى دمشق . فرحل سعد بمَن معه من العساكر إلى شيزر وآجتمع بها زهاء خمسين ألف رجل من البربر وسائر الناس . وكان قد نزل إسحاق بن كنداج ومحمد بن أبي الساج بحلب . فأقام ابن أبّا بدمشق ولم يظهر ولايتَه ولا أسقط لسعد دعوة ولا دعا لنفسه ، فسار أحمد آبن الموفّق من العراق نحو ابن كنداج وابن أبي الساج حتّى قدم عليهما . فوافاه كتاب الواسطيّ يحرّضه على المسير ويعدُه بالنصر له . فسار ، وإسحاق وابن أبي الساج معه ، وطوّقوا عساكر سعد بشيزر على غرّة . فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وفرّ مَن نجا منهم –

وفيهم سعد – إلى دمشق ، فآجتمع به ابن أبّا . ولم يكن بأسرع من هجوم أبي العبّاس [أحمد ابن الموفّق على] دمشق فآنهزموا عنها إلى طبريّة ، وقتل كثير ممّن كان معهم . فأعنتهم الواسطيّ بتوعيره الطرق عليهم فتركوه وساروا إلى الرملة . ثمّ عادوا إلى الواسطيّ وأوقعوا به ، فهرب منهم آبن الموفّق . وعادوا إلى الرملة وبعثوا إلى أبي الجيش بالخبر مع ابن أبّا .

خروجه إلى الشام وهزيمته بالطواحين (سنة 271)

فآستخلفه على الفسطاط ، وخرج يوم الخميس لعشر خلون من صفر سنة إحدى وسبعين ، وقد آختلف ابن الموفّق مع إسحاق بن كنداج ومحمد بن أبي الساج فتركاه وعادا . وأقام بدمشق إلى أن وافى أبو الجيش الرملة ، ونزل على نهر أبي فطرس الذي يعرف اليوم بالطواحين .

وأقبل ابن الموفّق فهاله جيش أبي الجيش ، وكانت عدّتهم نحو سبعين ألفاً ، وليس معه إلّا أربعة آلاف . وقال لآبن الواسطيّ : ويحك ! غرَرْتَني ولم تنصحني ،ما تفي عدّتي والله بهٰذه العدّة !

فقال له الواسطي : لا يَغرّنّك هٰذا ، ولا يكثُر في عينك ! أكثرهم عامّة ما بين بقّال وحائك وفاعل . أنا أَبنْتُهم وعلى يدي جرى أمرهم .

وكان في عسكر ابن الموفّق دبادب ، وهي جفان جوز قد طبق مفتوحها بجلود إذا ضربت كان لها جلَبَة شديدة . فسمع عسكر المصريّين ما لا عهد لهم به فنفرت الجنائب وجالت الخيل متحيّرة بفرسانها ، وآضطرب العسكر . وحمل عسكر ابن الموفّق على ميمنة المصريّين فآنهزمت . فلم يثبت أبو الجيش ومرّ على وجهه إلى مصر في ثلاثة أيّام وهو راكب حماراً ، وتبعه مَن كان في القلب .

وتقدّم[1] ابن الموفّق وابن الواسطيّ فملكا السواد ودخلا مضرب أبي الجيش

(1) في المخطوط : وآنهزم ، وهو خطأ واضح .

فركع ابن الموفّق فيه ركعتين ، وعنده أنّه قد تمّ له الظفَر . فخرج سعد الأيسر وكان في الكمين وٱلتقى مع طبارجي وقد ثبت في الميسرة ، ونادَوا بشعارهم وصاحوا : الرجعة ! قد عاد الأمير إلى الضرب ! - وأكبّوا على العرائِش بالسيوف والرماح ، فٱنهزم ابن الموفّق وابن الواسطيّ . فسار ابن الموفّق إلى دمشق فلم يمكَّن من المدينة فصار إلى طرسوس . ولحق ابن الواسطيّ بمدينة أنطاكية .

ودخل أبو الجيش إلى مصر يوم الجمعة لثلاث خلون من ربيع الأوّل . وأقبل العسكران يقتتلان ليس لواحد منهما أمير . فظفر قوّاد المصريّين وهم : سعد الأيسر ، وأحمد بن إسماعيل العجميّ ، وتشركين وخُوطامش ، وطبارجي . وأقام طبارجي وسعد أبا العشائر مضر بن أحمد بن طولون ونادِيا في الناس : هٰذا أخو أميركم ، وهٰذه الأموال تنفقُ فيكم - ووضعا العطاء . فلمّا قبض الناس أرزاقهم سكنت / نفوسهم . وسار العسكر إلى دمشق مع سعد الأيسر . وأخذ [444أ] طبارجي الأسرى من العراقيّين والرؤوس ، وكرّ راجعاً إلى مصر ، بعدما كتب لأبي الجيش بالفتح . فشكر الله وتصدّق بمَال كثير . وقدم طبارجي فطاف البلد بالرؤوس والأسرى ، وخلع عليه ، وكان يوماً مشهوداً . فلمّا فرغ الأسرى من التطواف قال خمارويه للقوّاد : هؤلاء الضعفاء أسراكم وضيوفكم ، فَتَفرّقوهم وأحسِنوا إليهم . فمَن أحبَّ المُقام أجرينا عليه رزقاً يسعه . ومن أحبّ اللحاق بوطنه ، كتبنا له جوازاً وأطلقنا له نفقة .

ففعل القوّاد ذلك ، وخيّروهم : فمنهم مَن أقام ومنهم مَن مضى . وٱستولى عمّال خُمارويه على أعمال الشام ، ودُعِي له على منابرها .

تصدّيه لأهل الشغب

ووقع بمصر غلاء ، فمنع من حمل القمح والدقيق إلى الحجاز . وأمر أبو الجيش سريّ بن سهل متولّي الشرطة السفلى أن يتولّى تفرقة القمح على الطحّانين

حتّى يعمّ البلد بالخبز . فسأل سودانُ أبي الجيش السريَّ أن يزيد الطحّانين الذين يشترون منهم زيادة على غيرهم ، فزادهم . فأرادوا أكثرَ ممّا زادهم ، فٱمتنع عليهم . فغضبوا وشغبوا وأقبلوا إلى الشرطة فٱمتنع السريّ بها ورماهم من أعلاها . فركب أبو الجيش من وقته فَرَسَ النوبة وأقبل بمفرده وفي يده مُسْتوفٍ فلم يلقَ أحداً إلّا ضربه ضربة تأتي عليه أو يكاد . فٱنهزم السودان وهو من ورائهم . ثمّ رجع على الحمراء وقد نهبت طائفة من السودان ثياب القصّارين فأوقع بهم . وتلاحقت به الغلمان من كلّ جهة ، فكان يوماً مهولاً سكن في قلوب العسكر من أبي الجيش فيه هيبَة عظيمة ومسح عنه عار هزيمته بوقعة الطواحين .

ثمّ خرج من الفسطاط يوم السبت لتسع بقين من رمضان سنة إحدى وسبعين وسار إلى فلسطين . ثمّ عاد لعشر بقين من شوّال .

محاربته لإسحاق بن كنداج

وعزم على مطالبة إسحاق بن كنداج بما غلب [عليه] من الأعمال بعد موت أحمد ٱبن طولون . فكتب إليه في ذلك ثمّ خرج إليه في ذي القعدة سنة ٱثنتين وسبعين . فقتل سعد الأيسر [في شيء ظهر منه من خلاف][1] ومضى إلى دمشق فدخلها يوم الثلاثاء لسبع خلون من المحرّم سنة ثلاث وسبعين . وخرج منها وقد سار ٱبن كنداج إلى لقائه فتوافقا بإرض الرافقة فكانت على أبي الجيش ، فٱنهزم أصحابه ، وثبت هو في طائفة من حماته ، وهزم ابن كنداج وتبعه حتى عبر الفرات . فعقد أبو الجيش جسراً على الفرات وعبر إليه يقفو أثره حتى بلغ أصحابُه إلى سامرّا . فبعث يسأل في الصلح وأن يكون من جملة أبي الجيش ويخطب له على منابره ، فأجابه . وأقبل إليه ابن كنداج وأقام في عسكره فأكرمه وعاهده وخلّى عنه ، فدعا له على منابره في أعماله التي بيده . وكان القائم في

(1) الزيادة من الكامل .

هٰذا الصلح يحيى كاتب أبي الجيش ، وفي ذلك يقول القاسم بن يحيى المريمي [طويل] :

هي النعمة العظمى فقد وجب الشكر   وما حقّ ذي الإنعام جَحدٌ ولا كُفر
هي النعمة الكبرى التي جلّ قدرها   وكاد سواها لا يكون له قدرُ
أتانا أبو الجيش الأمير بيُمنِه   فشرّد عنّا الجورَ وافتقد العسرُ
فإن تكُ [أرض] الرقّتين اكتسَت به   ضياءً وإشراقاً لقد أظلمت مصرُ
أليس ترى ذلّ العراق وكيف لا   يذلّ ، وقد أضحى يجاوره البحر ؟
فسائل به إسحاقَ إذ سار نحوَه   بجيش كعرض النيل يقدمه النصر
تباعدت الأقطار منه كثافة   ففي مشرق قُطر وفي مغرب قطر
فأبلس إذ قيل : الأمير ببالس   وأضحى ضعيف العقد إذ عُقِد الجسرُ
/ ولمّا أتى الجسرَ ابنُ كنداج مقبلاً   أرته المنايا الحمرَ أعلامُه الحمرُ [444ب]
فولّى شريداً ذا ارتياع كأنّه   بكلّ بلادٍ طائرٌ ماله وكرُ
لئن سرّ إسحاقَ النجاةُ بنفسه   لقد ساءه في جمعه القتلُ والأسرُ
فلا يغبطن بالعيش من بعد هٰذه   فقد كسرَتْه كسرةً ما لها جبرُ

التصالح مع خليفة بغداد

ثمّ إنّ أبا الجيش كاتب أبا محمد الموفّق طلحة يسأله الصلحَ ، على مال يقوم به عمّا في يده من الأعمال ، فأجابه إلى ذلك . وكتب إليه كتاب الصلح وبعثه مع فائق الخادم . فقدم على [أبي الجيش] وهو بدمشق ، ومعه الخلع ، وهي : خلعتان من خلع العامّة ، وسيفان من سيوفهم ، وخلعة من خلع الخاصة ، وخاتم من خواتيم العامّة، وتاج ، ومنطقة ، ووشاحان ، فأنفذ فائقاً إلى الفسطاط فقدمها في رجب بكتاب الصلح ، وذكر أنّ أمير المؤمنين المعتمد على الله وأخاه أبا أحمد الموفّق وابنه أبا العبّاس أحمد بن الموفّق كتبوه بأيديهم . وفيه ولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة على المعادن والخراج والضياع والقضاء والبريد ،

ببرقة ومصر والإسكندريّة وأسوان والمعادن وطريق الحجاز ، وأجناد الشام وفلسطين والأردن وصور ودمشق وحمص وقنسرين والعواصم والثغور الشاميّة وديار مضر وما يتّصل بها ، وكنّي في هٰذا الكتاب بأبي الجيش . فقرىء على منبر الجامع وحضر الناسُ قراءتَه وأنفذ نسخة إلى الأعمال . ثمّ قدم خمارويه إلى مصر سلخ رجب ، فأمر بالدعاء لأبي أحمد الموفّق وترك الدعاء عليه .

بعض أعماله المعماريّة : البستان ...

وأقبل على قصر أبيه فزاد فيه ، وجعل ميدانَ أبيه كُلَّه بستاناً زرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر ، وحمل إليه كلّ صنف من خراسان وغيرها وتأنّق فيه تأنّقاً زائداً قد ذكرتُه في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار[1]. وبنى برجاً من الخشب الساج للطيور جمع فيه أنواع الطير .

... وبركة الزئبق

وعمل في داره مجلساً برواق سمّاه بيت الذهب – وكان أحد[ى] عجائب الدنيا – وجعل بين يدي هٰذا البيت فسقيّة يقال : ذرعها خمسون ذراعاً في خمسين ذراعاً وملأها من الزئبق ، واتّخذ له فَرْشاً من أدم يحشى بالريح ويربط بحبال من حرير قد عملت في حلق من فضّة حتّى تصل إلى أقياد . فكان ينام على هٰذا الفراش فوق الزئبق ، ولم يسبقه أحدٌ لعمل بركة من زئبق .

... ودار السباع

وبنى داراً للسباع فيه عدّة بيوت ، في كلّ بيت سبع ولبوة . واتّخذ لنفسه سبعاً سمّاه زريق لزرقة عينيه ، وكان مطلقاً في الدار لا يؤذي أحداً ، فإذا جلس أبو الجيش على المائدة ربض بين يديه ، وصار يرمي له ممّا قدّامه . وإذا نام

(1) الخطط ، 2/ 108 ، وفيها وصف البستان وبركة الزئبق ودار السباع .

ربض بين يدي سريره يراعيه نظره حتى ينتبه ، خوفاً ممّن يَغْتالُه .

وبلغ رزق جيش خمارَوَيه في كلّ سنة تسعمائة ألف دينار ، وقائم مطبخه المعروف بمطبخ العامّة في السنة ثلاثة وعشرين ألفَ دينار ، سوى مطبخه الخاصّ وما هو لداره وأرزاق من يخدم جواريه .

اتّخاذه حرساً خاصًّا

وأعدّ لنفسه من مولّدي الضياع وشناترة[1] الحَوف قوماً سمّاهم « المختارة » أصحاب شجاعة وبأس شديد وخلق تامّ ، ألبسهم الأقبية والخفاتين الديباج والمناطق الثقال العراض ، وقلّدهم سيوفاً محلّاة على أكتافهم ودَرَقاً من حديد مصقول ، وصاروا يمشون بين يديه محيطين به ، وعدّتهم ألف . فكان إذا ركب أطاقوا به ، وقدّامهم على قدر نصف رمية سهم ، ألفُ أسوَد عليهم البيض الحديد المصقولة من فوق رؤوسهم ، وعلى أكتافهم الدرق ، وثيابهم أقبية سود بعمائم سود ، فتكون له هيبة عظيمة ، وكان تامّ الظهر إذا ركب كأنّه قطعة جبل في وسط هؤلاء .

تغلّبهُ على آبن أبي الساج (جمادى 276)

فبينا هو في لذّاته إذ ورد الخبر بأنّ محمد بن ديوداذ المعروف بآبن أبي الساج قد خلع طاعته . وكان عاهد أبا الجيش وبعث إليه آبنه رهينةً عنده . فوصله أبو الجيش عند قدوم آبنه بمَا قيمتُه ثلاثون ألف دينار . فقال ابن أبّا : لقد خدعكم محمد بن أبي الساج : أعطاكم بولة يبوّل مثلها / في الليلة مرّات ، وأخذ منكم [445 أ]

(1) الشناترة : لعلّها تعني أوشاب الناس ، من شنتر الثوبَ ، وشنتر الأعراض : مزّقها . وفي الخطط 2 / 111 : من ولد الحوف وُشناترة الضياع ، وزاد : وشغلهم عمّا كانوا فيه من قطع الطريق وأذيّة الناس ، بخدمته . وانظر الخطط 2 / 116 .

ثلاثين ألفَ دينار . فخرج أبو الجيش من الفسطاط في ذي القعدة سنة أربع وسبعين ، ولقيه عند ثنيّة العقاب خارج دمشق . فحملت أصحاب ابن أبي الساج على ميسرة أبي الجيش فزحزتها . وحمل أبو الجيش بنفسه من القلب يريد ابنَ أبي الساج فأنهزم وتبعه جيشه . وعاد أبو الجيش إلى دمشق وبين يديه خلق كثير من الأسرى وعدّة عظيمة من رؤوس القتلى . وكتب إلى ابن أبي الساج يوبّخه بعدما خلع على ابنه ووصله وردّه إليه . وعاد إلى مصر فدخلها يوم الخميس لستّ بقين من جمادى الآخرة سنة ستّ وسبعين .

ثمّ خرج إلى الإسكندريّة يوم الأحد لأربع خلون من شوّال منها ورابط أيّاماً وعاد إلى مصر .

وأتى الخبر بأنّ يازمان الخادم دعا لخُماروَيه بطرسوس والثغور في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين . فبعث إليه بثلاثين ألف دينار ليفرّقها في سبيل الله ، وخمسين ثوباً ديباجاً ، وخمسمائة درّاعة صوف تفرّق في المطوّعة ، وسلاحٍ كثير .

ثمّ خرج إلى الشام يوم الثلاثاء لسبع عشرة من ذي القعدة منها ، وقد ورد الخبر بخروج ابن أبي الساج . فسار حتّى بلغ الرقّة ، فعبر ابنُ أبي الساج الفرات وأخذ على أبي الجيش مواضع العبور ولم يدع مركباً حتّى جعله عنده . فأقام أبو الجيش على الفرات وقد عجز عن العبور مدّة أيّام ، ثمّ ظفر بسفينتين فركب فيهما ومعه نحو ألف من خاصّته ، وسار ، والعساكر كلّها قد عبَرت الفرات إلى أن وافى ابن أبي الساج سحراً على حين غفلة . ففرّ بمَن معه على وجهه ، وأبو الجيش على أثره ، وفي مقدّمته كوثر الخادم ، وأحمد بن جمعويه ، إلى أن بلغا سرّ من رأى ، ودخل بعض أصحابهما إلى السوق بها واشترى منه . فبعث الموفّق إلى ابن أبي الساج : ويلك ! إلى أين تُطرَدُ بين يديه وتجرّه إلينا ؟ أظنّ هٰذا عن تواطُىءٍ بينكما . ارجع ، لعنك الله ، إليه ، فقد فضحك !

وبعث إلى أبي الجيش : إلى أين عافاك الله ؟ قد بلغت مرادَك وحسبك . قد بلغت أكثر ما في نفسك .

تودّده للمعتضد

فرجع . ومات أبو أحمد الموفّق في صفر سنة ثمان وسبعين وعهد إلى ابنه أبي العبّاس أحمد . ومات أمير المؤمنين المعتمد على الله لعشر بقين من رجب سنة تسع وسبعين . فقام من بعده في الخلافة أمير المؤمنين أبو العبّاس أحمد المعتضد بالله ابن الموفّق . فبعث إليه خمارويه بالهدايا مع الحسين بن عبد الله بن منصور الجوهريّ المعروف بأبن الجصّاص ، وهي : عشرون حملاً من المال ، وعشرون خادماً على الخيول بسروج ولجم محلّاة ثقال ونحوتاً كثيرة من الطراز ، وعشرون غلاماً فحولاً على نجب بجاويّة [1] بسروج محلّاة ومقاود حرير محلّاة ، بأيديهم حراب من فضّة ، وعليهم الديباج ومناطق الفضّة والذهب ، وسبعة عشر فرساً مسرجة ملجمة ، منها خمسة سروجها ذهب خالص وبقيّتها فضّة ، وخمس بغلات مسرجة ملجمة ، وثلاثون فرساً قوداء [2] بجلال ديباج ، وزرافة . فوصل في شوّال وخلع عليه وعلى من معه .

وقدم أبو الجيش إلى الفسطاط يوم السبت لستّ خلون من ربيع الأوّل سنة ثمانين ومائتين . وقدم ابن الجصّاص من العراق إلى الفسطاط لخمس بقين منه ، ومعه أجوبةُ الكتب وتجديدُ العهد لخمارويه وولده مدّة ثلاثين سنة بالولاية من الفرات إلى برقة . وجعل إليه الصلاة والخراج والقضاء وجميع الأعمال على أن يحمل في كلّ عام من المال مائتي ألف دينار عمّا مضى وثلاثمائة ألف عن كلّ عام للمستقبل .

---

(1) بجاويّة : قراءة ظنّيّة .

(2) وكذلك قوداء .

وتزويجه قطر الندى (سنة 281)

ثمّ قدم رسول المعتضد في شهر رمضان بالخلع ، وهي : آثنتا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم يدعى شنيف.

وعقد المعتضد نكاح أسماء بنت أبي الجيش المعروفة بقطر الندى في سنة إحدى وثمانين .

وخرج في نزهته بترنوط لأربع بقين من شعبان ، ومضى إلى الصعيد حتى بلغ [أ]سيوط . ثمّ رجع من الشرق إلى الفسطاط . فقدم مستهلّ ذي القعدة / [445ب] منها .

وماتت حظيّته بوران ، فتكدّرت حياته ، وآنكسر لموتها كسرة تبيّنت عليه .

وأخذ في تجهيز ابنته ، فجهّزها جهازاً يضاهي نعمة الخلفاء فأنفَدَ في ذلك بيوت أمواله حتى حملها إلى العراق .

وخرج إلى الشام يوم الخميس لثمان خلون من شعبان سنة آثنتين وثمانين فنزل منية الأصبغ ومنية مطر . ثمّ سار يوم الثلاثاء لعشر بقين منه حتى قدم دمشق ، فأقام بها . وسُعي عنده بأنّ جواريه قد آتّخذن خُدّاماً كالزوج لكلّ منهنّ . فأمر بحملهنّ من مصر . وآتّفق أنّ الخدّام سألوا أبا زرعة القاضي فقالوا : ما تقول أيّها القاضي في رجل يكره غلمانَه على أنفسهم حتى يفسق بهم وربّمَا جاء إلى أحدهم في صلاته وهو راكع أو ساجد فيكرهه على نفسه ويفسق به ؟

فقال : لعنه الله ! مَن هٰذا ؟ لو أنّي تحقّقت أمرَ إنسان على هٰذه الصفة لأمرتُ بقتله .

مؤامرة غلمانه عليه وقتله

فآجتمع الخدّام وقالوا : متى جضربق الجواري حتّى تقرع واحدة منهنّ

بمقرعة فإنّها تُقِرُّ فتُقتل بهم – وتحالفوا على ذلك . فلمّا سكر – وكان يشرب ثلاثين رطلاً – أقبلوا إليه وهو بقصره من دَير مُرّان ظاهر دمشق ، وليس عنده سبُعه زريق لغيبته عن مصر . فذبحوه وفرّوا . فلمّا عُلم بمقتله طلب الخدّام فلم يوجدوا فتسرّع النظر إليهم وخرجت الخيل في طلبهم حتى أدركوا وضربت أعناقهم ، وعدّتهم نيّف وعشرون خادماً ، منهم غلام يقال له طاهر ، ولؤلؤ ، وباشي ، وسابور ، ومحافظ . وبُعث برؤوسهم إلى مصر فنصبت على الجسر . وغُسّل أبو الجيش وكُفّن وصلّى عليه القاضي أبو زرعة ، وحُمل في صندوق إلى مصر . وكان دخوله يوماً عظيمًا تلقّاه غلمانُه وجواريه ونساء القطائع بالصياح وما يصنع في المآتم ، وقد شقّ الغلمان الأقبية وسوّدَ بعضهم ثيابه ، وشقّقوا جيوبهم إلى أن واَروه في قبره . وكانت قتلته ليلة الأحد لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة آثنتين وثمانين ومائتين ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، ومدّته آثنتا عشرة سنة وثمانية عشر يوماً . وترك : طولون بن خمارويه ، وقطر الندى .

شيء من أخباره

ومن أخبار أبي الجيش أنّه مرّ بقرية وهو سائر إلى الشام ، فخرج إليه أهلها وشكوا سبُعاً في جوارهم ، وأنّهم قد عزموا ، من خوفهم منه ، على الهرب من أوطانهم ، لأنّه ما يظفر برجل أو آمرأة أو بهيمة إلّا ويدقّه ويأكله . فقال : وأين هو ؟

قالوا : بين يدي الأمير .

الأسدُ الذي آصطيد باليد

فقصده وأمر أن يصاح به ليظهر . وأقبلوا يصيحون حتّى ظهر لهم ، وهو بقدر الحمار العظيم . فأمر أن يثيروه فأثاروه حتى غضب وتقدّم إليهم . فأمر أبو

الجيش أصحابه بالنزول فنزلوا إليه . وكان فيهم رجل قد سقط ترسه منه في الطريق ولم يشعر به . فنزع جبّته ولفّها على يده عِوضاً عن الترس ، وكانت محشوّة قطناً ، وقال لرفقائه : ٱستروني من الأمير لئلّا يراني بلا ترس فيحرد عليّ . فستروه إلى أن تأمّله الأسد فيمَا بينهم بلا ترس فقصده من بينهم وطلبه وطمع فيه . وأقبل الرجل إليه ، وٱنكشف لأبي الجيش فرآه بلا ترس فٱغتاظ وأنكر سقوط ترسه ، وأمر رفقاءه بأن لا يعاونوه ويتركوه مع الأسد ، فٱمتثلوا أمرَه وخلّوا بينه وبين الأسد . فلم يزل يعاركه ويراوغه حتى تهيّأ السبع ووثب عليه ، فوضع كفّه على كتف الرجل وفتح فمه ، فأدخل الرجل ذراعه في فيه بالجبّة ثمّ سلّ ذراعه من الجبّة وأخرجه من فيه وبقيت الجبّة في حلق الأسد فٱشتغل بإخراجها من حلقه . فلمّا رآه الرجل وقد ٱشتغل بإخراج الجبّة قبض بيديه جميعاً على أذني السبع وأقبل يجذبه بأذنيه يميناً وشمالاً ويزيله عن موضعه من بقعة إلى بقعة ، وليس في الأسد فضل ولا وكد إلّا إخراج الجبّة من حلقه ، وقد تشبّكت في فيه وغاصت أسنانه وأنيابه في القطن برطوبة زبده ولعابه وحصل أكثرها في حلقه ، وكلّما أدخل الأسد يده إلى فيه ليجذبها لا تخرج معه إلّا قطعاً قطعاً ، والرجل يجذبه بأذنيه فكانا كالرجلين يصطرعان ويتعاركان . فصاح أبو الجيش :
[446 أ] زه والله زه / والله ! خلّوه معه فما يخاف بعد هٰذا عليه . — ثمّ قال : يا غلام ، رطل ! — فجاءه برطل نبيذ فشربه . وكان معه محمد بن إسحاق بن كنداج وأحبّ أن يريه أنّ معه في رجاله من ينازع السباع هٰذه المنازلة ، وأمر أن يؤتى برطل فأتي به فشربه . فلمّا بقي السبع في يدي الرجل ساعته ، قيل لأبي الجيش : أيّها الأمير ، ما بقي على هٰذا الرجل حجّة ، وقد وجب أن يعاون على قتل هٰذا الأسد .

فقال أبو الجيش لرفقائه : عاونوا صاحبكم فقد ٱستحقّ ذلك . — فدخلوا إلى السبع فلم يزالوا يضربونه بأسيافهم حتى قطّعوه قِطَعاً . وحزّ ذلك الرجل رأسَه وأقبل به يحمله بأذنيه إلى أبي الجيش فرماه بين يديه . فضحك أبو الجيش وقال

له : بارك الله فيك ! يا غلام ، بدرة ! – فأُتي ببدرة دراهم فدفعت إليه . فقال الرجل : تقطّعت جبّتي أيّها الأمير حتّى ما أرجع منها إلى شيء . – فضحك أبو الجيش وأمر له بثوب ديباج وعمامة خزّ وشقّتين ديبقيّ وثوبٍ شرب ، وقال : كم رزقك في الشهر ؟

قال : عشرة دنانير .

فأمر أن تجعل ثلاثين ديناراً ، وزاد لكلّ واحدٍ من رفقائه في رزقه عشرة دنانير . وانصرف أبو الجيش ، وأهل القرية مبتهلون له بالدعاء ، إلى أن انصرف إلى الرملة .

وكان أبو الجيش يجري الحلبة في أيّامه . وكانت إذا أجريت في أيّام الطولونيّة قامت مقامَ الأعياد . وكان يجلس في المنظر يتأمّل الخيل كيف تقبل . فجلس يوماً على عادته ، فإذا بفرسين قد أقبلا [و]قد رمى أحدُهما بفارسه ، وقد قربا من باب المدينة . فنظر الفرس الذي رمى بفارسه سائسُه الذي ربّاه وعُني به ، وهو راكب . فمرّ حتّى سايرهُما قليلاً قليلاً ، وترفّق حتى أَنِسا به وصار ثالثَهُما ، وقد جعل الفرس بينه وبين الآخر ، وهو يحرّك معهما . واستشرفه الناس ورموه بأبصارهم واشتغلوا به حتى إذا كان بينه وبين المنظر مقدار غلوة سهم ، جمع رجليه فوق ظهر دابّته ووثب ، فإذا هو على الفرس العربيّ الذي رمى بصاحبه . وحثّه بالسوط وأحرقه وحرّكه ، فدخل سابقاً ، ودخل صاحبُه مصلّيًا بعد أن كان يقدّر فيه أنّه هو السابق . فعجب الناس من حيلته ، وأعجب ذلك أبا الجيش وسرّه وضحك وأمر له بجائزة غير السبق ، وسأل عن رزقه فزاد فيه .

وذكر أبو القاسم يحيى بن عليّ الحضرميّ ، المعروف بابن الطحّان في كتاب « ذيل تاريخ ابن يونس » قال : قُتل أبو الجيش خمارويه وهو في ثلاثين أو إحدى وثلاثين سنة .

قال سعيد بن نفيس : تنزّهنا إلى دَير القصير في عقب نزهة الأمير خمارويه

إليه (قال) فقرأت في الحائط بخطٍّ حسنٍ ما رأيت أحسنَ منه ولا أتمّ حروفاً [خفيف] :

أيّها العاشق المعذّب أبشر فخطايا ذوي الهوى مغفورة
زفرة في الهوى [أ]حطُّ لذنب من غزاةٍ وحجّة مبرورة

وتحتَ ذلك : وكتب خمارويه بن أحمد بخطّه .

ولمّا مرض أبو يعقوب إمام خمارويه وجّه بفتى بصريّ للصلاة بخمارويه ، فتقدّم أوّل صلاة صلّاها به لصلاة المغرب . فٱفتتح الصلاة وقرأ الفاتحة ثمّ قرأ : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . فقطع خمارويه الصلاة وقال : أبا القاسم بأي شيء تراه يُثَنِّي؟ بأبي جاد[1] أو بألف باء تاء ثاء ؟

الشيخ تاجر السنانير

ومن طريف أخباره ، ممّا يدلّ على كرمه وطيب نجاره ، ما حكاه أبو الحسن علي بن أحمد قال : رأيت بالرملة رجلاً جليلاً ذا نعمة حسنة ورأيت له أولاداً وحشماً .فسألتُه يوماً : من أين أصل هٰذه النعمة ؟

فقال : أحدّثك عن أصل ذلك ، وهو من أطرف الأحاديث : وذلك أنّه كان جدّي رجلـ[ـاً] فقير[اً] ليس له معاش إلّا في بيع السنانير . وكان يخرج في كلّ وقت إلى مصر فيجمع من السنانير ملءَ قفَص ويحمله على رأسه إلى الرملة فيبيعُها ، ويعيش هو وأولادُه من ثمَنها . فٱشترى منها على جاري عادته وحمله وسار حتّى بلغ إلى الحَوف ، فلقيه فارس متلثّم يسير وحدَه . فلمّا رآه قال له : يا شيخ ، ما في قفصك ؟

قال : سنانير .

(1) أبو جاد يعني بها : أبجد هوز الخ . . .

قال : وما تصنع بها ؟

قال : أبيعُها وأعيش من ثمنها .

فقال له : وما لك معاشٌ / سواها ؟ [446ب]

قال : لا .

قال : فاختر لي منها واحداً فرهاً صيوداً .

فحطّ القفص وأخرج منه سنّوراً كبيراً حسن الصورة ، فقال : هٰذا أحسنُها وأجوَدُها .

فقال له : ناولني إيّاه .

(قال) فناولته إيّاه . فلمّا أخذه جعله في حجر[ه] وأقبل يمسحه . ثمّ زجّ به فأطلقه في الصحراء . فلمّا أحسّ بالانفلات مرّ يعدو . فارتجف الشيخ ومرّ خلفه . فلمّا مرّ الشيخ خلف السنّور ضرب الفارسُ أبواب القفص بطبرزين[1] في يده فكسرها ، وصاح بالسنانير فخرجت وأقبلت تعدو في الصحراء . وعاد الشيخ فرآها على هٰذه الحالة فصاح : أفقرتني أفقرك الله ! قتلتني قتلك الله ! طالبك الله ! لحاك الله ! خذلك الله ! لا أحسن الله جزاءك ! عجّل الله عليك العقوبة ! – وطرح على رأسه التراب ، والفارس قد كاد أن يسقط عن فرَسه من الضحك وهو يقول له : يا شيخ ، لا تشتغل بالدعاء والحماقة ، الحَقْ السنانير ! هٰذاك واحد ، آعدُ خلفَه !

فقال الشيخ : يا سفلة ، يا خسيس ، يا جاهل ، آعدُ أنت خلفها ! أنا شيخ ضعيف ، كيف ألحقها ؟

والفارس مع ذلك يضحك ضحكاً شديداً . فبينا هما على هٰذه الحالة إذ أقبل العسكر والغلمانُ والخدَم يطلبون الفارس . فلمّا رأى الشيخُ الجيشَ قال :

---

(1) الطبرزين : ساطور ذو حدّين .

الحمد لله ! ارجو أن يكون هٰذا الأمير قد وافى فأتظلّمَ إليه منك .

وتقدّم وصاح : أنا بالله وبالأمير !

فقالوا له : ما لك ؟

فقال : أنا رجل فقير أشتري السنانيرِ وأحملها إلى الرملة من مصر وأبيعُها وأكسبُ فيها ما يكون سَتري وسَتر عيالي . فلقِيني الساعةَ بعض خدمكم ، سفلة ، قليل الدين ، ظالم ، الله بيني وبينه ، فكسر قفصِي وأطلق سنانيري .

فقالوا له : وأين هٰذا ؟

فأشار بيده إلى الفارس . فقالوا له : آسكت يا شيخ ، هٰذا هو الأمير أبو الجيش ابن طولون .

فلمّا سمع الشيخ مقالهم صاح : واخرابَ بيتي ! – ومرّ يعدو هارباً . فقال الأمير أبو الجيش : ردّوه عليّ !

فردّوه . فلمّا قرب منه ، صاح : أيّها الأمير ، الله فيّ ! والله ما عرفتُك . فآعذرني ، وأنت في حلّ من السنانير وممّا جرى عليّ منك . فآعفُ عنّي ، عفا الله عنك ، ولا واخَذَك[1] ، ولا عرّفك قبيحاً !

وبكى . فلمّا سمع الأمير أبو الجيش قوله ، قال : عفا الله عنك أيّها الشيخ – وكلّما دعا له الشيخ يقول الأمير : آمين ربّ العالمين ، وبكى – وكان رقيق القلب إذا سمع شيئاً فيه ذكر الوعظ . ثمّ قال له : لا بأس عليك ولا خوف . وقد عذرناك لأنّك ما عرفتَنا وضحِكنا منك وطابت نفسُنا معك وأنِسْنَا بك فِي هٰذه المفازة . ألك عيالٌ ؟

قال : نعم . لي والدة مسنّة وزوجة وثلاثة بنين صغار وأربع بنات كبار ، والاختلال قد عمّنا ، وسوء الحال قد شملنا ، وأنا أحمدُ اللهَ على كلّ حال .

فقال له أبو الجيش : أحسنتَ أيُّهَا الشيخ – ثمّ أمر له بألف دينار وقال

(1) أي ولا آخذَك .

له : هٰذا ثمن سنانيرك . أرضِيت ؟

فقال : والله إنّ عُشرُها يُرضيني ويُغنيني . الصواب أن أقول : ما رضيت .

فقال له أبو الجيش : حقّك أن تقول : ما رضيت . يا غلام ، إيش معك ؟

قال : عشرة آلاف درهم .

قال : ٱدفعها إليه .

فقبّل الشيخ الأرض وقال : والله العظيم ، أيّها الأمير ، ما قلت « ما رضيت » حقيقة ، وإنّما قلت ذلك على جهة التعجّب لأنّ بعض ما أعطيْتَني فيه برّي وصيانتي عن هٰذه الحالة ، وقد أزالها الله ، وله الحمد ، ببركة الأمير أيّده الله ، وإحسانه وإنعامه ومعروفه ، شكرَ اللهُ لَه ، فقد سترني وستر حرمي وأولادي . والله لا قصّرنا ولا غفلنا عن الدعاء له في الليل والنهار بطول البقاء ، وكفاية الأعداء . وفي كرم الله جلّ ٱسمه ما يحبّب ذلك .

فقال أبو الجيش : أحسن الله جزاءك ! ما نريد منك غير هٰذا ، فلا تُغفلْه !

ثمّ قال : ٱجلس ، أيّها الشيخ . – فجلس . وكتب له توقيعاً بخطّه إلى عامل الرملة ، نسختُه : بٱسم الله الرحمان الرحيم . يصل توقيعُنا هٰذا إليك ، أسعدك الله ، من يد شيخ قد حصلَت له بنا حُرمةٌ وتجدّدت له منّا عناية حتّى صار في جملة خاصّتنا ، ومَن قرب من قلوبنا ونؤثر صلاحه ونراعي أمورَه . فٱعرف له هٰذه المنزلة ، وأَظهِر من برّه وإكرامه وإعزازه في بلدِه ، ولكلِّ مَن في جملتِه ومَن يلوذ به . وٱقضِ حوائجَه وحوائجَ مَن يسأله ، وراعِ أمورَه ، وأَجْرِ له من مالِنا راتباً يكون له ولعَقِبه ما بقينا / وبقي ومَن بَعدَه مِن وَلده خمسمائة [447أ] دينار في كلّ سنة . وأَقطِعْه ضيعةً يقع ٱختيارُه عليها يكون فضلُه منها في كلّ سنة خمسمائة دينار . وٱكتُب إلينا بشرح ما تأتيه في أمره وما تمتثِلُه من أمرنا فيه ، فإنّا

نراعيه إلى أن يرد إلينا منك ما نقف عليه إن شاء الله .

وكتب يوم كذا من سنة كذا وكذا . – ودفعه إليه وقال : آقرأه !

فقال : والله ما أُحْسِنُ الخطّ .

فقرأه عليه الأمير بنفسه . فأقبل الشيخ يدعو ويبكي فَرَحاً وسروراً . فأمر له الأمير ببغل حملت عليه البدْرة ، وغلام راكب معه ، وحلّفه أن لا يأخذ منه شيئاً ، وقال لخادمه : في الصناديق شيء صحيح ؟

قال : نعم .

قال : هاتِه ! – فأخرج خمس شقاق ديبقي ، وخمسة شرب وخمسة أثواب ديباج ، وخمس عمائم . فدعا له الشيخ حتّى كادَ أن يسقط على وجهه . ثمّ قال له : يا مولانا ، أخذي لهٰذه الثياب يصبح بي استغتام[ـا] [1] ، والأمير أحوج منّي [إليها] .

فقال لها : إذا كانت لا تصلح لك ، فهي تصلح لبناتك . وإذا أردتَ أن تزوّجهُنَّ فصر إلينا حتّى نعطيك ما تجهّزهنّ به إن شاء الله .

فقال الشيخ : أنا أسأل الله أن يحييك حتّى أزوّجهنّ ويلِدن وآتيك بخبرهم .

فضحك الأمير وقال : تعالى الله ! امضِ مصاحَباً في حفظ الله ، وآكتب إليّ بخبرك ، وما يجري عليه أمرُك ، [فإنّي مُـ]ـتَوقّع كتابك ، وآحذر أن تؤخّره ، إلى أن أوافي الرملة قريباً إن شاء الله .

وأمر بعض غلمانه أن يسير معه إلى الرملة ، وأمره أن يحضر معه حتّى يوصل التوقيع وينجَز له كلُّ ما أَمَر به .

فلمّا دخل الشيخ الرملة وأوصل التوقيع إلى العامل وعرّفه منزلتَه من الأمير ،

---

(1) آستغتام : فضول واستكثار .

وأنّه أنفذه معه لينجز له جميع ما أمر به ، قال له العامل : السمع والطاعة .

ووقع آختيار الشيخ على ضيعة ، فأمر له بها . ووصله العامل من ماله بمائتَي دينار وثياب كثيرة وحصل له محلّ عظيم . وركب قاضي الرملة إليه مهنّئاً له . وكان إذا حضر عند العامل أو عند القاضي أو عند صاحب المعونة ، فلا يسأل حاجة إلّا قُضِيت ، ولا يشفع في شيء إلّا شُفع فيه .

قال الرجل الذي من أولاده المخبرُ بهٰذه الحكاية : وجميع ما تراه ، مِن هٰذه النعمة : فهي بسبب السنانير التي أطلقها الأمير أبو الجيش رحمه الله .

* * *

وكان خمارويه ما يأكل مع أحدٍ . فعوتب في ذلك ، فقال : أكثر من يجوز أن نؤاكلَه قوّادُنا ، وقلّ مَن تجد منهم إلّا مفزور[1] الأظافر بالوسَخ يرى أنّ من أكبر شجاعته ترك نظافته .

وأجاز يوماً لمغنٍّ غنّاه صوتاً ، بمائة ألف دينار ، وأمر له بها . فآستفظع ذلك وزيره وقال له : يسمع الموفق بهٰذا فتنحطّ منزلتك عنده — فصولح على مائة ألف درهم .

وكان قد أثخن في الأعراب وأفناهم قتلاً وأسراً حتّى طارت عقول العربان فرَقاً منه ولم يكن يوجد أعرابيّ وَمَعَهُ شيء من السلاح إلّا قُتل به ، حتى كانت الأعراب في الأرياف بمصر أذلّ من القبط .

آستتباب الأمن في أعماله بمصر والشام

وبلغه عن رفقة أقبلت [من] الشام فقطع عليها الطريق بناحية الحَوف من أرض مصر . فجرّد قائداً من قوّاده إليهم وأمره بطلب قطّاع [الـ]ـطريق حيث حلّوا وأين سلكوا وأقسم لئن قصر عنهم لا أعطاه من رزقه شيئاً أبداً . فخرج ومعه

(1) هكذا في المخطوط ، ولم نتبيّنها . والفرز : الشقّ ، ولا توافق الوسخ .

الأدلّاء وسائر ما يحتاج إليه لسلوك البرّيّة . وطلبهم حتى قيل له : إنّهم[1] من أعراب الكوفة جازوا عابري سبيل فلقوا [هـ]ـذه الرفقة فأخذوا منها ما أخذوا وعادوا إلى وطنهم . فمضى القائد في أثرهم إلى أن لحقهم بأوائل أعمال الكوفة . فردّهم في القيد أسرى وجميع ما أخذوه . فردّ المتاع إلى أصحابه وضرب أعناق الأعراب وصلبهم على باب مدينة مصر ، وخلع على القائد ورفع قدره . فكانت أعمالُه كلّها سالمةً من العيث وقطع الطريق لشدّة مهابته في قلوب أهل الفساد ، مع عدله في الرعيّة ورأفته بهم وقبوله لمن قصدَه ، حتّى إنّ بعض نصارى الفيّوم [أراد] أن يتقبّل ضيعة ، فشجر بينه وبين بعضِ مَن يتقبّل الضياع من المسلمين في شرب ، وتحاملا إلى أحمد بن علي الماذرّائيّ . فلمّا صارا في ديوانه تلاحيا . فقال النصرانيّ لخصمه : أنت مسلم تصول عليّ بعزّ الإسلام وتقول أنا أحقّ
[447ب] وأولى . وما / أقدر أنا أقول كما تقول . ولكنّ أميرنا ، أطال الله بقاءه ، لا يحبّ أن تكون معاملِهُ إلّا مليًّا[2] بمَا يجب عليه من الخراج . فيرسل الأمير أيّده الله إلى منزلي ومنزلك ، ونتكايل الدنانير فأيّنا كان أكثر مالاً ، فالأمير في معاملته أرغب .

فرفع صاحب الخبر ذلك إلى خمارويه ، فخرّ لله ساجداً وقال : الحمد لله الذي وفّق لنا من العدل ما بسط بهٰذا القول ألسُنَ معاملينا !

وقصده البحتريّ ، وهو بدمشق ، وٱستأذن عليه مع الحسين بن أحمد الماذرّائيّ . فقال له خمارويه : يا حسين ، هٰذا قد عاشر الخلفاء ورأى نِعمَهم . وإن دخل إلينا ٱستصغرَ نعمَتَنا . ولكن سله حاجته .

فذكر أنّ له ضياعاً بنواحي حمص وغيرها ممّا أقطعه المتوكّل ، وقد عمل قصيدة يسأل فيها الإيعاز[3] عن الضياع . فوقّع له بذلك وأمر له بخمسمائة دينار .

---

(1) في المخطوط : إنّه .

(2) قراءة ظنّيّة .

(3) كلمة أخرى لم نتبيّن معناها .

تأثّره بالمواعظ

ووجد خمارويه مرّة في جيبه رقعةً لم يعرف مَن رفعها ، ولا مَن قالها ، فإذا فيها مكتوب : أمّا بعد ، فإنّكم ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فأشرتم ، ووُسّع عَلَيْكم فضيّقتُم ، وعلمتُم عاقبةَ الدعاء فما آرعويتُم ولا أشفقتُم . آشتغلتم [بـ]ـلذّاتكم عن مهمّاتكم حتى هجرَتكُم خاصّتُكم وكرِهَتْكُم عامّتُكم . أوَمَا علمتم أنّ الدنيا لو دامت على العَاقل لما وصل إليها الجاهل ، ولو دامت على مَن مضى لما وصل إليها مَن بقي ؟ فآحذروا سهام السحَر ، فإنّها أنفذُ من وخز الإبر ، لا سيّمَا وقد جرّحتُم قلوباً قد أوجعتمُوها ، وأكباداً أجَعْتُمُوها ، وأحشاء أنكيتموها ، ومُقلاً أبكيتُموها . ومن المحال أن يهلك المنتظِرون [و] يبقى المنتظَرون . فآعملوا إنّا عاملون ، وجوروا فإنّا بالله مستجيرون ، وآظلموا فإنّا إلى الله متظلّمون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء ، 227) .

فبكى خمارويه لمّا قرأها بكاءً شديداً ، وجعل يتعهّد قراءتَها في غالب أوقاته ، ويستعين بها على إجراء عَبَراته .

1400 — خيثمة الإطرابلسيّ [250 — 343][1]

خيثمة بن سليمَان بن حيدرة ، أبو الحسن ، الإطرابلسيّ .

ولد سنة سبع وعشرين ومائتين . وسمع الحديث على كِبَرٍ بعد الستّين ومائتين . حدّث عن شيوخ الشام والساحل وحمص ودمشق وغيرهم ، من

(1) الوافي ، 13 / 442 (536) — النجوم ، 3/12 ، ومنها صحّحْنا سنة الولادة من 227 إلى 250 كما في المتن . ولو زاد على المائة ، لنبّه المؤلّف إلى هذه السنّ العالية — العبر ، 2 / 268 ، وقال الذهبيّ : توفّي سنة 343 ، وله 93 سنة ، وغير واحدٍ يقول إنّه جاوز المائة — أعلام النبلاء ، 15 / 412 (230) وقال إنّه مصنّف « فضائل الصحابة » — مختصر آبن عساكر ، 8 / 99 (63) .

الكوفيّين والبغداديّين ، عن العبّاس بن الوليد بن يزيد البيروتيّ ، ومحمّد بن عَوف الطائيّ الحمصيّ ، وإسحاق بن سنان النصيبيّ . وهو ثقة مأمون ، من العبّاد . ورماه بعضهم بالتشيّع .

حدّث عنه صدقة بن محمّد بن مروان القرشيّ ، وأبو نصر حديد بن جعفر الرمّانيّ ، وعبد الرحمان بن عمر بن نصر ، وعدّة غيرهم . توفّي في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة .

وحدّث قال : كنّا في بلاد الروم في الحبس عشرة أنفس . فبينا أنا نائم إذا بإنسان يقول : اقرأ !

قلت : ما أقرأ ؟

قال : اقرأ : ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ فقرأتُ إلى أن بلغتُ : ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الكَافِرِينَ﴾ (التوبة ، 1) . فأنتبهتُ فقال لي أصحابي : يا أبا الحسن ، سمعناك تقرأ [سورة] براءة .

فقلت لهم : سمعتموني ؟

قالوا لي : نعم ، تصيح .

وبعد ثلاثة أيّام جاء فرسانٌ فحمَلونا إلى رسل الملك ابن طولون خمارويه ، فلم أزل أعدّ الأيّام يوماً يوماً إلى تمام أربعة أشهر [فـ]ـصرت إلى طرابلس .

1401 – خير بن نعيم قاضي مصر [– 137] [1]

خير بن نعيم بن مرّة بن كريب بن عمرو بن خزيمة بن أوس ، الحضرميّ ، ثمّ الأجذوميّ ، من بني ناهض – يكنّى أبا نعيم ، ويقال : أبا إسماعيل –

(1) الكندي – 348 .

قاضي مصر .

روى عن عطاء بن أبي رباح ، وعبد الله بن هبيرة السبائيّ ، وأبي الزبير المكّي ، وجماعة .

روى عنه يزيد بن أبي حبيب ، وهو أكبر منه ، وحيوة بن شريح ، وبكر ابن عمرو ، وعمرو بن الحرث ، وسعيد بن أبي أيّوب ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، وغيرهم . وخرّج له مسلم والنسائيّ . قال أبو زرعة : صدوق ، وولي قضاء برقة .

وقال يزيد بن أبي حبيب : ما أدركتُ من قضاة مصر أفقهَ من خير بن نعيم .

تولّيه قضاء مصر

وولّاه حنظلة بن صفوان أمير مصر القضاءَ بإشارة توبة بن نمر الحضرميّ[1] – وكان يكتب لتوبة – وذلك بعد استعفاء توبة ، في شهر ربيع الآخر سنة عشرين ومائة . وجعل إليه القصص أيضاً . ثمّ صرفه حوثرة بن سهيل عن القضاء مستهلّ سنة ثمان وعشرين ومائة وصيّره كاتباً على الرسائل ، وولّى عوضَه أبا سلمة عبد الرحمان بن سالم الجيشانيّ . وسببُ عزله أنّ حوثرة أكثر من قتل / أشراف [448 أ] مصر ، فقال له حسّان بن عتاهية : لم يبقَ بحضرموت إلّا هٰذا القرن ، فإن قطعتَه [قطعْتَها][2] – يعني خير بن نعيم – فصَرفه عن القضاء وصيّره كاتباً على الرسائل .

فلمّا ولي عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير مصرَ ، ولّاه ديوان أسفل الأرض .

---

(1) توبة القاضي مرّت ترجمتُه برقم 1035 .

(2) الكلام ناقص ، والزيادة من الكنديّ ، 352 .

فلمّا زالت دولة بني أميّة ، ولّى أبو عون عبد الملك بن يزيد خيرَ بنَ نعيم القضاء مستهلّ شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة . فأدخل أموال اليتامى بيت المال بكتاب أبي جعفر المنصور ، وسجّل في كلّ مال منها سجلًّا بمَا يدخل منها وما يخرج . وآستكتب فيها عوفَ بن سليمَان ، وصيّره يقضي بين الناس على بابه : وذلك أنّه عرضت له علّة الجذام فثقل [عليه] كثرة الجلوس للخصوم ، وكان قد آستعفى أبا عون من القضاء فلم يُعفِهِ . وكان عوف رُبّمَا كفاه بعض التطويل .

اعتزاله القضاء رفضاً لتدخّل الأمير

ثمّ صرف نفسَه في شعبان سنة خمس وثلاثين ومائة ، فكانت ولايته هٰذه سنتين . وسببُ صرفه نفسَه أنّ رجلاً من الجند قذف آخر فخاصمه إلى خير وأقام عليه شاهداً واحداً . فأمر بحبسه إلى أن يأتيَ عليه بشاهد آخر . فأرسل أبو عون فأخرجَه من الحبس . فآعتزل خير في بيته وترك الحكم . فأرسل إليه أبو عون فقال : لا ، حتى تردّ الجنديَّ إلى مكانه – فلم يردّه .

ومات خير بمصر في سنة سبع وثلاثين ومائة . وقبرُه يزار بالقرافة . وله أخبار متعدّدة .

بعض أحكامه

منها أنّ هشام بن عبد الملك كتب إليه : أيّ آمرأة أرادت قبض صداقها المؤخّر على زوجها [. . .] : لن تُعطاه إلّا أن يكون شُرط عند الإملاك أن تُعطى على شرط مسمّى[1] .

(1) عند الكندي ، 348 : ... ألّا تعطى إلّا على شرط مسمّى ، ولعلّ في الكلام نقصاً أو مزجاً بين السؤال والجواب .

وحضر إليه رجل تزوّج آمرأة وشرط لها طلاقها في شيءٍ إن فعلَه .

فقال له : أراضٍ أنت بهذا الشرط ؟

قال : نعم .

فقال له : أنظر! إنّ الشرط لازم لك ، وهو الطلاق .

وقال يحيى بن سعيد : قلت لربيعة : إنّ أهل أنطابلس حدّثوني أنّ خير بن نعيم كان يقضي عندهم بأن لا يجوز السلف في الحيوان . وقد يُجالسك ، فلا أحسبُه قضى به إلّا عن رأيك ؟

فقال لي ربيعة : كان عبد الله بن مسعود يقول ذلك . وقال ابن وهب : حدّثني الليث بن سعد أنّ رجلاً سلف في نحل العسل فقضى خير بن نعيم بردّ ذلك البيع وكره السلف فيه . (قال الليث) وآلتقيت أنا وخير بن نعيم فقلت : بلغني أنّك كرهت السلفَ في الحيوان ورددتَه . ولا أراك أخذت ذلك إلّا من ربيعة ؟

قال : لا . ولكنّ عطاء بن أبي رباح حدّثني عن جابر بن عبد الله أنّه كان يكره السلف في الحيوان .

ودفع رجل إلى آخر ثلاثة دنانير فدفعها إلى رجل يبتاع بها حماراً ، فدفعها إلى رجل فلم يجد بالثلاثة حماراً ، ولم يجدهُ إلّا بأربعة . فقال الرسول : أنا أدفع إليك الدينار الرابع ، فإن رضي صاحب الحمار أخذت منه الدينار ، وإن كره أخذت الحمار لنفسي . فآشترى الحمار على ذلك الشرط . فسُرق بالطريق . فقضى خير أنّ الحمار للرسول وأنّ الثلاثة إلى صاحبها ردّ .

وتخاصم عنده آثنان ، فآدّعى أحدُهما على الآخر بعشرين ديناراً . فسكت المدّعى عليه . فقال له خير : ما تقول ؟

فلم يجب . فقال : ما يُخلِّصك السكوت !

فناوله رقعة وقال : ٱسترها سترك الله !

فسترها بكمّه وقرأها ، فإذا فيها : العشرون ديناراً في ذمّتي ، وما عليّ بها شاهد ولا بيّنة . وأنا حائر اليوم في حقّ الرسول : فإن ٱعترفت ٱعتقلني . وإن أنكرتُ ٱستحلَفني . ٱفتِنا يرحمُك الله !

فبكى خير وأخرج منديل كُمّه ، وٱستدعى ميزان الذهب ، فوزن عشرين ديناراً لربّ الدَّين . فقال له ربّ الدَّين : ما هٰذا ؟

قال : خلاص هٰذه المسألة – وقرأ الورقة عليه .

فقال : وأيّ شيءٍ أردتَ بهٰذا ؟

قال : أجرَها وثوابَها .

قال : أنا أحقّ بالأجرِ والثواب ، والله لا طلبتُها أبداً !

فقال خير : هؤلاء[1] خرجوا ، والله ما بقي لها رجعة !

فتخلّص الرجل من الدَّين وربح عشرين ديناراً .

وأحضر عنده ٱثنان عند صلاة المغرب ومعهما جَمَل يتحاكمان فيه . ففزع إلى الصلاة وتركهما . فلمّا أصبح دخلا إليه بغير جمل ، فقال أحدُهما : ٱشتريتُ من هٰذا جملاً بٱثنَي عشر ديناراً ، فخرج به عيبٌ واضح ، فأبى أن يردّه إلّا بحكم حاكم . فجئناك البارحة فلم نجدك . فمضينا بالجمل فمات . أيكون في كيسي أو كيسه ؟ /[448ب]

قال : لا ، بل في كيس القاضي الذي لم يبتّ الحكمَ بينكما – وورّث له ثمنَ الجمل .

ومات رجل عن غير وصيّة ، وعنده بضاعة لرجل ، وقِبَله شركة لرجل في

(1) أي الدنانير .

متاع ، وعنده وديعة يتيم ، وعليه صداق لأمرأته . فقضى خير أنّ ما كان قبله من شِرْكةٍ أو بضاعة فإنّها تردّ إلى أصحابها ، وأنّ صداق ٱمرأته والوديعة إذا لم توجد أسوة الغرماء .

وذكر مخرمة بن بكير أنّ مكاتباً لهم بزويلة كان له ولد أحرار من ٱمرأة حُرّة . فهلك المكاتب ، فٱختلفوا في ميراثه فقال خير : لا يرثه ولدُه الأحرار حين مات وهو مكاتب .

(قال) ثمّ قدمتُ المدينة فسألت سعدَ بن إبراهيم قاضي المدينة ، فقال مثل ذلك .

وكان خير يرخّص لمن توفّي عنها زوجُها من نساء الغزاة الذين يغزون بأهلهم المواحيز[1] فيتوفّى أزواجهنّ في المواحيز قبل انقضاء الرباط أن ينصرِفْن فيعتَدِدن في بيوت أزواجهنّ التي خرجوا منها إلى الرباط .

وكان يَقضي في المواريث أنّ الخيار للمشتري في ردّ ما ٱشترى حتّى يباع شيء غيرَه ويكتبه الكاتب .

كان يعرف القبطيّة

وكان يدخل إليه الخصمان فيخاطبانه بالقبطيّة ويردّ عليهما بها . ويشهد عنده الشهود بالقبطيّة فيسمع منهما ويحكم بها .

وكان يقضي فيمن ٱعترف لرجل بحقٍّ له عليه ثمّ ٱدّعى أنّه قد قضاه إيّاه ، ولا يُبيّنه عنده ، أنّه يلزمه ما ٱعترف به .وكان يقول: مَن ٱعترف عندنا بشيءٍ ، أخذناه به .

وكان يقضي بالمتعة على مَن طلّق ٱمرأته . وقال الليث : لا أعلم أحداً قضى بذلك غيرَه .

(1) الماحوز هو الثغر (دوزي) .

وقضى بالشفعة للشركاء على قدر حصصهم . فيدفع الربع لمن له الربع ، والثلث لمَن له الثلث .

وكان يقضي بشهادة الصبيان في الجراح التي تكون بينهم . وأجاز شهادة ذي الرحم لرحمه إذا كان معروفاً بالعدالة .

وكان يسجن في الديون ، ثمّ يكشف عن أمره إذا ادّعى العدم : فإن شهد له جيرانُه بالعدم أطلقه من ساعته . وكان يطلّق على المعدم امرأتَه إذا خاصمَته في النفقة عليها وقال : لا أجِدُ ما أُنفِقُ .

وكان يقبل شهادة النصارى على النصارى واليهود على اليهود ويسأل عن عدالتهم في أهل دينهم . وكان يقضي بين المسلمين في المسجد ، ثمّ يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعاريج فيقضي بين النصارى . وكان له مجلس يشرف على الطريق على باب داره . فكان يجلس فيه يسمع ما يجري بين الخصوم من الكلام .

ودخل عليه رجل فأطعمه طعاماً وهو على القضاء . وإذا الرجلُ مُخَاصَم . فأحضر خصمَ الرجل وأحضر الطعامَ فعرضه عليه لئلّا ينقطع الخصم عن حجّته .

وقال سهيل بن عليّ : كنت ألازم خيرَ بن نعيم وأجالسُه وأنا حدثُ السنّ ، وكنت أراه يتجر في الزيت فقلت له : وأنت أيضاً تتجر ؟ – فضرب بيده على كتفي ثمّ قال : انتظر حتّى تجوع ببطن غيرك !

فقلت : وكيف يجوع إنسانٌ ببطن غيره ؟

فلمّا ابـ[ـتُـ]ـليتُ بالعيال ، إذا أنا أجوع ببطونهم .

وأتاه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير أميرُ مصر يخاصم ابن عمٍّ له ، فقعد على مفرشة . فقال خير : قم مع ابن عمّك !

فقال : كأنّك وجدتَ علينا أن صيّرناك كاتباً بعدَ القضاء ؟ – وقام ولم

يخاصم .

والله أعلم . تمّت .

وبعده حرف الدال

تراجم الجزء الثالث كما وردت في المخطوط

حرف الجيم

حرف الحاء

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	ولادته ووفاته	الصفحة
1139	حسّان بن عتاهية أمير مصر		133	273
1140	حسّان بن مالك بن بجدل الكلبيّ		65 –	276
1141	حسّان بن النعمان الغسّانيّ	فاتح المغرب	80 –	279
1142	حسن بن إبراهيم بن هبة الله	أبو علي السمسار	639 – 550	283
1143	حسن بن إبراهيم بن سهل	علم الكفاة التستريّ	– بعد 456	284
1144	الحسن بن إبراهيم بن الجرّاح		185 –	284
1145	الحسن بن إبراهيم بن الحسين	الحسن بن زولاق	387 – 306	284
1146	الحسن بن أحمد بن الحسن	الأعصم القرمطيّ	366 – 278	287
1147	الحسن بن أحمد بن الحسن ، أبو الفضائل	حسام الدين أنو شروان	699 – 631	303
1148	الحسن بن بقاء بن محمد	ابن الخشّاب		305
1149	الحسن بن ثوبان بن عامر	أبو ثوبان الهمدانيّ	145 –	305
1150	الحسن بن داود بن عيسى	الملك الأمجد	670 – 620	308
1151	الحسن بن زيد بن إسماعيل	أبو عليّ الأنصاريّ الكاتب	529 –	308
1152	الحسن بن زيد بن الحسن	والد السيّدة نفيسة	168 –	312
1153	الحسن بن زيرك الطبيب		270 –	315
1154	الحسن بن سعيد بن جعفر ، أبو العبّاس	المطّوعيّ المقرىء	371 – 270	316
1155	الحسن بن سفيان بن عامر ، أبو العبّاس	الحافظ النسويّ	303 – 213	318
1156	الحسن بن سليمان بن فزارة ، أبو عبد الله	الشهاب البصرويّ	719 – 637	323
1157	حسن بن سيف بن عليّ	أبو عليّ الورّاق الأندلسيّ	731 – 555	324
1158	حسن بن شاور بن طرخان ، أبو عليّ	ابن النقيب	687 – 606	324
1159	الحسن بن شعرة		256 –	326
1160	الحسن بن الصبّاح الكيّال	رئيس الإسماعيليّة	518 –	327
1161	الحسن بن طغج بن جُفّ ، أبو المظفّر		340 –	335
1162	الحسن بن العبّاس بن أبي مهران	أبو عليّ الجمّال المقرىء	289 –	337
1163	الحسن بن العبّاس بن أبي الحسن ، أبو محمّد	قاضي دمشق	– بعد 387	337
1164	الحسن بن عبد الرزّاق بن عبد الكريم	أبو محمّد العسقلانيّ	719 –	337

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	ولادته ووفاته	الصفحة
1269	حسين بن محمد بن هارون ، أبو عليّ	رأس الحمار الشاعر	– 339	647
1270	حسين بن نصير بن مرتضى ، جلال الدين	ابن نصير المقرىء	– **بعد** 690	648
1271	الحسين بن يحيى بن أبي عرابة ، أبو البركات		– 438	648
1272	الحسين بن يوسف بن الحسن الشاطبيّ	الناسخ	561 – 637	648
1273	حسين بن أبي بكر بن إسماعيل	أمير حسين الروميّ	– 729	649
1274	الحصين بن نمير بن فاتك السكونيّ		– 67	651
1275	حفص بن الوليد بن سيف أمير مصر		– 128	655
1276	حمّاد بن هبة الله بن حمّاد	أبو الثناء الفضيليّ	511 – 598	658
1277	حمزة بن أحمد اللبّاد	« هادي المستجيبين »	– 410	659
1278	حمزة بن أسعد بن المظفّر ، أبو يعلى	الصاحب ابن القلانسيّ	649 – 739	662
1279	حمزة بن الحسن بن العبّاس	ابن أبي الجنّ الحسينيّ	369 – 434	664
1280	حمزة بن عليّ بن عثمان	الأجلّ الأشرف الكاتب	547 – 615	665
1281	حمزة بن عليّ بن يعقوب	أبو القاسم الغلبونيّ الورّاق	– **بعد** 399	667
1282	حمزة بن محمد بن عليّ ، أبو القاسم	الكنانيّ الحافظ	275 – 357	669
1283	حمزة بن محمد بن هبة الله	الصاحب ابن الأسفونيّ	– 682	671
1284	حميد بن أحمد الزهريّ			673
1285	حميد بن الجون الإسكندرانيّ			673
1286	حميد بن أبي حفصة			673
1287	حميد بن أبي حميد			673
1288	حميد بن أبي الصعبة			673
1289	حميد بن أفلح الخولانيّ			673
1290	حميد بن ثوابة	أبو القاسم الجذاميّ الأندلسيّ		674
1291	حُميد بن زنجويه		– 251	674
1292	حميد بن زياد الأصبحيّ			676
1293	حميد بن سعيد [بن يحيى] المغربيّ الشاعر		– **نحو** 501	676
1294	حميد بن سلامة بن عبد الأعلى الجيشانيّ		– 208	677

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	ولادته ووفاته	الصفحة
1394	خضر بن إبراهيم بن عمر	أبو المعالي ابن الرفّاء	– 739	791
1395	خضر بن أبي بكر بن أحمد ، كمال الدين	الكرديّ ، قاضي المقس	– 659	791
1396	خضر بن بدران بن بغرا التركيّ	أبو العبّاس ابن بدران الشاعر	543 – 631	793
1397	خليل بن قلاوون ،	الأشرف خليل	670 – 693	793
1398	خليل بن محمد بن أحمد	بهاء الدين الحنفيّ	713 – 769	811
1399	خمارويه بن أحمد بن طولون	أبو الجيش خمارويه	250 – 282	811
1400	خيثمة بن سليمان بن حيدرة	أبو الحسن الإطرابلسيّ	250 – 343	833
1401	خير بن نعيم بن مرّة بن كريب	قاضي مصر	– 137	834

مراجع التحقيق

(ممّا زاد على الجزءين الأوّل والثاني)

– أ –

أخبار الحمقى والمغفّلين لابن الجوزيّ (ت 597) ، بيروت ، د . ت .

أخبار مصر للمسبّحيّ (ت 420) . نشر حسين نصّار ، القاهرة ، 1984 .

أخبار مصر في سنتين (414 – 415) للمسبحّي (ت 420) . نشر وليم ميلوَرد ، القاهرة ، 1980 .

الأستقصاء للناصريّ السلاويّ ، الدار البيضاء ، 1954 .

أعمال الأعلام ، لابن الخطيب (ت 776) ، بالرمو ، 1910 – مدريد ، 1956 .

إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون للبرهان الحلبيّ (السيرة الحلبيّة) ، بولاق 1292 .

– ت –

تاريخ آداب اللغة العربيّة لجرجي زيدان .

التاريخ الكبير للبخاريّ (ت 256) – بيروت ، د . ت .

تاريخ جوهر الصقلّيّ لعليّ إبراهيم حسن ، القاهرة ، 1933 .

تاريخ الدولة الحمدانيّة (بالفرنسيّة) لماريوس كانار ، الجزائر ، 1951 .

تاريخ الدولة الفاطميّة لحسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، 1967 .
تجارب الأمم لمسكويه (ت 421) ، نشر أمدروز ، بغداد ، د . ت .
ترتيب المدارك للقاضي عياض (544) ، الرباط ، د . ت .
التنبيه والإشراف للمسعوديّ (ت 345) ، القاهرة ، 1938 .
التيجان في ملوك حِمْيَر لأبن هشام صاحب السيرة (ت 213) ، حيدراباد ، 1347 .

— خ —

الخلافة الفاطميّة بالمغرب (بالفرنسيّة) للدشراويّ ، تونس ، 1981 .

— د —

دمية القصر للباخرزيّ (ت 467) ، بغداد ، 1970 .
ديوان آبن هرمه (ت 176) ، نشر المعيبد ، النجف ، 1969 .

— ذ —

ذكرى أبي الطيّب في ألف عام لعبد الوهّاب عزّام ، القاهرة ، 1956 .

— ر —

رسالة الغفران للمعرّيّ (ت 449) نشر بنت الشاطىء ، القاهرة ، د . ت

- س -

سرح العيون لابن نباتة (ت 768) نشر محمد أبو الفضل ، بيروت ، 1986 .
سِيَر أعلام النبلاء للذهبي (ت 748) ، بيروت ، 1981 - 1988 .
السيرة الحلبيّة (إنسان العيون . . .) للبرهان الحلبيّ .
السيرة النبويّة والآثار المحمّديّة لأحمد زيني دحلان ، بولاق ، 1292 .

- ص -

صفة جزيرة العرب للحسن بن أحمد الهمْدانيّ (ت 334) نشر الأكوع ، الرياض ، 1974 .

- ط -

طبقات الأطبّاء (عيون الأنباء) لابن أبي أصيبعة (ت 668) .

- ع -

عيون الأخبار للداعي إدريس (ت 872) ، السبع السادس ، نشر مصطفى غالب ، بيروت ، 1984 .
عيون التواريخ لابن شاكر الكتبيّ (ت 764) ، نشر فيصل السامر وعبد المنعم داود ، بغداد ، 1977 .

– ف –

الفخري لابن الطقطقا (ت 709) ، بيروت ، 1966 .
الفرج بعد الشدّة للمحسّن التنوخيّ (ت 384) ، القاهرة ، 1955 .
فرجة الهموم والحزن في تاريخ وحوادث اليمن لعبد الواسع الواسعيّ (ت) ، القاهرة ، 1346 .

– ق –

القانون في ديوان الرسائل لابن منجب الصيرفيّ (ت 542) ، نشر أيمن فؤاد السيد ، بيروت ، 1990 .

– م –

معجم الأطبّاء لأحمد عيسى بكر ، القاهرة ، 1942 .
معجم قبائل العرب لرضا كحّالة .
المفضلّيّات ، نشر ليال ، ليدن .
المؤتلف والمختلف للآمديّ (ت 370) ، نشر عبد الستّار أحمد فرّاج ، القاهرة ، 1961 .
المؤنس لابن أبي دينار (ت 1110) ، تونس ، 1968 .

— ن —

نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيريّ (ت 236) .
نهاية الأرب للقلقشنديّ .

— هـ —

ابن هانئ المغربيّ الأندلسيّ لمحمّد اليعلاوي ، بيروت ، 1985 .
هديّة العارفين لإسماعيل باشا البغداديّ .

— و —

الوزراء للصّابي (ت 448) ، نشر عبد الستّار أحمد فرّاج ، القاهرة ، 1958 .



دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم : 1991 / 7 / 1000 / 176

الطباعة : دار صادر

MAQRĪZĪ (m. 845 / 1441)

AL - MUQAFFĀ

Volume III

(1048 - Jabir b. Muhammad - 1401 - Ḫayr b. Nu'aym)

Texte établi et annoté

par

MOHAMMED YALAOUI



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
1991